

مفتاح السعيا
في شرح نهج الغيلا

لمؤلفه
محمد تقى النقوى القاينى



www.haydarya.com

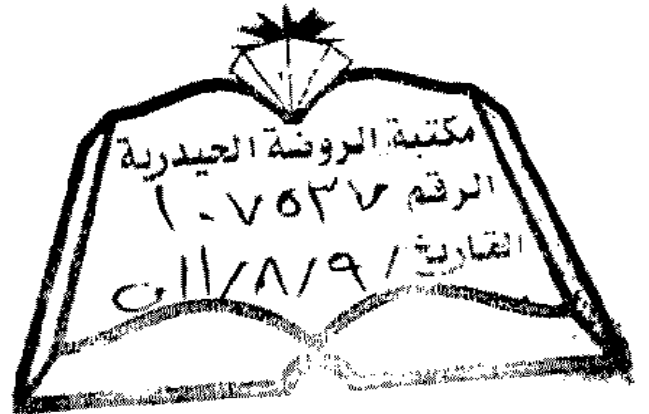
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

المجلد الخامس

لِمُؤَلِّفِهِ سَيِّدِ مُحَمَّدِ تَقِيِّ النَّقْوِيِّ

قائِمَةٌ
انتشارات قائم



نقوی قاضی، محمد تقی، ۱۳۰۸ -

مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغه [علی بن ابی طالب علیہ السلام] تألیف محمد تقی نقوی
القائمی - تهران: قانن، ۱۳۸۳.

ج

ISBN - SET : 964 - 94687 - 5 - 7: (دوره).

ISBN : 964 - 96259 - 0 - 9: (ج ۵).

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیبا.

عربی.

کتابنامه.

۱. علی بن ابی طالب علیہ السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - نهج البلاغه - نقد
و تفسیر. ۲. علی بن ابی طالب علیہ السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - کلمات قصار.
۳. علی بن ابی طالب علیہ السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - خطبه ها. الف. علی بن
ابی طالب علیہ السلام، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - نهج البلاغه. شرح. ب. عنوان. ج. عنوان:
نهج البلاغه. شرح.

۲۹۷/۹۵۱۵

BP۳۸/۰۲/۵۷

۱۳۸۳

م۸۳-۳۴۵۷۱

کتابخانه ملی ایران

مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغه - مجلد الخامس

المؤلف: محمد تقی نقوی قاضی

الکمیة: ۵۰۰

الطبعة: الثانی

تاریخ الطبع: ۱۳۸۶ ش. - ۱۴۲۸ ق.

تسبیح الصفحات: نشرقائن - ۸۸۳۱۵۱۰۸ - ۴۴۴۹۵۹۲۷

لیتوغرافی: نوین

المطبعة: زنبق

انتشارات: قانن

تهران: شارع جنت آباد، هاتف: ۴۴۴۹۵۹۲۷-۸۸۳۱۵۱۰۸

جميع الحقوق محفوظة للناشر

با مشارکت و حمایت معاونت امور فرهنگی وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی

شابک: ۹ - ۰ - ۹۶۴ - ۹۶۲۵۹ - ۰ - ۹ ISBN : 964 - 94687 - 0 - 9

شابک دوره: ۷ - ۵ - ۹۴۶۸۷ - ۰ - ۹۶۴ ISBN-SET : 964 - 94687 - 5 - 7

ومن خطبة له عليه السلام (٤١)

□ قوله عليه السلام: إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ، وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ، وَلَا يَغْدِرُ مَنْ عِلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعِ، وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدْ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْسًا، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيَلَةِ، مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ قَدْ يَرَى الْحَوْلَ الْقَلْبُ وَجَهَ الْحِيَلَةِ وَدَوْنَهُ مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ فَيَدَعُهَا رَأَى عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لِأَحْرِيحَةَ لَهُ فِي الدِّينِ.

◀ اللغة

(جُنَّةً) بالضم والتشديد ما استترت به من سلاح ونحوه. (الْمَرْجِعُ) كمنزل اسم مكان من الرجوع. (كَيْسًا) الكيس بفتح الكاف وسكون الياء العقل والفطنة وجودة القريحة ضد الحمق. (حَوْلُ الْقَلْبِ) يقال رجل حول القلب أي محتال بصير بتقليب الأمور (يَنْتَهِزُ) انتَهَزَ الفُرصة إذا اغتنمها. (أَحْرِيحَةَ) بالحاء المهملة ثم الياء التَّحْرَجُ وهو التَّحَرُّزُ من الأثم.

◀ المعنى

(قال عليه السلام): إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ،) أي يلازمه ويلاصقه. (وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ،) أي أشد وقاية من الوفاء في الدنيا والآخرة. (وَلَا يَغْدِرُ مَنْ عِلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعِ،) أي لا يقدر على أعمال الغدر من كان له علم بعواقبه في الدارين في العذاب الأليم في الآخرة والعار، والشين في الدنيا. (وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدْ

اتَّخَذَ أَكْثَرَ أَهْلِهِ الْغَدْرَ) وهو عَلامَةٌ نفاقهم فإنَّ المؤمن لا يغدر (كَيْسًا) وِفْطَانَةً. (وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيَلَةِ)، اى نَسَبَ هَؤُلاءِ الْأَشْخَاصِ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ اعْنَى الْجُهَالِ إِلَى حُسْنِ الْحِيَلَةِ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ كَذَالِكَ. (مَا لَهُمْ) اى لَهُؤُلاءِ الْحَمَقَاءِ. (فَاتَلَّهُمُ اللَّهُ) دَعَاءٌ مِنْهُ عَلَيْهِمْ. (قَدْ يَرَى الْحَوْلُ الْقَلْبُ وَجَهَ الْحِيَلَةَ) اى قَدِيرِ الْإِنْسَانَ الْبَصِيرِ فِي تَحْوِيلِ الْأُمُورِ وَتَقْلِيلِهَا لِاسْتِنْبَاطِ وَجْهِ الْمَصَالِحِ مَا لَا يَرَى غَيْرَهُ وَارَادَ بِهِ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ. (وَدُونَهُ مُنَاعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) اى وَدُونِ الْحِيَلَةِ وَتَرْكِهَا لِلْبَصِيرِ أَمَّا هُوَ لِمَنْعِهِ مِنْهُ وَهُوَ أَمْرُ اللَّهِ وَارَادَتْهُ وَنَهْيَهُ وَزَجْرَهُ. (فَيَدْعُهَا) اى يَدْعُ الْحِيَلَةَ (بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا)، اى عَلَى الْحِيَلَةِ. (وَيَنْتَهِزُ فَرَصَتَهَا) اى يُبَادِرُ عَلَيْهَا. (مَنْ لَا حَرِيحَةَ لَهُ فِي الدِّينِ) اى يُبَادِرُ إِلَى الْحِيَلَةِ مِنْ لَاعْتِنَاءِ لَهُ بِالذِّينِ لِعَدَمِ مَبَالَاتِهِ فِيهِ.

◀ الشرح

□ قوله ﷺ: إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ...

الْوَفَاءُ فِي اللُّغَةِ تَمَامُ الْعَهْدِ يُقَالُ وَفَى بِعَهْدِهِ يَفِي وَفَاءٌ وَأَوْفَى إِذَا أَتَمَّ الْعَهْدَ وَلَمْ يَنْقُضْ حِفْظَهُ، وَضَدُّهُ الْغَدْرُ وَهُوَ التَّرْكَ اى تَرَكَ الْعَهْدَ، وَالصِّدْقُ ضِدُّ الْكُذْبِ وَمَعْنَاهُ مَعْلُومٌ وَقَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِيهِ مَفْضَلًا، وَالتَّوَأَمُ مَنْ أَتَامَتِ الْمِرْثَةُ فَهِيَ مُتَمَّةٌ إِذَا وَضَعْتَ اثْنَيْنِ فِي بَطْنٍ وَاحِدٍ اى هُمَا زَوْجَانِ وَأَخْوَانِ وَالْوَلْدَانِ تَوْأَمَانِ وَالْجَمْعُ تَوَائِمٌ مِثْلُ قَشَائِمٍ وَالْوَأْمُ عَلَى فَوْعَلٍ وَالْأُنْثَى مِنْهُ التَّوَأْمَةُ وَعَنِ الْخَلِيلِ أَنَّ أَسْلَ تَوَأْمٌ وَوَأْمٌ فَابْدَلُ مِنَ الْوَأْوِينَ تَاءً كَمَا قَالُوا تَوْلَجَ مِنْ وَلَجٍ.

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّهُ ﷺ إِشَارَ فِي كَلَامِهِ هَذَا إِلَى أَنَّ الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ وَتَمَامَهُ تَوْأَمُ الصِّدْقِ اى يَلِازِمُهُ وَيَلِاصِقُهُ كَأَنَّهُمَا اى الْوَفَاءُ وَالصِّدْقُ كَالْوَالِدَيْنِ اللَّذِينَ وُلِدَا تَوْأَمَيْنِ مُتَلِاصِقَيْنِ لِأَفْرَقٍ بَيْنَهُمَا وَلَا مَزِيَّةَ لِأَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ بِحَسَبِ أَسْلِ الْخَلْقَةِ فَمَنْ كَانَ صَادِقًا لِامِحَالَةِ يَفِي بِعَهْدِهِ وَبِالْعَكْسِ وَأَمَّا الْكَاذِبُ فَلَا وَفَاءَ لَهُ بِالْعَهْدِ وَقَدْ أُشِيرَ فِي الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ بِلِزُومِ الْوَفَاءِ.

أما الآيات فمنها قال الله تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ (١)

و: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (٢)

و: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ (٣)

و: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (٤)

و: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٥)

و: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٦)

و: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَاتِهِ إِجْرًا عَظِيمًا﴾ (٧)

و: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَآيَاتِي فَأَرْهَبِيُونَ﴾ (٨)

و: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (٩)

و: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ (١٠)

و: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ (١١) وأمثال ذلك من الآيات الواردة وأما الأخبار والآثار.

منها - مارواه المجلسي (قده) في البحار باسناده عن ابي مالك قال قلت لعلی ابن الحسين أخبرني بجميع شرايع الدين قال ﷺ قَوْلُ الْحَقِّ، وَالْحُكْمُ بِالْعَدْلِ، وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ «بحار الانوار، ص ١٤٣، ج ١٦»...

ومنها - مارواه باسناده عن ابن ابي عمير عن الحسين ابن مصعب قال سمعت ابا عبد الله يقول ثلاثة لا عذر لأحد فيها: أداء الأمانة الى البر والفاجر، والوفاء بالعهد للبر والفاجر، وبرّ الوالدين برّين كانا او فاجرين «بحار الانوار، ص ١٤٣، ج ١٦»...

٢- الاسرى - ٣٤.

٤- المؤمنون - ٨.

٤- ال عمران - ٧٦.

٨- البقرة - ٤٠.

١٠- النحل - ٩١.

١- البقرة - ١٧٧.

٣- مريم - ٥٤.

٥- الصف - ٢/٣.

٧- الفتح - ١٠.

٩- الزعد - ٢٠.

١١- الأنعام - ١٥٢.

ومنها- مارواه باسناده ايضا عن ابي عبد الله عليه السلام قال عليه السلام ثلاث لم يجعل الله لأحد من الناس منهن الرخصة، برّ الوالدين برّاً كانا او فاجرين ووفاء بالعهد بالبرّ والفاجر واداء الأمانة الى البرّ والفاجر «ص ١٢٤»...

ومنها- مارواه باسناده عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله، من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروتة وظهرت عدالته ووجبّت وحرمت غيبته انتهى «ص ١٢٣»...

ومنها- مارواه ايضا باسناده عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله أقربكم غداً مني في الموقف أصدقكم للحديث واداء الأمانة وأوفاكم بالعهد وأحسنكم خلقاً وأقربكم من الناس «بحار الانوار، ص ١٢٣، ج ١٦»...

ومنها- مارواه عن عبدالله ابن سنان عن ابي عبدالله عليه السلام قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وعد رجلاً الى صخرة فقال انا لك هيهنا حتى تأتي فاشتدت الشمس عليه فقال اصحابه يا رسول الله صلى الله عليه وآله لو أنك تحوّلت الى الظل قال عليه السلام قد وعدته هيهنا الحديث «بحار الانوار، ص ١٦٣، ج ١٦»...

ومنها- مارواه باسناده عن الرضا عليه السلام قال انا اهل بيت نرى ما وعدنا علينا ديناً كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وقال النبي صلى الله عليه وآله تقبلوا لي ستّ خصال اتقبل لكم الجنة اذ حدثتم فلا تكذبوا، واذا وعدتم فلا تخلفوا، واذا ائتمنتم فلا تخونوا، وغضوا ابصاركم، واحفظوا فروجكم، وكفوا ايديكم والسبتكم «بحار الانوار، ج ١٦، ص ١٢٤» والزوايات من الخاصة والعامّة فيه كثيره.

ثم انه لاشك ان الوفاء من شميم النفوس الشريعة والأخلاق الكريمة والخصال الحميدة يعظم صاحبه في العيون وتصدق فيه خطرات الظنون ويقال الوعد وجهه والأنجاز محاسنه والوعد سحابه والأنجاز مطرها، ويقال انجز حراً ما وعد وقولهم العدة عطية وقولهم من آخر حاجة فقد ضمنها، وقولهم وعد الحرف فعل و وعد اللئيم تسويّف، وقالوا الوعد من العهد وامثال

ذالك من الأقوال الواردة فيه من الحكماء والعلماء والصلحاء ولنعم ما قيل فيه.

إذا قلت في شيء نعم فأتّمه
وإلا فقل لا تسترح وتُرح بها
وقال آخر:

لا كلف الله نفساً فوق طاقتها
فلا تعدّ عِدَّةً إلا وقّيت بها
وقال اعرابي وَعَدُّ الكَرِيمِ نَقْدٌ وَتَعْجِيلٌ وَوَعْدُ اللّٰثِمِ مُطِيلٌ وَتَعْلِيلٌ، وقال
اعرابي ايضاً الغدر الجميل خيرٌ من المَطل الطويل.

ومدح بشار خالد ابن برمك فأمر له بعشرين ألفاً فأبطأت عليه فقال لقائده
أقمني حيث يَمُرُّ فاقامه فَمَرُّ فآخذ بلجامِ بَغْلَبَةٍ.
وانشاء يقول:

أظلت علينا منك يوماً سحابةً
فلا غيمها يُجلى فيبأس طامعُ
فقال لا تبرح حتى تُؤتى بها وقال صالح اللّحمي:

أضاء لها برقٌ وأبطار شاشها
ولا غيثها يأتي فتروى عطاشها
لئن جمع الآفات فالبخل شرّها
ولا خير في وعدٍ إذا كان كاذباً
وقال آخر:

تَعْجِيلُ وَعَدِ المَرءِ اكْرُومَةٌ
والخُرُّ لا يُمطلُ مَعْرُوفُهُ
وقال آخر:

تَنشُرُ عَنْهُ أَطْيَبُ الذِّكْرِ
والأخير في وعدٍ بغير تمام
فالمطل يُذهبُ بَهْجَةَ الأنعامِ
وقال آخر:

لَعَبْدِكَ وَعَدُّ قَدِ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ
فأولُه حَمْدٌ وآخِرُهُ شُكْرُ

وَقَدْ جُمِعَتْ فِيكَ الْمَكَارِمُ كُلُّهَا فَمَا لَكَ عَن تَأْخِيرِ مَكْرَمَةِ عُذْرٍ
وَقَالَ آخَرَ:

وَمِيعَادُ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ دِينٌ فَلَا تَزِدُ الْكَرِيمَ عَلَى السَّلَامِ
يُذَكِّرُهُ سَلَامُكَ مَا عَلَيْهِ وَيُغْنِيكَ السَّلَامُ عَنِ الْكَلَامِ
وَقَالَ آخَرَ:

شَكَكَ لِسَانِي ثُمَّ امْسَكْتُ نِصْفَهُ فَانصَفُ لِسَانِي بِأَمْتِدِ احْكُ نَاطِقُ
فَإِنْ لَمْ تُنْجِزْ مَا وَعَدْتَ تَرَكَتَنِي وَبَاقِي لِسَانِي بِالْمَدْمَةِ مُطْلَقُ
وَقَالَ آخَرَ:

بَاتَتْ لِرُوعِدِكَ عَيْنِي غَيْرَ رَاقِدَةٍ
وَاللَّيْلُ حَتَّى الدِّيَاجِي مَنَبَتِ السَّحَرُ
هَذَا وَقَدْ بَتُّ مِنْ وَعْدٍ عَلَى ثِقَةٍ
فَكَيْفَ لَوَبَّتْ مِنْ هِجْرِ عَلَى حَذَرٍ

وَقَالَ آخَرَ:
نُذَكِّرُ بِالرِّقَاعِ إِذَا نَسِينَا وَيَأْبَى اللَّهُ أَنْ تُنْسَى الْكِرَامُ

وَمِنْ عَجَائِبِ مَا وَرَدَ فِيهِ بِنَقْلِ أَرِيَابِ السَّيْرِ هُوَ أَنَّ نُعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ أَمِيرَ
العرب في زمانه كان قد جعل له يومين يوم بُؤسٍ من صادقٍ فيه قتله وارداً،
ويوم نعيمٍ من لقيه فيه احسن اليه وأغناه وكان الطائي قد رماه حادث دهره
بسهمٍ فاقتته وفقره فاخرجته الفاقة من محل استقراره ليرتاد شيئاً لصيبته
وصغارته فبينما هو كذلك إذ صادفه النعمان في يوم بُؤسٍه فلما راه الطائي علم
أنه مقتول وأن دمه مطلول فقال حيّ الله الملك ان لي صبيته صغاراً واهلاً جياً
وقد ارتقت ماء وجهي في حصول شيء من البلغة لهم وقد اقدمنى سوء الحظ
على الملك في هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الصبية والأهل وهم على
شفا تلف من الطوى ولن يتفاوت الحال في قتلى بين أول النهار وآخره فان
رأى الملك ان يأذن لي في ان أوصل اليهم هذا القوت وأوصى بهم اهل المروّة

من الحَيِّ لئلا يهلكوا ضياعاً ثم أعوذ الى المَلِكِ وأسلم نفسي لنفاذ أمره فلما
 سمع النعمان صورة مقالته وفهم حقيقة حاله ورأى تلُّه فيه على ضياع اطفاله رَقَّ
 له ورثني لحاله غير أنه قال له لا آذن لك حتى يضمَّنك رجل مَعَنَا فان لم ترجع
 قتلناه وكان شريك ابن عدى بن شرحبيل نديم النعمان معه فألقت الطائي الى
 شريك وقال له:

يا شريك ابن عدى	ما من الموت انهزام
من لأطفالٍ ضعافٍ	عَدِمُوا طَعَمَ الطَّعَامِ
بينَ جُوعٍ وانتظارٍ	وافتقادٍ وسقامٍ
يا أخاك كَرِيمٍ	أنت من قوم كرامٍ
يا أخا النعمان جدلي	بضممانٍ والتزامٍ
ولك اللهُ بآئسى	راجعٌ قَبْلَ الظَّلامِ

فقال شريك ابن عدى اصَلَحَ اللهُ المَلِكُ عَلَيَّ ضمانه فمرَّ الطائي مُسرِعاً
 وصار النعمان يقول لِشريك انَّ صَدْرَ النَّهارِ قَدْ ولى وَلَمْ يَرَجِعْ وشريك يقول
 لَيْسَ لِلْمَلِكِ عَلَيَّ سَبِيلٌ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَسَاءَ فلما قُرِبَ الْمَسَاءُ قال النعمان
 لشريك قد جاء وَقَتُكَ قم فتأهب لِلقَتْلِ فقال شريك هذا شخص قد لاح مُقبلاً
 وارجؤا ان يكون الطائي فان لم يكن فأمر المَلِكُ مُمْتَلِئاً قال فبينما هم كذالت
 واذا بالطائي قد أَشْتَدَّ عَدُوهُ فى سِيره مُسرِعاً حَتَّى وَصَلَ فقال خَشِيْتُ ان
 ينقضى النَّهارُ قَبْلَ وُصُولِي ثُمَّ وَقَفَ قائماً وقال ايها المَلِكُ مَرَّ بِأَمْرِكَ فَاطْرَقِي
 النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيتُ اعجَبَ منكما اما انت يا طائي فما
 تَرَكْتَ لِأَحَدٍ فى الْوَفَاءِ مَقاماً يَقُومُ فِيهِ ولا ذِكراً يفتخر به واما انت يا شريك فما
 تَرَكْتَ لِكريمٍ سَمَاحَةً يُذَكِّرُ بِهَا فى الْكِرَماءِ فلا أَكُونُ انا الأُمُّ الثَّلاثَةُ آلا وائى قد
 رَفَعْتُ يَوْمَ بُؤْسَى عَنِ النَّاسِ وَنَقَضْتُ عَادَتِي كِرَامَةً لوفاء الطائي وكَرَمِ شريك،
 فقال الطائي:

وَلَقَدْ دَعَتْنِي لِلْخِلافِ عَشِيرَتِي فَعَدَدْتُ قَوْلَهُمْ مِنَ الْأَضْلالِ

أَتَى أَمْرٌ وَمِنِّي الْوَفَاءُ سَجِيَّةٌ وَفِعَالٌ كُلٌّ مِهْدَبٌ مُفِضَالٌ
 فَقَالَ النُّعْمَانُ مَا حَمَلَكَ عَلَى الْوَفَاءِ وَفِيهِ اتِّلَافٌ نَفْسِكَ فَقَالَ دِينِي فَمَنْ
 لَا وِفَاءَ لَهُ لَا دِينَ لَهُ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ النُّعْمَانُ وَوَصَلَهُ بِمَا أَغْنَاهُ وَعَادَهُ مُكْرَمًا إِلَى أَهْلِهِ
 وَأَنَا لَهُ مَائِمْنَا.

□ قوله عنه: وَلَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ...

أَي لَا يَغْدِرُ مَنْ لَهُ عِلْمٌ بِعَوَاقِبِهِ الْوُخِيمَةِ وَتَبِعَاتِهِ الشَّدِيدَةِ مِنْ عَارِ الدُّنْيَا
 وَعَذَابِ الْآخِرَةِ وَأَنَا حَيْثُ تَكَلَّمْنَا فِي مَعْنَى الْوَفَاءِ وَالْآثَارِ الْمُرْتَبَةِ عَلَيْهِ وَمَا وَرَدَ
 فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ وَالْأَمْثَالِ وَالْأَشْعَارِ فَلَا بَدَّ لَنَا مِنَ الْبَحْثِ فِي مَعْنَى الْغَدْرِ
 أَيْضًا الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْوَفَاءِ وَالْآثَارِ الْمُرْتَبَةِ عَلَيْهِ.

قَالَ الرَّاعِبُ فِي الْمَفْرَدَاتِ الْغَدْرُ الْأَخْلَالُ بِالشَّيْءِ وَتَرْكُهُ وَالْغَدْرُ يُقَالُ لَتَرْكِ
 الْعَهْدِ وَمِنْهُ قِيلَ فَلَانَ غَادِرٌ وَجَمَعَهُ غَدْرَةٌ، انْتَهَى.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْضَاهَا﴾ (١)

و: ﴿فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٢) وَمِنْهُ الْحَدِيثُ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي
 أَصْحَابِهِ حَتَّى بَلَغَ قَرْقَرَةَ الْكَدْرِ فَأَعْدَرُوهُ أَي تَرَكُوهُ وَخَلَفُوهُ وَهُوَ مَوْضِعٌ، انْتَهَى.
 أَعْلَمُ أَنَّ الْغَدْرَ عَلَى قَوْلِ أَهْلِ اللُّغَةِ هُوَ ضِدُّ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ فَكُلُّ مَا وَرَدَ فِي
 الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ فِي مَدْحِ الْوَفَاءِ فَقَدْ دَلَّ بِالْمَلَاظِمَةِ عَلَى ذَمِّ الْغَدْرِ الَّذِي هُوَ ضِدُّهُ
 فَإِنَّ الْوَفَاءَ لَوْ كَانَ مَمْدُوحًا فَلَا مُحَالَةَ يَكُونُ ضِدُّهُ أَعْنَى عَدَمِ الْوَفَاءِ مَذْمُومًا
 وَالْحَقُّ هُوَ أَنَّ الْغَدْرَ بِنَاءً عَلَى أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى عَدَمِ الْوَفَاءِ مِنَ الْأُمُورِ الْعَدَمِيَّةِ
 وَعَلَيْهِ فَيَكُونُ تَقْيِضُ الْوَفَاءِ لِأَنَّ الضَّدَّيْنِ عَلَى مَا هُوَ الْمَشْهُورُ لَا بَدَّ مِنْ كَوْنِهِمَا
 وَجُودَيْنِ اللَّهْمُ إِلَّا عَلَى الْقَوْلِ بِعَدَمِ اشْتِرَاطِ ذَلِكَ فِي الضَّدَّيْنِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ
 الشَّيْخُ فِي الشَّفَا إِلَّا أَنَّهُ سَمَّاهُ تَحْتَ التَّضَادِّ فَرَقًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّضَادِّ بِالْمَعْنَى
 الْمُصْطَلَحِ وَالْأَمْرُ سَهْلٌ بَعْدَ كَوْنِهِ مَعْلُومًا فِي الْمَقَامِ وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ قَدْ وَرَدَتْ
 فِي ذِمَّةِ رَوَايَاتٍ كَثِيرَةٍ.

منها- مارواه في البحار بأسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل غادر يوم القيمة بأمام مايل شذقه حتى يدخل النار» بحار الانوار، ج ١٦، ص ١٩٦-١٩٧»...

ومنها- مارواه ايضاً عن زيد بن ابي عبدالله عليه السلام قال سئلته عن فريقيين من اهل الحرب لكل واحدٍ منهما ملكٌ على حدة اقتتلوا ثم اصطلحوا ثم ان أحد المليكين غدر بصاحبه ف جاء الى المسلمين فصالحهم على ان يغزوا معهم تلك المدينة فقال عليه السلام لا ينبغي للمسلمين ان يغدروا ولا يأمرؤا بالغدر ولا يقاتلوا مع الذين غدروا ولكنهم يقاتلون المشركين حيث وجدوهم ولا يجوز عليهم ما عاهد عليه الكفار» بحار الانوار، ج ١٦، ص ١٩٦-١٩٧»...

ومنها- مارواه ايضاً عن الأصبع ابن نباته عن امير المؤمنين عليه السلام وهو عليه السلام يخطب على المنبر بالكوفة قال عليه السلام يا ايها الناس لولا كراهية الغدر لكنت من ادهى الناس الا ان لكل غدرة فجرة ولكل فجرة كفره الا وان الغدر والفجور والخيانة في النار» بحار الانوار، ج ١٦، ص ١٩٦-١٩٧»...

ومنها- ما عن الرضا عليه السلام عن آيائه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من غش مسلماً او ضره او ما كرهه» بحار الانوار، ج ١٦، ص ١٩٥»...

ومنها- ما عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال المؤمن لا يغش أخاه، ولا يخونه ولا يأخذ له ولا يتهمه ولا يقول أنا منك برى بحار الانوار، ج ١٦، ص ١٩٥»...

والروايات في الغدر ايضاً كثيرة ولما كان الميسور لا يترك بالمعسور ذكرنا شرطاً منها وأعرضنا عن الأطالة في الكلام، ثم ان قوله عليه السلام: لا تغدر من علم كيف المرجع، قد دل بالمفهوم على انه من لا علم له بالمرجع فهو يغدر وهو كذلك فان الغادرين في كل عصرٍ زمان اما ان لا علم لهم به او لا يعتقدون به ولذلك يقال ان الغادرين لا يكونون الا فجاراً فساقاً.

ومما رواه ارباب السير فيه هو ان رجلاً من العماليق يسمى بعرقوب اتاه أخوه يسأله فقال لأخيه اذا اطلعت هذه النحلة فللك طلغها، فاتاه للعدة، فقال

دَعَهَا تَصِيرُ يَلْجَأُ، فَلَمَّا اِبْلَحَتْ قَالَ دَعَهَا حَتَّى تَصِيرُ رُطْبًا فَلَمَّا أَرَطَبَتْ قَالَ دَعَهَا
حَتَّى تَصِيرَ تَمْرًا فَلَمَّا اِتْمَرَتْ عَمِدَ إِلَيْهَا عُرْقُوبٌ فَجَزَّهَا وَلَمْ يُعْطِ إِخَاهُ شَيْئًا
فَصَارَتْ مِثْلًا سَائِرًا فِي الْخَلْفِ قَالَ الْاَعْشَى:

وَعَدَّتْ وَكَانَ الْخَلْفُ مِنْكَ سُجِيَّةً

مَوَاعِيدِ عُرْقُوبِ إِخَاهِ بِشْرِبِ

غَدَرْتَ بِأَمْرٍ كُنْتَ أَنْتَ جَذَبْتَنَا

إِلَيْهِ وَبِئْسَ الشَّيْمَةُ الْغَدْرُ بِالْعَهْدِ

نَقَلَ أَنَّهُ لَمَّا حَلَفَ مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ لِلْمَأْمُونِ فِي بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَهُمَا وَلِيَا عَهْدٍ
طَالِبُهُ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى أَنْ يَقُولَ خَذَلَنِي اللَّهُ إِنْ خَذَلْتَهُ فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ
فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ قَالَ لِي الْأَمِينُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ بَيْتِ اللَّهِ
(خَذَلْتَهُ) يَا أَبَا الْعَبَّاسِ أَجِدُ فِي نَفْسِي أَنَّ أَمْرِي لَا يَتِمُّ فَقُلْتُ لَهُ وَلِمَ ذَلِكَ اعْزَّ اللَّهُ
الْأَمِيرَ قَالَ لِأَنِّي كُنْتُ أَحْلِفُ وَإِنَّا أَنْوِي الْغَدْرَ وَكَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَتِمَّ أَمْرُهُ.

وَوُرِدَ فِي إِخْبَارِ الْعَرَبِ أَنَّ الضَّيْضِرْنَ بْنَ مَعَاوِيَةَ بْنَ قِضَاعَةَ كَانَ مَلِكًا بَيْنَ
دَجَلَةَ وَالْفُرَاتِ وَكَانَ لَهُ هُنَاكَ قَصْرٌ مَشِيدٌ يَعْرِفُ بِالْجَوْسِقِ وَبَلَغَ مَلِكُهُ الشَّامَ
فَاغَارَ عَلَى مَدِينَةِ سَابُورِ ذِي الْأَكْتافِ فَأَخَذَهَا وَأَخَذَ أُخْتَهُ سَابُورَ وَقَتَلَ مِنْهُمْ
خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ أَنَّ سَابُورَ جَمَعَ جُيُوشًا وَسَارَ إِلَى الضَّيْضِرْنَ فَأَقَامَ عَلَى الْحِصْنِ
أَرْبَعَ سِنِينَ لَا يَصِلُ مِنْهُ إِلَى شَيْءٍ، ثُمَّ أَنَّ النَّضِيرَةَ بِنْتَ الضَّيْضِرْنَ عَرَكَتْ أَيَّ
حَاضَتٍ فَخَرَجَتْ مِنَ الرَّابِضِ وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ أَهْلِ دَهْرِهَا وَكَذَلِكَ كَانُوا
يَفْعَلُونَ بِنِسَائِهِمْ إِذَا حِضْنَ وَكَانَ سَابُورُ مِنْ أَجْمَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ فَرَأَاهَا وَرَأَتْهُ
فَعَشَقَهَا وَعَشَقَهُ وَارْسَلَتْ إِلَيْهِ تَقُولُ مَا تَجْعَلُ لِي إِنْ دَلَّلْتُكَ عَلَى مَا تَهْدِمُ بِهِ هَذِهِ
الْمَدِينَةَ وَتَقْتُلُ أَبِي فَقَالَ احْكَمْكَ فَقَالَتْ عَلَيْكَ بِحَمَامَةٍ مُطَوَّقَةٍ وَرَقَاءٍ فَكَتَبَ
عَلَيْهَا بِحَيْضٍ جَارِيَةٍ ثُمَّ أَطْلَقَهَا فَانْهَارَتْ عَلَى حَائِطِ الْمَدِينَةِ فَتَدَاعَى الْمَدِينَةَ
كُلَّهَا وَكَانَ ذَلِكَ طَلِسْمًا لَا يَهْدِيهَا إِلَّا هُوَ فَفَعَلَ ذَلِكَ فَقَالَتْ لَهُ وَإِنَّا أَسْقَى
الْحُرْسَ الْخُمْرَ فَإِذَا اصْرَعُوا فَاقْتُلْتَهُمْ فَفَعَلَ ذَلِكَ فَتَدَاعَتْ الْمَدِينَةُ، وَفَتَحَهَا

سابور عنوةً وقتل الضيضرن واحمل ابنته الة بيضرة واعرس بها فلما دخل بها لم تزل ليلتها تتضرر وتتململ في فراشها وهو من حرير محشو بريش النعام فالتمسوا ما كان يؤذيها فاذا هو ورقة آس التصقت بعكثها وآثرت فيها وقيل كان ينظر الى مخ عظيمها من صفاء بشرتها ثم ان سابور غدر بها بعد ذلك وقتلها قيل انه امر رجلاً فركب فرساً جموحاً وضفر غذائرها بذنبه ثم استركضه فقطعها قطعاً قطعته الله ما اغدره، انتهى.

ومما ورد فيه ايضاً ان يزدجرد ابن سابور لما خاف على ولده بهرام وكان قبله لا يعيش له ولد سأل عن منزل صحيح مري فدل على ظهر الجزيرة فدفن ابنه بهرام الى النعمان وهو عامله على ارض العرب وامره ان يبني له جوسقاً فأمثل امره وبني له جوسقاً بأحسن ما يكون وكان الذي بنى الجوسق رجلاً يقال له سيمار فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه فقال لو علمت انكم توفوني أجرته لبنيته بناء يدور مع الشمس حيث دارت فقالوا وانك لتبني احسن من هذا ولم تبنيه ثم امر به فطرح من اعلى الجوسق فتقطع وكانت العرب تقول جزائي جزاء سيمار وفيه قال الشاعر:

جزى بنوه ابالغيلان عن كبرٍ وحسن فعلٍ كما يجرى سيمار

ومما ورد فيه ايضاً انه جعل المنصور لعنة الله عليه العهد الى عيسى ابن موسى ثم غدر به وأخره وقدم المهدي عليه فقال عيسى:

أنبى بنو العباس ذبى عنهم
فتحت لهم شرق البلاد وغربها
أقطع أرحاماً على عزيزة
فلما وضعت الأمر في مستقره
دفعت عن الأمر الذي استحقه
وسقى او ساقاً من الغدر غيرها
بسيى وناز الحرب زاد سعيها
فذل معاديبها وعز نصيرها
وأبدئ مكيدات لها وأثيرها
ولاحت له شمس تلاء لأنورها

وخرج قوم لصيد فطردوا ضبعة حتى الجؤوها الى نخباء اعرابي فأجارها وجعل يطعمها يسقيها فبينما هو نائم ذات يوم اذ وثبت عليه فبقرت بطنه

وَهَرَبَتْ فَجَاءَ ابْنُ عَمِّهِ يَطْلُبُهُ فَوَجَدَهُ مُلْقَى فَتَبِعَهَا حَتَّى قَتَلَهَا وَأَنشَدَ يَقُولُ:

وَمَنْ يَضَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ

يَلْأَقِي كَمَا لَأَقَى مُجِيرَ أُمَّ عَامِرٍ

اعْدَلَّهَا لَمَّا اسْتَجَارَتْ بِبَيْتِهِ

أَحَالِبُ الْبَانِ اللَّيْقَاحِ الدَّرَائِرِ

وَأَسْمَنُهَا حَتَّى إِذَا مَا تَمَكَّنْتُ

فَرَرْتَهُ بِأَنْيَابٍ لَهَا وَأَظْفَارِ

فَقُلْ لِدَوَى الْمَعْرُوفِ هَذَا جِزَاءُ مَنْ

يَجُودُ بِمَعْرُوفٍ عَلَى غَيْرِ شَاكِرٍ

وَمِنْهُ مَا حَكَى بَعْضُهُمْ قَالَ دَخَلْتُ الْبَادِيَةَ فَإِذَا أَنَا بِعَجُوزٍ بَيْنَ يَدَيْهَا شَاةٍ

مَقْتُولَةٍ وَالِى جَانِبِهَا جَرٌّ وَذَنْبٌ فَقَالَتْ أَتَدْرِى مَا هَذَا فَقُلْتُ لَأَقَالْتُ هَذَا جَرٌّ

وَذَنْبٌ أَخَذَنَاهُ صَغِيرًا وَادْخَلْنَاهُ بَيْتَنَا وَرَبَّيْنَاهُ فَلَمَّا كَبُرَ فَعَلَّ بِشَاتِي مَا تَرَى وَقَالَتْ:

بَقَرْتُ شَوْبِيهَتِي وَفَجَعْتُ قَوْمِي

وَأَنْتَ لَشَاتِنَا ابْنُ رَبِيبٍ

غَذَيْتَ بَدْرَهَا وَنَشَأْتَ مَعَهَا

فَمَنْ أَنْبَأَكَ أَنَّ ابْنَكَ ذَنْبٌ

إِذَا كَانَ الطَّبَاعُ طِبَاعُ سَوْءٍ

فَلَا أَدَبٌ يُفِيدُ وَلَا أَدِيبٌ

وَأَنَا أَقُولُ: لِأَشْكُ أَنَّ الْغَدْرَ مِنَ الصِّفَاتِ الرَّذِيلَةِ الْمَذْمُومَةِ وَأَنَّ الْمُتَّصِفَ بِهِ

خَارِجٌ عَنِ حُدُودِ الْإِنْسَانِيَةِ وَدَاخِلٌ فِي الْبَهَائِمِ وَالسَّبْعِ وَالْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ فِي

ذِمَّةِ اللَّهِ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ وَالْعَقْلُ يَحْكُمُ حُكْمًا بَطِينًا بِقُبْحِهِ وَلُؤْمِيهِ وَالْحِكَايَاتُ وَالْأَمْثَالُ

فِيهِ فِي بَطُونِ التَّوَارِيخِ وَكُتُبِ السِّيَرِ كَثِيرَةٌ جَدًّا وَلَا سِيَّمَا السَّلَاطِينِ وَالْحُكَّامِ

وَالْأَمْرِ فَانْتَهَمُوا لَأَيَجْتَنِبُونَ عَنْهُ أَبَدًا خُصُوصًا إِذَا اقْتَضَاهُ الْمَلِكُ وَالسِّيَاسَةُ فَانْتَكَ لَوْ

نَظَرْتَ فِي حَالَاتِهِمْ فِي التَّوَارِيخِ لَدَرَيْتَ أَنَّهُمْ كُلُّهُمْ كَانُوا غَادِرِينَ إِلَّا الْقَلِيلَ

مِنْهُمْ..

ثُمَّ أَنَّ الْغَدْرَ وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا فِي حَدِّ نَفْسِهِ فِي كُلِّ الْأَزْمَانِ وَالْأَدْوَارِ، وَبِالْقِيَاسِ

إِلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْبَشَرِ مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا لِحُكْمِ الْعَقْلِ بِقُبْحِهِ وَهُوَ أَيْ

حكّم العقل لا يختصّ بقوم دون قوم وزمان دون زمان بل هو جار في الجميع
 إلا أنه من المسلم افحش واقبح كما أن الظلم قبيح ومن المسلم اقبح وهكذا.
 ثم انا بعد ما فتشنا الكتب وأجلنا النظر فيها وجدنا فيها بلا ريب وشك أن
 الغدر في الإسلام ولا سيما في حكامهم وأمرائهم إنما نشأ بعد النبي ﷺ
 والغرض أنه ظهر بعد موته ﷺ والألا يمكن لأحد انكار وجوده في حياته
 صلى الله عليه وآله بالنسبة الى كثير من اصحابه المنافقين وهذه السيرة
 المستمرة بعد موته دامت في حكام المسلمين الى زماننا هذا ومنهم سرّ الى
 سائر الأفراد كما كان كذلك في جميع الصفات الرذيلة وغيرها فان الناس على
 دين ملوكهم.

وتوضيح ذلك على طريق الأجمال هو ان النبي ﷺ كان واجداً لجميع
 الصفات الحسنة عارياً عن الرذائل والذمائم الأخلاقية وهذا ممّا لا كلام لأحد
 المسلمين فيه وبهذا بعث أيضاً كما قال صلى الله عليه وآله بعثت لأتمم
 مكارم الاخلاق.

ولا خلاف ايضاً بين المسلمين في أنه ﷺ بلغ الأحكام كلها من الواجبات
 والمحرّمات والمباحات والمكروهات والمستحبات التي تُعبّر عنها بالأحكام
 الخمسة التكميلية في علم الشريعة المقدسة.

وبلغ ايضاً ما هو مربوط بعلم الطريفة او الباطن من الاخلاقيات التي هي
 الأصل بالقياس الى الشرعيات فان علم الأخلاق يتعلّق بالقلب، والباطن وعلم
 الشريعة يتعلّق بالأركان والجوارح الظاهرة فهو الأصل، وذاك الفرع او هو اللب
 وذاك القشر ضرورة تقدّم التخلية على التحلية فمن لم يكن قلبه منزهاً عن
 الكدورات والظلمات الخبيثة والأخلاق الذميمة من البخل والحسد والكبر
 والظلم والغدر والمكر والخيانة وما شابهها لا تنفعه العبادات الظاهرة كما هو
 حقّه من الصوم والصلاة وامثالها كما نرى بالخص والعيان في احوالنا فان النبي
 ﷺ قد قال الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وترى أنها بالنسبة اليها لا تنهى،

او هي معراج المؤمن وفيها ليست بمعراج الآلى القهقري وهكذا فى سائر الأحكام وليس هذا إلا لكثافة القلب واتصافه برذائل الاخلاق وهذا امرٌ مسلمٌ محسوسٌ لاشك فيه عند أولى الأيد والابصار. ومن جملة هذه الرذائل الغدر الذى كلامنا فيه فعلاً ولعمري انه فيها بمنزلة الرأس من الجسد كيف لا وهو ام الخبائث وأس الرذائل وظنى بل قطعى وعلمى بانه لو لم يظهر فى الاسلام الغدر حق الظهور بعد النبى ﷺ لما يوجد من سائر الصفات الرذيلة فى المسلمين عينٌ ولا أثرٌ وحيث انه كان اول ما ظهر فلا محالة صار غيره متفرغاً عليه ونحن نثبت المدعى بعون الله تعالى فنقول:

قد ثبت عندنا وعند كل من أخرج التعضب عن ذهنه وصفى مرات قلبه بنور عقله ان النبى ﷺ لم يمت من غير وصية فى أمر الخلافة والحكومة بعده وقد أقيمت الدلائل العقلية والتقليية من العامة والخاصة على المدعى ونحن قد اشرنا الى شطر منها فى شرح الخطبة الشقشقية عند كلامنا، فى الأمامة وقد اوضحناها هناك حق الأيضاح وأستدل لنا به على المقصود بعد الأدل العقلية والتقليية من العامة بما رواه غير واحد منهم فى صحاحهم وغيرها من المعتبرات عندهم.

واوضح الدلائل على المدعى هو حديث الغدير الذى هو فوق التواتر بحيث دوت فيه كتباً مفردة مفصلة ومجلدات بطرقهم وطرقنا كالعبارات والغدير وغاية المرام وامثالها وهو انه ﷺ قال عند رجوعه فى سفر حجة الوداع مخاطباً لأصحابه وهم سبعون الفاً او أزيد فى غدير خم بعد خطبة مفصلة اوردناها هناك، من كنت مولاه فهذا على مولاه الى آخر ما قال ثم أمرهم بالبيعة له ﷺ فبايعوه واول من بايعه ابوبكر ثم عمر ثم عثمان او غيرهم على اختلاف فيه فقال لعلى ﷺ عمر ابن الخطاب بعد بيعته له بخ بخ لك يا على اصبحت مولاي ومولا كل مؤمن ومؤمنة هذا.

ثم نسال عن المنصف ونقول له ايها المنصف بحق الله ورسوله اكان هذه

الخطبة من أولها الى آخرها عن النبي ﷺ هناك من العهود، والمواثيق على الأمة ام لم تكن بل كانت من هفوات الكلام التي صدرت عنه كما صدر عنه ﷺ نظير هذا وقت موته على قول عمر دعه انه ليهجرا وان الرجل ليهجرا حسبا كتاب الله، نعوذ بالله من هذه الأراجيف.

لا سبيل الى الثاني لكونه مستلزماً للكفر والأرتداد لانه قد ثبت انه ﷺ كان معصوماً عن الخطاء في الأفعال والأقوال قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ومعلوم ان الوحي لا يكون كذبا.

واذا ثبت انتفاء الثاني فالقول الاول هو الحق وهو انه ﷺ اخبر بما اخبر عنه عن الله تعالى لامن عند نفسه ومعلوم ان الغرض من اعلامه العمل بمفاده كسائر الاحكام ولا نعى بالعهد الا هذا فان قال قائل ان هذا ليس من العهود فنسئل عنه ونقول ما المراد بالعهد الذي يجب الوفاء به حتى نفهمه ولا سيما البيعة منهم بعد قول الرسول.

اذا عرفت هذا وامعنت النظر فيه فنقول من الذي نقض هذا العهد بعد موته ﷺ غير ابي بكر وعمر وامثالهما ألم يكونا قد بايعا امير المؤمنين بغدير خم اليست البيعة بأمر الله ورسوله من العهود فان كانت منها ألم ينقضاه والجواب في تمام المراحل نعم فثبت انهم نقضوا العهد، ونكثوا بيعته وصاروا مصداقين لقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾^(١) ونقض العهد هو الغدر.

وانما قلنا انه اي الغدر منهم اساس الرذائل والخبائث لان الغدر صار سببا لغضب الخلافة الحققة في صدر الاسلام وغضب الخلافة لأحياء الظلم والتفاق والبدع وامثال ذلك من الجرائم والجنايات وفساد الأخلاق وانما قلنا غضب الخلافة او جبهها لان امير المؤمنين ﷺ واولاده المعصومين لو كانوا ولاية على الناس لم تصدر منهم هذه الكثافات والخرافات كما لم تصدر منه ﷺ شيء

منها في حكومته واما غضبها فصار سببا لحكومة الأوباش والأشرار واولاد الزنا على الناس الى يوم الفرج ولا شبهة انه لا يترقب من هؤلاء الظلمة الا الرجس والخبث فكل ما وقع على الاسلام والمسلمين من الصدر الاول الى زماننا هذا ومن زماننا الى يوم الوقت المعلوم معلول لوجود الغدر الذي صدر من الغادرين بعد موت النبي حتى وصلت نوبة الحكومة الى امثال معاوية ويزيد وعبد الملك والمنصور واشباههم ونظائرهم فقتل من قتل وسبي من سبي وهتك من هتك.

وبالجملة لم يبق من الدين الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه، فنقول اللهم العن اول ظالم ظلم محمداً وآل محمداً وآخر تابع لهم على ذلك اللهم العنهم جميعاً وعذبهم عذاباً اليماً آمين يا رب العالمين.

□ قوله ﷺ: وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدْ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْسًا...

اي وقعنا في زمان نرى اكثر ابنائه قد اتخذوا الغدر ونقض العهد من الكياسة والفيطنة ولم يعلموا ان الغدر ليس من الكياسة بشيء بل هو من تعليمات الشيطان والقائه على قلوب اتباعه واشياعه وذلك لان العقل من عطايا الرحمن ومواهبه وهو نور كله اذا لم يختلط بشوائب الأوهام وعليه مدار الثواب والعقاب والكياسة ليست الا جودة العقل وحده ولذلك عدت من اوصاف المؤمنين فان المؤمن كئيب فطن فمن عد الغدر من تبعات العقل ولو ازمه فقد افترى وضل ضلالاً مبيناً ولذلك لما سئل، الصادق ﷺ عن العقل قال ﷺ العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان قيل له ﷺ فما الذي كان في معاوية؟ قال ﷺ تلك النكراء تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل.

واليه اشار امير المؤمنين في كلامه حيث قال لولا التقى وفي حديث لولا الدين لكنت ادهى الناس، وفيه ايماء الى ان الدين والتقوى يمنعان عن الغدر فالمؤمن لا يغدر ولذلك قال ﷺ بعد كلامه هذا ونسبهم أهل الجهل الخ.

□ قوله ﷺ: وَتَسَبَّهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ...

اي نَسب أَهْلُ الْجَهْلِ هؤُلاءِ اعنى الغادرين الى حُسْنِ الْحِيلَةِ، وقالوا فيهم انهم اولو الفطنة والكياسة ولم يَعْلَمُوا انَّ الْعَدْرَ من اوصاف الشيطان والمؤمن بل العاقل لا يكون غداراً ابداً ولذلك اَرَدَفَ ﷺ كلامه هذا بقوله.

□ قوله ﷺ: مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ قَدْ يَرَى الْحَوْلَ الْقَلْبُ وَجَهَ الْحِيلَةَ.

اي ما لِهؤُلاءِ الْجَهْلَةِ الَّذِينَ يَنْسَبُونَ اهلَ الْعَدْرِ الى حُسْنِ الْحِيلَةِ ألم يَعْلَمُوا انَّ الْعَاقِلَ الْمُؤْمِنَ الْبَصِيرَ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ وَالْعَارِفَ بِمَنَافِعِهَا وَمَضَارِّهَا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ فَيَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ الْخُرُوجِ عَنِ الْمَهَالِكِ وَالذَّوَاهِي بِأَحْسَنِ الْوُجُوهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ فَهُوَ يَرَى الْأَشْيَاءَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَبْدُلُهَا مِنْ تَطْبِيقِ الْأُمُورِ عَلَى الْمَوَازِينِ الشَّرْعِيَّةِ فَإِنْ طَابَقَتْهَا فَهُوَ وَالْآخَرُ لَا يَعْمَلُ بِهَا لِأَنَّ الْفِعْلَ، أَيُّ فِعْلٍ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَرْضِيًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ غَرَضَهُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ هُوَ الْوَصُولُ إِلَى الْمَقْصَدِ وَالْبُلُوغُ إِلَى الْهَدَفِ بِأَيِّ وَجْهِ اتَّفَقَ وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا.

□ قوله ﷺ: وَدُونَهُ مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ فَيَدْعُهَا رَأْيَ الْعَيْنِ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا،

والغرض انَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَتَشَبَّثُ بِالْحِيلَةِ وَالْمَانِعِ مِنْ تَشَبُّثِهِ بِهَا إِنَّمَا هُوَ أَمْرُ اللَّهِ وَنَهْيُهُ، لِأَنَّ أَوْامِرَ اللَّهِ وَنَوَاهِيَهُ مِمَّا لَا يَبْدُلُ مِنْهُ لِلْمُؤْمِنِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُهُ بِهَا بَلْ يَنْهَاهَا عَنْهَا وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَقَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَكُونُ مُنْزَهِماً عَنِ ارْتِكَابِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ الشَّنِيعَةِ وَالْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ فَلَا يَأْمُرُ بِعِبَادَةِهَا بِهَا بَلْ يَنْهَاهُمْ عَنْهَا، الْإِتْرَى أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِذَاتِهِ الْمَقْدَسِ الْأَتْصَافِ بِهَا مِنَ الْبَخْلِ وَالْحَسَدِ وَالظُّلْمِ، وَالْكَذْبِ وَآمِثَالِهَا لَمْ يَأْمُرِ الْعِبَادَ بِهَا بَلْ نَهَاَهُمْ عَنْهَا وَكُلُّ مَا هُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ أَمْرُهُمْ بِهِ كَالْعِدَالَةِ وَالسُّخَاوَةِ وَالْأَمَانَةِ وَالرِّفَاءِ بِالْعَهْدِ وَغَيْرِهَا.

وَأَمَّا الْعَدْرُ الَّذِي كَلَامُنَا فِيهِ فَعَلَاءٌ لِكُونِهِ مِنَ الْقَبَائِحِ فَاللَّهُ تَعَالَى مُنْزَعٌ عَنْهُ وَحَيْثُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ فِي عَدَمِ اتِّصَافِهِ بِهَا اعنى الْقُبْحِ مَوْجُودٌ بَعَيْنِهِ فِي الْعِبَادَةِ فَلَا

محالة نهاهم عنه.

قال رسول الله ﷺ من كان مُسْلِماً فلا يَمْكُرُ ولا يَخْدَعُ فاتى سَمِعْتُ جبرئيل، يقول انَّ المَكْرَ والخَدِيعَةَ فى النارِ ثمَّ قال عليه السَّلامَ لَيْسَ مِنَّا مَنْ عَشَّ مُسْلِماً وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ خَانَ مُسْلِماً الخبر «بحار الانوار، ج ١٦، ص ١٩٥، طبع كميانى»... وقد رَوينا فى الباب روايات فى اوائل البحث.

والى ما ذكرنا اشار ﷺ بقوله: فَيَدَعُهَا رَأَى العَيْنِ بَعْدَ القُدْرَةِ عَلَيْهَا،

اى تَرَكَ المُوْمنُ الغَدْرَ لَيْسَ لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ بَلْ لِكُونِهِ مِنْهِيئاً عَنْهُ فى الشَّرِيعَةِ المُقَدَّسَةِ فلا محالة يتركه المُوْمنُ بعد قُدْرَتِهِ على اعماله قُرْبَةً الى جنابه تعالى وخوفاً من تَبَعَاتِهِ فى الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

□ قوله ﷺ: وَيَنْتَهِي فُرْصَتَهَا مَنْ لَأَحْرِيَجَةَ لَهُ فى الدِّينِ...

اى الفاسق يَنْتَظِرُ فُرْصَتَهَا دائماً حَتَّى يَخْدَعُ وَاوَقَعَ الحِبلَةَ واذالك لِعَدَمِ مبالاته واعتناؤه بالدين كما ان معاوية وعمرو ابن العاص كانا يَنْتَهِزَانِ الفُرْصَةَ من اوّل الحَرْبِ فى صِفَيْنِ فى اجراء الحِيلةِ اعنى رفع المصاحف فلما ظَهَرَ لَهُمُ آثارُ الفَتْحِ والغَلْبَةِ مِنْ عَلى واصحابه تَمَسَّكُوا بالقرآن حيلةً مِنْهُمَا، ثمَّ بعد هذه القضيّة وقبلها لم يَعْمَلَا بِهِ اصلاً كما هو شأن الخائن، وانت اذا تأملتَ المَقامَ وتَصَفَّحْتَ الكُتُبَ لتَعْلَمَ انَّ الغَدْرَ فى الامور من صدر الخِلقةِ ووجودِ البَشَرِ فى هذه الدُّنْيَا كان بمعزلٍ عن الانبياء والأوصياء والصُّلحاء بل كان انيساً رقيقاً للفجّار والفَسّاق وقد كفى فى شأنه هذا، والحمد لله رب العالمين.

﴿ وَمَنْ خُطِبَ لَهُ ﴾ (٤٢)

□ قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ: إِتِّبَاعُ الْهَوَىٰ وَطَوَّلُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا إِتِّبَاعُ الْهَوَىٰ فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طَوَّلُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ الْأُوَّلَ وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَاءً فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ الْإِنَاءِ اصْطَبَّهَا ضَابُّهَا، أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ وَوَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ.

◀ اللّغة

(الْحَذَاءُ) قَالَ السَّيِّدُ (قَدَهُ) السَّرِيعَةُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَرُورِي جَذَاءً بِالْجِيمِ وَالذَّالِ وَهُوَ الَّذِي انْقَطَعَ خَيْرُهَا. (الصُّبَابَةُ) بِضَمِّ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ بَقِيَّةُ الْمَاءِ فِي الْإِنَاءِ. (اصْطَبَّهَا) الْأَصْطَبَابُ افْتِعَالٌ مِنَ الصَّبِّ وَهُوَ الْأَرَاقَةُ.

◀ المعنى

خاطب ﷺ جميع افراد الناس وقال لهم (إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ:) وهما (إِتِّبَاعُ الْهَوَىٰ) أي المتابعة لهوى النفس (وَطَوَّلُ الْأَمَلِ)، والأمال البعيدة (فَأَمَّا إِتِّبَاعُ الْهَوَىٰ فَيَصُدُّ) أي يمنع (عَنِ الْحَقِّ)، لكونه من متابعة الباطل. (وَأَمَّا طَوَّلُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ) والغفلة عنها في هذه الدنيا. (أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا) التي

انتم فيها. (قَدْ وَكَلْتُمْ) اى رَجَعْتُمْ وَمَضْتُمْ (حِذَاءً) اى رَجُوعاً سَرِيعاً. (فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا) اى من الدُّنْيَا وَزَخَارِفِهَا. (إِلَّا صُبَابَةُ الْأَنْهَاءِ) اى لم يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا بَقِيَّةٌ لَا يَعْتَنِي بِهَا الْعَاقِلُ وَلَا يَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا الْعَارِفُ لِقَلَّتْهَا وَحَقَارَتِهَا. (إِضْطَبَّهَا) اى اِرَاقَ تِلْكَ الْبَقِيَّةَ الْحَقِيرَةَ. (صَابُهَا) اى مُرِيقَهَا (وَإِنَّ الْآخِرَةَ) الَّتِي فِي مَقَابِلَةِ الدُّنْيَا. (قَدْ أَقْبَلْتُمْ)، الْيَوْمَ وَانْتُمْ عَنْهَا غَافِلُونَ (وَلِكُلِّ مِنْهُمَا) اى مِنَ الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ (بَنُونَ) اى اَوْلَادٌ وَاحْفَادٌ (فَكُونُوا) اِيَّهَا النَّاسُ. (مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ) فَاتَّبِعُوهَا (وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا)، فَلَا تَتَّبِعُوهَا. (فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ)، فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ حَجَرًا حَسَرَهُ اللَّهُ مَعَهُ (وَإِنَّ الْيَوْمَ) اى الْيَوْمَ الْحَاضِرُ فِي الدُّنْيَا. (عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ)، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ الْعَمَلِ لِادَارِ الْحِسَابِ. (وَعَدَاً) اى يَوْمَ الْآخِرَةِ (حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ) لِأَنَّ الْآخِرَةَ دَارُ الْحِسَابِ لِادَارِ الْعَمَلِ.

◀ الشرح

اعلم ان هذه الخطبة مما صدر عنه في ذم الدنيا ومدح الآخرة وبين ﷺ فيها ما يكون سبباً للوصول الى المقامات والدرجات فى الآخرة ولعمري انها من اعجاز كلامه عليه السلام فانه ﷺ قد أوجز فيها وبلغ كما ستعرف مضافا الى ما عرفته مفصلاً.

□ قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ وَطُولُ الْأَمَلِ ...

وقد مرَّ الكلام فى هذه الجملة مفصلاً فراجعه ان شئت.

□ قوله ﷺ: فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ فَيَصَدُّ عَنِ الْحَقِّ وَأَمَّا طَوْلُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ ...

وذلك لأن فى اتِّبَاعِ الْهَوَىٰ اعراضٌ عن الْحَقِّ لِامحالة اذ الْحَقُّ مُرٌّ وَالنَّفْسُ الْأَمَارَةُ تَهْوَى مَا يُلَاقِيهَا وَيُجَانِسُهَا لِأَنَّهَا يَخَالِفُهَا وَيُبَايِنُهَا وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشُّهُواتِ وَقَدْ دَلَّتِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ عَلَيْهِ.

أَمَّا الْآيَاتُ مِنْهَا قَالِ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (١).

و: ﴿وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطَابًا﴾ (٢)

و: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ (٣)

و: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ (٤) وقد مرَّت الآيات مفصلاً.

وَأَمَّا الْأَخْبَارُ فَقَدْ مَضَى شَطْرًا مِنْهَا وَنَشِيرَ إِلَى بَعْضِ آخِرِ لَنَا أَنْ يَخْلُوا الْكَلَامَ عَنِ الشَّرْحِ فِي الْمَقَامِ رَأْسًا.

مِنْهَا- مَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ هَوَاهُ فَهُوَ عِلْمٌ نَافِعٌ وَمَنْ جَعَلَ شَهْوَتَهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ فَرَّ الشَّيْطَانُ مِنْ ظِلِّهِ، انْتَهَى...

مِنْهَا- مَارَوْى مَجَاشِعَ عَنْهُ ﷺ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ (إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ) قَالَ ﷺ مَعْرِفَةُ النَّفْسِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى مُوَافَقَةِ الْحَقِّ قَالَ مُخَالَفَةُ النَّفْسِ، فَقُلْتُ فَكَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى قُرْبِ الْحَقِّ (إِلَى رِضَاءِ الْحَقِّ) قَالَ سَخَطُ النَّفْسِ فَقُلْتُ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى وَصْلِ الْحَقِّ قَالَ هَجْرُ النَّفْسِ، فَقُلْتُ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى طَاعَةِ الْحَقِّ قَالَ عَصْيَانُ النَّفْسِ فَقُلْتُ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى ذِكْرِ الْحَقِّ، قَالَ ﷺ نِسْيَانُ النَّفْسِ، فَقُلْتُ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى قُرْبِ الْحَقِّ قَالَ التَّبَاعُدُ مِنَ النَّفْسِ فَقُلْتُ: كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى أُنْسِ الْحَقِّ قَالَ ﷺ الْوَحْشَةُ مِنَ النَّفْسِ فَقُلْتُ:

كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى ذَلِكَ قَالَ ﷺ الْأَسْتِعَانَةُ بِالْحَقِّ عَلَى النَّفْسِ انْتَهَى...

وَمِنْهَا- مَا عَنْهُ ﷺ قَالَ ﷺ أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ...

وَمِنْهَا- مَا عَنْهُ ﷺ قَالَ طُوبَى لِمَنْ تَرَكَ شَهْوَةً حَاضِرَةً لِمَوْعُودٍ لَمْ يَزِهِ...

ومنها- ما رواه في البحار ايضاً باسناده عن الصادق عليه السلام قال عليه السلام احذروا
اهوائكم كما تحذرون اعدائكم فليس شئٌ اعدى للرجال من اتباع أهوائهم
وحصائد السيئاتهم، انتهى...

وامثال ذلك من الأخبار المروية في البحار وغيره من الكتب وكفى في ذم
اتباع الهوى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾^(١)

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٢) وحيث اننا قد
تكلمنا في طول الأمل واتباع الهوى من طريق الآيات والأخبار فلا نطيل
الكلام بذكر البحث فيها في المقام ونقول زائداً على ما مرَّ.

تنبيه: قال بعض العلماء ينبغي ان يعلم ان ما تهواه النفس ليس كله مذموماً
وما لا تهواه النفس ليس كله ممدوحاً بل المعيار فيه هو ان كل ما يرتكبه
الإنسان لمجرد الشهوة النفسانية واللذة الجسمانية والمقاصد الفانية الدنيوية
ولم يكن الله مقصوداً له في ذلك فهو من الهوى المذموم ويتبع فيه النفس
الامارة بالسوء وان كان مشتملاً على زجر النفس عن بعض المشتبهات ايضاً
كمن يترك لذيذ المأكول والمطعموم والملبوس ويقاس الجوع والصوم والشهر
للاشتهار بالعبادة وجلب قلوب الجهال.

واما ما يرتكبه الإنسان لأطاعة امره سبحانه وتحصيل رضاه وان كان مما
تشتهيه نفسه وتهواه فليس هو من الهوى المذموم كمن يأكل ويشرب لأمره
تعالى بها او لتحصيل القوة على العبادة وكمن يجامع الحلال لكونه مأموراً به
او لتحصيل الأولاد الصالحين او لعدم ابتلائه بالحرام فهؤلاء وان حصل لهم
التبذؤ بهذه الأمور لكن ليس مقصودهم محض اللذة بل لهم في ذلك أعراض
صحيحة ان صدقتهم أنفسهم ولم تكن تلك من التسويلات النفسانية
والتخييلات الشيطانية ولو لم يكن غرضهم من ارتكاب تلك اللذات هذه
الأمور فليسوا بمعاقبين في ذلك اذا كان حلالاً لكن اطاعة النفس في اكثر ما

تَشْتَهِيهِ قَدْ يَنْجُرُ إِلَى ارْتِكَابِ الشُّبُهَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ ثُمَّ إِلَى الْمُحْرَمَاتِ وَمِنْ حَامٍ حَوْلَ الْجَمِيِّ أَوْشِكَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ.

فَظَهَرَ أَنَّ كُلَّ مَا تَهْوَاهُ النَّفْسُ لَيْسَ مِمَّا يَلْزِمُ اجْتِنَابَهُ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ قَدْ يَلْتَدُونَ بِعِلْمِهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَلْتَدُ الْفَسَاقُ بِفَسَقِهِمْ وَكَثِيرًا مِنَ الْعِبَادِ يَأْنَسُونَ بِالْعِبَادَةِ بِحَيْثُ يَحْصُلُ لَهُمُ الْهَمُّ الْعَظِيمُ بِتَرْكِهَا وَلَيْسَ كُلُّ مَا لَا تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ يَحْسُنُ ارْتِكَابُهُ كَأَكْلِ الْقَاذُورَاتِ وَالزَّوْنَا بِالْجَارِيَةِ الْقَبِيحَةِ وَيَطْلُقُ أَيْضًا الْهَوَى عَلَى اخْتِيَارِ مَلَّةٍ أَوْ طَرِيقَةٍ أَوْ رَأْيٍ لَمْ يُسْتَدَّ إِلَى بُرْهَانٍ قَطْعِيٍّ أَوْ دَلِيلٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ كَمَذَاهِبِ الْمُخَالَفِينَ وَأَرَائِهِمْ وَبِدْعِهِمْ فَاتَّهَمُوا مِنْ شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ وَمِنْ أَوْهَامِهِمْ الْمُعَارِضَةِ لِلْحَقِّ الصَّرِيحِ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ أَكْثَرُ آيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَذَمُّ الْهَوَى مُطْلَقًا أَمَّا مَبْنِيٌّ عَلَى الْغَالِبِ فِيمَا تَشْتَهِيهِ إِلَّا إِنَّهَا مُخَالَفَةٌ لِمَا يَرْضِيهِ الْعَقْلُ أَوْ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّفْسِ النَّفْسَ الْمُعْتَادَةَ بِالشَّرِّ الدَّاعِيَةِ إِلَى السُّوءِ وَالْفَسَادِ وَيَعْتَبَرُ عَنْهَا بِالنَّفْسِ الْأَمَّارَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ (١)

أَوْ صَارَ الْهَوَى حَقِيقَةً شَرْعِيَّةً فِي الْمَعَاصِي وَالْأُمُورِ الْقَبِيحَةِ الَّتِي تَدْعُوا النَّفْسُ إِلَيْهَا وَالْأَرَءَاءِ وَالْمِلَلِ وَالْمَذَاهِبِ الْبَاطِلَةَ الَّتِي تَدْعُو إِلَيْهَا الشُّهَوَاتُ الْبَاطِلَةُ وَالْأَوْهَامُ الْفَاسِدَةُ لِالْبَرَاهِينِ الْحَقَّةِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْدَى لِلرِّجَالِ مِنْهَا لِأَنَّ ضَرَرَ الْعَدُوِّ عَلَى فَرَضٍ وَقَوَعِهِ رَاجِعٌ إِلَى الدُّنْيَا الزَّائِلَةِ وَمَنَافِعِهَا الْفَانِيَةِ، وَضَرَرُ الْهَوَى رَاجِعٌ إِلَى الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ، انْتَهَى.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ (اعْنَى قَوْلَهُ ﷺ): ﴿فَإِمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ﴾ مَا هَذَا الْفِظَةُ:

لِأَنَّ حُبَّ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا يُعْمِي الْقَلْبَ عَنْ رُؤْيَةِ الْحَقِّ وَتَمْنَعُ النَّفْسَ عَنْ مِتَابَعَتِهِ فَإِنَّ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ مُتَقَابِلَانِ كَمَا أَنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ أَيْضًا كَذَلِكَ وَالدُّنْيَا مَعَ أَهْلِ الْبَاطِلِ غَالِبًا فَاتِّبَاعُ الْهَوَى إِمَّا يَصِيرُ سَبَبًا لِاسْتِبَاهِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ فِي نَظَرِهِ

او يصير باعثاً على انكار الحق مع العلم به والأول كعوام اهل الباطل والثاني كعلمائهم.

اقول: ما ذكره في المقام حق لا مريّة فيه والحق ان يقال ان اتباع الهوى عبارة عن العمل على وفق المشتبهات النفسانية الداعية الى الفساد وهو لا محالة يصد عن الحق فكل ما هو صار باعثاً للبعد عن الحق فهو الاتباع المذموم وكل ما ليس كذلك فلا يطلق عليه اتباع الهوى الا على المعنى اللغوي وبعبارة اخرى: اتباع الهوى مذموم لكونه صادراً عن الحق لا مطلقاً اللهم الا ان يقال بان الاتباع له لا يكون الا كذلك والأمر سهل بعد وضوح المعنى.

□ قوله ﷺ: **وَأَمَّا طَوْلُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ...**

فهو وان مر الكلام فيه مفصلاً في سالف القول الا انه لا بأس بالاشارة الى بعض ما لم نذكره سابقاً وهو ان طول الأمل الذي ينسى الآخرة معناه ظن البقاء في الدنيا او الغفلة عن الموت بسبب توقع حصول المشتبهات في الدنيا بالأمالى الكاذبة الشيطانية التي ينسى الآخرة لا محالة فان الدنيا والآخرة متقابلان فالتوجه الى أحدهما يوجب الأعراض عن الآخر كما قال الله تعالى في كتابه **«زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ.»** (١)

فقد بين الله تبارك وتعالى بعضاً من الأمور التي يوجب التوجه التام اليها عدم التوجه الى الآخرة فمن ظن ان هذه الأمور تبقى له وأعتد عليها فقد ضلّ ضاللاً مبيناً.

ثم ان في اسناد الخوف الى نفسه الشريفة حيث قال ان أخوف ما أخاف عليكم، اشعاراً بانه هو مولى المؤمنين واميرهم بعد النبي ﷺ والمستولى لأصلاحيهم والراعي لهم في معاشهم والداعي لهم الى اصلاح معادهم وهي

كذلك فإن النبي كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم والأئمة بعده كذلك لقوله ﷺ: من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه الى آخره.

قال الصادق عليه السلام لا تندع النفس وهواها فإن هواها في رداها وترك النفس وما تهوى اذاها وكف النفس عما تهوى دواها، انتهى..

فقد ظهر مما ذكرناه سابقاً وآنفاً ان اتباع الهوى وطول الأمل يوجبان الانحراف عن الصراط السوي والبعد عن المبدء الأزلي ومن المعلوم ان منشاء المعاصي كلها هو الأعراض عن الحق وعدم التوجه بوظائف العبودية ولأجل ذلك قال ﷺ وقال عليه السلام ان أخوف ما أخاف عليكم اثنان: والحمد لله رب العالمين.

□ قوله عليه السلام: ألا وإن الدنيا قد ولت حذاء فلم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء اضطبها ضابها...

اقول: قد مرّ نظير هذا وهو قوله عليه السلام اما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع، وقد مرّ الكلام منا هناك في ادبار الدنيا، والمقصود به تفصيلاً والفرق بين الجملتين هو انه عليه السلام عبّر هناك بقوله عليه السلام: (وآذنت بوداع) وفي المقام عبّر بكلمة (حذاء) بالحاء المهملة او (جذاء) بالجيم هذا بالنظر الى اللفظ واما من حيث المعنى فإنه وصف الدنيا هناك بأنه قد آذنت بوداع، والأيدان الأعلام والمقصود انها أعلمت الناس بالتوديع وانه سترحل.

واما في المقام فالمعنى ان الدنيا قد ولت وأعرضت عن الناس وسارت سيراً سريعاً وكم فرق بين الإعلام والوقوع وبعبارة اخرى: بين القوة والفعل ولذلك قال عليه السلام فلم يبق منها إلا صباية الى آخره هذا كله على مسلك القوم طبقاً لظاهر اللفظ أو الألفاظ واما على مسلكنا الذي هو التحقيق في معنى الكلمة ولفظها فنقول:

اما قوله عليه السلام: (ولت) بتشديد اللام وسكون التاء على ما في جميع النسخ فقد قالوا انه بمعنى الأدبار والسير الى القهقري كما قال الخوئي في شرحه في

المقام عند قوله ﷺ: **أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وُلَّتْ حَذَاءً** (أى أدبرت سريعة لكونها مفارقة لكل شخص انتهى).

اقول: وكأنه أخذ قوله هذا عن المحقق البحراني حيث قال الدنيا بالنسبة الى كل شخص مفارقة انتهى.

ثم ان ما ذكره (قده) **تَبَعاً لِسَائِرِ الشُّرَاحِ لَسْتُ أَدْرِي مِنْ أَيْنَ أَخَذَهُ فَإِنَّ كَلِمَةَ (وَلَّتْ) لَمْ تَجِيءْ فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى الْأَدْبَارِ لِأَنَّا بَعْدَ مَا فَتَّشْنَا كِتَابَ اللُّغَةِ فِيمَا بِأَيْدِينَا لَمْ نَرِ مِمَّا ذَكَرَهُ أَعْنَى مَعْنَى الْأَدْبَارِ عَيْنَ وَلَا أَثَرَ وَأَمَّا أَطْبَقُوا عَلَيَّ إِنَّهُ بِمَعْنَى النُّقْصَانِ لِأَنَّ لَاحِظَ قَالَ فِي الْمُنْجِدِ **وَلَّتْ يَلْتُ وَلْتًا وَأَوْلَتْ فَلَانًا حَقَّهُ، نَقَصَهُ** آيَاه، انتهى.**

وقال في لسان العرب، **وَلَّتْهُ حَقُّهُ وَلْتًا نَقَصَهُ** وفي حديث الشورى **وَتَوْلَتْوُا أَعْمَالَكُمْ** اى تُنْقِصُوهَا، انتهى. وقال في القاموس **الْوَلْتُ النُّقْصَانُ، وَوَلَّتْهُ حَقُّهُ** نقصه انتهى.

وقال ابن الأثير في النهاية وفي حديث الشورى **وَتَوْلَتْوُ أَعْمَالَكُمْ**، اى تُنْقِصُوهَا، انتهى.

وقال في المجمع **«لَا يَلِيَنَّكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً»** (١) اى لَا يَنْقُصُكُمْ انتهى. هذا اقوالهم في معنى الكلمة وانت ترى انهم قد أطبقوا على ان الولت بمعنى النقص ولم يقل أحد بأنه بمعنى الأدبار اعنى السير الى القهقري هذا. واما قوله ﷺ: **(حَذَاءً) قَالَ الْخَوَثِيُّ الْحَذَاءُ السَّرِيعَةُ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَرَوِي جَذَاءً بِالْجِيمِ وَالذَّالِ اى انْقَطَعَ خَيْرُهَا وَدَرَّهَا،** انتهى. وقال المحقق البحراني (قده) **(حَذَاءً) حَنِيفَةٌ مُسْرِعَةٌ لَا يَتَعَلَّقُ أَحَدٌ مِنْهَا بِشَيْءٍ،** انتهى.

وقال المعتزلي: **حَذَاءً بِالْحَاءِ وَالذَّالِ الْمُعْجَمَةُ وَهِيَ السَّرِيعَةُ وَرَجُلٌ حَذَاءٌ** اى خفيف اليد وقد رويت **جَذَاءً بِالْجِيمِ اى انْقَطَعَ خَيْرُهَا.**

وانا اقول: كلامنا معهم فى مقامين:

احدهما: فى قوله ﷺ: (وَلْتُ).

وثانيهما: فى قوله ﷺ: (حَدَاءً).

اما الكلام فى المقام الاول فنقول: لا تَخْلُوا الكلمة فاما ان تُقْرَأَ التَّشْدِيد كما

هو المشهور عند الشراح واما ان تُقْرَأَ بالتَّخْفِيف ويقال (وَلْتُ) وعلى كلا التقديرين لامحصل لما ذكروه من المعنى، اما على الاول اعنى تشديد اللام فهو من وَلَّى يُوَلِّى والمصدر منه التَّوَلَّى يقال وَلَيْتَكَ الأمرأى جعلتك مُتَوَلِّياً على أمورهم وعليه فيكون قوله ﷺ: (وَلْتُ)، مفرد الغائب المؤنث من فعل الماضى يقال وَلَّى وَلِيًّا وَلُو، وَلْتُ وَلْتًا وَلَيْن الى آخره.

واما على الثانى: اعنى التَّخْفِيف فهو من وَلَّى يَلِي مثل وَقَى يَقَى يقال وَلَّى

وَلِيًّا وَلُو وَلْتُ وَلْتًا وَلَيْن وعليه ايضا فهو مفرد المؤنث المغايب من الماضى الآ ان الاول مزيد فيه لانه من باب التَّفْعِيل والثانى ثلاثى مُجْرَدٌ وعلى الثانى فهو بمعنى المتابعة يقال وَلَّى يَلِي وَلِيًّا فلانا تَبِعَهُ من غير فصلٍ يقال جَلَسْتُ مِمَّا يَلِيهِ اى يقاربه وقد يَسْتَعْمَلُ بمعنى القُرب وهو قليل الاستعمال قاله فى المنجد فَكَوْنُ (وَلْتُ او وَلْتُ بمعنى الأدبار لاتساعده اللغة).

واما الكلام فى المقام الثانى: اعنى قوله ﷺ: (حَدَاءً)، ففيه احتمالات:

احدها: (حَدَاءً) بفتح الحاء المَهْمَلَة والذال المُعْجَمَة والتَّشْدِيد فيها كضراء

وهو بمعنى صانع النعال على ما فى المجمع والمُنْجِد ولسان العرب والنَّهْيَة والجمع منه (حَدَاؤُن).

وثانيها: (حَدَاءً) بفتح الحاء وتَخْفِيف الذال المُعْجَمَة وهو النعل بالنعل يقال

حَدَى النعل بالنعل قَدَّرَها به وقَطَعُها على مثالها ويقال حَدَّ حَدَّوَهُ امثَلُ به قاله فى المُنْجِد وقال فى النَّهْيَة الجِدَاءُ بالمدُّ النعل بكسر الحاء، قال فى لسان العرب حَدَى النعل حَدَوًا وحَدَاءً قَدَّرَها وقَطَعُها ورجل حَدَاءً جَيِّدُ الحَدَوِ، وبه قال فى القاموس ايضا.

وثالثهما: (حَدَاءٌ)، بالحاء والذال الْمُتَهَمَلَتَيْنِ الْمُخَفَّفَتَيْنِ قال في القاموس
حَدَى الأبل حَدَوْاً وحَدَاءً زَجَرَهَا وسَاقَهَا وقال الجوهرى الحَدُ وسَوَّقَ الأبل
والغناء لها وقال اللحيانى حَدَى الشَّيْءَ يَحْدُوهُ حَدَوْاً تَبِعَهُ والمآل واحد.

ورابعهما: (حَدَّاء) بفتح الحاء وتشديد الدال مبالغة فى الحادى وهو الذى
يَسُوِّقُ الأبل وَيَتَغَنَّى لها قاله فى المُنْجِد وغيره فى غيره.

وخامسها: جَدَاءٌ بالجيم والذال المُشَدَّدة كَضْرَاءِ القَطْع يقال يَدُّ جَدَّاءِ اى
مَقْطُوعَةٌ كما فى النِّهَايَةِ لابن الأثير ثم قال وَيُرْوَى بالحاء المُهْمَلَةِ
اقول: ويظهر منه ان المعنى فيهما واحد وهو كذلك كما نقلنا عنه سابقاً فان
صانع النعال قاطعه.

وسادسها: (جَدَّاء) بفتح الجيم والذال المُخَفَّفَةِ اى ثَبَّت قائماً او بكسر الجيم
ممدودةً جمعُ الجادى وهو القائم على اطراف الأصابع مثل نائم وِيَنَام لسان
العرب.

وسابعها: (حَدَا) مقصوراً بفتح الجيم والذال المُهْمَلَةِ وهو الذى لا يعرف
اقصاه او مالها خَلَف او المَطْرَ العام انتهى لسان العرب وعليه فالجمع منه
جديات.

وثامنها: (جَدَاء) ممدوداً جمع الجادى كما قلنا الجدء انه جمع الجادى.
اذا عرفت ما ذكرناه من الوجوه المُحتملة والمعانى المختلفة المتغايرة فقد
علمت ان قولهم فى شرح قوله عنه: **وَلَّتْ جَدَّاءِ** اى أدبرت الدنيا مُسرعةً لَيْسَ
على ما يَنْبَغى لعدم مُساعدة اللُّغَةِ عليه وظنى ان ما اوقَعَهُم فى الغلط هو انهم
رأوا فى كتب اللُّغَةِ وغيرها استعمال كلمة (وَلَّى) فى الأدبار والأعراض فى
قولهم وَلَّيْتُ عَنْهُمْ، او وَلَّاهُ عَنْهُ مُدْبِرِينَ اى اعرضت عنهم او عنه ولم يَعْلَمُوا ان
معنى الأعراض يُستفاد من كلمة (عَنْه) لامن كلمة وَلَّيْتُ كما ان (رَغِبَ) فى
اصل اللُّغَةِ بمعنى الميل واذا استعمل مع كلمة (عَنْ) ويقال رَغِبْتُ عَنْهُ يَصِيرُ
بمعنى الأعراض اى اعرضت عنه والعلة فيه هى ان كلمة (عَنْ) تفيد المجاورة

ولا شك أنّ الأعراض عن الشيء والتجاوز عنه بمعنى فى الحقيقة واما فى المقام فلم تستعمل هذه الكلمة مع (عن)، ولم يقل ولت عنه، حتى يقال انّ المعنى فيه الأعراض.

والدليل على ما قلناه هو انه لو قيل ولت بسمعى كذا وولت عيني وولت بوجهي وامثال ذلك ليس معناه ادبرت وأعرضت سمعى او عيني او وجهي بل المعنى أقبلت به عليه قال الراغب فى المفردات ومنه قال الله تعالى: ﴿فَلَنُؤَلِّبَنَّكَ قِبَلَهُ تَرَاضًا فَوْلًا وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (١)

و: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (٢) وغير ذلك من الآيات وغيرها فالمعنى فيها الأقبال وهو ضدّ الأدبار الذى ذكره فيه.

قال الراغب ايضا فى المفردات وتولى اذا أعدى بنفسه اقتضى معنى الولاية وحصوله فى أقرب المواضع واذا أعدى بعن لفظاً او تقديرأ اقتضى معنى الأعراض وترك قربه فمن الاول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (٣) ومن يتول ورسوله ومن الثانى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ (٤) و: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ (٥)

و: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَيَّ رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ (٦) وامثال ذلك من الآيات والمقصود انّ التقدير فيها (عنه) كما لا يخفى.

والمقصود من نقل قوله هو انّ المدعى امر ثابت لا اشكال فيه وعليه فلا بد لنا فى شرح كلامه عليه السلام اما تقدير (عنه) بعد كلمة (ولت) اى ولت عنه حذاء اى ولت عرضت عن الإنسان بقريئة السياق واما ان تُقرء (ولت) بالتخفيف اى تبعت من غير فصلٍ او نقصت وقلت.

وامّا الحَذَاءُ، فالحقّ فيه هو الأوّل والخامس اعنى الحاء والذال المُشَدَّدة والجيم والذال المُشَدَّدة والألف المُسَدَّودة فى كليهما بمعنى القطع وهو امّا بمعنى الفاعل او المفعول فعلى الأوّل تكون الدّنيا قاطِعة اى قاطعة الأمال والأمانى لعدم دَوامِها وبقائها وعلى الثّانى تكون مَقْطُوعَة وهو ايضاً لامرية فيه كما ستعلم.

فيصير معنى العبارة والله اعلم ائى أخبركم وأعلمكم انّ الدّنيا قد نَقَصْتِ وَقَلَّتْ حالكونها قاطِعة الأمال او مقطوعةً الوجود لأمكانها وعدم بقائها كما هو شأن المُمكن الحادث لانها وُلَّتْ اى أدبَرَت سَرِيعَةً كما التَزَمُوا به لوجوه: احدها انّ الدّنيا عبارة عن الحَيوة الحاضرة ضدّ الآخرة وانما سميت الدّنيا دُنْيَا لقربها اليها لكونها من الدُّنُو وهو القُرب او مِنَ الدُّنَاةِ وهى الحقارة لحقارتها بالنسبة الى الآخرة فانّ الحَيَاة فى الآخرة دائمة وفى الدّنيا غير دائمة وعلى كلّ حال هى ليست من الموجودات المُستقلّة القائمة بذاتها بل لا يطلق المَوجود والوُجود عليها الاّ مَجازاً وهذا بخلاف الآخرة فانها على ما ثَبَتَ بالعقل والنقل لها وجود أصيل باقٍ بقاء الله تعالى لا اضمِحلال فيها ولا دُتُور قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١) وهذا مُسَلَّمٌ مقطوعٌ به.

وعليه فنسبة الأقبال والأدبار اليها تكون مَجازاً اى اقبال اهلها، وادبار اهلها وهذا بخلاف النقص والكمال فانها من شُئُونِ الوُجود ومراتبه فاذا قلنا انّ الدّنيا نَقَصْتِ ليس معناه انها كانت كاملة ثمّ نَقَصْتِ بل المعنى انها خلقت كذلك وجُعِلَتْ . من أوّل: الأمر ناقصة مقطوعة الآخر وهذا المعنى حَقِيقَتُها وماهِيَّتُها وحمل اللفظ على الحقيقة أولى من ارتكاب المَجاز فيه كما ثَبَتَ فى محلّه. وثانيها: على فرض التّسليم وكونها من الموجودات الحَقِيقِيَّة الواقعيّة فهى بما انها من الموجودات الأمكانيّة فى عالم الوُجود لا يمكن الأدبار فيها واقعاً لأنّ

الأدبار عبارة عن الرجوع الى القهقري وهذا ممّا لامعنى له اذ كيف يمكن القول بوجود الشئ ورجوعه الى القهقري أليس القهقري عدماً فالرجوع اليه يستلزم اتّصاف الشئ بنقيضه وهو محال وهذا بخلاف نسبة النقص اليها فإنّ للموجود فى مراتبه الوجودى كمالاً ونقص من حيث الشدة والضعف وحاصل الكلام انّ نقص الدنيا لا ينافى وجودها وادبارها ينافيه بل هو من قبيل الجمع بين المتناقضين.

وثالثها: انه عليه السلام قال بعد هذا الكلام (فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صِبَابَةُ الخ) والصّبابة عبارة عن بقيّة الماء الموجود فى الأناء كما سيأتى شرحها وهذا الكلام منه عليه السلام تفسيرٌ وتوضيح لسابقه والمعنى انّ الدنيا نقصت بحيث لم يبق فيها الا صّبابة كصّبابة الأناء، فشبهه عليه السلام الدنيا بالأناء ووجودها بالماء الموجود فى الأناء وما بقى منها بما بقى من الماء فيه وهذا المعنى لا يساعده ما ذكره فى شرح العبارة فإنه لامعنى لأدبار الشئ سريعاً ثمّ بقائه وان كان ضعيفاً، وذلك لانّ الدنيا ان أدبرت فقد أدبرت بخذافيرها ووجودها وان بقيت بقيت كذلك واما أنها أدبرت وبقي شئ منها لانفهم معناه وهذا بخلاف ما ذهبنا اليه لاننا لانقول بادبارها ثمّ بقائها بل نقول انها نقصت وضعفت لضعف ما فيه.

ورابعها: انّ الدنيا كما قلنا لا وجود لها مع قطع النظر عن الموجودات فيها فإنها ليست الا الحياة الحاضرة للممكنات وعليه فأدبارها واقبالها ادبار ما فيها واقبال ما فيها ونقصها وكمالها كذلك وح ان كان المراد بالأدبار لها ادبار موجوداتها بمعنى رجوعها الى الموت حتى يصير المعنى انّ اكثر اهلها قد ماتوا ولم يبق منهم الا قليل فهو مع عدم مساعدة الدليل عليه لا يصير موجبا للذم فيها وعدم الاعتماد عليها ولا شك انّ سياق الكلام سياق الذم والقّدح بالنسبة اليها.

وان كان المراد بالأدبار غير هذا المعنى فهو غير معقول، وعلى المدعى الأثبات.

وامّا على مَسَلِكِنَا فالمعنى انه نَقَصَتْ وَقَلَّتْ كَيْفَاً وان لم تكن كذلك كَمَا
 وذلك لان كمال الدنيا انما هو بوجود الأخيار والصلحاء فيها من الأنبياء
 والأوصياء والأولياء فهم بمنزلة الماء الموجود فى اناء الدنيا وانهم قد ماتوا
 وَرَحَلُوا منها فلم يَبْقَ مِنْهُمْ فى الدنيا الا صُبابَةٌ اى بَقِيَّةٌ منهم و اراد ﷺ منها اى
 من الصّبابة نفسه الشريفة ومن كان تابعا له فى أوامره ونواهيه ولا شك انهم
 كانوا قليلين معدودين ليست نِسْبَتُهُمْ من حيث العدد الى الصلحاء الماضية الا
 كنسبة الصّبابة الى الماء الموجود فى الظرف أولاً وهو يدل على وَهِنِ الدّنيا
 وعدم الخلود فيها والاعتبار بها فاعتبروا يا أولى الابصار.

□ قوله ﷺ: فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا اِلَّا صُبابَةٌ اِلاناءِ اصْطَبَّها ضابُّها...

ثم انه ﷺ بعد ما وَصَفَ الدّنيا بما وَصَفَ من النقص والزوال وعدم الاعتماد
 فَرَعَ على ما ذكره ما يوضحه او يُثَبِّته وهو انه لم يَبْقَ من الدّنيا من الأخيار
 والأولياء الذين كان قوام الدّنيا بهم الا نفرٌ قليل وذلك لانهم كانوا بمنزلة الماء
 فى الأناء فكما ان قيمة الظرف بقيمة المَظْرُوفِ فكذلك قيمة الدّنيا بقيمة ما
 فيها من الأخيار كما قال رسول الله ﷺ خَيْرُ القرونِ قرنى وفى تشبيهه ﷺ
 هؤلاء الصلحاء فى الدّنيا بالماء الموجود فى الأناء نكثت عَجِيبَةٌ وهى ان الماء
 أصل الحياة لكل شىء قال الله تعالى: ومن الماء كل شىء حى سواء كان المراد
 به الماء الجسسى المُشاهد كما عليه اهل الظاهر او حقيقة الوجود السارية فى كل
 الأشياء التى بها قوام الموجودات كما عليه اهل الباطن وعلى كلا التقديرين
 حياة الأشياء بالماء.

ففى قوله ﷺ: فى المقام ايماء الى ان قوام الدّنيا بهؤلاء الأخيار اذ لولا هم
 لما خلقت الدّنيا ولُبِّ الصلحاء وحقيقتها من الاولين والآخرين من قال الله فى
 حَقِّه لولاك لما خلقت الأفلاك اعنى نبينا محمد ﷺ وكل هؤلاء قد ماتوا
 وَرَحَلُوا واستقرّوا مُسْتَقَرَّهُمْ وما بقى منهم الا أنا ومن اتبعنى من المؤمنين هذا
 على القولِ بالتأويل فى كلامه ﷺ.

وأما على الظاهر فالمعنى واضح كما ذكره في شروحه وقد اخذ الحسين عليه السلام في كلامه هذا المعنى من أبيه حيث قال مخاطباً لأصحابه في ليلة عاشوراء بعد الحمد والثناء: انه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون وان الدنيا قد تغيرت وتنگرت وأدبر معروفها ولم يبق منها الا صباية كصباية الأناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، الا ترون ان الحق لا يعمل به وان الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربه حقاً فاني لأرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً، انتهى. صدق ولي الله وابن وليه.

□ قوله عليه السلام: **أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ وَادٍ سَيُلْحَقُ بِأُمَّهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ...**

قد مرَّ الكلام منّا في معنى الآخرة وكيفية اقبالها عند قوله عليه السلام: **(وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ** واشرفت باطلاً، فلا نعيده.

ثم انه عليه السلام قد اثبتّ لهما اعنى الدنيا والآخرة ابناء وهذا من الاستعارة التخيلية حيث انه شبههما بالأبوين الذين لكل منهما اولاد او بالأميين كذلك على اختلاف النسخ فان في بعضها هكذا **(فَإِنَّ كُلَّ وَادٍ سَيُلْحَقُ بِأَبِيهِ)** وفي بعضها **(بِأُمَّهِ)** فعلى الاول شبهها بالأبوين وعلى الثاني بالأميين والمآل فيهما واحد الا ان تشبيه الدنيا والآخرة بالأم أولى منه بالأب لوجوه:

احدها: ان الدنيا وكذلك الآخرة بمنزلة الرحم والأنسان فيهما بمنزلة الجنين او الطفل فكما ان الجنين قبل الولادة محدودٌ بحدود الرحم مُحاطٌ به لا يمكنه الخروج منه قبل وقته كذلك الأنسان محدودٌ مُحاطٌ بالدنيا او الآخرة لا يمكنه الخروج عن كل واحد منهما قبل وقته فهو في الحقيقة ينتقل من رحم الدنيا الى رحم الآخرة او يخرج منهما باذن الله تعالى وعلى اى حال يصدق عليه الابن وعليهما الام على وجه الاستعارة وهذا المعنى، لا يعقل في الأب الأعلى القول بان الدنيا تُربى الأفراد كما هو شأن الأب فانه يكون مربياً للولد ولكن هذا المعنى بالنسبة الى الآخرة مُستبعدٌ، فان الآخرة ليست بمرتببة مكتملة

لكونها دار حساب لادار عمل.

وثانيهما: انّ الأُمّ أطلق على الدّنيا مجازاً واما الأب فلا قال ﷺ السّعيد سعيد في بطن أمّه والشّقى شقّى في بطن أمّه، وقالوا في معنى هذا الحديث وجوها: أحدها انّ المراد بالأُمّ الدّنيا وعليه فالمعنى: انّ السّعادة والشّقاوة ممّا تحصلان للإنسان في هذه الدّنيا باختياره، لا انّ المراد من الأُمّ الواقعي حتّى يستلزم الجبر وفيه كلام طويل لامجال لذكره وعلى اى التقادير المقصود انّ الوالد سيّلق بأمه او أبيه يوم القيمة وحيث انّ الحكم ثابت بالاستعارة لافرق بين الأُمّ والأب من هذه الجهة فلا نطيل الكلام بالبحث فيه.

واما اصل المراد فى هذه الكلمات هو النّهى عن اتّباع الدّنيا وما فيها من الرّخارف والتّجمات وعدم الرّكون عليها لعدم بقائها والأمر باتّباع الآخرة وما فيها لبقائها ببقاء الله وعدم امكان الدّثور فيها وهذان الأصلان ممّا كلام لأحد من العقلاء فيهما فانّ الانسان لم يُخلَق لأجل هذه الدّنيا الدّنية وبعثها الرّائلة الدائرة الكثيفة بل خُلِق لأجل الآخرة والمقام فيها وانما الدّنيا صارت سبباً للوصول الى الآخرة ولهذا يقال انّ الغرض قد تعلق أولاً وبالذات الى الآخرة وثانياً وبالغرض الى الدّنيا فوجود الدّنيا غيرى ووجود الآخرة أصلى ذاتى وتوضيح الكلام فى المقام يستدعى التّكلم فيه فنقول كلامنا فى المقام يقع فى مقامين:

أحدهما: البحث عن حقيقة الدّنيا والآخرة وقد تقدّم الكلام فيهما مفصّلاً عند قوله ﷺ اما بعد فانّ الدّنيا قد ادبّرت وأذنت بوداع، وانّ الآخرة قد أقبلت واشرفّت باطلاع وقد أوردنا هناك الآيات والاخبار الواردة فى ذمّ الدّنيا ومدح الآخرة ولزوم طرح الدّنيا والأخذ بالآخرة ثم اتبعناها بكلمات القوم والأشعار الواردة من العرفاء، والفصحاء فيهما بما لا مزيد عليه.

وثانيهما: البحث عن لحوق اهل الدّنيا بالدّنيا واهل الآخرة بالآخرة وكيفية ذلك وانّ العقل والشّرع كيف يحكمان فيه وهذا هو المقصود الأصلي من قوله

ﷺ في المقام فليس في كلامه ﷺ تكرارٌ كما يُتخيلُ فإن ادبارَ الدنيا واقبال الآخرة شيءٌ وكونُ التابع لهما مُلحقاً بهما لامحالة شيءٌ آخر.

إعلم ان الانسان يُحشَرُ مع ما أحبه في الدنيا قال رسول الله ﷺ من أحبَّ حَجْرًا حَشَرَهُ اللهُ معه، وقال ﷺ المرء مع ما يُحبه ومن جُملة المَحْبُوبين والمَطْلُوبين لِلإنسان ايام حياته الدنيا والآخرة فمنهم من يطلب الدنيا وهو المُعْبَرُ عنه بالمَحَبَّة ومنهم من يَطْلُب الآخرة كذلك فهو مُحِبُّ لها ولا ثالث في المقام واما من اراد الدنيا للآخرة فهو من قسم الثاني اعنى هو مَمَّن يَطْلُب الآخرة كما ان مُحِبَّ الآخرة والطَّالِب بها لِلدنيا مُلحَقٌ بالقسم الاول اعنى طالب الدنيا.

اذا عرفت هذا فاعلم ان المراد بأبنائهما في قوله ﷺ ليس الا متابعيهما فان من أحبَّ شيئاً يتبع آثاره بل لا يرى غير محبوبه ومَعْشُوقه فأبناء الدنيا عبارة عمَّن كان في حياته غافلاً عن الآخرة غير متوجِّهٍ اليها سواء كان منكراً لها او يعتقد بوجودها الا انه لا يعمل لها كما هو شأن كثيرٍ مِنَّا وعليه فأبناء الآخرة عبارة عمَّن كان متوجِّهاً الى الآخرة غير غافلٍ عنها وانما جعل الدنيا وسيلةً وسبباً للوصول الى مقامات العالوية في الآخرة لان الدنيا مزرعة الآخرة

ثم ان العاقل اذا تفكَّر في الدنيا وحالاتها وشؤونها واطوارها وانها في معرض الفناء والدثور والزوال والأفول ليَعْلَمَ علماً قطعياً بان الدنيا لا تليق بان يُعْتَمَد عليها فان الاعتماد على شيءٍ لابقاء له امرٌ غير معقولٍ وهذا بخلاف الآخرة اذ هي مما يليق بالاعتماد والركون فيجب عليه ان يختارها بقاها، وأدومها. وذلك لان من تفكَّر في الدنيا وقنائها وبلوائها وضرائها وكونها بالآلام والأسقام والآفات والعاهات وشوب سرورها بالغموم وراحتها بالتعب وصحتها بالمرض ووصالها بالفراق والهجران ثم في ثبوت المعاداة والمنافاة وسائر الأوصاف الرذيلة بين أهلها وانهم كسباع مسرحة بين اغنام وبهائم يفترسونها ويتعادون بعضهم على بعض وجميعهم في طبخ العذرة،

وادخال مبالٍ فى مبالٍ وانهم عما قليل يفنون بحيث لا يبقى لهم اسم ولا رسم
 ليعلم ان التفكير فى هذه الأمور يوجب عدم الاعتناء بهابل الأعراض عنها قطعاً
 ولتوضيح المقال لا بأس بذكر نُدبة مولانا زين العابدين عليه السلام فى المقام فانها
 تكفى لما نحن بصدده مضافاً الى كونها قرّة أعين الناظرين وزينة اسماع
 السامعين لان فيها عبرة لمن اعتبروا وتذكيرة لمن تذكروا ان فيها ذكرى لمن كان
 له قلب على ما نقل عن بلد الأمين وهى هذه قال عليه السلام:

يا نفس حتى م الى الحيوه سكونك والى الدنيا وعمارتها ركونك، أما
 اعتبرت بمن مضى من أسلافك، ومن وارثه الأرض من الأفك، ومن فجعته به
 من إخوانك، ونقلت الى دار البلاء من اقرانك.

فهم فى بطون الأرض بعد ظهورها

مَحاسِنهم فيها بُوالِ دوائِرُ

خَلَّتْ دُورهم عَنْهم واقوت عراضهم

وساقتهم نحو المنايا المقادر

وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها

وضممتهم تحت التراب الحضائر

كم احترمت ايدى المنون من قرون بعد قرونٍ وكم غيرت الأرض ببلاها
 وغيبت فى ثراها ممن عاشرت من صنوف الناس وشيعتهم الى الأرماس.

وانت على الدنيا مكبٌ منافسٌ لخطابها فيها حريضٌ مكائرٌ

على خطر تسمى وتصبح لاهياً اترى بما ذلوا عقلت تخاطرٌ

وان امرءٌ يسعى لدنياه جاهداً ويذهل عن أخراه لاشك خاسرٌ

فحتى أم الى الدنيا اقبالك، بشهوتها اشتغالك، وقد وعطك الخبيرو واقاك

النذير، وانت عما يراد بك ساءٍ وبلذة يومك لاهٍ، وفى ذكر هول الموت والقبر

والبلئى كفاية للمعتبر.

وفى ذِكْرِ هَوْلِ الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ وَالْبُلَى

عَنِ اللَّهْوِ وَاللَّذَاتِ لِيَلْمَرَ زَاجِرٌ

كَأَنَّكَ مَعْنِي بِمَا هُوَ ضَائِرٌ

لِنَفْسِكَ عَمْدًا أَوْ عَنِ الرَّشْدِ جَائِرٌ

انظر الى الأمم الماضية والقرون الفانية والملوك العاتية كيف انتستهم الايام
فأفناهم الحمام فامتحت من الدنيا آثارهم وبقيت فيها اخبارهم.

وَأَصْحَوْا رَمِيمًا فِي التُّرَابِ وَأَقْفَرَتْ

مَجَالِسُ مَنْهُمْ غُطَّتْ وَمَقَاصِرُ

وَحَلَّوْا بَدَارٍ لَا تَزَاوِرُ بَيْنَهُمْ

وَأَنْبَى لِشُكَّانِ الْقُبُورِ التَّزَاوُرَ

فَمَا إِنْ تَرَى إِلَّا جَثِيًّا قَدْ ثَوَّابَهَا

مُمَسَّخَةً تُسْفَى عَلَيْهَا الْأَعَاصِرُ

كم عانيت من ذى عز وسلطان وجنود واعوان تمكّن من دنياه ونال منها
منه فبنى الحصون والدساكر وجمع الأغلاق والذخائر.

فَمَا صَرَفَتْ كَفُّ الْمَنِيَّةِ إِذَا آتَتْ

مِبَادِرَهُ تَهْوَى إِلَيْهِ الذَّخَائِرُ

وَلَا دَفَعَتْ عَنْهُ الْحُصُونُ الَّتِي بَنَى

وَجَفَّ بِهَا أَنْهَارُهَا وَالذُّسَاكِرُ

وَلَا قَارَعَتْ عَنْهُ الْمَنِيَّةُ خَيْلَهُ

وَلَا طَمَعَتْ فِي الذَّبِّ عَنْهُ الْعَسَاكِرُ

اتاه من أمر الله ما لا يردّ وتزل به من قضائه ما لا يصدّ فتعالى الملك الجبار

المتكبر القهار قاصم الجبارين ومببر المتكبرين.

مَمْلِكُكَ عَزِيزٌ لَا يَرُدُّ قَضَائِهِ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ نَافِدُ الْأَمْرِ قَاهِرٌ

عنا كل ذي عزّة وجهه

فكلّ عزيزٍ للمُهيمن صاغر

لقد خَشَعَت واستَسَلَمَت وتَضاءلت

لعِزّة ذى العرش المُلوك الجبابر

فالبَدَار البَدَار والحَذَار الحَذَار من الدُّنْيَا ومائِدهَا وما نَصَبت لك من

مَصَائِدِهَا وتَجَلَّى لك من زِينَتِهَا واستَشْرَفَ لَكَ من فِتْنَتِهَا.

وفى دُونِ ما عَافَيْتَ فى فِجَعَاتِهَا إلى رَفَضِهَا دَاعٍ وبالزُّهدِ آمِرٌ

فَجُدُّو لا تَغْفَلْ فَعَيْشُكَ زَائِلٌ وانتَ الى دارِ المَنيّةِ صائرٌ

فَهَلْ يَحْرِصُ عَلَيْهَا لَبِيبٌ او يُسِرُّ بِلَذَّتِهَا أَرِيبٌ وهو على ثِقَةٍ من فَنَائِهَا وغير

طامع فى بَقَائِهَا أم كَيْفَ تُنام عَيْنٌ مَن يَخشى البِياتِ او تَسكن نَفْسٌ مَن

يَتوقَّع المَمَاتِ.

ألا! ولَكِنَّا تَغَرَّ نَفُوسُنَا وتَشغَلُنَا اللذاتِ عَمَّا يُخادِر

وكَيْفَ يَلذُّ العَيْشُ مَن هو مُوقِنٌ بموقِفِ عَدْلِ حِينِ تَبلى السَّرائِرِ

كأَنَّا نَرى ان لَانُشُورِ واننا سُدَى مالنا بعد الفناءِ مَصائرٌ

وما عسى أَن يَنال طالِبُ الدُّنْيَا من لَذَّتِهَا وَيَتَمَتَّعَ بِهِ من بَهْجَتِهَا مع فُنُونِ

مَصائِبِهَا واصنافِ عَجائِبِهَا وكَثْرَةِ تَعَبِهَا فى طَلابِهَا وتُكادِحِهَا فى اِكْتسابِهَا وما

يُكابِدُ من أسقامِهَا وأرصابِهَا.

وما إن بنى فى كلِّ يومٍ وليلةٍ

تعاوره آفاتِهَا وهُمومِهَا

فلا هو مغبوطٌ بدنياه آمنٌ

كم غرت من مَخْلِدِ اليَها وصرعت من مَكِبِّ عَلَيْهَا فلم تَنعَشِهُ مَن صرعتِهُ

ولم تَقْلَهُ مَن عَثَرْتَهُ ولم تُداوِهِ من سَقَمِهِ ولم تَشْفِهِ من أَلَمِهِ.

بلى أوردتِهُ بعد عِزٍّ ومُنعةٍ

فلما رأى ان لَانِجاةَ وانهُ

مواردِ سُوءٍ ما لَهُنَّ مِصادِرُ

هو المَوْتُ لا يُنْجِيهِ مِنْهُ المُوَارِزُ

تَنَدَّم لَوْ يُغْنِيهِ طَوَّلُ نَدَامَةٍ عَلَيْهِ وَأَبْكِيهِ الذُّنُوبُ الْكِبَائِرُ
بَكَى عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَطَايَاهُ وَتَحَسَّرَ مِنْ ذُنُوبِهِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ الْأَسْتِعْبَارُ وَلَا
يُنْجِيهِ الْأَعْتَادُ مِنْ هَوْلِ الْمَنِيَّةِ وَنُزُولِ الْبَلِيَّةِ.

أَحَاطَتْ بِهِ أَفَاتُهُ وَهُمُومُهُ وَأَبْلَسَ لَمَّا أَعْجَزَتْهُ الْمَعَادِرُ
فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ الْمَوْتِ فَارِجٌ وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا يَحَازِرُ نَاصِرُ
وَقَدْ جَشَّاتِ خَوْفِ الْمَنِيَّةِ نَفْسُهُ تَرَدَّدَهَا دُونَ اللَّهَاتِ الْحَنَاجِرُ
هَنَالِكَ خَفَّ عَنْهُ عَوَادُهُ وَأَسْلَهُ أَهْلُهُ وَأَوْلَادُهُ وَارْتَفَعَتِ الرَّئَةُ وَالْعَوِيلُ وَيَسُّوْا
مِنْ بُرَى الْعَلِيلِ غَضُّوا بِأَيْدِيهِمْ عَيْنِيهِ وَمَدَّوْا عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ رِجْلِيهِ.

فَكَمْ مُوجِعٍ يَبْكِي عَلَيْهِ تَفْجُعًا وَمُسْتَنْجِدٍ صَبْرًا وَمَا هُوَ صَابِرُ
وَمُسْتَرْجِعٍ دَاعٍ لَهُ اللَّهُ مُخْلِصُ يُعَدُّ دَمْنَهُ خَيْرَ مَا هُوَ ذَاكِرُ
وَكَمْ شَامِتٍ مُسْتَبَشِرٍ بِوَفَاتِهِ وَعَمَّا قَلِيلٍ كَمَا الَّذِي صَارَ صَائِرُ
شَقَّ جِيُوبُهَا نِسَانَهُ وَلَطَمَ خُدُودَهَا أَمَانَهُ وَأَعْوَلَ لِفَقْدِهِ جِيرَانَهُ وَتَوَجَّعَ لِرِزْتِهِ
إِخْوَانَهُ ثُمَّ اقْبَلُوا عَلَى جِهَارِهِ وَتَشَمَّرُوا لِأَبْرَازِهِ.

فَظَلَّ أَحَبَّ الْقَوْمِ كَانَ لِقُرْبِهِ يَحْتَّ عَلَى تَجْهِيْزِهِ وَيُبَادِرُ
وَشَمَّرَ مِنْ قَدْ أَحْضَرُوهُ لَغُسْلِهِ وَوَجَّهَ لَمَّا فَازَ لِلْقَبْرِ حَافِرُ
وَكُفَّنَ فِي ثَوْبَيْنِ فَأَجْتَمَعَتْ لَهُ مُشَيْعُهُ إِخْوَانُهُ وَالْعَشَائِرُ
فَلَوْ رَأَيْتَ الْأَصْغَرَ مِنْ أَوْلَادِهِ وَقَدْ غَلَبَ الْحُزْنَ عَلَى فَوَادِهِ فَغَشَى مِنَ الْجَزَعِ
عَلَيْهِ وَقَدْ خَضِبَ الدَّمْعُ خَدَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَنْدُبُ أَبَاهُ وَيَقُولُ بِشَجْوٍ وَأَوْيَلَاهُ.

لَأَبْصَرْتُ مِنْ قُبْحِ الْمَنِيَّةِ مَنَظْرُ يُهَالُ لِمَرَاءٍ وَيَرْتَاعُ نَاطِرُ
أَكْبَارِ أَوْلَادٍ يَهْيِجُ أَكْتَابَهُمْ إِذَا مَا تَنَا سَاهُ الْبَنُونَ الْأَصَاغِرُ
وَرِنَّةُ نِسْوَانٍ عَلَيْهِ جَوَازِعُ مَلَامِعُهَا فَوْقَ الْخُدُودِ غَرَايِزُ
ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ سَبْعَةِ قَصْرِهِ إِلَى ضَيْقِ قَبْرِهِ فَحَثُّوا بِأَيْدِيهِمُ التُّرَابَ وَكَثَرُوا التُّلْدُ
وَالْأَنْتِخَابَ وَوَقَفُوا سَاعَةً عَلَيْهِ وَقَدْ يَسُّوا مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ فَرَلُوا عَلَيْهِ مُعْوَلِينَ.
فَوَلَّوْا عَلَيْهِ مُعْوَلِينَ وَكُلُّهُمْ وَمِثْلَ الَّذِي لَاقَى أَخُوهُ مُحَازِرُ

كشَاءِ رتاعِ آمَنَاتٍ بَدَّالَهَا بِمُذْنِبَتِهِ بَادَ الذَّرَا عَيْنَ حَاسِرُ
 فَرِيَعَتٍ وَلَمْ تَرْتَعِ قَلِيلًا وَاجْفَلتَ فَلَمَّا انْتَجَى مِنْهَا الَّذِي هُوَ حَادِرُ
 عَادتِ إِلَى مَرَعَاهَا وَنَسِيَتْ مَا فِي أُخْتِهَا دَهَاها أفعالِ البَهَائِمِ إقْتَدِينَا وَعَلَى
 عَادَاتِهَا جَزِينَا عُدَالِي ذَكَرَ الْمَنْقُولِ إِلَى الثَّرَى وَالْمَدْفُوعِ إِلَى هَوْلِ مَا تُرَى.
 هَوَى مَصْرَعًا فِي لَحْدِهِ وَتَوَزَّعَتْ مَوَارِيثُهُ أَرْحَامُهُ وَالْأَوَاخِرُ
 وَأَنَحُوا عَلَى أَمْوَالِهِ يَخْضَمُوهَا فَمَا حَامِدٌ فِيهِمْ عَلَيْهَا وَشَاكِرُ
 فِيهَا عَامِرُ الدُّنْيَا وَيَا سَاعِيًا لَهَا وَيَا آمِنًا مِنْ أَنْ تَدُورَ الدَّوَائِرُ
 كَيْفَ آمَنْتَ هَذِهِ الْحَالَةَ وَأَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهَا لِامْحَالَةِ أَمْ كَيْفَ تَتَحَنَّنُ بِحَيَاتِكَ
 وَهِيَ مَطْيَبَتِكَ إِلَى مَمَاتِكَ أَمْ كَيْفَ تَسْبِغُ طَعَامَكَ وَأَنْتَ تَنْتَظِرُ حَمَامَكَ
 وَلَمْ تَتَزَوَّدَ لِلرَّحِيلِ وَقَدْ دَنَا
 وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ وَشَيْكًا مَسَافِرُ
 فَيَا وَيْحَ نَفْسِي كَمْ أَشُوفُ تَوْبَتِي
 وَعُمْرِي فَا نِ وَالرَّدى لِي نَاطِرُ
 وَكَلَّ الَّذِي أَسْلَفَ فِي الصُّحُفِ مَثِبُ
 يُجَازِي عَلَيْهِ عَادِلُ الْحَكْمِ قَاهِرُ
 فَكَمْ تَرَقَّعَ بَدِينِكَ دُنْيَاكَ وَتَرَكَبَ فِي ذَاكَ هَوَاكَ أَنِّي لِأُرَاكَ ضَعِيفَ الْيَقِينِ يَا
 رَاقِعَ الدُّنْيَا بِالَّذِينَ أَبْهَذَا أَمَرَكَ الرَّحْمَنُ أَمْ عَلَى هَذَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ.
 تُخَرَّبُ مَا يَبْقَى وَتَعْمُرُ فَانِيًا فَلَا ذَاكَ مَوْفُورٌ وَلَا ذَاكَ عَامِرُ
 وَهَلْ لَكَ إِنْ وَا فَاكَ حَتْفَكَ بَغْتَةً وَلَمْ تَكْتَسِبْ خَيْرًا لَدَى اللَّهِ عَازِرُ
 أَتَرْضَى بِأَنْ تَفْنَى الْحَيَاةَ وَتَنْقُضِي وَدِينَكَ مَنقُوصٌ وَمَالِكَ وَافِرُ
 فَبِكَ إِلَهِنَا نَسْتَجِيرُ يَا عَلِيمٌ يَا خَبِيرٌ مَنْ نُؤْمِلُ لِفِكَ رِقَابِنَا وَمَنْ نَرْجُوا لِعُفْرَانِ
 دُنُوبِنَا سِوَاكَ وَأَنْتَ الْمَتَفَضَّلُ الْمَنَانُ الْقَائِمُ الدِّيَانُ الْعَايِدُ عَلَيْنَا بِالْأَحْسَانِ بَعْدَ
 الْأَسَائِهِ مِنَّا وَالْعَصِيانِ يَا ذَالْعِزَّةِ وَالسُّلْطَانَ وَالقُوَّةِ وَالثَّرَهَانَ أَجْرِنَا مِنْ عَذَابِكَ
 الْأَلِيمِ وَاجْعَلْنَا مِنْ سُكَّانِ دَارِ النِّعَمِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اقول: وكفى بهذه النَّدبة الشَّرِيفة زاجراً وَالى الأِعراض عن الدُّنيا الفانية أميراً
 وَفَقَّنا الله وَاياكم لِمَراضيه بحقِّ مُحَمَّد وآله فهذه الدُّنيا الَّتِي قد علمتَ حالها
 وَوقفتَ على إقبالها وإدبارها وَحقيقتها وَماهيتها وَبقائها وَفنائها وَأنها تُشَبِّهه
 عَجُوزَةٌ تَزِينتْ بانواع الزينة اَوْحِيَّةً ظاهراً هَالِكِينَ وَباطنهما سَمٌ مهلك فَمَنْ اغْتَرَبَها
 وَغَفَلَ عن كُنْهها وَحَقِيقَتها مع ما يُرى فيها من الأَنقلابات، وَالحوادث وَأنها
 لا تُبْقَى على حالةٍ بل شَأنها التَّغْيير وَحَقِيقَتها التَّلَوُّن فَكَيْفَ الأَعتماد عليها، فَهوَ
 أَدُونُ منها وَأَخْبَثٌ وَارْجَسٌ من كَلِّ الخَبائث والأَرْجاس ولا يَنْبَغِي ان يُقال له
 الأَنسان فضلاً عن العاقل وَلذا لك ترى العرفاء الشَّامخين وَالحكماء المتألِّهين
 وَالعلماء البارعين فضلاً عن الأنبياء، وَالمَعصومين كُلِّهم لَمْ يُرْكَنُوا إليها وَلَمْ
 يَعْتَمِدُوا على نِعْمِها وَلذاتِها لِعِلْمِهم بانَّها فانية دائرة زائلة غير باقية وَقد تكلَّمنا
 فيها مفصلاً.

فقوله عليه السلام: فَكُونُوا مِنْ أبناءِ الأَخِرَةِ وَلا تَكُونُوا مِنْ أبناءِ الدُّنيا، اشارة الى ان
 الأَنسان العاقل يَنْبَغِي له ان يكون تابعاً للأخيرة وَمقاماتها مُعْرِضاً عن الدُّنيا
 وَلذاتِها كما تكون الأبناء تابعين لأبائهم وَأمهاتهم غير تابعين لغيرهم.
 تُومَلُ فِي الدُّنيا طَوِيلاً وَلا تَدْرِي

اذا جَنَّ ليل هل تَعِيشُ الى الفجر

فَكَمَ من صَحيح مات من غير عِلَّةٍ

وَكَمَ من مريضٍ عاشَ دَهراً الى دَهْرٍ

□ قوله عليه السلام: وَإِنَّ اليَوْمَ عَمَلٌ وَلا حِسَابٌ وَغَداً حِسَابٌ وَلا عَمَلٌ ...

ثمَّ انه عليه السلام بَعْدَ ما بَيَّنَّ اوصاف الدُّنيا والأخيرة على طريق الأجمال وَحَدَّرَ
 النَّاسَ عن الدُّنيا وَرَغَبَهُم الى الأَخِرَةِ عَقَبَ عليه السلام كلامه بقوله: وَإِنَّ اليَوْمَ عَمَلٌ وَلا
 حِسَابٌ الخ وَحاصله الفَرْقُ بين الدَّارين من حيث ان الدُّنيا دار عَمَلٍ والأخيرة
 دار جزاءٍ وَحسابٍ واليه الاشارة بقوله عليه السلام الدُّنيا مَرْعَةٌ الأَخِرَةُ.

وفيما ذكره عليه السلام اشارة الى ان الانسان اذا مات انقَطَعَ عَمَلُه وَهُوَ كذا لك وَقد

دَلَّتِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ عَلَيْهِ، أَمَّا الْآيَاتُ:

فَمِنْهَا: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١)

و: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُخَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ (٢)

و: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (٣)

و: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٤)

و: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَخَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ (٥)

و: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (٦)

و: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (٧)

و: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨)

و: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ (٩)

و: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٠)

و: ﴿قَوْرَبِكَ لِنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١١)

و: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢)

و: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣)

و: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤)

و: ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ تَزُولُ فِيهَا كَانَوًا يَعْمَلُونَ﴾ (١٥)

و: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦) والآيات كثيرة.

٢- البقرة- ٢٨٤

٤- السجدة- ٢٥

٦- الغاشية- ٢٦

٨- الزلزلة- ٧/٨

١٠- التوبة- ١٠٥

١٢- الأنعام- ١٣٢

١٤- الأنعام- ١٠٨

١- البقرة- ٢٨١

٣- الانبياء- ١

٥- الطلاق- ٨

٧- التكاثر- ٨

٩- التوبة- ٩٤

١١- الحجر- ٩٢/٩٣

١٢- البقرة- ١٢٤

١٥- السجدة- ١٩

١٦- سبأ- ٣٢

ومن الاخبار الواردة في المقام مارواه في البحار باسناده عن ابي جعفر عليه السلام قال رسول الله ﷺ لا تزول قدما عبد يوم القيمة من بين يدي الله حتى يسئله عن اربع خصال: عُمرِكَ فيما افنيتَه، وِجَسَدِكَ فيما ابليتَه، ومالِكَ من أين كسيتَه واين وَضَعْتَه، وعن حُبِّنا اهل البيت انتهى...

وقد روى عن موسى ابن جعفر عن رسول الله ﷺ مثله «ج ٣ ص ٢٦٦ ط كمياني»...

ومنها- مارواه باسناده عن الرضا عليه السلام قال رسول الله ﷺ ان الله عز وجل يحاسب كل خلقٍ الا من اشرك بالله عز وجل فانه لا يحاسب ويؤمر به الى النار «ج ٣ ص ٢٦٦» ولوضوح الموضوع لانحتاج الى ذكر غير ما ذكرناه من الاخبار فانه لاشك ولا شبهة في ان الدنيا دار عمل والآخره دار حساب وجزاء وسيأتي تفصيل الكلام في مستقبل القول ان شاء الله.

تنبيه: يستفاد من هذه الخطبة امور لا بد لنا مراعاتها:

احدها: عدم اتباع الهوى.

وثانيها: طول الأمل .

وثالثها: التوجه الى ان الدنيا ليس بباقية بل هي دائرة زائلة فينبغي تركها،

ورابعها: ان الآخرة باقية يجب الأخذ بها والتوجه اليها.

وخامسها: العمل في دار الدنيا قبل حلول الأجل فيها لانها دار العمل.

وسادسها: ان الآخرة دار الجزاء والحساب ولا عمل فيها، ولا شك في ان

الانسان بمراعاته هذه الامور الستة يصير من الأولياء واجداً المنافع النشأتين وبغيرها من الأشقياء حَسِر الدُّنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

﴿ وَمِنْ كَلَامِ لَهُ ﷺ ﴾ (٤٣)

□ قوله ﷺ: إِنَّ إِسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ، وَصَرَفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ أَنْ أَرَادُوهُ، وَلَكِنْ قَدْ وَقَّتْ لِحَرِيرٍ وَقْتًا لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعًا أَوْ عَاصِيًا، وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْإِنَاةِ فَأَرُودُوا، وَلَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَادَ، وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ، فَلَمْ أَرَ لِي إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ بِمَا جَاءَ مُحَمَّدٌ ٩ إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى الْأُمَّةِ وَآلٍ أَحَدَثَ أَحْدَاثًا، وَأَوْجَدَ لِلنَّاسِ مَقَالًا، فَقَالُوا تُمْ نَقَمُوا فَعَبَّرُوا.

◀ اللغة

(الْإِعْلَاقُ) الْأَكْرَاهُ (الْإِنَاةُ) كَالْقِنَاةِ اسْمٌ مِنَ التَّائِي وَهُوَ الرَّفْقُ، وَالتَّيَّبْتُ فِي الْأُمُورِ. (أَحَدَثَ، أَحْدَاثًا) أَي أَوْجَدَ (أَوْجَدَ) قِيلَ هُنَا مَعْنَاهُ الصَّيْرُورَةُ أَي صَيَّرَهُمْ وَاجِدِينَ مَقَالًا (نَقَمُوا) نَقَمَ عَلَيْهِ أَنْكَرَهُ وَكَرِهَهُ.

◀ المعنى

لَمَّا أَرْسَلَ ﷺ جُرَيْرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ سَفِيرًا إِلَى مَعَاوِيَةَ قَالَ لَهُ ﷺ بَعْضُ أَصْحَابِهِ الصَّلَاحَ فِي الْحَرْبِ لِأَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ ﷺ فِي جَوَابِهِمْ: (إِنَّ إِسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ) وَهُمْ مَعَاوِيَةُ وَأَصْحَابُهُ. (وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ). (إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ)، أَكْرَاهُ لَهُمْ عَلَى الْحَرْبِ. (وَصَرَفٌ) وَمَنْعٌ (لِأَهْلِهِ) أَي لِأَهْلِ

الشَّامِ. (عَنْ خَيْرٍ أَنْ أَرَادُوهُ،) اى ان رادوا خيراً. (وَلَكِنْ قَدْ وَقَّتْ) اى عيَّنتُ
 وَضَرَبْتُ لَهُ الْأَجَلَ (لِجَرِيرٍ وَقْتًا) وزماناً. (لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ) اى لا يُقيمُ بعد الوقت
 الْمَضْرُوبِ. (إِلَّا مَخْدُوعًا) وهو الَّذِي يُخَدَعُ بِهِ (أَوْ غَاصِيًا) لكونه مُتَمَرِّدًا أَمْرَ
 أَمَامِهِ. (وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَاءَةِ) اى الرَّأْيُ الصَّوَابُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَعَ التَّائِبِي
 وَالتَّامَلِ (فَأَرَوْدُوا) اى سِيرُوا بِرَفْقٍ لِابْتِعَاجِلَةٍ. (وَلَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَادَ،) لانه لا اكره
 فى امر الجهاد بل مطلق الأحكام قال الله تعالى لا اكره فى الدين الآيه. (وَلَقَدْ
 ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ) اى لقد نظرتُ فى هذا الأمر اعنى الحرب مع اهل
 الشَّامِ (وَعَيْنُهُ، وَقَلْبُهُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ،) اى رأيتُ ظاهر الأمر وباطنه. (فَلَمْ أَرِ لِي)
 اى فى هذا الامر (إِلَّا الْقِتَالَ) مَعَهُمْ. (أَوْ الْكُفْرَ بِمَا جَاءَ مُحَمَّدٌ ۙ) من الشَّرِيعَةِ
 الْمَقْدَسَةِ وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي تَرْكِ الْقِتَالِ أَحْيَاءَ لِلْمُنْكَرِ وَإِمَامَةً لِلْمَعْرُوفِ بِلِإِعْدَامِ
 وَاضْمِحَالِ لِلْأَحْكَامِ. (أَنَّهُ) اى عثمان (قَدْ كَانَ عَلَى الْأُمَّةِ وَآلٍ) لكونه خليفة
 لَهُمْ. (أَحْدَثَ) فى الدِّينِ (أَحْدَاثًا) وَبِدْعًا. (وَأَوْجَدَ لِلنَّاسِ) اى أَبَدَى لَهُمْ طَرِيقًا
 إِلَيْهِ بِأَحْدَاثِهِ. (فَقَالُوا) اى النَّاسُ فى حَقِّهِ مَا قَالُوا (ثُمَّ نَقَمُوا) وَانكَرُوا عَلَيْهِ.
 (فَغَيَّرُوا) اى أزالوه عن مكانه.

◀ الشرح

اعلم ان هذه الخطبة انما صدرت عنه ﷺ بعد ارساله جُريراً الى الشَّامِ
 لدعوته معاوية الى البيعة ودخوله فيما دخل فيه المسلمون وقد نقلنا سابقاً عن
 الكامل كيفية القضية ومما طلة جُريير فى الشَّامِ ورجوعه الى على ومخالفة مالك
 ابن الأشتر معه وما وقع فى الشَّامِ وتركه بالآخرة علياً وفراره الى الشَّامِ تفصيلاً
 فلا نُعيده.

وبالجُملة لما سار جُريير الى معاوية وطال مكثه عنده لاجرم وقع موقع
 سوء الظن واتهموه بالنفاق كما كان كذلك فقال بعض من اصحاب امير
 المؤمنين ﷺ بحرب اهل الشَّامِ قبل رجوع جُريير من الشَّامِ فقال ﷺ: إِنَّ
 اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ الْخ.

□ قوله ﷺ: إِنَّ إِسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ
وَصَرَفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ...

كلمة (إِنَّ) من حروف التأكيد والياء في قوله (إِسْتِعْدَادِي) للنسبة والاستعداد
مصدر باب الاستفعال بمعنى التهيئة والأغلاق قيل أنه بمعنى الأكرام وقيل من
أغلق الباب إذا عسر فتحه وفي هذا الجملات اشار عليه السلام الى امور ينبغى
التنبه عليها:

احدها: أنه لا ينبغى للإنسان العاقل المؤمن بالله ورسوله الأقدام على الحرب
وشق عصا المسلمين إلا في مورد اقتضاه التكليف للأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر وذلك لأن المسلم أخ المسلم مادام لا يخرج عما هو وظيفته وأما في
صورة خروجه عنه وقيامه بما هو منهي عنه بحيث يدخل في زمرة المفسدين
في الأرض فيجب ردعه منعه وقتله صوناً للوحدة بين المسلمين.

وثانيها: أن القيام بالسيف وما شابهه في الأمة إنما هو بعد تعذر الصلح وأما
مع امكانه فهو أولى من الحرب ضرورة أن المقاتلة توجب الأضرار على
الطرفين في جميع الشئون.

وثالثها: أن الأقدام على الحرب لا يعقل إلا بعد اتمام الحجّة على الخصم إذ
من المحتمل تسليم العدو من غير حربٍ وعليه فلا معنى للقيام به قبل جريان
هذه المقدمات.

ورابعها: أن الإصلاح بين الفئتين بعد وقوع الحرب واشتعال نائرتيه أشكل
بمراتب عن الإصلاح قبله فللعاقل ان يسعى في اطفاء نائرة الحرب حتى
الامكان لا اشتعالها وازديادها وهذه المقدمات بأسرها واضحة.

إذا عرفت هذا فنقول لما ارسل امير المؤمنين ﷺ جريراً الى معاوية اراد
عليه السلام اجراء المقدمات المذكورة مع علمه ﷺ بأن معاوية لا يرجع عن
طغيانه وضلالته وذلك لتمامية الحجّة عليه كيهلك من هلك عن بينة ويحيى
من حي عن بينة وعليه فلا معنى لأقدامه ﷺ على الحرب قبل انكار الخصم

الطاعة والأنقياد حيث ان جريراً كان مأموراً من قبله ﷺ لهذا الامر وهو فى الشام فكيف يمكن المبادرة الى القتال والبراز ولاجل ذلك استدلل ﷺ على عدم اقدمه للحرب قبل وصول الخبر اليه بأمرين:

احدهما قوله ﷺ: **إِنَّ إِسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى قَوْلِهِ ﷺ إِغْلَاقُ لِلشَّامِ....**

وثانيهما قوله ﷺ: **وَصَرَفُ لَأَهْلِهِ عَنُّ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ،** وكلاهما حقٌ لامرية فيه.

اما الاول: منهما فالوجه فيه هو ان هذا العمل منه عليه السلام يوجب عدم اعتماد الناس ولا سيما اهل الشام عليه وبذلك ينسد باب الصلح والعافية رأساً فان المفروض ان الحجة لم تتم عليهم بعد وقبلها لا معنى للقتال ولا سيما منه ﷺ لانه ﷺ كان مظهراً للعدالة والانسانية.

واما الثانى: منهما فقد ظهر وجهه من الاول وذلك لانه لاستحالة فى كون بعضهم لولا كلهم على الخير ورجوعهم عن الباطل الى الحق بعد معرفته وهو انما يتم بعد ظهور الحق وكشف الألتباس واما قبله فلا واما الأتيان بكلمة (ان) المفيدة للشرط فللدلالة على ان اهل الشام لا يرجعون عن الباطل الى الحق ومن الشر الى الخير واقعا وحقيقتا الا على سبيل القضية الشرطية التى لاموضوع لها واقعا فاذا اقلنا ان كانت الشمس طالعة فالنهار موجود، فوجود النهار يتوقف على طلوع الشمس واما ان الشمس طلعت ام لم تطلع فالقضية ساكنة عنه فالموضوع فيها بشرط الوجود.

فقوله ﷺ: **وَصَرَفُ لَأَهْلِهِ إِلَى آخِرِهِ** لا دلالة فيه على وجود الخير فيهم ابداً وانما يدل على انه لو ثبت وتحقق لهم خيراً ففى صورة المبادرة الى القتال لامحالة ينسد ولا يمكن لهم الوصول الى ما ارادوه لعدم اعتمادهم، ودفاعهم عن نفوسهم حتى الامكان وهذا ظاهر.

□ قوله ﷺ: **وَلَكِنْ قَدْ وَقَّتْ لِحَرْبِهِ وَقْتاً لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعاً أَوْ غَاصِيّاً...**

وذلك لأنه قدمرنا القول بان جريراً كان متهماً مظنوناً عند اصحابه ﷺ بان هواه مع معاوية ولسانه مع عليّ ﷺ فلما ارسله ﷺ قال في جوابهم ولكن قدوّقت لجريير وقتاً، اي انى لم ارسله الى معاوية لتبليغ الرسالة من غير وقت ولا مدّة بل عيّنت له مدّة لو لم يرجع فيها لاتخلو حاله من امرين اما ان يكون ممن يخدع به فان معاوية شأنه المكر والخدعة واما ان يكون عاصياً لأمامه حيث انه خالف امره ومكث عنده اكثر مما أجزى له والغرض من هذا الكلام الزامهم بالسكوت عن القيام بامر الحرب قبل مجيء جريير فكانه قال ﷺ لهم إصبروا حتى تنقضى المدّة المضروبة له فان لم يرجع فيها فالحق معكم فى نفاقه وان هواه معه.

□ قوله ﷺ: وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَاةِ فَأَرُودُوا وَلَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَاءَ...

اشار ﷺ فيه الى امور ثلاثة احدها ان الرأى مع الإناة وثانيها فارودوا، وثالثها ولا أكره لكم الأعداء.

اما الأمر الاوّل: وهو ان الرأى مع الإناة، فلا كلام فى صحته فان التانى فى الأمور من امارات الأيمان والعقل السليم كما ان العجلة فيها من الشيطان فالعقل لا يعجل بل يتدبّر ويتفكّر ثم يعفل وذلك لأنه مظنة الفكر فى الأهداء. فقد روى فى البحار باسناده عن ابى جعفر الثانى عن آبائه ﷺ قال قال امير المؤمنين التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم انتهى...

وايضا روى باسناده عن النبى ﷺ انه قال لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق، انتهى...

وايضا روى عن الصادق ﷺ انه قال مع التثبت تكون السلامة (مع التدبير) ومع العجلة تكون الندامة ومن ابتداء بعمل فى غير وقته كان بلوغه فى غير حينه، انتهى...

وايضا روى ان رسول الله ﷺ اوصى الى رجل وقال له فانى اوصيك اذا أنت هممت بأمر فتدبّر عاقبته فان يكن فيه رُشداً فأمضه، وان يكن فيه عتياً

فَأَنْتَهُ عَنْهُ، أَنْتَهَى...

وفيما أوصى به أمير المؤمنين عليه السلام عند وفاته أنهك عن التسرع بالقول والفعل انتهى...

وايضا روى باسناده عن ابي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ إنما أهلك الناس العجلة ولو ان الناس تَبَتُّوا لم يُهْلِكْ، (يُهْلِكُوا) أَحَدٌ، انتهى. وايضا روى باسناده عنه انه قال رسول الله ﷺ الأناة من الله والعجلة من الشيطان، انتهى...والأحاديث كلها في «البحار ج ١٥ ص ١٩٨»...

أما الامر الثاني: وهو قوله عليه السلام: فَأَرُوْ دُوا، حيث امرهم بالأرواد وهو السير بالرِّفْقِ في جميع الأمور وعدم التعجيل فيها وقد ظهر هذا الأمر من الأمر الأول فإن التدبير وعدم العجلة في الأمور اذا كانا حسناً فلا محالة تكون العجلة فيها مذمومة لأنه تنافى التدبير والحزم والتثبت وهذا واضح.

وأما الامر الثالث: وهو قوله عليه السلام: وَلَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَاءَ وحيث ان ظاهر قوله عليه السلام هذا يناقض نهيه عليه السلام عن الاستعداد لحرب اهل الشام قبل مجيء جرير ارادوا رفع التناقض عنه فكل سلك مسلكاً في حل الاشكال. قال الشارح المعتزلي ولا تناقض بينه وبين نهيه لهم سابقاً عن الاستعداد لأنه كره منهم اظهار الاستعداد والجهر به ولم يكره الأعداد في السير وعلى وجه الكتمان والخفاء انتهى.

وقال الشارح البحراني (قدّه) انه عليه السلام نَبَّهَ بذلك على انه ينبغي لهم ان يكونوا على يَقْظَةٍ في هذا الامر حتى يكونوا حال اشارته اليهم قريبين من الاستعداد هذا ما ذكره على ما نقله الخوئي في شرحه.

وانا اقول: لا بأس بما ذكره في شرح العبارة ولا يخفى عليك ما فيه اذا امعنت النظر فيها وذلك لأن كلمة (اكراه) اما ان يقرأ بضم الالف وكسر الراء او بفتح الراء فهي على الأول من باب الافعال اعنى المزيد فيه وعلى الثاني من الثلاثي المُجْرَد فعلى الأول متعدٍ وعلى الثاني لازم، اذا عرفت هذا،

فاعلم انه لم يدل دليل على كونها من الثلاثى حتى توهم التناقض اذا المعنى
المزيد فيه لا اشكال فيه وليس فيه تناقض اصلا حتى نحتاج الى التأويل البعيد
رفعاً له بل هو اعنى المزيد فيه اولى بقرينة السياق وتوضيحه هو انا اذا قلنا
بكونها من الثلاثى فيصير المعنى اتى وَلَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَاءَ، اى لا ابغض ولا
اخالف اعدادكم فى قبال عدوكم وهو يدل بحسب المفهوم على ميله ﷺ
ورغبته للأعداد مع انه ﷺ انهاهم عنه قبل مجىء جريرو وهذا هو التناقض الذى
قالوا به.

واما ان قلنا بكونها من المزيد فيه فيصير المعنى اتى لا أجبركم ولا أحملكم
الأعداد لانكم مختارون فيه وعليه فاللام فى قوله ﷺ لكم، زائدة والتقدير وَلَا
أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَاءَ اذ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(١) واطن ظنا
قويًا ان هذا المعنى اوضح وأوفق بسياق العبارة مضافا الى عدم توهم التناقض
فيه.

اما انه لا تناقض فيه بالنسبة الى قبله فلانه ﷺ نهاهم عن الاستعداد لحرب
اهل الشام قبل مجىء جريرو واتمام الحجّة فى الجملة الاولى من الخطبة وافاد
فى المقام عدم اجبارهم على القتال ومن المعلوم انه لا منافاه بين المعنيين نعم
لو كان ﷺ اكرههم سابقاً على القتال ثم نفى الأكراه فهو التناقض وليس كذلك
لان نقيض كل شىء رفعه.

واما انه اعنى ما ذكرناه اوفق بسياق العبارة مما حملوا اللفظ عليه لانه ﷺ
بعد مانهاهم عن الاستعداد للحرب قبل مجيئه لانه اغلاق للشام وصرف لأهله
عن خير ان ارادوه.

وقوله ﷺ: والرأى مع الأناة وامرهم بالأرواد حيث ان هذه الامور كلها
بمنزلة الاستدلال على عدم صحّة المقاتله فى هذه الحالة الا ان اصحابه لقلة
فهمهم وسوء تدبيرهم لم يقدرُوا على هضم الموضوع وانه عين المصلحة كما

هو شأن الجهال الذين لا يعلمون الحر من البر بل شأنهم العجلة في الأمور وعدم التدبير والتوجه الى جوانب الأمر فقال عليه السلام في الجواب عن هذا السؤال الذي يدل عليه سوء نياتهم وشواهد احوالهم بتقاعدتهم، وتساؤلهم عن القيام حيث امرهم به.

ولا أكره لكم الأعداد، فهو عليه السلام في الحقيقة اشار به الى عدم متابعتهم في آرائهم فكأنه قال انا اقول هذا فان اطعتموني في رأيي فهو ولا أكره لكم الإعداد.

□ قوله عليه السلام: وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ فَلَمْ أَرَ كِيَّ الْإِقْتَالَ أَوْ الْكُفْرَ بِمَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله ...

كان قوله عليه السلام هذا جواب عن سؤال مقدر وذلك لانه لقائل ان يقول اى مانع لكم في ترك المقاتلة مع معاوية واصحابه وانتم تعلمون ان في ترك القتال منافع كثيرة ليست في المقاتلة من حفظ النفوس وعدم ايجاد الاختلاف والحقد والعداوة وضعف شوكة الاسلام ووهنه وبالجملة الصلح خير من الحرب فقال عليه السلام في جوابه ولقد ضربت أنف هذا الامر الى آخر ما ذكره عليه السلام على سبيل الاستعارة بالكناية فاستعار عليه السلام لفظ العين والأنف والظهر والبطن التي حقائق في الحيوان لحاله مع معاوية في امر الخلافة وخلاف اهل الشام له وكنى بالأنف والعين عن المهيم من هذا الأمر وخالصه فان العين والأنف أعز ما في الوجه وكنى بالضرب لهما عن قصده للمهم على سبيل الاستعارة ايضاً وكنى بلفظ الظهر والبطن لظاهر هذا الأمر وباطنه ووجوه الرأي فيه ولفظ التقلب لتصفح تلك الوجوه، وعرضها على العقل واحداً واحداً هكذا قالوا في وجه لاستعارة فتأمل فيه والأمر سهل.

وحاصل كلامه عليه السلام انه بعد التأمل والتدبر في هذا الأمر اى ترك القتال والقتال مع الشيطان المجسم اعنى معاوية قد تبين وانكشف لى انه لا محيص بالنظر الى العقل والشرع من اختيار احد الأمرين:

احدهما: القتال معه.

وثانيهما: الكُفْرُ بِمَا جَاءَ مُحَمَّدٌ ﷺ ولا واسطة بينهما ومعلوم أنه لا سبيل الى الثاني ولا سيّما فى حقّه، فلا محالة يُرْجَحُ الاوّل وهذا الكلام منه ﷺ يحتاج الى توضيح أبسط فنقول.

لاشكّ أنّ معاوية ابن ابى سفيان كان من المَلْعُونين على لسان رسول الله ﷺ والمَطْرُودين عن حريم الأيمان والأسلام ومن كان هذا شأنه فلا يَسْتَحِقُّ بأن يُسَمَّى انساناً فضلاً عن كونه مُسْلِماً مؤمناً والياً على الأمة كيف لا وهو رأس المُنَافِقين بل الكافرين المُشْرِكين فى الواقع وان ظَهَرَ منه الأسلام فإنّ اظهار الأسلام منه ومن اشباهه إنّما هو لأجل الوُصول الى المقاصد الشَّيطانية والهواجس النفسانية من الأمانة والحكومة والأنهماك فى اللذات والأنغمار فى المُشتهيات الحيوانية لعلمهم بأنّ الوُصول الى هذه المقاصد فى الأسلام لا يمكن الا بالأسلام الظاهري كما سيَتَضَحُّ لك ونحن نتكلّم أولاً فى نسب معاوية ثمّ فى اسلامه ثمّ فى حالاته وما وَرَدَ فيه فيقع البحث فى امور الأمر الاوّل فى البحث عن نسبه:

قال الشّارح المعتزلى فى شرحه هو ابو عبد الرّحمن معاوية ابن ابى سفيان صخر ابن حرب ابن أمية ابن عبد شمس ابن عبد مناف ابن قُصَيّ وأمّه هند بنت عتبة ابن ربيعة ابن عبد شمس ابن عبد مناف ابن قُصَيّ وهى امّ اخيه عتّبة ابن ابى سفيان.

فأمّا يزيد ابن ابى سفيان ومحمد ابن ابى سفيان وعنّسة ابن ابى سفيان وحنظلة ابن ابى سفيان وعمرو ابن ابى سفيان فمن امّهات شتى وابو سفيان هو الذى قاد قريشاً فى حروبها الى النّبي ﷺ وهو رئيس بنى عبد شمس بعد قتل عتّبة ابن ربيعة ببدر ذاك صاحب العير وهذا صاحب النّفير وبهما يَضْرَبُ المثل فيقال للحامل لافى العير ولا فى النّفير.

ثمّ اطال الكلام فى وَجْه تسمية ابى سفيان بصاحب العير وعتّبة بصاحب

التفسير ثم قال وكانت هند تُذكر في مكة بفجورٍ وعهر وقال الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار كان معاوية يُعزى الى اربعة الى مسافر ابن ابي عمرو والى عمارة ابن الوليد ابن المغيرة، والى العباس ابن عبد المطلب والى الصباح مُعَنَّ كان لعمارة ابن الوليد قال وقد كان ابوسفيان ذميماً قصيراً وكان الصباح عسيفاً لأبي سفيان شاباً وسيما فدعته هند الى نفسها فغشيها وقالوا ان عتبة ابن ابي سفيان من الصباح ايضا وقالوا انها كرهت ان تَضعه في منزلها فخرجت الى اجباد فوضعتة هناك وفي هذا المعنى يقول حسان ايام المهاجاة بين المسلمين والمشركين في حياة رسول الله قبل عام الفتح.

لِمَنْ الصَّبِي بِجَانِبِ البَطْحَاءِ فِي التُّرْبِ مُلْقَى غَيْرِ ذِي مَهْدٍ
بَخَلتْ بِهِ بِيضَاءِ آنَسَةٍ مِنْ عِبْدِ شَمْسِ صَلْتِهِ الخَدِّ

والذين نزهوا هند عن القذف رَووا غير هذا فروى ابو عبيدة مُعَمَّر ابن المُثَنَّى ان هنداً كانت تحت الفاكة ابن المغيرة المخزومي وكان له بيت ضيافة يغشاه الناس فيدخلونه من غير اذن فخللا ذلك البيت يوماً فاضطجع فيه الفاكة وترك هنداً في البيت لأمرٍ عرض له ثم عاد الى البيت فاذا رجلاً قد خرج من البيت فاقبل الى هند فركلها برجله وقال مَنْ الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ فَقَالَتْ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي أَحَدٌ، وَأَمَّا كُنْتَ نَائِمَةً فَقَالَ الْحَقِيُّ بِأَهْلِكَ فَقَامَتْ مِنْ فُورِهَا إِلَى أَهْلِهَا فَتَكَلَّمَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ لَهَا عُتْبَةُ أَبُوهَا يَا بُنَيْتَةَ إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَكْثَرُوا فِي أَمْرِكَ فَأَخْبِرْنِي بِقِصَّتِكَ عَلَى الصُّحَّةِ فَإِنَّ لِي ذَنْبٌ دَسَسْتُ إِلَى الْفَاكَةِ مَنْ يَقْتُلُهُ فَيَنْقَطِعَ عَنْكَ الْقَالَةُ فَحَلَفَتْ أَنَّهَا لَا تَعْرِفُ لِنَفْسِهَا جُرْماً وَأَنَّهُ لَكَاذِبٌ عَلَيْهَا فَقَالَ عُتْبَةُ لِفَاكَةِ إِنَّكَ قَدْ رَمَيْتَ ابْنَتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فَهَلْ لَكَ أَنْ تُحَاكِمَنِي إِلَى بَعْضِ الْكَهَنَةِ فَخَرَجَ الْفَاكَةُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ وَخَرَجَ عُتْبَةُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَأَخْرَجَ مَعَهُ هِنْدًا وَنِسْوَةً مَعَهَا فَلَمَّا شَارَفُوا بِلَادَ الْكَاهِنِ تَغَيَّرَتْ حَالُ هِنْدٍ وَتَنَكَّرَ أَمْرُهَا وَاخْتَلَفَ لَوْنُهَا فَرَأَى ذَلِكَ فَقَالَ لَهَا أَنِّي أَرَى مَا بِكَ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَكْرُوهِ عِنْدِكَ فَهَلَّا كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ يَشْتَهَرَ عِنْدَ النَّاسِ مَسِيرَنَا قَالَتْ يَا أَبَاهُ إِنَّ

الذی رأیت مِنی لیس لمکروه عندی ولکنی اعلم انکم تأتون بشراً یُخطيء
 ویُصیب ولا آمن ان یسمنی میسماً یكون علی عارٍ عند نساء مکة قال لها فانی
 سأمتحنه قبل المسئلة بأمرٍ ثم صفر بفرسٍ له فأدلی ثم اخذ حبة برٍّ فادخلها فی
 احلیلہ وشدہ بیسیر وترکه حتی اذا وردَ وعلی الکاهن اکرمهم ونحرلهم فقال
 عتبه انا قد جئتک لامرٍ وقد خبأتُ لک خبیئاً أخبرک به فانظر ما هو فقال ثمره
 فی کمره فقال ایبن هذا قال حبه برٍّ فی احلیل مهر قال صدقت أنظر الآن فی امر
 هؤلاء النسوة فجعل یدنوا من واحدةٍ واحدةٍ منهنّ ویقول انهضی حتی صار
 الی هند فضرب علی کتفها وقال انهضی غیر رتحاء ولا زانية ولتلدن مَلکاً،
 یقال له معاویة فوثب الیها الفاكة فاخذها بیده وقال قومی الی بیتک فجذبت
 یدها من یده وقالت الیک عنی فوالله لاکان منک ولاکان الآمن غیرک فتزوجها
 ابو سفیان ابن حرب الرقحاء البغی الّتی تکتسب بالفجور والوقاحة، التجارة
 انتهى.

الامر الثانی: فی بیان بعض ما ورد عن النبی ﷺ والائمة المعصومین فی
 لعنة والبراءة منه.

منها- ماروی عن معانی الاخبار ونقله غیر واحد من العامة والخاصة عن
 البراء ابن عازب قال اقبل ابوسفیان ومعاویة یتبعه فقال رسول الله
 ﷺ اللهم اللعن التابع والمتبوع اللهم علیک بالأقیعس قال ابن البر لأبيه من
 الأقیعس قال معاویة (قال الصدوق (قده) الأقیعس تصغیر الأقیعس وهو
 الملتوی العنق) انتهى) «بحار الانوار ۸ ص ۵۶۰»...

ومنها- ماروی عن الخصال باسناده عن رجل من اهل الشام عن ابيه قال
 سمعتُ النبی ﷺ یقول شرُّ خلق الله خمسة، ابليس، وابن آدم قتل اخاه،
 وفرعون ذوالاوتاد، ورجلٌ من بنی اسرائیل ردُّهم عن دینهم ورجلٌ من هذه
 الامّة یبایع علی کفرٍ عند بابٍ لدُّ ثم قال انی لمارأیت معاویة یبایع عند بابٍ لدُّ
 ذكرتُ قول رسول الله ﷺ فلحقتُ بعلي فکنتُ معه انتهى (قال الفيروز آبادی

لُدَّ بِالضَّمِّ قَرْيَةً بِفِلَسْطِينَ يَقْتُلُ عَيْسَى الدُّجَالِ عِنْدَ بَابِهَا» (ص ٥٦١)...

ومنها- ماروى عن ابيعبدالله عليه السلام انَّ معاوية صاحب السلسلة وهو فرعون

هذه الامة انتهى «ص ٥٦١»...

ومنها- ما عن المحاضرات للراغب انه قال قال امير المؤمنين عليه السلام

لَا يَمُوتُ ابْنُ هِنْدٍ حَتَّى يُعَلَّقَ الصَّلِيبَ فِي عُنُقِهِ وَقَدْ رَوَاهُ الْأَحْنَفُ ابْنُ قَيْسٍ

وَابْنُ شَهَابِ الزُّهْرِيِّ وَالْأَعْتَمُ الْكُوفِيُّ وَابُو حَيَّانِ التَّوْحِيدِيِّ وَابُو الثَّلَاجِ فِي

جَمَاعَةٍ فَكَانَ كَمَا قَالَ عليه السلام انْتَهَى «بحار الانوار ج ٨ ص ٥٦٠»...

ومنها- مارواه ايضا عن الكافي باسناده عن ابيعبدالله انَّ معاوية اوَّلَ مَنْ

عَلَّقَ عَلَى بَابِهِ مِصْرَ أَعْيُنَ بِمَكَّةَ إِلَى أَنْ قَالَ عليه السلام وَكَانَ مَعَاوِيَةَ صَاحِبَ السَّلْسَلَةِ

الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سِلْسَلَةٍ ذُرْعَاهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ، إِنَّهُ كَانَ

لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَكَانَ فِرْعَوْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ «ص ٥٦٢»...

ومنها- ماروى عن كتاب صفين لنصر ابن مزاحم باسناده عن عبد الله ابن

عُمَرَ قَالَ فَلَمَّا نَظَرَ عَلِيٌّ إِلَى رَايَاتِ أَهْلِ الشَّامِ قَالَ عليه السلام وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَّى

النَّسْمَةَ مَا أَسْلَمُوا وَإِلَّا لَكُنْ أَسْتَسْلِمُوهُ، أَسْرَوْا الْكُفْرَ حَتَّى وَجَدُوا عَلَيْهِ أَعْوَانًا،

انتهى «ص ٥٦٥»...

ومنها- مارواد باسناده عن عبد الله ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إِذَا رَأَيْتُمْ مَعَاوِيَةَ ابْنَ أَبِي سَفْيَانَ يَخْطُبُ عَلَى مَنْبَرِي فَاقْتُلُوهُ، قَالَ فَحَدَّثَنِي

بَعْضُهُمْ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ فَلَمْ يَفْعَلْ وَلَمْ يَفْلَحْ «ص ٥٦٥»...

ومنها- مارواه باسناده عن عبدالله ابن عمر قال انَّ معاوية في تابوت في

الدَّرَكِ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ فِرْعَوْنَ أَنَا رَبِّكُمْ الْأَعْلَى مَا كَانَ أَحَدٌ اسْفَلَ

مِنَ مَعَاوِيَةَ، انْتَهَى «ص ٥٦٥»...

ومنها- مارواد عنه ايضا انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يموت معاوية على

غير الاسلام، انتهى «ص ٥٦٥»...

ومنها- مارواه عن جابر ابن عبدالله قال قال رسول الله يموت معاوية على

غير ملّتي، انتهى «ص ٥٦٥»...

ومنها- مارواه ايضاً عن عبد الله ابن عمر قال ما بين تابوت معاوية و تابوت فرعون إلا درجة وما انخفضت تلك الدرّجة إلا انه قال انا ربكم الأعلى»
...«٥٦٥»

ومنها- ماروى باسناده عنه ايضاً قال إنّ تابوت مُعاوية في النار فوق تابوت فرعون وذلك بانّ فرعون قال انا ربكم الأعلى «ص ٥٦٥»...
ومنها- ماروى باسناده عنه ايضاً قال: أتيتُ النبي ﷺ فسمعتُه يقول يَطَّلِعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْفَجِّ رَجُلٌ يَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ سُنَّتِي فَسُقِّ ذَاكَ عَلَيَّ وَتَرَكْتُ ابِي يَلْبَسُ ثِيَابَهُ وَيَجِيءُ فَطَّلَعَ مُعَاوِيَةَ، انتهى «ص ٥٦٥»...
ومنها- مارواه عنه ايضاً في حديث الى ان قال ما يمنعني ان أُحدّثكم ما سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ مُعَاوِيَةَ يَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَجَاءَ الرَّسُولُ فَقَالَ هُوَ يَأْكُلُ فَأَعَادَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً فَقَالَ هُوَ يَأْكُلُ فَقَالَ ﷺ لَا اشْبَعُ اللَّهُ بَطْنَهُ فَهَلْ تَرَوْنَهُ يَشْبَعُ قَالَ فَخَرَجَ مِنْ فَجٍّ قَالَ فَنظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالِي ابِي سَفِيَانَ وَهُوَ رَاكِبٌ وَمُعَاوِيَةَ وَاخُوهُ أَحَدُهُمَا قَائِدٌ وَالْآخَرُ سَائِقٌ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ اللَّهُمَّ الْعَنِ الْقَائِدَ وَالسَّائِقَ وَالرَّكِبَ قَالُوا أَنْتَ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ نَعَمْ وَالْأَفْصُمَاتُ أَذُنَايَ كَمَا غَمِيَّتَا عَنَايَ، انتهى «ص ٥٦٥»...

ومنها- ماروى عن الحسن البصرى قال: قال رسول الله ﷺ اذا رأيتم مُعَاوِيَةَ عَلَى مَنْبَرٍ يَخْطُبُ فَاقْتُلُوهُ، انتهى «ص ٥٦٥»...

ومنها- ماروى باسناده عن حذيفة ابن اليمان قال قال رسول الله ﷺ اذا رأيتم مُعَاوِيَةَ ابْنِ ابِي سَفِيَانَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ وَانْظُرُوا إِلَى الْحَكَمِ ابْنِ ابِي الْعَاصِ وَلَوْ تَحْتَ اسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَاقْتُلُوهُ «٥٦٦»...

ومنها- مارواه الشّارح المعتزلى عن احمد ابن ابى طاهر فى كتاب اخبار الملوك انّ معاوية سَمِعَ الْمُؤَدَّنَ يَقُولُ أَشْهَدُ انْ لَا اِلَهَ اِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ انْ مُحَمَّدًا

رسول الله فقال لله ابوك يا بن عبد الله لقد كُنْتَ عَالِي الْهَمَّةِ مَا رَضِيَتْ لِنَفْسِكَ إِلَّا
أَنْ تَقْرَنَ اسْمَكَ بِاسْمِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، انتهى...

وقال أيضا معاوية عند اصحابنا مطعون في دينه منسوب الى الألفاظ الى
آخره «(٥٦٧)»...

ومنها- ماروي عن عبد الله ابن مسعود انه قال قال رسول الله ﷺ اذا
رأيتم معاوية ابن ابي سفيان على منبري يخطب فاضربوه عنه فقال الحسن
فوالله ما فعلوا ولا أفلحوا، انتهى «ص ٥٦٨»...

ومنها- مارواه عن صاحب كتاب الغارات عن الأمش عن انس ابن مالك
قال سمعت رسول الله ﷺ يقول سيظهر على الناس رجل من أمتي عظيم
السُّرَّةِ واسعُ البُلْعُومِ يأكل ولا يتشبع يحمل وزر الثقلين يطلب الأمانة يوماً
فاذا ادركتموه فابقرو بطنه وكان في يد رسول الله ﷺ قضيب قد وضع
طرفه في بطن معاوية، انتهى «ص ٥٧٠»...

ومنها- ماروي عن مطرف ابن المغيرة ابن شعبة انه قال وفدت مع ابي
المغيرة على معاوية وكان ابي ياتيه فيتحدث معه ثم ينصرف إلي ويذكر
عقله ويعجب بما يرى منه ان جاء ذات ليلة فامسك عن العشاء ورأيتة مغتماً
فانتظرت ساعة وظننته انه يحدث لشيء فينا وفي عملنا فقلت مالي اراك
مغتماً منذ الليلة فقال يا بني جئت من عند احبب الناس قلت وما ذاك قال قلت
له وخلصت به انك قد بلغت سناً فلو اظهرت عدلاً وبسطت خيراً فانك قد كبرت
ولو نظرت الى اخوتك من بني هاشم فوصلت ارحامهم فوالله ما عندهم اليوم
شيء تخافه فقال هيئات هيئات... ملك اخويتم (وهو ابوبكر) فعدل وفعل ما
فعل فوالله ما عدا ان هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل ابوبكر ثم ملك اخو بني
عدى (عمر ابن الخطاب) فاجتهد وشمر عشر سنين فوالله ما عدا ان هلك فهلك
ذكره الا ان يقول قائل عمر، ثم ملك عثمان فهلك رجل لم يكن احد في مثل
نسبه وفعل ما فعل وعمل به ما عمل فوالله ما عدا ان هلك فهلك ذكره وذكر

مافعل به، وانّ أخا بنى هاشم يُصاح به في كلّ يومٍ خمس مرّات أشهد انّ
مُحمّداً رسول الله فائى عمليّ يبقئ بعد هذا لأُمّ لك والله إلا دافننا دفننا انتهى (اي
اقتلهم وأدفنهم دفننا أو أخفى ذكرهم وفضائلهم) «ص ٥٦١»...

والرّويات في ذمّ آلِ ابى سفيان عموماً وذمّ معاوية وابنه يزيد خصوصاً
كثيرةٌ بحيث ينبغى ان يكتب في شأنهم وشأنه كتاباً عليحدة بل كتباً كثيرةً كيف
وهذه الشجرة الملعونة كانت من أعدى عدوّ الله ورسوله، ولا سيّما ابوسفيان
وابنه معاوية وابنه يزيد لم يؤمنوا بالله ورسوله طرفة عين أبداً بل ما استضرّ
الأسلام بشيءٍ كما استضرّ بهم وائى أعلم علماً قطعياً يقينياً إنّ من اعتقد
لمعاوية وابنه يزيد دينٌ وايمانٌ فهو ممن ليس له دين ولا ايمان وذلك لأن
اباسفيان كان رأس المشركين ولا نعلم فيما نعلم أحداً في صدر الأسلام أحبّ
وأرذل وأشرّ منه في العداوة لله ولرسوله وللمؤمنين فانه هو الذى كان قائداً
لجيش المخالف دائماً والحادث لهم الى حرب النّبى ﷺ ولا زال هذا شأنه
حتى ضعف ولم يقدر على المخالفة فأسلم في عام الفتح ظاهراً من خوف
القتل ولم يؤمن بقلبه ابداً وكُتب التواريخ والسير بذكر قبائح اعماله سوء افعاله
واقواله اقوى شاهدٍ على ما ادعيّناه وحيث انّ البحث في حالات ابى سفيان
فعلاً خارج عن وظيفتنا وانه موكول الى موضع آخر فالسكوت اولئ مضافاً الى
انّ المبادرة بذكر حالات هذه العناصر الكثيفة الخارجة عن حدود الأنسانية من
تضييع الوقت وصرفه فى اباطيل الكلام الآ بمناسبة المقام لتوضيح
حقيقة الحال وابو سفيان ليس منه بشيءٍ لعنة الله عليه.

واما ابنه اللعين معاوية فقد علمت شطراً ممّا ورد فيه مع انه بالنسبة الى غير
المذكور كالقطرة فى مقابل البحور فانّ قبائحه أكثر ممّا يوصف كيف لا وهو
مقابل لأمير المؤمنين على ابن ابيطالب فكما انّ فضائله لا تعد ولا تحصى
فكذلك قبائحه ايضاً لا تعد ولا تحصى ولكن مع هذا كله فهو المدار للبحث
فى المقام فلا محالة نرجع الى حالاته وسوء اعماله على طريق الاجمال حتى

تَعَلَّمَ سِرّاً وَرُودَ الرِّوَايَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِيهِ وَأَنَّهُ يَلِيقُ بِهِ فَنَقُولُ:

منها - أنه كان كافراً بالله وبرسوله بقلبه ولم يؤمن بالله طرفة عين والشاهد عليه ما ذكرناه من الروايات وأن النبي ﷺ لعنه غير مرة وأمر الناس بقتله وطرده إذا رأوه يخطب على منبره ولا شك أن لعن النبي لعن الله وهو لا يعقل إلا فيمن كان كافراً مشركاً فنكشف منه كفره والحادة في الواقع وإن لم يتظاهر به فالله ورسوله أعلم بحقيقته الأمر وقد دل على كونه مشركاً حتى حين موته قول علي رضي الله عنه فيما روينا عنه إنه لا يموت ابن هند إلا والصليب في عنقه. ومنها انتزائه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً واقدمهم إليه سبقاً واحسنهم فيه ذكراً وأثراً علي ابن ابيطالب رضي الله عنه ينازعه حقه بباطله ويجاهد انصاره بضلالة أعوانه ويحاول ما لم يزل هو أبوه يحاولانه من اطفاء نور الله وجحود دينه.

وقد قال رسول الله ﷺ علي ماروي بطرق متعددة في كتب العامة والخاصة، يا علي حربك حربي وسلمك سلمى ومعلوم أن المحارب لرسول الله يحكم بكفره فمعاوية محكوم بالكفر والكافر حاله معلوم.

ومنها - قتله ونهبه وغارته للمسلمين ولا سيما شيعة امير المؤمنين رضي الله عنه فهو الذي كتب الى عماله وولاته في جميع البلاد والأمصار ألا يجيز والأحد من شيعة علي ولا من اهل بيته ولا من اهل ولايته الذين يروون فضله، ويتحدثون بمناقبه شهادة وانظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه واهل بيته واهل ولايته الذين يروون فضله ويتحدثون بمناقبه فادنوا مجالسهم وكرمؤهم وقربؤهم وشرفؤهم واكتبوا إلى بما يروى كل واحد منهم بأسمه واسم ابيه وممن هو ففعلوا ذلك حتى أكثر في عثمان الحديث وبعث اليهم بالصلوات والكيسى واكثر لهم القطايع من العرب والموالي فكثروا في كل مصر وتنافسوا في المنازل والضيايع واتسعت عليهم الدنيا فلم يكن أحد يأتي عامل مصر من الأمصار ولا قرية فيروى في عثمان منقبة أو يذكر له فضيلة إلا كتبت اسمه

وَقَرَّبَ وَشَفَّعَ فَمَكَثُوا بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ .

ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عَمَّالِهِ نَسْخَةً وَاحِدَةً إِلَى الْبُلْدَانِ انظُرُوا مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةُ أَنَّهُ يُحِبُّ عَلِيًّا وَاهْلَ بَيْتِهِ فَاَمْحُوهُ مِنَ الدِّيَّوَانِ وَلَا تُجِيزُوا لَهُ شَهَادَةً.

ثُمَّ كَتَبَ كِتَابًا آخَرَ مِنْ أَتْهَمْتُوهُ وَلَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَاَقْتُلُوهُ فَقَتَلُوهُمْ عَلَى التَّهْمِ وَالظَّنِّ وَالشُّبْهِ تَحْتَ كُلِّ كَوَكَبٍ حَتَّى لَقِدَ كَانَ الرَّجُلُ يَسْقُطُ بِالْكَلِمَةِ فَيُضْرَبُ عُنُقُهُ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْبَلَاءُ فِي بَلَدٍ أَكْبَرَ وَلَا أَشَدَّ مِنْهُ بِالْعِرَاقِ وَلَا سِوَمَا بِالْكُوفَةِ لِكَثْرَةِ مَنْ بِهَا مِنْهُمْ إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ شِيعَتِهِ عَلِيٍّ وَمِمَّنْ بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالْمَدِينَةِ وَغَيْرِهَا لِيَأْتِيَهُ مَنْ يَتَّقَى بِهِ فَيَدْخُلُ بَيْتَهُ ثُمَّ يَلْقَى عَلَيْهِ سِتْرًا فَيَتَخَافُ مِنْ خَادِمِهِ وَمَمْلُوكِهِ فَلَا يُحَدِّثُهُ حَتَّى يَأْخُذَ الْإِيمَانَ الْمَغْلُظَةَ لِيَتِمَّ كُنْ عَلَيْهِ وَجَعَلَ الْأَمْرَ لَا يَزِدَادُ إِلَّا شِدَّةً وَكَثُرَ عِنْدَهُمْ عَدُوَّهُمْ وَأَظْهَرُوا أَحَادِيثَهُمُ الْكَاذِبَةَ فِي أَصْحَابِهِمْ مِنَ الزُّوْرُو وَالْبُهْتَانِ فَيَنْشَأُ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَتَعَلَّمُونَ إِلَّا فِيهِمْ وَمَضَى عَلَى ذَلِكَ قُضَاتِهِمْ وَوَلَاتِهِمْ وَفُقَهَائِهِمْ وَكَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ بَلَاءً وَفِتْنَةً الْقُرَاءُ الْمُرَاوِنُ الْمُتَّصِنُونَ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ لَهُمُ الْحُزْنُ وَالْحُشُوعُ وَالنُّسْكُ وَيَكْذَبُونَ وَيَعْلَمُونَ الْأَحَادِيثَ لِيَحْظُرُوا بِذَلِكَ عِنْدَ وَلَا تِهِمْ وَيَدْنُوا لِذَلِكَ مَجَالِسَهُمْ وَيُصِيبُوا بِذَلِكَ الْأَمْوَالَ وَالْقَطَائِعَ وَالْمَنَازِلَ، حَتَّى صَارَتْ أَحَادِيثُهُمْ تَلِكُ وَرَوَايَاتُهُمْ فِي أَيْدِي مَنْ يَحْسِبُ أَنَّهَا حَقٌّ وَأَنَّهَا صَدَقٌ فَرَوَوْهَا وَقَبَلُوهَا وَتَعَلَّمُوهَا وَعَلَّمُوهَا وَأَحَبُّوهَا عَلَيْهَا وَابْغَضُوهَا وَصَارَتْ بَايَدِي النَّاسِ الْمُتَدَيِّنِينَ الَّذِينَ لَا يَسْتَحِلُّونَ الْكُذْبَ وَيُبْغِضُونَ عَلَيْهِ أَهْلَهُ وَقَبَلُوهَا وَهُمْ يَرُونَ أَنَّهَا حَقٌّ وَلَوْ عَلِمُوا أَنَّهَا بَاطِلٌ لَمْ يَرَوْوهَا وَلَمْ يَتَدَيِّنُوا بِهَا فَصَارَ الْحَقُّ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بَاطِلًا وَالْبَاطِلُ حَقًّا وَالصُّدُقُ كَذِبًا وَالْكَذِبُ حَقًّا وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَتَشْمِلَنَّكُمْ فِتْنَةٌ يَرَبُّو فِيهَا الْوَلِيدَ وَيَنْشِئُوهَا فِيهَا الْكَبِيرَ تَجْرِي النَّاسَ عَلَيْهَا فَيَتَّخِذُونَهَا سُنَّةً فَاذَا غُيِّرَ مِنْهَا شَيْءٌ قَالُوا أَتَى النَّاسَ مِنْكَرًا غَيَّرَتِ السُّنَّةَ، فَلَمَّا مَاتَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ؑ لَمْ يَزَلِ الْفِتْنَةُ وَالْبَلَاءُ يَعْظُمَانِ وَيَشْتَدَانِ فَلَمْ يَبْقَ وَرَثَةٌ إِلَّا خَائِفًا عَلَى دَمِهِ.

ومنها- امره الناس بسب علي أمير المؤمنين عليه السلام في البلاده والأمصار على رؤوس الأشهاد وقد نُقِلَ أنه وَضِعَ لذلك سَبْعَمائة كُرْسِيٍّ في البلاد الإسلامي ولا شك أن سبَّ علي هو بعينه سبُّ الله وسبُّ رسوله ومَنْ سبَّ الله ورسوله فهو كافرٌ فمُعَاوِيَةُ كافرٌ.

أما أنه أمر بسب علي وأهتّم به فلا كلام فيه بشهادة التواريخ واتفاق العامة والخاصة عليه، وأما أن سبَّ علي هو سبُّ الله وسبُّ الرسول فلقوله عليه السلام لعليّ مَنْ أَحَبَّكَ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ وَمَنْ ابْغَضَكَ فَقَدْ ابْغَضَنِي وَمَنْ ابْغَضَنِي فَقَدْ ابْغَضَ اللَّهَ.

وقوله عليه السلام: له يا علي حُبُّك إيمانٌ وِبُغْضُك كُفْرٌ، ومعلوم أن منشاء السب لا يكون إلا البغض وقوله عليه السلام لعلي لا يُحِبُّكَ إلا مؤمنٌ ولا يُبْغِضُكَ إلا كافرٌ، أو منافقٌ، وأمثال ذلك من الروايات فثبت كفره.

ومنها- ادعائه الخلافة مع أنه كان من المشركين في الحقيقة وإي فسقٍ بل كفرٍ وزندقةٍ أشدّ وأعظم من غصبه الخلافة ومنازعتة فيها لأهله مع أن النبي صلى الله عليه وآله قد صرّح في كثير من الموارد بلعنه وأنه يجب قتله كما عرفت ممّا نقلناه. ومنها- أنه قتل الأخيار والصلحاء من الأمة كعمرو ابن حُمق الخزاعي وحُجر ابن عدّي الكندي وغيرهما ممّن يطول الكلام بذكره.

ومنها- أنه بذل لِسَمْرَةَ ابن جُنْدَب مائة ألف درهم حتى يروى أن هذه الآية نزلت في علي، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَأُجِبُّ الْفُسَادَ﴾^(١)، وإن الآية الثانية انزلت في ابن ملجم وهي: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(٢)

فلم يقبل فبذل له مائة ألف درهم فلم يقبل فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل فبذل له اربعمائه الف درهم فقبل وروى ذلك ووضع قوماً من الصّاحبة وقوماً

من التابعين ايضا على رواية اخبار قبيحة فاختلّفوا ما أَرْضَاهُ منهم ابو هريرة،
ومنهم - عمرو ابن العاص، ومنهم المَغيرة ابن شُعْبَةَ ومن التابعين عُرْوَةُ ابن
الزبير كما روى عن عليٍّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ أَكْذِبِ النَّاسَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ أَبُو هُرَيْرَةَ
الدُّوسَى لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

وقد روى الواقدي أنّ معاوية لما عاد من العراق الى الشّام خَطَبَ فقال ايّها
النّاس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال أنّك ستلّي الخلافة من بعدى فأخترى الأرض
المُقدّسة فإنّ فيها الأبدال وقد اخترتكم فالعنوا ابا تراب فلعنوه والى هذا اشار
عليه السلام على ماروى عنه الصادق عليه السلام حيث قال نحن وآل ابى سفيان قوم تعادوا فى
الله والأمر يَعُودُ كما بدا.

ومنها- ايثاره لخلافة الله على عباده ابنه يزيد السكّير الخمير صحاب
الديكة والفُهور والقِرْدَة وأخذ البيعة له على خيار المسلمين بالقهر، والسَطْوَة
والتَّوَعُّد والأخافة والتَّهْدِيد على ما فصلّ فى التّواريخ.

وحيث انجَرَ الكلام الى هنا فلا بأس بذكر ما اورّده الطّبرى صاحب التّاريخ
عن المُعتضد العبّاسى فى لعن معاوية ابن ابى سفيان على المنابر وكذلك ما
روى عن ابى عبد الله الحسين فى مطاعنه ومفاسده تأييدا لما ذكرناه وتشييداً لما
اصلناه مضافاً الى ما فى هذه المكتوبات والتّوقيعات من الحقائق التى لا توجد
فى غيرها.

اما مكتوب المُعتضد فقد روى محمّد ابن جرير الطّبرى أنّه عَزَمَ المُعتضد
فى هذه السّنة على لعن معاوية ابن ابى سفيان على المنابر وأمرَ بانشاء كتابٍ
يقرء على النّاس فخوّفه عبّيد الله ابن سليمان اضطراب العامّة وانه لا يأمّن ان
يكون فِتْنَةً فلم يَلْتَفِت اليه فكان أوّل شىءٍ بدّء به المُعتضد من ذلك التّقديم
الى العامّة بلزوم اعمالهم وترك الاجتماع، والعصبيّة ومنع القصاص عن القعود
وعلى الطّرقات وأنشئ هذا الكتاب وعملت منه نُسخُ قرئت بالجانبين من
مدينة السلام فى الأرباع والمحال، والأسواق فى يوم الأربعاء لست بيقين منها

ومنع القصاص من القعود في الجانبين ومنع اهل الحلق في الفتيا من القعود في المسجدين ونودي في المسجد الجامع بنهي الناس عن الاجتماع على ما قاص او غيره ومنع القصاص واهل الحلق من القعود ونودي ان الذمة قد برئت ممن اجتمع في الناس في مناظرة وجدل وتقدم الى الشراب الذين يسقون الماء في الجامعين ان لا يترحموا على معاوية ولا يذكره وكانت عادتهم جارية بالترحم وتحدث الناس ان الكتاب الذي قد اقر المعتضد بأنشائه بلعن معاوية يقرأ بعد صلوة الجمعة على المنبر فلما صلى الناس باذروا الى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يقرئوا قيل ان عبيد الله ابن سليمان صرفه عن قرائته وانه احضر يوسف ابن يعقوب القاضي وأمره ان يعمل الحيلة في ابطال ما عزم المعتضد عليه فمضى يوسف فكلم المعتضد في ذلك وقال له اني اخاف ان تضرب العامة ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركة فقال ان تحركت العامة او نطقت وضعت السيف فيها فقال يا امير المؤمنين فما تصنع بالظالمين الذين يخرجون في كل ناحية ويميل اليهم خلق كثير لقرابتهم من رسول الله وما في هذا الكتاب من اطرائهم او كما قال واذا سمع الناس هذا كانوا اليهم اميل وكانوا هم ابسط السنة واثبت حجة منهم اليوم فامسك المعتضد فلم يرد عليه جواباً ولم يأمر بعد ذلك في الكتاب بشيء ثم قال: وكان من جملة الكتاب بعد ان قدم حمد الله والثناء عليه والصلوة على رسوله اما بعد فقد انتهى الى امير المؤمنين ما عليه جماعة العامة من شبهة قد دخلتهم في اديانهم وفساد قد لحقهم في معتقدهم وعصبية قد غلبت عليها أهوائهم ونطقت بها ألسنتهم على غير معرفة ولا روية قد قلدوا فيها قادة الضلالة بلا بينة ولا بصيرة وخالفوا السنن المتعبدية الى الأهواء المبتدعة قال الله عز وجل ومن اظلم ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين.

خروجاً عن الجماعة ومسارةً الى الفتنة وايثاراً للفرقة وتشتيتاً للكلمة،

واظهاراً لِمِوَالَاةٍ مِنْ قَطَعَ اللهُ عَنْهُ الْمَوَالِيَهُ وَتَبَرَّءَ مِنْهُ الْعَصْمَةُ وَأَخْرَجَهُ مِنَ الْمِلَّةِ
 وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ اللَّعْنَةَ وَتَعْظِيمًا لِمَنْ صَغَّرَ اللهُ وَأَوْهَنَ أَمْرَهُ وَأَضْعَفَ رُكْنَهُ مِنْ بَنِي
 أُمِّيَّةِ الشُّجْرَةِ الْمَلْعُونَةِ وَمُخَالَفَةً لِمَنْ اسْتَنْقَذَهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ
 بِهِ النِّعْمَةَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْبَرَكَةِ وَالرُّحْمَةِ وَاللَّهِ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
 الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، فَأَعْظَمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَرَأَى تَرْكَ انْكَارِهِ
 حَرَجًا عَلَيْهِ فِي الدِّينِ وَفَسَادًا لِمَنْ قَلَّدَهُ اللهُ أَمْرَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَاهْمَالًا لِمَا
 أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ تَقْوِيمِ الْمُخَالَفِينَ وَتَبْصِيرِ الْجَاهِلِينَ وَأَقَامَةَ الْحُجَّةِ عَلَى
 الشَّاكِينَ وَبَسَطَ الْيَدَ عَنِ الْمَعَانِدِينَ.

وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُخْبِرُكُمْ مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْبَعَثَ
 مُحَمَّدًا ﷺ بِدِينِهِ وَأَمْرَهُ أَنْ يَصْدَعَ بِأَمْرِهِ بَدَاءَ بِأَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ فَدَعَاهُمْ إِلَى رَبِّهِ
 وَأَنْذَرَهُمْ وَيُشْرَهُمْ وَيُنصَحُ لَهُمْ وَارشَدَهُمْ وَكَانَ مِنْ اسْتِجَابِ لَهُ وَصَدَقَ قَوْلُهُ
 وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ إِمْرًا وَيَسِيرًا مِنْ بَيْنِ أُمَّةٍ مِنْ بَيْنِ مُؤْمِنٍ بِمَا أتَى بِهِ مِنْ رَبِّهِ وَنَاصِرٍ
 لِكَلِمَتِهِ وَإِنْ لَمْ يَتَّبِعْ دِينَهُ اعْزَازًا لَهُ وَاشْفَاقًا عَلَيْهِ فَمُؤْمِنٌ مِنْهُمْ مُجَاهِدٌ بِبَصِيرَتِهِ
 وَكَافِرٌ مِنْهُمْ مُجَاهِدٌ بِنَصْرَتِهِ وَحَمِيَّةً يَدْفَعُونَ مَنْ نَابَذَهُ وَيُقَهْرُونَ مَنْ عَابَهُ وَعَابَدَهُ
 وَيَتَوَثَّقُونَ لَهُ مِمَّنْ كَانَتْهُ وَعَاضَدَهُ وَيُبَايِعُونَ لَهُ مَنْ سَمِحَ لَهُ بِنَصْرَتِهِ وَيَتَجَسَّسُونَ
 أَخْبَارَ أَعْدَائِهِ وَيَكِيدُونَ لَهُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ كَمَا يَكِيدُونَ لَهُ بِرَأْيِ الْعَيْنِ حَتَّى بَلَغَ
 الْمُدَى وَحَانَ وَقْتُ الْإِهْتِدَاءِ فَدَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَتَصَدَّقَ رَسُولُهُ
 وَالْإِيمَانُ بِهِ بِأَثْبَتِ بَصِيرَةٍ وَأَحْسَنِ هُدًى وَرَغْبَةٍ فَجَعَلَهُمُ اللهُ أَهْلَ بَيْتِ الرَّحْمَةِ
 وَأَهْلَ بَيْتِهِ الَّذِينَ أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا مَعْدِنَ الْحِكْمَةِ وَوَرِثَةَ
 النَّبُوَّةِ وَمَوْضِعَ الْخِلَافَةِ أَوْجَبَ اللهُ لَهُمُ الْفَضِيلَةَ وَأَلْزَمَ الْعِبَادَ لَهُمُ الطَّاعَةَ وَكَانَ
 مِمَّنْ عَانَدَهُ وَكَذَّبَهُ وَحَارَبَهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ الْعَدَدُ الْكَثِيرُ وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ يَتَلَقَّوْنَهُ
 بِالضَّرْرِ وَالتُّشْرِيبِ وَيَقْصِدُونَهُ بِالْأَذَى وَالتَّخْوِيفِ وَيُنَابِذُونَهُ بِالْعَدَاوَةِ وَيَنْصَبُونَ
 لَهُ الْمُحَارَبَةَ وَيَصُدُّونَ عَنْ قِصْدِهِ وَيُنَالُونَ بِالتَّعْذِيبِ مَنْ اتَّبَعَهُ.

وَكَانَ أَشَدَّهُمْ فِي ذَلِكَ وَأَعْظَمَهُمْ لَهُ مُخَالَفَةً وَأَوْلَهُمْ فِي كُلِّ حَرْبٍ وَمَنَاصِبَةً

ورأسهم في كل اجلابٍ وفتنة لا تُرفع عن الإسلام رأيةً كان صاحبها وقائدها ورئيسها ابا سفيان ابن حرب صاحب أحد والخندق، وغيرهما واشياعه من بنى امية الملعونين في كتاب الله ثم الملعونين على لسان رسول الله ﷺ في مواطن كثيرة لسابق علم الله فيهم وماضى حكمه في أمرهم وكفرهم ونفاقهم فلم يزل لعنه الله يحارب مُجاهداً ويدافع مكابداً ويجلب مُنابذاً حتى قهره السيف وعلا امر الله وهم كارهون فتعوذوا بالإسلام غير مُنطوي عليه وأسر الكفر غير مُقلع عنه فقبله وقبل ولده على علم منه بحاله وحالهم، ثم انزل الله تعالى: كتاباً فيما أنزله على رسوله فيهم شأنهم وهو قوله والشجرة الملعونة في القرآن ولا خلاف بين احدٍ انه تبارك وتعالى اراد بها بنى امية ومما ورد في ذلك في السنة ورواه ثقة الأمة قول رسول الله ﷺ وقد رآه مُقبلاً على حمارٍ ومعاوية يقرده ويزيد يسوقه لعن الله الراكب والقائد والسائق.

ومنها- ما روتهُ الرواة عنه في قوله يوم بيعة عثمان تلقفوها يا بنى عبد شمس تلقف الكفرة فوالله ما من جنته ولا نار وهذا كفرٌ صريحٌ يلحقه اللعنة من الله كما لحقت الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكان يعتدون.

ومنها- ما يروى من وقوفه على ثنيتة أحد بعد ذهاب بصره وقوله لقائده هيهنا دميماً محمد وقلنا اصحابه.

ومنها- الكلمة التي قاله العباس قبل الفتح وقد عرضت عليه الجنود ولقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً فقال له العباس ويحك انه ليس بملك انها النبوة. ومنها- قوله يوم الفتح وقد رأى بلالاً على ظهر الكعبة يؤذن ويقول اشهد ان محمد رسول الله لقد أسعد الله عتبة ابن ربيعة اذ لم يشهد هذا المشهد. ومنها الرويا التي رآها رسول الله ﷺ فوجم لها قالوا فما روى بعدها ضاحكاً رأى نفراً من بنى امية ينزؤون على منبره نزوا القردة.

ومنها- طراد رسول الله ﷺ الحکم ابن ابى العاص لمحاكاته اياه في مشيته

والحقه الله بدعوة رسول الله آفة باقية حين التفت اليه فراه يتخلج يحكيه فقال
ﷺ كُنْ كَمَا أَنْتَ فَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ سَائِرَ عُمُرِهِ هَذَا إِلَى مَا كَانَ مِنْ مَرْوَانَ ابْنِهِ
وافتتاحه أول فتنة كانت في الإسلام واحتقانه كل دم حرام سفك فيها وأربق
بعدها.

ومنها- ما أنزل الله على نبيه ليلة لقدر خير من الف شهر قالوا ملك بنى امية.
ومنها- ان رسول الله دعا معاوية ليكتب بين يديه فدافع بأمره واعتل بطعامه
فقال ﷺ لا أشبع الله بطنه فبقى ولا يشبع ويقول والله ما اترك الطعام شبعاً ولكن
اعياءً.

ومنها- ان رسول الله ﷺ قال يطلع من هذا الفج رجل من امتي يحشر
على غير ملتي فطلع معاوية لعنة الله عليه.

ومنها- ان رسول الله ﷺ قال اذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه.

ومنها- الحديث المشهور المرفوع انه ﷺ قال ان معاوية في تابوت من
نار في أسفل درك من جهنم ينادى يا حنان يا منان فيقال له الآن وقد عصيت
قبل وكنت من المفسدين.

ومنها- انتزائه بالمحاربة لأفضل المسلمين بالإسلام مكاناً وأقدمهم اليه
سبياً واحسنهم فيه اثراً وذكراً على ابن ابيطالب عليه السلام ينازعه حقه بباطله
ويجاهد انصاره بضلاله واعوانه ويحاول ما لم يزل هو وابوه يحاولانه من
إطفاء نور الله وجحود دينه ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون
يستهوى اهل الجهالة ويموه لأهل الغباوة بمكره وبغية الذين قدم رسول الله
الخبر عنهما فقال لعمار ابن ياسر ثقتك الفئة الباغية تدعوهم الى الجنة
ويدعونك الى النار مؤثراً للعاجلة كافراً بالأجلة خارجاً عن طريقة الإسلام
مستحلاً للدم الحرام حتى سفك في فتنته وعلى سبيل غوايته وضلالته ذماً ما
لا يحصى عدده من خيار المسلمين الذابين عن دين الله والتاصرين لحقه
مجاهداً في عداوة الله مجتهداً في ان يعصى الله فلا يطاع ويظلم احكامه فلا

تُقَام وَيُخَالَف دِينَهُ فَلَا يُدَانُ وَإِنْ تَعَلُّو كَلِمَةَ الضَّلَالِ وَتَرْتَفِع دَعْوَةُ الْبَاطِلِ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَدِينَهُ الْمَنْصُورُ وَحُكْمُهُ النَّافِذُ وَأَمْرُهُ الْغَالِبُ وَكَيْدُ مَنْ عَادَاهُ وَحَادَهُ الْمَغْلُوبُ الدَّاحِضُ حَتَّى أَحْتَمِلَ أَوْزَارَ تِلْكَ الْحُرُوبِ وَمَا اتَّبَعَهَا وَتَطَوَّقَ تِلْكَ الدِّمَاءَ وَمَا سَفَكَ بَعْدَهَا وَسَنَّ سُنَنَ الْفَسَادِ الَّتِي عَلَيْهِ إِثْمُهَا وَإِثْمٌ مِنْ عَمَلٍ بِهَا وَإِبَاحَ الْمَحَارِمِ لِمَنْ ارْتَكَبَهَا وَمَنْعَ الْحَقُوقِ أَهْلِهَا وَغَرْمَةَ الْأَمَالِ وَاسْتَدْرَجَهُ الْأَمْهَالَ وَكَانَ مِمَّا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهِ اللَّعْنَةَ قَتْلَهُ مَنْ قَتَلَ صَبْرًا مِنْ خِيَارِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَاهْلِ الْفَضْلِ وَالذِّينِ مِثْلَ عَمْرٍو ابْنِ الْحُمُقِ الْخِزَاعِيِّ وَحُجْرِ ابْنِ عَدِي الْكِنْدِيِّ فَيَمْنُ قَتْلَ مَنْ امْتَالَهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ الْعِزَّةُ وَالْمَلِكُ وَالْغَلْبَةُ ثُمَّ ادْعَاؤُهُ زِيَادَ ابْنِ سُمَيْةٍ أَخًا وَنَسَبَتَهُ آيَاهُ إِلَى أَبِيهِ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ أَدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَرَسُولُهُ يَقُولُ مَلْعُونٌ مَنْ أَدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَانْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ وَقَالَ الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ فَخَالَفَ حُكْمَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ جَهَارًا وَجَعَلَ الْوَلَدَ لِغَيْرِ الْفِرَاشِ وَالْحَجَرَ لِغَيْرِ الْعَاهِرِ فَاحْلَ بِهَذِهِ الدَّعْوَةَ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي أُمِّ حَبِيبَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَفِي غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ مِنْ شُعُورٍ وَوُجُوهِ قَدْ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَأَثَبَتْ بِهَا مِنْ قُرْبَى قَدْ أَبْعَدَهَا اللَّهُ مَا لَمْ يَدْخُلِ الدِّينَ خَلَلَ مِثْلَهُ وَلَمْ يَنْلِ الْإِسْلَامَ تَبْدِيلًا يَشْبَهُهُ.

ومنها- إِيثارُهُ لِخِلَافَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ابْنَهُ يَزِيدَ السَّكِرِيِّ الْخَمِيرِيِّ صَاحِبِ الدَّيْكَةِ وَالْفُهُودِ وَالْقِرْدَةِ وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ لَهُ عَلَى خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ بِالْقَهْرِ وَالسُّطُورَةِ وَالتَّوَعُّدِ وَالْأَخَافَةِ وَالتَّهْدِيدِ وَالرَّهْبَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ سَفْهَهُ وَيَطَّلِعُ عَلَى رَهْقِهِ وَخُبَيْثِهِ وَيُعَايِنُ سَكْرَاتِهِ وَفَعَلَاتِهِ وَفُجُورَهُ وَكُفْرَهُ فَلَمَّا تَمَكَّنَ قَاتِلَهُ اللَّهُ فَيَمَّا تَمَكَّنَ مِنْهُ طَلَبَ بِنَارَاتِ الْمُشْرِكِينَ وَطَوَائِلِهِمْ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ فَأَوْقَعَ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي وَقَعِهِ الْحِرَّةَ الْوَاقِعَةَ الَّتِي لَمْ يَكُنْ فِي الْإِسْلَامِ أَشْنَعَ مِنْهَا وَلَا أَفْحَشَ فَشَفَى عِنْدَ نَفْسِهِ خَلِيلَهُ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَنْتَقَمَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَبَلَغَ النَّارَ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ فَقَالَ مُجَاهِرًا بِكُفْرِهِ وَمُظْهِرًا الشِّرْكَه.

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرِ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَصْلِ

قول مَنْ لَا يَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ وَلَا إِلَى دِينِهِ وَلَا إِلَى كِتَابِهِ وَلَا إِلَى رَسُولِهِ وَلَا يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ.

ثُمَّ مِنْ أَغْلَظِّ مَا أَنْتَهَكَ وَأَعْظَمِّ مَا أَجْتَرَمَ سَفْكَهَ دَمَ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ
مَوْقِعِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَكَانِهِ وَمَنْزِلَتِهِ مِنَ الدِّينِ وَالْفَضْلِ وَالشَّهَادَةِ لَهُ
وَأَخِيهِ بِسَيَادَةِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ اجْتِرَاءِ عَلَيَّ اللَّهُ بِكُفْرِهِ وَعَدَاوَةِ لِرَسُولِهِ
وَمَجَاهِرَةً لِعَتْرَتِهِ وَاسْتِهَانَةَ لِحُرْمَتِهِ كَأَنَّمَا يَقْتُلُ لَعْنَهُ اللَّهُ قَوْمًا مِنْ كَفَرَةِ التُّرْكِ
وَالدَّيْلَمِ لَا يَخَافُ مِنَ اللَّهِ نَقْمَةً وَلَا يِرَاغِبُ مِنْهُ سَطْوَةً وَاجْتَثَّ أَصْلَهُ وَفَرَعَهُ
وَسَلَبَهُ مَا تَحْتَ يَدَيْهِ وَاعَدَّهُ مِنْ عَذَابِهِ وَعُقُوبَتِهِ مَا اسْتَحَقَّهُ مِنَ اللَّهِ بِمَعْصِيَتِهِ هَذَا
إِلَى مَا كَانَ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ مِنْ تَبْدِيلِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَعْطِيلِ أَحْكَامِ اللَّهِ وَاتِّخَاذِ مَا لِلَّهِ
بَيْنَهُمْ دُولًا وَهَدْمِ بَيْتِ اللَّهِ وَاسْتِحْلَالِ حَرَامِهِ وَنَصْبِهِمُ الْمَجَانِيقَ عَلَيْهِ وَرَمِيهِمْ
بِالنِّيرَانِ إِلَيْهِ لَا يَأْلَوْنَ أَحْرَاقًا وَأَضْرَابًا وَلَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْهُ اسْتِبَاحَتَهُ، وَأَنْتَهَاكَ وَكَأَنَّ
جَاءَ إِلَيْهِ قِتْلًا وَتَنْكِيلًا وَلَمَنْ أَمَنَهُ اللَّهُ بِهِ إِخَافَةً وَتَشْرِيدًا حَتَّى إِذَا حَقَّتْ عَلَيْهِمْ
كَلِمَةُ الْعَذَابِ وَاسْتَحَقَّ مِنَ اللَّهِ الْأَنْتِقَامَ وَمَلَأَ الْأَرْضَ بِالْجُورِ وَالْعَدْوَانِ وَعَمُوا
عِبَادَةَ اللَّهِ بِالظُّلْمِ وَالْأَقْتِسَادِ وَحَلَّتْ عَلَيْهِمُ السَّخَطَةُ وَنَزَلَتْ بِهِمْ مِنَ اللَّهِ السَّطْوَةُ
إِنَّا حَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ عِتْرَةِ نَبِيِّهِ وَأَهْلِ وَرِاثَتِهِ وَمَنْ اسْتَخْلَصَهُ مِنْهُمْ لِخِلَافَتِهِ مِثْلَ مَا
أَبَاحَ مِنَ أَسْلَافِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَبَائِهِمُ الْمُجَاهِدِينَ لِأَوَائِلِهِمُ الْكَافِرِينَ فَسَفَكَ اللَّهُ
دِمَائِهِمْ مُرْتَدِّينَ كَمَا سَفَكَ بِأَبَائِهِمْ دِمَاءَ آبَائِهِمْ مُشْرِكِينَ وَقَطَعَ اللَّهُ دَابِرَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ لِيُطَاعَ وَمِثْلَ لِمِثْلِهِ وَحُكْمَ لِيُفْعَلَ قَالَ سُبْحَانَ:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾^(١)

وَقَالَ: أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ فَالْعَنُوا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَفَارَقُوا مِنْ لَا تَنَالُوا لِقُرْبَةَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بِمُفَارَقَتِهِ أَلْهَمَ الْعَنَ أَبَا سَفِيَانَ ابْنَ
أُمِّيَّةَ وَمَعَاوِيَةَ ابْنَهِ وَيَزِيدَ ابْنَ مَعَاوِيَةَ وَمَرْوَانَ ابْنَ الْحَكَمِ وَوُلْدَهُ وَوُلْدَ وَوُلْدَهُ اللَّهُمَّ

العن أئمة الكفر وقادة الضلال واعداء الدين، ومجاهدى الرسول ومُعطلَى الأحكام ومُبدلى الكتاب ومُنتهكى الدّم الحرام اللهم انا نبرء اليك من موالاة اعدائك ومن الأغماض لأهل معصيتك كما قلت: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(١) أيها الناس اعرفوا الحقّ تعرفوا أهله وتأملوا سبيل الضلالة تعرفوا سابقتها فقفوا عند ما وفّقكم الله عليه وأنفذوا لما أمركم الله به وامير المؤمنين يستعصم بالله لكم ويسأله توفيقكم ويرغب اليه فى هدايتكم والله حسبه وعليه توكله ولا قوة الا بالله العليّ العظيم، انتهى.

اقول: ما ذكره المعتضد فى هذا المكتوب يكفى لأثبات المدعى لا من حيث ان المعتضد العباسى شهد بكفره ولعنه بل من حيث اشتمال مكتوبه على شطرٍ من جنایات معاوية واتباعه وهو منه ألزم وأقوى حجة مما ذكره غيره على الخصم وذلك لكونه اعنى المعتضد وغيره من بنى العباس مع معاوية وامثاله سيان فى غضب الخلافة والحكم على خلاف ما أنزل الله وارقاة الدماء بغير حق لعنة الله عليهم أجمعين الا انا نقول ويلى لمن كفره ثمروذ فيكفى فى خباثة معاوية وشرارته لعن المعتضد وامثاله اياه.

وما ذكره فى هذا المكتوب يدل على صدق قول رسول الله ﷺ حيث قال من اعان ظالماً سلطه الله عليه، فحيث ان معاوية حارب علياً وابنه الحسن عليه السلام لطلب الملك وغضب الحكومه وتشبب فيه بكل حشيش حتى انتهى الى اماله ومقاصده واستولى على الملك بالقهر والغلبة والكذب والأفتراء وقتل كثيراً من المسلمين ثم بعد الغلبة والظفر على اولياء الله فى ظاهر الأمر أمر الناس بسب علي والبراءة منه كل ذلك لتشييد مبانى الضلالة والغراية وتمهيد اركان الخلافة والزعامة واعراض الناس عن الله ورسوله والمؤمنين فقد مهّد فى الحقيقه الملك والخلافة لمن بعده من الظلمة والفسقه من بنى المروان وبنى العباس فله بذلك على من بعده ومنهم المعتضد حق عظيم اذ لولاه لما كان

للخلفاء بعده من الخلافة حظٌ ولا نصيبٌ.

والعَجَبُ كُلُّ العَجَبِ مِنَ الْمُعْتَصِدِ العَبَّاسِي فِي هَذَا المَكْتُوبِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ مِضَامِينَهُ مُنْطَبِقَةٌ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ العَبَّاسِيِّينَ طَابَقَ النُّعْلَ بِالنُّعْلِ فَهُوَ أَيضاً يَسْتَحِقُّ اللَّعْنَ كَمُعاوِيَةَ بِلا تَفَاوُتَ بَيْنَهُمَا كَيْفَ لا وَبَنِي العَبَّاسِ لَعْنَهُمُ اللهُ قَدْ قَتَلُوا مِنْ أَوْلَادِ الرَّسُولِ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي أُمَّةٍ أضعافاً مضاعفةً ومُحَارَبَتَهُ لِعَلِيِّ عليه السلام وَغَضَبِهِ الخِلافةَ لَيْسَتْ بِأَعْظَمِ ذَنْباً وَأَشَدَّ عِقَاباً مِنْ غَضَبِ بَنِي العَبَّاسِ الخِلافةَ مِنْ سَائِرِ المَعْصُومِينَ وَهُوَ وَاضِحٌ إِلا أَنْ غَرَضُنَا مِنْ ذِكْرِ هَذَا المَكْتُوبِ هُوَ الزَّامُ الخِصْمِ أَنَّ أَعْدَاءَ عَلِيِّ عليه السلام أَيضاً قَدْ أَقْرَأُوا بِكُفْرِ مُعاوِيَةَ وَالْحَادِةِ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمْ.

ثُمَّ أَنَا أَرَدْنَا فِي أَوَّلِ البَحْثِ أَنْ نُعَقِّبَ المَكْتُوبَ الَّذِي نَقَلْنَاهُ بِذِكْرِ غَيْرِهِ مِنْ المَكَاتِيبِ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْ عُلَمَاءِ الإِسْلامِ وَرُؤَسَاءِ هَيْئَتِهِمْ فِي كُفْرِهِ وَالْحَادِةِ وَعِنَادِهِ لِأَهْلِ الدِّينِ وَحَيْثُ رَأَيْنَا أَنَّ الكَلَامَ يَطُولُ بِذِكْرِهَا مُضَافاً إِلَى عَدَمِ فَيْسِ الحَاجَةِ إِلَى ذِكْرِهَا لِكونِ المُدْعَى ثابِتاً بِحَمْدِ اللهِ فَأَعْرَضْنَا عَنْ ذِكْرِهَا حَذْراً عَنِ الأُطالَةِ وَمَنْ أَرَادَ الإِطْلَاعَ عَلَى ما وَرَدَ فِيهِ فَلْيَرْجِعْ إِلَى مِظَانِهَا فَإِنَّهُ فِي الفِسْقِ وَالْكَفْرِ أَشْهَرُ مِنْ كُفْرِ ابْلِيسَ.

ولا يذهب عليك أن معاوية كان لم يعرف علياً وسجاياه وفضائله ومناقبه بل هو كان من أعرف الناس بحقه عليه السلام وأنه جامع لكلمات الأنسانية بحيث لا يمكن قياس أحدٍ إليه وأنه أعظم الناس قدراً واجلهم شأناً وأقربهم إلى الله ورسوله واليقهم بالخلافة والزعامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمة ألا أن حب الشيء يعمى ويصم كما هو شأن كثير من أمثاله.

روى أرباب السير أنه اجتمع الطمّاح وهشام المرادي ومحمد بن عبد الله الحميري عند معاوية ابن أبي سفيان فأخرج بكرة فوضعها بين يديه ثم قال يا معشر شعراء العرب قولوا قولكم في عليّ ابن ابيطالب ولا تقولوا إلا الحقّ وأنا نفى من صخر ابن حرب أن أعطيت هذه البكرة إلا لمن قال الحقّ في عليّ فقام

الطَّرْمَاحِ وَتَكَلَّمَ وَقَالَ فِي عَلِيٍّ وَوَقَعَ فِيهِ فَقَالَ مَعَاوِيَةَ إِجْلِسْ فَقَدْ عَرَفَ اللَّهُ نَيْتَكَ وَرَأَى مَكَانَكَ ثُمَّ قَالَ هِشَامُ الْمُرَادِيُّ فَقَالَ أَيْضًا وَوَقَعَ فِيهِ فَقَالَ مَعَاوِيَةَ اجْلِسْ فَقَدْ عَرَفَ اللَّهُ مَكَانَكُمَا، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَمِيمِيِّ وَكَانَ خَاصًّا بِهِ تَكَلَّمَ وَلَا تَقُلْ إِلَّا الْحَقَّ فَتَكَلَّمَ ثُمَّ قَالَ:

بِحَقِّ مُحَمَّدٍ قَوْلُوا بِحَقِّ	فَإِنَّ الْأَفْكَ مِنْ شِيَمِ اللَّثَامِ
أَبَعْدَ مُحَمَّدٍ بِأَبِي وَأُمِّي	رَسُولُ اللَّهِ ذِي الشَّرَفِ التَّمَامِ
أَلَيْسَ عَلِيٌّ أَفْضَلَ خَلْقِ رَبِّي	وَأَشْرَفَ عِنْدَ تَحْصِيلِ الْأَنَامِ
وَلَا يَكْتُهُ هِيَ الْإِيمَانُ حَقًّا	فَدَرَنِي مِنْ إِبَاطِيلِ الْكَلَامِ
وَطَاعَةَ رَبِّنَا فِيهَا وَفِيهَا	شَفَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنَ السَّقَامِ
عَلِيٌّ إِمَامُنَا بِأَبِي وَأُمِّي	أَبُو الْحَسَنِ الْمُطَهَّرِ مِنْ حَرَامِ
إِمَامٌ هَدَى آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا	بِهِ عُرِفَ الْخَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ
وَلَوْ أَنِّي قَتَلْتُ النَّفْسَ حُبًّا	لَهُ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ إِثَامِ
يَجِلُّ النَّارِ قَوْمٌ يَبْغُضُوهُ	وَإِنْ صَامُوا وَصَلُّوا أَلْفَ عَامٍ
وَلَا وَاللَّهِ مَا تَزَكُّوا صَلَاةً	بِغَيْرِ وَلايَةِ الْعَدْلِ الْأَمَامِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ إِعْتِمَادِي	وَبِالْغُرِّ الْمِيَامِينَ إِعْتِصَامِي
بَرِئْتُ مِنَ الَّذِي عَادَى عَلِيًّا	وَحَارَبْتَهُ مِنْ أَوْلَادِ الْحَرَامِ
تَنَاسَوْا نَصَبِي فِي يَوْمِ خُمٍّ	مِنَ الْبَارِي وَمِنْ خَيْرِ الْأَنَامِ
بِرِزْمِ الْأَنْفِ مَنْ يَشْنَاءُ كَلَامِي	عَلِيٌّ فَضْلُهُ كَالْبَحْرِ طَامِ
وَأَبْرءُ مَنْ أَنْاسَ أَخْرُوهُ	وَكَانَ هُوَ الْمُقَدَّمُ بِالْمَقَامِ
عَلِيٌّ هَزَمَ الْأَبْطَالَ لَمَّا	رَأَوْ فِي كَفِّهِ مَاحَ الْجِسَامِ
عَلَى آلِ النَّبِيِّ صَلَاةُ رَبِّي	صَلَاةً بِالْكَمَالِ وَبِالتَّمَامِ

فَلَمَّا انْشَاءَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ قَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ أَنْتَ أَصَدَقْتَهُمْ فَخَذَ هَذِهِ الْبَدْرَةَ. وَنَقَلَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي الْعِقْدِ الْفَرِيدِ فِي قِصَّةِ دَارِمِيَّةِ الْحُجُونِيَّةِ أَنَّ مَعَاوِيَةَ قَالَ لَهَا أَتَدْرِينَ لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ قَالَتْ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا هُوَ قَالَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِأَسْأَلَكَ عَلَى

أَحَبَّتْ عَلِيًّا وَابْغَضَتْنِي وَوَالِيَّتَهُ وَعَادِيَّتَنِي قَالَتْ لَهُ أَتَعْضِينِي قَالَ لَا، أَعْفِيكَ قَالَتْ
 أَمَا إِذَا ابْيَّتْ فَاتِي أَحَبِّتُ عَلِيًّا عَلَى عَدْلِهِ فِي الرَّعِيَّةِ، وَقِسْمَتِهِ بِالسُّوِيَّةِ، وَأَبْغُضُكَ
 عَلَى قِتَالِكَ مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْكَ بِالْأَمْرِ وَطَلَبِكَ مَا لَيْسَ لَكَ بِحَقِّ وَوَالِيَّتُ عَلِيًّا عَلَى
 مَا عَقَّدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ الْوَلَايَةِ وَعَلَى حُبِّهِ لِلْمَسَاكِينِ وَأَعْظَامِهِ لِأَهْلِ الدِّينِ
 وَعَادِيَّتِكَ عَلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ وَجُورِكَ فِي الْقَضَاءِ وَحُكْمِكَ بِالْهَوَى.

وَمِنَ الْكِتَابِ الْمَذْكُورِ: فِي وَفُودِ أَرُوي بِنْتِ الْحَرِثِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَلَى
 مَعَاوِيَةَ أَنَّهُ قَالَ لَهَا كَيْفَ كُنْتِ بَعْدَنَا فَقَالَتْ بِخَيْرٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ كَفَرَتْ
 النِّعْمَةُ وَأَسَأَتْ لَابْنِ عَمِّكَ الصُّحْبَةَ وَتَسَمَّيْتَ بِغَيْرِ اسْمِكَ وَأَخَذْتَ غَيْرَ حَقِّكَ
 مِنْ غَيْرِ دِينٍ كَانَ مِنْكَ وَلَا مِنْ آبَائِكَ وَلَا سَابِقَةَ لَكَ فِي الْأَسْلَامِ بَعْدَ إِنْ كَفَرْتُمْ
 بِرَسُولِ اللَّهِ فَاتَّعَسَ اللَّهُ عَنْكُمْ الْجُدُودَ وَأَصْعَرَ مِنْكُمْ الْخُدُودَ وَرَدَّ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ
 وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ وَكَانَتْ كَلِمَتُنَا هِيَ الْعُلْيَاءُ، وَنَبِيِّنَا هُوَ الْمَنْصُورُ فَوَلِّئْتُمْ عَلَيْنَا
 بَعْدُ فَاصْبِحْتُمْ تَحْتَجُّونَ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ بِقُرَابَتِكُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ
 أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَأَوْلَى بِهَذَا مِنْكُمْ وَكُنَّا فِيكُمْ بِمَنْزِلَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي آلِ فِرْعَوْنَ
 وَكَانَ عَلِيٌّ بَعْدَ نَبِيِّنَا ﷺ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى فَغَايَتُنَا الْجَنَّةُ وَغَايَتِكُمْ النَّارُ،
 انْتَهَى.

وَعَنْ كِتَابِ سَلِيمِ ابْنِ قَيْسِ الْهَلَالِيِّ عَنْ ابْنِ أَبِي عِيَاشٍ أَنَّهُ قَالَ دَعَا
 مَعَاوِيَةَ قِرَاءَ أَهْلِ الشَّامِ وَقَضَاتِهِمْ فَأَعْطَاهُمْ الْأَفْوَالَ وَبَثَّهْمُ فِي نَوَاحِي الشَّامِ
 وَمَدَايِنِهَا يَرُودُونَ الرِّوَايَاتِ الْكَاذِبَةَ وَيَضَعُونَ لَهُمُ الْأَصُولَ الْبَاطِلَةَ وَيَخْبِرُونَهُمْ
 بِأَنَّ عَلِيًّا قَتَلَ عُثْمَانَ وَيَتَّبِرَاءُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُو أَنْ مَعَاوِيَةَ يَطْلُبُ بَدْمَ عُثْمَانَ
 وَمَعَهُ ابْنُ ابْنِ عُثْمَانَ وَوُلْدُ عُثْمَانَ حَتَّى اسْتَمَالُوا أَهْلَ الشَّامِ وَاجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ
 وَلَمْ يَزَلْ مَعَاوِيَةَ عَلَى ذَلِكَ عِشْرِينَ سَنَةً ذَلِكَ عَمَلُهُ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ حَتَّى قَدَّمَ
 عَلَيْهِ طُغَاةَ أَهْلِ الشَّامِ وَأَعْوَانَ الْبَاطِلِ الْمُتَنَزِّلِينَ لَهُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ يُعْطِيهِمُ
 الْأَمْوَالَ وَيَقْطَعُهُمُ الْقَطَائِعَ حَتَّى نَشَأَ عَلَيْهِ الصُّغِيرُ وَهَرَمَ عَلَيْهِ الْكَبِيرُ وَهَاجَرَ
 عَلَيْهِ الْأَعْرَابِيُّ وَتَرَكَ أَهْلَ الشَّامِ لَعْنَ الشَّيْطَانِ وَقَالُوا لَعِينُوا عَلِيًّا قَاتِلَ عُثْمَانَ

فاستقر على ذلك جهلة الأمة واتباع ائمة الضلالة والدعاة الى النار فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وعن الكتاب المذكور قال كان لزياد ابن سمية كاتب يتشيع وكان لى صديقاً فأقرأني كتاباً كتبه معاوية الى زياد فى جواب كتابه:

اما بعد فانك كتبت الىّ تسألنى عن العرب من أكرم منهم ومن أهين ومن أقرب ومن أبعد ومن آمن منهم ومن احذر ومن أخيف وانا يا اخى أعلم الناس بالعرب أنظر الى هذا الحى من اليمى فأكرمهم فى العلانية وأهينهم فى السر فأتى كذلك أصنع بهم اكرمهم فى مجالسهم وأهينهم فى الخلاء انهم أسوء الناس عندى حالاً ويكون فضلك وعطائك لغيرهم سراً منهم.

وانظر الى ربيعة ابن نزار فأكرم امرائهم وأهين عامتهم، فان عامتهم تبع لأشرافهم وساداتهم. وانظر الى مضر فأضرب بعضهم ببعض فان فيهم غلظة وكبراً ونخوة شديدة فانك اذا فعلت ذلك وضربت بعضهم ببعض كفاك بعضهم بعضاً ولا ترض بالقول منهم دون الفعل ولا بالظن دون اليقين.

وانظر الى الموالى ومن اسلم من الأعاجم فخذهم بسنة عمر ابن الخطاب فان فى ذلك خزيهم وذلمهم ان ينكح العرب فيهم ولا ينكحونهم وان يرثوهم العرب ولا يرثونهم وان تقصر بهم فى عطائهم وأرزاقهم وان يقدموا فى المغازى يصلحون الطريق ويقطعون الشجر ولا يؤم احد منهم العرب فى صلوة ولا يتقدم احد منهم فى الصف الا اذا حضرت العرب الا ان يتم الصف ولا تول احداً منه ثغراً من ثغور المسلمين ولا مصراً من امصارهم ولا يلى احد منهم قضاء المسلمين ولا احكامهم فان هذه سنة عمر فيهم وسيرته جزاء الله عن امه محمد وعن بنى امية خاصة أفضل الجزاء فلعمري لولا ما منع هو وصاحبه وقوتهما وصلابتهما فى دين الله لكنا وجميع هذه الامه لبني هاشم الموالى ولتوارثو الخلافة واحداً بعد واحد كما يتوارث اهل كسرى وقيصرو ولكنه جل وعز اخرجها من بنى هاشم وصيرها الى بنى تيم ابن مرة

ثم خرجت الى عدى ابن كعب وليس في قريش حيان اذل منهما ولا اذل فاطمعنا فيها وكنا احق بها منهما ومن عقبهما لان فينا الثروة والعز ونحن اقرب الى رسول الله في الرحم منهما.

ثم نالها صاحبنا عثمان بشورى ورضاً من العامة بعد شورى ثلثة ايام من السنة ونالها قبله بغير شورى فلما قتل صاحبنا عثمان مظلوماً نلناها به لان من قتل مظلوماً فقد جعل الله لوليّه سلطاناً.

ولعمري يا اخي لولا كان عمر سن دية العبد نصف دية المولى لكان اقرب الى التقوى ولو وجدت السبيل الى ذلك ورجوت ان تقبله العامة لفعلت ولكنى قريب عهد بحرب فاتخوف فرقة الناس واختلافهم على وحسبك ما سنه عمر فيهم وهو خزي لهم وذل (وفى رواية يا اخي لو ان عمر سن دية المولى على النصف من دية العرب لكان اقرب للتقوى لما كان للعرب لفضل العرب فضلاً على العجم فاذا جاءك كتابى هذا فاذل العجم واهنيهم واقصهم ولا تستعين بأحد منهم ولا يقض لهم حاجة فوالله انك لابن ابى سفيان خرجت من صلبه وقد كنت حدثتني وانت عندى يا اخي صدوق انك قرأت كتاب الى الأشعري بالبصرة وكنت يؤمئذ كاتبه وهو عامل بالبصرة وانت اذل الناس عنده وانت يؤمئذ ذليل النفس تحسب انك مولى لثقيف ولو كنت تعلم يؤمئذ يقيناً كيقينك اليوم انك ابن ابى سفيان لأعظمت نفسك وأنفت ان يكون كاتباً لدعى الأشعريين وانت تعلم ونحن يقيناً ان اباسفيان كان يحدو حدو أمية ابن عبد شمس وحدثني ابن ابى المعيط انك اخبرته انك قرأت كتاب عمر الى ابى موسى الأشعري وبعث اليه بحبل طوله خمسة اشبار وقال له اعرض من قبلك من اهل البصرة فمن وجدت من المولى ومن أسلم من الأعاجم قد بلغ خمسة اشبار فقدمه فاضرب عنقه فشاورك ابو موسى فى ذلك فنهته وأمرته ان تراجع فراجعته وذهبت أنت بالكتاب الى عمرو انما صنعت ما صنعت تعصباً للمولى وانت يؤمئذ تحسب انك ابن عبد ثقيف فلم تزل تلتمس حتى

رَدَدْتَهُ عَنْ رَأْيِهِ وَخَوْفَتَهُ فُرْقَةَ النَّاسِ فَرَجَعَ وَقَلَّتْ لَهُ يَوْمئِذٍ وَقَدْ عَادَيْتَ أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ إِخْفَافًا أَنْ يَتُورُوا إِلَى عَلِيٍّ فَيَنْهَضَ بِهِمْ فَتَرَكَ الْكُلَّ فَكَفَّ عَنْ ذَلِكَ وَمَا أَعْلَمَ يَا إِخِيَّ وَوَلِدَ مَوْلُودٍ مِنْ أَبِي سَفِيَانَ أَعْظَمَ شَوْقًا إِلَيْهِمْ مِنْكَ حِينَ رَدَدْتَ عُمَرَ عَنْ رَأْيِهِ وَنَهَيْتَهُ عَنْهُ وَخَبَّرْتَنِي أَنَّ الَّذِي صَرَفْتَهُ بِهِ عَنْ رَأْيِهِ فِي قَتْلِهِمْ أَنْتَ كَمَا سَمِعْتَ عَلِيَّ ابْنَ أَبِيطَالِبٍ يَقُولُ لَتَضْرِبَنَّكُمْ الْأَعْجَمُ عَلَى هَذَا الَّذِينَ عَوَدُوا كَمَا ضَرَبْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ بَدَاءً وَقَالَ لِيَمْلَأَنَّ اللَّهُ أَيْدِيَكُمْ مِنَ الْأَعْجَمِ وَلِيُصِيرَنَّ أَسَدَ الْأَيْمَانِ يَفْرُونَ فَلِيَضْرِبَنَّ أَعْنَاقَكُمْ وَلِيَغْلِبَنَّكُمْ عَلَى فَيْئِكُمْ فَقَالَ لَكَ فَقَدْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنْ عَلِيٍّ يَرَوِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فَذَلِكَ الَّذِي دَعَانِي إِلَى الْكِتَابِ إِلَى صَاحِبِكَ فِي قَتْلِهِمْ وَقَدْ كُنْتُ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَكْتُبَ إِلَى عُمَالِي فِي سَائِرِ الْأَمْصَارِ فَقُلْتُ لِعُمَرَ لَا تَفْعَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي لَسْتُ أَمِنُ أَنْ يَدْعُوهُمْ عَلِيٌّ إِلَى نُصْرَتِهِ وَهُمْ كَثِيرٌ وَقَدْ عَلِمْتَ شُجَاعَةَ عَلِيٍّ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَعِدَاوَتَهُ لَكَ وَلِصَاحِبِكَ فَزِدَدْتَهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَخْبَرْتَنِي أَنْتَ لَمْ تَرُدَّهُ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا عَصِيْبِيَّتَهُ وَأَنْتَ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ رَأْيِهِ جُبْنًا، وَحَدَّثْتَنِي أَنْتَ ذَكَرْتَ ذَلِكَ لِعَلِيٍّ فِي أَمَارَةِ عُثْمَانَ فَأَخْبَرَكَ أَنَّ أَصْحَابَ الرِّيَاضِ السُّودِ. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى وَخَبَّرْتَنِي أَنْتَ سَمِعْتَ عَلِيًّا فِي أَمَارَةِ عُثْمَانَ يَقُولُ أَنَّ أَصْحَابَ الرِّيَاضِ السُّودِ الَّتِي تُقْبَلُ مِنْ خِرَاسَانَ هُمْ الْأَعْجَمُ وَأَنْتُمْ الَّذِينَ يَغْلِبُونَ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى مَلِكِهِمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ فَلَوْ كُنْتُ يَا إِخِيَّ لَمْ تَرُدَّ عُمَرَ مِنْ ذَلِكَ لَجَرَّتْ سُنَّتُهُ وَأَسْتَصَلِّهِمُ اللَّهُ وَقَطَعَ أَصْلَهُمْ وَإِذَا لَتَأَسَّتْ بِهِ الْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ شَعْرٌ وَلَا ظَفْرٌ وَلَا نَافِخُ نَارٍ فَإِنَّهُمْ آفَةُ الدِّينِ فَمَا أَكْثَرَ مَا قَدْ سَنَّ عُمَرُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بِخِلَافِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ فَتَابِعَهُ النَّاسُ عَلَيْهَا وَأَخَذُوا بِهَا فَيَكُونُ هَذِهِ مِثْلَ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ.

فَمِنْهُنَّ تَحْوِيلُهُ الْمَقَامَ عَنِ الْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعَهُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ وَصَاعَ رَسُولِ اللَّهِ وَمُدَّةَ حِينٍ غَيْرِهِ وَزَادَ فِيهِ، وَنَهْيَهُ الْجُنُبَ مِنَ الثِّمَمِ وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةً شَتَّى أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ بَابٍ أَعْظَمَهَا وَأَحَبَّهَا إِلَيْنَا وَأَقْرَبَهَا لِأَعْيُنِنَا زَيْلَةَ الْخِلَافَةِ عَنْ بَنِي هَاشِمٍ وَعَنْ أَهْلِهَا وَمَعْدِنَهَا لِأَنَّهَا لَا تَصْلِحُ إِلَّا لَهُمْ، وَلَا تَصْلِحُ الْأَرْضُ إِلَّا بِهِمْ فَإِذَا قُرِئَتْ

كتابى هذا فاكتبتم ما فيه وميزقه.

فلما قرء زياد الكتاب ضرب به الأرض ثم أقبل إلى فقال ويلى مما خرجت
وفيما دخلت كنت من شيعة آل محمد فدخلت فى شيعة آل الشيطان وحزبه
وفى شيعته من يكتب مثل هذا الكتاب انما والله مثلى كمثل ابليس أبى أن
يسجد لآدم كبراً وكفراً وحسداً.

قال سليم فلم أمس حتى نسخت كتابه فلما كان الليل دعا بالكتاب فمزرقه
وقال لا يطلعن أحد من الناس على ما فى هذا الكتاب ولم يعلم فى نسخته
انتهى، بحار الانوار ج ٨ ص ٥٨١ كمپانى.

اذا عرفت ما ذكرناه مع انه كالقطرة من البحر فى شناعات معاوية وقبائح
افعاله واعماله واقواله لدرى ان هذا اللعين المطرود مع كونه عالماً بمقامات
على ﷺ وانه أولى بالخلافة بعد الرسول من كل احد، حاربه ونازعه فى حقه
المسلم ثم بعد غصبه الخلافة فعل فى الاسلام والمسلمين ما فعل من قتل
النفوس بغير الحق واعانة المنكرات وامانة المعروف وامثال ذلك مما يطول
الكلام بذكره والى ذلك اشار ﷺ فى كلامه حيث قال ولقد ضربت أنف هذا
الأمر وعينه وقلبت ظهره وبطنه فلم أرفيه الا القتال او الكفر بما جاء محمد
ﷺ وذلك لان امره ﷺ كان يدور بين الأخذ بالحق والأخذ بالباطل ولا ثالث
فى المقام فان كل الأعمال والأفعال والأقوال لاتخلو عن هذين الأمرين:
احدهما: الحق.

وثانيهما: الباطل.

فالحق هو الله تعالى ومتابعته والباطل هو الشيطان وموافقته وحيث ان
القضية منفضلة حقيقية مانعة الجمع ومانعة الخلو فلا محالة الأخذ باحدهما
يستلزم ترك الآخر فان كان العمل حقاً فليس بباطل وان كان باطلاً فليس بحق
ولما كان معاوية واصحابه واشياعه من اتباع الشيطان واعداء الرحمن فلا
محالة ترك القتال معه يلزم الكفر بما جاء محمد ﷺ من عند الله اعنى الحق

لعدم الوساطة ولا شك ان علياً عليه السلام كان من أعلى مظاهر الحق بعد الرسول فلا يمكن له عليه السلام ترك القتال للباطل الذي يلزم منه الرضا بفعل الظالم والمساعدة عليه وقد قال عليه السلام مَنْ رَضِيَ بِفِعْلِ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ مضافاً الى كونه عليه السلام مأموراً من قبل الله ورسوله بالقتال مع القاسطين والناكثين والمارقين، والقاسطين هم اصحاب صفتين اعنى معاوية واشياعه فترك المحاربة معه يوجب مخالفة الله ورسوله وكلا الوجهين مُحْتَمَلٌ والحمد لله رب العالمين.

□ قوله عليه السلام: إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى الْأُمَّةِ وَالِ أَحَدَثَ أَحْدَاثًا وَأَوْجَدَ لِلنَّاسِ مَقَالًا فَقَالُوا ثُمَّ نَقَمُوا فَعَيَّرُوا...

الضمير للشأن والمقصود من هذا الوالى هو عثمان ابن عفان فإنه احدث فى الدين أحداثاً والحديث بالتحريك على ما فسره فى النهاية الأمر الحادث المنكر الذى ليس بمعتاد ولا معروف فى السنة وعثمان قد احدث فى خلافته أحداثاً كثيرة كما ان ابا بكر وعمر ايضاً كانا كذلك وعثمان قلدهما فيها ونحن قد اشرنا الى شطر من أحداثهم فى شرح الخطبة الشقشقية فلا نعيد الكلام بذكرها فى المقام، والمراد بالمقال طعن الناس على عثمان فى المشهد والمغيب حتى قتلوه، ونقموا، اى عتبوا عليه وقد طعنوا عليه فى وجهه وحصبوه على المنبر حتى خر مغشياً عليه، وغرضه عليه السلام من هذا الكلام تبرؤ نفسه عن دم عثمان ووجه المناسبة لذكر هذا الكلام فى هذا المقام مع ان الكلام فى هذه الخطبة فى قتاله عليه السلام لمعاوية وأنه يستحق به لكفره وعناده دون عثمان لخروجه فعلاً عن مورد البحث، هو ان معاوية لعنه الله جعل اتهامه عليه السلام بدم عثمان وسيلة الى عصيانه وبعث قوماً لينتسروا ذلك فى اهل الشام فبايعوه على العصيان وردوا جرير ابن عبد الله مقرين على الخلاف.

فكانه قال عليه السلام ان عثمان انما قتله عمله فى الناس حيث انه احدث أحداثاً ولا ذنب لى ومعاوية ايضاً كان يعلم به الا انه تشبث بدم عثمان وأتهم علياً به لكونه وسيلة الى الوصول لما اشتهاه وذريعة للبلوغ الى آماله واغراضه كما مر.

﴿ وَمِنْ كَلَامِ لَهُ ﴾ (٤٤)

□ قال عليه السلام: قَبَّحَ اللَّهُ مَصْقَلَةَ فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ، فَمَا أَنْطَقَ مَا دِحَهُ حَتَّى أَسْكَنَهُ، وَلَا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَتَهُ، وَلَا أَقَامَ لِأَخْذِنَا مَيْسُورَهُ، وَأَنْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وَفُورَهُ...

◀ المعنى

قالوا لما هَرَبَ مَصْقَلَةُ ابْنُ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِي إِلَى مُعَاوِيَةَ وَكَانَ سَبَبَ هَرَبِهِ أَنَّهُ قَدْ اتَّبَعَ سَبِيَّ بَنِي نَاجِيَةَ مِنْ مَعْقِلِ ابْنِ قَيْسِ الرِّيَّاحِيِّ عَامِلِ عَلِيِّ عليه السلام وَاعْتَقَهُمْ فَلَمَّا طَالَبَهُ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِالْمَالِ خَاسٍ بِهِ وَعَدَّرَ وَهَرَبَ إِلَى الشَّامِ فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا فَقَالَ (قَبَّحَ اللَّهُ) دَعَاءٌ عَلَيْهِ (مَصْقَلَةَ) أَي نَحَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْخَيْرِ (فَعَلَ) أَي مَصْقَلَةَ (فِعْلَ السَّادَةِ) أَي فَعَلَ فِعْلَ الْأَشْرَافِ وَالْأَحْرَارِ حَيْثُ اشْتَرَى الْقَوْمَ وَاعْتَقَهُمْ. (وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ) وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفِرَارَ لَيْسَ مِنْ شُؤْنِ الْأَحْرَارِ بَلْ هُوَ دَأْبُ الْعَبْدِ وَدَيْدِنِهِ. (فَمَا أَنْطَقَ مَا دِحَهُ) عَلَى فِدَاءِ الْأَسْرَى (حَتَّى أَسْكَنَهُ) عَنِ الْمَدْحِ لَضَرَارِهِ وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ فَعَلَ فِعْلَيْنِ مُتَنَافِيَيْنِ يَسْتَحِقُّ بِأَحَدِهِمَا الْمَدْحَ وَهُوَ اشْتِرَاؤُهُ الْقَوْمَ وَاعْتَاقَهُمْ وَبِالْآخِرِ الذَّمُّ وَهُوَ فِرَارُهُ كَالْعَبِيدِ فَإِذَا أَرَادَ الْمَادِحُ عَلَى مَدْحِهِ عَلَى الْأَوَّلِ يَذُمَّهُ عَلَى الثَّانِي. (وَلَا صَدَّقَ وَاصِفَهُ) عَلَى إِعْتَاقِهِ الْقَوْمَ (حَتَّى بَكَتَهُ) وَوَبَّخَهُ عَلَى فِرَارِهِ. (وَلَوْ أَقَامَ) مَصْقَلَةَ وَلَمْ يَهْرَبْ (لَأَخْذْنَا) مِنْهُ أَي مِنْ مَصْقَلَةَ (مَيْسُورَهُ) أَي أَخْذْنَا مِنْهُ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ (وَأَنْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وَفُورَهُ).

اعلم ان هذه الخطبة انما صدرت منه ﷺ في مصقلة لما هرب الى معاوية وكان قد اتبع بني ناحية من عامل امير المؤمنين معقل ابن قيس الرياحي فلا بد لنا اولاً من ذكر نسب بني ناحية ومصقلة ثم تتبعه بشرح كلماتها فنقول:
اما بني ناحية فانهم على ما قيل ينسبون انفسهم الى سامة ابن لوى ابن غالب ابن فهر ابن مالك ابن النضر ابن كنانة ابن خزيمة ابن مدركة ابن الياس ابن مضر ابن نزار ابن معد ابن عدنان.

واما قريش فلا تقرّون بهذا النسب وتدفعهم عنه ويسمّونهم بني ناحية وهي أمّهم وهي امرئة سامة ابن لوى ابن غالب ويقولون ان سامة خرج الى ناحية البحرين مغاضباً لأخيه كعب ابن لوى في مماطة كانت بينهما وقد اطال الكلام في هذا المقام الشارح المعتزلي بما لا مزيد عليه من اراد التفصيل فليراجع الى شرحه لهذا الكلام.

واما مصقله فهو مصقلة ابن هبيرة ابن شبل ابن يثري ابن امرء القيس ابن ربيعة ابن مالك ابن ثعلبة ابن شيبان ابن ثعلبة ابن عكابة ابن صعب ابن علي ابن بكر ابن وائل ابن قاسط ابن هنب ابن اقصى ابن وعى ابن جديلة ابن اسد ابن ربيعة ابن نزار ابن معد ابن عدنان، كذا ذكرما الشارح المعتزلي نقلاً عن جمهرة النسب.

واما قصة بني ناجية على ما نقلها المعتزلي ايضاً في شرحه هي انه لما بايع اهل البصرة علياً بعد الهزيمة دخلوا الطاعة غير بني ناجية فانهم عسكروا فبعث اليهم عليّ ﷺ رجلاً من اصحابه في خيل ليقاتلهم فاتاهم وقال لهم ما بالكم عسكركم قد دخل الناس في الطاعة غيركم فافترقوا ثلاث فرق فرقة منهم قالوا انا كنا نصارى فأسلمنا ودخلنا فيما دخل الناس فيه من الفتنة ونحن نبايع كما بايع الناس.

وفرقة، قالوا كنا نصارى فلم نسلم وخرجننا مع القوم الذين كانوا خرجوا

أَقَهَرُونَا وَأَخْرَجُونَا كُرْهًا فَخَرَجْنَا مَعَهُمْ فَهَزَمُوا فَنَحْنُ نَدْخُلُ فِيْمَا دَخَلَ النَّاسُ فِيهِ وَنُعْطِيكُمْ الْجِزْيَةَ كَمَا أَعْطَيْنَاهُمْ فَقَالَ اعْتَزَلُوا وَاعْتَزَلُوا.

وَفِرْقَةٌ، قَالُوا كُنَّا نَصَارَى فَأَسْلَمْنَا فَلَمْ يُعْجِبْنَا الْإِسْلَامَ فَرَجَعْنَا إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ فَنَحْنُ نُعْطِيكُمْ الْجِزْيَةَ كَمَا أَعْطَاكُمْ النَّصَارَى فَقَالَ لَهُمْ تَوْبُوا وَارْجِعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَبَوْا فَقَتَلَ مَقَاتِلَهُمْ وَسَبَى ذُرَارِيَهُمْ فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَيَّ عَلَى هَذَا.

وَقَدْ رَوَى أَنَّ الْخُرَيْتَ ابْنَ الرَّاشِدِ النَّاجِيَّ أَحَدَ بَنِي نَاجِيَّةٍ قَدْ شَهِدَ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَفَيْنَ فَبَجَاءَ إِلَى عَلِيٍّ بَعْدَ انْقِضَاءِ صِفَيْنَ وَبَعْدَ تَحْكِيمِ الْحَكَمِينَ فِي ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ يَمْشِي بَيْنَهُمْ حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ لَا أُطِيعُ أَمْرَكَ وَلَا أُصَلِّيُ خَلْفَكَ وَإِنِّي الْمَفَارِقُ لَكَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ إِذَا تَنَقَّضَ عَهْدُكَ وَتَعْصَى رَبُّكَ وَتَضُرُّ نَفْسَكَ أَخْبَرَنِي لِمَ تَفْعَلُ ذَلِكَ قَالَ لِأَنَّكَ حَكَمْتَ فِي الْكِتَابِ وَضَعْتَهُ عَنِ الْحَقِّ إِذْ جَدَّ الْجَدُّ وَرَكِبْتَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَنَا عَلَيْكَ رَاذٌ وَعَلَيْهِمْ نَاقِمٌ وَلَكُمْ جَمِيعاً مَبَائِنُ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَحْكُ هَلُمَّ إِلَيَّ أَدْرَأْسُكَ وَأَنَا تُنْظَرُكَ فِي السُّنَنِ، وَأَنَا تَجَحُّ أُمُورٌ مِنَ الْحَقِّ أَنَا أَعْلَمُ بِهَا مِنْكَ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ وَتَعْرِفُ مَا أَنْتَ الْآنَ لَهُ مُنْكَرٌ وَتُبْصِرُ مَا أَنْتَ الْآنَ عَنْهُ وَبِهِ جَاهِلٌ فَقَالَ الْخُرَيْتُ فَاِنِّي غَادَ عَلَيْكَ غَدًا فَقَالَ عَلِيٌّ أَغْدُ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ وَلَا يَتَّفَحَمَنَّ بِكَ رَأْيَ السَّوِّءِ وَلَا يَسْتَخَفَنَّكَ الْجُهْلَاءُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ فَوَاللَّهِ إِنْ اسْتَرَشَدْتَنِي وَاسْتَنْصَحْتَنِي وَقَبِلْتَ مِنْكَ لِأَهْدِيكَ سَبِيلَ الرَّشَادِ.

فَخَرَجَ الْخُرَيْتُ مِنْ عِنْدِهِ مَنْصَرَفًا إِلَى أَهْلِهِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ مُعِينٍ فَعَجَلْتُ فِي آثَرِهِ مُسْرِعًا وَكَانَ لِي مِنْ بَنِي عَمِّهِ صَدِيقٌ فَارْدَتْ أَنْ أَلْقَى ابْنَ عَمِّهِ فِي ذَلِكَ فَأَعْلِمَهُ بِمَا كَانَ مِنْ قَوْلِهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَمْرَ ابْنِ عَمِّهِ أَنْ يَسْتَدَّ بِلِسَانِهِ عَلَيْهِ وَإِنْ يَأْمُرَهُ بِطَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنَاصِحَتِهِ وَنُخْبِرُهُ أَنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا وَأَجَلِ الْآخِرَةِ.

قَالَ فَخَرَجْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مَنْزِلِهِ وَقَدْ سَبَقْتِي وَقَعْتُ عِنْدَ بَابِ دَارِهِ فِيهَا رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ لَمْ يَكُونُوا شَهِدُوا مَعَهُ دُخُولَهُ عَلَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاللَّهِ

مَارَجِعْ وَلَا نَدِمْ عَلَى مَا قَالَ لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا رَدَّ عَلَيْهِ وَلَكِنَّهُ قَالَ لَهُمْ هُوَ لَاءِ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنَّ أَفَارِقَ هَذَا الرَّجُلَ وَقَدْ فَارَقْتَهُ عَلَى أَنَّ ارْجِعْ إِلَيْهِ مِنْ غَدٍ وَلَا أَرَى الْمَفَارِقَةَ فَقَالَ لَهُ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ لَا تَفْعَلْ حَتَّى تَأْتِيَهُ فَإِنَّكَ بِأَمْرٍ قَبِلْتَ مِنْهُ وَإِنْ كَانَتْ الْآخِرَى فَمَا أَقْدِرُكَ عَلَى فِرَاقِهِ قَالَ لَهُمْ نَعَمْ مَا رَأَيْتُمْ قَالَ فَاسْتَأْذَنْتُمْ عَلَيْهِمْ فَأَذْنُوا إِلَيَّ فَأَقْبَلْتُ عَلَى ابْنِ عَمِّهِ وَهُوَ مُدْرِكُ ابْنِ الرِّيَّانِ النَّاجِي وَكَانَ مِنْ كِبَرَاءِ الْعَرَبِ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ حَقًّا لِأِحْسَانِكَ وَوُدِّكَ وَحَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنَّ ابْنَ عَمِّكَ كَانَ مِنْهُ مَا قَدْ ذَكَرْتُ لَكَ فَأَخْلُ بِهَ فَأُرِودُ عَلَيْهِ رَأْيَهُ وَعَظَمَ عَلَيْهِ مَا أَتَى وَأَعْلَمَ أَنِّي خَائِفٌ أَنْ فَارِقَ امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلَكَ وَنَفْسَهُ وَعَشِيرَتَهُ فَقَالَ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ أَخِي أَنْ أَرَادَ فِرَاقَ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ هَلَاكِهِ وَإِنْ اخْتَارَ مَنَاصِحَتَهُ وَالْأَقَامَةَ مَعَهُ فِي ذَلِكَ حَظَّهُ وَرُشْدَهُ قَالَ فَارْدَتْ الرَّجُوعَ إِلَى عَلِيٍّ لِإِعْلَمِهِ الَّذِي كَانَ ثُمَّ اطمَأْنَنْتُ إِلَى قَوْلِ صَاحِبِي فَرَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي فَبِتُّ ثُمَّ اصْبَحْتُ فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ أَتَيْتُ امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَجَلَسْتُ عِنْدَهُ سَاعَةً وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَهُ بِالَّذِي كَانَ عَلَيَّ خَلْوَةً فَاطْلُتُ الْجُلُوسَ وَلَا يَزِدَادُ النَّاسَ إِلَّا كَثْرَةً فَدَنُوتُ مِنْهُ فَجَلَسَ وَرَأَيْتُهُ فَاصْغَى إِلَيَّ بِرَأْيِهِ فَاخْبَرْتَهُ بِمَا سَمِعْتُهُ مِنَ الْخَرِيَّتِ وَمَا قُلْتُ لِابْنِ عَمِّهِ وَمَا رَدَّ عَلَيَّ.

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: دَعَهُ فَإِنَّ قَبْلَ الْحَقِّ وَرَجَعَ عَرَفْنَا لَهُ ذَلِكَ وَقَبْلَنَا مِنْهُ فَقُلْتُ يَا امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلِمَ لَا تَأْخُذُهُ الْآنَ فَتَسْتَوْثِقَ مِنْهُ.

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَا لَوْ فَعَلْنَا هَذَا بِكُلِّ مَنْ يُتَّهَمُ مِنَ النَّاسِ مَلَائِنَا السُّجُونِ مِنْهُمْ وَلَا أَرَانِي يَسْنَعُنِي الْوَثُوبُ بِالنَّاسِ وَالْحَبُولُ هُمْ وَعُقُوبَتُهُمْ حَتَّى يُظْهِرُوا إِلَيَّ الْخِلَافَ قَالَ فَسَكَّتْ عَنْهُ وَتَنَحَّيْتُ وَجَلَسْتُ مَعَ أَصْحَابِهِ هُنَيْئَتَهُ.

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِي أَدُنُّ مِنِّي فَدَنُوتُ فَقَالَ لِي إِذْ هَبْ إِلَى مَنْزِلِ الرَّجُلِ فَاعْلَمْ مَا فَعَلَ فَإِنَّهُ قَلَّ يَوْمٌ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينِي فِيهِ قَبْلَ هَذِهِ السَّاعَةِ فَاتَيْتُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَإِذَا لَيْسَ فِي مَنْزِلِهِ مِنْهُمْ دِيَارٌ فَدَرْتُ عَلَى أَبْوَابِ دُورٍ آخَرَ كَانَ فِيهَا طَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَإِذَا لَيْسَ فِيهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ فَأَقْبَلْتُ إِلَى امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لِي حِينَ

رَأَى اقْطَنُوا فاقاموا آم جَنُبُوا فَظَعَنُوا قَل لَابِل ظَعَنُوا فَقَالَ ﷺ اِبْعَدَهُم اللهُ كَمَا بَعُدَتْ ثَمُودَ اَمَّا وَاللهُ لَوْ اَشْرَعْتُ لَهُمُ الْاَسِنَّةَ وَصَبْتُ عَلَى هَامِهِمُ السُّيُوفَ لَقَدْ نَدَمُوا اِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ اسْتَهْوَاهُمْ وَاَضَلَّهُمْ وَهُوَ غَدًا مُتَبَرِّءٌ مِنْهُمْ وَفَحَلَّ عَنْهُمْ.

فَقَامَ اِلَيْهِ زِيَادُ ابْنِ حَفْصَةَ فَقَالَ يَا امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اِنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ مُضْرَّةِ هَؤُلَاءِ الْاَفْرَاقِهِمْ اَيُّنَا لَمْ يَعْظُمَ فَقَدَهُمْ عَلَيْنَا فَانْتَهَمَ قَلَّ مَا يَزِيدُونَ فِي عِدْدِنَا لَوْ اَقَامُوا مَعَنَا وَقَلَّ مَا يَنْقُصُونَ مِنْ عِدْدِنَا بِخُرُوجِهِمْ مِنَّا وَلَكِنَّا نَخَافُ اِنْ عَلَيْنَا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِمَّنْ يَقْدُمُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ اَهْلِ طَاعَتِكَ فَاذْنِ لِي فِي اتِّبَاعِهِمْ حَتَّى ارُدَّهُمْ عَلَيْكَ اِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

فَقَالَ ﷺ: لَهُ فَاخْرُجْ فِي اَثَارِهِمْ رَاشِدًا فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَخْرُجَ قَالَ لَهُ وَهَلْ تَدْرِي اَيْنَ تَوَجَّهَ الْقَوْمُ قَالَ لَا وَاللهِ وَلَكِنِّي اَخْرُجُ وَاسْأَلُ وَاتَّبِعُ الْاَثَرَ فَقَالَ اَخْرُجْ رَحِمَكَ اللهُ حَتَّى تَنْزِلَ دَيْرَ اَبِي مُوسَى ثُمَّ لَا تَبْرَحْهُ حَتَّى يَأْتِيَكَ اَمْرِي فَانْتَهَمَ اِنْ كَانُوا خَرَجُوا ظَاهِرِينَ بَارِزِينَ لِلنَّاسِ فِي جَمَاعَةٍ فَاَنْ عَمَّالِي سَتَكْتُبُ اِلَيْكَ بِذَلِكَ وَاِنْ كَانُوا مُتَفَرِّقِينَ مُسْتَخْفِينَ فَذَلِكَ اَخْفَى لَهُمْ، وَسَاكْتُبُ اِلَيْكَ مِنْ حَوْلِي مِنْ عَمَّالِي فِيهِمْ فَكْتُبْ نُسْخَةً وَاحِدَةً وَاخْرُجْهَا اِلَى الْعَمَّالِ وَهِيَ هَذِهِ.

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيِّ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اِلَى مَنْ قَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابِي هَذَا مِنَ الْعَمَّالِ اَمَّا بَعْدُ فَاِنَّ رِجَالًا لَنَا عِنْدَهُمْ تَبِعَةٌ خَرَجُوا نَحْوَ بِلَادِ الْبَصْرَةِ فَسَتَلُّ عَنْهُمْ اَهْلَ بِلَادِكَ وَاجْعَلْ عَلَيْهِمُ الْعِيُونَ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ اَرْضِكَ ثُمَّ اَكْتُبْ اِلَيْكَ بِمَا يَنْتَهِي اِلَيْكَ عَنْهُمْ فَخَرَجَ زِيَادُ ابْنِ حَفْصَةَ حَتَّى اَتَى دَارَهُ وَجَمَعَ اصْحَابَهُ فَحَمَدَ اللهُ وَاتْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ بَكْرِ ابْنِ وَاِبِلِ اِنَّ امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَدَبَنِي لِأَمْرٍ مِنْ أَمْرِهِ مُهِمٌّ لِي وَأَمْرَنِي بِالْأَنْكِمَاشِ فِيهِ بِالْعَشِيرَةِ حَتَّى اَتَى أَمْرَهُ وَاَنْتُمْ شِيعَتُهُ وَاَنْصَارُهُ وَأَوْثَقُ حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي نَفْسِهِ فَانْتَدَبُوا مَعِيَ السَّاعَةَ وَعَجَّلُوا فَوَاللهِ مَا كَانَ إِلَّا سَاعَةً حَتَّى اجْتَمَعَ اِلَيْهِ مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ رِجَالًا فَقَالَ اِكْتَفِينَا فَخَرَجَ حَتَّى قَطَعَ الْجِسْرَ وَاتَى دَيْرَ اَبِي مُوسَى فَنَزَلَهُ فاقام بقية يوم ذلك ينتظر امير المؤمنين (اي امره).

ثُمَّ جَاءَ كِتَابٌ مِنْ قُرْظَةَ ابْنِ كَعْبِ ابْنِ عَمْرٍو الْاَنْصَارِيِّ اِلَى امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

عليه السلام أخبره فيه أن خيلاً مرّت من قِبَلِ الكوفة مُتوجّهة وإن رجلاً من دهاقين أسفل الفُرات قد أسلمَ وصلىَ يقال له زادن فروخ اقبل من عند اخواله فلَقوه فقالوا له أمسلم أنت ام كافر قال بل مسلم قالوا فما تقول في علي قال اقول فيه خيراً اقول أنه امير المؤمنين وسيد البشر ووصى رسول الله فقالوا كفرت يا عدو الله ثم حملت عليه عصابة منهم فقطعوه بأسيا ففهم واخذوا معه رجلاً من اهل الذمة يهودياً فقالوا له ما دينك فقال يهودي قالوا خلوا سبيل هذا لاسبيل عليه فأقبل أيضاً ذلك الذمي فاخبرنا الخبر وقد سئلت عنهم فلم يخبرني أحد عنهم بشيء فليكتب الي امير المؤمنين برأيه انشاء الله.

فكتب اليه امير المؤمنين عليه السلام اما بعد فقد فهمت ما ذكرت من امر العصابة التي مرّت بعملك فقتلت البر المسلم وآمن عندهم المخالف المشرك وإن اولئك قوم استهواهم الشيطان فضلوا كالذين حسبوا الا يكون فتنة فعموا وضمو فأسمع بهم وأبصر يوم يحشر اعمالهم فالزم عمك واقبل على خراجك فانك كما ذكرت في طاعتك ونصيحتك والسلام.

ثم كتب عليه السلام الى زياد ابن حفصة مع عبد الله ابن وال التميمي وفيه اذا بلغك كتابي هذا فاتبع آثارهم فانهم قد قتلوا رجلاً من اهل السواد مسلماً مُصلياً فاذا انت لحيقت بهم فارددهم الي فان ابو فنا جزهم واستعن بالله عليهم فانهم قد فارقوا الحق وسفكوا الدم الحرام واخافوا السبيل والسلام.

فلما وصل الكتاب الى زياد اتى الموضع الذي كانوا فيه فقبل له أخذوا نحو المدائن فيلحقهم وهم قد اقاموا بها يوماً وليلة وقد استراحوا وعلقوا خيولهم ففهم جامون مريحون فلما راو زياد او اصحابه وثبوا على خيولهم فاستووا عليها ونادى الخريت يا عميان القلوب والأبصارا مع الله وكتابه أنتم ام مع القوم الظالمين فقال له زياد ابن حفصة بل مع الله وكتابه وسنة رسوله. فقال الخريت فأخبرونا ما تريدون فقال زياد وكان مجرياً رقيقاً قد ترى ما بنامن النصب واللغوب والذي جئنا له لا يصلح فيه الكلام علانية على رؤس اصحابك

ولكن تنزلون وتنزل ثم نخلوا جميعاً فنذاكر أمرنا وننظر فيه، فان رأيت فيما
 جئنا له حظاً لنفسك قبلته وان رأيت فيما أسمع منك امرأ أرجو فيه العافية لنا
 ولك لم أردّه عليك فقال الخريّبت إنزل فنزل فاقبل الينا زايد وقال انزلو على
 هذا الماء فأقبلنا حتى انتهينا الى الماء فنزلنا به فتفرقنا، وتخلقنا عشرة وتسعة
 وثمانية وسبعة تضع كل حلقة طعامها بين أيديها فنأكل ثم نقوم الى الماء
 فنشرب وقال لنا زياد علّقوا على خيولكم فعلقنا عليها فحاليها ووقف زياد في
 خمسة فوارس، احدهم عبد الله ابن وال بيننا وبين القوم واقبل زياد الى
 اصحابه فلما رأى تفرقهم وتخلقهم قال سبحان الله انتم اصحاب حرب والله
 لو ان هؤلاء جاؤكم الساعة على هذه الحالة ما ارادوا من غرتكم افضل من
 عملكم التي انتم عليها عجلوا قوقوا الى خيولكم فاسرعنا فمنا من يتوضاء ومنا
 من يشرب ومنا من يسقى فرسه حتى اذا فرغنا من ذلك آتينا زياداً وان في يده
 لعرقاً ينهسه فننهى منه نهيتن او ثلاثة ثم اتى بادواة فيها ماء فشرب ثم القى
 العرق من يده وقال يا هؤلاء انا قد لقينا العدو وان القوم لفي عدتكم وساق
 الحديث الى ان قال:

فدعا زياد صاحبهم الخريّبت وقال له اعتزل ننظر في أمرنا فاقبل اليه في
 خمسة نفر قال فقلت لزياد ادعوا لك ثلاثة نفر من اصحابنا حتى نلقاهم في
 عددهم فقال ادع من احببت فدعوت له ثلاثة فكنا خمسة وهم خمسة.

فقال له زياد ما الذي نقيمت على امير المؤمنين وعلينا حتى فارقتنا فقال لم
 أرض بسيرتكم سيرة فرأيت ان اعتزل واكون مع من يدعوا الى الشورى بين
 الناس فاذا اجتمع الناس على رجل هو لجميع الأمة رضا كنت مع الناس فقال
 زياد ويحك وهل يجتمع الناس على رجل يداني علياً عالماً بالله وبكتابه وسنة
 رسوله مع قرابته وسابقته في الاسلام فقال الخريّبت هو ما اقول لك فقال زياد
 فبم قتلتم الرجل المسلم، فقال الخريّبت ما انا قتلته قتلته طائفة من اصحابي قال
 فادفعهم الينا قال ما الى ذلك من سبيل قال او هكذا انت قائل قال هو ما تسمع

قال الراوى فدعونا اصحابنا ودعى الخريّيت اصحابه ثم اقتلنا، فوالله ما رأيت قتالاً مثله منذ خلقتنى الله تطاعنا بالرّماح حتى لم يبق فى ايدينا رُمح، ثم اضطررنا بالسُّيوف حتى انخمت وعقرت عامّة خيلنا وخلهم وكثرت الجراح فيما بيننا وبينهم وقد والله كرهونا وكرهناهم وقد خرج زياد وجرحت ثم انا بنافى جانبٍ وتنحوا فمكثوا ساعة من اللّيل مضوا وذهبوا واصبحنا ووجدناهم قد ذهبوا فوالله ما كرهنّا ذلك فمضينا حتى اتينا البصرة وبلغنا انهم اتوا لأهواز فنزلوا فى جانبٍ منها وتلاحق بهم ناس من اصحابهم نحو مائين كانوا معهم بالكوفة لم يكن لهم من القوّة اينهضون معهم حين نهضوا فاتبعوهم من بعد لحوقهم بالأهواز فاقاموا معهم ثم قال الراوى:

وكتب زياد الى علىّ بالقصة وانهم ذهبوا الى الأهواز ونحن بالبصرة نداوى جراحنا ومنتظر أمرك فلما اتاه الكتاب قرأه علىّ الناس فقام اليه معقل ابن قيس الرّياحى وقال يا امير المؤمنين انما ينبغى ان يكون مكان كلّ رجل من هؤلاء الذين بعثتهم فى طلبهم عشرة من المسلمين فقال عليه السلام تجهز يا معقل اليهم من الكوفة وندب معه الفين منهم فيهم يزيد ابن المعقل وكتب عليه السلام الى عبدالله ابن العباس اما بعد فابعث رجلاً من قبلك صليبا شجاعاً معروفاً بالصلاح فى الفى رجلٍ من اهل البصرة فليتب معقل ابن قيس فاذا خرج من البصرة فهو امير اصحابه حتى يلقى معقلاً فاذا لقيه فمعقل امير الفريقين فليسمع منه وليطعه ولا يخالفه ومُر بزياد ابن حفصة فليقبل اليها فنعم المرء زياد ونعم القبيل قبيله. ثم كتب عليه السلام: كتابا الى زياد يأمره فيه بالقدوم عليه مع اصحابه مأجورين.

قال: وترك النّاجى جانبا من الأهواز واجتمع عليه علوج كثيرٍ من اهلها ممن اراد كسر الخراج ومن اللصوص وطائفة أخرى من الأعراب ترى رأيه.

قال عبدالله ابن مُعين كنت انا واخى كعب ابن مُعين فى ذلك الجيش مع معقل ابن قيس فلما اراد الخروج اتى امير المؤمنين يُودّعه فقال عليه السلام يا

مَعْقَلٍ اتَّقِ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتَ وَلَا تَتَّبِعْ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَلَا تَظْلِمْ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ وَلَا تَتَّكَبَرَنَّ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ، فَقَالَ مَعْقَلُ اللَّهِ الْمُسْتَعَانَ فَقَالَ ﷺ خَيْرُ مُسْتَعَانَ.

ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ وَخَرَجْنَا حَتَّى نَزَلَ الْأَهْوَازُ فَأَقْمَنَا نُنْتَظِرُ بَعَثَ الْبَصْرَةَ فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا فَقَامَ مَعْقَلٌ وَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا قَدْ أَنْتَظَرْنَا أَهْلَ الْبَصِيرَةِ وَقَدْ ابْطَأُوا عَلَيْنَا وَلَيْسَ بِنَا بِحَمْدِ اللَّهِ قَلَّةٌ وَلَا وَحْشَةٌ إِلَى النَّاسِ فَسَيِّرُوا بِنَا إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ الْقَلِيلِ الدَّلِيلِ فَإِنِّي أَرْجُوا أَنْ يَنْصُرَكُمْ اللَّهُ وَيُهْلِكَهُمْ فَقَامَ أَخِي كَعْبُ بْنُ مُعِينٍ فَقَالَ أَصَبَتْ أَنْشَاءُ اللَّهِ رَأَيْنَا رَأْيَكَ وَأَتَى لَارْجُوا أَنْ يَنْصُرَنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَإِنْ كَانَتْ الْآخِرَى فَإِنَّ الْمَوْتَ عَلَى الْحَقِّ فَقَالَ مَعْقَلٌ سَيِّرُوا عَلَيَّ بِرِزْقَةِ اللَّهِ فَسَرْنَا فَوَاللَّهِ مَا زَالَ مَعْقَلُ بْنُ قَيْسِ لِي وَلِأَخِي مُكْرَمًا مُوَادًّا مَا يَعْدِلُ بِنَا أَحَدٌ مِنَ الْجُنْدِ فَوَاللَّهِ مَا سَرْنَا يَوْمًا وَإِذَا بِرَجُلٍ أَتَانَا وَفِي يَدِهِ صَحِيفَةٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ إِلَى مَعْقَلٍ أَمَرَهُ فِيهِ بِالْوُقُوفِ فِي مَكَانِهِ حَتَّى يَقْدَمَ عَلَيْهِ بَعْثُهُ الَّذِي وَجَّهَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْبَصْرَةِ تَحْتَ رَايَةِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ الطَّائِيِّ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ فَاسْمَعُ مِنْهُ وَأَعْرَفُ فَأَقْمَنَا حَتَّى قَدِمَ عَلَيْنَا خَالِدٌ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ صَاحِبِنَا بِالْأَمْرَةِ وَاجْتَمَعْنَا جَمِيعًا فِي عَسْكَرٍ وَاحِدٍ.

ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى النَّاجِيِّ وَأَصْحَابِهِ فَاخْذُوا يَرْتَفِعُونَ نَحْوَ جِبَالِ رَامْهُرْمِزٍ يَرِيدُونَ قَلْعَةَ حَصِينَةَ وَجَاءَنَا أَهْلُ الْبَلَدِ فَأَخْبَرُونَا بِذَلِكَ فَخَرَجْنَا فِي آثَارِهِمْ فَلِحِقْنَاهُمْ وَقَدْ دَنَوْا مِنَ الْجَبَلِ فَصَفَّفْنَا لَهُمْ ثُمَّ أَقْبَلْنَا نَحْوَهُمْ فَجَعَلَ مَعْقَلٌ عَلَى مَمْنَتِهِ يَزِيدُ ابْنَ الْمَعْقَلِ الْأَزْدِيَّ وَعَلَى مَيْسِرَتِهِ مَنْجَابُ ابْنِ الرَّاشِدِ الضَّبِّيِّ وَوَقَفَ الْخَرَيْتُ ابْنُ رَاشِدِ النَّاجِيِّ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْعَرَبِ فَكَانُوا مَيْمَنَةً وَجَعَلَ أَهْلُ الْبَلَدِ وَالْعُلُوجُ وَمَنْ أَرَادَ كَسْرَ الْخِرَاجِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأَكْرَادِ مَيْسِرَةَ قَالَ فَسَارَ فِينَا مَعْقَلٌ يُحَرِّضُنَا وَيَقُولُ يَا عِبَادَ اللَّهِ لَا تَبْدُوا الْقَوْمَ وَغَضُّوا الْأَبْصَارَ وَأَقْلَوْا الْكَلَامَ وَوَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ وَابْشُرُوا فِي قِتَالِهِمْ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ أَمَا تَقَاتِلُونَ مَارِقَةً مَرَقَتْ وَعُلُوجًا مَنَعُوا الْخِرَاجَ وَأَلْصُقُوا وَأَكْرَادًا فَمَا تَنْتَظِرُونَ فَإِذَا حَمَلَتْ

فشدو شدة رجلٍ واحدٍ قال فمر في الصف لكلهم يقول هذه المقالة حتى اذ امر بالناس كلهم اقبل فوقف وسط الصف في القلب ونظرنا اليه ما يصنع فحرك رأسه تحريكين ثم حمل في الثالثة وحملنا معه جميعاً فوالله ما صبروا لنا ساعة حتى ولوا وانهزموا قتلنا سبعين عربياً من بنى ناجية ومن بعض من اتبعه من العرب ونحو ثلثمائة من العلوج والأكراد قال كعب ونظرت واذا صديقي مدرك ابن الريان قتيلاً وخرج الخزيت منهزماً حتى لحق بسيف من اسياف البحر وبها جماعة من قومه كثير فما زال يسير فيهم ويدعوهم الى خلاف عليّ ويزيّن لهم فراقه ويخبرهم ان الهدى في حربته ومخالفته حتى اتبعه منهم ناس كثير وا قام معقل ابن قيس بارض الأهواز وكتب الى امير المؤمنين عليه السلام بالفتح قال وكنت انا الذي قدمت بالكتاب عليه. فلما قدمت بالكتاب عليه قرأته على اصحابه واستشارهم في الرأي فأجتمعت رأى عامتهم على قولٍ واحدٍ قالوا نرى ان نكتب الى معقل ان يتبع آثارهم حتى يقتلهم او يُنفيهم من الأرض فكتب اليه عليّ عليه السلام بذلك فسار اليهم في ذلك الجيش من اهل الكوفة والبصرة فأخذوا على ارض فارس حتى انتهوا الى اسياف البحر وساق الكلام الى ان قال:

فأخرج معقل راية امان فنصبها وقال من اتاها من الناس فهو آمن الا الخزيت واصحابه الذين نابذوا اول مرة فتفرق عن الخزيت كل من كان معه من غير قومه ثم اقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل الخزيت وقتل من معه وهم سبعون ومائة من اصحابه وذهب الباقيون في الأرض يميناً وشمالاً وبعث معقل الخيل الى رحالهم فسبى من ادرك فيها رجالاً ونساءً وصبياناً ثم نظر فيهم فمن كان مسلماً خلّاه واخذ بيّعته وخلّى سبيل عياله ومن كان يرتد عن الاسلام عرض عليه الرجوع الى الاسلام والا لقتل فأسلموا فخلّى سبيلهم وسبيل عيالاتهم الا شيخاً منهم نصرانياً لم يرجع فقتل.

ثم جمع معقل الأسارى وهم خمسمائة انسان وسار بهم حتى مرّ على

مَصْقَلَةُ ابْنِ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِي وَهُوَ عَامِلٌ عَلَيَّ عَلَى اِرْدَشِيرِ خَزْرَةَ فَبَكَى اِلَيْهِ النِّسَاءُ
وَالصَّبِيَّانَ وَتَصَايِحَ الرَّجَالِ يَا اَبَا الْفَضْلِ يَا حَامِلَ الثَّقِيلِ يَا مَأْوَى الضَّعِيفِ،
وَفَكَكَ الْعَصَاةَ مِنْ عَلَيْنَا فَاَعْتَقْنَا وَاَشْتَرْنَا فَقَالَ مَصْقَلَةُ اُقْسِمُ بِاللّٰهِ لَا تَصَدَّقُنَّ
عَلَيْهِمْ اِنَّ اللّٰهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ.

فَبَلَغَ قَوْلُهُ مَعْقَلُ ابْنِ قَيْسٍ فَقَالَ وَاللّٰهِ لَوْ اَعْلَمْتُهُ قَالَهَا تَوَجُّعاً لَهُ وَاِزْرَاءَ عَلَيَّ
لَضَرَبْتُ عُنُقَهُ وَاِنْ كَانَ فِي ذَالِكَ فَنَاءٌ بَنِي تَمِيمٍ وَبِكْرُ ابْنِ وَاثِلٍ ثُمَّ اِنْ مَصْقَلَةُ
بَعَثَ ذَهْلُ ابْنِ الْحَارِثِ الذُّهْلِيُّ اِلَى مَعْقَلٍ فَقَالَ بِعْنِي نَصَارَى بَنِي نَاجِيَةَ فَقَالَ
مَعْقَلٌ اَبِيعْكُمْ بِأَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَابَى عَلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ يِرَادُ عَنْهُ حَتَّى بَاعَهُ اِبَائُهُمْ
بِخَمْسِمِائَةِ اَلْفِ دِرْهَمٍ وَدَفَعَهُمْ اِلَيْهِ وَقَالَ عَجَلُ بِالْمَالِ اِلَى امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ
مَصْقَلَةُ اَنَا بَاعْتُ الْآنَ بِصَدْرٍ مِنْهَا ثُمَّ اَبَعْتُ بِصَدْرٍ آخَرَ ثُمَّ كَذَلِكَ حَتَّى لَا يَبْقَى
مِنْهُ شَيْءٌ وَاَقْبَلَ مَعْقَلُ اِلَى عَلِيٍّ عليه السلام فَاخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنَ الْاَمْرِ فَقَالَ عليه السلام لَهُ
اِحْسَنْتَ وَاَصَبْتَ وَوَفَّقْتَ وَاَنْتَظِرْ عَلَيَّ عليه السلام مَصْقَلَةُ اِنْ يَبِيعْتَ بِالْمَالِ فَاِبْطَاءً بِهِ
وَبَلَغَ عَلِيًّا اَنْ مَصْقَلَةُ خَلَّى الْاَسَارَى وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ اِنْ يُعِينُوهُ فِي فَكَكَ اَنْفُسِهِمْ
بِشَيْءٍ فَقَالَ عليه السلام مَا اَرَى مَصْقَلَةَ اِلَّا قَدْ حَمَلَ حِمَالَهُ وَلَا اِرَاكُمْ اِلَّا سَتَرُوهُ عَنْ
قَرِيبٍ لَيْسَ بِبَلَدَةٍ.

ثُمَّ اَنَّهُ كَتَبَ اِلَيْهِ اَمَّا بَعْدُ فَاِنَّ مِنْ اَعْظَمِ الْخِيَانَةِ الْخِيَانَةَ عَلَيَّ اَلْاُمَّةَ وَاَعْظَمِ الْغَشِّ
عَلَيَّ اَهْلَ مِصْرَ غَشَّ الْاِمَامِ وَعِنْدَكَ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِينَ.

خَمْسِمِائَةِ وَاَلْفِ دِرْهَمٍ فَاَبَعْتُ بِهَا اِلَيَّ حِينَ يَأْتِيكَ رِسُولِي وَاَلَّا فَاَقْبَلَ اِلَيَّ
حِينَ تَنْظُرُ فِي كِتَابِي فَانِّي قَدْ تَقَدَّمْتُ اِلَى رِسُولِي اِنْ لَا يَدْعُكَ سَاعَةً وَاِحْدَةً يَقِيمُ
بَعْدَ قُدُومِهِ عَلَيْكَ اِلَّا اِنْ تَبِعْتَ بِالْمَالِ.

وَكَانَ الرَّسُولُ اَبُو حَرَّةَ الْحَنْفِيُّ فَقَالَ لَهُ اَبُو حَرَّةَ اِنْ تَبِعْتَ بِالْمَالِ وَاَلَّا فَاَشْخَصْ
اِلَى امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَهُ اَقْبَلَ حَتَّى نَزَلَ الْبَصْرَةَ وَكَانَ الْعُمَّالُ يَحْمِلُونَ
الْمَالَ مِنْ كُوْرِ الْبَصْرَةِ اِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَيَكُونُ ابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ الَّذِي يَبِيعُ بِهِ اِلَى
امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ اَقْبَلَ مِنَ الْبَصْرَةِ حَتَّى اَقْبَلَ عَلِيًّا (اتى عليًا بالكوفة ما قرهه أياماً

لم يذكر شيئاً ثم سأله المال فادّى إليه مائتي ألف درهم وعجز عن الباقي.
ونقل ذهل ابن الحارث قال دعاني مصقلة الى رملة فقدم عشاء فطعمنا منه
ثم قال والله ان امير المؤمنين عليه السلام يسئلي هذا المال والله ما أقدر عليه فقلت له
لو شئت لم ينض عليك جمعت حتى تجمع هذا المال فقال ما كنت لأتحملها
قومي ولا اطلب فيها الى احد ثم قال والله لو ان ابن هند مطالبي بها او ابن عفان
لتركها لم تر الى عثمان كيف أعطى الأشعث مائه الف درهم من خراج
آذربايجان في كل سنة فقلت هذا لا يرى ذلك الراي وما هو تبارك لك شيئاً
فسكت ساعة وسكت عنه فما مكث ليلة واحدة بعد هذا الكلام حتى لحق
بمعاوية فبلغ ذلك علياً عليه السلام فقال ماله ترحه الله فعل السيد وفر فرار العبد
وخان الفاجر اما انه ان اقام فعجز مازدنا على حبسه فان وجدنا له شيئاً أخذناه
وان لم نجد له مالاً تركناه ثم قال الراوي أمر علي عليه السلام بهدم داره.

وكان له اخ يقال له نعيم ابن هبيرة الشيباني وهو من شيعة علي عليه السلام فكتب
اليه مصقلة من الشام مع رجل من نصارى يقال له حلوان:
اما بعد فاني كلمت معاوية فيك فوعدك الكرامة ومناك الأمانة فاقبل ساعة
تلقي رسولي والسلام.

فاخذه مالك ابن كعب الأرحبي فسرح به الى علي فأخذ كتابه فقراه ثم
قدمه فقطع يده فمات وكتب نعيم الى مصقلة بهذه الأبيات.

لا ترميني هـداك الله مُعترضاً

بالظن منك فما بالي وحلواناً

ذاك الحريص على ما نال من طمع

وهو البعيد فلا يُورثك اخزاناً

ماذا اردت الى ارساله سقها

ترجوا سقاط امرء لم يلف وسناناً

عَرْضْتَهُ لِعَلِّي أَنَّهُ آسَدُ
 يَمْشِي الْعَرْضْنَتَهُ مِنْ آسَادِ خَفَافاً
 قَدْ كُنْتَ فِي خَيْرِ مَضْطَّانٍ وَمُرْتَفَعٍ
 تَحْمِي الْعِرَاقَ وَتُدْعِي خَيْرُ شَيْبَاناً
 حَتَّى تَقْحَمْتَ امِراً كُنْتَ نَكَرَهُ
 لِلرَّاكِبِينَ لَهُ سِرّاً وَاعْلَاناً
 لَوْ كُنْتَ ادَيْتَ مَالِ اللَّهِ مُصْطَبِراً
 لِلْحَقِّ ذَكَّيْتَ أَحْيَاناً وَمَوْتَاناً
 لَكِنْ لَحَقَّتْ بِأَهْلِ الشَّامِ مُلْتِمِساً
 فَضَّلَ ابْنُ هِنْدٍ فِذَاكَ الرَّأْيَ أَشْجَاناً
 فَالْيَوْمَ تَقْرَعُ سَنَ الْعَجْزِ مِنْ نِدمٍ
 مَاذَا تَقُولُ وَقَدْ كَانَ الَّذِي كَانَ
 اصْبَحْتَ يُبْغِضُكَ الْأَحْيَاءُ قَاطِبَةً
 لَمْ يَرْفَعِ اللَّهُ بِالْعُصِيَانِ انْسَاناً

فلما بلغ الكتاب إليه علم أن النصراني قد هلك ولم يلبث التغليون إلا قليلاً
 بلغهم هلاك صاحبهم فأتوا مصقلة فقالوا أنت اهلكنا فإنا نرجو أن نجئنا به
 وأما إن تديبه فقال أما إن اجيء به فلست أستطيع ذلك وأما إن ادبه فنعم فوداه
 انتهى .

هذا ما اردنا ذكره والقصة طويلة. والكلام فيها كثير وقد ذكر الشارح
 المعتزلي بعد ايراده القصة بطولها كلاماً في حكم المرئد وأنه ماذا وحيث أن
 البحث فيه من حيث الحكم الشرعي خارج عن وظيفة الكتاب فعلاً فلا
 نتعرض له ، مضافاً الى كون القصة مما لا تعويل عليها حتى يُبحث فيه من هذه
 الجهة وذلك لأن فرار مصقلة الى الشام امر مقطوع به كما ورد في المتن .

وَأَمَّا كَيْفِيَّةَ فِرَارِهِ وَعِلَّتَهُ فَهُوَ مَجْهُولٌ لَنَا عَلَى أَنَّ فِيهَا مَا يَوْجِبُ التَّدْبِيرَ فَتَأَمَّلْ.

﴿ وَمَنْ خُطِبَ لَهُ ﴾ (٤٥)

□ الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَا مَخْلُوفٍ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَلَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَلَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ، الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ، وَالْدُّنْيَا دَارٌ مُنَى لَهَا الْفَنَاءُ، وَأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ، وَهِيَ حُلُوءَةٌ خَضْرَاءُ، وَقَدْ عَجَلَتْ لِلطَّالِبِ، وَالتَّبَسَّتْ بِقَلْبِ النَّاطِرِ، فَارْتَحَلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكِفَافِ، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ.

◁ اللِّغَةُ

(مَقْنُوطٍ) اسمُ مفعولٍ من قَنَطَ (مَخْلُوفٍ) ايضاً مفعول من خَلَى يَخْلُو (مُسْتَنْكَفٍ) كمُستخرج ايضاً مفعول من استنكف. (مُنَى) اي قُدْرَ (الْجَلَاءِ) بفتح الجيم الخروج عن الوطن. (خَضْرَاءُ) البَقْلَةُ الْخَضْرَاءُ (التَّبَسَّتْ) الألتباس الأشتباه.

◁ المعنى

اعلم ان هذه الخطبة مما تشتمل على حمد الله تعالى وثنائه وقد جمع عليه السلام فيها مباني التوحيد وما يحتاج اليه السالك الى الله في سيره وسلوكه وذلك لانه ﷺ قد وَصَفَ اللهُ تَعَالَى بِأَمُورٍ لَا مَحِيصَ عَنْ مَعْرِفَتِهَا لِكُلِّ مَنْ يَكُونُ بِصَدَدِ مَعْرِفَةِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ.

فمنها كونه تعالى ذا رحمةٍ واسعةٍ شاملةٍ لكلِّ الموجوداتِ فإنها وَسَعَتْ
كَلْشَىءَ فَلَا يَقْطُظُ مِنْهَا أَحَدٌ وَالِيهِ إِشَارَةٌ بِقَوْلِهِ (غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ)،
ومنها كونه تعالى دائم الفضل على البرية قديماً وحديثاً بنعمه الظاهرة والباطنة
واليه إِشَارَةٌ بِقَوْلِهِ (وَلَا مَخْلُوءٍ مِنْ نِعْمَتِهِ)، ومنها كونه تعالى: غافر الذنب
وقابل التوب للعاصيين الطَّاعِينَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَالِيهِ إِشَارَةٌ بِقَوْلِهِ (وَلَا مَا يُؤْسِسُ مِنْ
مَغْفِرَتِهِ)، ومنها كونه تعالى غير مُسْتَنكَفٍ عن عبادته وطاعته واليه إِشَارَةٌ بِقَوْلِهِ
(وَلَا مُسْتَنكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ)، ومنها أَنَّ رَحْمَتَهُ الْوَاسِعَةَ غَيْرَ خَفِيَّةٍ عَلَى أَحَدٍ مِنَ
الموجودات ونعمائه غير مَفْقُودَةٍ عَنْهُمْ وَالِيهِ إِشَارَةٌ بِقَوْلِهِ (الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ
رَحْمَةٌ، وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ)، فهذه الجملة كناية عن ظهورها كما سيأتي. ثم أَنَّهُ
بَعْدَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ إِشَارَ إِلَى صِفَاتِ الدُّنْيَا وَالَّذِي يَلِيْقُ بِأَهْلِهَا فِيهَا
وهي أيضاً أمور: أحدها أَنَّ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ دَائِرَةٌ زَائِلَةٌ غَيْرُ بَاقِيَةٍ وَقَدْ إِشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ
(وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِي لَهَا الْفَنَاءُ)، وثانيها عدم إمكان خلود أهلها فيها بل لا بدَّ
لَهُمْ مِنَ الْأَرْتِحَالِ مِنْهَا إِلَى الْآخِرَةِ وَقَدْ إِشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: (وَأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ)،
وثالثها أَنَّهُ قَدْ تَزَيَّنَتْ نَفْسُهَا بِأَحْسَنِ الزَّيْنَةِ فِي نَظَرِ أَهْلِهَا وَالِيهِ الْإِشَارَةُ (وَهِيَ
حُلُوءَةٌ خَضْرَاءُ)، ورابعها (تَعْجِيلُهَا لِلطَّلَبِ وَالتَّبَاسُفِ فِي عَيْنِ النَّاطِرِ صَحِيحُهَا
بِسَقِيمِهَا وَحَقُّهَا بِبَاطِلِهَا كَمَا قَالَ ﷺ (وَقَدْ عَجَلْتُ لِلطَّلَابِ، وَالتَّبَسَّتْ بِقَلْبِ
النَّاطِرِ)،

وخامسها أَمْرُ النَّاسِ بِالْأَرْتِحَالِ عَنْهَا إِلَى الْآخِرَةِ مَعَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمَعْبُورِ عَنْهُ
بِالزَّادِ وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ ﷺ (فَارْتَحِلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ)،
واليه يُشِيرُ بِقَوْلِهِ ﷺ أَيْضاً فِيمَا سِيَأْتِي فِي الْخُطْبِ الْآتِيَةِ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ
التَّقْوَى. وَسَادِسُهَا أَمْرُهُمْ بِطَلَبِ الْكِفَافِ مِنْهَا وَالْأَجْتِنَابِ عَمَّا زَادَ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ
ﷺ (وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكِفَافِ)، وسابعها أَمْرُهُمْ بِالرِّضَا بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ
مِنَ الْأَرْزَاقِ لِكُونِهِ مُوَافِقاً لِلْمَصْلَحَةِ الْإِلَهِيَّةِ كَمَا قَالَ ﷺ (وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ
مِنَ الْبَلَاغِ).

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

اعلم ان هذه الخطبة مع وجازتها واختصارها تشتمل على امهات المسائل فى طريق السلوك التى فيها خير الدنيا والآخرة وفى الحقيقة لو اعتنى السالك بها فلا يحتاج الى شىء آخر فى وصوله الى غايته ومقصده، ثم ان هذه المسائل وان كانت كثيرة النفع كلها الا انها على انحاء شتى من حيث المعنى فسيتم منها تختص بالله تعالى واربعة منها تختص بالدنيا وثلاثة منها تختص بالسالك الى الله ونحن نتكلم فى كل واحد منها بحسب اقتضا المقام فيقع الكلام فى ثلاثة فصول:

الفصل الاول: فى اوصافه تعالى وهى ستة.

الفصل الثانى: فى صفات الدنيا وهى اربعة او خمسة.

الفصل الثالث: فى وظيفة السالك الى الله فى الدنيا وهى ثلاثة فنقول:

الفصل الاول: فيما يختص بالله تعالى ولا بد للسالك اليه المعرفة بها على سبيل القطع والبت.

احدها: قوله **عَلَيْهِ**: الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ...

قد مررنا الكلام فى معنى الحمد وانه لا بد من الابتداء به فى كل امر ذى بال والفرق بينه وبين المدح وسائر ما يتعلق به فى اول الكتاب مفصلاً ولا نحتاج الى الاعداد الا ان الحوالة حيث انها توجب الملاحة والاضطراب فنريدك فى المقام ما لم نقله هناك كشفاً للحقيقة وزيادة للبصيرة.

وهو ان الحمد عبارة عن الثناء على ذى علم بكماله ذاتياً كان كوجوب الوجود والاتصال بالكمالات والثنزة عن النقائص، او وصفاً ككون صفاته واجبة كاملة، او فعلياً ككون افعاله مشتملة على حكمه ومصالحه.

فاكثر تعظيماً له واثره على المدح الذى هو الثناء على الشىء بكماله ذا علم كان أولاً، لان الكمال الذى لا يعتبر معه العلم لا يكون كمالاً مطلقاً وحيث ان الالف واللام فى الحمد للجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة من حيث هى

حاضرة في ذهن السامع والجارة للأختصاص فتختص حقيقة الحمد به
فيكون جميع افرادها مختصاً به سبحانه لأن النعوت الكمالية كلها ترجع اليه
لأنه فاعلها ومُعطيها والسّر فيه هو ان الله تعالى علة الأيجاد وخالق الممكنات
ولا موجود حقيقتاً سواه اذ غيره موجودٌ به وهو موجودٌ بنفسه وثبوت الصفة
فرعٌ على ثبوت الموصوف فكل قدرة وعلم وحياة واردةٌ وهكذا غيرها من
الصفات مستغرقة في قدرته وعلمه وحياته وارادته وعليه فالمحامد كلها
بالحقيقة راجعة اليه سبحانه لرجوع الأوصاف الباعثة عليها اليه تعالى وقد ثبت
في محله ان الأوصاف فيه تعالى ترجع الى الذات لكونها عينها والأسماء
الإلهية ترجع الى اسم الله لكونه جامعاً واجداً لمراتبها كما قيل ان الله علمٌ على
الأصح للذات الواجب الوجود المستجمع لجميع الصفات الكمالية ولأجل
هذه الدقيقة اختاره ﷺ من الأسماء فان كل اسم من اسمائه تعالى غيره يدل
على صفته وربوبيته في نوع واحد وهو يدل على جميعها وعمم بعض
المحققين الثناء في تعريف الحمد بكونه قالاً او حالاً بطريق عموم المجاز
لأدخال حمد الحق سبحانه نفسه وذلك لأنه تعالى بسط بساط الوجود على
الممكنات التي لا تعد ولا تحصى ووضع عليها موائد كرمه التي لا تنتهي فكل
ذرة من ذرات الوجود لسان حاله ناطق عنه بحمده ومثل هذا الحمد يحيط به
نطاق النطق ومن ثم قال ﷺ لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.
واما قوله عليه السلام: غير مقنوطٍ من رحمته؛ فهو اشارة الى سعة رحمته
وجوده بمعنى كونها عامّة لا تختص بشيء دون شيء ولا بزمان ومكان دون
زمان ومكان وقد دل على المدعى العقل والنقل وحيث ان عموم الرحمة
وسعتها فرعٌ وجودها وتحققها فلا بد لنا أولاً من البحث عن اصل وجودها فيه
ثم الكلام في عمومها وسعتها فيقع البحث في مقامين: اما البحث في المقام
الأول فاعلم ان الرحمة عبارة عن افاضة الخير على المحتاجين عناية بهم
وارفاقاً لهم ولا شك ان ما سواه محتاج اليه تعالى كما قال في كتابه: **يَا أَيُّهَا**

النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴿١﴾ وقال رسول الله ﷺ الْفَقْرُ فَخْرِي.
وأما كونه تعالى مفيضاً عليهم فلكونه مؤجدهم ومُنشئهم من العدم الى
الوجود والوجود اصل الخيرات وبذرها واذا كان الوجود فيهم منه تعالى فالكل
منه فأصل الرّحمة وهو الوجود منه وهو المطلوب.

قال الرّاعب في المفردات والرّحمة رِقَّةٌ تقتضى الأحسان الى المرحوم وقد
تستعمل تارة في رِقَّة المجرّدة وتارة في الأحسان المجرّد عن الرِقَّة نحو رحم
الله فلاناً، واذا وصف به البارى فليس يراد به إلا الأحسان المجرّد دون الرِقَّة
وعلى هذا روى أنّ الرّحمة من الله تعالى إنعام وإفضالٌ ومن الأدميين رِقَّةٌ
وتعطفٌ وعلى هذا قول النّبى ﷺ ذاكراً عن ربّه أنّه لَمَّا خَلَقَ الرَّحِمَ قَالَ لَهُ اأنا
الرّحمن وانت الرّجيم شَقَقْتُ اسْمَكَ مِنْ إِسْمِي فَمَنْ وَصَلَكَ وَصَلْتَهُ وَمَنْ
قَطَعَكَ تَبَّئْتَهُ (قَطَعْتَهُ) فذلك اشارة الى ما تقدّم وهو أنّ الرّحمة منظوية على
معنيين: الرِقَّة والأحسان فركز الله تعالى فى طبائع الناس الرِقَّة، وتفرّد بالأحسان
فصار كما أنّ لفظ الرّجيم من الرّحمة فمعناه الموجد فى الناس من المعنى
الموجود لله تعالى فتناسب معناه تناسب لفظيهما والرّحمن والرّحيم نحو
ندمان وتديم ولا يطلق الرّحمن إلا على الله تعالى من حيث أنّ معناه لا يصحّ إلا
له اذ هو الذى وسع كلّ شىء رحمةً، انتهى ما ذكره.

فقد ظهر ممّا ذكرناه ونقلناه عن الرّاعب أنّ الرّحمة منه تعالى ليست إلا
الأحسان والأفضال الى الغير فحسبٌ وحيث أنّه تعالى هو معطى الخيرات
ومفيض الكمالات ولا معطى ولا مفيض فى الحقيقة إلا هو اذ لا مؤثر فى
الوجود إلا هو الذى افاض على الممكّنات ما افاض من غير عوض، ولا
نعنى بالرّحمة إلا هذا المعنى هذا كلّهُ فى اصل ثبوتها فيه تعالى.

وأما البّحث فى المقام الثّانى: اعنى كونها واسعة مطلقة شاملة سارية لجميع
المخلوقات فقد ثبت ايضاً بالعقل والنقل اما العقل فلوجوه تُشير الى بعضها.

احدها: انه اذا اثبتت كونه تعالى مُفِيضاً ومُحْسِناً على ما سواه لاغيره فلا بد من كون الأفاضة عامّة واسعة وذلك لانه لو لم تكن كذلك فلا محالة تكون مُقَيِّدة مَخْصُوصة بفردٍ او افرادٍ او زمانٍ ومكانٍ مُعَيَّنٍ لانّ عدم العموم ليس الا التقييد وهذا التقييد منه تعالى لا يكون الا لوجهين ثبنت استحالتهم.

الاول: ان يكون التقييد لعجزٍ منه او ضعفٍ فيه بمعنى عدم قدرته على تعميم الأفاضة بحيث تشمل الكل كما في غيره من الموجودات الممكنة حيث ان الممكن لكونه محدوداً متناهيّاً في وجوده يكون محدوداً في صفاته ايضاً فلا يمكن له الأفاضة والأحسان على طريق السعة والعموم فان معطى الشئ لا يكون فاقد له ولما ثبت في التوحيد ان ذاته تعالى غير متناهٍ في الوجود والصفات عين الذات فكما انه غير متناهي الوجود فكذلك غير متناهي القدرة وغير متناهي العلم .

ومعنى كونه غير متناهي القدرة هو قدرته على كل شئ وقد فرضناه غير قادرٍ على الأفاضة المطلقة، هـ.

الثاني: ان يكون عدم الاطلاق منشأه البخل والأمسك كما في غيره من الموجودات وحيث قد ثبت انه غير بخيل لكون البخل من النقائص وهو مُنَزَّه عنها فلا يتصور فيه فلا محالة يكون فيضه ابدياً ازليّاً، لانه الجواد المُفِيض على الاطلاق يا دائم الفضل على البرّيه يا باسط اليدين بالعطيّه فاذا ثبت كونه تعالى غير عاجزٍ ولا بخيلٍ فلا معنى لتقييد الأفاضة والأحسان وعدم التقييد دليل على العموم بل هو عينه وهو المطلوب.

واما الأدلة الثقلية على اثبات الرحمة الواسعة فيه تعالى فكثيرة ولا بأس بالاشارة الى شطرٍ فيها.

فمن الآيات قوله تعالى في سورة الاعراف حيث: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (١)

و: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلِّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ (١)

و: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ (٢)

و: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ (٣)

و: ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ (٤)

وَأَمَّا لِأَخْبَارٍ: فَمِنْهَا- مَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عِزًّا وَجَلًّا مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا وَاحِدَةً إِلَى الْأَرْضِ فَقَسَمَهَا بَيْنَ خَلْقِهِ، فِيهَا يَتَعَاطَفُونَ وَيَتَرَاحَمُونَ وَأَحْرَزَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ لِنَفْسِهِ يَرْحَمُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْتَهَى...

وَمِنْهَا- مَا رَوَى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِزِّ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ لِرَجُلٍ أَخْرَجَهُ الْخَوْفُ إِلَى قَنَاطٍ لِكثْرَةِ ذُنُوبِهِ، يَا هَذَا يَا سَكَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَعْظَمَ مِنْ ذُنُوبِكَ، أَنْتَهَى...

وَمِنْهَا- مَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا قَالَ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَلَاتِ تَلْدِمُونَ صُدُورَكُمْ وَتَجَارُونَ إِلَى رَبِّكُمْ فَهَبَطَ جِبْرَائِيلُ فَقَالَ إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ لِمَ تَقْنَطُ عِبَادِي فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، وَرَجَّاهُمْ وَشَوَّقَهُمْ، أَنْتَهَى...

وَمِنْهَا- مَا وَرَدَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ يَقْنَطُ النَّاسَ وَيُشَدِّدُ عَلَيْهِمْ فَيَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ، الْيَوْمَ أُوَيْسِكَ مِنْ رَحْمَتِي كَمَا كُنْتَ تَقْنَطُ عِبَادِي فِيهَا، أَنْتَهَى...

وَمِنْهَا- مَا رَوَى عَنِ الصَّادِقِ عِزِّ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ الْيَأْسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ أَشَدُّ بَرْدًا مِنَ الزَّمْهِرِيرِ، أَنْتَهَى...

وَمِنْهَا- مَا رَوَى عَنْ أَبِي ذَرِّ الْعَفَّارِيِّ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَوْمًا وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ ذَا الَّذِي قَالَ عَلَيَّ أَنْ لَا أَعْفِرُ لِفُلَانٍ فَإِنِّي قَدْ عَفَرْتُ لِفُلَانٍ وَأَحْبَبْتُ عَمَلِ الْمُتَالِي بِقَوْلِهِ لَا يَغْفِرُ لِفُلَانٍ...

وَمِنْهَا- مَا رَوَى عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ ﷺ قَالَ يَبْعَثُ اللَّهُ الْمُقْنَطِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فَعَلْبَتَهُ وَجَوْهُهُمْ يَعْنِي غَلْبَهُ السَّوَادُ عَلَى الْبَيَاضِ فَيُقَالُ لَهُمْ هَوْلَاءُ الْمُقْنَطُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَنْتَهَى وَالْأَحَادِيثُ مَرْوِيَةٌ فِي «الْبَحَارِ ج ١٥ ط كَمِيَانِي»، بَابِ الْيَأْسِ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ.

تَنْبِيهِ: قَدْ عَرَفْتَ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ الرَّحْمَةَ الْأَلَهِيَّةَ وَاسِعَةٌ عَامَّةٌ وَالْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ تُؤَيِّدُهُ هَذَا كُلَّهُ عَلَى مَلِكِ الظَّاهِرِ.

وَأَمَّا الْفَلَّاسِفَةُ، فَقَدْ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الرَّحْمَةَ فِيهِ تَعَالَى لَيْسَتْ إِلَّا الْوُجُودُ الْمُنْبَسِطُ الَّذِي وَسَّعَ كُلَّ شَيْءٍ وَحَيْثُ أَنْ أَفَاضْتَهُ عَامَّةً لَشُمُولِهِ الْمَهَيَّاتِ كُلَّهَا فَلَا مَحَالَةَ يَتَّصِفُ بِالْعَمُومِ وَالسَّعَةِ.

قَالَ بَعْضُهُمْ لَمَّا كَانَ الْوُجُودُ وَسَّعَ كُلَّ مَهِيَّةٍ وَمِنْ جَمَلَتِهَا مَهِيَّةُ الْغَضَبِ وَمَهَيَّاتُ أَنْوَاعِهِ فَمَنْ هُنَا كَانَ نِسْبَةُ الرَّحْمَةِ إِلَيْهِ تَعَالَى اسْبَقَ مِنْ نِسْبَةِ الْغَضَبِ لِتَقَدُّمِ الْوُجُودِ عَلَى الْمَهِيَّةِ فِي التَّحَقُّقِ وَالْمَجْعُولِيَّةِ وَعَلَيْهِ حَمَلُ قَوْلِهِ ﷺ فِي الدَّعَاءِ يَا مَنْ سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبِهِ وَإِلَى هَذِهِ الدَّقِيقَةِ أَشَارَ بَعْضُ آخَرِ مَنْهُمْ فِي شَرْحِ قَوْلِهِ ﷺ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ نُجْنِي بِرَحْمَتِكَ مِنْ عَذَابِكَ الْأَلِيمِ، مَا هَذَا الْفِظْهُ لِأَنَّ عَذَابَكَ عَسَى أَنْ يَكُونَ مَقْتَضِي الرَّحْمَةِ الْأَلَهِيَّةِ فَيَقُولُ عَبْدِي أَنَا الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ الْقَائِمُ بِالْقِسْطِ أَعَاقِبُكَ بِرَحْمَتِي الْوَاسِعَةِ وَنُصِيبُكَ عَذَابِي الْأَلِيمِ بِعَنَائَتِي الْجَامِعَةِ فَسُبْحَانَ مَنْ اتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَعْدَائِهِ فِي ضَمَنِ نِقْمَتِهِ وَمِنْ هُنَا قَالَ: خَلَقْتُ هَوْلَاءَ لِلْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي وَهَوْلَاءَ لِلنَّارِ فَلَا أَبَالِي أَنْتَهَى.

ثُمَّ أَنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي مَعْنَى الرَّحْمَةِ أَمَّا هُوَ الرَّحْمَةُ الْعَامَّةُ الْمُطْلَقَةُ الْوَاسِعَةُ وَهِيَ الَّتِي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَقْنَطَ مِنْهَا أَحَدٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ وَلَا سِيَّمًا عَلَى الْقَوْلِ بِكَوْنِهَا الْوُجُودَ الْمُنْبَسِطَ الَّذِي أَضَاءَ وَاشْرَقَ عَلَى هِيَاطِ الْمَاهِيَّاتِ بِأَسْرَاهَا.

وَأَمَّا الرَّحْمَةُ الْخَاصَّةُ الَّتِي بُعِبَرُ عَنْهَا أَحْيَانًا بِالرَّحْمَةِ الْقَرِيبَةِ فَهِيَ لَيْسَتْ كَذَلِكَ بَلْ هِيَ شَامِلَةٌ لِلْمُحْسِنِينَ فَقَطْ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِقَوْلِهِ أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.

وليس القرب في الآية الشريفة بمعناه اللغوي اعنى ما يقابل البعد لان لازم ذلك هو كون رحمته بعيدة من غير المحسنين وليس كذلك بل المحسن وغيره بالنسبة الى رحمته سياتان فانه تعالى اقرب الى عباده من جبل الوريد. والحق ان الرحمة عامة وخاصة وان شئت قلت بعيدة وقريبة فالعامة تشمل الكل والخاصة تختص بعباده الصالحين وحاصل الكلام فى معنى الجملة هو عدم اليأس من رحمة الله تعالى على كل حال والحمد لله رب العالمين.

□ قوله ﷻ: وَلَا مَخْلُوقٌ مِنْ نِعْمَتِهِ...

الواو للعطف وكلمة (لا) فى هذه الجملة وما يليها زائدة جيبىء بها لمجرد تقوية الحكم وتأكيده والدليل على كونها زائدة هو تكرارها فان جمهور النحويين ذهبوا الى كونها مهملة فى صورة تكرارها الا المبرد فانه جوز اهمالها بلا تكرار ايضاً وقول بعضهم بعدم حملها على الزيادة وانها بمعنى الغير فكأنه قال عليه السلام وغير مخلوق من نعمته وهكذا لامحصل له وذلك لانه بناء على القول بعدم الجواز اعنى جواز كونها مهملة يلزم الاثبات ضرورة ان النفى فى النفى يفيد الاثبات فيلزم اثبات خلوه من النعمة والمفروض نفيه ولا فرق فيه بين كونها بمعنى الغير او عدمه وهذا بخلاف الاهمال اذ عليه لامعنى لها اصلاً ولا عمل فيصير تقدير الكلام وغير مخلوق من نعمته كما هو مقتضى العطف وقد جاء مثل ذلك فى القرآن قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١) والتقدير وغير عادٍ وقيل غير ذلك ولا مشاحة فيه. والمخلوق اسم مفعول من خلى يخلو نحو دعى يدعو والمعنى كونه تعالى غير مخلوق من نعمته كما كان غير مقنوط من رحمته.

والمراد بكونه مخلوق من نعمته هو دوام فيضه وعدم انقطاع لطفه بالنسبة الى ما سواه فانه تعالى قديم الاحسان والافضال ودائم الفضل على البرية بالامتنان كما عليه الفلاسفة فانهم ذهبوا الى ان فيضه تعالى على الموجودات ازلئ ابدئ

لا يجوز قَـطـعه ومن هنا قالوا بانّ العالم قديمٌ زَمانيٌّ بمعنى عدم مَسبُوقِيَّتِه بالعدم الزماني للزومه انقطاع الفيض بل هو مَسبُوقٍ بِالْعِلَّةِ فقط كما هو شأن القديم الزماني اعني ما لا اول له بحسب الزمان وان كان له اول بحسب الذات واما القديم بالذات فلا يطلق الا عليه تعالى واما المُتكلِّمون منهم فقد ذهبوا الى كونه اعني العالم حادثاً زماناً زعموا منهم انّ الحُدُوث لازم للتغير الثابت للعالم والقدم ينافيه باي معنى كان واليه اشار المُحَقِّق الطوسي (ره) في التجريد حيث قال ولا قديم سوى الله تعالى هذا مضافاً الى انّ الله تعالى فاعل مختار في فعله فان قلنا بعدم انقطاع القَيْض فهو ينافي اختياره تعالى.

ولم يَعْلَمُوا انّ ما ذهب اليه الفلاسفة لا ينافي التغير الذاتي للعالم كما لا ينافي اختياره تعالى.

اما الاول فلائه اي القديم الزماني لا ينافي التغير في حد ذاته وبعبارة اخرى القديم الزماني عبارة اخرى للحُدُوث الذاتي والتغير لا يثبت فيه اكثر من كونه حادثاً واما حدوثه زمانى او ذاتى فلا يدل عليه.

واما كونه تعالى فاعل مختار فهو كذلك وما ذكره اهل المعقول لا ينافيه لانّ الأدلة العقلية لا تثبت اكثر من كونه تعالى فاعلاً بالرّضا او بالعناية او بالتجلى وامثال ذلك على اختلاف مسالكهم فيه وانه تعالى مختار في فعله بمعنى كونه غير مُوجِبٍ فيه.

واما كون فعله لا بد من ان يكون مسبوقاً بالعدم الزماني فلا دليل عليه من العقل والنقل، وبعبارة اخرى: هو تعالى مختار في دوام القَيْض، وانقطاعه واما انه اختار الانقطاع فلا دليل عليه بل الامر بالعكس لكونه موافقاً للاصل وتفصيل الكلام فيه يُخرجنا عما نحن بصدد.

وحاصل الكلام انّ في قوله ﷺ ايماءً بل دلالة على انّ الله تعالى غير مخلوٍ من نعمته ذاتاً وهو يوافق القول بكون القَيْض منه تعالى قديماً كيف لا وذاته تعالى حقيقة الوجود على مسلك المشائين وحقيقة النور او نور الأنوار على

مَسَلَكُ الْأَشْرَاقِيِّينَ وَالْوُجُودِ وَالنُّورِ قِيلَ فِي تَعْرِيفِهِمَا الظَّاهِرَ بِالذَّاتِ وَالْمُظْهِرَ
لِلغَيْرِ وَالْمَقْصُودَ مِنَ الْمُظْهِرِيَّةِ هُوَ الْأَفَاضَةُ وَالْأَحْسَانُ إِلَى الْغَيْرِ وَهَذَا الْمَعْنَى
لَا زِمَ ذَاتَهُ لِأَنَّهُ أَمْرٌ عَارِضٌ عَلَيْهِ وَالْأَلْزِمُ التَّرْكِيبَ فِي ذَاتِهِ وَهَذَا الْكَلَامُ يَحْتَاجُ
إِلَى مَزِيدٍ تَوْضِيحٍ فَنَقُولُ:

لَا شَكَّ فِي أَنَّ الْوَاجِبَ تَعَالَى حَقِيقَةَ الْوُجُودِ الْقَائِمَ بِذَاتِهِ الْمُسْتَعْنِيَةَ عَمَّا سِوَاهُ
وَمَا سِوَاهُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ كَمَا ثَبَتَ فِي مَحَلِّهِ وَمَعْنَى كَوْنِهِ حَقِيقَةَ الْوُجُودِ أَنَّهُ بَسِيطٌ
فِي ذَاتِهِ لِأَنَّ هُنَاكَ ذَاتٌ وَوُجُودٌ كَمَا فِي الْمُمْكِنَاتِ حَتَّى يَلْزِمَ التَّرْكِيبَ كَمَا أَنَّ
الْمَقْصُودَ مِنْ كَوْنِهِ وَاجِبَ الْوُجُودِ لَيْسَ اثْبَاتٌ وَوُجُودٌ وَجُوبٌ بَلِ الْمُرَادُ تَأَكُّدُ
الْوُجُودِ وَشِدَّتِهِ.

ثُمَّ إِنَّ الْوُجُودَ وَإِنْ لَمْ يُمْكِنَ تَعْرِيفُهُ بِالْحَدِّ وَالرَّسْمِ لِأَنَّهُ لِأَشْيَاءٍ أَعْرَفَ
وَأَجْلَى مِنَ الْمُعْرَفِ فَلَا يُمْكِنُ تَعْرِيفُ الْوُجُودِ بِكُنْهِهِ كَمَا قِيلَ:

مَفْهُومُهُ مِنْ أَعْرِفِ الْأَشْيَاءَ وَكُنْهُهُ فِي غَايَةِ الْخِيفَاءِ

لَكِنْ يُمْكِنُ تَعْرِيفُهُ بِخَوَاصِهِ وَأَثَارِهِ اللَّازِمَةَ لَهُ كَمَا قِيلَ الْوُجُودُ هُوَ الظَّاهِرُ
بِالذَّاتِ وَالْمُظْهِرُ لِلغَيْرِ أَيْ شَأْنُهُ وَآثَرُهُ هَذَا لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا مَوْجُودَةٌ بِهِ وَهُوَ
مَوْجُودٌ بِنَفْسِهَا وَهَذَا الْمَعْنَى أَعْنَى الظُّهُورِ بِنَفْسِهِ وَالْمُظْهِرُ لِغَيْرِهِ ذَاتِيٌّ لَهُ لِأَنَّهُ
أَمْرٌ عَارِضٌ عَلَيْهِ حَتَّى يَلْزِمَ التَّرْكِيبَ إِذَا لَوْ فَفَرَضَ كَوْنَ الْمُظْهِرِيَّةِ أَوْ الظُّهُورِ
عَارِضٌ عَلَى ذَاتِ الْوُجُودِ يَلْزِمُ كَوْنَهُ مُرَكَّبًا مِنَ الْوُجُودِ وَالْمُظْهِرِيَّةِ وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ
كُلَّ عَرَضِيٍّ مُعَلَّلٍ يَحْتَاجُ إِلَى عِلَّةٍ غَيْرِ ذَاتِهِ وَهُوَ يُسَاوِقُ الْأَمْكَانَ وَقَدْ فَرَضْنَاهُ
وَاجِبًا، هَف.

وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا الْمَعْنَى فِي حَقِيقَةِ الْوُجُودِ وَأَنَّهُ بَسِيطٌ بِتَمَامِ الْمَعْنَى وَأَنَّهُ ظَاهِرٌ
بِالذَّاتِ مُظْهِرٌ لِلغَيْرِ وَإِنَّ مُظْهِرِيَّتَهُ لِلغَيْرِ لَيْسَتْ بِزَائِدَةٍ عَلَى ذَاتِهِ بَلِ عَيْنُهُ كَمَا هُوَ
الشَّأْنُ فِي لَوَازِمِ الذَّاتِ فَقَدْ ثَبَتَ وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ غَيْرٌ مَخْلُوقٌ مِنْ نَعِمَتِهِ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ النِّعْمَةَ عِبَارَةٌ عَنِ الْأَحْسَانِ إِلَى الْغَيْرِ وَالتَّعَدِي إِلَى الْغَيْرِ وَلِذَلِكَ قَالُوا
بِلِزْمِ التَّعَدِي إِلَى الْغَيْرِ فِي مَفْهُومِهَا وَلَا نَعْنَى بِكَوْنِهِ مُظْهِرًا لِلغَيْرِ إِلَّا هَذَا الْمَعْنَى

فإن الأظهار مساوق للأنعام والأفضال بل هو عينه وإي فضلٍ ونعمةٍ من المفضل والمُنعم احسنَ واعلى من نعمة الأيجاد اعنى الأظهار من كتم العدم الى عالم الوجود ولا شك أنه تعالى علة الممكنات وموجدها فلا يمكن ان تكون ذاته خالية عن النعمة اعنى الأيجاد والأظهار الذى هو الأصل بالنسبة الى سائر النعم كما مرَّ مراراً وهذا معنى قوله ﷺ: **وَلَا مَخْلُوقٌ مِنْ نِعْمَتِهِ وَلَعَلَّ كَلَامَ الْفَلَسْفَةِ أَوْ الْمُتَكَلِّمِينَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا ذَكَرْنَاهُ وَلَا أَحْمَلُ كَلَامَهُ ﷺ عَلَى قَوَاعِدِهِمْ بَلْ أَحْمَلُ قَوَاعِدَهُمْ عَلَى كَلَامِهِ كَمَا هُوَ دَأْبِي فِي جَمِيعِ الْمَوَارِدِ وَأِنَّمَا الْغَرَضُ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ نَقْلُ اقْوَالِهِمْ لِأُخَيْرٍ.**

□ قوله ﷺ: **وَلَا مَا يُوسِي مِنْ مَغْفِرَتِهِ...**

والكلام فى هذه الجملة من حيث العطف وكون كلمة (لازائدة وغيرها) كالكلام فى سابقتها كما ان الجملة التالية ايضا كذلك، وفيه إشارة الى كونه تعالى يغفر الذنوب جميعاً وأنه لا ينبغي لأحد اليأس من مغفرته وهو ايضا مؤيدٌ بالعقل والنقل.

أما العقل: فلأنه قد ثبت ان الله تعالى غفورٌ كما أنه سميعٌ متكلمٌ عليمٌ وامثال ذلك والمقصود من كونه غفوراً أنه يغفر الذنوب فاذا فرضنا أنه لا يوجد فى العالم مخلوقاً عاصياً او وُجد ولم يغفر له فلا معنى لكونه غفوراً الا مجرد اللفظ وهو كما ترى.

وتوضيح ذلك: ان الله تعالى له صفات من العلم والأرادة، والسمع والبصر والغائر... والرحيمية... امثال ذلك وهذا مما لا ينكرو قد ثبت ان صفاته عين ذاته ايجابية بمعنى كونها غير الذات مفهوماً وعين الذات مصداقاً واذا كانت الصفات حالها كذلك فما تحكّم به على الذات نحكم به على الصفات من غير تفاوت بين الذات والصفات فاذا كانت الذات واجبة فالصفات ايضا واجبة لا بد من المصداق واحد ولاجل ذلك الواجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات يعنى كما أنه تعالى كذلك واجب العلم وواجب القدرة

وهكذا سائر الصفات .

اذ اعرفت هذا فاعلم ان من جُملة الصّفات له تعالى كونه غَفُوراً وعلى ما ذكرناه هذه الصّفة ايضاً عين الذات ومقتضى العينيّة هو اتّحاد الحكم بالوجوب فثبت أنّه تعالى يجب ان يكون غافراً كما أنّه يجب ان يكون عالماً واذا وجب كونه غافراً فاستحال كونه غير غافرٍ لأستحالة ارتفاع التّقضين وهذا معنى قوله ﷻ: **وَلَا مَا يُؤْسِي مِنَ مَغْفِرَتِهِ**، فإنّ اليأس من المَغفرة معناه جواز كونه غير غافرٍ وهو مناف لوجوبه له كما علمت.

ويمكن ان يُستدلّ على المُدعى بطريق آخر ايضاً وهو ان الصّفات الواجبيّة لا بدّ من ان يكون لها مصداقاً في الخارج ولا سيّما الصّفات الإضافيّة التي اعتبرت في مفهوماتها الاضافة الى الغير كالرازقيّة والخالقيّة والغافريّة حيث أنّها لاتصدق عليه تعالى الا بعد تحقّق الاضافة الى الغير اعنى بعد تحقّق المرزوق والمخلوق والمَغفور فاذا لم يكن مرزوق او مخلوق او مَغفور فكيف يصدق الرّازق والخالق والغافر وحيث قد ثبت وجودها له تعالى فنكشف وجود المرزوق والمخلوق والمَغفور ولا شكّ في ان المَغفور والمخلوق ايضاً يستدعيان الخالق والغافر كما هو مقتضى الاضافة فالخالق والرّازق والغافر وامثالها تستدعي المخلوق والمرزوق والمَغفور وبالعكس قضاء لحقّ الاضافة فلا يمكن الأنفكاك بينهما وعليه فقوله ﷻ: **وَلَا مَا يُؤْسِي مِنَ مَغْفِرَتِهِ** اشارة الى انّ اليأس منها يوجب عدم كونه تعالى غافراً في وقت اليأس ولازم كونه غير غافرٍ فيه هو عدم وجود المَغفور له بحكم الاضافة وقد فرضنا وجوده ههنا، فهو تعالى غافر الذنب في كلّ حالٍ وهو المطلوب.

وبطريقٍ آخر المغفرة منه تعالى لعباده لطفٌ منه وتفضّل عليهم اذ هو الخالق وما سواه مخلوق له والمخلوق لا ملجاء له الا اودع فيهم القويّ الباعثة على المعصية من الشهوة والغضب وامثالهما ومن المعلوم انّ لازم هذه القويّ الانحراف والطغيان بالنسبة الى غير المعصومين فاذا فرضناه أنّه تعالى غير

غافر الذنب فيلزم عدم تمامية الحجّة من قبله تعالى عليهم والمفروض أنّ الحجّة عقلاً ونقلاً قد تَمَّت فهو غافر الذنب وهو المطلوب.

وأما الأدلة النقلية فكثيرة. أما الآيات فمنها ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (١)

و: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢)

و: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ (٣)

و: ﴿وَلَيَنْ أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَيُّوسٌ كَفُورٌ﴾ (٤) وأما الاخبار فقد مضى شطراً منها في عدم جواز اليأس من رحمة الله والباب واحد فإن المغفرة منه تعالى شعبة من رحمته كما أنّ الخالقية والرازقية والستارية وامثال ذلك كلّها تستند برحمته الواسعة.

□ قوله ﷻ: وَلَا مُسْتَكْفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ...

قرأ المُسْتَكْفُ بصيغة المفعول كما أنّ المَقْنُوطَ والمَخْلُوقَ والمَأْيُوسَ في الجملات السابقة أيضاً كانت كذلك.

قالوا في شرح الجملة لأنّ الله تبارك وتعالى هو المُسْتَحَقُّ للعبادة، وكون ما عداه لانه جامع للكمال المُطلق وليس فيه جهة نقصانٍ لِتَكُونُ سبباً للأستكاف والأستكبار فالمقصود أنّ عبادته ليست محللاً لان يستكف عنها لانها لا استكاف عنها ولا استكبار ضرورة أنّ المُستكبرين، والمُستكفين من الجنة والناس من الكافرين والمنافقين فوق حدّ الأحصاء ولذلك خصّ سبحانه عدم الأستكبار باهل التّقرب والمكانة كما قال: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (٥)

و: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (٦)

٢- العنكبوت - ٢٣

٤- هود - ٩

٦- الاعراف - ٢٠٦

١- يوسف - ٨٧

٣- المائدة - ٣

٥- الانبياء - ١٩

و: «لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ، إِلَى أَنْ يَقَالَ، وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا
وَأَسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا»^(١) هذا ما ذكره الخوئي وقد أخذه من المحقق
البحراني (قده) فقولهما واحد.

وانا اقول: لا بأس بما ذكروه في المقام حسب ما فهموا من كلامه ﷺ وانا
فهمت منه شيئاً آخر لا بأس بذكره.

وهو ان كلامه هذا يمكن ان يكون اشارة الى اصل من الاصول العقلية
المعتزدة بالآثار العقلية وتوضيحه يستدعي رسم مقدمة نافعة وهي ان العبادة
ليست الا غاية التذلل كما ان العبودية اظهار التذلل فقط.

ثم ان العبادة التي هي غاية التذلل لا يستحقها الا من له غاية الأفضال وهو
الله تعالى لا غير فالعبادة لا تستحق الا له والعبادة على ضربين: احدهما العبادة
بالتسخير وثانيهما العبادة بالأختيار.

اما العبادة بالتسخير فهي شاملة لجميع الموجودات من الأنسان والحيوان
والنبات والجماد كما قال الله تعالى: «وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْأَضَالِ»^(٢) فهذه هي عبادة التسخير اعنى الدلالة
الصامتة الناطقة المنبّهة على كونها مخلوقة وانها خلق فاعل حكيم فان
المخلوق لا مُحالة يتذلل ويتخشع لخالقه وصانعه علم به أم لا يعلم فان العبادة
بالمعنى الذي ذكرناه مركوزة مستودعة في طبيعته وجبلته اذ خضوع المخلوق
وتذليله لدى الخالق قهري لا مَيحَص عنه في صورة التوجه وعدمها فان
الألتفات وعدمه لا يغيران الواقع عما هو عليه.

واما العبادة بالأختيار فهي لذوى النطق لا غيرهم وهي المأمور بها في
«اعْبُدُوا رَبَّكُمْ، وَاعْبُدُوا اللَّهَ» وامثال ذلك وانما خصصنا العبادة الأختيارية بهم
لان الفعل الأختيارى لا بد من ان يكون مسبقاً بمبادئ الأربعة وهو في حق
غيرهم محال لعدم صدور الفعل المسبوق بها من غيرهم كما ثبت في محله.

اذ اعرفت هذه المقدمة فقد علمت ان المخلوقات فى عالم الوجود على اقسامها واصنافها وانواعها لاتخلوا حالهم من هاتين الجهتين اعنى الناطق وغير الناطق لاستحالة ارتفاع التقيضين فالعبادة فى الموجود الناطق اختيارية لكونها مسبوقه بالمبادئ الأربعة وفى غيره بالتسخير لكونها فيه غير مسبوقه بها وعلى كلا التقديرين لا يوجد فى العالم مخلوق الا وهو متصف بالعبادة سواء كانت بالأختيار او بالتسخير فهم غير مستنكفين عن عبادته على كل حال واذا كانوا كذلك فالله تبارك وتعالى غير مستنكف بها بصيغة المفعول.

نعم، ان العبادة فى كل موجود بحسبه وهذا مما لاينكر الا ان اختلاف العبادة بحسب الكيفية لا يضر بأصل الموضوع ولا تنفى ثبوته اعنى اصل العبادة فقد تحصل مما ذكرنا كله ان المخلوق كائناً من كان مجبول مَفطوراً على العبادة بالمعنى الأعم اعنى غاية التذلل والخشوع.

واما العبادة بالمعنى الأخص التى جاءت بها الشرايع المقدسة المُعتبرة فيها قصدُ القربة بالأركان المخصوصة فهى تختص بالمكلفين من ذوى العقول مع الشرائط المخصوصة ولا كلام لنا فيها فعلاً.

وعليه فالواجب تبارك وتعالى لكونه خالقاً مؤجداً لهم لا يكون مستنكفاً عنها وهو المطلوب.

□ قوله ﷻ: الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَتُهُ وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَتُهُ...

الأتیان بهذين الوصفين للإشارة الى وجوب شكره سبحانه بهذين الاعتبارين ايضاً هكذا قالو فيه وذلك لذهابهم الى ان المراد من قوله ﷻ: (الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَتُهُ) لا تزول منه رحمة، ومعلوم ان عدم الزوال مستلزم للدوام وعليه فمُحصل الكلام هو ثبوت دوام النعمة له تعالى هذا.

والذى ظهر لى فى هذا المقام هو ان المقصود بهذا الكلام انما هو اثبات كون نعمة ظاهرة لاخفاء فيها لوجهين:

احدهما: ان دوام النعمة قد ثبت فيما مضى من كلامه ﷻ وهو قوله: وَلَا

مَخْلُوءٍ مِنْ نِعْمَتِهِ وَقَوْلُهُ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مَنْ رَحْمَتِهِ وَذَلِكَ لَمَّا مَرَّمْنَا فِي شَرْحِهِ
وَالْعَجَبُ مِنَ الشَّارِحِ الخَوَّثِيِّ حَيْثُ انْكَرَ دَلَالَةَ الجُّمْلَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ عَلَى دَوَامِ
النُّعْمَةِ قَالَ مَا هَذَا لَفْظُهُ.

فَانْ قَلْتُ - أَلَيْسَ قَوْلُهُ ^{عَلَيْهِ السَّلَامُ} غَيْرَ مَقْنُوطٍ مَنْ رَحْمَتِهِ وَلَا مَخْلُوءٍ مِنْ نِعْمَتِهِ مُغْنِيًا
مِنْ هَذَيْنِ الوَصْفَيْنِ.

قَلْتُ - لَا، اِذْ عَدَمُ القَّنُوطِ مِنْ رَحْمَتِهِ لَا يَسْتَلْزِمُ دَوَامَ الرَّحْمَةِ فَلَا يَغْنَى ذِكْرُهُ
عَنْهُ وَهُوَ ظَاهِرٌ وَأَمَّا عَدَمُ الخُلُوءِ مِنَ النُّعْمَةِ وَإِنْ كَانَ مَلَاذِمًا لِعَدَمِ فَقْدَانِهَا إِلَّا أَنَّهُ
يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْأَوَّلِ الْخُصُوصِ يَعْنِي عَدَمَ حُلُوءِ نَفْسِهِ مِنْ نِعْمَتِهِ كَمَا
أَنَّ الظَّاهِرَ الثَّلَاثِ الْبَاقِيَاتِ أَيْضًا ذَلِكَ، وَبِالثَّانِي مَشْمُولِ نِعْمَتِهِ لِجَمِيعِ الْخَلَائِقِ
وَعَدَمِ فَقْدَانِهَا فِي حَقِّ أَحَدٍ، انْتَهَى.

وَفِيهِ مَا لَا يَخْفَى وَأَنْتَ بَعْدَ التَّدْبِيرِ فِيمَا اسْلَفْنَا مِنْ كَوْنِ الصِّفَاتِ عَيْنَ الذَّاتِ
تَابِعَةً لَهَا فِي جَمِيعِ مَا يُحْكَمُ عَلَيْهَا مِنَ الدَّوَامِ وَالْوَجُوبِ وَالضَّرُورَةِ، وَغَيْرِهَا
وَأَنَّ الْوَاجِبَ بِالذَّاتِ وَاجِبٌ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ وَالصِّفَاتِ فَقَدْ عَلِمْتَ الْحَقَّ فِيهِ
وَعَلَيْهِ فَمِنْ جُمْلَةٍ مَا نَحْكُمُ بِهِ عَلَى الذَّاتِ الدَّوَامِ فَإِنَّ الْوَجُودَ لِلذَّاتِ قَدْ ثَبَّتَ
عَلَى الدَّوَامِ بِمَعْنَى كَوْنِهِ أَزَلِيًّا أَبَدِيًّا لِأَنَّهُ لَا يَنْقَطِعُ لَهُ فَإِنَّ حَيْثِيَّةَ الْوَجُودِ فِيهِ تَعَالَى تَأْبَى
عَنِ الْعَدَمِ وَإِذَا ثَبَّتَ فِي وَجُودِهِ الدَّوَامُ فَقَدْ ثَبَّتَ فِي صِفَاتِهِ أَيْضًا إِذْ لِحَاكِمِ لَهَا
غَيْرُ حَكْمِ الذَّاتِ وَمَعْنَى الدَّوَامِ فِي الصِّفَاتِ هُوَ كَوْنُ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالنُّعْمَةِ
وَأَمْثَالِ ذَلِكَ فِيهِ تَعَالَى أَزَلِيًّا أَبَدِيًّا فَقَوْلُهُ إِذْ عَدَمُ القَّنُوطِ مِنْ رَحْمَتِهِ لَا يَسْتَلْزِمُ
دَوَامَ الرَّحْمَةِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ وَأَمَّا عَدَمُ الخُلُوءِ مِنَ النُّعْمَةِ الخ.

لَا مُحْصَلٌ لَهُ وَإِنْ كَانَ مُرَادُهُ (قَدَّهُ) غَيْرَ مَا فَهَمْنَاهُ مِنَ الْفَاضِلِ فَهُوَ أَمْرٌ آخَرٌ.

وَالْحَاصِلُ أَنَّ الدَّوَامَ فِي النُّعْمَةِ قَدْ ثَبَّتَ كَامِلًا فَمَا نَقَلَهُ عَنِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ مِنْ
تَقْسِيمِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَهُ وَسَمَّاهُ بُرْهَانًا عَلَى دَوَامِ
الرَّحْمَةِ وَكَمَالِ النُّعْمَةِ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ حَقًّا فِي حَدِّ نَفْسِهِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ مَوْرَدِ
الْبَحْثِ فَعَلَا.

وثانيها: ان كلمة (برح) كما جاءت بمعنى زال كذلك جاءت بمعنى ظهر يقال فعَل كذا بَرَحاً اي طرْحاً لا يستره شيء، وْبَرَح الخفاء ظهر قاله الراغب في المفردات، ولا شك ان هذا المعنى اوفق بسياق العبارة ممّا ذكروه وذلك لان دوام النعمة غير ظهورها اذ ربّما تكون النعمة دائمة وهي مع دوامه غير ظاهرة على ضعفاء العقول لكثرة ظهورها كما سيأتي وربّما يكون الأمر بالعكس فدوام النعمة لا يستلزم ظهورها كما ان ظهورها لا يستلزم دوامها وبينهما من النسب الأربع العموم والخصوص من وجه اذا عرفت هذا فنقول:

لَمَّا بَيَّنَّ اللهُ فِي الْجُمَلَاتِ السَّابِقَةِ دَوَامَ نِعْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَكَانَتْ هُنَاكَ مَظَنَّةٌ سِوَالِ وَهُوَ اِنْ هَذِهِ النِّعْمَةُ الَّتِي قُلْتُمْ اَنَّهَا دَائِمَةٌ لِانِّهَا فَايْنِ هَذِهِ الرَّحْمَةُ وَالنِّعْمَةُ فَقَالَ اللهُ دَفْعاً لِهَذَا السُّؤَالِ وَجَوَاباً لَهُ، الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ وَلَا تَفْقَدُ لَهُ رَحْمَةٌ فَوَصَّفَ اللهُ ثَانِيًا بِاَنَّ نِعْمَتَهُ وَرَحْمَتَهُ لَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ لَوْ تَدَبَّرَ فِيهَا حَقَّ التَّدَبُّرِ وَاِنَّمَا خَفَانَهَا فِي ظُهُورِهَا كَمَا اِنْ ذَاتَهُ اَيْضًا كَذَلِكَ.

يا من هو آخْتَفَى لِقَرِطِ نوره الظاهر الباطن في ظهوره فمن تفكّر بل توجّه الى شخصه فقط وانه مركّب من الروح والجسد احدهما مُجَرَّد والآخر مَادِيّ وان الفرق بينهما من الثرى الى الثريا ولكل واحد منهما قوئ و آثار متخالفة متباينة متضادة لامحالة يقول سبحانه من جمع بين الأضداد فأول النعمة في العالم هو نعمة الحياة التي بها تتحقّق الآثار وفي الإنسان بعدها نعمة النطق والبيان كما قال الله تعالى: الرَّحْمَنُ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ وهكذا سائر النعم من السَّمْع والبَصْر والذُّوق والشَّم واللَّمْس، وكذلك الحَوَاسِ الْبَاطِنَةُ مِنَ الْعَقْلِ وَالْوَهْمِ وَالْخِيَالِ وَالْحَسَّ الْمَشْتَرِكِ وَغَيْرِهَا وَفِي الْبَدَنِ مِنَ الرَّجْلِ وَالْيَدِ وَالرَّأْسِ وَالْأَنْفِ وَالْعَيْنِ وَامثال ذلك ممّا لا يمكن احصائه فاذا توجّه بها يقول بلسان حاله او مقالته الهى انا عاجز عن احصاء نعمك فلا أقدر على الشكر بها لان الشكر على النعمة فرع الأحاطة بها فيظهر

له صدق ﴿وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(١) ومن جهة عدم علمه بما اودعته الله سبحانه فيه فضلاً عما اودعته في غيره من الموجودات يظهر له سرّ قوله تعالى حيث قال: ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢) ومن جهة انه كان جاهلاً بكلّ الاشياء حين خروجه من بطن امه ثم صار عالماً يظهر له ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣) هذا في الأنسان نفسه واما سائر الموجودات فالأمر أوضح وعلى كلّ حال المقصود انّ النعم الألهية لاخفاء فيها واقعاً وانما خفائها في ظهورها وظهورها في خفائها وهذا من اللطائف.

وقد روى انّ داود عليه السلام قال الهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى اليه الآن قد شكرتني وفي هذا يقال الشكر على الشكر أتم الشكر ولنعم ما قيل فيه:

إذا كان شكرى نعمة الله نعمةً	علّى له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله	وان طالّت الايام واتصل العمر
إذا مسّ بالسراء عمّ سرورها	وان مسّ بالضراء اعقبها الأجر
فما منها إلا له فيه نعمة	تضيق بها الأوهام والسر والجهر

واما قوله عليه السلام: وَلَا تُفْقِدُ لَهُ نِعْمَةً. وفيه اشارة الى عدم فقدان النعمة فيه تعالى وذلك لانّ كونه تعالى مُنعماً معناه كونه مُفضياً بالأفاضة والأحسان وهو عبارة اخرى عن اظهاره الموجودات وايجادها اذ لانعمة قبل الأيجاد وقد قلنا انّ الله تعالى كما يكون ظاهراً بالذات يكون مُظهِراً للغير والمُظهِرية ليست من الأمور العارضة على ذاته بل عين ذاته ومقتضاها ولا شك انّ فقدان امرٍ عدمتى وهو تعالى لا يتّصف به مضافاً الى ان منشاء فقدان يكون العجز أو البخل وكلاهما فيه من المحالات.

□ قوله ﷺ: وَالدُّنْيَا دَارٌ مِّنِي لَهَا الْفَنَاءُ، وَلَا أَهْلَهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ، وَهِيَ حُلُوةٌ خَضْرَاءُ، وَقَدْ عَجِلْتُ لِلطَّلَابِ وَالتَّبَسُّتُ بِقَلْبِ النَّاطِرِ...

الفصل الثَّانِي فِي صِفَاتِ الدُّنْيَا وَهِيَ أَرْبَعَةٌ أَوْ خَمْسَةٌ.

أحدها: قوله ﷺ: وَالدُّنْيَا دَارٌ مِّنِي لَهَا الْفَنَاءُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ مِنَّا سَابِقًا فِي مَعْنَى الدُّنْيَا وَحَقِيقَتِهَا تَفْصِيلاً وَالْآنَ نَتَكَلَّمُ فِي كَوْنِهَا مِّنِي لَهَا الْفَنَاءُ وَذَلِكَ، لِأَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ بَلْ هِيَ فَانِيَةٌ دَائِرَةٌ قَطْعاً وَالذَّلِيلُ عَلَى فَنَائِهَا مِنَ الْعَقْلِ وَالتَّقْلِ أَمَّا الْعَقْلُ فَلَوْجُوه:

أحدها: أَنَّ الدُّنْيَا عِبَارَةٌ عَنِ أَعْيَانِ مَوْجُودَةٍ لِلْأَنْسَانِ فِيهَا حَظٌّ وَلَهُ فِي إِصْلَاحِهَا شُغْلٌ وَهَذِهِ الْأُمُورُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي مَجْمُوعُهَا الدُّنْيَا لَا كَلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا لَيْسَ لَهَا بَقَاءٌ فَالذُّنْيَا لَيْسَ لَهَا بَقَاءٌ.

أما الأعيان المَوْجُودَةُ الَّتِي تَكُونُ الدُّنْيَا عِبَارَةً عَنْهَا فَهِيَ الْأَرْضُ وَمَا عَلَيْهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِيَبْتَلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(١) فَالْأَرْضُ فِرَاشٌ لِلْأَدْمِيِّينَ وَمَهْدٌ وَمَسْكَنٌ وَمُسْتَقَرٌّ لَهُمْ وَمَا عَلَيْهَا لَهُمْ مَلْبَسٌ وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ وَمَنْكَحٌ وَجَمِيعٌ مَا عَلَى الْأَرْضِ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ، الْمَعَادِنُ، وَالنَّبَاتُ، وَالْحَيَوَانَاتُ وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ كُلَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ فَانِيَةٌ غَيْرُ بَاقِيَةٍ فَالذُّنْيَا فَانِيَةٌ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

وثنانيتها: أَنَّ الدُّنْيَا حَادِثَةٌ وَكُلُّ حَادِثٍ مُمْكِنٌ وَالْمُمْكِنُ لَا بَقَاءَ لَهُ، فَالذُّنْيَا لَا بَقَاءَ لَهُ.

أما أَنَّ الدُّنْيَا حَادِثَةٌ فَلِكُونِهَا مُتَغَيِّرَةٌ وَكُلُّ مُتَغَيِّرٍ حَادِثٌ فَالذُّنْيَا حَادِثَةٌ وَكُلُّ حَادِثٍ مُمْكِنٌ لِكُونِهِ مَسْبُوقاً بِالْعَدَمِ أَوْ بِالْعَلَّةِ وَإِذَا ثَبِتَ كَوْنُ الْعَالَمِ أَوْ الدُّنْيَا أَوْ مَا شِئْتَ فَسَمَّهَ مُمْكِناً وَقَدْ ثَبِتَ أَنَّ الْمُمْكِنَ لَا بَقَاءَ لَهُ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ بَاقِيًا لَزِمَ فِيهِ الْأَنْتِقَالُ عَنِ الْإِمْكَانِ إِلَى الْوُجُوبِ وَهُوَ مُحَالٌ لِكُونِهِ مُسْتَلْزِماً لِلْخَلْفِ.

وبعبارةٍ أُخْرَى: الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُمْكِنِ وَالْوَاجِبِ هُوَ بِالْبَقَاءِ وَعَدَمِهِ فَإِذَا فَرَضْنَا أَنَّ

الممكن لافناء فيه فلا محالة يكون باقياً ازلاً وأبداً فينقلب الامكان الى الواجب وهو محال.

وثالثها: انّ الدّنيا لو قلنا بانّها عبارة عن اعيانٍ موجودة الى آخر ما ذكرناه في التعريف ففنائها قطعيٌّ لأنّ الأعيان الموجودة لكونها مادّية لا محيص لها عن الفناء كما هو شأن الموجود المادّي على ما هو ثابت في محلّه فالدّنيا فانية واما الأدلّة الثّقليّة من الآيات والاحبار وكلمات الحكماء والأدباء في الدّنيا وفنائها فكثيرة جداً وقد ذكرنا شطراً منها في الابحاث السّابقه وسيأتى الكلام فيها بوجهٍ أبسط في مستقبل القول انشاء الله تعالى.

وانّما قال **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: (مُنَى الْفَنَاءِ) لِأَنَّ الْمُنَى التَّقْدِيرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: «الْمَنْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَّنِيَّيْ يُمْنَى» (١)

و: مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٢) اى تُقَدَّرُ بِالْعِزَّةِ الْإِلَهِيَّةِ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ، وَمِنْهُ الْمَنِيَّةُ وَهُوَ الْأَجَلُ الْمُقَدَّرُ لِلْحَيَوَانَ، وَجَمَعَهُ مَنَايَا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَإِذَا لَمْنِيَّةٌ انشَبَتْ اظْفَارَهَا وَقَالَ آخَرُ:

وَبَدَّلَتْ قَرْحاً دَامِياً بَعْدَ صَحَّةٍ لَعَلَّ مَنَايَانَا تَحُولُنَّ أَبْوَاءَ سَا

وَقَالَ آخَرُ:

لَعَمْرِي إِنْ كَانَتْ أَصَابَتْ مَصِيبَةٌ أَخِي وَالْمَنَايَا لِلرِّجَالِ شُعُوبٌ

وَاطْلَاقُ الْمَنِيَّةِ عَلَى الْمَوْتِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَوْتَ حُلُولَ الْأَجَلِ

الْمُقَدَّرِ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ وَعَلَى أَيْ تَقْدِيرٍ فَفِي كَلَامِهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْفَنَاءَ لِلدُّنْيَا

أَمَّا هُوَ بِحَسَبِ التَّقْدِيرِ الْإِلَهِيِّ لِأَنَّهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهَا وَالسَّرْفِيَّةُ هُوَ أَنَّ الْأَصْلَ فِي

الْمَوْجُودِ الْبَقَاءُ وَالْفَنَاءُ أَمْرٌ عَارِضٌ عَلَيْهِ وَقَدْ ثَبِتَ أَنَّ كُلَّ عَرَضِيٍّ مُعَلَّلٌ فَكُونَ

الدُّنْيَا لِأَجْلِ أَنَّ الْعِلَّةَ قَدَّرَهَا كَذَلِكَ لِأَنَّهَا بِنَفْسِهَا تَقْتَضِي الْفَنَاءَ فَكَمَا أَنَّ الدُّنْيَا

أَعْنَى الْأَعْيَانَ الْمَوْجُودَةَ فِي وُجُودِهَا تَحْتَاجُ إِلَى الْعِلَّةِ كَذَلِكَ فِي فَنَائِهَا تَحْتَاجُ

إِلَيْهَا فَالْأَعْيَانَ الْمَوْجُودَةَ فِي وُجُودِهَا وَبِقَائِهَا وَفَنَائِهَا تَحْتَاجُ إِلَى الْعِلَّةِ وَهُوَ

المطلوب.

ثمَّ انه ﷺ عَبَّرَ فِي كَلَامِهِ بِالْفَنَاءِ وَلَمْ يُعْبَرْ بِالْأَعْدَامِ وَالْأَضْمَحَالِ وَمَا شَابَهُمَا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَبَّرَ عَنْهَا كَذَلِكَ فِي كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾^(١)، وَلَمْ يَقُلْ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا مَعْدُومٌ وَفِيهِ سِرٌّ لَطِيفٌ لَا بَأْسَ بِالْإِشَارَةِ إِلَيْهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ.

وهو أن الدنيا كما قلنا وقالوا عبارة عن اعيان الموجودات وقد ثبت القول بلزوم المعاد الجسماني في الشريعة المطهرة فلو قلنا بأن الموجودات تُعَدَمُ لما أمكن القول بالمعاد لأنَّ المَعْدُومَ لا يُعَادُ بل بعض الفلاسفة ادَّعى فيه الضَّرورة وقال امتناع إعادة المَعْدُومِ مِنَ الضَّروريات كما قال السبزواري.

إِعَادَةُ الْمَعْدُومِ مِمَّا امْتَنَعَا وَبَعْضُهُمْ فِيهِ الضَّرورةُ ادَّعَا وَأَمَّا الْفَنَاءُ فَهُوَ أَحْصَى مِنَ الْعَدَمِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَدَمَ عِبَارَةٌ عَنِ اللَّيْسِيَّةِ الضَّرْفَةِ بِحَيْثُ لَا يَبْقَى مِنَ الْمَوْجُودِ أَثَرٌ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: الْعَدَمُ أَوْ الْأَعْدَامُ هُوَ انْحِلَالُ الذَّاتِ وَإِنْعَادِهَا بِالْكُلِّيَّةِ وَالْفَنَاءُ عِبَارَةٌ عَنِ تَبْدِيلِ الْوُجُودِ وَتَغْيِيرِهِ بِوُجُودٍ أُخْرٍ مَعَ بَقَاءِ الْمَادَّةِ وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ الْفَنَاءُ عِبَارَةٌ عَنِ انْقِلَابِ الصُّورَةِ الْوُجُودِيَّةِ بِصُورَةٍ أُخْرَى وَالْعَدَمُ عِبَارَةٌ عَنِ الْانْقِلَابِ فِي الْمَادَّةِ بِحَيْثُ صَارَتِ الْمَادَّةُ الْمَوْجُودَةَ مَثَلًا مَعْدُومَةً وَلَا جِلَّ ذَلِكَ ذَهَبَ بَعْضُ الْفَلَسَفَةِ إِلَى أَنَّ الشَّيْءَ بَعْدَ وُجُودِهِ لَا يَنْعَدِمُ أَصْلًا لِعَدَمِ امْكَانِ الْانْقِلَابِ فِي الْمَادَّةِ فَإِنَّ الْمَادَّةَ الْمَوْجُودَةَ لَوْ اتَّصَفَتْ بِالْعَدَمِ يَلْزَمُ مِنْهُ اتِّصَافُ الشَّيْءِ بِنَقِيضِهِ وَهُوَ مُحَالٌ وَهَذَا بِخِلَافِ الْفَنَاءِ الَّتِي تَرَى أَنَّ الصُّورَةَ الْمَائِيَّةَ تَتَبَدَّلُ بِالصُّورَةِ الْهَوَائِيَّةِ فَيَصِيرُ الْمَاءُ هَوَاءً، ثُمَّ يَصِيرُ الْهَوَاءُ مَاءً وَهَكَذَا، وَفِي جَمِيعِ الْمَرَاتِبِ الْمَادَّةِ الْمَائِيَّةِ مَحْفُوظَةٌ.

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْأَعْيَانَ الْخَارِجِيَّةَ فِي عَالَمِ الْمَادَّةِ لَهَا مَادَّةٌ وَلَهَا صُورَةٌ وَتُعْبَرُ عَنِ الصُّورَةِ تَارَةً بِالصُّورَةِ الْجِسْمِيَّةِ وَتَارَةً بِالصُّورَةِ النَّوْعِيَّةِ هَذَا بِحَسَبِ مَتَفَاهِمِ الْعُرْفِ فِي عَالَمِ الْحِسِّ وَأَمَّا فِي الْحَقِيقَةِ فَالصُّورَةُ الْوَاقِعِيَّةُ لَهَا

هي وجوداتها الخاصة لأن الصورة على ما عرّفوها عبارة عما به يكون الشيء شيئاً بالفعل ولذلك قالوا شيئية الشيء بالصورة لابلامة فالمادة شأنها القبول والصورة شأنها الفعلية وحيث أنّ شيئية الأشياء الأشياء بوجوداتها الخاصة لاغيرها فصَحَّ ان يقال ان الوجود بالنسبة الى الموجود بمنزلة الصورة بالنسبة الى المادة بل هو عينها ففناء العالم عبارة عن انقلاب صور الموجودات اعني وجوداتها الخاصة الدنيوية الى الوجودات البرزخية والأخروية لان وجوداتها تنعدم كما توهم بعض من لاخبرة له ولعلّه الى هذا التحقيق اشار رسول الله في معنى الموت حيث قال فيه: (وانما تنقلون من دار الى دار) اي من دار الدنيا الى دار الآخرة ومن المعلوم ان الانتقال لا يصدق الا فيما اذا كانت المادة باقية والصورة الوجودية والعنصرية مُنقلبة فاذا قلنا مثلاً زيد انتقل من دار الى دار او من بلد الى بلد ليس معناه ان زيدا صار معدوماً في الاول موجوداً في الثاني بل معناه تبديل الظرف وتغييره فان الوجود في الدنيا واحدٌ واما اذا قلنا انه انتقل من عالم الى عالم آخر معناه تغيير الوجود وتبديله بمقتضى ظرفه وهذا هو السر في ان الوجود الأخرى سُنخه غير الوجود الدنيوي وان اشتركا في مفهوم الوجود المقابل للعدم فان الوجود في كل عالم من العوالم بحسبه كما ان الوجود في الجوهر جوهرٌ وفي العرض عرضٌ وهو مع ذلك في الكل وجودٌ فقد ظهر مما ذكرنا ان قوله ﷺ: **وَالدُّنْيَا دَارٌ مِّنِي لَهَا الْفَنَاءُ فِيهِ سِرٌّ عَظِيمٌ فَاعْتَنِمِ فَإِنَّهُ دَقِيقٌ جَدًّا.**

وثانيها: قوله ﷺ: **وَلَا أَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ...**

وهذا هو الوصف الثاني من اوصاف الدنيا وهو ان اهل الدنيا كائناً من كان ليس لهم بقاء فيها بل لا بدّ لهم من الأرتحال عنها وذلك لانه قد ثبت وتحقق ان معطى الشيء لا يكون فاقداً له فاذا اثبت في الجملة السابقة، ان الدنيا فانية بحسب التقدير ولا يمكن لها لبقاء فكيف يمكن فرض البقاء لأهلها فان من لا يقدر على اعطاء البقاء لنفسه كيف يقدر على اعطائه لغيره هذا اذا قلنا بان

الدُّنْيَا لَيْسَتْ أَعْيَانُ الْمَوْجُودَاتِ أَنْفُسَهَا كَمَا تَقَدَّمُ بَلْ هِيَ ظَرْفٌ لَهَا كَمَا هُوَ مِنَ الْمُحْتَمَلِ، وَأَمَّا عَلَى الْقَوْلِ بِالْعَيْنِيَّةِ فَالْأَمْرُ أَوْضَحُ لِأَنَّ فَنَائِهَا عَيْنُ فَنَاءِ أَهْلِهَا. ثُمَّ إِنَّ فِي التَّعْبِيرِ بِالْجَلَاءِ، دُونَ الْأَنْتِقَالِ وَالْأَرْتِحَالِ وَامْتِثَالِ ذَلِكَ مَا لَا يَخْفَى مِنَ اللَّطْفِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْجَلَاءَ بَفَتْحِ الْجِيمِ وَالْمَدِّ فِي آخِرِهِ بِمَعْنَى الْخُرُوجِ عَنِ الْبَلَدِ كَمَا يُقَالُ وَقَدْ جَلَوُ عَنْ أَوْطَانِهِمْ أَيْ خَرَجُوا بِحَيْثُ لَا يَتَيَسَّرُ لَهُمُ الرَّجُوعُ إِلَيْهَا لَيْسَكُنُوا فِيهَا ثَانِيًا قَالَ الشَّاعِرُ:

فَلَمَّا جَلَاها بِالْأَيامِ تَحَيَّرَتْ ثَباتٌ عَلَيْها ذُلُّها وَكِتابُها

وقال الله عزَّ وجل: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ (١) فقوله عليه السلام: إشارة إلى هذه الآية الشريفة.

والنكتة في استعمال لفظ الجلاء في كلامه عليه السلام وكذا في الآية الشريفة هو أن أهل الدنيا لا محالة يخرجون منها بالموت ولا يمكن لهم الرجوع إليها ثانياً كما قال الله تعالى حكاية عنهم ربِّ ارجعون لعلِّي أعمل صالحاً فيما تركتُ كلا إنها كلمةٌ هو قائلها، فكَانَتْهُمْ خَرَجُوا عَنْ وَطَنِهِمْ أَوْ اخْرَجَوْهُمْ عَنْهُ.

فإنَّ الْجَلَاءَ يَسْتَعْمَلُ لِأَزْمًا وَمُتَعَدِّيًا يُقَالُ جَلَوْا عَنْ أَوْطَانِهِمْ وَأَجْلَيْتُ الْقَوْمَ عَنْ مَنَازِلِهِمْ وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِمْ فَلَانُ جَلَا عَنْ وَطَنِهِ وَبَلَدِهِ.

وحاصل الكلام أن كلامه عليه السلام إشارة إلى أن موت أهل الدنيا وانتقالهم منها إلى الآخرة صعبٌ عليهم كما أن جلاء الوطن صعبٌ على أهله وهو كذلك لشدة علاقتهم بالدنيا وانغماسهم في لذاتها ومُشتهياتها ولا شك أن العلاقة إلى الشيء أياماً كان كلما كانت أشدَّ وأكثر كانت مفارقتها أعظم وأصعب، وبالعكس بالعكس.

كيف لا وهم الذين اتَّخَذُوا الدُّنْيَا الدُّنْيَا الْفَانِيَةَ وَطَنًا لِأَنْفُسِهِمْ فَكَانَتْهُمْ خُلِقُوا لِأَجْلِ التَّوَطُّنِ فِيهَا دَائِمًا وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ خُلِقُوا لغيرها وهذه الغفلة هي التي أوجبت لهم الندامة والخسران إلى الأبد.

ثمَّ اِنَّهُ ﷺ قَالَ (لَا هَلِيهَا) وَلَمْ يَثْمَلْ لِسَاكِنِيهَا مِثْلًا لِنَكْتَةِ أُخْرَى وَهِيَ اِنَّ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى صِنْفَيْنِ:

صِنْفٌ مِنْهُمْ لَهُمْ عِلَاقَةٌ بِهَا لُقُبُهُمْ إِلَيْهَا لَا تَخَازَهُمُ الدُّنْيَا وَطَنًا لَهُمْ كَمَا اِنَّ أَهْلَ الرَّجُلِ عِبَارَةٌ عَنِ اقْرِبَائِهِ الَّذِينَ لَهُمْ عِلَاقَةٌ بِهِمْ فَكَمَا اِنَّ أَهْلَ الرَّجُلِ غَيْرِ مَفَارِقٍ لَهُ لَوْ خُلِّيَ وَطْبَعَهُ فَكَذَلِكَ أَهْلُ الدُّنْيَا غَيْرِ مَفَارِقِينَ لَهَا حَتَّى الْمَقْدُورِ. وَقَسِمٌ آخَرَ مِنْهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ عِلَاقَةٌ بِهَا وَإِنْ كَانُوا فِيهَا مُقِيمِينَ فَإِنَّ الْكُونَ فِي الشَّيْءِ غَيْرِ الْكُونَ مَعَهُ فَهُمْ فِي الدُّنْيَا لَامِعٌ الدُّنْيَا لِبُعْدِهِمْ عَنْهَا بُعْدًا رَوْحَانِيًّا وَهُوَ لَاءٌ لَا يُسَمَّوْنَ بِأَهْلِ لَهَا.

فَقَوْلُهُ ﷺ: وَلَا هَلِيهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ، قَدْ دَلَّ بِحَسَبِ الْمَفْهُومِ اِنَّ الْجَلَاءَ مِنْهَا يَخْتَصُّ بِأَهْلِ الدُّنْيَا وَهُمْ الَّذِينَ يُحِبُّونَهَا حُبًّا شَدِيدًا لَا بِمُطْلَقٍ مِنْ يَكُونُ سَاكِنًا مُقِيمًا فِيهَا فَإِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَعَ كُونِهِمْ فِيهَا لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا فَلَا يَصْدُقُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءُ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَّخِذُوا الدُّنْيَا وَطَنًا وَمَأْمَنًا لِأَنفُسِهِمْ لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّهَا فَانِيَةٌ دَائِرَةٌ وَمَا كَانَ كَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْتَمَدَ عَلَيْهِ وَهَذَا بِخِلَافِ الْآخِرَةِ فَإِنَّهَا لَكُونُهَا بِأَقْيَةِ ثَابِتَةٌ تَصْلُحُ لِأَنَّ تَكُونَ وَطَنًا فَاتَّخَذُوهَا وَطَنًا فَارْتَحَالَهُمْ عَنِ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ لَيْسَ مِنَ الْجَلَاءِ بِشَيْءٍ فَلَا يَصْدُقُ الْجَلَاءُ عَلَى غَيْرِ أَهْلِ الدُّنْيَا فَهَذَا الْخُرُوجُ لَهُمْ تَخْصِيصِي لَا تَخْصِيصِي وَهُوَ ظَاهِرٌ وَلَنَعْمَ مَا قَالَ الشَّاعِرُ:

أَهْلُ دُنْيَا أَرْكَهَيْنِ وَأَرْكَهَيْنِ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ

وَتَالِثُهَا: وَهِيَ حُلُوةٌ خَضْرَاءٌ وَهَذَا هُوَ الْوَصْفُ الثَّلَاثُ لَهَا فِي نَظَرِ أَهْلِهَا وَقَدْ ذَكَرَ ﷺ مِنْ أَوْصَافِهَا اثْنَيْنِ: أَحَدُهُمَا كُونَ الدُّنْيَا حُلُوةً، وَثَانِيَهُمَا كُونُهَا خَضْرَاءً أَمَّا الْحُلُوةُ فَهِيَ ضِدُّ الْمُرِّ أَعْنَى الطَّيِّبِ اللَّذِيذِ الْجَمِيلِ وَأَمَّا الْخَضْرَاءُ فَهِيَ الْبَقْلَةُ الْخَضْرَاءُ وَأَمَّا اخْتَارَ ﷺ لَهَا مِنَ الْأَلْوَانِ وَمِنَ الطُّعُومِ الْخَضْرَاءَ وَالْحُلُوةَ لِأَنَّ الْخَضْرَاءَ مِنَ الْأَلْوَانِ وَالْحُلُوةَ مِنَ الطُّعُومِ وَالْأَوَّلُ مِنَ الْكَيْفِيَّاتِ الْمَحْسُوسَةِ أَعْنَى دَرَكِهَا بِسَبَبِ الْبَاصِرَةِ بِخِلَافِ الْحَلَاوَةِ فَإِنَّ دَرَكَهَا لَا يُمْكِنُ إِلَّا بِالذَّائِقَةِ وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ أَيْضًا مِنَ الْكَيْفِيَّاتِ الْمَحْسُوسَةِ إِلَّا أَنَّ الْخَضْرَاءَ مِنَ الْمَبْصُرَاتِ وَهُوَ الْكَيْفُ

المَحسُوسُ الظَّاهِرُ والحُلُو من المَذوقَات وهو الكَيْفُ المَحسُوسُ بحواسِ
الباطنة ولتوضيح المقال نشرح الكَيْفِيَّاتِ بأجمعها فنقول الكَيْفُ قالوا فى
تعريفه بأنه هَيْئَةٌ قَارَةٌ لا تَقْتَضِي النِّسْبَةَ ولا القِسْمَةَ لذاته وهو ينقسم الى اربعة
اقسام:

احدها: الكَيْفِيَّاتِ المُخْتَصَّةُ بالنَّفْسِ ويقال لها الكَيْفِيَّاتِ النِّفْسَانِيَّةُ كالعلم
والأرادة والقُدرة والجُبْن والشَّجاعة ونظائرها.

وثانيها: الكَيْفِيَّاتِ المُخْتَصَّةُ بالكَمِّ ويقال لها الكَيْفِيَّاتِ بالكمِّيَّاتِ
كالاستقامة والانحناء والشكل ونحوها.

وثالثها: ما هو القُوَّة واللاقُوَّة ويقال لها الكَيْفِيَّاتِ الأستعدادِيَّة من الأستعداد
الشديد الى جانب الأفعال كاللِين والمِراضِيَّة ونحوهما وهو المسمَّى
باللاقُوَّة، والاستعداد الشديد الى جانب الأفعال كالصلابة والمصاحبة
وغيرهما وهو المسمَّى بالقُوَّة.

ورابعها: كيف مَحسُوسٌ بخمس قُوَّة ظاهرة من الكَيْفِيَّاتِ المَلْمُوسَةِ
كالملايسة والخشونة واللزوجة، والكَيْفِيَّاتِ المَذوقة كالطَّعوم البسيطة التَّسعة
من الحلاوة والمرارة والحموضة والعفوصة وامثالها، والكَيْفِيَّاتِ المَشْمُومَةِ
كالرَّوائح الطَّيِّبَةِ والمُتَيْتَةِ، والكَيْفِيَّاتِ المَسْمُوعَةِ كالأصوات والمُبصرة
كالأضواء والألوان والى ما ذكرنا اشار السبزوارى فى المنظومة حيث قال:

الكَيْفُ ما قَرَّ من الهَيْئَاتِ

لم يَنْتَسِبِ ويُقْتَسَمُ بالذَّاتِ

وهو الى اربعةٍ قد انقَسَمَ

ما اختَصَّ بالنَّفْسِ وما اختَصَّ بكم

وما هو القُوَّة واللاقُوَّة

وكيف مَحسُوسٍ بخمس قُوَّةٍ

من انفعالي والأنفعال

كالمملكات اعرفهما والحال

فالاول الراسخ لالثاني اقتنص

بذنيك الجسم وبين النفس خص

اذا عرفت الكيفيات وانواعها واقسامها على سبيل الاجمال فنقول:

أثبت عليه السلام للدنيا من هذه الكيفيات النفسانية شيئاً للإشارة الى ان الدنيا ليست الا هذه الأمور المحسوسة ولا حظ لها من المعقولات فان الكيفيات النفسانية في الحقيقة ترجع الى المعقولات وهي لاصالتها وبقائها تمتاز عنها. وايضا لم يثبت لها من الكيفيات المختصة بالكميات والقوة واللاقوة لعدم العلم بها بالنسبة الى الاكثر لخفائها عن الجس وخروجها عنه واهل الدنيا لا يتجاوزون الجس اذ لو تجاوزوا عنه لما اغتروا بالدنيا.

وانما اختار عليه السلام من المحسوسات هذين القسمين اعنى ما يرتبط بالمذوق والمبصر دون الملموسات والمشمومات لان الكيفيات المحسوسة المرتبطة بالذوق لها تعلق وانس بالبطن والمرتبطة بالمبصر لها تعلق بالعين الباصرة واهل الدنيا اكثر اهتمامهم فيها بالبطن والرؤية بالبصر فان البصر يرى والبطن يميل ويشتهي وغيرهما من المحسوسات تتبع لهما فقال عليه السلام ان الدنيا حلوة في مذاقهم وخضرة في ابصارهم ومن لاعقل له ولا فكر يكفى في اقناعه مادام كونه حياً ان يكون متوجهاً بهذين الأمرين ولذلك ترى قاطبة الناس في زماننا هذا يحومون حول هذين المرتعين ولا اعتناء لهم بماورائهما فاذا مهد لهم طعاماً طيباً لذيذاً يأكلون منه ولا يسئلون عن حرمة وجلية وذا ارأوا ما تلتذ بها أعينهم فهو يكفى لهم الاترى كيف يجمعون ويهيئون ما ينوط بهما فائبات الحلوا لها وكذا الخضرة من باب الاستعارة.

ورابعها وقوله عليه السلام: وَقَدْ عَجِلْتُ لِلطَّالِبِ...

بعد ما بين عليه السلام ان الدنيا في نظر اهلها صارت خضرة حلوة اردف عليه السلام كلامه

بقوله وقد عَجَلْتُ لِلطَّالِبِ،، وفيه إشارة الى سرعة زوال نعمها التي اعتمدوا عليها وقد ذكرنا في الأبحاث السالفة ما ناسب المقام مضافا الى ان العاقل لا يكاد يشك في زوال الدنيا ونعيمها ولأجل هذا النقص الموجود فيها لم يعتمد عليها احد من العقلاء والصلحاء والأولياء والابخار والآيات قد وردت في ذمها وذم من يركن اليها والاستدلال على اثبات هذا الموضوع من تضييع الوقت وإطالة الكلام لأنه من البديهيّات الحسنية فضلا عن العقلية وخامسها قوله عليه السلام: **وَالْتَبَسَتْ بِقَلْبِ النَّاطِرِ...**

وهذا الوصف ايضا من البديهيّات والمقصود منه هو ان الأمور قد اشتبه على اهل الدنيا فظنوا ان الدنيا وما فيها من النعم من الموجودات الباقية المتأصلة ولم يعلموا ان الأمر ليس كذلك وقد سبق منا القول فيه ايضا مفصلاً ثم بعد فراغه عليه السلام من بيان الأوصاف الخمسة للدنيا شرع في بيان وظيفته السالك الى الله فيها وهي ثلاثة.

احدايها قوله عليه السلام: فَارْتَحِلُوا عَنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ...

امرهم بالارتحال عنها بأحسن ما يمكن لهم تحصيله من الزاد والمؤونة ولا شك انه لازاد احسن من التقوى كما قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم وقال عليه السلام في موضع آخر من الكتاب تزودوا فان خير الزاد التقوى وعلى كل حال تستفاد من قوله عليه السلام هذا امور:

احدها قال عليه السلام: فَارْتَحِلُوا وهو امر من الارتحال والارتحال الانتقال من موضع الى موضع آخر وفيه إشارة الى ما ذكرنا وحققناه سابقا من ان الموت عبارة عن الانتقال من الدنيا الى الآخرة وهو دليل على ان الانسان لا يعدم بموته كما ربما يتخيل بل حال الانسان بالنسبة الى الدنيا والآخرة كحاله من انتقاله في الدنيا من مكان الى مكان آخر فكما انه لا بد له في هذا الارتحال من الزاد كذلك في ذلك الارتحال الا ان الزاد في كل سفر بحسبه من جهة بعد المسافة وقربها وحيث ان سفر الآخرة بعيد غاية البعد فلامحالة يحتاج الى الزاد

المناسب له قال الشاعر:

أَنَّمَا الدُّنْيَا كظِلٍّ زَائِلٍ

أو كضيفٍ باتٍ فيها وارْتَحَلٍ

وثانيها قوله عليه السلام: بِأَحْسَنِ مَا يَحْضُرَتِكُمْ، ففيه إشارة الى أنه ينبغي للعاقل ان يتزوّد منها بأحسن ما يمكن له تحصيله لنفسه في حياته وفي تعبيره عليه السلام بقوله ما بحضرتكم إشارة الى ان الزاد الذي ينبغي للأُنسان من حمّله الى الآخرة هو الزاد الحاضر لديه الذي حصّله بعمله ويمكن ان يكون المراد به ما يمكن استحضاره بالعمل الصّالح قال الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ﴾ (١)

و: ﴿الَّذِي يَصْعَدُ الْكَلِمَ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (٢)

و: ﴿تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (٣) وامثالها من الآيات وذلك لان اصل الزاد على ما قال الراغب المّدخر الزائد على ما يحتاج اليه في الوقت والتزوّد اخذ الزاد وقد مرّ البحث في التقوى وما ورد فيه وأنه خير الزاد وسيأتي منّا الكلام فيه بوجه أبسط في مستقبل القول انشاء الله تعالى.

وثانيها قوله عليه السلام: وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكِفَافِ ...

اي ولا تسألوا الله أن يعطيكم في الدنيا فوق ما تحتاجون اليه لان المال الكثير منشاء الآفات والبليّات في الدارين.

قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ، نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٤)

و: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ، إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ (٥)

و: ﴿الْهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ إِلَىٰ قَوْلِهِ ثُمَّ لِنَسْئَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (٦) وامثال ذلك من الآيات.

وقد روى المجلسي (قدّه) باسناده عن ابي عبيدة الحذاء، قال سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله عز وجل ان من اغبط اوليائي عندي رجلاً خفيف الحال، لاحظ من صلوة احسن عبادة ربه بالغيب وكان غامضاً في الناس جعل رزقه كناناً فصبر عليه عجلت منيته فقلت ثرائه وقلت بواكيه انتهى «ج ١٥ باب الغنا والكفاف ص ٢٣٤»...

وايضا باسناده عن السكوني عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله طوبى لمن اسلم وكان عيشه كفافاً، انتهى «ص ٢٣٤»...

وايضا بهذا الاسناد عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله، اللهم ارزق محمداً وآل محمداً ومن احب محمداً وآل محمداً العفاف والكفاف وارزق من ابغض محمداً وآل محمداً المال والولد «ص ٢٣٤»...

وايضا باسناده عن ابي عبد الله قال عليه السلام ان الله عز وجل يقول يحزن عبدي المؤمن ان اقتربت عليه وذلك اقرب له مني ويفرح عبدي المؤمن ان وسعت عليه وذلك ابعد له مني، انتهى «ص ٢٣٥»...

اقول: لان الاقتار يلزم توجه العبد اليه والسعة توجب الغفلة غالباً مؤلف وايضا باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال صلى الله عليه وآله انما الخوف على امتي من بعدى ثلاث خصال ان يتأولوا القرآن على غير تأويله، او يتبعوا ذلة العالم او يظهر فيهم المال حتى يطغوا ويبطروا سانبئكم المخرج عن ذلك، اما القرآن فأعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه، واما العالم فانظروا فئته ولا تتبعوا زلته، واما المال فان المخرج منه شكر النعمة واداء حقه انتهى «ص ٢٣٥»...

وايضا باسناده عن موسى ابن جعفر عليه السلام عن ابيه عليه السلام قال اوحى الله عز وجل الى موسى لاتفرح بكثرة المال ولا تدع من ذكرى على كل حال فان كثرة المال تنسى الذنوب وان ترك ذكرى يقسى القلوب، انتهى «ص ٢٣٥»...

وايضا باسناده عن عبدالله ابن سنان عن الصادق عليه السلام قال عليه السلام: خمس ما لم تكن فيه لم يتهن بالعيش الصحة، والأمن والقناع والقناعة والأتيس

الموافق، «ص ٢٢٥»...

وبالاسانيد الثلاثة عن الرضا عن آباءه قال قال رسول الله أتاني ملك فقال يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويقول ان شئت جعلت لك بطحاء مكة ذهباً قال فرفع رأسه الى السماء فقال يا رب أشبع يوماً فأحمدك وأجوع يوماً فأسئلك «٢٢٥».

وايضا باسناده عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ اللهم من أحبني فارزقه الكفاف والعفاف ومن ابغضني فأكثر ماله وولده، انتهى «ص ٢٢٥»...

وايضا باسناده عن علي ابن الحسين ؑ عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من رضى من رضى من الرزق رضى الله منه بالقليل من العمل، انتهى «ص ٢٢٦»...

وايضا باسناده عن ابراهيم ابن ام الدرداء قال رسول الله ﷺ من أصبح معافى في جسده آمناً في سريته عنده قوت يومه فكانما خررت له الدنيا يابن جعشم يكفيك منها مأسد جوعتك ووارى عورتك وان يكن بيتك فذاك وان يكن دابة تركبها فبجّ بجّ والآ فالخير وما بعد ذلك حساب عليك او عذاب، انتهى «ص ٢٢٦»...

وايضا قال رسول الله ﷺ لأبي ذر الغفاري في غنمه فقال كثر الغنم وولدت فقال ﷺ تبشّرني بكثرتها ماقل وكفى منها أحبّ الى مما كثر، ولهي وروي طوبى لمن آمن وكان عيشه كفافاً، انتهى «ص ٢٢٦»...

وعن صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال ﷺ اللهم اجعل رزق محمد قوتاً وعنه اللهم اجعل قوة محمد كفافاً، والأحاديث في فضل الكفاف أكثر من ان تحصى وفيما ذكرناه كفاية لمن تدبر فيها لانه لاشك في مدح الكفاف لبقلة الحساب عليه ولولا فيه نفع الا هذا لكفى ولنعم ما قيل:

أَخَصَّ النَّاسُ بِالْإِيمَانِ عَبْدٌ خَفِيفُ الْحَالِ مَسْكِنُهُ الْغِفَارُ

لَهُ فِي اللَّيْلِ حَظٌّ مِنْ صَلَاةٍ
وَقُوَّةِ النَّفْسِ يَأْتِي مِنْ كِفَافٍ
وَفِيهِ عِفَّةٌ وَبِهِ خُمُولٌ
وَقَلَّ الْبَاكِيَاتُ عَلَيْهِ لَمَّا
فَذَاكَ قَدْ نَجَى مِنْ كُلِّ شَرٍّ

وقد روى عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال مرَّ رسول الله براعي إبلٍ فبعث إليه يستسقيه فقال أما ما في ضروعها فصبرح الحى وأما ما في أنيتها فغبوقهم فقال رسول الله ﷺ اللهم أكثر ماله وولده، ثم مرَّ براعي غنم فبعث إليه يستسقيه فحلب له ما في ضروعها وأكفأ ما في أنائها في إناء رسول الله ﷺ وبعث إليه بشاةٍ وقال هذا ما عندنا وإن أحببت أن نزيدك زدناك قال ﷺ فقال رسول الله ﷺ اللهم أرزقه الكفاف فقال له بعض أصحابه يا رسول الله دعوت للذى ردك بدعاءٍ عامتنا نحببه ودعوت للذى أسعفك بحاجتك بدعاءٍ كلنا نكرهه فقال رسول الله أن ما قلَّ وكفى خير مما كثروا لهي اللهم الرزق محمداً وآله الكفاف، انتهى، قال الشافعي فيه:

قَنَعَتْ بِالْقُوَّةِ مِنْ زَمَانِي
خَوْفًا مِنَ النَّاسِ أَنْ يَقُولُوا
مَنْ كُنْتُ عَنْ مَالِهِ غَنِيًّا
وَمَنْ رَأَى بَعِينَ نَقِصًا
وَمَنْ رَأَى بَعِينَ تَمًّا

ثم إن قوله ﷺ: وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكِفَافِ وكذلك الآيات والروايات التي قد دلت على فضل الكفاف على ما زاد منه كل ذلك لأن فوق الكفاف فيه من الضرر ما لا يخفى ولنشر إلى بعض الوجوه العقلية الدالة على أن كثرة المال لا خير فيها ونقول في بيانها أن غوائله إما دنيوية أو دينية على ما قال بعض العرفاء فقال (قدّه):

أما الدنيوية فيكفي فيها ما يقاسيه ارباب الأموال من الخوف والحزن والهَمّ
والغَمّ وتفرّق الخاطر وسوء العيش والتعب في كسب الأموال، وحفظها ودفع
الحساد وكيد الظالمين وغير ذلك.
وأما المضارّ الدنيوية ثلاثة أنواع:

أحدها: إداؤه الى المعصية اذ المال من الوسائل الى المعاصي ونوع من
القدرة المُحرّكة لداعيتها فاذا استشعرها الإنسان من نفسه انبعت الداعية
واقترح في المعاصي وارتكب انواع الفجور ومهما كان آيساً عن القدرة لم
يتحرّك داعية اليها اذا العجز قد يحول بين المرء وبين المعصية وأما مع القدرة
فان اقتحم ما يشتهي هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة أشدّ وفتنة
السراء من فتنة الضراء أعظم.

وثانيها: إداؤه الى التّنعّم في المباحات فانّ الغالب انّ صاحب المال يتّنعّم
بالدنيا ويمرّن عليه نفسه فيصير التّنعّم محبوباً عنده مألوفاً بحيث لا يصير عنه
ويجرحه البعض منه الى البعض واذا اشتدّ الفه به وصار عادةً له ربّما لم يقدر
عليه من الحلال فيقتحم في الشبهات ويخوض في المحرّمات من الخيانة
والظلم والغصب والرياء والكذب والتفّاق والمداهنة وسائر الاخلاق المهلكة
والأشغال الرديّة ليتّظم امر دنياه ويتيسر له تنعّمه وما أقلّ لصاحب الثروة
والمال الا يصير التّنعّم مألوفاً له اذمتى يقدر ان يقنع بحبز الشعير ولبس الخشن
وترك لذيذ الأطعمة بأسرها فانّما ذلك شأن نادر من اولى النفوس القويّة
القدسيّة كسليمان ابن داود عليه السلام وامثاله.

على انّ من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد ان
ينافقهم ويسخط الله في طلب رضاهم فان سلم من الآفة الأولى اعنى مباشرة
المحرّمات فلا يسلم من هذه اصلا وايضا من الحاجة الى الناس تُثور العداوة
والصداقة ويحصل الحقد والحسد والكبر والرياء والكذب والغيبة والتّميمة
وسائر معاصي القلب واللسان وكلّ ذلك من شوم المال والحاجة الى

وثالثها وهو الذي لا يملك عنه أحدٌ من أرباب الأموال وهو أنه يُلْهِيه إصلاح ماله وحِفْظُهُ عن ذكر الله تعالى وكل ما يشغل العبد عنه تعالى فهو خسران ووبال ولذا قال روح البوعزيزي: المال ثلاث آفات إن يأخذه من غير حِلِّه ففيل إن أَخَذَهُ مِنْ حِلِّهِ قَالَ يَضَعُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، ففيل إن وَضَعَهُ فِي حَقِّهِ فَقَالَ يَشْغَلُهُ إِصْلَاحُهُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى، وهذا هو الداء العضال إذ أصل العبادات ورؤوحها وحقيقتها هو الذُّكْرُ والفِكرُ في جلال الله تعالى وذلك يستدعي قلباً فارغاً وصاحب الضيعة يُصْبِحُ وَيُمْسِي مُتَّفَكِّراً فِي خُصُومَةِ الْفَلَاحِ وَمَحَاسِبَتِهِ وَخِيَانَتِهِ وَمَنَازَعَةِ الشَّرْكَاءِ وَخُصُومَتِهِمْ فِي الْمَاءِ وَالْحُدُودِ وَخُصُومَةِ أَعْوَانِ السُّلْطَانِ فِي الْخَرَاجِ وَخُصُومَةِ الْأَجْرَاءِ فِي التَّقْصِيرِ فِي الْعِمَارَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وصاحب التِّجَارَةِ يَكُونُ مُتَّفَكِّراً فِي خِيَانَةِ الشَّرْكَاءِ وَإِنْفِرَادِهِمْ بِالرِّبْحِ وَتَقْصِيرِهِمْ فِي الْعَمَلِ وَتَضْيِيعِهِمُ الْمَالَ وَيَكُونُ غَالِباً فِي بِلَادِ الْغُرْبَةِ مُتَفَرِّقَ الْهَمِّ مَحْزُونُ الْقَلْبِ مِنْ كِسَادِ مَا يَصْحَبُهُ مِنْ مَالِ التِّجَارَةِ وَكَذَلِكَ صَاحِبُ الْمَوَاشِي وَغَيْرِهِ مِنْ أَرْبَابِ اصْنَافِ الْأَمْوَالِ وَابْعَدَهَا عَنْ كَثْرَةِ الشُّغْلِ الْمَكْتُونِ تَحْتَ الْأَرْضِ وَصَاحِبِهِ أَيْضاً لَا يَزَالُ مُتَّفَكِّراً مُتَرَدِّداً فِيمَا يَصْرَفُ إِلَيْهِ وَفِي كَيْفِيَّةِ حِفْظِهِ وَفِي الْخَوْفِ مَمَّنْ يَعْتَرِ عَلَيْهِ وَفِي دَفْعِ طَمَعِ الْخَلْقِ مِنْهُ وَبِالْجَمَلَةِ أَوْ دِيَةِ أَفْكَارِ أَهْلِ الدُّنْيَا لِانْهِائَةِ لَهَا وَالَّذِي لَيْسَ مَعَهُ الْأَقْوَاتُ يَوْمَهُ أَوْ سَنَّتَهُ وَلَا يَطْلُبُ أَزِيدَ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ فِي سَلَامَةٍ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ.

وأما فوائده أيضاً كثيرة إلا أن العامل مَعَهُ مَعَامِلَةُ الصِّلْحَاءِ مَعَ أَمْوَالِهِمْ مِنْ بَابِ النَّادِرِ كَالْمَعْدُومِ هَذَا.

والذي حصل لنا من جميع ما ذكرناه وحققناه هو أن سلامة الدين والدنيا في مؤنة الكفاف وهلاكهما في مازاد عليه في غالب الأوقات، وهذا يكفي في إثبات المدعى والحمد لله رب العالمين.

وثالثها قوله عليه السلام: وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ...

وقد ظَهَرَ ممَّا ذكرناه شرح هذه الجملة فإنَّ البلاغ على ما فسَّروه في شُروحهم هو الكفاف فالمعنى على ما ذهبوا إليه ولا تَطَلَّبُوا منها أكثرَ من الكفاف هذا ولقائل ان يقول فَمَا الفَرْق بين الجُمَلتين من حيث المعنى وان كان المعنى واحد فما الفائدة في ذكر قوله ﷺ: وَلَا تَطَلَّبُوا الى آخر ما ذكره والمفروض ان مفاده مفاد سابقه والشرح لم يتوجَّهوا اليه في شُروحهم إِمَّا لأنهم قد غَفَلوا عن هذا الأشكال أو لم يَقْدروا على حَلِّه والذي حَصَلَ لى فى المقام فى حله امور:

احدها: ان امير المؤمنين ﷺ قال فى الكلام السابق ولا تَسْئَلُوْا وقال فى المقام ولا تَطَلَّبُوْا وبين المقامين فرق واضح وهو ان مفاد الجملة الاولى النهى عن السؤال بمازاد عن قدر الحاجة عن الله تعالى بالتقريب الذى مر ذكره. واما فى المقام فقال لا تَطَلَّبُوا من الدنيا والطلب غير السؤال فا المقصود منه والله اعلم لا تَجْتَهِدُوا ولا تَتَعَبُوا انفسكم فى طلب الدنيا بأكثر ممَّا وصل منها اليكم فان شقَّ الأنفس فى طلبها ممَّا لافائدة فيه.

وثانيها: ان يكون المراد بقوله هذا ان الدنيا لا تحصل بالطلب فان الرزق مقسوم قد قسَّمه عادل بينكم ولا تُعْطُونَ اكثر ممَّا قَدَّرْ لَكُمْ فلا تَطَلَّبُوا أكثر منه لأنكم لا تصلون اليه ويُؤَيِّد هذا المعنى قوله فى آخر كلامه (من البلاغ).

وثالثها: انه ﷺ عبَّر فى السابقة بقوله (فيها) وفى المقام بقوله (منها) والاولى تفيد الظرفية والثانية التبعيض فمعنى الجملة السابقة لا تسئلوا فى الدنيا، ومعنى الثانية لا تطلبوا من الدنيا اى من حُطَامِهَا وَنِعَمِهَا، وبين المعنيين فرق واضح.

ورابعها: وهو العُمدة فى الفرق تعبيره ﷺ هناك بالكفاف وفى المقام بالبلاغ فلو اراد ﷺ منه الكفاف ايضاً، لزم التكرار بحسب المعنى وان لم يلزم بحسب اللفظ والتكرار بلافائدة فيه لا يمكن حمل كلامه ﷺ عليه وَآيَةٌ فائِدَةٌ فِيهِ على ما قالوا.

فالحق في المقام هو الفرق بين الكفاف والبلاغ بكون الثاني أعم من الأول وبينهما من النسب الأربع العموم والخصوص المطلق فإن كل بلاغ ليس بكفاف وكل كفاف بلاغ وذلك لأن البلاغ عبارة عما بلغ الى العبد من الدنيا سواء كان كافياً له ام لا وهذا بخلاف الكفاف فإنه لو لم يكف لا يكون كفافاً اذا عرفت هذا فنقول:

نهى ﷺ في الجملة السابقة عن السؤال عن الله تعالى او من غيره بناء على تعميم السؤال عما زاد على الكفاف فقال ﷺ: لا تسئلوا فيها.

ثم نهى ﷺ في المقام عن الطلب من حطام الدنيا اكثر مما بلغ اليهم من الرزق المقسوم المحتوم لأنه عمل لا فائدة فيه اصلاً فإن الرزق لا يكثر بالطلب والمشقة والعامل لا يصرف وقته ولا يتعب نفسه فيما لا نفع فيه فهذه الجملة المبحوثة عنها في الحقيقة تأمرنا بالرضا بما قسمه الله بيننا وتنهينا عن الطلب بما زاد عليه لكونه من تضييع الوقت وقد دلت الآيات والاحبار عليه بما لامزيد عليه ونحن نذكر شرطاً منها. اما الآيات فمنها ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ قُلِ اللّٰهُ﴾ (١)

و: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِشَتَهُمْ﴾ (٢)

و: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللّٰهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾ (٣)

و: ﴿اَمْنَ هٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ اِنْ اَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ (٤)

و: ﴿وَكَايِنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللّٰهُ يَرْزُقُهَا وَاَيَّاكُمْ﴾ (٥)

و: ﴿اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (٦)

و: ﴿قُلْ اِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (٧)

و: ﴿قُلْ اِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ (٨)

و: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَيَقْدِرُ﴾^(١)

و: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾^(٢).

و: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾^(٣)

و: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوَعَّدُونَ﴾^(٤)

و: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٥)

و: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾^(٦) و وجه الاستدلال بهذه الآيات هو

أنها قد دلت على أن الرزق بيد الله لا غير وهو الذي قدره بين عباده بحسب
مراه من المصلحة واذا كان الأمر على هذا المنوال فأيّة فائدة في طلب
الحريص اكثر ممّا رزقه الله تعالى.

وامّا الاخبار فكثيرة ايضاً نشير الى شطرٍ منها تيمناً وتبركاً بها فنقول:

منها- ماروى المجلسى عن الصادق عليه السلام انه قال لا تحرص على شىء لو

تركته لوصل إليك وكنت عند الله مستريحاً محموداً بتركه ومذموماً

باستعجالك في طلبه وترك التوكّل عليه والرضا بالقسم فان الدنيا خلقها الله

بمنزلة ظلك ان طلبته اتعبك ولا تلحقه ابدأ وان تركته تبعك وانت مستريح،

انتهى «ج ١٥ باب الحرص وطول الامل ص ١٠٦»...

وقال النبى صلى الله عليه وسلم الحريص محرومٌ وهو مع حِرمانه مُذمومٌ فى اى شىء

كان وكيف لا يكون محروماً وقد فرّ من وثاق الله وخالف قول الله عزّ وجلّ

حيث يقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾^(٧) والحريص بين

سبع آفات صعبة فكثر يضرّ بدنه ولا ينفعه ولا يتمّ له أقصاه وتعب لا يستريح

منه الا عند الموت ويكون عند الراحة أشدّ تعباً وخوف لا يورثه الا الوقوع فيه

وحزنٌ قد كدر عليه عيشه بلا فائدة وحساب لا يخلصه من عذاب الله الا ان

٢- الزخرف - ٣٣

٤- الذاريات - ٢٢

٥- النحل - ١١٢

١- الشورى - ١٢

٣- الشورى - ٢٧

٥- هود - ٦

٧- الروم - ٤٠

يَعْفُو الله عنه و عقابٌ لامفرَّ له منه ولا جيلة والمُتوكِّل على الله يُمسي ويُصبح في كِنْفِه وهو منه في عافيته وقد عَجَّل له كفايته وهي له من الدَّرجات، الله به عَلِيمٌ وما يجري في منافذ غَضَبِ الله وما لم يحرم العبد اليقين لا يكون حريصاً واليقين أرضُ الأسلام وسماء الايمان، انتهى «ص ١٠٦ ط كمياني»....

ومنها- مارواه عن ابي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ مَنْ اراد ان يكونَ اَغْنَى النَّاسِ فَلْيَكُنْ بما في يدِ الله اوثقَ منه مما في يد غيره انتهى...
ومنها- مارواه عن ابي جعفر و ابي عبد الله عليه السلام قال من قَنَعَ بما رَزَقه الله فَهُوَ من اَغْنَى النَّاسِ، انتهى «ص ١٠٩ ط كمياني»...

ومنها- مارواه ايضا عن حمزة ابن حمران قال شكى رجل الى ابي عبد الله عليه السلام انه يَطْلُبُ فَيُصِيبُ ولا يَقْنَعُ فَتَنَازَعَهُ نَفْسُهُ الى ما هو اَكْثَرُ منه وقال عَلَّمَنِي شَيْئاً اَنْتَفَعُ بِهِ فَقَالَ ابو عبدالله ان كان ما يَكْفِيكَ يُغْنِيكَ فَاَدْنِي ما فِيها يُغْنِيكَ وان كان ما يَكْفِيكَ لا يُغْنِيكَ فَكَلِّ ما فِيها لا يُغْنِيكَ» ص ١٠٩ كمياني»...

ومنها- مارواه باسناده عن امير المؤمنين عليه السلام قال عليه السلام من رَضِيَ من الدُّنْيا بما يُجْزِيه كان الِيسير ما فيها يَكْفِيه ومن لم يَرْض من الدُّنْيا بما يُجْزِيه لم يكن شَيْءٌ فِيها يَكْفِيه، انتهى «ص ١٠٩ ط كمياني»...

ومنها- مارواه عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال يا بن آدم ان كنت تريد من الدُّنْيا ما يَكْفِيكَ فانَّ الِيسير ما فيها يَكْفِيكَ وان كنت انما تريد ما لا يَكْفِيكَ فانَّ كَلَّ ما فيها لا يَكْفِيكَ، «انتهى ص ١٠٩» والاحاديث في الباب كثيرة.

فظهر ممَّا ذكرناه ان حِرصَ الحريص وطلب الطالب لا يزيد على رزقه اكثر ممَّا قَدَّر له كما ان كراهة الكاره لا يَنْقُصُه فمُلخَّصُ المقال هو ان المؤمن السَّالِك الى الله لا يَبْدُ له من التَّوجُّه الى ثلاثة امور حتَّى يكون سَلوكه كاملاً.

احدها: التَّزَوُّدُ من الدُّنْيا بأحسن ما يكون فانَّ الدُّنْيا مزرعة الآخرة وهو

لا يكون إلا التَّقوى والعَمَل الصَّالح.

وثانيها: عدم السُّؤال من الله تعالى او من خَلَقه بما فوق الكفاف فإن فيه آفات مضافا الى كونه منافياً للرِّضا والتَّسليم.

وثالثها: عدم الطَّلَب من الدُّنيا اكثر ممَّا بَلَغ اليه من الرِّزق قَلَّ او كَثُر لكونه علامة الحرص المنافي للتَّوكل.

واذا كان المؤمن مُتوجِّها الى هذه الامور الثلاثة عاملاً بها يكون على يقينٍ في دينه واثقاً بِرَبِّه آيساً عن غَيْرِه ولا مقامٍ للعبد اعلى وأشرف من هذا المقام ولا شكَّ انَّ المؤمن اذا احسنتُ سريرته بالتَّوكل والرِّضا وعلانيته بالعَمَل الصَّالح فهو ممَّن كَمَل ايمانه فإنَّ الأيمان الكامل ليس إلا الاعتقاد والعمل على طبقه هذا ما ظهر لى شرح كلامه ﷺ. والحمد لله ربِّ العالمين وصلى الله على محمدٍ وآله.

﴿ومن كلام له ﷺ (٤٦)﴾

□ قوله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثِ السَّفَرِ، وَكَأْبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَسَوْءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ، لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَضْحَبًا، وَالْمُسْتَضْحَبُ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا...

◀ اللّغة

(وَعْثِ السَّفَرِ) مَشَقَّتُهُ وَصُعُوبَتُهُ وَالْوَعْثُ الْمَكَانُ السَّهْلُ الدَّهْرُ الَّذِي تُعَسَّرُ السَّلُوكُ فِيهِ. (وَالْكَأْبَةُ) الْغَمُّ وَالْحُزْنُ. (الْمُنْقَلَبِ) مَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ الشَّيْءُ وَالْبَاقِي وَاضِحٌ.

◀ المعنى

قال ﷺ عند مَسِيرِهِ إِلَى الشَّامِ لِحَرْبِ مَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ. (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ) أَي التَّجَاءُ إِلَيْكَ. (مِنْ وَعْثِ السَّفَرِ) وَمَشَقَّتِهِ، (وَكَأْبَةِ الْمُنْقَلَبِ) أَي الْحُزْنَ وَالْغَمَّ بَعْدَ الرَّجُوعِ مِنْهُ إِلَى الْوَطَنِ وَمِنْ (وَسَوْءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ) الْمَمْرُوثِ لِلْكَأْبَةِ وَالْمَلَالِ (اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ) وَالرَّفِيقُ (فِي السَّفَرِ). (وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ) الْحَافِظُ عَلَى الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ. (وَلَا يَجْمَعُهُمَا) أَي لَا يَجْمَعُ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ اعْنِي

كونه صاحباً في السَّفَر والحافظ في الأهل الآ غيرك. (لِإِنَّ الْمُسْتَخْلَفَ) أي الخليفة على الأهل (لَا يَكُونُ مُسْتَضْحَبًا) أي صاحباً ورَفِيقًا، في غير الله تعالى، كما ان (وَالْمُسْتَضْحَبُ) أي الصَّاحِبُ في السَّفَر (لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا) أي خليفة على الأهل.

◀ الشرح

قوله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَأْبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَسَوْءِ الْمَنْظَرِ
بني الأملِ والمالِ ...

اعلم أن هذه الخطبة قالها ﷺ عند مسيره الى الشام لحرب معاوية واتباعه من حزب الشيطان وقد استعاذ ﷺ بالله تعالى مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَأْبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَسَوْءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ فَالْأَسْتِعَاذَةُ وَقَعَتْ مِنْهُ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ أُمُورٍ وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْأَسْتِعَاذَةُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَحَدِّهِ وَعُدِّ الْبَاقِي مِنْ لُؤْزَامِهِ وَالْأَمْرُ سَهْلٌ.

قوله ﷺ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، استعاذ ﷺ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، فَإِنَّ فِيهِ مَشَقَّةٌ وَعَذَابٌ وَيَدَلُّ عَلَيْهِ.

مارواه السكوني باسناده عن الصادق ﷺ قال رسول الله ﷺ السَّفَرُ قَطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ وَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ سَفْرَهُ فَلْيَسْرِعِ الْإِيَابَ إِلَى أَهْلِهِ، أَنْتَهَى «بحار الأنوار ج ١٦ آداب السفر ص ١» ولأجل ذلك قيل السَّفَرُ قَطْعَةٌ مِنَ السَّقْرِ. ثُمَّ إِنَّهُ ﷺ قَدْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ فَقَالَ:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ. وَهُوَ مِنْ عَاذَ يَعُوذُ مِنَ الْعَوْدِ وَهُوَ الْأَلْتِجَاءُ إِلَى الْغَيْرِ وَالتَّعَلُّقُ بِهِ يُقَالُ عَاذَ فُلَانٌ بِفُلَانٍ وَمِنْهُ «أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ» (١)

و: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ» (٢).

و: «وَأِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ» (٣)

٢- المؤمنون - ٩٧

١- البقرة - ٦٧

٣- الدخان - ٢٠

و: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١).

و: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (٢).

و: ﴿وَإِنِّي أَعِيذُهَا بِكَ﴾ (٣).

و: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ وامثال لها من الآيات اى نلتجى به ونستنصر به ان نفعل ذلك

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٤)

قال السيوطى فى الدر المنثور فى تفسير هذه الآية فاذا قرأت القرآن الخ

بعد ما ذكر الروايات الواردة عن النبى ﷺ انه كان يتعوذ فى الصلوة وغيرها ما

هذا لفظه:

وأخرج عبد الرزاق فى المصنف وابن المنذر عن عطاء قال الاستعاذة

واجبة لكل قراءة فى الصلوة او غيرها من أجل قوله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ

فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٥)، انتهى.

اقول: لاختلاف فى استحبابه عند العامة والخاصة فان الأمر بالاستعاذة أعم

من الوجوب والنّدب كما ثبت فى محله وهذا ممّا لا كلام فيه واما بالنظر الى

العقل فالعقل يحكم بلزومه والتلفظ به والاعتماد به عند الأمور كلها ولا سيما

فى موارد الدّخول فى المكروهات.

والسرّ فيه هو انّ العبد لا يأمن شرّ الشيطان فى جميع الأمور سواء كانت

عباديّة او غيرها فانّ مداخل الشيطان فى الأنسان كثيرة ولا يمكن الألتجاء الى

احد فى دفع شرّه الا الى الله تعالى اذ هو الخالق لكل ما سواه والقاهر فوقهم

والشيطان ايضاً من مخلوقاته وكذا مظاهر وجود الشيطان ومجاله تحت قدرته

تعالى ونفوذه فالعقل يحكم بلزوم الألتجاء به تعالى فى جميع الامور اذ

لاملجاء ولا معاذ للعبد الا هو ففائدة الاستعاذة كثيرة.

□ قوله ﷺ: وَكَأَيِّبَةُ الْمُتَّقَلِبِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ...

١- الناس - ١

٢- الفلق - ١

٣- آل عمران - ٣٦

٤- النحل - ٩٨

هاتان الجملتان معطوفتان على الجملة السابقة فإن الواو للعطف والتقدير اللهم انى اعوذ بك من كآبة المُنقلب واعوذ بك من سوء المنظر فى الأهل والمال.

الكآبة تغيّر النفس بالأنكسار من شدة الهم والحزن يقال كئب وكأبة واكئاباً فهو كئيب انه يرجع من سفره بأمر يحزّنه أما أصابه فى سفره وأما قدم عليه مثل ان يعود غير مقضى الحاجة او أصابت ماله آفة او يقدم على اهله فيجدهم مرضى او قد فقد بعضهم.

وقد ورد فى الحديث ولا يتكأذك عفو عن مذنبٍ اى لا يصعب عليك ويشق وفيه العقبة الكروء اى الشاقة، ومنه حديث ابى الدرداء ان بين ايدينا عقبة كئوداً لا يجوزها الا الرجل المخفف هكذا قال فى النهاية وعليه فالغرض من قوله ﷺ: «وَكَايَةِ الْمُنْقَلَبِ هُوَ كُلُّ امْرٍ مَكْرُوهِ فَالْاِسْتِعَاذَةُ بِاللّٰهِ مِنْهَا لِأَجْلِ هَذَا وَامَا سُوءَ الْمَنْظَرِ فِي الْاَهْلِ وَالْمَالِ فَهُوَ عِبَارَةٌ اُخْرَى لِقَوْلِهِ ﷺ: «كَايَةِ الْمُنْقَلَبِ اِلَّا اِنَّهُ مِنْ قَبِيلِ ذِكْرِ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِ فَإِنَّ كَايَةَ الْمُنْقَلَبِ اَعْمٌ مِنْ اَنْ تَكُونَ فِي الْاَهْلِ وَالْمَالِ اَوْ فِي غَيْرِهِمَا لِأَنَّهُمَا مُطْلَقُ الْحُزْنِ وَالْهَمِّ.

فحاصل المعنى انى اعوذ بك من الحزن والهم فى السفر ولا سيما من سوء المنظر فى الأهل والمال فإن المال والبنون زينته الحياة الدنيا والحزن الناشى من قبلهما أشد وأعظم من الحزن الناشى من غيرهما وهو ظاهر.

□ قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ...»

تقديم المسند اليه يفيد الحصر والتخصيص والمعنى انت الصاحب فى السفر لا غيرك كما فى «أَيَّاكَ نَعْبُدُ وَأَيَّاكَ نَسْتَعِينُ» اى لا نعبد غيرك ولا نستعين بغيرك كائناً ما كان.

ثم ان الصاحب فى الأصل الملازم انساناً كان او حيواناً او مكاناً او زماناً ولا فرق بين ان يكون مصاحبه بالبدن وهو الاصل والأكثر او بالعناية والهمة ولا يقال فى العرف الا لمن كثرت ملازمته، ويقال لمالك الشىء ايضاً صاحبه

وكذلك لمن يملك التصرف فيه قاله الراغب في المفردات.

وعليه فالصاحب فيما نحن فيه يمكن ان يكون بمعنى الملازم وذلك لان الله تعالى ملازم للانسان دائماً فان المعلول لا ينفك عن علته والآن يخرج عن كونه معلولاً ولا نعني بالملازم الا هذه المعنى فان الملازمة كما تكون في عالم الحس بين الموجودات كذلك تكون في عالم المعنى والتلازم المعنوي اشد تلازماً من الحسي.

ويمكن ان يكون بمعنى المالك، فان الله تعالى مالك الرقاب ضرورة ان العلة والخالق والصانع او ما شئت فسمه تكون مالكا للمعلول، والمخلوق والمصنوع وهو ظاهر.

ويمكن ان يكون بمعنى مالك التصرف وهو ايضاً مما لا كلام فيه فان الله تعالى يتصرف في الموجودات كيف يشاء.

وفيما ذكره عليه السلام على وجه التخصيص اشارة الى انه عليه السلام كان متعوذاً به تعالى لا غير وهو كذلك لانه لا مؤثر في الوجود الا الله فالاستعاذة بغيره مما لا فائدة فيها والمؤمن لا بد له من ان يكون متوجهاً الى معبوده في جميع شئونه معرضاً عن غيره كذلك راجياً به رجاءً واثقاً خائفاً منه خوفاً لازماً، فهو دائماً بين الخوف والرجاء مستمداً منه ملتجئاً به، وانما خصه بالسفر لان السفر قطعة من السقر والآفة في الواقع لا فرق بين السفر والحضر من هذه الجهة فان الممكن الباقي يحتاج الى المؤثر في جميع الآفات واللحظات.

□ قوله عليه السلام: وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ...

تقديم المسند اليه اعني (انت) يقيد الحصر والتخصيص كما في الجملة السابقة والمعنى انت الخليفة في الأهل لا غيرك وهذا من قصر المسند على المسند اليه، والخلافة بمعنى النيابة عن الغير اما لغيبته المنوب عنه واما لموته واما لعجزه واما لتشريف المستخلف، والأهل، اهل الرجل من يجمعه وياتهم نسباً او ديناً او ما يجري مجراهما من صناعةٍ وبيتٍ وبلدٍ، ثم استعمل في من

يَجْمَعُهُ وَإِيَاهُمْ نَسَبٌ فَقَطْ مَجَازاً هَكَذَا قَالَ الرَّاعِبُ وَعَلَيْهِ اِطْلَاقُ الْأَهْلِ عَلَى
 أَهْلِ الْبَيْتِ مَجَازٌ لِاحْتِقَاقِهِ . فَقَوْلُهُ ﷺ وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ ارَادَ ﷺ بِالْأَهْلِ
 أَهْلَ بَيْتِهِ تَجَوُّزاً كَمَا هُوَ الْمَتَعَارَفُ فِي اسْتِعْمَالَاتِهِ فِي الْكَلِمَاتِ . إِذَا عَرَفْتَ مَعْنَى
 الْخَلِيفَةِ وَالْأَهْلِ فَتَقُولُ:

لَا شَكَّ أَنَّ الْمَخَاطَبَ بِقَوْلِهِ ﷺ: (أَنْتَ) هُوَ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا فِي الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ:
 وَكَوْنَهُ تَعَالَى هُوَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ أَمَّا هُوَ بِالْمَعْنَى الرَّابِعِ اعْنَى تَشْرِيفِ
 الْمُسْتَخْلَفِ أَوْ بِمَعْنَى النِّيَابَةِ عَنِ الْغَيْرِ لَغَيْبَةِ الْمُنُوبِ عَنْهُ أَوْ لِعَجْزِهِ اِحْتِمَالَاتٍ
 أَقْرَبَهَا إِلَى الذَّهْنِ الْأَخِيرِ مِنْهَا وَذَلِكَ لِأَنَّ تَشْرِيفَ الْمُسْتَخْلَفِ لِمَعْنَى لَهُ فِي
 الْمَقَامِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَجَلُّ شَأْناً وَأَعْظَمُ قَدراً مِنْ أَنْ يَكُونَ مُشْرِقاً بِالْخِلَافَةِ فَإِنَّ
 التَّشْرِيفَ أَمَّا يَسْرَى مِنْهُ إِلَى مَخْلُوقِهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ
 خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ (١)

و: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ (٢) وَقَوْلُهُ ﷺ: وَجَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ
 الْآيَةِ وَأَمْثَالَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ حَيْثُ أَنَّ تَعَالَى قَدَّمَ عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ بِهَا
 تَشْرِيفاً لَهُمْ وَأَمَّا الْعَكْسُ فَلَا مَعْنَى لَهُ .

وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: كَوْنُ الْإِنْسَانِ خَلِيفَةً لَهُ تَعَالَى شَرَفٌ وَعِزٌّ لِلْإِنْسَانِ لِأَنَّهُ
 تَعَالَى، وَأَمَّا كَوْنُهُ تَعَالَى خَلِيفَةً لِلْإِنْسَانِ لَا يُوجِبُ شَرَفاً وَعِزّاً لَهُ تَعَالَى اللَّهُ مِنْهُ
 فَهَذَا الْمَعْنَى مِمَّا لَا يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِهِ فِي مَعْنَى الْخَلِيفَةِ .

وَأَمَّا النِّيَابَةُ بِمَعْنَى الْمُنُوبِ عَنْهُ فَهَذَا وَإِنْ كَانَ ظَاهِراً مُحْكوماً بِالصَّحْحَةِ لِكَوْنِهِ
 ﷺ غَائِباً عَنِ الْأَهْلِ فِي سَفَرِهِ إِلَّا أَنَّهُ أَيْضاً لَا يَرْجِعُ إِلَى مُحْصَلِّ وَذَلِكَ لِكَوْنِهِ
 تَعَالَى خَلِيفَةً عَلَى الْأَهْلِ مَطْلَقاً سِوَاءَ كَانَ الْإِنْسَانُ حَاضِراً أَوْ غَائِباً وَلَا سِيَّما فِي
 نَظَرِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ هُمْ دَائِماً فِي مَقَامِ الْفَنَاءِ وَالْأَلْتِجَاءِ فَكَوْنُهُ تَعَالَى خَلِيفَةً عَلَى
 أَهْلِهِ ﷺ فِي غَيْبَتِهِ دُونَ حُضُورِهِ لِمَعْنَى لَهُ .

اللَّهُمَّ الْآنَ يُقَالُ بَانَ اثْبَاتُ الشَّيْءِ لَا يَنْفِي مَا عَدَاهُ فَثُبُوتُ الْخِلَافَةِ لَهُ تَعَالَى

فى غيبته ﷺ لا ینفى خلافته على الأهل فى حضوره والتخصیص بالغبیة لكونها ألزم وأشدّ احتیاجاً للخلیفة ظاهراً وهو كما ترى.

وامّا النیابة بمعنى موت المنوب عنه فهى ایضاً لاتصحّ الأعلى القول بالموت الإرادى الثابت له ﷺ ولا مثاله من الأولیاء. واما النیابة بمعنى عجز المنوب عنه فهى ممّا لا كلام فیها لأنّ المنوب عنه اعنى الانسان كائناً من كان عاجزٌ قاصرٌ لأمكانه وعدم وجوبه وغير العاجز بقولٍ مُطلقٍ انما هو الله تعالى لا غیره فنیابة الله تعالى عنه ﷺ فى اهله المُعبر عنها بالخلیفة لأجل عجز المنوب عنه وقصوره عن حفظ الاهل كما هو حقّه سواء كان المنوب عنه حاضراً او غائباً. وعليه ففیما ذكره ﷺ اشارة الى ان الحافظ المُطلق انما هو الله تعالى فینبغى للانسان الاعتماد علیه فى جمیع شئونه ومراتبه وتفویض الأمور الیه فى جمیع مراحلہ فالله خیرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمین.

□ قوله ﷺ: وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصْحَبًا، وَالْمُسْتَصْحَبُ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا...

ای ولا یجمع المصاحبة والخلافة غیرك لأنّ المُستخلف اعنى الخلیفة فى الأهل لا یكون مُستصحباً، ای صاحباً فى السّفر والمُستصحب اعنى الصّاحب لا یكون خلیفة فى الأهل وهذا من غرائب الكلمات وعجائبها.

وتوضیح ذلك هو انّ الموجود الواحد اذا كان جسماً او جسمانیاً یقتضى مكاناً واحداً وزماناً واحداً لأستحاله جسم واحدٍ فى مكانین او زمانین فاذا فرضنا كونه صاحباً فى السّفر فلا یكون خلیفة فى الأهل وبالعكس بالعكس وهذا فى الأصحاب والخلفاء الجِسمانیة ظاهره فاذا كان زید صاحباً فى السّفر لعمرو فكیف یكون خلیفة فى اهله ووجه استحالته لزوم اجتماع التّقيضین وهو محال بالضرورة والبداهة فانّ معنى كونه فى السّفر مصاحباً عدم كونه فى الأهل والأولاد فى البلد، ومعنى كونه فیهم عدم كونه مصاحباً له فى السّفر والمصاحبة وعدمها وكذا الخلافة وعدمها متناقضان وهذا معنى قوله علیه

السَّلَام: وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ....

وأما الواجب الوجود فليس كذلك، لمكان بساطته وتنزُّهه عن الجسم والجسماني لا يحتاج الى مكانٍ ولا زمانٍ فهو ليس من الموجودات الواقعة في الأمكنة والأزمنة بل هو خالق المكان والزمان وعلتُّهما والعلَّة لا تحتاج الى المعلول بل الأمر بالعكس، فهو في كلِّ مكان مع أنه لا مكان له وفي كلِّ الأزمنة مع أنه لا زمان له كما قال عليه السَّلَام: مع كلِّ شيءٍ لا بمقارنة. وغير كلِّ شيءٍ لا بمزايلة فهو معكم أينما كنتم.

وهو أقرب اليكم من حبل الوريد، أينما تولَّوا فَثُمَّ وَجَهُ الله فهو القادر على ان يكون صاحباً في السَّفَر ومع ذلك خليفةً في الأهل. وأما غيره فلا لما ذكرناه والى هذا المعنى اشار عليه السَّلَام بقوله، لأنَّ المُسْتَخْلَف لا يكون مُسْتَصْحَباً الى آخر كلامه سلام الله عليه.

ومن كلام له ﷺ (٤٧)

فى ذكر الكوفة

□ قوله ﷺ: كَانَتْ بِكَ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاطِيَّ، وَتُعْرِكِينَ بِالنَّوَازِلِ وَتُزَكِّيْنَ بِالزَّلَازِلِ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ سُوًّا إِلَّا ابْتِلَاءُ اللَّهِ بِشَاغِلٍ وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ...

◀ اللغة

(الْأَدِيمِ) الْجِلْدُ مَدْبُوعًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ. (عُكَاطٍ) بَضَمَ الْعَيْنِ اسْمُ سَوْقٍ لِلْعَرَبِ. (تُعْرِكِينَ) الْعَرَكُ الدَّلْكُ (النَّوَازِلِ) الْمَصَائِبُ وَالْبَلَايَا. (وَالزَّلَازِلِ) الْآفَاتُ وَالْمَحَنُ، وَالْبَاقِي وَاضِحٌ.

◀ المعنى

(كَانَتْ بِكَ يَا كُوفَةُ) أَيْ كَانَتْ أَرَاكِ كَذَلِكَ. (تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ) أَيْ تَمُدُّينَ كَمَا يُمَدُّ الْأَدِيمُ وَهُوَ الْجِلْدُ. (الْعُكَاطِيَّ) أَيْ الْأَدِيمَ الْمَنْسُوبَ إِلَى السُّوقِ الْعُكَاطِ. (وَتُعْرِكِينَ بِالنَّوَازِلِ) أَيْ مُورِدًا وَمَحَلًّا لِلْمَصَائِبِ. (وَتُزَكِّيْنَ بِالزَّلَازِلِ) أَيْ الزَّلَاتِ وَالْآفَاتِ تَقْعِينِ فِيكَ فَكَانَتْهَا رَكْبٌ عَلَيْكَ (وَإِنِّي لَأَعْلَمُ) عَلِمًا يَقِينِيًّا لِأَنَّكَ فِيهِ (أَنَّ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ سُوًّا إِلَّا ابْتِلَاءُ اللَّهِ) أَيْ الْجَبَّارُ، (بِشَاغِلٍ وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ).

◀ الشرح

اعلم ان هذه الخطبة مما صَدَرَتْ مِنْهُ عليه السلام في ما أَخْبَرَهُ عَنْ الْمَغِيبَاتِ وَكُلِّ مَا قَالَ عليه السلام فِيهَا فَقَدْ وَقَعَ.

□ قوله عليه السلام: كَانَتْ بِكَ يَا كُوفَةَ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ...

الكُوفَةُ بِضَمِّ الْكَافِ وَسُكُونِ الْوَاوِ وَفَتْحِ الْفَاءِ مِنَ الْبِلَادِ الْمَشْهُورَةِ فِي الْعِرَاقِ بِجَنْبِ الْفُرَاتِ وَهِيَ الْآنَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ قَالَ فَرِيدٌ وَجَدِي فِي دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ ج ٨ مَادَّةُ (كُوف) مَا هَذَا الْفِظَةُ:

الكُوفَةُ قَالَ يَاقُوتُ هِيَ الْمِصْرُ الْمَشْهُورُ بَارِضُ بَابِلَ مِنْ سِوَادِ الْعِرَاقِ وَقَالَ غَيْرُهُ سُمِّيَتْ الْكُوفَةُ لِأَسْتِدَارَتِهَا أَوْ لِأَجْتِمَاعِ النَّاسِ بِهَا، وَقِيلَ سُمِّيَتْ كُوفَةَ لِمَوْضِعِهَا مِنَ الْأَرْضِ وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ رَمْلَةٍ يَخَالِطُهَا حِصْيٌ تُسَمَّى كُوفَةً وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ وَقَالَ ابْنُ حَوْقَلٍ مَدِينَةُ الْكُوفَةِ قَرِيبَةٌ مِنْ مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ فِي الْكِبْرِ هَوَائِهَا أَصْحٌ وَمَاؤُهَا أَعْدَبٌ وَهِيَ عَلَى الْفُرَاتِ بِنَاوِهَا كِبْنَاءُ الْبَصْرَةِ وَهِيَ خَطَطٌ لِقَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَّا أَنَّهَا خَرَابٌ بِخِلَافِ الْبَصْرَةِ لِأَنَّ ضِيَاعَ الْكُوفَةِ قَدِيمَةٌ جَدًّا، وَضِيَاعُ الْبَصْرَةِ أَحْيَاءٌ مَوَاتٌ فِي الْأَسْلَامِ.

وقال القزويني هي التي مصرها الأسلاميون بعد البصرة بستين يأتيها الماء بعدوبة وبرودة وأما البصرة فبعدت تغيّره وفساده ثم ان مؤلف الكلام بعد ما قال في الكوفة ما قال ختم كلامه فيها بهذه العبارة.

وفيهما جامع معروف بمشهد عليّ وولده الحسين عليهما السلام واليه يحجّ الشيعة انتهى .

اقول: لست ادري ان هذه العبارة من ياقوت الحموي مؤلف معجم البلدان كما قال في اول كلامه قال (ياقوت) ولم يقل انتهى كلامه، او من مؤلف دائرة المعارف اعني (فريد وجدى) وعلى كلا التقديرين انظر الى حماقة هذا القائل وعدم اطلاعه وذلك لانه ليس في الكوفة مشهد للحسين عليه السلام وانما

المشهد له ﷺ بكربلاء وبين الكوفة والكربلاء خمسة او ستة عشرة فراسخ اعنى تسعين او مائة كيلومتر فكيف يقول فيها مشهد الحسين واما مشهد امير المؤمنين ﷺ وان كان بمسجد الكوفة الا ان محل دفنه بالتجف الأشرف ثم أعجب منه قوله واليه يحج الشيعة وهو كذب محض وافتراء على الشيعة كسائر افتراءاتهم عليها والا فمن حج بها من الشيعة. واما زيارة قبور الائمة وخلفاء النبي ﷺ فينعى الا انها ليست من الحج بشيء قال الله تعالى فى كتابه: ﴿لِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا﴾ (١)

فالحج لا يكون الا فى مكة المكرمة فى زمان معين وان اراد بقوله (اليه يحج الشيعة) الحج اللغوى اعنى القصد فهو ايضا غلط لان الشيعة لم تقصد الكوفة الا للأعمال الواردة فى مسجدتها الأعظم الذى فيه مقامات الأنبياء ومثل هذا لا يسمى حجاً الا على مسلك هذا القائل الجاهل وليس هذا اول قارورة كسرت فى الاسلام فالويل ثم الويل لمن تكون حربته الافتراء ودليله القاطع البهتان ومعلوماته واطلاعه على الحقائق نقل الأقوال الكاذبة وتسويد الأوراق وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب يتقلبون.

واما قوله ﷺ: تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاطِيَّ شَبَّهَ ﷺ الكوفة ومدّها بالأديم العكاظي والتقدير هكذا تُمدِّينَ كَمَدِّ الْأَدِيمِ الْعُكَاطِيَّ فالكلام استعارة بحذف اداة التشبيه وفى التشبيه لا بد من تحقق امور اربعة، المشبه، والمُشَبَّه به، اداة التشبيه، وَجْهُ الشَّبْهِ حَتَّى تَمَّتْ الْأُسْتَعَارَةُ. اما المُشَبَّه فى المقام هو الكوفة، والمُشَبَّه به الأديم العكاظي، واداة التشبيه هى الكاف المُقَدَّرَةُ، واما وجه الشبه فقد قالوا فيه هو شدة ما يقع بأهله من الظلم والبلاء كما ان الأديم العكاظي مُسْتَحْكَم الدِّبَاغِ شَدِيد المَدِّ كما صرَّح به البحرانى (قدّه) وتبعه عليه الخونى فى شرحه، وقال المعتزلى تُمدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ اسْتِعَارَةٌ لِمَا يَنْلِهُمَا مِنَ الْعَسْفِ وَالخَبْطِ، انتهى.

اقول: ما ذَكَرُوهُ فِي وَجْهِ الشُّبْهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا وَجْهَ لِتَشْبِيهِ الْكُوفَةِ مِنْ حَيْثُ الظُّلْمِ وَالْبَلَاءِ الْوَارِدِينَ عَلَى أَهْلِهَا بِالْأَدِيمِ الْعُكَاطِي لِكَوْنِهِ مُسْتَحْكَمِ الدَّبَاغِ شَدِيدِ الْمَدْوَأِيَّةِ مُنَاسِبَةٍ بَيْنَ الْمَعْنِيِّينَ فَضْلاً عَنْ تَشْبِيهِ أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى آيَةٌ مُنَاسِبَةٌ بَيْنَ الظُّلْمِ وَشِدَّةِ الْمَدِّ فِي الْأَدِيمِ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ لِمَنْ أَمَعَنَ النَّظْرَ فِي كَلَامِهِ ﷺ فَالْحَقُّ عِنْدِي فِي الْوَجْهِ هُوَ أَنَّهُ ﷺ شَبَّهَ الْكُوفَةَ بِالْأَدِيمِ الْعُكَاطِي فِي الْبَسْطِ وَالتَّوَسُّعِ مِنْ حَيْثُ الْمَسَاحَةِ وَسُكُونِ الْأَفْرَادِ فِيهَا وَهَذَا مِنْهُ ﷺ أَخْبَارٌ بِحَالِ الْكُوفَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

وتوضيحه: هو أنّ الْمَدَّ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ الْجَزْرُ وَمِنْهُ الْمُدَّةُ لِلْوَقْتِ الْمُتَمْتِدِّ قَالَهُ الرَّاعِبُ فِي الْمَفْرَدَاتِ:

وَقَالَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ الْمُدُّ الْجَذْبُ وَالْمَطْلُ يُقَالُ فُلَانٌ يَمَادُ فُلَانًا أَيْ يَمَاطِلُهُ وَيُجَادِبُهُ، وَقَالَ أَيْضاً مَدَّهُ فِي غِيَةِ أَيْ أَمَهَّلَهُ وَطَوَّلَهُ نَقَلَهُ عَنِ اللَّحْيَانِيِّ وَعَلَيْهِ حَمَلٌ ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(١) قَالَ مَعْنَاهُ يُمَهِّلُهُمْ، وَقَالَ رَجُلٌ مَدِيدُ الْجِسْمِ، طَوِيلٌ، وَقَالَ اللَّحْيَانِيُّ أَيْضاً مَدَّ اللَّهُ الْأَرْضَ يَمُدُّهَا مَدّاً، بَسَطَهَا وَسَوَّاهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَفِي الْحَدِيثِ وَأَمَدَّهَا خَوَاصِرَ أَيْ أَوْسَعَهَا وَأَتَمَّهَا، أَنْتَهَى.

اقول: هذه المعاني كلها ترجع الى ما قاله الراغب اعنى الْجَزْرُ فَإِنَّ الْجَزْرَ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِحَسْبِهِ وَمَعْنَاهُ الْجَامِعُ بَيْنَ الْمَعْنَى كُلِّهَا هُوَ الْبَسِيطُ وَالزِّيَادَةُ إِذَا عُرِفَتْ هَذَا فَقَوْلُهُ ﷺ مَخَاطِبًا لِلْكُوفَةِ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ أَيْ تَبْسُطِينَ وَتُزَادِينَ بَسْطَ الْأَدِيمِ وَزِيَادَتَهُ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ كَثْرَةِ جَمْعِيَّتِهَا وَازْدِيَادِ مَسَاحَتِهَا وَعَظَمَتِهَا وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَدِيمَ تَارَةً يَرَادُ بِهِ الْجِلْدُ وَتَارَةً يَرَادُ بِهِ ظَاهِرُ الشَّيْءِ وَمَنْ الثَّانِي قَوْلُهُمْ أَدِيمُ النَّهَارِ أَيْ بِيَاضُهُ أَدِيمُ اللَّيْلِ أَيْ سَوَادُهُ. لِأَنَّ الظَّاهِرَ مِنَ النَّهَارِ الْبِيَاضُ وَمِنَ اللَّيْلِ السَّوَادُ كَمَا قِيلَ أَدِيمٌ كُلُّ شَيْءٍ ظَاهِرٌ جُلْدُهُ فِيمَا لَهُ جِلْدٌ. وَعَلَيْهِ فَإِنَّ ارَادَ ﷺ بِهِ اعْنَى الْأَدِيمِ الْعُكَاطِي الْجِلْدَ الْعُكَاطِي فَوَجَّهَ الشُّبْهَ

ظاهر لأن الجلد بعد الدباغ يصير أوسع وأبسط منه قبله بحسب الظاهر مع أنه في الواقع هو هو.

ويمكن ان يكون الوجه فيه هو تشبيه الكوفة بالأديم من حيث جلبه النظر في بادي الأمر مع أنه لا واقع له.

وأما على القول بكون المراد بالأديم الظاهر من الشيء فالمعنى اوضح فإن الأديم العكاظي لافرق بينه وبين غيره إلا من جهة كونه في الشوق العكاظ وعدم كون غيره فيه، وحاصل الكلام هو الأخبار منه عليه السلام بان حال الكوفة في المستقبل من حيث الظاهر كالأديم العكاظي وكلاهما لابقاء لهما كما كانا كذلك والله اعلم بحقائق الأمور.

ويؤيد ما ذكرناه من وجه الشبه بينهما اعنى كسادهما بعد ترقيهما ان الكوفة بعده عليه السلام كانت مترقية الى ان صارت من أعظم البلاد في الإسلام على ما تشهد به التواريخ فصدق عليه السلام فيما اخبر به كما كان العكاظ ايضا كذلك فإنه كان اشهر اسواق العرب في الجاهلية وأعظمها اتخذت سوقاً بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة اي سنة (٥٤٠) ثم بقيت في الإسلام الى ان نهبها الخوارج الحرورية حين خرجوا بمكة مع المختار ابن عوف سنة (١٢٩) هـ وبعد اللتيا واللتى وجه الشبه اما البحر والسبط والزيادة في الكوفة والأديم العكاظي واما جلبهما للنظر من حيث الظاهر لكل من رأهما ونظر اليهما وكلاهما محتمل واما ما ذهبوا اليه في الوجه فليست أفهم معناه.

□ قوله عليه السلام: وَتُعْرَكِينَ بِالنَّوْازِلِ وَتُوكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ...

يقال عرك الأديم وغيره يعرکه عركاه ذلكه ذلكاً وفيه قال الشاعر:

إذا أنت لم تعرك بجنبك بعضى ما

يُريبُ من الأدنى رماك الأبعاد

وقال آخر:

العاركين فظاليمى بجنوبهم والسلبى فتوبهم لى أوسع

وقال آخر:

فَتَعْرَكُكُمْ عَرَكُ الرَّحَى بِثَغَالِهَا وَتَلْقَحُ كَشَافاً ثُمَّ تَحْمِلُ فَتَسْتَمُ
وَالنَّوَازِلُ صَيْغَةٌ مَتَّهِيَةُ الْجُمُوعِ جَمْعُ النَّازِلَةِ وَهِيَ الشَّدِيدَةُ، تَنْزَلُ بِالقَوْمِ
وَقِيلَ النَّازِلَةُ الشَّدَّةُ مِنْ شِدَائِدِ الدَّهْرِ قَالَ الشَّاعِرُ:

أَنَازِلَةُ أَسْمَاءٍ أَمْ غَيْرِ نَازِلَةٍ أَبَيْتَنِي لَنَا يَا اسْمَ مَا أَنْتَ فَاعِلُهُ
وَفِي هَذَا الشَّعْرِ جَاءَتْ بِمَعْنَى التُّورُودِ وَالدُّخُولِ وَالتَّقْدِيرِ أَتَانِي أَمْ لَا فَاتَّهَمُ
قَالُوا نَزَلَ القَوْمِ أَتَوَمَّنِي لِسَانِ العَرَبِ ص ٦٥٩. وَالزَّلَازِلُ أَيْضاً مَتَّهِيَةُ الْجُمُوعِ
بِمَعْنَى الأَهْوَالِ جَمْعُ زَلْزَلَةٍ وَفِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ:

فَقَدْ أَظْلَمْتَكَ أَيَّامٌ لَهَا خَمْسٌ فِيهَا الزَّلَازِلُ وَالأَهْوَالُ وَالْوَهْلُ
وَقِيلَ إِنَّ الزَّلْزَلَةَ مَأْخُودَةٌ مِنَ الزَّلْلِ فِي الرَّأْيِ فَإِذَا قِيلَ زَلَزَلُوا لِقَوْمٍ فَمَعْنَاهُ
صَرَفُوا عَنِ الأَسْتِقَامَةِ وَأَوْقَعَ فِي قُلُوبِهِمُ الخَوْفَ وَالحَذَرَ وَفِي الحَدِيثِ اللّهُمَّ
اهْزِمِ الأَحْزَابَ وَزَلْزَلِهِمْ أَنْتَهَى، لِسَانِ العَرَبِ ج ١١ ص ٣٠٨.

وَعَلَيْهِ فَقَوْلُهُ ﷺ: وَتُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ، بِصَيْغَةِ المَجْهُولِ مَعْنَاهُ تُدَلِّكِينَ
بِالشَّدَائِدِ كَمَا يَدُلُّكَ الأَدِيمُ حِينَ دَبَّعَهُ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: وَتُرَكَّبِينَ بِالنَّوَازِلِ أَيْ تُرَكَّبِينَ بِالأَهْوَالِ أَوْ
الأَنْحِرَافِ عَنِ الأَسْتِقَامَةِ فِي الرَّأْيِ.

فَالجُمْلَةُ الأُولَى: اعْنَى (وَتُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ) فِيهَا إِخْبَارٌ مِنْهُ ﷺ بِأَنَّ الكُوفَةَ
سَتَدَلُّكَ بِالشَّدَائِدِ ذَلِكَ يَدُلُّكَ بِهِ الأَدِيمُ حِينَ دَبَّعَهُ وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الظُّلْمِ،
وَالعُدْوَانِ وَالحَوَادِثِ الغَيْرِ المُتَرَقِّبَةِ الَّتِي وَقَعَتْ بِهَا بَعْدَ شَهَادَتِهِ ﷺ فِي دَوْلَةِ
بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي المَرْوَانَ وَبَنِي العَبَّاسِ وَقَدْ وَقَعَتْ بِهَا مَا أَخْبَرَ ﷺ بِهِ بِالإِزِيدِيَّةِ وَتَقْيِصَةِ
كَمَا سَنَشِيرُ إِلَى شَطْرِهَا.

وَإِنَّمَا الجُمْلَةُ الثَّانِيَّةُ: اعْنَى قَوْلُهُ ﷺ: وَتُرَكَّبِينَ بِالنَّوَازِلِ فَمَعْنَاهَا، إِنَّ أَهْلَ
الكُوفَةِ فِي حُكُومَاتِهِمْ وَمَجَالِسَاتِهِمْ وَمَخَالَطَاتِهِمْ مَعَ هؤُلاءِ الظُّلْمَةِ سَيَنْحَرِفُونَ
عَنْ آرَائِهِمْ وَعَقَائِدِهِمُ الصَّحِيحَةِ فَإِنَّ النَّاسَ عَلَى دِينِ مَلُوكِهِمْ هَذَا عَلَى أَنَّ

يكون المراد بالزلازل الانحراف وعدم الاستقامة فى الامور.

واما على القول الاول اعنى كون الزلازل بمعنى الأهوال فالمعنى، ان اهل الكوفة بعدى سيصيرون مراكباً للخوف والهول وهو كناية عن تسلط الأهوال والبلايا عليهم من قبل حكامهم وعلى اى التقادير فالجملتان استعارتان عن الفتن الواقعة فيها بعد شهادته عليه السلام فكانتهم اى اهل الكوفة تدلكون بالمصائب ويصيرون مراكب الهول والخوف ولا بأس بالاشارة الى شطر مما وقع بعده عليه السلام بها تأييداً لما اخبر عليه السلام به وشاهداً على صدقه فنقول:

لما دخلت سنة اربعين من الهجرة النبوية قتل على عليه السلام فى هذه السنة وذلك انه عليه السلام فى صبيحة التاسع عشر من شهر رمضان ضربه ابن ملجم المرادى لعنه الله تعالى على رأسه الشريف بعد رفعه الرأس عن السجدة الأولى او الثانية على اختلاف فيه فى صلوة الفريضة فى المحراب ومات عليه السلام فى ليلة احدى وعشرين من هذا الشهر ودُفن بالغرى قريباً من الكوفة المشهور الآن بالنجف وفقنا الله لزيارة قبره عليه السلام فيه ومزاره مشهور.

قال ابن الاثير فى الكامل ولما بلغ موته عائشة قالت:

فألت عصاها وأستقر بها النوى كما قرّ عيناً بالأياب المسافر

ثم قالت عائشة من قتله فليل لها رجل من مراد فقالت:

فان يك تائباً فلقد نعاه نعي ليس فى فيه التراب

فقالت زينب بنت ابي سلمة أتقولين هذا لعلى فقالت اننى انسى فاذا نسيت

فذكرونى وقال ابن ابي مياس المرادى:

فتحن ضربنا يا لك الخير حيدراً ابا حسن مأمونة فتفطرا

ونحن خلعنا ملكه من نظامه بضربة سيف اذ علا وتجبنا

ونحن كرام فى الصباح اعزة اذ المرء بالموت ارتدى وتأزرا

وقال ايضا:

ولم أمهراً ساقه ذو سماحة كمهر قطام بين غرب ومعجم

ثلاثة آلاف وعَبِدِ وَقِنِيهِ وَضَرِبُ عَلِيٍّ بِالْحَسَامِ الْمُصْمَصِمِ
 فلا مَهْرَ أَغْلَى مِنْ عَلِيٍّ وَإِنْ غَلًّا وَلَا فَتَكَ إِلَّا دُونَ فَتِكَ ابْنِ مُلْجَمِ
 فلَمَّا قَتَلَ ﷺ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّدَلِيُّ فِيهِ آيَاتٌ وَكُتِبَ بِهَا إِلَى مَعَاوِيَةَ ابْنِ أَبِي
 سَفِيَانَ لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَهِيَ هَذِهِ:

إِلَّا أَبْلَغَ مُعَاوِيَةَ ابْنَ حَرْبٍ فَلَا قَرَّتْ عُيُونُ الشَّامَتِينَا
 أَفَى شَهْرِ الصِّيَامِ فَجَعَتُمُونَا بَخِيرِ النَّاسِ طُرًّا أَجْمَعِينَا
 قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَرَحَلَهَا وَمَنْ رَكِبَ السُّفِينَا
 وَمَنْ لَبَسَ النَّعَالَ وَمَنْ حَذَّاهَا وَمَنْ قَرَأَ الْمَثَانِي وَالْمُبِينَا
 إِذَا اسْتَقْبَلْتُ رَجَةَ أَبِي حُسَيْنٍ رَأَيْتُ الْبَدْرَ رَاعِ النَّاطِرِينَا
 لَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشُ حَيْثُ كَانَتْ بِأَنَّكَ خَيْرُهَا حَسَبًا وَدِينًا
 وَقَالَ بَكْرِبْنُ حَسَانَ الْبَاهِرِيُّ فِيهِ:

قُلْ لِأَبْنِ مُلْجَمٍ وَالْأَقْدَارِ غَالِبَةٌ

هَدَمَتْ لِلدِّينِ وَالْأَسْلَامِ أَرْكَانًا
 قَتَلْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ
 وَأَعْظَمُ النَّاسِ إِسْلَامًا وَإِيمَانًا
 وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ ثُمَّ بِمَا
 سَرَّ الرَّسُولَ لَنَا شَرَعًا وَتَبْيَانًا
 صَهَرَ النَّبِيَّ وَمَوْلَاهُ وَنَاصِرَهُ
 أَضْحَتْ مَنَافِقُهُ نَوْرًا وَبِرْهَانًا
 وَكَانَ فِيهِ عَلَى رِغْمِ الْحَسُودِ لَهُ
 مَكَانُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ابْنِ عِمْرَانَ
 قَدْ كَانَ يُخْبِرُهُمْ وَهُوَ بِمَقْتَلِهِ
 قَبْلَ الْمَنِيَّةِ أَرْزَمَانًا فَأَرْزَمَانًا

ذَكَرْتُ قَاتِلَهُ وَالذَّمْعَ مُنْجِدُرُ

فَقُلْتُ سُبْحَانَ رَبِّ الْعَرْشِ سُبْحَانَا

أَنْتَى لِأَحْسِبِهِ مَا كَانَ مِنْ إِنْسٍ

كَلًّا وَلَكِنَّهُ قَدْ كَانَ شَيْطَانًا

فَلَا عَافَا اللَّهُ عَنْهُ سَوْءَ فِعْلَتِهِ

وَلَا سَقَى قَبْرُ عِمْرَانَ ابْنَ حَطَانَا

يَا ضَرْبَةَ مَنْ شَقِي مَا ارَادَ بِهَا

أَلَّا لِيَبْلُغَ مَنْ فِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا

بَلْ ضَرْبَةٌ مِنْ غَوِيٍّ أوردَتْهُ لَظِي

وَسَوْفَ يَلْقَى بِهَا الرَّحْمَنُ غَضَبَانَا

كَأَنَّهُ لَمْ يُرَدِّ قَصْدًا بِضَرْبَتِهِ

أَلَّا لِيَصِلَنَّ عَذَابُ الْخُلْدِ إِيْرَانَا

وكانت مدة خلافته عليه السلام خمس سنين إلا ثلاثة أشهر وكان عمره عليه السلام ثلاثاً أو

خمساً وستين سنة وهو الأشهر.

ثم بعد شهادته عليه السلام بويح الحسن ابن علي عليه السلام إلا أن أصحابه لم يراعوا

عهدهم وبيععتهم له عليه السلام لكون أكثرهم من المنافقين المنابذين الذين قد حكى

الله تعالى عنهم في كتابه حيث قال: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى

شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِؤُهُمْ بِهِمْ وَيُمْشِكُهُمْ فِي

طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُوْنَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَاطَةَ بِأَنفُسِهِمْ فَمَا وَبِحَتْ بُحَارَتُهُمْ وَمَا

كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١)

فلا جرم صالح عليه السلام معاوية ابن ابي سفيان على الشروط والعهود المذكورة

في التواريخ ولكنه لكونه من الغدارين بل المشركين لم يف بها أبداً ومن نكث

فإنما ينكث على نفسه وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون واختلفوا في

مُدَّة خِلاَفَتِهِ ﷺ بَعْدَ أَبِيهِ فَقِيلَ خَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَنِصْفٍ وَقِيلَ سِتَّةَ وَقِيلَ سَبْعَةَ .
 فَلَمَّا تَمَّ الْأَمْرُ لِمَعَاوِيَةَ لَعَنَهُ اللَّهُ فَعَلَّ مَا فَعَلَ بِالْمُسْلِمِينَ مِنَ الظُّلْمِ وَالشَّنَاعَةِ
 وَإِحْيَاءِ الْمُنْكَرَاتِ فِيهِمْ وَقَتْلِهِمْ وَنَهْبِهِمْ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَلَا نُرِيدُ الْآنَ أَنْ نُبَيِّنَ
 أَعْمَالَهُ وَأَفْعَالَهُ فِي حُكُومَتِهِ وَخِلاَفَتِهِ لِأَنَّهُ يَسْتَدْعِي كِتَابًا مُسْتَقْلَلًا مُضَافًا إِلَى
 خُرُوجِهِ عَنِ مَوْرِدِ الْبَحْثِ فَعَلًا فَإِنَّ الْأَهْمَّ لِلْبَحْثِ هُوَ مَا وَقَعَ بَعْدَ شَهَادَةِ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ لِأَنَّ كَلَامَنَا يَدُورُ مَدَارَهُ .

اعلم ان الكوفة كانت أشدَّ ابتلاءً من سائر البلاد في عهد الجبابرة، وذلك
 لكثرة من بها من شيعة امير المؤمنين ﷺ ومُحِبِّيه بحيث لم يكن من البلاد في
 صدر الاسلام ما يُساويها من هذه الجهة وهذا ممَّا لاشكَّ فيه عند ارباب السِّير
 ولأجل ذلك كان اهتمامهم بها أشدَّ وأكثر من غيرها من البلاد لخوفهم ورُعبهم
 منها على دولتهم وحكومتهم ففعلوا بها وباهلها ما لم يفعلوا بسائر البلاد وقتلوا
 فيها ما لم يقتلوا في غيرها بشهادة التواريخ وهذا هو السِّر في كون حُكَّام
 الكوفة وعمَّالها في دولة بنى امية وبنى المروان ومن بعدهم من أشرار الناس
 وأراذلهم لكون هؤلاء الأفراد في اجراء مقاصدهم وابراز نياتهم أطوع وأشدَّ من
 غيرهم وذلك لأن اجراء المنكرات واعمال الجنائيات لا يمكن إلا بسبب
 الأشرار الذين ليس لهم دينٌ ولا وجدان ولا شرف ولا حمية ولا نسب ولا
 رَحِمَ فأنهم بمعزلٍ عن كلِّ هذه الأمور وهذا هو الأصل الثابت في كلِّ سلطانٍ
 جائرٍ من أول الأمر الى يومنا هذا فإنَّ المؤمن بصدد حفظ دينه فكيف يبيع
 آخرته بدنيا غيره فحيث أن معاوية بنفسه كان فاقداً للدين والشرف تابعاً
 للشيطان والنفس الأمارة وهو قد اراد في حكومته ان يفعل افعالاً شنيعة ويعمل
 أعمالاً مُنكرةً من القتل والنهب والهتك والخفكان ظناً منه ان هذه الأمور مؤثرة
 في تشييد اركان خِلاَفَتِهِ ومباني غوايته فلا جرم تَفَحَّصَ في الافراد حقَّ
 التَفَحُّصِ حتَّى وجد اعواناً عليه ولا سيَّما الكوفة كما مرَّ ثمَّ انه بعد ما أسس هذا
 الأساس المُنكر المردود فالخلفاء بعده ايضاً سلكوا هذه المسلك وتبعوه فيه

فإن الشياطين ليؤحون إلى أوليائهم وهذه البدعة الرديئة قد جرت في الإسلام إلى يوم الوقت المعلوم.

حكومة المغيرة: فأول من ولاة معاوية على الكوفة مغيرة ابن شعبه لعنه الله وهو من اعداء الله واعداء رسوله واهل بيته وهو الذي ضرب فاطمة بنت رسول الله حين هجم الناس على بيته بأمر من عمر ابن الخطاب وهو الذي كان مشهوراً بالزنا في الجاهلية والإسلام كما مرّ منّا سابقاً قصة ابي بكر مع المغيرة في حضور عمر ابن الخطاب وادرائه الحد عن المغيرة لمواخاة ومحبة وقعت بينهما في الجاهلية والإسلام مع انه كان محكوماً بالرجم.

وهو الذي منع الناس عن بيعة علي وقتالهم معه في حرب الجمل وصفين وقد ذكرنا قصة تقاعده عن البيعة وامره الناس بالكوفة على خلاف علي واتهامه عليه بأنه قاتل عثمان وامثال ذلك وبالجملة كونه من اعداء امير المؤمنين بل من اعداء الله ورسوله وانه من الوضاعين والمكذبين على رسول الله والمفتقرين عليه مما لا خلاف فيه ولاجل هذا بعد ما اراد عليه السلام الكوفة فرّ منها وحاله معلوم فانه من الأرجاس.

فمكث مغيرة والياً عليها من سنة احدى وأربعين وهي عام الجماعة إلى سنة خمسين وكانت مدة ولايته عليها لمعاوية تسع سنين وفي هذه المدة قتل خلقاً كثيراً من شيعة علي وهو الذي سب امير المؤمنين وخالفه في حياته وبعد مماته وقدمات وهو ابن سبعين سنة وقيل موته سنة احدى وخمسين، وقيل: تسع وأربعين.

حكومة زياد: فلما مات المغيرة استعمل معاوية زياداً على الكوفة وهو أول من جمع له فانه كان والياً على البصرة ايضاً قبل ذلك فلما وليها سار إليها واستخلف على البصرة سمرة ابن جندب وكان زياد يقيم بالكوفة ستة أشهر وبالْبصرة ستة أشهر فلما وصل الكوفة خطبهم فحصب وهو على المنبر فجلس حتى أمسكوا ثم دعا قوماً من خاصته فأمرهم فأخذوا ابواب المسجد

ثم قال، ليأخذ كل رجل منكم حليسه ولا يقولن لأدري من حليسي ثم امر
بكرسي فوضع له على باب المسجد فدعاهم أربعة أربعة يحلفون ما منا من
حصبك فمن حلف خلاه ومن لم يحلف حسه حتى صار الى ثلاثين وقيل
الى تمانين ففقطع أبدنهم على المكان وكان أول قبيل قنله زياد بالكوفة اوفى
ابن حصي وكان بلغه عنه شيء فظلمه فهرب فعرض الناس فمر به فقال من
هذا قال أبو نؤاس حصين فقال زياد أنتك بخاس رجلاه رنال له ما رأيك في
عثمان قال حتن رسول الله ﷺ على أبيه قال فما تقول في معاوية؟ قال جواد
حليم قال عما تقول في قال بلغني أنك قلت بالبصرة والله لأخذن البريء
بالسقيم والمُعبل بالمُدبر قال: قلت ذلك. قال خبطها خبط عسواء، فقال: زياد
ليس النفاخ بشر الزمرة فقتله.

ولما قدم زياد الكوفة قال له عمارة ابن عقبة ابن أبي معيط أن عمرو بن
الخطيب تجمع إليه أربعة ابى تراب فارس له زياد ما هذه الجماعات عندك من
أردت كلامي من المسحوقين الذي سحر به يزيد ابن رديم فقال له زياد قد
أسطت بسري وأمت من مع سافه قد سال من بغصى ما هجمته حتى يخرج
عليه فاتخذ زياد المنصورة حين أصب فلما استخلف زياد سمرة على
البصرة أكثر القتل فيها فقال ابن سعد بن قتل سمرة في غيبته زياد هذه ثمانية
ألف رجل قتلوا بها إذا تخاف أن تكون فتى برياً فقال لو قتلت معهم مثلهم ما
تخافون من الله أن يمسح بوجهك من الموتى قتل سمرة يوماً فلقى أوائل خيله رجلاً فقتلوه
فجرى دمهم في وجهه فتمسك به فدمه فقال ما هذا فقيل أصابه أوائل خيلك فقال اذا
سمعتم بنا قد ركبتنا فاعلموا أن قتل الله قتل سبعة وأربعين من القراء في يوم
واحد.

ذكر مقتل حجر أبو عدي وعمرو ابن الحمق واصحابهما على رواية الكامل
ومن الحوادث الواقعة فيها في سنة إحدى وخمسين قتل حجر ابن عدي
واصحابه وسبب ذلك أن معاوية استعمل المغيرة ابن شعبه على ما قدمناه على

الكوفة سنة إحدى وأربعين فلما أمره عليها دعاه وقال له أما بعد فإن لذي
 الحليم قبل اليوم تفرغ العصا وقدى يجرى عنك الحليم بغير التعليم وقد أردت
 ايصائك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتماداً على أمرك ولست تاركاً ايصائك
 بخصلة لا تترك شتم عليّ ودمه والترحم على عثمان والأستغفار له والعيب
 لأصحاب عليّ والأفصاء لهم والاطراء بشيعة عثمان والأدناء لهم فقال له
 المغيرة جرّبت وجرّبت وعملت فبلك لغيرك نلم يذمّنى وستبلوا شحمّد او
 قدّم فقال بل حمد انشاء الله تعالى.

فاقام المغيرة عاملاً على الكوفة وهو أحسن شىء سيرة غير انه لا يدع شتم
 عليّ والوقوع فيه والدعاء لعثمان والأستغفار له فاذا سمع ذلك حَجَرَ ابن عدى
 قال بل اياكم قدّم الله ولعن، ثم قام وقال انا أسهد ان من تذمّون أحقّ بالفضل
 ومن تُزكّون اولى بالذم فيقول له المغيرة يا حَجَرَ اتق هذا السلطان وغضبه
 وسطوته فان غضب السلطان يهلك امثالك ثم يكف عنه ويصفح فلما كان
 آخر امارته قال فى عليّ وعثمان ما كان يقوله فقام حَجَرَ فصاح صيحةً بالمغيرة
 سمعها كل من بالمسجد فقال له مرّنا ايها الانسان بأرزاقنا فقد حبستها عنّا
 وليس ذلك لك وقد اصبحت مولعاً بدم امير المؤمنين ﷺ فقام أكثر من ثلثى
 الناس يقولون صدق حَجَرَ وبر، مرّ لنا بأرزاقنا نانا ما انت عليه لا يجدى علينا
 وأكثر من هذا القول وامثاله فنزل المغيرة فاستأذن عليه قومه ودخروا فقائوا
 علام تترك هذا الرجل بجترىء عليك فى سلطانك وقول لك هذه المقالة
 فيؤهن سلطانك يسخط عليك امير المؤمنين معاوية فقال لهم المغيرة انى قد
 قتلته وسيأتى من بعدى امير يحسنه مثلى فسنع به ما ترونه ونصنع بي فياخذ
 ويقتله انى قد قرب اجلى ولا أحب ان اقتل خيراً اهل هذا المصر فبسه دون
 وأشقى ويعزّ فى الدنيا معاوية ويشقى فى الآخرة المغيرة، ثم تولى المغيرة
 وولى زياد.

فقام فى الناس فخطبهم عند قدومه ثم ترحم على عثمان وانى على

اصحابه ولعن قاتليه فقام حُجر ففعل كما كان يفعل بالمُغيرة ورجع زياد الى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو ابن حريث فبلغه ان حُجر يجتمع اليه شيعة عليّ ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه وانهم حصبو عمرو ابن حريث فشخص زياد الى الكوفة حتى دخلها فصعد المنبر فحمد الله اثنى عليه وحُجر ليس جالس، ثم قال: اما بعد: فان غيب البغي والغبي وضيم ان هؤلاء جموا فاشروا وامنونى فاجتروا على الله لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم ولست بشيء ان لم أمنع الكوفة من حُجر وأدعه نكالا لمن بعده ويل أمك يا حُجر سقط العشاء بك على سرحان وارسل الى حُجر يدعوه وهو بالمسجد فلما اتاه رسول زياد يدعوه قال اصحابه لاتأمه ولاكرامة فرجع الرسول فأخبر زياد فأمر صاحب شرطته وهو شداد ابن الهيثم الهلالي ان يبعث اليه جماعة ففعل فسبهم اصحاب حُجر فرجعوا واخبر زيادا فجمع اهل الكوفة وقال:

يا اهل الكوفة تشجون بيدي وتأسون بأخرى أبدانكم معي وقلوبكم مع حُجر الأحمق هذا والله من دخسكم والله ليظهرون لي برائتكم اولآتينهم بقوم أقيم بهم أودكم وصعركم فقالوا معاذ الله ان يكون لنا رأى إلا طاعتك وما فيه رضاك قال فليقم كل رجل منكم فليدع من عند حُجر من عشيرته وأهله ففعلوا واقاموا كثر اصحابه عنه وقال زياد لصاحب شرطته انطلق الى حُجر فان تبعك فأتني به والا فشدوا عليهم بالسيف حتى تأتوني به فأتاه صاحب الشرطة يدعوه فمنعه اصحابه من اجائيه فحمل عليهم فقال ابو العمر طه الكندي لحُجر انه آيسوا معك من معه سيف غيرى وما يُغنى عنك سيفى قم فالحق بأهلك يمتعك قومك وزياد ينظر اليهم وهو على المنبر وغشيتهم اصحاب زياد وضرب رجل من الحمراء رأس عمرو ابن الحمق بعموده فوقع وحمله اصحابه الى الأزد فأختفى عندهم حتى خرج وانحاز اصحاب حُجر الى ابواب كندة وضرب بعض الشرطة يدعائذ ابن حملة التميمي وكسرنا به واخذ عمودا من بعض الشرطة فقاتل به وحمى حجرا واصحابه حتى خرجوا من ابواب

كندة واتي حُجر بخلته فقال له ابو العُمر طه اركب فقد قتلنا ونفسك وحملة
حتى اركبه وركب ابو العُمر طه فرسه ولحقه يزيد ابن طريف المسلمي ف ضرب
ابو العُمر طه سيفه ف ضرب برأسه، فسقط ثم براء وله يقول عبد الله ابن همام
السلولي:

ألوم ابن لؤم من عداك حاسراً الى بطل ذي جُراة وشكيم
معاودة ضرب الدار عين بسيفه على الهام عند الروح غير لئيم
الى فارس الغارين يوم تلاقيا بصيفين قُرم خير نجل قروم
حسبت ابن برصاء الحنار قتاله قتالك زيذاً يوم دار حكيم

وكان ذلك السيف اول سيف ضرب به في الكوفة في اختلاف بين الناس
ومضى حجر وابو العُمر طه الى دار حُجر واجتمع اليها ناس كثير ولم يات من
كندة كثير أحد فارسل زياد وهو على المنبر مذحج وهمدان الى جبانة كندة
وأمرهم ان يأتوه بحُجر وأرسل سائر اهل اليمن الى جبانة لصائدين وأمرهم ان
يمضوا الى صاحبهم حُجر فيأتوه به ففعلوا ودخل مذحج وهمدان الى جبانة
كندة فأخذ وكل من وجدوا فائني عليها زياد فلما رأى حُجر قلة من معه أمرهم
بالأنصراف وقال لهم لاطاقة لكم بمن قد اجتمع اليكم وما أحب ان تهلكوا
فخرجوا فأدركهم مذحج وهمدان فقاتلوهم وأسرو قيس ابن يزيد ونجا
الباقون فاخذ حُجر طريقا الى بني حوت فدخل دار رجل منهم يقال له سليم
ابن يزيد وادركه الطلب فاخذ سليم سيفه ليقاتل فيكي بناته فقال حُجر بثسما
ادخلت على بناتك اذ قال والله لاتؤخذ من داري اسيراً ولا قتيلاً وانا حتى
فخرج يجر من خوفه في داره فاتي النُخع فنزل دار عبد الله ابن الحرث اخي
الأشتر فأحسن لقاها فبينما هو عنده اذ قيل له ان الشرط تسأل عنك في النُخع
وكان سبب ذلك ان أمة سوداء قالت لهم ان حُجرا في النُخع فخرج حُجر من
عنده فاتي الأزد فأختفى عند ربيعة ابن ناجد فلما اعياهم طلبه دعا زياد محمداً
ابن الأشعث وقال له والله لتأتيني به او لاقطعن كل نخلة لك واهدم دورك ثم

لا تسلم منى حتى أقطعك ارباً ارباً فاستمهله فأمهله ثلاثاً وأحضر قيس ابن
 يزيد اسيراً، فقال له زياد لا بأس عليك قد عرفت رأيك فى عثمان وبلاؤك مع
 معاوية بصفين وانك انما قاتلت مع حُجر حَمَيْتَه وقد غفرتها لك ولكن اثنتى
 باخيك عمير فاستأمن منه على ماله ودمه فأمنه فاتاه به وهو جريح فانقله
 حديداً وامر الرجال ان يرفعوه ويلقوه ففعلوا به ذلك مرارا فقال قيس ابن
 يزيد لزياد ألم تؤمنه؟ قال بلى قد امنت على دمه ولست أهريق له دماً ثم ضمته
 فخلى سبيله ومكث حُجر ابن عدى فى بيت ربيعة يوماً وليلة فأرسل الى
 محمد ابن الاشعث يقول له ليأخذ له من زياد اماناً، حتى يبعث به الى معاوية
 فجمع محمد جماعة منهم جرير ابن عبدالله وحُجر ابن يزيد وعبدالله ابن
 الحرث اخو الأشتر فدخلوا على زياد فاستأمنوا له على ان يُرسله الى معاوية
 فاصابهم فارسوا الى حُجر ابن عمرو فحضر عند زياد فلما رآه قال له مرحباً
 بك ابا عبد الرحمن حرب ايام الحرب وحرب وقد سالم الناس على تجنى
 مراقش فقال حُجر: ما خلعت طاعة ولا فارقت جماعة وانى على بيعتى فأمر به
 الى السجن فلما ولى قال زياد لأحرصن على قطع خيط رقبتة وطلب اصحابه
 فخرج عمرو ابن الحمق حتى اتى الموصل ومعه رفاقة ابن شداد فاختمها بجبل
 هناك فرقع خبرهما الى عامل الموصل فسار اليهما فخرجا اليه فاما عمرو فكان
 قد استسقى بطنه ولم يكن عنده امتناع واما نارعة فكان شاباً قوياً فركب فرسه
 ليقاتل عن عمرو فقال له عمرو ما ينفعنى قتالك عنى انتج بنفسك فحمل
 عليهم فافرجوا له فنجلوا اخذ عمرو اسيراً فسألوه من انت؟ فقال من ان
 تركتموه كان أسلم لكم وان قتلتموه كان أضر عليكم ولم يُخبرهم فبعثوه الى
 عامل الموصل وهو عبد الرحمن ابن عثمان الثقفى الذى يعرف بابن الحكم
 وهو ابن اخت معاوية فعرفه فكتب فيه الى معاوية فكتب اليه انه زعم انه طعن
 عثمان تسع طعنات بمشاتص معه فأطعنه كما طعن عثمان فاخرج وطعن
 فمات فى الأرض منهم او الثانية وجد زياد فى طلب اصحاب حُجر فهربوا

وَأَخَذَ مِنْ قَدَرٍ عَلَيْهِ مِنْهُمْ فَأَتَى بِقَبْصَتِهِ ابْنَ ضَبِيْعَةَ الْعَبْسِيَّ بِأَمَانٍ فَحَبَسَهُ وَجَاءَ قَيْسُ ابْنُ عَبَادِ الشَّيْبَانِيَّ إِلَى زَيْدٍ فَقَالَ لَهُ إِنَّ أَمْرًا مِنَّا يُقَالُ لَهُ صَيْفِيٌّ مِنْ رُوَّسِ أَصْحَابِ حُجْرٍ فَبَعَثَ زَيْادٌ فَاتَى بِهِ فَقَالَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ مَا تَقُولُ فِي أَبِي تَرَابٍ قَالَ مَا أَعْرِفُ أَبَا تَرَابٍ فَقَالَ مَا أَعْرِفُكَ بِهِ أَتَعْرِفُ عَلِيَّ ابْنَ أَبِيطَالِبٍ قَالَ نَعَمْ فَذَلِكَ أَبُو تَرَابٍ قَالَ كَلَّا ذَلِكَ أَبُو الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الشَّرْطِ يَقُولُ الْإِمِيرُ هُوَ أَبُو تَرَابٍ وَتَقُولُ لِأَقَالُ فَإِنْ كَذَبَ الْإِمِيرُ أَكْذَبَ أَنَا وَأَشْهَدُ عَلِيَّ بَاطِلًا كَمَا شَهِدَ فَقَالَ لَهُ زَيْادٌ وَهَذَا أَيْضًا عَلِيٌّ بِالْعَصَافَاتِيَّ بِهَا فَقَالَ مَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ قَالَ أَحْسَنَ قَوْلٍ، قَالَ اضْرِبُوهُ فَضْرِبُوهُ حَتَّى لَصِقَ بِالْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ أَقْلَعُوا عَنْهُ مَا قَوْلُكَ فِي عَلِيٍّ قَالَ وَاللَّهِ لَوْ شَرَحْتَنِي بِالْمَوْسَى مَا قَلَّتْ فِيهِ إِلَّا مَا سَمِعْتَ مِنِّي قَالَ لَتَلَعَّنْتَهُ أَوْ لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ قَالَ لِأَفْعَلُ فَوَثَّقُوهُ حَدِيدًا وَحَبَسُوهُ قَيْلٌ وَعَاشَ قَيْسُ ابْنُ عَبَادٍ حَتَّى قَاتَلَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ فِي مَوَاطِنِهِ ثُمَّ دَخَلَ الْكُوفَةَ فَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ فَقَالَ حَوْشِبٌ لِلْحَجَّاجِ إِنَّ هُنَا أَمْرًا صَاحِبِ فِتْنٍ لَمْ تَكَمْ فِتْنَةٌ بِالْعِرَاقِ إِلَّا وَثَّبَ فِيهَا وَهُوَ تَرَابِيٌّ يَلْعَنُ عُثْمَانَ وَقَدْ خَرَجَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ حَتَّى هَلَكَ وَقَدْ جَاءَ وَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ فَقَتَلَهُ.

زِيَادٌ وَعَبْدُ اللَّهِ: وَارْسَلْ زِيَادٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ خَلِيفَةَ الطَّائِيَّ فَتَوَارَى فَبَعَثَ إِلَيْهِ الشَّرْطُ فَأَخَذُوهُ فَخَرَجَتْ أخته النُّوَارُ فَحَرَضَتْ طِيًّا فَثَارُوا بِالشَّرْطِ وَخَلَّصُوهُ فَرَجَعُوا إِلَى زِيَادٍ فَأَخْبَرُوهُ فَأَخَذَ عَدِيَّ ابْنَ حَاتِمٍ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ اتْنِي بِعَبْدِ اللَّهِ قَالَ وَمَا حَالُهُ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَا عِلْمَ لِي بِهَذَا قَالَ لِنَاتِنِي بِهِ قَالَ لَا آتِيكَ بِهِ أَبَدًا آتِيكَ بِابْنِ عَمِّي تَقْتُلُهُ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ تَحْتَ قَدَمِي مَا رَفَعْتُهُمَا عَنْهُ فَأَمَرَ بِهِ إِلَى السَّجْنِ فَلَمْ يَبْقَ بِالْكَوْفَةِ رُبْعِيٌّ وَلَا يَمْنَى إِلَّا كَلَّمَ زِيَادٌ أَوْ قَالُوا تَفْعَلُ هَذَا بِعَدِيَّ ابْنِ حَاتِمٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ زِيَادٌ فَاتَى أَخْرَجَهُ عَلِيٌّ شَرْطًا أَنْ يَخْرُجَ ابْنُ عَمِّهِ عَنِّي فَلَا يَدْخُلُ الْكُوفَةَ مَا دَامَ لِي سُلْطَانٌ فَاصَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ وَارْسَلْ عَدِيَّ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ يَعْرِفُهُ مَا كَانَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَلْحَقَ بِجَبَلِ طِيٍّ فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَكَانَ يَكْتُبُ إِلَيْهِ عَدِيٌّ لِيَشْفَعَ فِيهِ لِيَعُودَ إِلَى الْكُوفَةِ وَعَدِيٌّ يَمْنِيهِ فِيمَا كَتَبَ إِلَيْهِ يَعَانِقُهُ وَيُرِيهِ

حُجْر او اصحابه قوله من قصيدة اولها:

چتذکرت لیلی والشببیه أعصراً وذكر الصبا برحُ علی من تذکراً
والقصيدة طويلة مذكورة فى الكامل وغيره من التواريخ فمن ارادها
فليرجع اليه فمات عبدالله بَجبل الطى قبل موت زياد.

زياد وابن عفيف: ثم اتى زياد بكريم ابن عفيف الخثعمى من اصحاب حُجْر
ابن عدى فقال له ما اسمك قال كريم ابن عفيف قال ما احسن اسمك واسم
ايك واسوء عمّلك، ورأيتك فقال له اما والله ان عهدك برأى منذ قريب.

ثم جمع زياد من اصحاب عدى اثنى عشر رجلا فى السجن ثم دعا رؤساء
الأرباع يؤمئذ عمرو بن حريث على ربع اهل المدينة وخالد ابن عرفطة على
ربع تميم وهمدان وقيس ابن الوليد على رأس ربع ربيعة وكندة، وابا بردة ابن
ابى موسى على ربع مذحج وأسد، فشهد هؤلاء ان حُجراً جمع اليه الجموع
وأظهر شتم الخليفة ودعا الى حربه وزعم ان هذا الأمر لا يصلح الا فى آل
ابيطالب ووثب بالمصر واخرج عامل الخليفة وأظهر عذر ابى تراب والترحم
عليه والبراءة من عدوه واهل حربه وان هؤلاء النفر الذين معه هم رؤس
اصحابه على مثل رأيه وأمره ونظر زياد فى شهادة الشهود وقال انى لاجب ان
يكون اكثر من أربعة فدعا الناس ليشهدوا عليه فشهد اسحق وموسى ابنا طلحة
ابن عبدة الله والمُنذر ابن الزبير وعمارة ابن عَقبة ابن ابى معيط وعمر ابن سعد
ابن ابى وقاص وغيرهم وكتب فى الشهود شريح ابن الحرث القاضى ثم دفع
زياد حُجْر ابن عدى واصحابه الى وائل ابن حُجْر الحضرمى وكثير ابن شهاب
وامرهما ان يسير بهم الى الشام فخرجوا عشية فلما بلغوا الغريين لحقهم
شريح ابن هانى وأعطى وائلاً كتاباً وقال أبلغه معاوية، وساروا انتهى بهم الى
مرج عذراء عند دمشق فبعث معاوية الى وائل ابن حُجْر وكثير ابن شهاب
فادخلهما واخذ كتابها فقرأه دخل اليه (دفع اليه) وائل كتاب شريح ابن هانى
فاذا فيه بلغنى ان زياد أكتب شهادتى وان شهادتى على حُجْر انه ممن يُقيم

الصَّلوة ويؤتى الزَّكوة يُديم الحجَّ والعُمرة ويُدِيم الأمر بالمَعروف والنَّهي عن المنكر حرام الدَّم والمال فان شئت فاقتله وان شئت فدَّعه.

فقال معاوية ما ارى هذا الا قد اخرج نفسه من شهادتكم وحبس القوم بمرج عذراء، ثم ساق الحديث الى ان قال ولما قدموهم ليقتلوهم قالوا لهم قبل القتل انا امرنا ان نعرض عليكم البرائة من عليّ واللّعن به فان فعلتم تركناكم وان ابيتم قتلناكم فقالوا لسنا فاعلى ذلك فقتلوا جميعاً الا عبد الرحمن ابن حسان العنزي وكريم الخثعمي قالا ابعثونا الى معاوية فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته فاستأذنوا معاوية فيها فاذن باحضارهما فدخل عليهما.

قال الخثعمي الله الله يا معاوية فانك منقول من هذه الدار الزائلة الى الدار الآخرة ثم مسؤل عما اردت بسفك دمائنا فقال له ما تقول في عليّ قال:

اقول: فيه قولك قال أتبرء من دين عليّ الذي يدين الله به فسكت وقام شمر ابن عبد الله من بنى قحافة ابن خثعم ما نستوهبه في هبة له علي ان لا يدخل الكوفة فاختر الموصل وكان يقول لما مات معاوية قدمت الكوفة فمات قبل معاوية بشهر.

ثم قال معاوية لعبد الرحمن ابن حسان يا اخا ربيعة ما تقول في عليّ قال دعني ولا تسئلني فهو خير لك قال والله لا أدعك قال اشهد انه كان من الذاكرين لله تعالى كثيراً ومن الأمرين بالحق والقائمين بالقسط والعافين عن الناس قال فما قولك في عثمان قال هو اول من فتح باب الظلم وأغلق ابواب الحق قال قتلت نفسك قال بل اياك قتلت فرده معاوية الى زياد وامره ان يقتله شر قتلة فدفعه زياد لعنه الله حياً وكانت عدتهم اربعة عشر رجلاً في هذه الواقعة المؤلمة وهم:

١- حُجر ابن عدي الكندي.

٢- أرقم ابن عبد الله كندی.

٣- شريك ابن شداد الحضرمي.

٤- كريم ابن نَسِيل الشَّيبَانِي.

٥- وَقَيْصَةَ ابن ضَبِيعة العَبْسِي.

٦- كريم ابن عَفِيف الخَثْعَمِي.

٧- عاصم ابن عَوْف البَجَلِي.

٨- ورقاء ابن سَمَى البَجَلِي.

٩- كدام ابن حِيَان.

١٠- عبد الرَّحْمَن ابن حَسَّان الغَزِيَان.

١١- محرز ابن شهاب التَّمِيمِي.

١٢- عبدالله ابن حوية العَدِي التَّمِيمِي.

١٣- عتبة ابن الأَخْنَس من سعد ابن بكر.

١٤- وسعد ابن نمران الهَمْدَانِي.

وقيل قَتَلُوا منهم ثمانية وَخَلُّوا سبيل الباقي بشفاعة اقربائهم وقيل غير ذلك

فهذه الواقعة احدى النوازل بها.

ولمَّا بلغ الحَسَن البصرى قَتَلَ حجر واصحابه قال صَلُّوا عليهم وَكَفَّنُوهم

وَدَفَّنُوهم واستَقْبَلُوا بِهِم القبلة قالوا نعم قال حُجَّجُوهم وربَّ الكعبة ولمَّا بلغ

حَجْر الى المقتل وَقَتِلَ على ما مرَّ وبلغ خَبْرهُ عائشة ارسلت عبد الرَّحْمَن ابن

الحرث الى معاوية وقال له اين غاب عنك حلم ابى سفيان قال حين غاب عنى

مثلك من حلماة قومي وَحَمَلْنِي ابن سَمِيَّة فاحتملت، وقيل انها ارسلت اليه

لتشفع فى حَجْر واصحابه فَقَتَلُو قَبْل وصول قاصدها اليه ولاجل هذا قالت

عائشة لولا انا لم تُغَيَّر شينا الا صارت بنا الامور الى ما هو اشدَّ منه لغيرنا قتل

حُجْر اما والله ان كان ما عملت لمُسلماً حَجَّاجاً مُعْتَمِراً.

وكان النَّاس يقولون اَوَّل ذُلِّ دخل الكوفة مَوْت الحسن ابن على، وقتل

حُجْر ودَعْوَةُ زياد.

ثمَّ انَّ ما ذكرناه من قصَّة حُجْر واصحابه انموزج من اعمال زياد ابن ابيه فى

الكوفة وانت تقدر على قراءة المفضل من هذا المَجْمَل وَارَدْنَا ان نَذْكُرَ شَطْرًا
 من جنائاته وخبائته وما فعل هذا المعلنون بأهل الكوفة والبصرة من شيعة علي
 ﷺ لكان ينبغي ان يُفرد بالتدوين وَيَجْعَلُ كِتَابًا مُسْتَقْلًا وَقَدْ اجْمَعَ الْمُؤَرِّخُونَ
 على ان شَرَّ هذا الشيطان المُجَسِّم على المؤمنين كان أشد من شرِّ مَعْبُودِهِ اعني
 الشيطان المَلْعُون المَطْرُود ولاجل هذا عَدُوّه من الدّواهي العظيمة في الإسلام
 والمُسلمين ولاغر وفيه فان زياد ابن ابيه ومعاوية كانا ممن لا يُعرف له أب وقد
 ادَّعَت كُلُّ واحد منهما سِتَّة نَفَرٍ وَقَدْ مَرَّ شَرْحُهُ بِالنَّسْبَةِ الى معاوية مفصلاً، واما
 زياد ابن ابيه فهو ايضا كذلك وهو أشهر من ان يَخْفَى حاله على احد وانما
 لحقه معاوية بابي سفيان على خلاف قول رسول الله حيث قال الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ
 وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ، وَقَدْ مَرَّ قِصَّتُهُ الْحَاقِ مَعَاوِيَةَ اِيَّاهُ بِابِي سَفِيَانَ فَمِنْ هَذَيْنِ
 الْحَبِيثَيْنِ اَيَّ شَيْءٍ ظَهَرَ غَيْرَ الرِّذَالَةِ وَالْخَبَائِثَةِ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُمَا
 الى يوم القيمة.

ثم ان زياد لعنه الله قد توفي سنة ثلاث وخمسين من الهجرة بخروج
 طاعونة على اصبع يمينه فمات منها ولما حضرته الوفاة قال له ابنه عبيد الله
 لعنه الله قد هيأت لك ستين ثوباً أكفئك بها فقال له يا بني قد دنا من ابيك لباس
 هو خير من لباسه او سلب سريع فمات ودفن بالثوبة الى جانب الكوفة فلما
 بلغ موته ابن عمر قال اذهب ابن سمية لا الآخرة ادركت ولا الدنيا بقيت عليك
 وكان مولده سنة احدى الهجرة قال مسكين الدارمي يريته:

رأيت زيادة الأسلام ولت جهاراً عين ودعنا زياداً

فقال الفرزدق في جوابه:

أمسكين أبكى الله عينيك إنما جرى في ضلالٍ دمعها فتحدراً

بكيت امرء من اهل ميسان كافراً ككسرى على عدوانه او كقيصراً

اقول له لما اتاني لعيسه به لا بظبي بالصريمة اعصراً

ثم انه بعد ما مات زياد اقام معاوية على الكوفة عبد الله ابن خالد، ويَعْدُهُ

ضَحَّاكُ ابْنِ قَيْسٍ وَبَعْدَ الْمُغِيرَةَ وَهَكَذَا وَلِيَ عَلَيْهَا رَجَسٌ بَعْدَ رَجِسٍ وَكَلَبٌ بَعْدَ كَلَبٍ إِلَى أَنْ مَاتَ مَعَاوِيَةَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَتَمَّ أَعْمَالَهُمْ وَأَقْوَالَهُمْ فِيهَا أَعْمَالُ ابْنِ زِيَادٍ وَأَقْوَالُهُ بِلَاتِفَاوَاتٍ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَكْمَ وَاحِدٌ وَهُوَ سَبُّ عَلِيٍّ وَقَتْلُ شِيعَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ غَيْرُ هَذِهِ الْقَبَائِحِ هَدَفٌ وَلَا مَقْصِدٌ وَبَعْدَ مَوْتِ مَعَاوِيَةَ وَزِيَادٍ وَصَلَّتِ النَّوْبَةُ إِلَى النَّازِلَةِ الثَّانِيَةِ بِكُوفَةِ وَهِيَ بَدَأَتْ بِخِلَافَةِ يَزِيدٍ وَحُكُومَةِ عَبِيدِ اللَّهِ.

النَّازِلَةُ الثَّانِيَةُ وَوَلَايَةُ ابْنِ زِيَادٍ عَلَيْهَا: لَمَّا مَاتَ مَعَاوِيَةَ وَصَلَّتِ النَّوْبَةُ فِي الظُّلْمِ وَالتَّعَدَى إِلَى ابْنِهِ السِّكِّيرِ الخَمِيرِ الَّذِي كَانَ يَلْبَسُ الخُرَيْرَ وَيَضْرِبُ بِالطَّنَابِيرِ اعْنَى يَزِيدُ ابْنَ مَعَاوِيَةَ ظَاهِرًا وَيَزِيدُ ابْنَ أَبِيهِ وَأَقْعًا وَكُفْرًا وَالحَادَةَ وَزَنْدَقَتَهُ أَشْهَرُ وَأَعْرَفُ مِنْ كُفْرِ ابْلِيسَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ سَلَّطَهُ عَلَى رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ آمِينَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَكَانَ سَبَبُ وَوَلَايَةُ عَبِيدِ اللَّهِ عَلَى الكُوفَةِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ المَوْرُخُونَ هُوَ أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ الحُسَيْنُ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ وَمِنْ مَكَّةَ إِلَى العِرَاقِ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ اعْنَى أَهْلَ الكُوفَةِ ابْنَ عَمِّهِ مُسْلِمَ ابْنَ عَقِيلِ جَوَابًا لِمُرَاسَلَاتِهِمْ إِلَيْهِ. وَلَمَّا وَصَلَ مُسْلِمُ الكُوفَةَ كَانَ النُّعْمَانُ ابْنُ بَشِيرٍ وَالْيَأْ عَلَيْهِمَا مِنْ قَبْلِ يَزِيدِ ابْنَ مَعَاوِيَةَ وَنُعْمَانُ كَانَ مَمَّنَ يُحِبُّ العَافِيَةَ فَجَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ مُسْلِمِ بْنِ سَعِيدِ الخَضْرَمِيِّ حَلِيفُ بَنِي أُمَيَّةَ أَنَّهُ لَا يَصْلِحُ مَا تَرَى إِلَّا العِشْمَ أَنَّ هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ رَأَى المُسْتَضْعَفِينَ فَقَالَ أَكُونُ مِنَ المُسْتَضْعَفِينَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ مِنَ الأَعْزِينَ فِي مَعْصِيَتِهِ.

فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ مُسْلِمٍ إِلَى يَزِيدٍ يَخْبِرُهُ بِقُدُومِ مُسْلِمِ ابْنَ عَقِيلِ الكُوفَةَ وَمُبَايَعَةِ النَّاسِ لَهُ وَيَقُولُ لَهُ أَنْ كَانَ لَكَ فِي الكُوفَةِ حَاجَةٌ فَابْعَثْ إِلَيْهَا رَجُلًا قَوِيًّا يُنْفِذَ أَمْرَكَ وَيَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِكَ فِي عَدُوِّكَ فَإِنَّ النُّعْمَانَ رَجُلٌ ضَعِيفٌ أَوْ هُوَ يَتَضَعَّفُ وَكَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ إِلَيْهِ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ عِمَارَةُ ابْنُ الوَلِيدِ ابْنُ عُقْبَةَ وَعُمَرُ ابْنُ سَعْدِ ابْنِ أَبِي وَقَاصٍ بِنَحْوِ ذَلِكَ فَلَمَّا اجْتَمَعَتِ الكُتُبُ عِنْدَ يَزِيدٍ دَعَا

سرجون مولى معاوية فاقراه الكتب واستشاره فيمن يوليه الكوفة وكان يزيد عاتباً على عبيدالله ابن زياد فقال له سرجون ارأيت لو نشر لك معاوية كنت تأخذ برأيه قال نعم فأخرج عهد عبيدالله على الكوفة وقال هذا رأى معاوية ومات وقد أمر بهذا الكتاب فأخذ يزيد برأيه وجمع الكوفة والبصرة لعبيدالله كما كان معاوية قد جمعها لأبيه زياد ابن سميّه.

فلما وصل كتابه الى عبيدالله وهو بالبصرة امر بالتجهيز ليرز من الغد ثم خطب الناس وقال:

أما بعد: فوالله مابى تقرن الصعبة وما يقعق لى بالشنان وائى لنكل لمن عادانى ومسلم لمن حازبنى وانصف القارة من رامها يا اهل البصرة ان امير المؤمنين قد ولائى الكوفة وانا غاد اليها بالغداوة وقد استخلف عليكم اخى عثمان ابن زياد فايّاكم الخلاف والأرجاف من الله لئن بلغنى عن رجلٍ منكم خلاف لأقتلنه وعريفه ووليه ولاأخذن الأذننى بالأقصى حتى تستقيموا ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق وائى انا ابن زياد اشبهته من بين من وطىء الحصى فلم ينتزعى شبه خال ولا ابن عمّ انتهى.

ثم خرج عن البصرة ومعه مسلم ابن عمرو الباهلى وشريك ابن الاعور الحارثى وحشمه اهل بيته وكان شريك شيعياً حتى دخل الكوفة وقد ذكر المورّخون كيفيّة دخوله الكوفة وقولهم له مرحباً بك يا ابن رسول الله وهو لا يكلمهم ثم خطبهم وقال:

أما بعد فإن امير المؤمنين ولائى مصركم وتغرركم وفيثكم وامرئى بانصاف مظلومكم واعطاء محرومكم وبالأحسان الى سامعكم ومطيعكم وبالشدّة على مريبكم وعاصيكم وانا متّبع فيكم أمره ومُنْفَذُ فيكم عَهْدِهِ فانا للمُحْسِنِمْ كالوالدِ البَرِّ لمُطِيعِمْ كالأخ الشَّفِيقِ وسَيْفِى وَسَوْطِى عَلَى مَنْ تَرَكَ أَمْرِي وخالف عَهْدِي فَلْيَبْقِ امرئى على نفسه، ثم نزل عن المنبر، فاخذ العرفاء والناس اخذاً شديداً وقال اكتبوا الى الغرباء من فيكم من طلبه امير المؤمنين

ومن فيكم من الحرورية واهل الرّيب الذين رأهم الخلف والشقاق فمن كتبهم الى فبرىء ومن لم يكتب لنا احدا فليضمن لنا فى عرفته ان لا يخالفنا فيهم مخالف، ولا يبغى علينا منهم باغ فمن لم يفعل فبرئت منه الذمة وحلال لنا دمه وماله وايماء عريف وجد فى عرفته من يغيته امير المؤمنين أحداً لم يرفعه الينا صلب على باب داره والقيت تلك العرافة من العطا وسير الى موضع بعمان الزارة فلما سمع مسلم ابن عقيل عليه السلام بمقالته خرج من دار المختار واتى دار هانى ابن عروة المرادى فدخّل بابه واستدعى هانئاً فخرج اليه فلما رآه كره مكانه فقال له مسلم أتيتك لتجبرنى وتضيفنى فقال له هانى لقد كلفتنى شططاً ولولا دخولك دارى لأحببت أن تنصرف عني غير أنه يأخذنى من ذلك ذمماً أدخّل فأواه فاختلف الشيعة اليه فى دار هانى.

ثم دعا ابن زياد مولى له واعطاه ثلاثة الاف درهم وقال له عليه السلام اطلب مسلم ابن عقيل واصحابه والقهم واعطهم هذا المال واعلمهم أنك منهم واعلم اخبارهم ففعل ذلك واتى مسلم ابن أوسجة الأسدى بالمسجد فسمع الناس يقولون هذا يبايع للحسين وهو يُصلّى فلما فرغ من صلاته قال له يا عبدالله ائى امرؤ من اهل الشام أنعم الله علىّ بحبّ اهل هذا البيت وائى أتيتك لتقبض المال وتُدخلى على صاحبك أباعه وان شئت اخذت بيعتى له فقال لقد سرّنى لقاءك اباى الى ان قال صاحب التاريخ واختلف اليه اياماً ليدخله على مسلم.

ثم نقل قصة مرض هانى ابن عروة وشريك ابن الأعور وعبادة عبيدالله لهما والقصة طويلة لاحاجة لنا فى ذكرها. الى ان قال: وكان هانى قد انقطع عن عبيد الله بعذر المرض وساق الكلام الى ان قال فدخّل القوم على ابن زياد وهانى معهم فلما رآه ابن زياد قال لشريح القاضى أتتک بخائن رجلاه فلما دنى منه قال عبيد الله.

أريد حياته ويُريد قتلى غدیرک من خلیک من مُراد

وكان ابن زياد مكرماً له فقال هانى وما ذاك وطال بينهما النزاع حتى دعا ابن زياد مولاه ذاك العين فجاء حتى وقف بين يديه وقال ما قال ثم قال له ابن زياد والله لا تفارقين ابداً حتى تأتيني به قال لا آتيتك بضيفي تقتله ابداً والله لو كنت واحداً ليس لى ناصرٍ لم أدفعه حتى اموت دونه فقال ابن زياد والله لتأتيني به اولاً ضربن عنقك، قال اذن والله تكشر البارقة حول دارك فقال ابا البارقة تخوفنى فأخذ عبيدالله قضيبه ولم يزل يضرب عنقه وجبينه، حتى كسر القضيب، ثم امر به فالقى فى بيتٍ وأغلق عليه وبالجملة قتل عبيدالله هانياً ومسلماً ومن كان معهما وبعث برأس الهانى والمسلم الى يزيد ابن معاوية. ثم انه لم يقنع بقتلهما ومن معهما من اصحابهما بل قتل الحسين عليه السلام واصحابه وانصاره عطشاناً واية بليّة ورزية كانت فى الاسلام، والمسلمين اشدّ واعظم من قتله وسلبه ونهبه عليه السلام بأيدى اهل الكوفة ثم ورود اهل بيته عليه السلام أسارى مع الرأس على القناة فى مجلسه الكثيف وحيث ان شهادته عليه السلام من أشهر القضايا فى العالم الاسلامى واعظم الدواهي الواقعة فى الاسلام فلا نحتاج الى شرحها لان العلماء من الخاصة والعامة بل ومن غير المسلمين كتبوا فيها كتباً مفصلةً وحكموا بكفر ابن زياد وزندقته وكذلك من امره بها ومن تابعه فيها فلولا فى الاسلام بعد امير المؤمنين نازلة الآ هذه لكفى فى صدق قوله عليه السلام: وتعرّكين بالتوازل وقد روى ان هذه الواقعة الهائلة انما وقعت بسيوف اهل الكوفة لا غيرها لم يكن فيها بصرى ولا شامى ولا من غيرهما من البلاد فهذه هى النازلة الثانية الواقعة بها وهى اعظمها واشدها.

النازلة الثالثة ولاية الحجاج عليها: اعلم ان الحجاج ابن يوسف الثقفى لعنه الله كان من عمال عبد الملك ابن مروان ومشيدي خلافته وسلطته وهو فى دولته كزياد ابن ابيه فى دولة معاوية وعبيدالله ابن زياد فى خلافة يزيد فهؤلاء الثلاثة لم يكن لهم نظير فى الاسلام فى اشاعة الظلم ووضع السيف على المخالفين لهؤلاء الخلفاء الكفرة الفسقة، اما زياد وابنه عبيدالله فقد عرفتهما،

وامّا الحجاج وهو شرهم واخبثهم وأسفكهم بل لايبعد القول بكونه شرّ الناس
 أجمعين فمجمل القول فيه هو انّ عبدالمك ابن مروان لما تقمّص بقميص
 الخلافة بعد ابيه وكان في الحجاز عبدالله ابن الزبير ابن العوام مدّعياً للخلافة
 ومُستولياً على الحجاز والعراق واليمن وسائر البلاد الآ الشّام وهو مقيم بمكّه
 المكرّمة لائذاً بالبيت عائداً مُلتجأً اليه وقد ولى على البصرة اخاه مصعب ابن
 الزبير وأستولى على الكوفة في خلافته المختار ابن ابى عبّيدة الثقفى فامر اخاه
 المصعب بالحرب معه فوقع القتال بين الفريقين وقُتل مختاروا سَتولى ابن
 الزبير على الكوفة ايضاً.

فلما وصلت النوبة الى عبدالمك واراد القتال مع ابن الزبير استشار فيه
 اصحابه فخالفه بعضهم ووافقه بعض آخر ولما عزم على المسير الى العراق،
 ودّع زوجته عاتكة بنت يزيد ابن معاوية فبكت وبكى جواريتها فقال:

اذا ما اراد الغزو لم يثن همّة حصان عليها عقد دُرّ يُزينها
 نهته فلما لم تر النهى عاقّة بكت وبكى ممّا عناها فطنها

فسار عبدالمك الى العراق فلما بلغ مصعباً مسيره وهو بالبصرة قصد
 الكوفة وجعل ابراهيم ابن الأشتر على مقدمته وسار حتى نزل باخمرًا واما
 عبدالمك فجعل على مقدمته اخاه مُحَمَّد ابن مروان وخالد ابن عبدالله ابن
 اسيد فنزلوا بقرقيسا.

فلما وقع الحرب بين الفريقين واقتتلوا قتالاً شديداً قتل مصعب ابن الزبير
 وانهزم اصحابه لترك الناس مصعباً وخذلانهم اياه وغدرهم به كما هو شأن اهل
 الكوفة فقطع ابن ظبيان رأسه وحمله الى عبدالمك فالتقا بين يديه، وانشد
 يقول:

نعاطى الملوک الحقّ ما قسطولنا وليس علينا قتلهم بمُحرّم

فلما رأى عبدالمك الرّأس سجّد قال ابن ظبيان لقد هممت ان اقتل
 عبدالمك وهو ساجد فاكون قد قتلت ملكي العرب وارحت الناس منهما

وقال عبدالمَلِك لَقَدْ هَمَمْتُ ان أَقْتُل ابن ظبيان فاكون قد قتلْتُ أَفْتَك الناس بأشجع الناس.

وبالجُملة بعد ما استولى على العراق فأول من ولاء على الكوفة قطن ابن عبدالله الحارثي، ثم عَزَلَه فاستعمل عليها اخاه بشر ابن مروان وفيه قال الشاعر:
قد استوى بشرُ على العراق من غير سيفٍ ودمٍ مهراقٍ
فلما فرغ عبدالمَلِك عن العراق رجع الى الشام واراد الحجاز وبعث اليه الحجاج ابن يوسف الثقفي في الفين وقيل في ثلاثة آلاف من اهل الشام لقتال ابن الزبير وكان السبب فيه ان الحجاج قال لعبدالمَلِك قد رأيت في المنام اني اخذتُ عبدالله ابن الزبير فسَلَخْتُهُ فأبعثني اليه وولّني قتاله فبعثه وكتب معه أماناً لابن الزبير ومن معه ان اطاعوا فسار في جمادى الاولى سنة اثنين وسبعين ولم يعرض للمدينة ونزل الطائف وكان يبعث الخيل الى عرفة ويبعث ابن الزبير ايضاً فيقتتلون بعرفة فتنهزم خيل ابن الزبير في كل ذلك وتعود خيل الحجاج بالظفر.

ثم كتب الى عبدالمَلِك يستأذنه في دخول الحرم وحصر ابن الزبير ويخبره بضعفه وتفرق اصحابه ويستمدّه فكتب عبدالمَلِك الى طارق ابن عمر ومولى عثمان يأمره باللحاق بالحجاج فقدم المدينة في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين واخرج عامل ابن الزبير عنها وجعل عليها رجلاً من اهل الشام اسمه ثعلبة وكان ثعلبة يخرج المخ وهو على منبر النبي ثم يأكله ويأكل عليه التمر ليغيظ اهل المدينة وكان مع ذلك شديداً على ابن الزبير وقدم طارق على الحجاج بمكة في سلخ ذي الحجة في خمسة الاف واما الحجاج فانه قدم مكة في ذي القعدة وقد أحرم بحجّه فنزل بئر مَمون وحج بالناس تلك السنة الحجاج الا انه لم يطف بالكعبة ولا سعى بين الصفا والمروة ومنعه ابن الزبير وكان يلبس السلاح ولا يقرب النساء ولا الطيب الى ان قتل ابن الزبير ولم يحج ابن الزبير ولا اصحابه لانهم لم يقفوا بعرفة ولم يرموا الجمار ونحر بن الزبير بدنة بمكة

ولما حَصَرَ الحَجَّاجُ ابنَ الزَّبيرِ نَصَبَ المِنجنيقَ على ابى قبيسٍ ورمى به الكعبةَ وكان عبدالمكِّ ينكر ذلك ايام يزيد ابن معاوية (وذلك لان يزيد ابن معاوية بعث جيشا الى المدينة فى وقعه الحَرَّةَ ففعلوا بها ما فعلوا ثم امرهم بالسَّير الى مكَّة لقتال ابن الزَّبير وكان الأمير على الجيش مُسلم ابن عُقبة لَعَنَهُ اللهُ ثمَّ انه مات بِقُربِ مكَّةَ وَاَمَرَ على الجيش بعده حَصِين ابن الثَّمير السَّكونى فدَخَلَ مكَّةَ ونَصَبَ المِنجنيقَ وفَعَلَ ما فَعَلَ من سُوءِ الأفعالِ وقبائحِ الاعمالِ الا انه لم يظفر بابن الزَّبير لِمَوتِ يزيد فى هذا الأثناء ولَمَّا بلغ الخبر الى عبد الملك وهو بالشَّام انكره على يزيد وقال ما قال ثمَّ لَمَّا وصلتِ النُّوبة اليه ووجَّه الحَجَّاجُ الى مكَّةَ ورمى الحَجَّاجُ الكعبةَ لم يُنكر عليه بل كان يُشَوِّقه ويؤيِّده.

وبالجملة منع النَّاسَ من اعمالهم وطوافهم حتَّى قالوا خذل فى دينه وارسل اليه عبدالله ابن عُمَرَ ابن الخطَّاب ان اتقِ الله واكفَّفْ عن هذا الحجارة فانك فى شهر حرامٍ وبلدٍ حرامٍ وقد قَدِمْتَ وفؤد الله من أقطار الارض ليودِّوا فريضة الله ويزدادوا خيراً وانَّ المِنجنيقَ قد مَنَعَهُم من الطَّوافِ.

فنادى منادى الحَجَّاجُ انصرفوا الى بلادكم فاننا نعود بالحجارة على ابن الزَّبير المُلحدِ واول ما رمى بالمِنجنيق الى الكعبة ارعدت السماء وابرقت وعلا صوت الرُّعد على الحجارة فاعظم ذلك على اهل الشَّام فأمسكوا ايديهم فاخذ الحَجَّاجُ حجارة المِنجنيق بيده فوضَّعها فيه ورمى بها معهم فلَمَّا اصبحوا جاءت الصَّواعق فقتلت من اصحابه اثنى عشر رجلاً فانكسر اهل الشَّام فقال: لهم لا تُنكروا هذا فانى ابن تُهامة وهذه صواعقها وهذا الفتح قد حَضَرَ فابشروا فلَمَّا كان الغد جاءت الصَّواعق فاصابت من اصحاب ابن الزَّبير عدَّة فقال الحَجَّاجُ الا ترون انهم يُصابون وانتم على الطَّاعة وهم على خلافها وبالجملة كان الوَضْعُ على هذا المنوال حتَّى غلَّت الأسعار عند ابن الزَّبير واصاب النَّاسَ مجاعةٌ شديدةٌ لكونهم محصورين حتَّى ذبح ابن الزَّبير فرسه وقَسَمَ لحمها فى اصحابه وبيعت الدَّجاجة بعشرة دراهم والمد من الدُّرَّة

بعشرين درهماً وانَّ يُبوت ابن الزبير لمملوءة قمعاً وشعيراً وذرةً وتَمراً ولا ينفق منها الا ما يُمسك الرَّمق ويقول انفس اصحابى قوينة ما لم يفن ففتفرق الناس عنه وخرجوا الى الحجاج بالامان خرج من عنده نحو عشرة الاف وكان ممن فارقه ابنه حمزة وحبیب اخذا لانفسهما اماناً فقال عبد الله لابنه الزبير خذ لنفسك اماناً كما فعل اخواك فوالله انى لاحب بقائكم فقال: ما كنت لارغب بنفسى عنه فصبر معه فقتل.

ثم ان ابن الزبير بعد ما تفرق منه اصحابه لم يزل كان يُقاتلهم ويبارزهم حتى قتل يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة وله ثلاث وسبعون سنة وتولى قتله رجل من مراد وحمل رأسه الى الحجاج فسجدوا وفد السكونى والمرادى الى عبد الملك بالخبر فاعطى كل واحد منهما خمسمائة دينار ثم بعث الحجاج برأسه ورأس عبد الله ابن صفوان ورأس عمارة ابن عمور ابن حزم الى المدينة ثم ذهب بها الى عبد الملك وأخذ جثته فصَلبها على الثنية اليمنى بالحجون فاستأذنته امه فى تكفينه ودفنه فأبى وكل بالخشبة من يحرسها ومتب الى عبد الملك يخبره بصلبه فكتب اليه يلومه ويقول الا خليت بينه وبين امه فاذن لها الحجاج فدفتته فى الحجون.

وقد نقل ارباب السير ان ابن الزبير كان قبله بايام يستعمل الصبر والمِسك لئلا يتن لعلمه بانه بعد القتل يُصلب فلما صُلبت ظهرت منه رائحة المِسك فقيل ان الحجاج صلب معه كلباً ميتاً فغلب على ريح المِسك وقيل بل صلب معه سنوراً وقيل غير ذلك وهذا منه ليس ببعيد وكان ابن الزبير رجلاً شجاعاً قتل ابوه الزبير فى وقعة الجمل وامه اسماء ذات النطاقين بنت ابى بكر الا انه كان شديد البغض لآل محمد ﷺ وقد نقلوا عنه انه خطب الناس فى ايام خلافته اربعين صباحاً ولم يُصل على محمد ﷺ فى خطبته ولم يكره فيها قيل له فيه قال لئلا تُعجبوا بانفسهم ولم يكن لأحد هذه السية غيره وكانت مدة خلافته تسمع سنين.

إذا عرفت شطراً من فجائع الحجاج وقبائح اعماله فلنرجع الى ما نحن
بصدده من كونه واليا على الكوفة من قبل عبدالملك وإنما ذكرنا ما ذكرناه
لتعلم من اين صار الحجاج والياً على الكوفة ولم يلاه عبدالملك على العراقيين
كما سلكنا هذا المسلك في أخويه زياد ابن ابية وعبيدالله ابن زياد وذلك لأن
القارى يحتاج الى ما ذكرناه ونقلناه فنقول لما قتل ابن الزبير بالحجاز واستولى
عبدالملك عليه ايضاً ولئى الحجاج على المدينة وكان الحجاج والياً عليها من
قبيله وكان ظالماً سفاكاً ولم يزل الحجاج والياً على المدينة، حتى دخلت سنة
خمس وسبعين من الهجرة النبوية ﷺ.

ثم ان عبدالملك لعنه الله ولاه العراق فى هذه السنة دون خراسان
وسجستان فارس الى عبدالملك بعهدده على العراق وهو بالمدينة وامره
بالمسير الى العراق فسار فى اثنى عشر راكبا على النجائب حتى دخل الكوفة
حين انتشر النهار فجاءة وقد كان بشر بعث المهلب على الخوارج فبدء
الحجاج بالمسجد فصعد المنبر وهو ملتثم بعمامة خز حمرء فقال على
بالناس فحسبوه واصحابه خارجية فهموا به وهو جالس على المنبر، ينتظر
اجتماعهم فأجتمع الناس وهو ساكت وقد اطال السكوت فتناول محمد ابن
عمير حصباء واراد ان يحصبه بها وقال قاتله الله ما اغباء واذمه والله انى
لا احسب خبره كروائه فلما تكلم الحجاج جعلت الحصباء تنتشر من يده وهو
لا يعقل به قال ثم كشف الحجاج عن وجهه وقال:

انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفونى
اما والله انى لاحمل الشر فحمله واخذه بفعله واجزبه بمثله وانى لارى
رؤساء قد اينعت وقدحان قطانها انى لأنظر الى الدماء بين العمائم واللحيى قد
شمرت عن ساقها تشميراً وقال:

هذا وان الحرب فاشتدى زيم قدلفها الليل بسواق حطم
ليس براعى ابل ولا غنم ولا بجزار على لجم وضم

ثم قال ايضاً:

قد لَفَّهَا اللَّيْلُ، بَعَصَلْبِي
مَهَاجِرٌ لَيْسَ بِبَاغِرِ أَبِي
أرْوَعُ خَرَّاجٍ مِّنَ الدَّوَى
لَيْسَ أَوْ إِنْ بَكَرَةَ الْخِلَاطِ
جَاءَتْ بِهِ وَالْقُلُوصُ الْإِعْلَاطِ
تَهْوَى هَوَى صَائِقِ الْعَطَاطِ

أتى والله يا اهل العراق ما أغمر بتغماز الثين، ولا يقعق لي بالشنان ولقد فررت عن ذكا وجريت الى الغاية القصوى ثم قرأ **وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمَنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللهُ عَلَيْهَا لِبِئْسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** ^(١) انتم اولئك واشباه اولئك ان امير المؤمنين عبدالملك نثر كنانته فعجم عيدانها فوجدني امرها عودا واصابها بكسراً فوجهني اليكم ورَمَى بِي فِي نُحُورِكُمْ فَانْتَكَمِ اهل بَغِي وَخِلَافٍ وَشِقَاقٍ وَنِفَاقٍ فَانْتَكَمِ طالما اوضعتم في الشر وسنتم سنن الغي فاستوثقوا واستقيموا فوالله لأذيقنكم الهوان ولأمر فيكم به حتى تدرؤا، أولا الحوتكم لحو العود ولأعصبنكم عصب السلمة حتى تذلوا ولاضربنكم ضرب غرائب الأبل تذروا العصيان وتفقادوا ولأقرعنكم قرع المروة حتى تلتينوا والله ما أعد الآ وفيت ولا اخلق الآ قربت فايتاي وهذه الجمعيات فلا يركبن رجل الآ وحدة أقسم بالله لتقبلن على الانصاف ولتدغن الأرجاف وقيلاً وقالاً وما تقول وما يقول وأخبرني فلان، اولاً دَعْنُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ فِيمَ انْتُمْ وَذَٰكِ وَالله لَتَقِيْمُنَّ عَلَى الْحَقِّ اَوْ لَأُضْرِبَنَّكُمْ بِالسَّيْفِ ضَرْبًا يَدْعُ النِّسَاءَ اِمَامِي وَالْوُلْدَانَ يَتَامَى حَتَّى تَذَرُوا السَّمْهَى وَتَقْلَعُوا عَنْ هَوَاهَا اِلَّا اَنَّهُ لَوْ سَاغَ لِاهْلِ الْمَعْصِيَةِ مَعْصِيَتِهِمْ بَاجِيءٍ فِيءٍ وَلَا قُوَّةَ لِعَدُوِّ وَلَعَطَلَتِ الثُّغُورُ وَلَوْ لَا اَنَّهُمْ يَغْرُونَ كُهَا مَا غَزَوْا طَوْعًا وَقَدْ بَلَغَنِي رَفْضُكُمْ الْمَهْلَبِ وَاقْبَالِكُمْ عَلَى مِصْرِكُمْ عَاصِيينَ مُخَالِفِيْنَ وَاِنِّي اُقْسِمُ بِاللّٰهِ لَاجِدٌ اَحَدًا مِنْ عَسَاكِرِهِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ اَيَّامٍ اَضْرَبْتُ عَنْقَهُ وَانْهَيْتُ دَارَهُ ثُمَّ اَمَرَ بِكِتَابِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَرِءَ عَلَى اهل الكوفة فلما قال القارى

أما بعد: سلام عليكم فإني أحمد الله اليكم، قال له اقطع، ثم قال يا عبيد العصا
يُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا يَرْدَرَادُ مِنْكُمْ السَّلَامَ أَمَا وَاللَّهِ لَأُودِبَنَّكُمْ غَيْرَ هَذَا
الْأَدَبِ، ثُمَّ قَالَ لِلْقَارِي إِقْرَأْ فَلَمَّا قَرَأَ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ سَلَامٌ اللَّهُ
عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

ثُمَّ دَخَلَ مَنْزِلَهُ لَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ دَعَى الْعُرَفَاءَ وَقَالَ الْحُقُوقَ النَّاسِ
بِالْمَهْلَبِ وَاتَوْنِي بِالْبِرَاثَةِ فَأَتَهُمْ وَلَا تَغْلِقَنَّ أَبْوَابَ الْجِسْرِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا حَتَّى
تَنْقُضِي هَذِهِ الْمُدَّةَ.

فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثَ سَمِعَ تَكْبِيرًا فِي السُّوقِ فَخَرَجَ حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ
فَقَالَ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ يَا أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ وَمَسَاوِي الْأَخْلَاقِ إِنِّي سَمِعْتُ
تَكْبِيرًا لَيْسَ بِالتَّكْبِيرِ الَّذِي يَرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ وَلَكِنَّهُ التَّكْبِيرُ الَّذِي يَرَادُ بِهِ التَّرْهَيْبُ
وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ عُجَاظَةٌ قَصَفَ بِأَبْنَى الْكَيْعَةِ وَعَبِيدَ الْعَصَا وَأَبْنَاءَ الْأَيَامِي الْأَيْرَبِ
مِنْكُمْ عَلَى ظُلْفِهِ وَيُحْسِنُ حَقْنَ دَمِهِ وَيَعْرِفُ مَوْضِعَ قَدَمِهِ فَاقْسِمِ اللَّهُ لَا وَشَكَ أَنْ
أَوْقَعَ بِكُمْ وَقَعَةً تَكُونُ نِكَالًا لِمَا قَبْلَهُمَا وَأَدَبًا لِمَا بَعْدَهَا فَقَامَ عُمَيْرُ بْنُ ضَابِيَةَ
الْحَنْظَلِيُّ التَّمِيمِيُّ فَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ أَنَا فِي هَذَا الْبَعْثِ وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ عَلِيلٌ
وَابْنِي هَذَا أَشَبُّ مِنِّي فَقَالَ الْحَجَّاجُ هَذَا خَيْرٌ لَنَا مِنْ أَبِيهِ ثُمَّ قَالَ وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ
أَنْ عُمَيْرُ بْنُ ضَابِيَةَ قَالَ أَسَمِعْتَ كَلَامَنَا بِالْأَمْسِ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَلَسْتَ الَّذِي غَزَا
عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قَالَ بَلَى قَالَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَفَلَا إِلَى عُثْمَانَ بَعَثْتَ بَدَلًا وَمَا حَمَلَكَ
عَلَى ذَلِكَ قَالَ أَنَّهُ حَبَسَ أَبِي وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَالَ أَوْلَسْتَ الْقَائِلَ.

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكَتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَالَهُ
إِنِّي لِأَحْسَبُ أَنَّ فِي قَتْلِكَ صِلَاحَ الْمِصْرِيِّينَ وَأَمْرَ بِهِ فَضْرَبْتُ رِقْبَتَهُ وَانْتَهَبْتُ
مَالَهُ وَقِيلَ أَنَّ عُنْبُسَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ قَالَ لِلْحَجَّاجِ اتَّعْرِفْ هَذَا؟
قَالَ لَا، قَالَ هَذَا أَحَدُ قَتْلَةِ عُثْمَانَ فَقَالَ الْحَجَّاجُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَفَلَا إِلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ بَعَثْتَ بَدِيلًا ثُمَّ أَمْرَ بِهِ فَضْرَبْتُ عُنُقَهُ وَأَمْرًا مَنَادِيًا فَنَادَى الْإِنُّ عُمَيْرُ بْنُ
ضَابِيَةَ إِنِّي بَعْدَ ثَلَاثَةِ وَكَانَ سَمِعَ النَّدَاءَ فَأَمَرْنَا بِقَتْلِهِ إِلَّا أَنَّ ذِمَّةَ اللَّهِ بِرِئِيَةِ مَمَّنْ لَمْ

يأت الليلة الى جُند المَهْلَب فخرج الناس فازدحموا على الجِسر وخرج
العرفاء الى المَهْلَب وهو برامهرمز فاخذوا كتبه بالموافاة فقال المهلب قدم
اليوم رجل بالعراق ذكر اليوم قوتل العَدُو فلما قتل الحجاج عُميراً لقي ابراهيم
ابن عامر الأسدي عبدالله ابن الزبير فسئله عن الخبر فقال:

اقول لأبراهيم لَمَّا لقيته

أرى الأمر أضحى مَنصباً مُتَشعباً

تَجَهَّز وأسرع فالحق الجَيْش لا أرى

سوى الجَيْش الآ في المَهالك مَذهباً

تَخَيَّر فامًا ان تَزور ابن ضابى

عُميراً وامًا ان تَزور المَهلباً

هما خُطتا خَسف نجاؤك منهما

ركوبك حَوَلياً من البَلج أشهباً

فحال ولو كانت خُراسان دونه

رأها فكان السُّوق أو هي أقرباً

فكائن ترى من مكره الغزو مُسمرأ

تُحَمِّم حَنوا السَّرج حتى تحبنا

قال الشعبي: كان الرَّجل اذا أخلَّ بوجهه الَّذى يكتب اليه زمن عمر وعثمان

وعلى، نزعَت عمامته ويقام للناس وَيَشهر امره فلَمَّا ولى مَصْعَب قال ما هذا

بشيء واطاف اليه حلق الرُّوس واللَّحى، فلَمَّا ولى بشر ابن مروان زاد فيه

فصار يرفَع الرَّجل عن الأرض وَيُسمر فى يديه مِسماران فى حائط فرَبَّما مات

ورَبَّما خرق المِسمار كَفَّه فَسَلِم فقال الشاعر فيه:

لولا مخافة بشرٍ او عقوبته وان يُنَوِّط فى كَفِّ مِسمارٍ

اذا لَعَطَّلت ثغرى ثم زرتكم انَّ المُحب لمن يهواه زوار

فلَمَّا ولى الحجاج قال هذا العب اضرب عنق من بنخل مكانه فى الثغر.

ثُمَّ إِنَّ الْحَجَّاجَ كَانَ مِنْ أَخْبَثِ النَّاسِ وَارْذَلَهُمْ وَأَسْفَكَهُمْ وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّهُ أَحْصَى مَنْ قَتَلَهُ الْحَجَّاجَ صَبْرًا فَكَانُوا مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ مَرَّ بِخَالِدِ بْنِ يَزِيدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَهُوَ يَخْطُرُ فِي مَشِيَّتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ لَخَالِدٍ مِنْ هَذَا؟ قَالَ خَالِدٌ بَخٍ بَخٍ هَذَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَسَمِعَهَا الْحَجَّاجُ وَرَجَعَ وَقَالَ وَاللَّهِ مَا يَسْرُنِي أَنَّ الْعَاصَ وَوَلَدَنِي وَلَكِنِّي ابْنُ الْأَشْيَاحِ مِنْ ثَقِيفٍ وَالْعَقَامِلُ مِنْ قَرِيشٍ وَأَنَا الَّذِي ضَرَبْتُ بِسَيْفِي هَذَا مِائَةَ أَلْفٍ كُلَّهُمْ يَشْهَدُ أَنَّ أَبَاكَ كَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيُضْمِرُ الْكُفْرَ ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَقُولُ بَخٍ بَخٍ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَهُوَ قَدْ اعْتَرَفَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ بِمِائَةِ أَلْفٍ قَتِيلٍ عَلَى ذَنْبٍ وَاحِدٍ.

وَلَا سِيَّمَا فِي الْكُوفَةِ فَإِنَّهُ قَتَلَ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِهَا مِنْ غَيْرِ جَرْمٍ وَذَنْبٍ وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ قَدْ أَحْصَى مَنْ حَبَسَهُ فِي السِّجْنِ فَكَانُوا تِسْعِينَ أَلْفًا وَلَمْ يَثْبُتْ لَهُمْ ذَنْبٌ أَصْلًا وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِأَهْلِ السِّجْنِ حِينَ رَأَى أَنَّهُمْ يَضْجُونَ، أَجْسَوْا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ، وَحِكَايَاتِهِ مَشْهُورَةٌ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ بَلَّغْنِي أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ قَالَ لَهُ مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ عَارِفٌ بِنَفْسِهِ فِعِبَ نَفْسِكَ وَلَا تَجْنَأُ مِنْهَا شَيْئًا قَالَ أَنَا لَجَوْجٌ حَقُودٌ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ إِذَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ابْلِيسَ نَسَبٌ فَقَالَ إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا رَأَى سَأَلَنِي.

قَالَ الْحَسَنُ سَمِعْتُ عَلِيًّا ع عَلَى الْمَنْبَرِ يَقُولُ اللَّهُمَّ انْتَمَتْنَاهُمْ فَخَانُونِي وَنَضَحْتُمْ فَغَشَّوْنِي اللَّهُمَّ فَسَلِّطْ عَلَيْهِمْ غُلَامًا ثَقِيفًا يَحْكُمُ فِي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ بِحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ فَوَصَفَهُ وَهُوَ يَقُولُ الرِّيَالُ مَضْجَرُ الْأَنْهَارِ يَأْكُلُ خُضْرَتَهَا وَيَلْبَسُ فُرُوتَهَا قَالَ الْحَسَنُ هَذِهِ وَاللَّهِ صِفَةُ الْحَجَّاجِ (أَقُولُ الْحَسَنُ هَذِهِ هُوَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ الْمَشْهُورُ).

وَقَالَ حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي رَجَلٍ لَا تَمُوتُ حَتَّى تُدْرِكَ فَتَيُّ ثَقِيفٌ فَقِيلَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا فَتَيُّ ثَقِيفٌ قَالَ ع لِيَقَالََنَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْفْنَا زَاوِيَةَ مِنْ زَوَايَا جَهَنَّمَ رَجُلٌ يَمْلِكُ عِشْرِينَ أَوْ بَعْضًا وَعِشْرِينَ سَنَةً لَا يَدْعُ لِلَّهِ مَعْصِيَةَ إِلَّا ارْتَكَبَهَا حَتَّى لَوْ لَمْ تَبْقِ إِلَّا مَعْصِيَةٌ وَاحِدَةٌ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهَا حِجَابٌ (بَابُ) مُغْلَقٌ

لكسره حتى يرتكبها يقتل بمن اطاعه من عصاه انتهى

وقد روينا ما روينا عن الكامل، صدق ولي الله سلام الله عليه. لما هزم الحجاج عبدالرحمن ابن الأشعث وقتل اصحابه وأسر بعضهم كتب اليه عبدالملك ابن مروان ان يعرض الأسرى على السيف فمن أقر منهم بالكفر خلّى سبيله ومن ابى يقتله، فأتى منهم بعامر الشعبي ومطرف ابن عبدالله ابن الشيخى وسعيد ابن جبير، فأمّا الشعبي ومطرف فذهبا الى التعريض والكناية ولم يُصرّحا بالكفر فقبل كلامهما وعفا عنهما. وأمّا سعيد ابن جبير فأبى ذلك فقتل، انتهى.

اقول: كذا قال فى العقد الفريد والحقّ أنّه ليس الامر كما ذكره، وإنّما قُتل سعيد ابن جبير لكونه من الشيعة وإنّه لم يلعن علياً كما أنّه قتل غيره من الأخيار لهذا السبب فإنّ كميل ابن زياد النخعي ايضاً قُتل بيده صبراً لكونه من خواصّ عليّ عليه السلام وهكذا قنبر غلامه عليه السلام وامثال ذلك كثيرة لانطول الكلام بذكرها وذلك لأنّ الحجاج وامثاله من عبيدالله ابن زياد وزياد بن ابيه وبشر ابن مروان ومن حذى حدّوهم فى حكومة بنى امية وبنى المروان وبنى العباس جنائياتهم وخبائث اخلاقهم وردائل اوصافهم وولوغهم فى دماء الصلحاء والمؤمنين ونهب اموالهم وتخريب بيوتهم ودورهم وقطع اشجارهم وامثال ذلك من قبائح الاعمال اكثر من ان تُعدّو تُحصى وتفصيل الكلام فى هؤلاء الكلاب يستدعى تأليف كتاب مستقل بل كتب متعدّدة والغرض من ذكر هؤلاء إنّما هو التمثيل فقط والآ فهذه السيرة النحسة والرؤية الكثيفة الحيوانية التى اتخذوها لتشييد اركان خلافتهم ملاكاً ومعاداً وتسريع اهدافهم الشيطانية ملجأً وملاذاً لم تكن مختصة بهم بل هى كانت سارية جارية الى آخر العباسيين لوحدة الملاك بالنسبة الى كلّ الخلفاء وهى أنّهم بنّوا من يوم السقيفة اساس حكومتهم وخلافتهم على حبّ الشيطان والنفس الامارة وبغض اهل البيت واتباعهم واشياعهم الى يوم القيمة، وذلك لعلمهم بانّ غصب الخلافة لا يجمع مع حبّ

اولاد النبي ضرورة ان من غصب حقه لا يصير محبا للغاصب كائناً من كان.
ولكنهم ومن تبعهم غفلوا عن الله تبارك وتعالى وانه يظهر الحق ولو كره
الكافرون قال الله تعالى: يريدون ليطفنوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره
الكافرون صدق الله العلي العظيم.

فقوله: وتعرّكين بالنوازل وتركبين بالزلازل اشارة الى الوقائع الحادثة بعده
بها بسبب الأشقياء وقد كان كذلك واما دخول المختار في زمرة هؤلاء الفجار
كما ظنّ الشارح البحراني فالتحقيق انه من الأخباط وللتحقيق فيه موضع آخر
ولنختم الكلام في هذا المقام حذراً عن الاطناب والحمد لله رب العالمين.
□ قوله ﷺ: وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ سَوْءٌ إِلَّا ابْتِلَاؤُ اللَّهِ بِشَاغِلٍ وَرَمَاهُ
بِقَاتِلٍ، ...

بعد ما اخبر ﷺ بان الكوفة تصير محلاً للحوادث والوقائع الغير المترتبة
بسبب وجود الحكام فيها قال ﷺ تأييداً لما قال واني لاعلم الخ أكد كلامه
بكلمة (ان) المفيدة للتأكيد وصفاً ثم لم يقنع بهذا التأكيد وحده فآيدّه باللام
المفيدة له ثانياً مع ان العلم ايضا فيه نوع تأكيد بالنسبة الى مطلق الأدراك المفيد
للظن والقطع والشك كل ذلك اشارة الى انه اي ما أخبر به لامحالة واقع لاختفاء
فيه فقال واني لاعلم، اي علماً قطعياً مطابقاً للواقع انه ما اراد بك، والماء للنفي،
اي لا يراد بك، يا كوفة، جبار، وظالم، سوءاً الا ابتلاه الله اي ابتلى الله ذلك
الجبار بشاغلي يشغله عنه ورماه الله بقاتل يقتله. وحاصل ما افاده ﷺ هو ان
الجبارين في الكوفة يُعذبهم الله في الدنيا بشيئين: احدهما ابتلائهم بشاغلي
يشغلهم عنه وثانيها رميهم بقاتل يقتلهم، وذلك كما ان زياد ابن ابيه ابتلاه الله
بشاغلي وهو الطاعون الذي ظهر على اصبع يمينه فمات منه ونظير ذلك من
الموت قد وقع لغيره من ولاة الكوفة، واما قوله ﷺ: وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ فَلَعَلَّهُ اِشَارَةٌ
الى عبيدالله ابن زياد حيث انه صار مقتولاً في الحرب التي وقع بينه وبين
المختار فالمراد بهاتين الجملتين هو ان موت الجبارين كان متفاوتاً من حيث

﴿ وَمَنْ خُطِبَ لَهُ ﴾ (٤٨)

□ قوله ﴿﴾: الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْأَنْعَامِ، وَلَا مُكَافِئِ الْإِفْضَالِ. أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي، وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النَّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ مُوْطِنِينَ أَكْنَافَ دَجَلَةَ، فَأُنْهِضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ، وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ.

◀ اللغة

(وَقَبَ) دَخَلَ (غَسَقَ) أَظْلَمَ (لَاحَ) أَيْ ظَهَرَ (خَفَقَ) أَيْ سَتَرَ وَغَرِبَ وَغَلَبَ (مُكَافِئِ) بِصِيغَةِ الْمَفْعُولِ بِمَعْنَى الْمَجَازَاةِ. (الْمِلْطَاطِ) سَاحِلَ الْبَحْرِ وَقَالَ السَّيِّدُ (قَدَّه) الْمُرَادُ بِهِ هُنَا شَاطِئُ الْفُرَاتِ. (النَّطْفَةَ) بِضَمِّ النَّوْنِ الْمَاءَ الصَّافِيَّ قَلَّ أَوْ كَثُرَ. (شِرْذِمَةٍ) بِمَعْنَى الْقَلِيلِ مِنَ النَّاسِ. (أَكْنَافَ) جَمَعَ كَنَفٌ بِالتَّحْرِيكِ الْجَانِبِ وَالتَّاحِيَةِ (نَهَضَ) أَيْ قَامَ. (الْأَمْدَادِ) بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ جَمَعَ مَدَدٌ وَهُوَ النَّاصِرُ وَالْمُعِينُ.

◀ المعنى

قالوا إن هذه الخطبة إنما خطب ﴿﴾ بها عند مسيره إلى صفين وهو ﴿﴾ بالنخيلة خارجاً من الكوفة بخمس ماضين من شوال سنة سبع وثلاثين

فقال ﷻ: الْحَمْدُ لِلَّهِ ، قد مضى معناه (كُلَّمَا وَقَبَ) اى دَخَلَ. (لَيْلٌ وَغَسَقٌ) اى
 أَظْلَمَ (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَأَحَ) اى ظَهَرَ. (نَجْمٌ) اى كَوَّكَبَ (وَخَفَقَ) اى غَابَ وَسْتَر
 (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْأَنْعَامِ) لكونها دائمة وقد مضى الكلام فيها. (وَلَا
 مُكَافَاءَ الْإِفْضَالِ). لَانَّ إِحْسَانَهُ لَا يُقَابِلُ الْجَزَاءَ كَذَا قَالُوا وَسَيَأْتِي الْكَلَامَ فِي
 شَرْحِهِ. (أَمَّا بَعْدُ) اى بعد الحمد والثناء عليه تعالى. (فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدَّمَتِي)، اى
 مُقَدِّمَةَ جَيْشِي الَّتِي بَعَثْتُهَا مَعَ زِيَادِ بْنِ النَّصْرِ وَشَرِيحِ بْنِ هَانِيٍّ وَقَدْ كَانُوا اثْنَيْ
 عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ. (وَأَمَرْتَهُمْ) اى الْجَيْشِ (بِلِزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ) وَهُوَ الْوُقُوفُ
 عَلَى شَاطِئِ الْفِرَاتِ (حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي)، وَيَبْلُغُهُمْ حَكْمِي (وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ
 أَقْطَعَ هَذِهِ النَّطْفَةَ) اى رَأَيْتُ الْمَصْلَحَةَ فِيهِ اى فِي قِطْعِ مَاءِ الْفِرَاتِ. (إِلَى
 شِرْذِمَةٍ) قَلِيلَةٍ (مِنْكُمْ مُوْطِنِينَ أَكْنَافَ دَجَلَةَ) وَهُمْ أَهْلُ الْمَدَائِنِ (فَأَنْهَضَهُمْ مَعَكُمْ
 إِلَى عَدُوِّكُمْ، وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ. وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ.

◀ الشرح

□ قوله ﷻ: الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقٌ،....

قد مضى الكلام فى معنى الحمد مفضلاً غير مرّة وقد قلنا فى وجه اختياره
 ﷻ اسم الجلالة وانتساب الحمد اليه كونه جامعاً لجميع الصفات فانه على
 الأصح علمٌ للذات الواجب الوجود المستجمع لجميع الصفات الكمالية،
 ولهذه الجامعة اختاره على غيره من الأسماء. واما قوله ﷻ: كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ
 وَغَسَقٌ ففيه اشارة الى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِمَرْبِّ الْفَلَقِ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَمِنْ
 شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾^(١) وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى دَوَامِ الْحَمْدِ لِتَعْلِيْقِهِ الْحَمْدَ عَلَى أَمْرِ يَدُومُ
 وَهُوَ دُخُولُ اللَّيْلِ وَظُلْمَتِهِ وَلَا شَكَّ فِي دَوَامِهِ إِلَى آخِرِ الدُّنْيَا فَالْمَعْنَى أَنِّي أَحْمَدُ
 اللَّهَ تَعَالَى مِنَ الْآنَ إِلَى آخِرِ الدُّنْيَا وَذَلِكَ لِأَنَّ كَلِمَةَ (كُلَّمَا) تُفِيدُ الشَّرْطَ فَانْهَارًا مِنْ
 ادْوَاتِهَا، فَقَوْلُنَا كَلَّمَا كَانَتْ الشَّمْسُ طَالِعَةً فَالْنَّهَارُ مَوْجُودٌ مَعْنَاهُ تَعْلِيْقُ وَجُودِ

النهار على طلوع الشمس.

وإنما أتى ﷺ بكلمة كلما المفيدة للشرط للدلالة على أن المقدم، والتالي في القضية متلازمان تلازماً عقلياً وهذا بخلاف سائر القضايا لعدم وجود التلازم العقلي فيها وبه يفرق بين الشرطية والحملية.

فهو ﷺ قد علق الحمد على امرٍ يدوم فيدل على دوام الحمد فكأنه قال ﷺ: كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَكِنَّ اللَّيْلَ وَقَبٌ وَغَسَقٌ إِلَى آخِرِ الدُّنْيَا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَى آخِرِ الدُّنْيَا.

ان قلت - على ما ذكرت فينبغي له ﷺ الأتيان بالمضارع دون الماضي الذي يدل على ما مضى.

قلت - قد ثبت أن المستقبل المحقق الوقوع في حكم الماضي فيصح الأتيان بصيغة الماضي مع أن المقصود. الاستقبال كما قال الله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾⁽¹⁾ وامثال ذلك. ان قلت - قد ثبت في الشرطية تقدم الشرط على المشروط فيعتبر عن الشرط بالمقدم وعن المشروط بالتالي وذلك لأن المشروط يتلو الشرط دائماً ولا عكس ضرورة كون الشرط بمنزلة العلة لوجود المشروط والعلة متقدمة على المعلول طبعاً وذاتاً وعليه فلو كان قوله ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، المشروط أو التالي وقوله ﷺ: كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ المقدم أو الشرط فحق الكلام هو ان يقال ﷺ: كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ مع أنه ﷺ قد عكس الأمر فما الوجه فيه وهكذا الأمر في الجملات الآتية.

قلت - تحقيق الجواب يستدعي التكلم في القضية الشرطية واقسامها اجمالاً فنقول:

عرفوا القضية بأنها قول مُحتمل لِلصِّدْقِ وَالْكَذِبِ وَبَعْضُهُمْ قَالُوا فِي تَعْرِيفِهَا الْقَضِيَّةَ قَوْلٌ يَصِحُّ أَنْ يَقَالَ لِقَائِهِ أَنَّهُ صَادِقٌ فِيهِ أَوْ كَاذِبٌ ثُمَّ قَسَمُوا

الى الحَمَلِيَّة والشَّرْطِيَّة، فَالْحَمَلِيَّة ما أَنحَلَّ بِطَرَفِهَا الى مُفْرَدَيْنِ بَعْدَ حَذْفِ
الرَّابِطَةِ كَقَوْلِنَا زَيْدٌ هُوَ عَالِمٌ فِي الْمَوْجِبَةِ وَزَيْدٌ لَيْسَ هُوَ بِعَالِمٍ فِي السَّالِبَةِ فَإِذَا
حَذَفْنَا لَفْظَ هُوَ الدَّالُّ عَلَى النِّسْبَةِ الْإِيجَابِيَّةِ مِنَ الْقَضِيَّةِ الْأُولَى وَ (لَيْسَ هُوَ) الدَّالُّ
عَلَى النِّسْبَةِ السَّلْبِيَّةِ فِي الثَّانِيَةِ بَقِيَ زَيْدٌ عَالِمٌ وَهُمَا مُفْرَدَانِ.

وَالشَّرْطِيَّةُ مَا لَمْ يَنْحَلَّ بِطَرَفِهَا الى مُفْرَدَيْنِ كَقَوْلِنَا إِنْ كَانَتِ الشَّمْسُ طَالَعَةً
فَالنَّهَارُ مَوْجُودٌ، فَإِذَا حَذَفْنَا أَدْوَاتِ الْإِتِّصَالِ فِيهَا وَهِيَ كَلِمَةُ إِنْ وَالْفَاءُ بَقِيَ
الشَّمْسُ طَالَعَةٌ وَالنَّهَارُ مَوْجُودٌ وَهُمَا لَيْسَا بِمُفْرَدَيْنِ وَهَكَذَا فِي الْمُنْفَصِلَةِ إِذَا
عَرَفْتَ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا فَاعْلَمْ أَنَّ الْقَضِيَّةَ الشَّرْطِيَّةَ الَّتِي كَلَامُنَا فِيهَا فِعْلاً تَنْقَسِمُ الى
مُتَّصِلَةٍ وَمُنْفَصِلَةٍ.

فَالْمُتَّصِلَةُ، هِيَ الَّتِي يُحْكَمُ فِيهَا بِصِدْقِ قَضِيَّةٍ أَوْ لَا صِدْقِهَا عَلَى تَقْدِيرِ صِدْقِ
أُخْرَى فَإِنْ حُكِمَ فِيهَا بِصِدْقِ قَضِيَّةٍ عَلَى تَقْدِيرِ أُخْرَى فَهِيَ مُتَّصِلَةٌ مَوْجِبَةٌ كَقَوْلِنَا
إِنْ كَانَ هَذَا إِنْسَانًا فَهُوَ حَيَوَانٌ فَإِنَّ الْحُكْمَ فِيهَا بِصِدْقِ الْحَيَوَانِيَّةِ عَلَى تَقْدِيرِ
الْإِنْسَانِيَّةِ، وَإِنْ حُكِمَ فِيهَا بِسَلْبِ صِدْقِ الْقَضِيَّةِ عَلَى تَقْدِيرِ أُخْرَى فَهِيَ مُتَّصِلَةٌ
سَالِبَةٌ كَقَوْلِنَا لَيْسَ إِنْ كَانَ هَذَا إِنْسَانًا فَهُوَ جَمَادٌ، فَإِنَّ الْحُكْمَ فِيهَا بِسَلْبِ صِدْقِ
الْجَمَادِيَّةِ عَلَى تَقْدِيرِ صِدْقِ الْإِنْسَانِيَّةِ هَذَا فِي الْمُتَّصِلَةِ.

وَأَمَّا الْمُنْفَصِلَةُ وَهِيَ الَّتِي يُحْكَمُ فِيهَا بِالتَّنَافِي بَيْنِ الْقَضِيَّتَيْنِ فِي الصِّدْقِ
وَالكِذْبِ مَعًا بِأَنْهُمَا لَا يَصْدُقَانِ مَعًا وَلَا يَكْذِبَانِ مَعًا أَوْ فِي الصِّدْقِ فَقَطْ بِأَنْهُمَا
لَا يَصْدُقَانِ وَلَكِنَّهُمَا قَدْ يَكْذِبَانِ أَوْ فِي الكِذْبِ فَقَطْ أَيْ بِأَنْهُمَا لَا يَكْذِبَانِ وَرَبَّمَا
يَصْدُقَانِ. ثُمَّ إِنْ كَانَ الْحُكْمُ فِيهَا بِالْمَنَافَاتِ فِي الصِّدْقِ وَالكِذْبِ مَعًا سُمِّيَتْ
الْمُنْفَصِلَةُ حَقِيقِيَّةً كَقَوْلِنَا أَمَّا إِنْ يَكُونُ هَذَا الْعَدَدُ زَوْجًا أَوْ فَرْدًا لِأَسْتِحَالَةِ
صِدْقِهِمَا مَعًا أَوْ كِذْبِهِمَا مَعًا لِلزُّومِ الْأَوَّلِ اجْتِمَاعِ التَّقْيِيزِ وَالثَّانِي اِرْتِفَاعِهِمَا
وَكَلاهُمَا مُسْتَحِيلٌ. وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْحُكْمُ فِيهَا بِالْمَنَافَةِ فِي الصِّدْقِ فَقَطْ فَهِيَ مَانِعَةٌ
الْجَمْعِ كَقَوْلِنَا أَمَّا إِنْ يَكُونُ هَذَا الشَّيْءُ شَجَرًا أَوْ حَجْرًا لِأَسْتِحَالَةِ كَوْنِ الشَّيْءِ
شَجَرًا وَحَجْرًا مَعًا وَأَمَّا كِذْبُهُمَا فَلَا يَسْتَحِيلُ لِأَمْكَانِ كَوْنِهِ حَيَوَانًا مِثْلًا.

وأما إذا كان الحكم فيها بالمنافات في الكذب فقط فهي مانعة الخُلُو كقولنا
أما ان يكون هذا الشيء لاشجراً او لاجحراً فإنه لا يمكن خُلُو الشيء عن اللأ
شجرية واللأ حَجَرِيَّة للزومه كونه شجراً وحجراً معاً وهو محال وقد يصدقان
وهو ظاهر، هذا كله في المنفصلة الموجبة.

وأما ان حكم فيها بسلب التنافي فهي مُنفصلة سالبة وهي ايضاً تنقسم الى
حقيقتية ان حكم فيها بسلب المنافاة في الصدق والكذب كقولنا ليس إما ان
يكون هذا الانسان أسوداً وكتاباً بالفعل لجواز ارتفاعهما واجتماعهما.

وسالبة مانعة الجمع ان حكم فيها بسلب المنافاة في الصدق فقط كقولنا
ليس إما ان يكون هذا الانسان حيواناً او اسوداً لجواز اجتماعهما وعدم جواز
ارتفاعهما. وسالبة مانعة الخُلُو ان كان الحكم فيها بسلب المنافاة في الكذب
فقط كقولنا ليس إما ان يكون هذا الانسان رومياً او زنجياً او قصيراً وطويلاً
وامثال ذلك.

ثم ان الشرطية المتصلة قد تتركب عن حمليتين وعن متصلتين وعن
منفصلتين وعن حملية ومتصلة وعن حملية ومنفصلة وعن متصلة ومنفصلة
وكل واحد من الثلاثة الأخيرة فيها تنقسم الى قسمين لامتياز مقدمها عن تاليها
بالطبع بخلاف المنفصلة فان مقدمها يتميز عن تاليها بالوضع فقط وعليه
فاقسام المتصلات تسع والمتصلات ست ولا كلام لنا فعلا في المنفصلات
فان القضية المبحوثة عنها فعلاً وكذلك ما يتلوها من المتصلات قطعاً الا انه
لابد لنا من بيان انهما من اى نوع منها فنذكر أمثلة المتصلات أولاً، ثم نقول
الحق في المقام.

فالأول: كونها مركبة من حمليتين كقولنا ان كان الشيء انساناً فهو حيوان.

والثاني: من متصلتين كقولنا كلما كان الشيء انساناً فهو حيوان وكلماً لم

يكن الشيء انساناً لم يكن حيواناً.

والثالث: من منفصلتين كقولنا دائماً كلما كان إما ان يكون العدد زوجاً او

فرداً فدائماً أما ان يكون مُنقسماً بمتساويين او غير منقسم.
الرابع: من حَمَلِيَّةٍ وَمُتَّصِلَةٍ كَقَوْلِنَا ان كَانَتِ الشَّمْسُ عِلَّةً لَوُجُودِ النَّهَارِ فَكَلَّمَا
 كَانَتِ الشَّمْسُ طَالِعَةً فَالنَّهَارُ مَوْجُودٌ.

والخامس: عَكْسُهُ كَقَوْلِنَا كَلَّمَا كَانَتِ الشَّمْسُ طَالِعَةً فَالنَّهَارُ مَوْجُودٌ فَوْجُودِ
 النَّهَارِ لَازِمٌ لَطُلُوعِ الشَّمْسِ.

السادس: من حَمَلِيَّةٍ وَمُنْفَصِلَةٍ كَقَوْلِنَا ان كَانَ هَذَا عِدْداً فَهُوَ اِمَّا زَوْجٌ اَوْ فَرْدٌ.

السابع: بِالْعَكْسِ كَقَوْلِنَا كَلَّمَا كَانَ دَائِماً هَذَا اِمَّا ان يَكُونُ زَوْجاً اَوْ فَرْداً كَانَ
 عِدْداً. الثَّامِنُ - من مُتَّصِلَةٍ وَمُنْفَصِلَةٍ كَقَوْلِنَا كَلَّمَا كَانَتِ الشَّمْسُ طَالِعَةً فَالنَّهَارُ
 مَوْجُودٌ فَدَائِماً اِمَّا ان يَكُونُ الشَّمْسُ طَالِعَةً وَاِمَّا ان لَا يَكُونُ النَّهَارُ مَوْجُوداً،
التاسع: عَكْسُ ذَلِكَ كَقَوْلِنَا: كَلَّمَا كَانَ دَائِماً اِمَّا ان يَكُونُ الشَّمْسُ طَالِعَةً وَاِمَّا ان
 لَا يَكُونُ النَّهَارُ مَوْجُوداً فَكَلَّمَا كَانَتِ الشَّمْسُ طَالِعَةً فَالنَّهَارُ مَوْجُودٌ - وَاِمَّا امثلة
 المنفصلات فلا كلام لنا فيها فعلا.

اذا عرفت الشَّرْطِيَّةَ الْمُتَّصِلَةَ بِاقْسَامِهَا التَّسْعَةَ فَقَدْ دَرَيْتَ ان قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي
 هَذِهِ الْجُمَلَاتِ الثَّلَاثَةِ اعْنَى **الْحَمْدُ لِلَّهِ كَلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَلَّمَا
 لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْاَنْعَامِ**، يُمْكِنُ حَمَلُهُ عَلَى الرَّابِعِ
 وَالْخَامِسِ لَا غَيْرَهُمَا وَذَلِكَ لِانَّ الْقِسْمَ الرَّابِعَ مِنْهَا اعْنَى تَرْكِبَ الْقَضِيَّةِ مِنْ
 حَمَلِيَّةٍ وَمُتَّصِلَةٍ وَالْخَامِسَ عَكْسَهُ اعْنَى تَرْكِبُهَا مِنْ مُتَّصِلَةٍ وَحَمَلِيَّةٍ وَلَا يَبْعَدُ
 حَمَلُهُ عَلَى الثَّانِي اَيْضاً اعْنَى تَرْكِبُهَا مِنْ مُتَّصِلَتَيْنِ بِنَاءٍ عَلَى كَوْنِ الثَّلَاثَةِ بِمَعْنَى
 كَلَّمَا ثَبَّتَ لَهُ نِعْمَةٌ.

اَمَّا حَمَلُهُ عَلَى الرَّابِعِ فَبِنَاءٍ عَلَى كَوْنِ دُخُولِ اللَّيْلِ عِلَّةً لَوُجُودِ الْغَسَقِ فِيهِ
 وَكَوْنِ (الْحَمْدُ لِلَّهِ) قَضِيَّةً حَمَلِيَّةً.

وَاَمَّا حَمَلُهُ عَلَى الْخَامِسِ فَعَلَى الْقَوْلِ بِكَوْنِ الْمُقَدَّمِ فِيهَا هُوَ الشَّرْطِيَّةُ اعْنَى
 كَلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ وَالتَّالِي قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **الْحَمْدُ لِلَّهِ قَدَمُ التَّالِي عَلَى الْمُقَدَّمِ لِأَفَادَةِ
 الْحَصْرِ وَالتَّخْصِيصِ.**

واما حملة على الثانى فعلى القول بكون المُقَدَّم والتالى شَرَطِيَّتَيْنِ اَمَّا قوله ﷺ: **كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَوَسَقَ فَظَاهِرٌ** لكون اداة الشرط فيه اعنى كلما واما قوله ﷺ: **الْحَمْدُ لِلَّهِ** فتقدير الشرط اى ان كان الحمد لله فكلما وَقَب الخ.

وعلى اى تقدير لا شك فى كون القضية شَرَطِيَّةً والبحث فى كونها من اى الاقسام منها والظاهر عدم خروجها عن الثلاثة المذكورة فتأمل فيه.

ثم ان ادخالنا الثالثه فى المبحوث عنه انما هو بحسب التأويل، والتقدير كما اولناها بقولنا (كلما ثبتت له نعمة) وذلك لان معنى كونه غير مفقود الانعام اى هو ثابت الانعام، والا فعلى ظاهر القضية فليست من الشرطية بشىء بل قوله ﷺ: **غَيْرَ مَفْقُودِ الْأَنْعَامِ** واما صفة لكلمة (الله) واما حال له كما هو ظاهر.

□ قوله ﷺ: **وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَلَّمَا لَأَحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْأَنْعَامِ، وَلَا مُكَافَأٍ الْإِفْضَالِ،...**

الكلام فى الجملة الاولى كالكلام فى سابقته واما قوله غير مفقود الانعام الى آخره فقد ذكرنا الوجه فيه عند قوله ﷺ: (ولا تفقد له نعمة) فى الخطبة الخامسة والاربعين فراجعه ان شئت.

□ واما قوله ﷺ: **وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَلَّمَا لَأَحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْأَنْعَامِ، وَلَا مُكَافَأٍ الْإِفْضَالِ،** قالوا فى شرحه اذا احسانه سبحانه لا يمكن ان يقابل بالجزاء اذ القدرة على شكره وثنائه الذى هو جزاء احسانه نعمة ثانية من نعمه هذا.

وانا اقول: المقصود من قوله ﷺ هذا هو ان العبد لا يقدر على اداء شكره تعالى وان بلغ فى العبودية ما بلغ وذلك لان نعمه غير متناهية، وفعل العبد متناهٍ والمتناهى لا يحيط بغير المتناهى كما قال به بعض العرفاء.

والسر فيه هو ان اداء الشكر على ما ينبغى موقوف على معرفة الله تعالى ونعمه الظاهرة والباطنة ولا شك فى ان هذه المعرفة لم تحصل لأحد لامتناعها والموقوف على الممتنع ممتنع فالشكر على ما ينبغى له تعالى ممتنع وهو المطلوب.

تنبيه: اعلم ان فيما ذكره ﷺ نكاتٌ ودقائقٌ:
 احدايها: فى اختياره الليل والنجم على سائر الأشياء وذلك لكثرة
 استعمالهما فى القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ، وَالْقَمَرِ إِذَا
 اتَّسَقَ﴾^(١)

و: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾^(٢)

و: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾^(٣)

و: ﴿وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾^(٤)

و: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾^(٥) وامثال ذلك من الآيات التى تقرب مائة آيه.

و: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾^(٦)

و: ﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾^(٧)

و: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٨)

و: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾^(٩)

و: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انطَمَسَتْ﴾^(١٠)

و: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾^(١١)

و: ﴿فَنَنْظُرْ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾^(١٢) وامثالها من الآيات

وثانيها: ان فيهما خصوصية ليست فى غيرهما.

اما الليل فلكونه ظرفاً للأذكار والأوراد والتَّهَجُّدِ وكأنه مُعِدُّ لها قال الله

تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾^(١٣)

و: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾^(١٤)

- ٢- الشمس- ٤
 ٤- الضحى - ١
 ٦- النجم - ١
 ٨- النحل - ١٦
 ١٠- المرسلات - ٨
 ١٢- الصافات - ٨٨
 ١٤- الانسان - ٢٦

- ١- الانشقاق - ١٦/١٧
 ٣- الليل - ١
 ٥- المدثر - ١
 ٧- الرحمن - ٦
 ٩- الانعام - ٩٧
 ١١- التكويد - ٢
 ١٣- الطور - ٤٩

و: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْأَخِرَةَ﴾^(١)
 واما النجم - فلكونه سبباً للأهتداء والأرشاد في الظاهر والباطن والدنيا
 والدين.

فمن الاوّل قوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٢)
 و: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(٣)
 ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾^(٤)
 و: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ تُذْبَارَ النُّجُومِ﴾^(٥) وامثال ذلك.
 وثالثها انّ الليل له فضل على النهار قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ
 اَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^(٦)

و: ﴿وَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً، وَاتَّمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِّمِيقَاتُ رَبِّهِ اَرْبَعِينَ
 لَيْلَةً﴾^(٧)

و: ﴿اَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ البقره / ١٨٧،
 و: ﴿اِنَّا اَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾^(٨)
 و: ﴿اِنَّا اَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَا اَنْذَايَكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ اَلْفِ
 شَهْرٍ﴾^(٩)

و: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي اَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(١٠)
 و: ﴿اَيَّتِكَ اِلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾^(١١)
 و: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾^(١٢) وامثالها من الآيات التي دلّت على فضيلة
 الليل.

١- الزمر - ٩

٢- النحل - ١٦

٣- الانعام - ٩٧

٤- الطور - ٤٩

٥- الاعراف - ١٤٢

٦- القدر - ١/٢/٣

٧- المريم - ١٠

٨- النجم - ١/٢

٩- البقره - ٥١

١٠- الدخان - ٣

١١- الاسراء - ١

١٢- الفجر - ١/٢

وامّا النّجم فهو ايضاً تظهر فضيلته فى اللّيل دون النّهار بخلاف غيره من الموجودات فانّها تظهر بالنّهار دون اللّيل فظهور الموجودات بالنّهار وظهور النّجم باللّيل واذا ثبت كون اللّيل أفضل فما به يظهر ايضاً أفضل، وهو المطلوب.

ورابعها: انّ الخليل عليه السلام استدّل على التّوحيد بظهور النّجم فى اللّيل كما حكاه الله تعالى: فى كتابه حيث قال عزّ من قائل. ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا، قَالَ هَذَا رَبِّي ﴾ ^(١) ومن المعلوم انّ الكوكب الذى دلّه على وجود الصّانع قد كان فى اللّيل يعنى انه لو لم يكن اللّيل لم يظهر له ولا شك انّ التّوحيد من أشرف المعلومات والكمالات النّفسانية فكذلك ما يؤجبه فهو عليه السلام قد اقتفى فيه أثر الخيل.

□ قوله عليه السلام: **أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي، وَأَمْرَهُمْ بِلُزُومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي،...**

اي بعد الحمد والثناء على الله تعالى فقد بعثت مقدّمتى، اي مقدّمة جيشى التى بعثتها مع زياد ابن النّضر وشريح ابن هانى نحو صُفّين وكانوا اثني عشر الف فارس وأمرتهم بالوقوف على شاطىء الفرات حتى يأتيتهم أمرى بالرحيل وعدمه والمقصود انه لا يجوز لهم التّخلف عن أمرى والتّعدى عن حكمى كما هو شأن المأموم بالنسبة الى الأمام.

□ قوله عليه السلام: **وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النَّطْفَةَ إِلَى سِرْدِمَةَ مِنْكُمْ مُوْطِنِينَ أَكْنَافَ دَجَلَةٍ،...**

قال السيّد (قده) يعنى عليه السلام بالمِلْطَاطِ السّمْتُ الذى أمرهم بلزومه وهو شاطىء الفرات ويقال ذلك لشاطىء البحر واصله ما أستوى من الارض ويعنى بالنّطفة ماء الفرات وهو من غريب العبارات وأعجبها، انتهى.

اقول: وعلى هذا المعنى حملوا كلامه عليه السلام فى جملة الشّروح وعليه فالكلام

من الأستعارة ولا بأس به وأما نحن فنزيد على ما ذهب (قده) اليه ونُحَقِّقُه حَقُّ التَّحْقِيقِ فنقول:

اعلم ان المِلْطَاةَ على ما فى النِّهَايةِ فى اصْلِ اللُّغَةِ القَشْرَةُ الرِّقِيقَةُ بَيْنَ عَظْمِ الرِّاسِ وَلَحْمِهِ تَمْنَعُ الشَّجَةَ ان تَوْضِعَ وَهِيَ مِنْ لَطِيبُ الشَّيْءِ اى لَصِقْتَهُ فَقِيلَ بِكَوْنِ المِيمِ فِيهَا زَائِدَةٌ وَقِيلَ اَصْلِيَّةٌ وَالْأَلْفُ لِلْأَلْحَاقِ وَاهْلُ الحِجَازِ يُسَمُّونَهَا السَّمْحَاقَ وَمِنْه الحَدِيثُ يَقْضَى فى المِلْطَاةِ بَدَمَهَا اى يَقْضَى فِيهَا حِينَ يَشْجُ صَاحِبُهَا بَانَ يُؤَخِّدُ مَقْدَارَهَا تَلِكِ السَّاعَةِ ثَمَّ يَقْضَى فِيهَا بِالقِصَاصِ او الأَرشِ وَالْأَصْلُ فِيهِ مِنْ مِلْطَاةِ البَعِيرِ وَهُوَ جِرْفٌ فى وَسْطِ رَأْسِهِ وَالمِلْطَاةُ اعلى حَرْفِ الجَبَلِ وَصَحْنِ الدَّارِ، انْتَهَى.

اذ اعرفت هذا وان المِلْطَاةَ فى اصْلِ اللُّغَةِ مأخوذةٌ مِنْ مِلْطَاطِ البَعِيرِ وَهُوَ جِرْفٌ فى وَسْطِ رَأْسِهِ وانَّهَا عِبارةٌ عَنِ القَشْرَةِ الرِّقِيقَةِ بَيْنَ عَظْمِ الرِّاسِ وَلَحْمِهِ تَمْنَعُ الشَّجَةَ ان تَوْضِعَ الى آخِرِ ما قالوا فِيهَا.

فلا يبعدان يكون المراد بقوله ﷺ: وَأَمْرُهُمْ بِلزومِ هَذَا المِلْطَاطِ هو عدم وقوعهم فى الحرب مع الأعداء قبل ان يأمرهم بها وذلك لانَّ الجهاد من شرائطه ان يكون باذن الامام وعليه فيكون المِلْطَاطِ ولزومه كناية عن حفظ نفوسهم ودينائهم وعدم جواز اقتحامهم فى الحرب بدون اذن الامام.

وامَّا النُّطْفَةُ، بضمَّ النُّونِ وسكونِ الطَّاءِ، الماء الصَّافى قَلٌّ او كَثْرًا ماء الرِّجْلِ او المَرْأَةِ - البَحْرِ - قاله فى المُنْجِدِ وعليه فارادة ماء الفرات منها ليست من الأستعارة بشىء بل مَحْمُولَةٌ على حَقِيقَتِهَا.

وقال فى لسان العرب النُّطْفَةُ والنُّطَافَةُ القليل من الماء وقيل الماء القليل يبقى فى القربة وقيل هى كالجُرْعَةِ ونقل عن اللُّحَيانِي أَنَّهُ قال النُّطْفَةُ الماء القليل فى الدُّلوِّ والجمع نُطْفٌ ونُطَافٌ وقد روى فيه حديثًا عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قال لا يزال الإسلام يزيد وينقص الشرك واهله حتى يسير الرَّاكِبُ بَيْنَ النُّطْفَتَيْنِ لا يَخْشَى إِلا جِوْرًا.

ثم قال في معناه اراد بالنظفتين ماء الفرات وما البحر الذي يلي جُدَّة
 ماوالاها، فكانه عليه السلام اراد ان الرجل يسير في ارض العرب بين ماء الفرات وماء
 البحر لا يخاف في طريقه غير الضلال والجور عن الطريق وقيل اراد بهما بحر
 الروم وبحر الصين وقيل بحر المشرق وبحر المغرب وفي حديث آخر
 لا يخشى جوراً اى لا يخاف في طريقه احداً يجوز عليه ويظلمه وفي الحديث
 قطعنا اليهم هذه النطفة اى البحر وماؤه الى آخر ما قال.

وعلى كل حال لا اشكال ظاهراً فى ان المراد بها فى المقام هو الفرات فان
 قوله عليه السلام بعد ذلك موطنين اكناف دجلة يدل عليه فالمقصود هو الحاق عدّة
 اخرى من موطنين اكناف دجلة بهم لحرب الاعداء.
 □ قوله عليه السلام: فَأَنْهَضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَىٰ عَدُوِّكُمْ،...

اى فأنهض هؤلاء الموطنين اكناف دجلة معكم لتصير عدتكم اكثر، وفيه
 اشارة الى اصلين:

احدهما قوله عليه السلام: فَأَنْهَضَهُمْ مَعَكُمْ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَجِبُ عَلَيْهِ الْقِيَامُ بِالْحَقِّ لِأَنَّ
 الجهاد مع وجود شرائطه يجب على الكل بحكم الاشتراك فى التكليف. الا ان
 فى تعبيره بالأنهاض وهو الأقامة اشعار بانهم مسامحون فى الجهاد كما انهم
 كانوا كذلك فى سائر الأمور ايضاً وهو يدل على ضعف ايمانهم وقلة اعتنائهم
 بالدين ولا سيما فى امر الجهاد الذى هو من اعظم اركانه اذ لو لم يكونوا كذلك
 لما احتاجوا الى انهاض غيرهم اياهم بل كان واجباً عليهم القيام بهذا الأمر بعد
 اذن الامام كما هو ظاهر.

وثانيهما قوله عليه السلام: إِلَىٰ عَدُوِّكُمْ...

وفيه اشعار بان معاوية لعنه الله كان عدواً للأسلام والمسلمين لانه كان
 عدواً له عليه السلام فقط كما توهم بل عداوته له عليه السلام لأجل كونه عليه السلام من قواد
 المسلمين فكلامه عليه هذا يدل على فسقه وكفره فان كان عدواً للأسلام
 واهله فليس له من الاسلام والايمان حظ ولا نصيب ومن كان كذلك يجب

على المسلمين دفعه وهذا الحكم لا يختص بمعاوية بل يعم كل من يصدق عليه العدو لأهل الدين والايمان سواء كان اسمه معاوية او غيره من الاسماء فان المعيار فى وجوب القيام هو وجود الملاك اعنى العداوة للدين واهله وهو موجود فى كل عصر وزمان وهذا العدو يتصور على قسمين: عدو فى الظاهر، وعدو فى الباطن.

اما الاعداء الظاهرة فهى عبارة عن كل انسانٍ مخالفٍ للحق معاندٍ لأهله. واما العدو الباطن فهو عبارة عن الشيطان والنفس الامارة فكما انه يجب على الناس القيام بالجهاد على خلاف الأعداء الظاهرة وقتلهم وقلعهم عن صفحة الوجود فى صورة الأمكان فكذلك يجب على الانسان انهاض جميع القوى على قتل النفس الامارة واعدائها عن صفحة الباطن ويُعبّر عن القيام الظاهر بالجهاد الاصغر وعن الآخر بالجهاد الاكبر.

ويستفاد من قوله ﷺ: هذا ان القيام فى مقابل العدو الدينى مما لا بد منه للمسلمين ولا ينبغي لهم السكوت والتعود فى البيت فان هذا مما لا يصلح الأمر بل يشده ويعضده فانا نرى كثيراً من الظالمين المخالفين المعاندين صاروا اقوياء على غيهم وظلمهم وايدائهم المسلمين بعد ما لم يكونوا قبل ذلك بهذه القوة والقدرة وليس هذا الا لاجل السكوت ومسامحة الناس وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يعلموا انهم معاقبون على هذه الروية الشنيعة.

□ قوله ﷺ: وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ، ...

اي واجعل الموطنين اكناف دجلة من امداد القوة لكم ليشدبهم عضدكم لدفع عدوكم وهو ظاهر واما كلفيته وقعة صفين وما جرى بها فقد مضت مفصلاً وله الحمد.

﴿ وَمِنْ كَلَامِ لَهُ ﴾ (٤٩)

□ قوله ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ حَفِيَّاتِ الْأُمُورِ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ، وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ، فَلَا عَيْنٌ مِّنْ لَّمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلَا قَلْبٌ مِّنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ، سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءٌ أَعْلَى مِنْهُ، وَقَرَّبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءٌ أَقْرَبُ مِنْهُ، فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعِدَهُ عَنِ شَيْءٍ مِّنْ خَلْقِهِ، وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ، لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، وَلَمْ يَضْحُبْهَا عَنْ وُاجِبِ مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشْبَهُونَ بِهِ، وَالْجَاهِدُونَ لَهُ عُلُوًّا كَبِيرًا.

◁ اللِّغَةُ

(بَطَّنَ) البَطْنُ خلاف الظُّهْر يُقال بَطَّنَ الأمرُ أي عِلِمَ باطنه. (أَعْلَامُ) جَمْعُ عِلْمٍ بالتَّحْرِيكِ وهو ما يَسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الشَّيْءِ. (يُطْلِعُ) عَلَى وَزْنِ يُعَلِّمُ مُضَارِعٌ مِنْ بَابِ الْأَفْعَالِ، أَي يُعَلِّمُ. (وَالْجُحُودِ) الْأَنْكَارِ وَالْبَاقِي وَاضِحٌ.

◁ الْمَعْنَى

(الْحَمْدُ لِلَّهِ) قَدْ مَضَى مَعْنَاهُ. (الَّذِي بَطَّنَ) أَي نَفَذَ عِلْمَهُ فِي بَوَاطِنِ الْأُمُورِ وَالأَشْيَاءِ. (حَفِيَّاتِ الْأُمُورِ) الْمَسْتَوْرَةُ عَنِ الْأَدْرَاكَاتِ الْجِسْمِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ. (وَدَلَّتْ عَلَيْهِ) أَي عَلَى ذَاتِهِ تَعَالَى. (أَعْلَامُ الظُّهُورِ) وَأَثَارُهُ الْمَوْجُودَةُ فِي الْخَارِجِ الدَّلَالَةِ

على مؤثرها. (وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ) فلا يراه البصير ببصره الحسى. (فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ) لدلالة الآثار عليه. (وَلَا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ) أى أثبت الله. (يُبْصِرُهُ) لعدم كونه تعالى محسوساً حتى يبصر بالحواس. (سَبَقَ فِي الْعُلُوقِ) سبقاً ذاتياً سبق العلة على المعلول لاسبقاً زمنياً. (فَلَا شَيْءٌ أَعْلَى مِنْهُ،) أى منه تعالى وذلك لكونه علة لما سواه مطلقاً والعلة أشرف من المعلول. (وَقَرَّبَ فِي الدُّنُوِّ) قرّباً عقلياً لاجسياً. (فَلَا شَيْءٌ أَقْرَبُ مِنْهُ) تعالى لكون المعلول اقرب الأشياء الى علته وبالعكس (فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ) أى كونه فى مرتبة الخالقية (بأعده) أى باعد الله. (عَنْ شَيْءٍ خَلَقَهُ) من الموجودات (وَلَا قُرْبُهُ) تعالى بهم. (سَاوَاهُمْ) أى ساوى المخلوقات. (فِي الْمَكَانِ بِهِ) لخلوه تعالى عن المكان والزمان. (لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولِ) ولم يعلمها. (عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ) لاستحالة احاطة الممكن بالواجب. (وَلَمْ يَحْجُبْهَا) أى العقول (عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ) ممّا لا بدّ لهم فى المعرفة (فَهُوَ الَّذِى تَشْهَدُ لَهُ) شهادة بينة لاخفاء فيها. (أَعْلَامُ الْوُجُودِ) أى مخلوقاته ومعلولاته. (عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ) وهو الذى أنكره مع ظهور آياته، وسطوع بيناته (تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشْبَهُونَ بِهِ) أى من شبّهه تعالى بغيره من الموجودات (وَالْجَاحِدُونَ) المنكرون (لَهُ عُلُوقاً كَبِيراً) لأن تشبيهه بغيره مساوق لأنكاره تعالى.

◀ الشرح

□ قوله ﷻ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى بَطَّنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ...

قد مرّ الكلام فى معنى الْحَمْدُ لِلَّهِ غير مرّة وقوله ﷻ: الَّذِى بَطَّنَ الْخِ وَصَفَ لَهُ تَعَالَى وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِى قَدْ عَلِمَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ وَالْمُرَادُ بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ حَقَائِقِ الْمَوْجُودَاتِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَدَقَائِقِ الْمَعْقُولَاتِ الَّتِى لَا تَدْرِكُهُ الْعُقُولُ النَّاقِصَةُ الْمُمْكِنَةُ وَقَدْ دَلَّ عَلَى الْمُدْعَى الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ.

أما النقل: قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾^(١)

و: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ﴾^(٢)

و: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٣)

و: ﴿وَأَنْ تَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾^(٤)

و: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾^(٥)

و: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^(٦)

و: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾^(٧)

و: ﴿لَأَجْرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾^(٨)

و: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٩)

و: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(١٠)

و: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾^(١١)

و: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١٢)

و: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾^(١٣) وأمثالها من الآيات

وأما الاخبار الواردة في الباب فكثيرة جداً إلا أنه لا نحتاج الى ذكرها بعد صراحة الآيات ودلالاتها على المدعى.

وأما العقل: فلأنه قد ثبت وتحقق كونه تعالى عالماً بكل الأشياء ظاهرها

٢- اللقمان - ٢٤

٤- طه - ٧

٦- التوبة - ٧٨

٨- النحل - ٢٢

١٠- الحج - ٧٦

١٢- الفرقان - ٦

١- الجن - ٢٦

٣- الانعام - ٥٩

٥- الانعام - ٣

٧- الزعد - ٨

٩- الحج - ٧٠

١١- التور - ٢٩

١٣- التمل - ٢٥

وباطنها جَهرها وسرّها محسوسها ومعقُولها واذا كان كذلك فلا محالة لا يعزّب
عن عَمَله مثقال ذرّة لعموم عِلْمه وتوضيح ذلك فى المقام على سبيل الأجمال
هو ان نقول لاشك انه تعالى عالم بذاته اذمنه سبحانه وتعالى وجود العالمين
بذواتهم ومُعطى الكمال لا يكون فاقدً له فهو عالمٌ بكلّ شىء اما كونه عالماً
بذاته فلاّنه حىّ وكلّ حىّ لا محالة يَعْلَم ذاته بالعلم الحُضورى الذى هو حُضور
المُدرك لدى المُدرك.

واما كونه تعالى: عِلّة لوجود الأشياء بذواتها فلاّنه خالقها، ومُوجدُها و من
المعلوم انّ المُعطى لِشىء لا يكون فاقدً له فحيث ثبت كونه خالقاً لها ثَبَت
كونه عالماً و بها هو المطلوب.

ان قلت - هذا الدليل يدلّ على كونه تعالى عالماً بما يَعْلَمه العلماء لا غير واما
كونه عالماً بكلّ شىءٍ فلا فالدليل أَخَصُّ من المُدعى اذ المدعى اثبات العلم
بكلّ الأشياء ظاهرها وباطنها والدليل لا يثبت.

قلت - طريق الاستدلال ليس من جهة اعطائه العلم بما سواه كما توهم فانه
لا يثبت اكثر من كونه عالماً بما اعطاه لغيره وهو لا يثبت المطلوب بل الطريق
فى كونه مُوجداً لَهُم ولغيرهم وقد ثبت انّ العلم بالعِلّة مُستلزمٌ للعلم بالمعلول
وحيث قد ثبت انّ ما سواه كائناً من كان معلولٌ له وقد ثَبَت ايضا كونه عالماً
بذاته فَعِلْمه بذاته علمٌ بمعلوله سواء كان المعلول ظاهراً او باطناً ولا شك فى
كون الأمور المَخْفِيّة عن ادراكاتنا معلولٌ لنا فلامحالة تكون معلولة له.

طريق آخر لاشك انه تعالى: مُجرّد كما ثَبَت فى التوحيد وكلّ مُجرّد عاقلٌ
لذاته وهو ايضا قد ثَبَت فهو تعالى عاقلٌ وهو المطلوب.

اما كونه مُجرّداً عن المادّة ولواحقها فهو ممّا لا كلام فيه واما كلّ مُجرّد عاقل
لذاته فالبرهان عليه هو انّ معقوليّته الذات له اما ممكنٌ او ممتنعٌ، لاسبيل الى
الثانى لانه موجود على الفرض وكلّ موجود يمكن ان يُعقل بوجهٍ ولو بالوجود
العامّة مثل انه واجب او ممكن مثلاً وعليه فالتعقل ممكنٌ جائز.

ثم الجواز ان كان بتغيير بان يُقشّره العقل ويُعرّيه عن مقارناتها حتى يصير معقولاً فهو مُستلزمٌ للخلف لأن المفروض ان الموضوع عقلاً مُجرّداً أخذ فلو فرضنا ان المُجرّد يعقل ذاته بالتّفسير والتّعريف الذى من لوازم تعقل الموجود المادّي يلزم ما فرضناه مُجرّداً مادياً وهذا هو الخلف المشار اليه واذا لم يكن التّعقل هكذا فلا محالة يكون بدون التّعريف والتّفسير فهو ثابت له بالأمكان العامّ الذى فى ضمن الوجوب فهو بالفعل معقول له واذا ثبت كون ذاته معقولاً له فهو يكون عاقلاً ومعقولاً بمقتضى التّضاييف اذا عرفت هذا فنقول: الواجب تعالى: مُجرّد وكلّ مُجرّد عاقل لذاته لما مرّ وذاته علة لما سواه والعلم بالعلة يستلزم العلم بالمعلول فعلمه بذاته بعينه هو العلم بمعلولاته فهو عالم بمعلولاته ان قلت المدعى اثباته فى الأمور الخفيّة ودليلكم يدلّ على اثباته فى المعلولات المَوْجُودَة قلت، ليس الأمر كما ظننته بل المعلول أعمّ من كونه محسوساً وغير محسوس وبعبارة اخرى: المعلول عبارة عن كلّ ما يصدق عليه الشئ اذا كان مخلوقاً وأما ظهوره وخفائه فلا يخرج عن المعلولة فلا محالة يكون معلولاً معلوماً.

(طريق آخر) - ان الله بسيط الحقيقة وبسيط الحقيقة كلّ الأشياء فهو تعالى كلّ الأشياء ولا معنى للعلم بها الا هذا المعنى.

أما كونه تعالى بسيطاً فقد ثبت وذلك لأنه تعالى واحد اي لا شريك له مطلقاً ولا فرد لطبيعة الوجود سواء كذلك أحد اي لا جزء له مطلقاً لأجزاء الحد اعنى الجنس والفصل كما فى المركبات العقلية ولا المادة والصورة كما فى المركبات الخارجية، ولا مادة وصورة ذهنية كما فى الأعراض حيث انها بسائط فى الخارج مركبات فى الذهن، ولا اجزاء كمية مقدارية كما فى المقدار وان شئت قلت فى وجه الضبط لها.

ان الاجزاء اما موجودة بوجود واحد فى الخارج واما موجودة بوجودات متعدّدة، وعلى الاول - اما ان نعتبرها فى الذهن لا بشرط فهى الاجزاء الحملية

او الحَدِيَّة على اختلاف التَّعابير فيها واما ان نعتبرها في الذَّهن بشرط لافهـى
 الأجزاء الوجوديَّة الذَّهنية اعنى المادَّة والصُّورة الذَّهنيَّتين، وعلى الثَّانى - وهو
 كونها موجودة بوجودات متعدِّدة اما ان تكون متبائنة فى الوضع فهى الأجزاء
 المُقدَّاريَّة او لا تكون كذلك فهى الأجزاء الخارجِيَّة اعنى المادَّة والصُّورة
 الخارجِيَّتين وثبوت الأجزاء له تعالى بكلِّ واحد من الوجوه المذكورة محال.
 وذلك لانَّ الأجزاء المفروضة لو كانت واجبة له تعالى لزم تعدُّد الواجب
 وكون كلِّ واحد منها بسيطاً كما هو شأن المُصاحبة الاتِّفاقية فانَّ الواجبين ان
 كان بينهما تلازم لزم معلوليَّتُهُما او معلوليَّة كلِّ واحدٍ منهما و"ح" لم يكن هناك
 تركيباً حقيقيّاً مُؤدِّياً الى الوَحدة لعدم الأفتقار فى ما بين الأجزاء وهذا معنى
 قولنا لزم تعدُّد الواجب وكون كلِّ واحد منها بسيطاً.

او احتياج الواجب فى الوجود اليها هذا اذا كانت الأجزاء وجوديَّة فعليَّة او
 احتياج تقوُّماً اليها هذا اذا كانت الأجزاء حديَّة تحليليَّة وعلى كلا التقديرين
 يلزم الاحتياج اليها وهو ينافى فى الوجود فثبت انَّ فرض الأجزاء فيه تعالى
 غير معقولٍ وكلِّ ما لاجزاء له فهو بسيط فهو تعالى بسيط وهو المطلوب.

واما قولنا انَّ بسيط الحقيقه كلُّ الاشياء فلانَّ المانع للأحاطة والسَّريان اَّمّا
 هو المادَّة لاغيرها والمفروض انتفائها فى المقام فهو تعالى علمٌ كلُّه وقدره
 كلُّها واردةٌ كلُّها وهكذا وايضاً كلُّه العلم وكلُّه القُدرة وكلُّه الارادة وهكذا
 فالمطلوب ثابت.

□ قوله ﷻ: وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ، ...

والضَّمير فى قوله ﷻ: عليه اما راجع اليه تعالى كما عليه القوم واما راجع
 الى قوله ﷻ: بَطْنِ خَفِيَّاتِ الأُمُورِ كما هو المُحتمل عندى قويّاً وعلى الأوَّل
 فمعنى العبارة انَّ آثاره الظَّاهره تدلُّ على وجوده تعالى فانَّ الأثر يدلُّ على
 المؤثر والمصنوع على الصَّانع والمخلوق على الخالق، كقول الشَّاعر العارف
 حيث قال.

تَفَكَّرْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ وَانظُرْ إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِكُ
فَفِي رَأْسِ الزَّبْرَجَدِ شَاهِدَاتٌ بَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ

وأما على ما ذهبنا إليه وقويتناه في النظر فالمعنى أنه قد دلت على علمه تعالى بخفيات الأمور علمه بالموجودات الظاهرة وإنما عبر عنها بالأعلام لكونها أي الظواهر كالعلامة بالنسبة إلى الباطن فإن الظاهر عنوان الباطن وعليه فكانه استدلال على كونه عالماً بخفيات الأمور بقوله ﷺ: **وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَي عَلَى الْمُدَّعَى أَعْلَامُ الظُّهُورِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَلَكَ فِي كَوْنِهِ عَالِماً بِالظُّوَاهِرِ كَوْنَهُ تَعَالَى خَالِقاً لَهَا وَعِلَّةٌ لَهَا وَهَذَا الْمَلَكَ بَعِينَهُ مَوْجُودٌ فِي الْخَفِيَّاتِ أَيْضاً فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ ظَهراً وَبَطْناً وَالْعِلْمُ بِظَاهِرِ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ يَسْتَلْزِمُ الْعِلْمَ بِبَاطِنِهِ وَحَيْثُ أَنَّ الْوَاجِبَ تَعَالَى عِلَّةً لِمَا سِوَاهُ فَعِلْمُهُ بِظُوَاهِرِ مَا سِوَاهُ يَلْزِمُ عِلْمَهُ بِبَاطِنِهِ.**

وعلى أي التقديرين لاشك في أن الموجودات الظاهرة وغيرها كما أنها تدل على كونه تعالى عالماً بها كذلك تدل على كونه مؤثراً موجداً لها ومرجع القولين في الحقيقة إلى شيء واحد لأن الصفات هناك عين الذات وواجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات.

ثم أنه استدلال في المقام على وجوده ووجوبه تعالى بالآثار الخارجية المحسوسة وهو الذي نُسِمِيَ بِالْبُرْهَانِ الْأَنْثَى اعْنَى الْعِلْمَ بِالْعِلَّةِ عَنِ الْعِلْمِ بِالْمَعْلُولِ كَمَا أَنَّ عَكْسَهُ وَهُوَ الْعِلْمُ بِالْمَعْلُولِ عَنِ الْعِلْمِ بِالْعِلَّةِ يُسَمَّى بِالْبُرْهَانِ اللَّمْبِيِّ وَقَدْ فَصَّلْنَا الْبَحْثَ فِي التَّوْحِيدِ وَأَقْسَامِهِ وَمَا قِيلَ فِيهِ عِنْدَ قَوْلِهِ ﷺ: **أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ إِلَى آخِرِ الْخُطْبَةِ فَلَا نَطِيلَ الْكَلَامِ بِالْبَحْثِ عَنْهُ ثَانِياً وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (١) وَ: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٢)** والآيات في الباب كثيره.

والحاصل ان العاقل اذا تفكّر في الموجودات حقّ التفكير يعلم علماً قطعياً بانها مخلوقة له تعالى وذلك لحدوثها وكلّ حادثٍ مسبوقٍ بغيره فلا محالة ينتهى الى الواجب بالذات دفعا للدور والتسلسل.

ولا يبعدان يكون قوله ﷺ: **وَدَكْتُ عَلَيْهِ اَعْلَامُ الظُّهُورِ**، دليل على اصل اثبات البطن في خفيات الأمور، فكأنه قيل له ﷺ اى دليل دلّ على وجود الخفيات حتى نلتزم بكونه تعالى حالماً بها فان الموجودات ليست الا هذه المحسوسات واما ورائها فلم يدلّ دليل عليه فقال ﷺ فى الجواب ليس الأمر كذلك فان اعلام الظهور قد دلّت عليها وعليه.

ففى كلامه ﷺ هذا اثبات لما وراء المحسوسات الظاهرة الذى لا يعلمه الا هو والله اعلم بحقائق الأمور.

□ قوله ﷺ: **وَأَمْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ البَصِيرِ**،...

الظاهر ان الفاعل فى قوله ﷺ **أَمْتَنَعَ** هو الله تعالى اى امتنع الله تعالى عن ان يكون مرئياً بالأبصار والعيون الظاهرة كما ذهبوا اليه فى شروحوهم واستدلوا عليه بقوله تعالى: **﴿ وَلَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللّطِيفُ الخَبِيرُ ﴾** ^(١) الا ان هذا المقدار لا يكفى فى الاستدلال على المطلوب بل لابد لنا اولاً من التحقيق فى حقيقة الأبصار وشرائطه ثم الخوض فى اصل المدعى بالادلة العقلية والتقليية فنقول:

قال بعض المحققين قد تقرّر فى علم التشريح انه ينبت من الدماغ ازواج سبعة من العصب وان الزوج الاول مبدئه من غور البطنين المقدمين من الدماغ. عند جواز الزائدين الشبيهتين بحلمتى الثدى وهو صغير مجوف يتيامن النابت منهما يساراً ويتياسر النابت منهما يمينا ثم يلتقيان على تقاطع صليبي ثم ينفذ النابت منها يمينا الى الحدقة اليمنى والنابت يساراً الى الحدقة اليسرى وقوة الأبصار مودعة فى الروح المصبوب فى تجويف هذا العصب سيما عند

المُلتقى ثم ان في كَيْفِيَّةِ الأَبْصَارِ اقوالاً اربعة ثلاثة على مُسَلِّكِ القَدَمَاءِ وواحدة على مُسَلِّكِ العُلَمَاءِ اليَوْمِ الحَاضِرِ ونحن نشير الى هذه الاقوال ونشرحها على سبيل الاجمال.

احدها: ما هو المشهور عند علماء الطبيعة من القدماء وحاصله انه يتحقق بانطباع شبح المرئي في جزء من الرطوبة الجليدية التي يشبه البرد والجمد فانها مثل مرآة فاذا قابلها متلون مضيء انطبع مثل صورته فيها كما ينطبع صورة الانسان في المرآت لابان ينفصل من المتلون شيء ويميل الى العين بل بان يحدث مثل صورته في المرآة في عين الناظر ويكون استعداد حصوله بالمقابلة المخصوصة مع توسط الهواء المشف وقد اورد عليهم بوجهين احدهما: ان المرئي يكون صورة الشيء وشبحة لانفسه ونحن قاطعون باننا نرى نفس هذا المتلون.

وثانيها: ان شبح الشيء مساو له في المقدار والا لم يكن صورة له ومثلاً وح يلزم ان لا يرى ما هو اعظم من الجليدية لان امتناع انطباع العظيم في الصغير معلوم بالضرورة.

اجابوا عن الاول: بانه اذا كان روية الشيء بانطباع شبحة كان المرئي هو الذي انطبع شبحة لانفس الشبح كما في العلم بالاشياء الخارجية.

وعن الثاني: بان شبح الشيء لا يلزم ان يساويه في المقدار كما يشاهد من صورة الوجه في المرآة الصغيرة اذ المراد به ما يناسب الشيء في الشكل واللون دون المقدار غاية الامر انا لانعرف لميته ابصار الشيء العظيم وادراك البعد بينه وبين الرأي بمجرد انطباع صورة صغيرة منه في الجليدية وتأديتها بواسطة الروح المصبوب في العصبين الى الباصرة.

وثانيها: قول الرياضيين وحاصله ان الابصار يحصل بخروج الشعاع من العين على هيئة مخروط رأسه عند العين وقاعدته عند المرئي، ثم اختلفوا هؤلاء في ان ذلك المخروط مصمت او مؤلف من خطوط مجتمعة في

الجانب الذي يلي الرأس مُتفرقة في الجانب الذي يلي القاعدة وقيل لاعلى هيئته المَخروط بل على استواء لكن ثَبَّت طَرَفه الذي يلي العَيْن وَيَضطرب طرف الآخرة على المَرْتى، وقيل الشَّعاع الذي في العَيْن يُكَيِّف الهواء بكيفيته وَيُصِير الكَلَّ آلَةً للأبصار.

وثالثها: قَوْلُ الأَشْرَاقِيِّينَ من الحكماء واختاره الشُّهْروردى في كتبه وهو أنه لاشعاع ولا أنطباع، وإنما الأبصار بمُقابلة المُستتير لِلعُضو الباصر الذي فيه رطوبةٌ صَيقلِيَّةٌ وإذا وُجِدَت هذه الشُّروط مع زوال المانع يَقَعُ لِلنَّفْسِ عِلْمٌ اشراقِيٌّ حُضوريٌّ عَلَى المُبْصِرِ فيُدْرِكُه النَّفْسُ مشاهدةً ظاهرةً جَلِيَّةً فهذه ثلاثة مذاهب فيه واختار صدر المتألَّهين الشيرازي في الاسفار مَسْلُكاً آخر يعدُّ في الحقيقة قولاً رابعاً وحاصله أن الابصار إنما يتحقَّقُ بِأَنْشاءِ صُورَةٍ مِمَّا تَلِيهَ لَهُ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى من عالم الملكوت النَّفْسانِي مُجرَّدةً عن المادَّةِ الخارِجِيَّةِ حاضرةً عند النَّفْسِ المُدْرِكَةِ قائِمةً بِهَا قِيامُ الفِعْلِ بِفاعِلِهِ لِاقِيامِ المَقْبُولِ بِقابِلِهِ وقد اسْتَدَلَّ (قَدَّه) عَلَيْهِ بما لا مزيد عليه في البرهان على اتِّحادِ العَقْلِ بِالمَعْقُولِ ثُمَّ شَنَعَ (قَدَّه) على الأقوال الثلاثة المذكورة ولا سيَّما قول الأخير منها والحقُّ أن ما ذهب إليه شَيْخُ الأَشْرَاقِ مَتِينٌ جَدًّا ولا يَتَوَجَّهُ أَكْثَرُ اشْكَالاتِهِ عَلَيْهِ كما حَقَّقْنَاهُ في ابْحاثِنَا الفِلسَفيَّةِ وليس المَقامُ موضعُ ذِكرِهِ.

ورابعها: وان شئت قلت.

خامسها: قول علماء الطَّبيعَةِ في هذا العَصْرِ على ما في دائرة المعارف (فريد وجدى) فإنه قال في مادَّةِ بَصْرٍ ج ٢ ما هذا الفِظَةُ: كان الأقدمون يَظُنُّونَ أنَّ ابْصارنا لِلأشياء يَتَمُّ بِوِاسِطَةِ نورٍ يَنْبَعُثُ من أعْيُننا فيُدْرِكُ المَرْتِيَّاتِ وقد ثَبَّتَ الآن غير هذا الرأى فقال علماء الطَّبيعَةِ، أنَّ ابْصارنا لِلأشياء يَتَمُّ بِوِاسِطَةِ أشْعةٍ تَنْبَعُثُ من الجِسمِ المَرْتِيَّ من كُلِّ نِقْطَةٍ فِيهِ فَتُرْتَسِمُ لَهُ صُورَةٌ مُصَغَّرَةٌ في عَيْننا فيَحْمِلُ عَصَبُ العَيْنِ تأثيرَ هذه الصُّورةِ الى المَخِّ فيُدْرِكُها ولكن ان قلت كيف ينقل عَصَبُ العَيْنِ تأثيرها الى المَخِّ وما معنى أنه يدركها وهو مادَّةٌ جامدَةٌ

لاميزة لها على اى مادة عضوية على قول الماديين عجز أكبر علماء المادة عن الجواب ثم قال:

أما الحقيقة ان العين آلة للأبصار ولكن المدرك للأشياء فى حقائقها هو الرّوح وساق الكلام الى ان قال أليس هذا دليل محسوس على ان المدرك للجزيئات وللمرئيات، هو الرّوح دون الجسد انتهى.

وانا اقول: ينبغى لصاحب الكتاب وامثاله من المؤلفين ان يقتصر وعلى نقل الأقوال فقط دون التحقيق فيها فان الخوض فى المطالب ولا سيما المعقولات منها ليس من شأنهم كما ترى الآن فى تحقيقه وقوله ان العين آلة للأبصار الخ ما قال وذلك لانه لا كلام لأحد فيه ولم يقل أحد من العقلاء ان آلة الأبصار غير العين وان المدرك للأشياء غير الرّوح فهذا امر مفروغ عنه بل البحث فى كيفية تحقق الأبصار وانه كيف يتحقق فهذا امر مشكل قد ضارت فيه عقول الفلاسفة فضلاً عن هؤلاء النقلة للآثار والأقوال حيارى فهذه الأقوال التى نقلناها هى التى وصلت الينا، فى كيفية الأبصار ولعله فى المقام توجد أقوالاً اخر لم نظفر عليها واما البحث فى ان الباصرة أنفع وأهم من السامعة او بالعكس وكذا البحث فى التراكيب المودعة فى العين الباصرة فالمتكفل له علم التّشريح ونحن نشير الى اصولها على سبيل الاجمال.

قالوا العين مركبة من اجزاء ظاهرة وهى الحاجب والجفنان والأهداب ومن اجزاء باطنة وهى نوعان:

احدها: أغشيته الملتحمة وهى غشاء رقيق شفاف وهو سبب لمعان العين طبيعته مخاطية ويغشى الجهة الامامية من كرة العين والكرة الخلفية للجفنين. وثانيها: الصلبة اى بياض العين وهى غشاء ليفى متين متقوّب من الخلف ثقباً ضيقاً يمر فيه العصب البصرى وفيه من الأمام ثقب أكبر منه تدخل فيه القرنية وهى غشاء شفاف موضوع فى الجهة المقدّمة، من الصلبة وهى كزجاجة الساعة.

وثالثها: المَشِيْمَة وهي غِشاءٌ وعائِيٌّ أَسْمَرُ اللَّوْنِ او أسوده موضوع في داخل الصُّلْبِيَّة.

ورابعها: القَزْحِيَّة وهي غِشاءٌ لِيَفِيَّ وعائِيٌّ موضوعٌ خَلْفَ القَرِيْنَة وفيه فَتْحَةٌ وهي المَسْمُومَة بِالْحَدَقَة تختلف ألوانها وهي موضوعةٌ خَلْفَ القَرْنِيَّة فقد تكون سَوْداء أو زَرْقاء وهي المَعْطِيَّة لَوْن العَيْن وهي لطيفة تنقبض من الضوء الشَّدِيد وتنبسط في الضَّوء الخَفِيف.

وخامسها: الشَّبَكِيَّة - وهي امتدادٌ من العَصَبِ البَصْرِي وهو الجزء الحَسَّاس من العَيْن به يُتَمَّ الأَبْصار اذ عليها يَنْطَبِع الشَّيْء المرئِي أوْلاً ثمَّ يَنْتَقِل الى المَخِّ بواسطة.

وأما الرُّطوبات - فأولها الرُّطوبَة المائيَّة وهي توجد في خزانَتَيْن مُنفصلَتَيْن، احدهما: عن الأخرى بالقَزْحِيَّة.

وثانيتها: البَلُورِيَّة وهي رطوبَةٌ مُنجمَدَةٌ شكلها عَدَسِيٌّ موضوعةٌ في الجسم الزُّجاجِي.

ثالثتها: الجسمُ الزُّجاجِي وهو مادَّةٌ تشبُه الهلال الشَّفَاف موضوع داخل الشَّبَكِيَّة هذا ما قالوا فيها على الأجمال.

اذ اعرفت هذا فنقول قوله **﴿الذِّكْر﴾** : **وَأَمْتَنَعَ عَلَيَّ عَيْنِ البَصِيرِ** فيه اشارة الى ان الله تعالى تَمَتَّنَعَ عليه رُؤْيَة العَيْن الباصرة وما ذكره **﴿الذِّكْر﴾** من عَدَم تعلق الرُّؤية به تعالى مُؤيِّدٌ بالعقل والنقل.

أما العقل : فلأنَّ كَيْفِيَّة الأَبْصار وشرائطه لا تُوجد في المقام وانتفاء الشرط دليل على انتفاء المَشْرُوط، أما انتفاء الشرط فلان الشَّرَائِط في تحقُّق الأَبْصار بالعَيْن على ما ذكرناه في الأقوال الأربعة او الخَمْسَة كلُّها مُنتَفِيَّة في المقام.

أما على القول الأوَّل : اعني القائلين بالانطباع وهم علماء الطَّبِيعَة من القدماء فلان الشرط في تحقُّق الأَبْصار على مُذهبهم انطباع مثل صورة المرئِي في العَيْن اذا ما قابلها مُتَلَوِّنٌ مُضِييٌّ وكلُّ هذه الشَّرَائِط في رُؤْيَة الحق محال لان

التلون من الكيفيات والأعراض وقد ثبت عدم كونه تعالى كيفاً عرضاً والمقابلة في المقام ايضاً لا تتحقق لائها من لوازم الأجسام والماديات ينطبع مثل صورته في العين واذا كان الأمر على هذا المنوال اعني استحالة المقابلة والتلون والمثل فلا يتحقق الأبصار وهو المطلوب.

واما على القول الثاني - وهو قول الرياضيين فلان الأبصار على مذهبهم يتحقق بخروج الشعاع من العين على هيئة مخروط رأسه عند العين، وقاعدته عند المرئي وهذه الشروط منتفية في المقام ايضاً فان المرئي اذا لم يكن جسماً فلا جهة فيه حتى يقال بان القاعدة عند المرئي فان العنصرية من لوازم الجسم في الحقيقة وهو ظاهر.

واما على القول الثالث : اعني الأشراقيين ايضاً لا يمكن وذلك لان الشرط في تحققه على مذهبهم هو مقابلة المستنير للعضو الباصر، والمقابلة لا تكون الا شيئين واقعين في جهة من الجهات وهو لا يعقل الا اذا كانا من الأجسام فان الجهة من لوازم المادة وقد فرضنا انه تعالى لتجرده غير واقع في الجهة فلا يمكن تحقق المقابلة وانتفاء المقابلة يوجب عدم تحقق الأبصار وهو المطلوب.

واما قول صدر المتألهين (قده) فهو ايضاً كذلك لان شرط الأبصار هو انشاء النفس صورة مماثلة له بقدره الله تعالى ولا يمكن انشاء صورة مماثلة له تعالى لكونه منزهاً عن الصورة والمثل كما ثبت في محله.

واما على قول علماء العصر ايضاً لا يتحقق لانهم قالوا ان الابصار للأشياء يتم بواسطه أشعة تنبعث من الجسم المرئي من كل نقطة فيه فترسم له صورة مصغرة في عيننا وكل هذه الشرائط على ما ترى ممنوعة في المقام لانه ليس في المقام جسم يفرض فيه نقاط الخ لكونه تعالى منزهاً عن الجسمية فاذا ثبت عدم تحقق الابصار باي نحوٍ من الأنحاء فصّح ان يقال وامتنع على عين البصير، لانه لو لم يمتنع لكان ممكناً او واجباً وقد علمت عدم امكانه بالادله

العقلية فضلاً عن وجوبه واذ استحال الأماكن والوجوب ثبت الامتناع وهو المطلوب.

أما النقل: فمنها، قوله تعالى، حكاية عن قوم موسى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنُ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (١)

و: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِينِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

و: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ (٣) وأما الاخبار:

فمنها - مارواه المجلسي (قدّه) في المجلد الثاني من بحار الأنوار باسناده عن عبدالله ابن سنان عن أبيه قال حضرت ابا جعفر محمد ابن علي الباقر ودخل عليه رجل من الخوارج فقال يا ابا جعفر اى شىء تعبد قال ﷺ الله، قال رأيتته قال ﷺ لم تره العيون بمشاهدة الأبصار (بمشاهدة العيان) ورأته القلوب بحقائق الأيمان ولا يُعرف بالقياس ولا يُدرك بالحواس ولا يُشبه بالناس موصوف بالآيات معروف بالعلامات لا يجوز فى حكمه ذلك الله لا اله الا هو قال فخرج الرجل وهو يقول الله أعلم حيث يجعل رسالته انتهى «ج ٢ ص ١١٢ ط كمياني»...

ومنها - مارواه فيه ايضاً باسناده عن الأصبع ابن نباته قال قام اليه رجل يقال له ذعلب فقال يا امير المؤمنين هل رأيت ربك فقال ويلك يا ذعلب لم أكن أعبد رباً لم أره قال فكيف رأيتته صفة لنا قال ﷺ ويلك لم تره العيون، بمشاهدة الأبصار ولكن رأيتته القلوب بحقائق الأيمان الحديث «ص ١١٢»... ومنها - مارواه ايضاً باسناده عن اسمعيل ابن الفضل قال سئلت ابا

عبدالله جعفر ابن محمد الصادق عليه السلام عن الله تبارك وتعالى هل يرى في المعاد فقال سبحانه الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً يابن الفضل انّ الأبصار لا تُدرك إلا ماله لَوْنٌ وَكَيْفِيَّةٌ والله خالق الألوان والكَيْفِيَّةُ انتهى «ص ١١٣»...

ومنها - ما رواه عن ابراهيم الكرخي قال قلت: للصادق جعفر ابن محمد انّ رجلاً رأى رَبَّهُ عزَّ وجلَّ في منامه فما يكون ذلك فقال عليه السلام ذلك رجلٌ لا دينَ له انّ الله تبارك وتعالى لا يرى في اليقظة ولا في المنام ولا في الدنيا ولا في الآخرة. انتهى «ص ١١٣»...

ومنها - ما رواه عن محمد الحلبي انّه سئل الصادق عليه السلام وقال رأى رسول ربّه قال عليه السلام نعم رآه بقلبه فأمّا ربنا جلّ جلاله فلا تُدركه أبصارنا (ابصار حدق الناظرين) ولا يُحيطُ به أسمع السامعين «ص ١٣٠»...

وايضاً سئل الصادق عليه السلام هل يرى الله في المعاد فقال عليه السلام سبحانه تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً انّ الأبصار لا تُدرك إلا ماله لَوْنٌ وَكَيْفِيَّةٌ والله خالق الألوان والكَيْفِيَّةُ انتهى ص ١٢٠ وامثال ذلك من الاخبار.

فقد ظهر وانكشَفَ ممّا ذكرناه انّ الله تعالى تَمَتَّعَ عليه الرُّؤْيُةُ بالبصر مطلقاً عقلاً ونقلاً في النُّومِ واليقظة وفي الدنيا وفي الآخرة والى هذا المعنى الجامع اى عدم الرُّؤْيُةُ مطلقاً عَبَّرَ عليه السلام بقوله وَأَمْتَمَّعَ، فانّ المُمْتَمَّعَ ما لا يمكن وجوده وتَحَقُّقُه بنحوٍ من الأنحاء لانه قسيم الممكن وضده فاذا امكنت الرُّؤْيُةُ ولو في الآخرة لا يجوز التعبير بالامتناع فانّ وجود الرُّؤْيُةُ في الآخرة ايضاً نحو من الوجود فكيف يقال بالامتناع.

مضافاً الى انّ قوله عليه السلام: وَأَمْتَمَّعَ مُطْلَقٌ يَشْمَلُ جميع المراتب والنِّسَبَاتِ فتقييده بكونه في الدنيا يحتاج الى دليل وحيث لم يَدُلَّ عليه دليل فالأخذ بالاطلاق مُحْكَمٌ حَتَّى يَنْبُتَ التَّقْيِيدُ ومن المعلوم انّ الاطلاق يستدعي الامتناع مطلقاً بلا قيدٍ وشرطٍ وهو المطلوب.

ثمّ انه لا بد لنا من ذكر بعض العقائد في الرُّؤْيُةُ وعدمها وما استدلّ به كلُّ

واحد منهم على مسلكه ثم التحليل والتفتيش في كلماتهم حتى يتبين لكم الحق فإن المسئلة المبحوثة عنها من أهم المسائل الدينية الاعتقادية فنقول اعلم انه لاخلاف بين الامامية في عدم جواز الرؤية عليه تعالى بالعين الباصرة عقلاً ونقلاً مطلقاً قولاً واحداً وقد خالفنا في هذه المسئلة كثير من العامة حيث قالوا بالجواز والعجب ان الطرفين استدلوا على ما ذهبوا اليه بالآيات الواردة التي نقلناها ونحن نذكر اولاً استدلالا للمثبتين بها، ثم نرد فيها بما هو الحق فيها والجواب عنها.

اما المثبتون فاحتجوا بها لوجهين:

احدهما: ان موسى عليه السلام سأل الرؤية حيث قال: ﴿ رَبِّ ارْنِيْ اَنْظُرْ اِلَيْكَ. ﴾^(١) ولو امتنع كونه تعالى مرئياً لما سأل، وذلك لانه امان ان علم امتناعه او جهله فان علمه فالعاقل لا يطلب المحال لانه عبت فضلاً عن النبي عليه السلام وان جهله فالجاهل بما يمتنع على الله تعالى لا يجوز ان يكون نبياً كليماً فثبت انه كان ممكناً وهو المطلوب والجواب عنه من وجوه.

احدها - ان هذا السؤال انما كان بسبب قومه لالنفسيه لانه عليه السلام كان عالماً بامتناعها لقوله تعالى: في موضع آخر: ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى اَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا ارِنَا اللهَ جَهْرَةً ﴾^(٢)

وهذا اظهر الوجوه في الجواب واختاره السيد الاجل المرتضى في تنزيه الانبياء وغرر الفوائد وايده بوجوه:

الاول: ما ذكرناه في قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى اَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا ارِنَا اللهَ جَهْرَةً ﴾^(٣).

الثاني: ان موسى عليه السلام اضاف ذلك الى السفهاء قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا اَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ اَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَاِيَّائِي اَنْهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾^(٤) و

اضافة ذلك الى السفهاء تدل على انه كان بسببهم ومن اجلهم حيث سئلوا ما لا يجوز عليه تعالى.

اقول: ويؤيده ما رواه المجلسي (قده) في البحار باسناده عن محمد ابن الجهم قال حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام علي ابن موسى فقال له المأمون يا بن رسول الله أليس في قولك ان الأنبياء معصومون؟ قال عليه السلام بلى، فسئل عن آيات من القرآن فكان فيما سأل قال له: فما معنى قوله الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ﴾ ^(١) قال كيف يجوز ان يكون كليم الله موسى ابن عمران لا يعلم ان الله تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسئل هذا السؤال.

فقال الرضا عليه السلام ان كليم الله موسى ابن عمران علم ان الله تعالى عن ان يرى بالأبصار ولكنه لما كلمه الله عز وجل وقربه نجياً رجع الى قومه فأخبرهم ان الله عز وجل كلمه وقربه وناجاه فقالوا لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعت وكان القوم سبعمائة ألف رجُل فاختر منهم سبعين الفاً ثم اختار منهم سبعة الاف ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربه فخرج بهم الى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى الى الطور وسأل الله تبارك وتعالى ان يكلمه ويسمعهم كلامه فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وامام (وذلك لعدم كونه تعالى في جهة مؤلف) لان الله عز وجل أحدثه في الشجرة ثم جعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه فقالوا لن نؤمن لك بان هذا الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرَةً فلما قالوا هذا القول العظيم وأستكبروا وعتوا بعث الله عز وجل عليهم صاعقةً فاخذتهم بظلمهم فماتوا فقال موسى يا رب ما اقول لبني اسرائيل اذا رجعت اليهم وقالوا انك ذهبت بهم فقتلتهم لانك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله اياك فأحياهم الله وبعثهم معه فقالوا انك

لَو سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يُرِيكَ تَنْظَرَ إِلَيْهِ لِأَجَابِكَ وَكُنْتَ تَخْبِرُنَا كَيْفَ هُوَ فَتَعْرِفَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ فَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُرَى بِالْأَبْصَارِ وَلَا كَيْفِيَّةً لَهُ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ بِآيَاتِهِ وَيَعْلَمُ بِأَعْلَامِهِ فَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَسْأَلَهُ فَقَالَ مُوسَى يَا رَبِّ إِنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ مَقَالََةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَإِنَّتِ أَعْلَمُ بِصَلَاحِهِمْ فَأَوْحِي اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ إِلَيْهِ يَا مُوسَى اسْأَلْنِي مَا سَأَلْتُكَ فَلَنْ أُوَ أَخْذَكَ بِجَهْلِهِمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ مُوسَى رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ وَهُوَ يَهْوَى فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ بِآيَاتِهِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ يَقُولُ رَجَعْتُ إِلَى مَعْرِفَتِي بِكَ عَنْ جَهْلِ قَوْمِي .

وَأَنَا أَوَّلُ: الْمُؤْمِنِي مِنْهُمْ بِأَنَّكَ لَا تَرَى. الْخَبْرُ ص ١١٨.

وِثَانِيهَا: أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلِ الرَّؤْيِيَةَ بَلْ تَجَوَّزَ بِهَا عَنِ الْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ لِأَنَّهُ لَا زَمَّهَا وَإِطْلَاقَ اسْمِ الْمَلْزُومِ عَلَى اللَّازِمِ شَايِعٌ سَيِّمًا اسْتِعْمَالَ رَأْيٍ بِمَعْنَى عِلْمٍ وَأَرَى بِمَعْنَى أَعْلَمَ وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ سَأَلَهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ نَفْسَهُ ضَرُورَةً بِإِظْهَارِ بَعْضِ أَعْلَامِ الْآخِرَةِ الَّتِي تَضْطَرُّهُ إِلَى الْمَعْرِفَةِ فَتَزُولُ عَنْهُ الدَّوَاعِي وَالشُّكُوكُ وَيَسْتَغْنِي عَنِ الْأَسْتِدْلَالِ كَمَا سَأَلَ إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ حَيْثُ قَالَ: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّئُ الْمَوْتَى﴾ (١).

وِثَالِثِيهَا: أَنَّ فِي الْكَلَامِ مِضَافًا مَحْذُوفًا أَيَّ أَرِنِي آيَةً مِنْ آيَاتِكَ أَنْظُرْ إِلَيْهَا وَحَاصِلُهُ يَرْجِعُ إِلَى الثَّانِي.

وِرَابِعِيهَا: أَنَّهُ سَأَلَ الرَّؤْيِيَةَ مَعَ عِلْمِهِ بِامْتِنَاعِهَا لِزِيَادَةِ الطَّمَأْنِينَةِ بِتَعَاوُضِ دَلِيلِ الْعَقْلِ وَالسَّمْعِ إِلَى آخِرِ مَا قَالَ فَهَذِهِ هِيَ الْأَجُوبَةُ عَنْ دَلِيلِهِمُ الْأَوَّلِ.

الثَّانِي: مِنْ وَجْهِهِ احْتِجَاجِهِمْ عَلَى الْجَوَازِ هُوَ أَنَّهُ تَعَالَى عَلَّقَ الرَّؤْيِيَةَ عَلَى اسْتِقْرَارِ الْجَبَلِ وَقَالَ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي، وَهُوَ أَمْرٌ مُمَكِّنٌ فِي حَدِّ نَفْسِهِ وَالْمُعَلَّقُ عَلَى الْمَمَكِنِ مَمَكِنٌ لِأَنَّ مَعْنَى التَّعْلِيقِ أَنَّ الْمُعَلَّقَ يَقَعُ عَلَى

تقدير وقوع المُعلَّق عليه والمحال لا يقع على شيءٍ من التَّقادير واجابوا عنه
بوجوه ايضا:

الاول: وهو أوجه الوجوه في الجواب ان يقال التعليق اما ان يكون الغرض
منه بيان وقت المُعلَّق وتحديد وقوعه بزمانٍ وشرطٍ و من البين، ان ما نحن فيه
ليس من هذا القبيل.

واما ان يكون المطلوب فيه مُجرّد بيان تحقّق الملازمة وعلاقة الأستلزام
بان يكون لإفادة النسبة التي بين الشرط والجزء مع قطع النظر عن وقوع شيءٍ
من الطرفين وعدم وقوعه ولا يخفى على ذي لب ان لعلاقة بين استقرار
الجبل ورؤيته تعالى في نفس الأمر ولا ملازمة على ان افادة مثل هذا الحكم
وهو تحقّق علاقة اللزوم بين هاتين الصفتين لا يليق بسياق مقاصد القرآن
الحكيم مع ما فيه من بعده عن مقام سئوال الكليم فان المناسب لما طلب من
الرؤية بيان وقوعه ولا وقوعه لا مجرد افادة العلاقة بين الأمرين فالصواب (ح)
ان يقال المقصود من هذا التعليق بيان ان الجزء لا يقع اصلاً بتعليقه على ما
لا يقع ثم هذا التعليق ان كان مُستلزماً للعلاقة بين الشرط والجزء فواجب ان
يكون امكان الشرط مُستتبعا لأمكان الجزء لان ماله هذه العلاقة مع المحال
لا يكون ممكناً على ما هو المشهور من ان مستلزم المحال محال والآ فلا وجه
لوجوب امكان الجزء .

والاول، وان كان شائع الأرادة من اللفظ الا ان الثاني، ايضاً مذهب معروف
للعرب كثير الدوران بينهم وهم عمدة البلاغة ودعامتها ومنه قول الشاعر:
اذا شاب الغراب آتيتُ اهلي وصار القار كاللبن الحليب
ومعلوم ان مُشيب الغراب وصيرورة القار كاللبن الاملازمة بينهما وبين
اتيان الشاعر أهله ونظيره في القرآن كثير كتعليق خروج اهل النار منها على
ولوج الجمل في سم الخياط وبعيد من العاقل ان يدعى علاقة بينهما الى آخر
ما قاله المُجيب ولنقتصر على ذلك فان اطناب الكلام يُخرجنا عما هو

المقصود من هذا الكتاب وحاصل هذا الجواب انّ المُعلّق على المحال محال وللبحث في كون المُعلّق على المحال محال مقام آخر.

ثمّ انّ هذين الدليلين الذين ذكرنا هما عمدة ادّلتهم على جواز الرؤية وقد علمت ما فيها مضافا الى ان العقل ايضا يحكم باستحالة الرؤية فهذه الاذلة أو هنّ من بيت العنكبوت فالحقّ في المقام ما ذهب اليه اهل الحقّ من امتناع الرؤية في الدنيا والآخرة ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَانِي يَا مُوسَى﴾ فانّ كلمة لن، لنفي الأبد كما صرّح به الزمخشري وغيره والبحث فيه طويل ولنختتم الكلام بما ذكرناه في هذا المقام فانّ العاقل تكفيه الإشارة.

ثمّ انّ قوله ﷺ: **وَأَمْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ** يدلّ بالمفهوم على عدم امتناع الرؤية بعين القلب وذلك لحكمه ﷺ بالأمتناع على عين المضافة الى الباصرة ومفهومه انّ العين لو لم تضاف اليها لامتناع فيها وهو كذلك كما علمت من الروايات المذكورة حيث قال ﷺ ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان فانّ عين القلب ترى ما لا تراه عين الباصرة لسعة وجودها وعدم تقيدها بالمادة ولو احقها كما اشار الى هذا المعنى قول الامام الشهيد حيث قال ﷺ في بعض عباراته عميت عين لا تراك و سنشير الى هذا الموضوع في موضع آخر انشاء الله.

□ قوله ﷺ: **فَلَا عَيْنٌ مِّنْ لَّمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلَا قَلْبٌ مِّنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ،...**

اشار ﷺ في قوله هذا الى أصليين اصليين:

احدهما: انّ من لم يره بعين الباصرة لا يمكن له انكاره رأساً،

وثانيهما: انّ من رآه بقلبه وحقيقه - ايمانه لا يمكن له اثبات رؤيته بعين

البصر وذلك لعدم الملازمة بين عين الباصرة وعين القلب.

اما الاصل الاوّل، فلانّ عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود كيف وكثير

في الموجودات لا يمكن رؤيتها لعدم تحقّق شرائط الرؤية فيها فانّ المرئي

لا بدّ من ان يكون في جهة والجهة من لوازم المادة كما مرّ وعليه فلا بدّ لنا اما

القول بانكار المُجَرَّدات بأجمعها وهو كما ترى وأما القول بوجودها مع عدم تعلق الرؤية بها ظاهراً كما هو الحق وما نحن فيه من هذا القبيل والدليل على صحة ما ذكره عليه السلام في عالم المادة هو وجود النفس الناطقة فينا فإنه لا خلاف في وجودها عند من كان له حظ من العقل مع أنه لا خلاف في عدم امكان رؤيتها بهذه العين الباصرة وهكذا الأمر في غيرها من المُجَرَّدات من العقول الطولية والعرضية والنفوس المنطبعة الفلكية والحيوانية والنباتية والجماوية وان آيئت عن ذلك فقل الروح كذلك واذا كان الأمر في هذه الموجودات كذلك فما ظنك بواجب الوجود الذي هو في أعلى مرتبة التجرّد مع كونه غير متناهي الوجود شدةً وعِدَّةً ومدَّةً على انا قد أثبتنا عدم تجرّد غير الواجب حقيقتاً وأنه لا مُجَرَّد في عالم الوجود الا هو كما أنه لا قديم سواه وإنما يُطلق المُجَرَّد على غيره من العقول والنفوس وما شابهها لكون ماهياتها مُنَدَكَّةً في وجوداتها لانها ليست لها ماهية اصلاً كما توهم وذلك لامكانها وقد ثبت ان كل ممكن زوج تركيبى له ماهية ووجود فاذا ثبت عدم الرؤية بعين الباصرة لهذه المُجَرَّدات المجازية مع الاقرار بوجودها ففي المُجَرَّد الحقيقي اعنى الواجب بطريق اولى فهو تعالى موجود بل هو اصل الوجود ولبَّه وحقيقته والباقي موجود به وهو مع ذلك خارج عن الادراك الجسدى البصرى فيا من هو موجود وفي عين وجوده مستور ويامن هو غائب من الحواس من شدة ظهوره بالآثار والأفعال فهو في عين ظهوره مستور وفي عين مستوريته مشهود.

يا مَنْ هُوَ آخْتَفَى لَفَرَطِ نُورِهِ الظَّاهِرِ الْبَاطِنِ فِي ظُهُورِهِ

وأما الاصل الثاني: فلان الرؤية بالقلب لا تستلزم الرؤية بالبصر وأما الرؤية البصرى توجب الرؤية بالقلب فبينهما من النسب الأربع العموم، والخصوص مطلقاً ثم ان الرؤية بالقلب ليست برؤية حقيقة وإنما هي رؤية بالآثار ولأجل هذا عبّر عليه السلام عنها بالأثبات وقال ولا قلب من أثبتته، ولم يقل ولا قلب من رآه، وذلك لان القلب ليس من شأنه الرؤية واقعاً بل هي من شئون الباصرة بسبب

العَيْنِ وَأَمَّا شَأْنُ الْقَلْبِ الْأَدْرَاكِ وَالْأَثْبَاتِ وَتَوْضِيحِهِ عَلَى الْأَجْمَالِ هَوَانُ الْحَوَاسِّ مِنْ شَأْنِهَا الْأَدْرَاكِ الْجِسِّيِّ فَالْبَاصِرَةُ تَدْرِكُ الْمُبْصِرَاتِ وَالسَّمَاعَةُ تَدْرِكُ الْمَسْمُوعَاتِ وَالذَّائِقَةُ تَدْرِكُ الْمَذْوُوقَاتِ وَالشَّامَةُ تَدْرِكُ الْمَشْمُومَاتِ وَاللَّامِسَةُ تَدْرِكُ الْمَلْمُوسَاتِ وَأَمَّا الْحَكْمُ بِكَوْنِ الْمُبْصِرِ حَسَنًا أَوْ قَبِيحًا مِثْلًا لَيْسَ مِنْ وَظَائِفِ الْبَاصِرَةِ بَلِ الْبَاصِرَةُ بَعْدَ دَرَكِهِ الْمُدْرَكَ تُسَلِّمُهُ إِلَى الْقَلْبِ وَهُوَ يَحْكُمُ فِيهِ بِمَا شَاءَ وَهَكَذَا فِي سَائِرِ الْمُدْرَكَاتِ بِالْحَوَاسِّ.

□ فَقَوْلُهُ ﷺ: وَلَا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ، فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْقَلْبَ بَعْدَ حُكْمِهِ بِأَثْبَاتٍ وَجُودِهِ تَعَالَى لَا يُمْكِنُ لَهُ الْأَبْصَارَ حَقِيقَةً لِخُرُوجِهِ عَنْ حُدُودِهِ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءٌ أَعْلَمُ مِنْهُ، وَقَرَّبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءٌ أَقْرَبُ مِنْهُ،...

هَذِهِ الْعِبَارَةُ مِنْهُ ﷺ مِنْ عَجَائِبِ الْعِبَارَاتِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ أَنْ تَصْدُرَ إِلَّا مِنْهُ وَلَا سِيَّمَا فِي تَعْبِيرِهِ أَوَّلًا بِالسَّبْقِ وَثَانِيًا بِالْقُرْبِ وَاخْتِصَاصِهِ السَّبْقَ فِي الْعُلُوِّ وَالْقُرْبَ فِي الدُّنُوِّ وَفِيهِ أَيْضًا إِشَارَةٌ إِلَى أَصْلِيَيْنِ:

أَحَدُهُمَا قَوْلُهُ ﷺ: سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءٌ أَعْلَمُ مِنْهُ،.

أَعْلَمُ أَنَّ الْعُلُوَّ وَاللُّدُنُوَّ ضِدَّانِ لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَكِنْ يَرْتَفِعَانِ كَمَا هُوَ الْحُكْمُ فِيهِمَا هَذَا إِذَا قَلْنَا بِكَوْنِهِمَا مِنَ الْأُمُورِ الْوُجُودِيَّةِ وَأَمَّا إِذَا قَلْنَا بِكَوْنِهِمَا مِنْ جُودِيَّةٍ وَالْآخِرَ عَدَمِيًّا فَهِيَ تَقْيِضَانِ وَحُكْمُهُمَا أَنْ لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ وَحَيْثُ أَنْهَمَا مِنَ الْأُمُورِ الْأَعْبَتَارِيَّةِ الْمُتَضَائِفَةِ فَالْحَقُّ أَنَّهُ لَا وُجُودَ لَهُمَا وَأَقْعَابٌ بِلِ وُجُودِهِمَا يَدُورُ مَدَارُ مَنْشَأِ انْتِزَاعِهِمَا وَعَلَيْهِ فَكُلُّ مَا أَعْتَبَرْنَاهُ وَسَمَّيْنَاهُ بِاللُّدُنُوِّ فَعَدَمُهُ يُسَمَّى بِالْعُلُوِّ وَبِالْعَكْسِ بِالْعَكْسِ فَعَدَّهُمَا مِنَ الْمُتَنَاقِضِينَ أَوْلَى مِنْ عَدَّهُمَا مِنَ الْمُتَضَادِّينِ الْأَعْلَى الْقَوْلِ بِالْتَضَادِّ الْمَنْطِقِيِّ الَّذِي يَشْمَلُ التَّقْيِضِينَ أَيْضًا كَمَا اعْتَرَفَ بِهِ الشَّيْخُ الرَّئِيسُ فِي الْأَشَارَاتِ وَسَائِرِ كُتُبِهِ وَلَا مَشَاحَةَ فِيهِ.

ثُمَّ أَنَّ الْفَاعِلَ لِقَوْلِهِ ﷺ: سَبَقَ، هُوَ اللَّهُ تَعَالَى فَالضَّمِيرُ الْمُسْتَتِرُ فِيهِ يَرْجِعُ إِلَيْهِ وَالْمَعْنَى سَبَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءٌ أَعْلَمُ مِنْهُ أَيُّ مِنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

والعُلُوّ في أصل اللُّغة الأرتفاع قال الرَّاغِب في المفردات العُلُوّ الأرتفاع وقد
عَلَا يَعْلُوّ عُلُوّاً وهو عال، انتهى.

وأما إذا اطلق عليه تعالى فهو بمعنى ارتفاع المَنْزلة لِيَتَنَزَّهه تعالى عن العُلُوّ
المَكَاني فإنه من لوازم الجسم.

وفي قوله: سَبَق في العُلُوّ، إشارة الى أنه تعالى سَبَق الموجودات في ارتفاع
المَنْزلة فلا شيء أرفع منزلةً منه وذلك لأنه تعالى عِلَّة الموجودات و مُوجدها
والدليل عليه من وجوه:

أحدها: أن ارتفاع المَنْزلة من توابع الوجود ولوازمه فالمعدوم لا يتصوّر فيه
عُلُوّ ولا غير عُلُوّ لعدم التّمايز بين المعدومات بما هي معدومات وأما التّمايز
بينها باضافتها الى الوجود فيقال عَدَم الأصبع مثلاً خير من عدم اليَد وعَدَم اليَد
خَيْرٌ من عدم العَيْن وامثال ذلك فهو في الحقيقة يرجع الى ان اليَد خَيْرٌ من
الأصبع والعَيْن من اليَد كما ثبت في محله.

وأما التّمايز بين الوجودات ولوازمها وعليه فالموجودات متفاوتة متميزة
في الكمالات والصفات التابعة لوجوداتها الخاصّة وقد فرغنا في ابحاثنا العقلية
من أن الصفات تدور مدار الوجود شدّة وضعفاً فما كان وجوده أشدّ وأتمّ
فصفاته الكمالية أشدّ وأتمّ وبالعكس بالعكس وحيث أنه قد ثبت أن وجوده
تعالى في نهاية الشدّة والقوّة لكونه برئياً عن النقص والفقر فلامحالة لوازم
وجوده ايضاً كذلك ومنها ارتفاع المَنْزلة فهو أرفع منزلةً عن غيره.

وثانيها: أنه تعالى عِلَّة لما سواه والعُلُوّ وان كان من الكمالات إلا أنه أولاً
وبالذات يلحق العِلَّة وثانياً وبالعرض يلحق المعلول فإن المعلول رَشَحٌ من
رَشَحات فيض العِلَّة ومُعطى الشيء لا يكون فاقداً له فكما أن الصفات في
العِلْم والقُدرة والأرادة و خيرها من المبدء سرت الى ما سواه فكذلك العُلُوّ.

وثالثها: أنه قد ثبت وتحقّق أن كلّ ما للممكنات بالأمكان العام فهو في
الواجب بالفعل لأن الأمكان عين النقص وهو تعالى برئياً منه فهو تعالى كان

واجباً بالذات والصفات قبل انْصاف ما سواه بها بل قبل وجود ما سواه كان الله ولم يكن معه شيء، فكما ان ذاته تعالى لمكان عليته سابقة على ما سواه فكذلك صفاته.

ورابعها: لو فرضنا موجوداً اعلامنه تعالى فلا محالة يكون مُقَدِّماً عليه بالوجود لما قلنا ان المعدوم لا يتصف بشيء واذا كان موجوداً مقدماً عليه فاما ان يكون معلولاً له تعالى فيلزم تقدّم المعلول على العلة وهو محال، واما ان يكون علة له فيلزم كونه تعالى معلولاً وقد فرضناه علة هذا خلْف.

وخامسها: ان ما سواه ممكن وكل ممكن فقير في ذاته وهو تعالى واجب الوجود والواجب غنى في ذاته ولا شك ان الفقير لا يكون اعلى وارفع منزلة عن الغنى لان لازم كونه ارفع منزلة عن الغنى هو عدم احتياجه مطلقاً فان المفروض ان الغنى كذلك وهو على الفرض اعلى منه فصدق الغنى عليه اولى وقد فرضناه ممكناً، هف.

فبهذه الوجوه وغيرها ثبت وتحقق انه تعالى سبق في العلو فلا شيء اعلامنه. ثم ان الفاء في قوله **﴿لَا شَيْءٌ﴾**، للتفريع اي اذا ثبت كونه تعالى سابقاً على غيره بالعلو لوجوبه وعليته فيتفرع على هذا الاصل انه لا شيء اعلامنه لان المفروض انه تعالى سبق في العلو فلو كان مع ذلك شيء اعلامنه لزم عدم سبقه في العلو وقد فرضنا سبقه، هف.

وثانيها: قوله **﴿لَا شَيْءٌ﴾** وقرب في الدنو فلا شيء اقرب منه،...

اي قرب الموجودات في الدنو فلا شيء اقرب منه تعالى اليهم وفيه اشارة الى قوله تعالى: **﴿وَنَحْنُ اقْرَبُ اِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾** (١)

و: **﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ اُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾** (٢)

و: **﴿وَنَحْنُ اقْرَبُ اِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾** (٣) ومع ذلك فهو مؤيد بالادلة العقلية.

منها - انه تعالى علة للموجودات والموجودات معلولات له ولا شك ان العلة اقرب الأشياء الى المعلول بل لا يمكن وجود شيء اقرب اليه منها للزومه الفصل بين العلة والمعلول وهو محال.

ومنها - انه قد ثبت في العلوم العقلية ان انفكاك المعلول عن العلة محال ولا سيما في العلة التامة كما فيما نحن فيه وذلك لان الانفكاك بينهما يوجب عدم كون العلة التامة علة تامة وقد فرضناها علة هف.

بيان ذلك ان العلة التامة ما يلزم من وجودها وجود المعلول ومن عدمها عدمه ضرورة استحالة كون العلة علة والمعلول ليس بموجود والمفروض ان العلة والمعلول من المتضائفين وعليه فاذا وجدت العلة التامة وجد المعلول لامحالة فاذا فرضنا الفصل بينهما يلزم كون العلة التامة غير العلة التامة وهو الخلف الذي ادعيناه ثم في صورة الاستحالة فنقول:

اذا فرضنا كون شيء اقرب الى شيء آخر فاما ان يكون الشيء الاقرب هو العلة التامة الى الشيء الآخر او لا يكون فعلى الاول يثبت المدعى، وعلى الثاني فاما ان يكون الشيء الاقرب اقرب الى الشيء بعد وجوده او قبل وجوده لاسبيل الى الثاني لان المعدوم لا يتصور فيه قرب ولا بعد ولا غيرهما من الأحكام كما مر، وعلى الاول فاما ان يكون الاقرب هو الموجد والعلة للشيء او لا يكون، فان كان هو الموجد له فقد ثبت المدعى ايضاً، وان لم يكن هو الموجد بل لحقه وقرب اليه بعد وجوده فلامحالة لا يكون اقرب الأشياء اليه اذا المفروض ان الشيء صار موجوداً أولاً ثم في المرتبة المتأخرة صار الشيء قريباً له فالعلة اقرب اليه منه وهو المطلوب.

ثم ان الذي فرضناه اقرب اليه لو لم يكن علة فلامحالة يكون معلولاً لعدم خلق الشيء منهما والمفروض انه ليس بعلة فيكون معلولاً والمعلول يكون مسبوقاً بالعلة فكيف يكون هذا الشيء اقرب اليه مع كونه في المعلولية مساوياً له وقد سبقتها العلة التامة فكونه اقرب يستلزم خروجه عن المعلولية هف.

ومنها - أنه على فرض كون الأقرب هو غير الواجب تعالى فلقائل ان يقول
 اى شىء هو وما اسمه فان كان واجباً فهو المطلوب وان كان مُمتنعاً فهو غير
 متّصف بشىء وان كان مُمكنأ فهو نفسه مسبوق بالعلّة فكيف يكون أقرب الى
 ممكن آخر منها والمفروض معلوليته ايضاً وان كان شيئاً آخر غير المواد
 الثلاث فإى شىء هو مع الأتفاق على عدم خروج المفاهيم والمصاديق منها
 والدليل على الحصر فيها هو أنّ الشىء اما واجب أولاً والاوّل واجب الوجود
 وعلى الثانى إمان ان يمتنع عليه الوجود أولاً كذلك فهو الممكن.

او نقول الوجود اما ان يمتنع عليه العدم اولا والثانى اعنى غير ممتنع العدم
 اما ان يكون الوجود والعدم بالنسبة اليه سيان او يمتنع عليه الوجود فالاول هو
 الواجب والثانى الممكن والثالث الممتنع.
 واذ قد ثبت عدم خروج الاشياء من هذه الثلاثة فلا يُعقل شىء أقرب من
 الخالق وهو المطلوب.

كيف لا وقد ثبت بالعقل والنقل ان الواجب تعالى مُحيط بالاشياء، والعالم
 بشرائير مظاهر له فلا يوجد فى العالم مَوْجُودٌ آلا وهو من مظاهر اسمائه
 وصفاته مخلوق له مَقهورٌ تحت قدرته كما اشار اليه فى كتابه حيث قال: ﴿أَيْنَمَا
 تَوَلَّوْا فَنَّمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ (١) فلا شىء آلا وهو حاكٍ عنه تعالى فهو تعالى فى كل
 مكانٍ وزمانٍ ومع ذلك ليس فى مكانٍ ولا زمانٍ وفى كل شىءٍ ومع كل شىءٍ
 ومع ذلك ليس فيه ولا معه فلا يخلوا لوجود والموجود منه بل ليس الوجود
 والموجود فى الحقيقة آلا هو فهو الشىء وما سواه فيىء وهو الأصل وما سواه
 فرع وهو المَوْجُود القائم بذاته وغيره قائم به.

روى بعض العرفاء ان جماعة من الرّهبانين وردوا المدينة فى عهد خلافة
 ابى بكر ودخلوا عليه وسألوه عن النبى ﷺ وكتابه فقال لهم ابوبكر نعم جاء
 نبينا ومعه كتاب، فقالوا له وهل فى كتابه وجه الله قال نعم، قالوا: وما تفسيره؟

قال ابوبكر هذا السؤال منهى عنه فى ديننا، وما فسره نبينا بشيء فضحك
 الرهبانيون كلهم، وقالوا والله ما كان نبيكم الا كذاباً وما كان كتابكم الا زوراً
 وبهتاناً وخرجوا من عنده فعرف بذلك سلمان فدعاهم الى امير المؤمنين عليه السلام
 وقال لهم ان هذا خليفة الحقيقى وابن عمه فاسئلوه فسألوا السؤال عنه عليه السلام
 فقال لهم ما نقول جوابكم بالقول بل بالفعل، فامر باحضار شىء من الفخم
 وبأشعاله فلما اشتعل وصار كله ناراً سأل عليه السلام الرهبان وقال يا رهبان ما وجه
 النار فقال الرهبان هذا كله وجهه فقال عليه السلام فهذا الوجود كله وجه الله وقرء
 وأينما تولوا فثم وجه الله، كل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون
 فأسلموا على يده وصاروا موحدين عارفين.

وانا اقول: وما أشبه بهذه القضية ما حكى ان حيتان البحر اجتمعت يوماً عند
 كبيرهم وقالت له يا فلان نحن عزمنا على التوجه الى البحر الذى نحن به
 موجودون وبدونه معدومون فلابد من ان نعلمنا جهته ونعرفنا طريقه حتى
 نتوجه اليه ونصل الى حضرته لاننا بقينا مدة متطولة نسمع به وما نعرفه
 ولا نعرف مكانه ولا جهته فقال لهم كبيرهم يا اصحابى واخوانى ليس هذا
 الكلام يلىق بكم ولا بأمثالكم لان البحر أعظم من ان يصل اليه احد وهذا ليس
 بشغلكم ولا هو من مقامكم فاسكتوا عنه بعد ذلك بمثل هذا الكلام بل
 يكفيكم انكم تعتقدون انكم موجودون بوجوده ومعدومون بدونه.

فقالوا له هذا الكلام ما ينفعنا ولا هذا المنع يدفعنا لابد لنا من التوجه اليه
 ولا بد لك من ارشادنا الى معرفته وداللتنا الى وجوده فلما عرف الكبير صورة
 الحال وان المنع لا يفيد شرع لهم فى البيان وقال:

يا اخوانى البحر الذى انتم تطلبونه وتريدون التوجه اليه هو معكم وانتم
 معه وهو محيط بكم وانتم محاطون به والمحيط لا ينفك عن المحاط به والبحر
 عبارة عن الذى انتم فيه فأيما توجهتم فى الجهات فهو البحر وليس غير البحر
 عندكم شىء فالبحر معكم وانتم معه وانتم فيه وهو فيكم وهو ليس بغائب

عنكم ولا انتم بغائبين عنه وهو أقرب اليكم من أنفسكم فحين سمعوا هذا الكلام منه قاموا كلهم اليه وقصدوه حتى يقتلوه.

فقال لهم لِمَ تَقْتُلُونِي وَلَإِي ذَنْبٍ أَسْتَحِقُّ هَذَا قَالُوا لَإِنَّا نَكَلِّمُكَ الْبَحْرَ الَّذِي نَحْنُ نَطْلُبُهُ هُوَ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ وَالَّذِي نَحْنُ فِيهِ هُوَ الْمَاءُ فَقَطَّ وَابَيْنَ الْمَاءِ مِنَ الْبَحْرِ فَمَا أَرَدْتَ بِهَذَا إِلَّا اضْلالَنَا عَنْ طَرِيقِهِ وَصِيدَانَنَا عَنْهُ.

فقال كبيرهم والله ما كان كذلك وما قلتُ إلا الحقَّ والواقع في نفس الأمر لأنَّ البحرَ والماءَ شيءٌ واحدٌ في الحقيقة وليست مغايرة بينهما أصلاً فالماء اسم للبحر بحسب الحقيقة والوجود والبحر اسم له بحسب الكمالات والخصوصيات والأنبساط والانتشار على المظاهر كلها فعرف ذلك بعضهم وصار عارفاً بالبحر وسكت عنه، وانكره الآخرون وكفروا به ورجعوا عنه مطروداً محجوباً ثم إنَّ الذي حكيناه عن لسان الحيتان لو حكيناه عن لسان الأمواج لكات أيضاً صحيحاً وكلاهما جائز.

وإذا تحقَّق هذا فكذلك شأن الخلق في طلب الحقِّ فانهم إذا اجتمعوا عند نبيٍّ أو امامٍ أو عارفٍ وسألوا عن الحقِّ فقال لهم إنَّ الحقَّ الذي تطلبونه وتسالون هو معكم وأنتم معه وهو محيطٌ بكم وأنتم مُحاطون به والمُحيط لا ينفك عن المُحاط وهو معكم أينما كنتم، وهو أقرب اليكم من حبل الوريد ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١)

و: ﴿أَيْنَمَا تُولُو فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (٢)

و: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣)

فهو مع كلِّ شيءٍ لا بمقارنةٍ وغير كلِّ شيءٍ لا بمزايلةٍ بل هو كلُّ شيءٍ وكلِّ

شئ به قائم وبدونه زائل وليس لغيره وجود اصلا لاذهنا ولا خارجاً وهو
الأول بذاته والآخر بكمالاته الظاهر بصفات الباطن بوجوده وانه بكل مكان في
كل حين واوان ومع كل انيس وجان فتدبر فيه فانه من مزال الأقدام.
□ قوله ﷺ: فَلَا اسْتِعْلَائُهُ بِأَعْدِهِ عَنْ شَيْءٍ مِّنْ خَلْقِهِ وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ
بِهِ...

وفيه اشارة الى ان سبقه في العلو وقربه في الدنو لا يوجب الأول منهما بعده
تعالى عن خلقه ولا الثاني اوجب التساوى بين الخالق والمخلوق في المكان
فعلوه تعالى وكذلك قربه ليسا بمكانيين حتى لزم منهما البعد والتساوى كما
ان العلو والقرب في المكانيات اقتضاهما وتوضيح ذلك ان العلو والقرب
يتصور على قسمين:

احدهما: العلو والقرب في الموجودات المادية المحاطة بها الزمان والمكان
والأين والوضع وغيرها من تبعات المادة وهو ايضا على قسمين فقسم منهما
في الأجسام العنصرية وقسم منها في المعاني والعناوين الاعتبارية اما الذي في
الأجسام فكما يقال الجبل ارفع من الأرض او يقال زيد في رأس الجبل ارفع
وأعلى من عمرو الذي في أسفله، وهكذا في القرب يقال زيد اقرب الى الجبل
من عمرو ففي كل منهما يلزم بعد المسافة وعدمه فمعنى قولنا زيد أعلى من
عمرو في المثال هو بعده المكاني عنه كما ان معنى قولنا زيد اقرب الى الجبل
مثلا من عمرو كونه مساوياً له اي للجبل في المكان فاذا قلنا زيد من حيث
جسده اقرب الى فلان من عمرو نفهم تساويهما في المكان كما ان معنى كونه
أعلانه جسماً بعده عنه من حيث المكان وهذا ظاهر واما الذي في المعاني
والأمور الاعتبارية فهو ايضا يقتضى البعد والتساوى الا ان البعد والتساوى فيها
ايضا اعتبارية فاذا قلنا مقام زيد أعلى من مقام عمرو او مقامه قريب من مقامه
فالمعنى في الأول ان بين مقاميهما بعد وفصل بحسب الاعتبار وفي الثاني
تساويهما فيه.

وثانيهما: العُلُوّ والقُرب في الموجودات المُجرّدة عن المادّة ولواحقها حيث أنّهما لبرائتها عن المادّة ولواحقها فليس لها تقيّد بمكانٍ ولا بزمانٍ، ولا بغيرهما من عوارض المادّة فالعُلُوّ فيها ليس بمعنى البُعد كما أنّ القُرب فيها لا يوجب التّساوى فالقُرب والبُعد والعُلُوّ والسّفْل وامثالها فيها يغيّر القُرب والبُعد والعُلُوّ في غيرها من المادّيات حيث أنّ القُرب والبُعد في المادّيات يَرجعان الى القُرب والبُعد المكانيّ او الزّمنيّ وهذا بخلافهما في المُجرّدات وحاصل الكلام أنّ التّقدّم والتّأخّر والقُرب والبُعد والعُلُوّ والسّفْل وامثالها إنّما يقال بها فيها لافى المُجرّدات لعدَم الزّمان فيها واذا رأيت اطلاقها عليها فيقال العقل الأوّل مثلاً مُقدّم على العقل الثّاني أو أعلى منه أو هو أقرب الى الواجب من العقل الثّاني وامثال ذلك فإنّما هو بسبب قياسها الى المادّيات لبحسب ذواتها هذا في المُجرّدات المجازيّة.

وامّا المُجرّد الحقيقيّ اعني الواجب تعالى فجرّيان القاعدة فيه أظهر وأتمّ فِنسبة ذاته الى كلّ الأشياء من البدو الى الختم واحدة ونسبة الكلّ ايضاً اليه تعالى واحدة، فليس الواجب أقرب الى شيءٍ من موجوداته، ومخلوقاته من شيءٍ آخر ولا أبعد منه الى شيءٍ آخر فوجوده وجود الكلّ ووجود الكلّ وجوده فهو كلّ الأشياء وجود كلّ الأشياء وجوده بمعنى قيام الأشياء به وعدم قيامه بها والحاصل أنّ وجود العلة لا ينفك عن وجود المعلول، ووجوده عن وجود العلة الآ بالشدة والضعف والتّقدّم والتّأخّر والنقص والكمال وامثال ذلك اذا تقرّر هذا فقولهُ ﷻ: **فَلَا اسْتِعْلَاهُ بِأَعْدَهُ عَن شَيْءٍ مِّنْ خَلْقِهِ**. معناه أنّ استعلاء الواجب وتّفوّقه على معلولاته كما هو شأن العلة لا يوجب بَعْدُها عنه وذلك لما ذكرنا أنّ العلة التامة لا تَنفك عن معلولها والبُعد يوجب الأنفكاك وقد مرّت استحالته.

□ واما قوله ﷻ: **وَلَا قُرْبُهُ سِوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ**، ففيه اشارة الى نفى التّساوى المكانيّ بينهما فإنّ رتبة العلة تستدعي التّقدّم والتّفوّق وسلب المكان عنه

تعالى يُوجب عدم التساوى فيه وذلك لأنه تعالى مُنزهٌ عن المكان والزمان وما يشبههما من لواحق المادة، ولولا الخوف من ضيق الأفهام وقلة المعرفة بحقائق العقلية لقلنا ما يشبعك حقّ الأشباع إلا أن السكوت في هذا المضمار أولى وأصلح فإننا قد أمرنا بالتكلم على قدر عقول الناس.

□ قوله عليه السلام: لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَن وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ...

الأطلاع بالتخفيف الأشراف والأعلام والمعنى أنه سبحانه وتعالى لم يعلم العقول على تحديد صفته ومع ذلك لم يمنعها عن المعرفة الواجبة لكل فردٍ من الأفراد.

أما الجملة الأولى اعنى قوله عليه السلام: لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ ، ففيه إيماء إلى أصولٍ لابد لنا من التوجه إليها في باب التوحيد ونحن نشير إليها على سبيل الاختصار.

أحدها: أنه تبارك وتعالى لم يعلم العقول على تحديد صفته وهو يدلّ بالمفهوم على إمكان ذلك للعقول في مرتبة ذاتها إلا أن المانع منعها على تحديد صفته والمانع عبارة عن مشيئة الله وإرادته لمصلحة لا يعلمها إلا هو وهو كذلك لكونه عزّ وجلّ قادراً على كلّ شيءٍ فكما أنه تعالى لم يعلمها فكذلك قد أمكن له إعلامها به.

وثانيها: أن العقول مخلوقات له تعالى فكلّ ما يدركه العقل ويحيط به إنما هو من أفاضاته وإفاداته وإنما وضعها في الأفراد بحسب لياقتهم، واستعدادهم فالأدراكات بايجاده والهامه والعقل آلة لها وذلك كما أن القوى الظاهرة والباطنة شأنها كذلك فالعين والسمع وامتثالهما إنما تُدرك بأدراك النفس ففي الحقيقة النفس ترى وتسمع وتشمّ وتذوق مثلاً إلا أن هذه الأدراكات بسبب هذه الآلات فحال النفس في عالم البدن حال الواجب في عالم الوجود فكما أن القوى البدنية لا يمكن خروجها عن حكومة النفس فكذلك موجودات العالم

وكما انَّ النَّفْسَ تَفْعَلُ بِوِاسِطَةِ الْاَلَاتِ فَكَذَلِكَ الْوَاجِبُ يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ بِالْوَسَائِطِ
وَالْاَلَاتِ كَمَا قَالَ اَبِي اللهِ يُجْرَى الْاُمُورُ اِلَّا بِاَسْبَابِهَا، وَالْعَقْلُ مَرْتَبَةٌ مِنْ مَرَاتِبِ
النَّفْسِ كَمَا قُرِّرَ فِي مَحَلِّهِ، وَلِاجْلِ هَذَا يُقَالُ بَانَ النَّفْسِ خَلِيفَةَ اللهِ الْاَعْظَمِ فِي
مَمْلَكَةِ الْبَدَنِ كَمَا انَّ النَّبِيَّ اَوْ الْاِمَامَ خَلِيفَةَ اللهِ الْاَعْظَمِ فِي عَالَمِ الْوُجُودِ.

وثالثها: انَّ تَحْدِيدَ الصِّفَةِ يَسْتَلْزِمُ تَحْدِيدَ الذَّاتِ وَذَلِكَ لِعَيْنِيَّةِ الصِّفَاتِ مَعَ
الذَّاتِ مُصَدِّقًا وَاِنْ تَغَايَرَهَا مَفْهُومًا فَلَوْ فَرَضْنَا انَّ الْعَقُولَ كَانَتْ قَادِرَةً عَلٰى
تَحْدِيدِ صِفَتِهِ وَالْمَفْرُوضِ اَنَّهَا عَيْنُ الذَّاتِ فَلَا مَحَالَةَ تَكُونُ قَادِرَةً عَلٰى تَحْدِيدِ
الذَّاتِ لِمَكَانِ الْعَيْنِيَّةِ كَمَا هُوَ الْمَفْرُوضُ وَقَدْ اثْبَتْنَا بِالادَّلَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ عَدَمَ
تَحْدِيدِهِ وَاِذَا اثْبَتَ هَذَا فِي الذَّاتِ فَقَدْ ثَبَّتَ فِي الصِّفَاتِ.

ورابعها: انَّ الْحَدَّ فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى مُطْلَقِ الْمَنْعِ لَاشَيْءٍ كَانَ ثُمَّ انَّ التَّعْرِيفَ
اِنْ كَانَ بِالْجِنْسِ الْقَرِيبِ وَالْفَصْلِ الْقَرِيبِ فَهُوَ فِي الْاَصْطِلَاحِ يُسَمَّى بِالتَّامِّ
وَيُقَالُ لَهُ الْحَدُّ التَّامُّ كَالْحَيَّوَانِ النَّاطِقِ فِي تَعْرِيفِ الْاِنْسَانِ.

وَاِنْ كَانَ بِالْفَصْلِ الْقَرِيبِ وَحَدِّهِ كَتَّعْرِيفِ الْاِنْسَانِ بِاَنَّهُ نَاطِقٌ اَوْ الْفَصْلَ مَعَ
الْجِنْسِ الْبَعِيدِ كَتَّعْرِيفِهِ بِالْجِسْمِ النَّاطِقِ فَيُسَمَّى بِالْحَدِّ النَّاقِصِ وَسَمَّوْهُ بِالنَّاقِصِ
لِحُذْفِ بَعْضِ الذَّاتِيَّاتِ عَنْهُ بِخِلَافِ الْحَدِّ التَّامِّ فَانَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ وَاِنْ كَانَ
التَّعْرِيفُ مِنَ الْجِنْسِ الْقَرِيبِ وَالْخَاصَّةِ كَتَّعْرِيفِ الْاِنْسَانِ بِالْحَيَّوَانِ الضَّاحِكِ
فَهُوَ الرَّسْمُ التَّامُّ.

وَاِنْ كَانَ بِالْخَاصَّةِ وَالْجِنْسِ الْبَعِيدِ كَالْجِسْمِ الضَّاحِكِ فِي تَعْرِيفِ الْاِنْسَانِ
فَيُسَمَّى بِالرَّسْمِ النَّاقِصِ.

وَحَيْثُ انَّ تَحْدِيدَ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ تَعَالٰى لَا يُمْكِنُ بِهَذِهِ التَّعَارِيفِ الْاَرْبَعَةَ
وَالتَّعَارِيفِ مُنْحَصِرَةً فِيهَا فَقَالَ عليه السلام مَا قَالَ وَتَوْضِيحُ ذَلِكَ هُوَ انَّ الصِّفَةَ كَالْعِلْمِ
مَثَلًا اِذَا اَرَدْنَا تَحْدِيدَهُ بِالْحَدِّ التَّامِّ فَهُوَ غَيْرُ مُمْكِنٍ لِاَنَّ الْعِلْمَ هُنَاكَ عَيْنُ الذَّاتِ
عَلٰى الْفَرَضِ وَالذَّاتُ بِسَيِّطَةِ لَامِهِيَّةِ لَهَا وَمَا لَامِهِيَّةٌ لَهُ لِاَفْصَلُ لَهُ وَلَا جِنْسٌ لَهُ
وَالْفَصْلُ مِنْ اجْزَاءِ الْمَاهِيَّةِ، وَانْتِفَاءُ الْمَاهِيَّةِ فِيهِ تَعَالٰى دَلِيلٌ عَلٰى عَدَمِ اجْزَائِهَا

اعنى الجنس والفصل ضرورة ان انتفاء الكل يستلزم انتفاء الجزء فحيث لا جنس له ولا فصل له والصفة عين الذات فالحد التام لا يوجد.

وبهذا البيان يعلم انتفاء الحد الناقص ايضاً لعدم الفصل والجنس القريب وهكذا الأمر فى الرسم التام والناقص فان الجنس مأخوذ فى هذه التعاريف الأربعة إما الجنس القريب او البعيد وقد ذكرنا ان الجنس من اجزاء العقلية للماهية فهو يدور مدارها وجوداً وعدمياً وحيث ليس فليس.

واما البحث فى معنى الصفة فيه تعالى وكيفية عينيتها للذات، فقد تكلمنا فيه مفصلاً فى شرح قوله ﷺ وكمال الأخلاص له نفى الصفات عنه، فى اوائل الكتاب فلا نُعيد.

□ واما قوله ﷺ: فَلَمْ يَخْجُبْهَا عَنْ وَاِجِبْ مَعْرِفَتِهِ... .

اي انه تعالى مع عدم اعلامه العقول على تحديد صفته فلم يمنعها عن المعرفة الواجبة لها، وفيه اشعارٌ بأمور:

احدها: انه تعالى لم يمنع العقول عن المعرفة وذلك لكون المنع منه قبيح وهو مُنزّه عنه، اما كونه قبيحاً فلان اصل المعرفة حسن مُستحسن عقلاً لانها من باب وجوب شكر المُنعم الذى اتفقوا على حسنه ولزومه، فاذا كانت المعرفة ممدوحة عقلاً فالمنع عنها قبيح لان المنع من الحسن قبيح عقلاً فالحجب عنها قبيح وهو المطلوب.

وثانيها: ان الله تبارك وتعالى لم يمنعها عن واجب معرفته وهو يدل على ان المعرفة واجبة وغير واجبة، ثم ان الواجبة منها غير ممنوعة منه تعالى شرعاً وعقلاً واما غير الواجبة فلا.

فحاصل الكلام هو ان الله تعالى لم يحجب العقول عن واجب معرفته والمفهوم يدل على انه تعالى حجبها عن غير الواجب منها - وهو كذلك ويدل على ما ذكره ﷺ العقل والنقل ونحن نشير اولاً الى قسمة المعرفة اجمالاً ثم نستدل على المطلوب فنقول المعرفة بالله على قسمين: واجبة وغير واجبة. اما

الواجبة منها - فهو العلم بأن الله تبارك وتعالى واحد أحد قديم بمعنى كونه أزلياً وأبدياً وهو عالم قادر مريد متكلم سميع، بصير حى وبالجملة متصف بالصفات الثبوتية مبرء عن الصفات السلبية، مختار فى ارادته وفعله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

وبعبارة اخرى: اثبات كل ما أخبرت به الشرايع الالهية له ونفى كل ما نفت عنه فهذا هو القدر الواجب من المعرفة التى لا بد لكل مكلف عاقل التدين بها بالأدلة العقلية ولا مفر لأحد منها.

وأما غير الواجبة منها - فهو عبارة عن العلم بذاته تعالى وصفاته بالأدلة العقلية المصطلحة المدونة فى كتب الفلاسفة من التحقيقات الدقيقة العلمية والتدقيقات الأنيقة الفلسفية التى حصلت لهم بالمباحثات، والمطالعات والمكاشفات طول اعمارهم ومن المعلوم ان المعرفة بهذا المعنى لا يتيسر إلا لأوحد من العلماء الراسخين والفلاسفة المتألهين، فضلاً عن العوام من المكلفين.

فلو أمر الناس بهذه المعرفة لكان من قبيل التكليف بما لا يطاق وقد قال الله تعالى لا يكلف الله نفساً إلا وسعها مضافاً الى كونه مستلزماً لتخصيص الأكثر وتعطيل الناس مشاغلهم الدنيوية لتحصيل هذه المعرفة وهو كما ترى.

وثالثها: ان قوله ﷺ هذا يدل على ان المعرفة الغير الواجبة قد حجب الله العقول عنها كما هو مفهوم العبارة و عليه فالعبارة تدل على عدم جواز الأقتحام فى تلك الدقائق لاجل الوصول الى حقيقه الذات والصفات فانه من المستحيل عقلاً والممتنع شرعاً.

أما الأستحالة العقلية فلان الممكن وان بلغ ما بلغ لا يقدر على الأحاطة بكنه ذاته تعالى وصفاته لان المحاط لا يحيط بالمحيط والآن يلزم كون المحاط مُحيطاً وقد فرضناه مُحاطاً، هف.

وأما الأدلة النقليه الدالة على النهى فيما زاد عن الواجب فى المعرفة فكثيرة،

قال الله تعالى ﴿وما قَدَرَ اللهُ حقَّ قدره﴾^(١).

ومنها - مارواه في البحار عن مسعدة ابن صدقة عن جعفر ابن محمد عن ابيه ان رجلاً قال لأمير المؤمنين، هل تصف ربنا نزياداً له حباً وبه معرفة فغضب عليه السلام وخطب الناس فقال فيما قال عليك يا عبدالله بما ذلك عليه القرآن من صفته وتقدسك فيه الرسول من معرفته فأنتم به واستضىء بنور هدايته فانما هي نعمة وحكمه أوتيتهما فخذ ما أوتيت وكُن من الشاكرين وما كلفك الشيطان علمه مما ليس عليك في الكتاب فرضه ولا في سنة الرسول وائمة الهدى أثره فكل علمه إلى الله ولا تقدر عليه عظمة الله وأعلم يا عبدالله ان الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن الأقتحام على السدد المضروبة دون الغيوب إقراراً بجهل ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فقالوا منّا به كل من عند ربنا، وقد مدح الله.

اعترفهم بالعجز ما لم يُحيطوا به علماً وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم عن كنهه رسوخاً، انتهى «ج ص ٨١ ط - كمپانی»...

ومنها - مارواه فيه باسناده عن ابي عبيدة الخذاء قال قال ابو جعفر يا زياد اياك والخصومات فانها تورث الشك وتحبط العمل وتردى صاحبها وعسى ان يتكلم الرجل بالشئ لا يغفر له يا زياد انه كان فيما مضى قوم تركوا علم ما وکلوا به وطلبوا علم ما كفوه حتى انتهى بهم الكلام الى الله فتحيروا فان كان الرجل ليدعى من بين يديه فيجيب من خلفه او يدعى من من خلفه فيجيب من بين يديه. انتهى «ص ٨٢»...

ومنها - مارواه عن سليمان ابن خالد قال قال ابو عبد الله اياكم، والتفكر في الله فانه لا يزيد الا يتها ان الله عز وجل لا تدركه الأبصار ولا يوصف بمقدار، انتهى «ص ٨٢»...

ومنها - مارواه عن ابي عمير عن جميل عن ابي عبدالله قال عليه السلام اذا انتهى

الكلام إلى الله فأمسِكُوا وتكلموا فيمادون العرش ولا تكلموا فيما فوق العرش فإن قوماً تكلموا فيما فوق العرش فتأهت عقولهم حتى يُنادى من بين يديه فيجيب من خلفه ويُنادى من خلفه فيجيب من بين يديه. انتهى «ص ٨٢»..

ومنها - ماروى باسناده عن سهل قال كتبت إلى ابي محمد الحسن ابن عليّ، سنة خمس وخمسين ومأتين قد اختلف يا سيدي اصحابنا في التوحيد منهم من يقول هو جسمٌ ومنهم من يقول هو صورة فان رأيت يا سيدي ان تعلمنى من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فقلت مُتَطَوِّلاً على عبدك فوق بخطه ﷺ سئلت عن التوحيد وهذا عنكم معزولٌ والله تعالى واحدٌ أحدٌ صمدٌ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحدٌ خالقٌ وليس بمخلوق يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك ويُصوّر ما يشاء وليس بمُصوّر جلّ ثنائه وتقدّسك وتعالى عن ان يكون له شبهة وهو لاغيره ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) «٨٢»...

اقول: فهذه الروايات وامثالها تنهينا عن الغور في ذاته تعالى، والأقتحام على السُدود المضروبة ولا يبعدان يكون مراده، من معرفة الغير الواجبة هو هذه المعرفة التي ضرر الأقتحام فيها أعظم وأشدّ من نفعها وهذا المعنى أوفق بسياق العبارة من المعنى الذي ذكرناه أولاً لأنه بناء على المعنى الاوّل يلزم المنع من غير الواجب من المعرفة بالنسبة الى اكثر الأفراد الذينهم لا يتقدرون على تحصيلها دون البعض الآخر اعنى القادرين وهذا المعنى يوجب التخصيص في العبارة ولا يدلّ عليه دليل. واما الثاني فالمنع فيه عامٌ كائناً من كان وهو الأظهر والله اعلم.

□ قوله ﷺ: فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ...

والفاء في قوله ﷺ: فَهُوَ، للتفريع اى هذا الحكم مُتَفَرِّعٌ على ما تقدّم من

الأحكام من صدر الخطبة الى هنا.

وحاصل الكلام انّ أعلام الوجود تُشهد له تعالى بانه مُتصّف بالأوصاف المذكورة والمقصود من اعلام الوجود هو اعلام الموجودات التي هي عبارة عن العلماء والعقلاء فانّ الأعلام جمع علم بالتحريك وهو ما يستدل به على الشيء وفي المقام هو ما يستدل به على الله تعالى ولا موجود في العالم أصلح للاستدلال به عليه تعالى من العلماء وذلك لانهم مظاهر علمه والعلم اصل الصفات ورأسها لرجوع كل الصفات فيه تعالى اليه فاذا كان العلم أجل الصفات وأعظمها وأفخمها فمظهره ايضاً يكون اعلى المظاهر وأجلها وهو العلماء كما في قوله تعالى: انما يخشى الله من عباده العلماء ولا شك انهم يشهدون على ان ذاته المتعالية واجب الوجود بالذات والصفات.

فاول: من شهد من اعلام الوجود على المدعى هو ذاته تعالى كما قال ﷺ يا من دل على ذاته بذاته، وقال تبارك وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١)

و: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (٢) وامثال ذلك من الآيات التي استدلت بها على مقام الذات بالذات.

والثاني: من اعلام الوجود الملائكة والثالث - اولوا العلم اعنى العلماء قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ (٣) وبالجملة وفي كل شيء له آية، تدل على انه واحد.

ثم ان الفرق بين قوله هذا وقوله في اوائل الخطبة (ودلت عليه اعلام الظهور) هو الفرق بين الدلالة والشهادة حيث عبّر ﷺ في الاول بقوله (دلت) وفي الثاني تشهد، فان الشهادة لاتصدق الا بالنسبة الى العقلاء واما الدلالة فليست كذلك فكل ما ظهر من الموجودات يدل على خالقه وصانعه وموجده

بلا كلام كما اشير اليه بقوله تعالى: «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» (١) فَأَنَّ قَوْلَهُ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ يَدُلُّ عَلَى الْأَوَّلِ وَقَوْلُهُ وَفِي أَنْفُسِهِمْ الْخ عَلَى الثَّانِي فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ مِنْ ذِكْرِ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ وَالْأَجَلِ هَذَا أَيْ وَجُودَ الْفَرْقِ بَيْنَ الدَّلَالَةِ وَالشَّهَادَةِ أَرَدَفَ كَلَامَهُ فِي الْمَقَامِ بِقَوْلِهِ ﷺ: عَلَىٰ إِقْرَارِ قَلْبِ الْخ فَقَالَ:

□ قَوْلُهُ ﷺ: عَلَىٰ إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ، ...

وذلك لأن الشهادة لامحالة تقع على شيءٍ والشئ الذي تقع عليه الشهادة هو قلب المنكر لله تعالى وهذا من لطائف الكلام وذلك لأن الشهادة إنما وُضعت ليَجعل المنكر بسببها كالمُقر فيحكم عليه فلولا وجود المنكرين في العالم لما احتجنا إلى شهادة الشهود فالشهادة تقع دائماً لأثبات شيءٍ لولاها لما أثبت.

إذا عرفت هذا فقد علمت أن المنكرين لوجوده تعالى وصفاته كثيرة في العالم إلا أن الأنكار يُتصور على قسمين:

أحدهما: الأنكار اللساني الكاشف عن الأنكار القلبي في بعض المواضع وغير كاشفٍ عنه في موضعٍ آخر كما إذا رأى الإنسان المصلحة فيه مع أنه مُقرُّ له بالقلب كما في موارد التقيّة قال الله تعالى في كتابه الكريم «الْأَمَنُ أَكْرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» (٢) فهذا الأنكار يجامع الأقرار القلبي وانكاره.

وثانيهما: الأنكار القلبي وهو أيضاً تارةً يكون مع الأنكار اللساني وتارةً مع إقراره كما في المنافقين .

أما القسم الأول: اعنى الأنكار اللساني فإن كان مع الأنكار القلبي فهو مورد للبحث وأما إذا لم يكن كذلك فلا إذا عبرة باللسان فقط إذا لم يكن حاكياً عن القلب لاحتمال صحته وجوازه كما في موارد الأكره والأضرار والتقيّة ونحوها.

وامّا القسم الثاني : فهو الذى يتوجه البحث والنظر اليه وتشهد له اعلام الوجود فانّ المدار فى التوحيد بل مطلق الاعتقادات على القلب فانه قد يتصف بها وقد لا يتصف.

ثم ان قوله عليه السلام: **عَلَىٰ إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ** ، دون لسانه، ففيه اشارة الى ان شهادة اعلام الوجود انما هي على اقرار قلوب المنكرين دون ألسنتهم وفى هذا الكلام احتمالات.

أحدها: ان يكون المراد ان اعلام الوجود عموماً او خصوصاً تشهد على اقرار قلب ذى الجحود فى جحده وانكاره بمعنى انه وان لم يكن منكراً باللسان بل يعترف بالتوحيد فى ظاهر الأمر الا انه منكراً له بالقلب وتشهد عليه اعلام الوجود اعنى الله تعالى والملائكة والعلماء بانه من المنكرين المستوجبين للعذاب فى القيامة.

وثانيها: ان يكون المراد بالشهادة عليه الشهادة على اقرار قلبه بالتوحيد وان كان جاحداً باللسان بمعنى انه لو خلى وطبعه لأقر به، اذا الإنسان مَفْطُورٌ بِحَسَبِ جِبَلَّتِهِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَلَكِنَّهُ كَثِيرًا مَا لَا يَتَظَاهَرُ لِعِنَادِهِ وَشِقَاقِهِ وَهَذَا كَمَا نَرَى فِي كَثِيرٍ مِنَ الْاَفْرَادِ يَنْكُرُونَ الْحَقَّ فِي ظَاهِرِ الْاَمْرِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِهِ وَاَقْعًا.

وثالثها: ان يكون المراد اتمام الحجة على المنكرين بمعنى انهم لو قالوا يوم القيمة انا كنا جاهلين فى الدنيا قيل لهم ألم تشهد عليكم اعلام الوجود مثلاً بوجود الواجب وامثال ذلك من الاحتمالات.

□ قوله عليه السلام: **تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَالْجَاهِدُونَ لَهُ عُلُوقًا كَبِيرًا.**

افاد عليه السلام فى هذا الكلام ان التشبيه فى باب التوحيد ممنوع مطرود، ونحن قبل اقامة الدليل من العقل والشرع على استحالة تكلم فى معناه اللغوى والأصطلاحي والمراد به هنا فنقول:

اعلم ان التشبيه مصدر كالتصريف قال فى المنجد، شَبَّهَهُ آيَاهُ وَشَبَّهَهُ بِهِ مَثَلَهُ

به، انتهى.

وقال في لسان العرب ج ١٣ - الشَّبه والشَّبَه والشَّيْبَة المِثْل وقال شَبَّهه أَيَّاه وشَبَّهه به مثله والتَّشْبِيه التَّمثِيل، انتهى.

اقول: فعليه يكون المراد بالْمُشَبَّهون الْمُمَثَّلون مُطلقاً سواء كان في الواجب ام في غيره وسواء كان في الألفاظ ام في المعاني، واما في الاصطلاح فالتَّشْبِيه يقال في الموجودات الخاصَّة وقد خَصَّ هذا الاصطلاح اعنى المشبَّهة بمن شَبَّه الخالق بالمخلوق او بالعكس ولا فرق في اطلاق المُشَبَّه عليها خلافا لما ذهب اليه الشَّارح الخوئي حيث قال في المقام ما هذا لفظه:

والمراد بالْمُشَبَّهين الْمُشَبَّهون لِلخَلْقِ بالخالق وهم المشركون الَّذِينَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاء وقالوا أَنَّهُ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ ونحو ذلك وبالجاحدين المنكرون لِلصَّانِعِ وليس المراد بالْمُشَبَّهين الْمُشَبَّهة المَعْرُوفَة اعنى الَّذِينَ شَبَّهوه سبحانه بخلقه كالمُثَبِّتِينَ له تعالى اوصافاً زائدة على الذَّاتِ والمُجَوِّزِينَ في حَقِّه الرُّؤية والمكان ونحوهما والمُثَبِّتِينَ له الأعضاء والجوارح الى غير هذه ممَّا هو من صفات الممكن وبالجملة المراد الْمُشَبَّهون به كما هو صريح كلامه، لا الْمُشَبَّهون له بخلقه على ما توهمه الشَّارح البحراني انتهى.

وانا اقول: ما ذكره (قده) منظور فيه من وجوه:

احدها: انه لو تم ما ذكره (قده) لكان معنى العبارة انه تعالى مُنَزَّهٌ عَمَّا يَقُولُ الْمُشَبَّهون به اعنى الْمُشَبَّهين لِلخَلْقِ بالخالق كما هو (قده) قد صرح به فالكلام يدل بالمفهوم على ان الْمُشَبَّهين له على زعمه (قده) ليسوا كذلك، والذَّات الواجبي لا يتعالى عَمَّا يَقُولُونَ به وليس الأمر كذلك وهو ايضاً لا يقول به فانه تعالى مُبَرَّءٌ وَمُنَزَّهٌ عن التَّشْبِيه مطلقاً سواء شَبَّهوه بخلقه او شَبَّهوه خَلْقَه به لا ان تشببه الخلق به ممنوع بلا عكس.

وثانيها: انه تَخْصِيصٌ في العبارة وهو يحتاج الى الدليل ولم يدل دليل عليه سوى ما يتخيل من قوله ﷻ (به) لا (له) وهو كما ترى اما اولاً لعدم وجود كلمة (به) في بعض النسخ، واما ثانياً فعلى تقدير ثبوتها لا يدل على مدعاه لكون

التشبيه الممنوع أعم من تشبيه الخلق اليه ومتشبيهاً بالخلق كما نقلنا عن اهل اللغة وذلك لأن التشبيه التمثيل ولا فرق فيه بين القول بكون المخلوق مثله او هو مثل المخلوق والمأل واحد، واذا لم يدل دليل على التخصيص فاللفظ يحمل على عمومته كما هو مقتضى القاعدة في التمسك بالأطلاق والعموم.

وثالثها: أي اشكال في حمل اللفظ على المعنى العام عقلاً وشرعاً بل الاشكال في تخصيصه كما عرفت فاذا قلنا تعالى الله عما يقول المشبهون مطلقاً لاشك أنه اوفق بسياق الكلام ونظم العبارة وقواعد العقلية والنقلية كما ستعلم اذا عرفت هذا فالتشبيه في باب التوحيد مطلقاً ممنوع وقد دل عليه الشرع والعقل ونحن نذكر أولاً ما ورد فيه بحسب الآيات والاحبار ثم نتبعه بالأدلة العقلية.

أما أدلة العقلية: أما الآيات قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(١) والحج والزمر، و: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢)

ومن الاخبار: منها - مارواه في البحار باسناده عن الصادق عليه السلام حيث سئل أي الأعمال أفضل؟ قال عليه السلام: توحيدك لربك قال فما أعظم الذنوب قال عليه السلام: تشبيهك لخالفك. انتهى «ج ٢ ص ٩٠ - ط كمياني»...

ومنها - مارواه ايضاً باسناده عن يونس ابن ظبيان قال دخلت على الصادق جعفر ابن محمد فقلت يا بن رسول الله انى دخلت على مالك، واصحابه فسمعت بعضهم يقول إن لله وجهاً كالوجه وبعضهم يقول له يدان واحتجوا لذلك بقول الله تبارك وتعالى ﴿بِيَدَيْ اسْتَكْبَرَتْ﴾ وبعضهم يقول هو كالشباب من أبناء ثلاثين سنة فما عندك في هذا يا بن رسول الله؟ قال وكان متكئاً فاستوى جالساً وقال اللهم عفوك عفوك ثم قال عليه السلام: يا يونس من زعم ان لله وجهاً كالوجه فقد أشرك، ومن زعم ان لله جوارح كجوارح المخلوقين فهو كافر بالله فلا تقبلوا شهادته ولا تأكلوا ذبيحته تعالى الله عما

يُصِفُهُ الْمُشَبَّهُونَ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ فَوَجَّهَ اللَّهُ أَنْبِيَائَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ وَقَوْلُهُ: ﴿خَلَقْتُ
بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرْتُ﴾^(١) الْيَدِ الْقُدْرَةَ كَقَوْلِهِ وَأَيُّكُمْ يَنْصُرُهُ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فِي
شَيْءٍ وَعَلَى شَيْءٍ أَوْ يَخْلُقُ مِنْهُ شَيْءٌ أَوْ يَسْتَعْمَلُ بِهِ شَيْءٌ فَقَدْ وَصَفَهُ بِصِفَةِ
الْمَخْلُوقِينَ وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا يُقَاسُ بِالْقِيَاسِ وَلَا تُشَبَّهُهُ بِالنَّاسِ لَا يَخْلُقُوا
مِنْهُ مَكَانٌ وَلَا يَسْتَعْمَلُ بِهِ مَكَانٌ قَرِيبٌ فِي بُعْدِهِ بَعِيدٌ فِي قُرْبِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّنَا لَا إِلَهَ
غَيْرُهُ فَمَنْ أَرَادَ اللَّهَ وَأَحَبَّهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَهُوَ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ وَمَنْ أَحَبَّهُ بِغَيْرِ هَذِهِ
الصِّفَةِ فَاللَّهُ مِنْهُ بَرِيءٌ وَنَحْنُ مِنْهُ بُرَاءٌ أَنْتَهَى «ص ٩٠»...

ومنها - مارواه أيضاً عن الصادق عليه السلام أنه قال لهشام إن الله تعالى لا يشبهه
شيئاً ولا يشبهه شيءٌ وكلُّ ما وقع في الفهم فهو بخلافه (أقول وهذا الحديث
يدلُّ على أن التشبيه مطلقاً ممنوعٌ كما ذهبنا إليه، فقول أمير المؤمنين عليه السلام
يُحْمَلُ عَلَيْهِ. فتأمل «ص ٩٠»...

ومنها - مارواه عنه عليه السلام أيضاً أنه قال سبحانه مَنْ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ إِلَّا
هُوَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢) لَا يُحَدِّدُ وَلَا يُحَسِّسُ وَلَا يُدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ وَلَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ وَلَا هُوَ جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ وَلَا بَدَنٌ تَحْطِيطٌ وَلَا
تَحْدِيدٌ «ص ٩١»...

ومنها - مارواه عن جابر الجعفي قال قال محمد بن علي يا جابر ما أعظم
فريئة أهل الشام يزعمون أن الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع
قدمه على صخرة بيت المقدس ولقد وضع عبداً من عباد الله قدمه على حجرٍ
فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذها مصلى يا جابر إن الله تبارك وتعالى
لا نظير له ولا شبيهه تعالى عن صفة الواصفين وجلٍّ عن أوهام المتوهِّمين،
واحتجب عن عين الناظرين ولا يزول مع الزائلين ولا يأقل من الأقلين، ﴿لَيْسَ
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣) أَنْتَهَى «ص ٩١»...

ومنها - ما عن هشام المشرقي عن ابي الحسن الخراساني قال ان الله كما وصف نفسه أحد صمد نور ثم قال بل يده مَبسوطتان فقلت له أفله يدان هكذا وأشرت بيدي الى يده فقال لو كان هكذا كان مخلوقاً. انتهى «ص ٩١»...
ومنها - ما قال الصادق عليه السلام في جواب سؤال الزنديق لاجسم، ولا صورة ولا يحس ولا يُحس ولا يدرك بالحواس الخمس لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا يُغيره الأزمان الخبر. «ص ٩١»...

ومنها - ما عن الرضا عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله جل جلاله ما آمن من فسّر برأيه كلامي وما عرفني من شبّهني بخليقي ولا على ديني من استعمل القياس في ديني، انتهى «ص ٩١»...

ومنها - مرواه عن ابي هاشم الجعفرى قال سمعتُ عليّ ابن موسى الرضا عليه السلام يقول إلهي بدت قدرتك ولم تبد هيبته فجهلوك وبه قدروك، والتقدير على غير ما به وصفوك واتى برىء يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك ليس كمثلك شيء إلهي ولن يدركوك وظاهر ما بهم من نعمك دليلهم عليك لو عرفوك وفي خلقك يا إلهي مندوحة ان يتناولوك بل سووك بخلقك فمن تم لم يعرفوك واتخذوا بعض آياتك رباً فبذلك وصفوك تعاليت ربّي عمّا به المشبهون نعتوك، انتهى «ص ٩١»...

ومنها - مرواه عن ياسر الخادم قال سمعتُ ابا الحسن عليّ ابن موسى يقول من شبّه الله بخلقه فهو مُشركٌ ومن نسب اليه ما نهي عنه فهو كافر» ص ٩١»...

ومنها - مرواه باسناده عن ابراهيم ابن محمد الهمداني قال كتبتُ الى الرجل يعني ابا الحسن انّ من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد فمنهم من يقول جسمٌ ومنهم من يقول صورة فكتب عليه السلام بخطه سبحانه من لا يُحد ولا يُوصف ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) انتهى «ص ٩١»...

ومنها - مارواه باسناده عن داوود ابن القاسم قال سمعتُ عليَّ ابن موسى الرضا من شَبَّه الله بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ وَمَنْ وَصَفَهُ بِالْمَكَانِ فَهُوَ كَافِرٌ وَمَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ مَا نَهَى عَنْهُ فَهُوَ كَاذِبٌ ثُمَّ تَلَاهُ هَذِهِ الْآيَةَ، ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (١) انتهى ص ٩٣.

ومنها - مارواه باسناده عن ابي عبدالله عليه السلام انه قال من شَبَّه الله بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ وَمَنْ أَنْكَرَ قُدْرَتَهُ فَهُوَ كَافِرٌ، انتهى «ص ٩٣»...

ومنها - مارواد باسناده عن المفضل ابن عمر عن ابي عبدالله عليه السلام قال عليه السلام من شَبَّه الله بِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَشْبَهُ شَيْئاً وَلَا يُشْبَهُهُ شَيْءٌ وَكُلَّمَا وَقَعَ فِي الْوَهْمِ فَهُوَ بِخِلَافِهِ، انتهى «ص ٩٣»...

والأحاديث في الباب كثيرة ومن اراد الاطلاع عليها فعليه بمراجعة البحار وغيره من كتب الاخبار.

اما الادلة العقلية: قال الصدوق (قده) الدليل على ان الله سبحانه لا يشبه شيئاً من خلقه من جهة من الجهات انه لا جهة لشيء من افعاله الا محدثة ولا محدثة الا وهي تدل على حدوث من هي له فلو كان الله جل ثنائه يشبه شيئاً منها لدلت على حدوثه من حيث دلت على حدوث من هي له اذا المتماثلين في العقول يقتضيان حكماً واحداً من حيث ثلمها وقد قام الدليل على ان الله عز وجل قديم ومحال ان يكون قديماً من جهة حادثاً من اخرى ومن الدليل على ان الله تعالى قديم ومحال ان يكون قديماً من جهة حادثاً من اخرى ومن الدليل على انه قديم انه لو كان حادثاً لوجب ان يكون له محدث لان الفعل لا يكون الا بفاعل ولكان القول، في محدثه كالقول فيه وفي هذا وجود حادث قبل حادث لالي اول وهو محال فيصح انه لا بد من صانع قديم واذا كان ذلك كذلك فالذي يوجب قدم ذلك الصانع ويدل عليه يوجب قدم صانعنا ويدل عليه، انتهى.

وقال المُحَقِّقُ الدَّوَانِي المُشَبَّهَةٌ مِنْهُمْ مِنْ قَالَ بِالْجِسْمِ الْحَقِيقِيَّةِ الْقَائِمَةِ
بِالذَّاتِ وَبِالصُّورَةِ الْمَلَاهِيَّةِ (الْمَالَهِيَّةِ) وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ أَنَّهُ جِسْمٌ حَقِيقَةٌ ثُمَّ أَفْتَرَقُوا
فَقَالَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ مَرْكَبٌ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ نُورٌ مُتَلَأَلِيٌّ، كَالسَّبِيكَةِ
الْبَيْضَاءِ طَوَّلُهُ سَبْعَةُ أَشْبَارٍ بِشَبْرِ نَفْسِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ أَنَّهُ عَلَى صُورَةِ إِنْسَانٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَنَّهُ شَأْبٌ مُرْدٌ جُعْدٌ
قُطِّطٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ أَنَّهُ شَيْخٌ أَشْمَطُ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ هُوَ جَهَةٌ
الْفَوْقِ مِمَّا سُرِّ لِلصَّفْحَةِ الْعُلْيَا مِنَ الْعَرْشِ وَيَجُوزُ عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ وَالْإِنْتِقَالَ وَتَبَدُّلُ
الْجِهَاتِ وَتَأْطُ الْعَرْشِ تَحْتَهُ أَطْيَطُ الرَّحْلِ الْجَدِيدِ تَحْتَ الرَّكَّابِ الثَّقِيلِ وَهُوَ
يَفْضُلُ عَنِ الْعَرْشِ بِقَدْرِ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ هُوَ مُحَاذٍ لِلْعَرْشِ غَيْرِ
مُمَاسِّ لَهُ وَبُعْدَهُ عَنْهُ بِمَسَافَةٍ مُتَنَاهِيَةٍ وَقِيلَ بِمَسَافَةٍ غَيْرِ مُتَنَاهِيَةٍ وَلَمْ يَسْتَنْكِفِ
هَذَا الْقَائِلُ عَنِ جَعْلِ غَيْرِ الْمُتَنَاهِيِ مُحْصُورًا بَيْنَ حَاصِرَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَسْتَرَّ
بِالْكُفَّةِ فَقَالَ هُوَ جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ وَلَهُ حَيْزٌ لَا كَالْحَيَازِ وَنَسَبَتَهُ إِلَى حَيْزَةٍ لَيْسَ
كِنَسْبَةِ الْأَجْسَامِ إِلَى أَحْيَازِهَا وَهَكَذَا يَنْفِي جَمِيعَ خَوَاصِّ الْجِسْمِ عَنْهُ حَتَّى
لَا يَبْقَى إِلَّا اسْمُ الْجِسْمِ وَهَؤُلَاءِ لَا يُكْفَرُونَ بِخِلَافِ الْمُصْرِّحِينَ بِالْجِسْمِيَّةِ.

وَأَنَا أَقُولُ: التَّشْبِيهُ مَنهَى عَنْهُ شَرْعًا وَعَقْلًا أَمَا شَرْعًا فَقَدْ مَضَى شَطْرَ مَنْ
الْأَخْبَارِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ وَأَمَا عَقْلًا فَلَوْجُوهُ:

أَحَدُهَا: أَنَّ تَشْبِيهِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ آخَرَ يَقْتَضِي ثَبُوتَ الْمَاهِيَّةِ فِيهَا وَالْأَفْلا مَعْنَى
لِلتَّشْبِيهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّشْبِيهِ كَمَا نَقَلْنَاهُ عَنِ أُمَّةِ اللُّغَةِ بِمَعْنَى التَّمْثِيلِ اعْنَى هَذَا
مِثْلَ هَذَا وَالْمِثْلِيَّةُ لَا تَكُونُ بِدُونِ الْمَاهِيَّةِ لِأَنَّ الْمِثْلِينَ هُمَا الْمُتَشَارِكَانِ فِي الْمَاهِيَّةِ
وَلَوْ أَوَازِمَهَا وَحَيْثُ أَنَّ الْوَاجِبَ تَعَالَى قَدْ ثَبَّتَ بِسَاطَتِهِ وَأَنَّهُ لَا مَاهِيَّةَ لَهُ فَلَا لَازِمَ لَهَا
فَهُوَ لَيْسَ مِثْلَ الشَّيْءِ وَلَا الشَّيْءُ مِثْلُهُ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ
شَيْءٌ﴾

وَقَاتِبِيهَا: أَنَّهُ تَعَالَى حَقِيقَةُ الْوُجُودِ وَقَدْ ثَبَّتَ فِي الْفَلَسَفَةِ أَنَّ الْوُجُودَ لَيْسَ
بِجَوْهَرٍ وَلَا غَرَضٍ لِضِدِّهِ وَلَا مِثْلَ لَهُ وَلَيْسَ جُزْءَ الشَّيْءِ وَكَذَلِكَ الْجُزْءُ لَهُ قَالَ

السبزواری فی منظومته.

ليس الوجود جوهرًا ولا عَرَضٌ عند اعتبار ذاته بل بالعَرَضِ
لاشياء ضِدّه ولا مآثله وليس جزءاً وكذا لاجزاء له
واذ ثبت انه اى صرف الوجود وحقيقته مُنزّه عن المِثلية والواجب تعالى
ليس الا حقيقة الوجود فثبت انه لا مثل له واذا ثبت انه لا مثل له فبأى شيء
يُشَبِّهه المُشَبَّه في تشبيهه.

وثالثها: ان تشبيهه من الأشياء لا يخلو اما ان يكون المُشَبَّه به واجباً ايضاً
او يكون ممكناً لاسبيل الى الاوّل للزومه تعدد الواجب الذي هو محال، لاسبيل
الى الثانی ايضاً لانه يلزم ان يكون الواجب مُمكناً او المُمكن واجباً والأ
لا تتحقق المِثلية وبعبارة اخرى الفروض ثلاثة.

احدها - ان يصير الواجب ممكناً وثانيها - ان يصير الممكن واجباً، وثالثها -
ان يكون الواجب بحاله والممكن ايضاً كذلك فعلى الاوّل والثانى يلزم
الأقلاب في الماهية وقد ثبت انه محال وعلى الثالث يلزم كون الواجب
والممكن مثليين وهو كما ترى فالتشبيه محال وهو المطلوب.

ورابعها: ان الموجود إما قديمٌ وإما حادثٌ ولا ثالث لهما، ففي صورة التشبيه
اعنى تشبيه الواجب بشيء او بالعكس لامحالة يكون غير الواجب حادثاً، لأن
غير الواجب لا يكون الا حادثاً وعليه يلزم ان يكون الحادث مثل القديم وهو
محال وخامسها - انه تعالى علةٌ وما سواه معلول فتشبيهه بالغير او تشبيه الغير
به يستدعي ان تكون العلة مثل المعلول شبيهةً به والمفروض، ان المعلول
رَشْحٌ من رَشْحَاتِ العِلَّةِ والعِلَّةُ متقدمة عليه طبعاً فكيف يتصور ان يكونا
مثليين.

وقد ظهر مما ذكرنا ان التشبيه في باب اثبات الصانع امرٌ مستحيل شرعاً
وعقلاً وهو لا يناسب التوحيد الحقيقي الذي مرّ معناه مراراً بما لا مزيد عليه.
وقد روى في البحار عن هشام ابن ابراهيم العباسي قال قلت له يعنى ابا

الحسن عليه السلام جعلت فداك أمرني بعض مواليك ان أسئلك عن مسألة قال ومن هو؟ قلت: الحسن ابن سهل قال وفي اي شئ المسئلة قال قلت في التوحيد قال عليه السلام واي شئ من التوحيد؟ قال يسئلك عن الله جسم اولاً جسم فقال لي ان للتوحيد (في التوحيد) ثلاثة مذاهب، اثبات تشبيه، ومذهب النفي ومذهب اثبات بلا تشبيه، فمذهب الاثبات بتشبيه لا يجوز ومذهب النفي لا يجوز والطريق في المذهب الثالث اثبات بلا تشبيه. ص ٩٤.

اقول: هذه الرواية ونظائرها تدلنا الى ان الله تعالى له صفات تنزيهية وصفات تشبيهية.

اما التنزيهية فهي التي لا توجد في ما سواه كالقدوسية بمعنى ان لامهية له تعالى وبعبارة اخرى: كونه بسيطاً واقعاً بناء على ما اتفق عليه الكل من الفلاسفة والعرفاء من ان ما سواه ممكن وكل ممكن زوج تركيبى له ماهية ووجود واذا ثبت كونه تعالى بلامهية فقد ثبت ايضاً عدم التركيب وعدم كونه جسماً وعدم كونه في مكان وعدم كونه مرئياً اوفى محل وامثال ذلك فان هذه الامور كلها يجمعها كونه تعالى بسيطاً بمعنى ان لامهية له فانها من لوازم المهية ولو احققها. واما الصفات التشبيهية - فهي التي توجد في ما سواه بحسب الظاهر الا ان المعنى منها فيه تعالى غيره في ما سواه وذلك ككونه تعالى سمياً بصيراً متكلماً وامثال ذلك.

فكون الانسان مثلاً سمياً بصيراً متكلماً معناه انه يسمع بالآلة ويُبصر ويتكلم بالآلة ايضاً وليس كذلك في حقه تعالى فان المراد بكونه سمياً بصيراً كونه عالماً بالمسموعات والمبصرات وكونه متكلماً معناه انه يوجد الحروف. وامثال ذلك وهذا التشبيه الظاهري فيها من حيث اطلاق الفاظها عليه تعالى وعلى ما سواه صار سبباً للأشتباه والخلط والقول بالتشبيه نعوذ بالله منه ولم يعلموا ان اطلاق اللفظ عليه تعالى لا يوجب وحدة المعنى كما يقال انه تعالى موجود ويقال السماء والأرض والانسان وغيرها ايضاً موجوداً. فاطلاق

الموجود عليه وعلى غيره لا يوجب ان يكون المعنى منه فيهما واحد فان
الموجود فيه تعالى معناه كونه قائماً بذاته وفي غيره معناه انه قائم بغيره وكم
فرق بين المَوْجُود القائم بالذات والمَوْجُود القائم بالغير والى هاتين الصفتين
اعنى التَّنْزِيهِيَّةَ والتَّشْبِيهِيَّةَ اشار في كتابه الكريم: حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١)

و: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ اشارة الى الصفات التَّنْزِيهِيَّةَ اى انه تعالى مُنَزَّهٌ عن
المِثْلِ وقوله وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ اشارة الى الصفات التَّشْبِيهِيَّةَ حيث انه تعالى
اتَّصَفَ بكونه سَمِيعاً بَصِيراً كما ان الانسان ايضاً كذلك الا ان منع السَّمْعِ
والبَصَرِ فيه غيره فى غيره، فالتَّشْبِيهِ يستلزم التَّحْدِيدَ والتَّعْرِيفَ، والتَّنْزِيهِ
يستلزم التَّسْدِيدَ والتَّقْيِيدَ والقَوْلُ الحَقُّ هو الفصل بين القولين وهذا معنى
الحديث الذى نقلناه.

والى هذا المعنى اشار عليه السلام فى الخُطْبَةِ التى رواها فى الكافى وهى طويلة الى
ان قال عليه السلام فَلَيْسَ اللهُ مَنْ عُرِفَ بِالتَّشْبِيهِ ذَاتَهُ وَلَا آيَاهُ وَحَدٌّ مِنْ اِكْتَنَهَهُ وَلَا حَقِيقَتَهُ
اَصَابَ مِنْ مَثَلِهِ وَلَا صَدَقَ مِنْ نِهَائِهِ وَصَمَدَهُ مِنْ اِشَارِئِهِ وَلَا آيَاهُ عَنِى مِنْ شَبَّهَهُ
الى آخر الخُطْبَةِ والى هذا المعنى ايضاً يشير قوله عليه السلام فى الدَّعَاءِ يَا لَإِلَهِهِ اَلْاَنْتَ،
فانَّه من قَبِيلِ التَّشْبِيهِ بعد التَّنْزِيهِ اذ هو تعالى خارج عن الحَدِّينَ حَدَّ التَّنْزِيهِ
وَحَدَّ التَّشْبِيهِ وكان التَّوْحِيدَ الحَقِيقِيَّ هو معرفة المَنْزَلَةِ بين المَنْزَلَتَيْنِ والاقتصاد
وَحَدَّ التَّشْبِيهِ وكان التَّوْحِيدَ الحَقِيقِيَّ هو معرفة المَنْزَلَةِ بين المَنْزَلَتَيْنِ والاقتصاد
فى العَمَلِ تحصيل الحَسَنَةِ بين السَّيِّئَتَيْنِ وهى اَدَقُّ من الشَّعْرِ وَاَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ
والى هذه الدَّقَّةَ اشار بعض العارفين حيث قال عَرَفْتُ اللهُ بِجَمْعِهِ بَيْنِ الاَضْدَادِ
وَلَيْعَمَ مَا قَالَ الشَّاعِرُ العَارِفُ فى هذا المعنى:

فَإِنْ قُلْتَ بِالتَّنْزِيهِ كُنْتَ مُقَيِّدًا وَإِنْ قُلْتَ بِالتَّشْبِيهِ كُنْتَ مُحَدِّدًا
وَإِنْ قُلْتَ الْأَمْرَيْنِ كُنْتَ مُسَدِّدًا وَكُنْتَ اِمَامًا فى المَعَارِفِ سَيِّدًا

فَايَاكَ وَالتَّشْبِيهِ ان كُنْتَ ثَابِتًا وَايَاكَ وَالتَّنْزِيهِ ان كُنْتَ مُفْرَدًا
وَلْأَجْلِ كَوْنِ التَّشْبِيهِ خَارِجًا عَنِ حُدُودِ الاعتدالِ مَنَافِيًا لِلتَّوْحِيدِ عَطْفَ قَوْلِهِ
ﷺ: وَالْجَاهِدُونَ لَهُ، فَإِنَّ الْجِدَّ فِي اللُّغَةِ الْإِنْكَارُ وَمَقْتَضَى عَطْفِ الْجَاهِدِ لَهُ
تَعَالَى عَلَى الْمُشَبَّهِ هَوَانُ الْمُشَبَّهِينَ كَالْجَاهِدِينَ كَمَا أَنَّ الْجَاهِدِينَ كَالْمُشَبَّهِينَ
إِذَا لَفِرَقَ فِي الْوَاقِعِ وَنَفْسَ الْأَمْرِ بَيْنَ كَوْنِ الْإِنْسَانِ مُنْكَرًا لَهُ تَعَالَى رَأْسًا وَبَيْنَ
كَوْنِهِ مُشَبَّهًا بِهِ أَوْ لَهُ لِكَوْنِ الْمَالِ فِيهَا وَاحِدًا فَإِنَّ الْإِلَهَ الْمُشَبَّهَ بِالْخَلْقِ لَيْسَ بِالْإِلَهَ
حَقِيقَةً وَأَمَّا هُوَ الْإِلَهَ عَلَى زَعْمِ الْفَاسِدِ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ.

فَإِذَا كَانَ هَكَذَا فَلَمَّا نَزَّهَهُ الدَّاعِي صَارَ الْمَقَامَ مَقَامَ نَفْيِ التَّقْيِيدِ وَاثْبَاتِ
الْأَحَاطَةِ لِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَنُورِيَّتِهِ فَيَقُولُ لَمْ تَحْتَجِرْ فِيهِ وَلَا مَفْزَعًا إِلَيْهِ وَلَا مُطْمَئِنًّا بِهِ
وَلَا مُوَلَعًا عَلَيْهِ الْهِيَ لِإِلَهِ الْأَنْتِ الْغُوثُ الْغُوثُ خَلُّصْنَا مِنَ النَّارِ يَا رَبِّ وَنَحْنُ
نَقُولُ الْهِنَا وَسَيِّدِنَا مَا عَرَفْنَاكَ حَقًّا مَعْرِفَتِكَ الْهِيَ أَنْتَ كَمَا أَتَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ وَأَنَا
عَبْدُكَ الذَّلِيلُ الْحَقِيرُ الْمِسْكِينُ الْمُسْتَكِينُ أَرْجُو عَفْوَكَ فِي الْآخِرَةِ وَلَذَّةَ
مَنَاجَاتِكَ فِي الدُّنْيَا، الْهِيَ: لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَدًا وَأَحْفَظْنِي عَنِ كُلِّ
شَيْطَانٍ مَارِدٍ وَفِئْتِي لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى وَأَقْبَلِ الْيَسِيرَ مِنْ أَعْمَالِنَا يَا جَوَادَ يَا
كَرِيمَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيِّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالْإِثْمَةَ الْمُعْصُومِينَ مِنْ
ذُرِّيَةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَا بَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالْعَنَ اِعْدَائِهِمْ وَمُخَالَفِيهِمْ وَلَا
سَيِّمًا مِنْ أَسَسِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْآنَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

﴿ وَمِنْ كَلَامِ لَهُ ﴾ (٥٠)

□ قوله ﷺ: إِنَّمَا بَدَأُ وَقُوعَ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامُ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رَجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مَزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخَفْ عَلَى الْمُتَرَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبَسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَسْنُ الْمُعَانِدِينَ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِعْثٌ وَمِنْ هَذَا إِضْغَتْ فَيَمَزْجَانِ، فَهُنَالِكَ يَسْتَوِلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى.

◀ اللّغة

(الْبَدَأُ) بفتح الباء وسكون الدال والهمزة بمعنى الاوّل والابتداء. (أَهْوَاءُ) جمع هوى. (تُتَّبَعُ) الاتّباع الأقتفاء. (تُبْتَدَعُ) من البِدعة وهى ادخال ما ليس من الدّين فى الدّين. (الْمُتَرَادِينَ) الأرتياد الشك. (ضِعْثٌ) قالوا فى معناه انه قَبْضَةٌ حَشِيشٌ مُخْتَلِطَةٌ الرّطْبِ بِالْيَابِسِ. (فَيَمَزْجَانِ) المَزْج الحَلْط. (يَسْتَوِلِي) الأستيلاء الغلبة والباقي ظاهر.

◀ المعنى

إِنَّمَا بَدَأُ وَقُوعَ الْفِتَنِ الى قوله تُبْتَدَعُ، فيه اشارة الى ان الفتن، والحوادث الواقعة فى الدّين مَنشأها متابعة الأهواء وادخال ما ليس من الدّين فى الدّين

المخالف لكتاب الله. (وَيَتَوَلَّى) اى يُتَّبِع (عَلَيْهَا) اى على الفتن (رِجَالٌ رَّجَالًا) آخر. (عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ) اذ لو كانت المتابعة فى الدين لاشكال فيها. (فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ)، اعنى ما ليس بحقٍ (خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ) بان لا يبقى الا الباطل. (لَمْ يَخَفْ عَلَى الْمُزْتَادِينَ)، الشاكين الطالبين بل لا يبقى شك فيه اصلاً كما (أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ) وَزِيهِ. (انْقَطَعَتْ عَنْهُ) اى عن الحق. (السُّنُّ الْمُعَانِدِينَ)، ولكن يُوْجَد من هذا اى من الحق مثلاً قبضة ومن الباطل كذلك. (فَيَمِزْجَانِ) اعنى الحق والباطل، فَهَذَا اى عند الأمتزاج (يَسْتَوْلَى) وَيَغْلِبُ (الشَّيْطَانَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ) وَيُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ (وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى) وهم قليلون.

◀ الشرح

□ قوله ﷺ: إِنَّمَا بَدَأُ وَقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامُ تُبَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ...

اشار ﷺ بهذا الكلام الى كيفية وقوع الفتن وقد ذكر ﷺ ان وقوعها ووجودها بسبب امرين لولا هما لاتوجد الفتنة.
احدهما: متابعة الأهواء.

وثانيهما: التصرف فى الدين بجعل الاحكام المبتدعة المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ولا يخفى ان الثانى ايضاً يرجع الى الاول اعنى متابعة الهوى فان البدعة فى الدين منشأها متابعة الهوى لا غير وعليه فلا يبعد ان يكون العطف تفسيرياً توضيحياً فتأمل.

وعلى اى تقدير لاخلاف عقلاً فى ان منشأ الانحرافات العقلية والشرعية انما هو متابعة الهوى من حب الدنيا وحب المقام والرئاسة وامثالهما مما يرجع بالآخرة الى حب الدنيا كما قال ﷺ: حَبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ.

والهوى عبارة عن الأميال النفسانية والغرائز الحيوانية والأغراض الدنيوية الشيطانية التى تكون مودعة فى كل انسان فى اصل الخلقة الا ان بعض الافراد

يَتَّبِعُ الْهَوَىٰ وَبَعْضٌ آخِرَ لَيْسَ كَذَلِكَ.

فكُلُّ إِنسَانٍ لَّيْخَلُوعًا عَنِ الْهَوَىٰ بِحَسَبِ جَبَلَّتْهُ وَفَطَرْتَهُ وَلَوْلَا مَنَعَهُ مَانِعٌ عَنِ مَتَابَعَةِ الْهَوَىٰ لَكَانَتْ مَتَابَعَتُهُ لَهَا مَطَابَقَةً لِأَصْلِ خَلْقَتِهِ وَلَمَّا كَانَ كَذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَدْيَانَ وَالشَّرَائِعَ وَالْأَحْكَامَ وَبَلَّغَهَا إِلَيْنَا بِوَسْطَةِ الْأَنْبِيَاءِ أَتْمَامًا لِلْحُجَّةِ حَتَّى تَكُونَ الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ وَالْمَقْرَّرَاتُ الْإِلَهِيَّةُ مَانِعَةً عَنِ هَذِهِ الْمَتَابَعَةِ الرَّدِيَّةِ إِذْ لَوْلَا أَنْزَالُ الْكُتُبِ وَبَعَثُ الرَّسُلِ لَمَا تَمَّتِ الْحُجَّةُ وَقَبِحَ الْعِقَابُ بِإِلْيَانِ مِمَّا هُوَ مُسَلَّمٌ عِنْدَ الْعَقْلِ وَتَوْضِيحُ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ هُوَ أَنَّ نَقُولَ لِأَشْكَ أَنْ الْإِنْسَانَ لَهُ جَنْبَتَانِ جَنْبَةُ مُلْكِيَّةٍ وَآخَرَى مَلَكُوتِيَّةٍ وَإِنْ شئتَ قُلْتَ أَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْبَدَنِ وَالرُّوحِ فَهُوَ مِنْ جِهَةِ جَسَدِهِ وَبَدَنِهِ يَشَارِكُ الْحَيَوَانَ وَمِنْ جِهَةِ رُوحِهِ وَنَفْسِهِ يُشَابِهُ الْمَلِكَ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ قُوَى وَطِبَائِعٌ وَلَا كَلَامَ لَنَا فِعَالًا فِي قُوَى الرُّوحِ وَمَا يَنَاسِبُهُ فَإِنَّ لِلْبَحْثِ فِيهِ مَقَامًا آخَرَ وَالَّذِي لَا يَبْدُ لَنَا مِنَ الْأَشَارَةِ إِلَيْهِ هُوَ أَنَّ الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةَ مِنْ جِهَةِ كَوْنِهَا مُوَافِقًا لِلغَرِيزَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ أَسْبَقَ وَأَقْدَمَ لِلْإِطَاعَةِ وَالْأَنْقِيَادِ مِمَّا يَقْتَضِيهِ الرُّوحُ وَالْعَقْلُ وَالنَّفْسُ أَوْ مَا شئتَ فَسَمِّهِ وَالسَّرْفِ فِيهِ هُوَ أَنَّ الْعَقْلَ الَّذِي مِنْ قُوَى الرُّوحِ وَعَلَى مَسَلِكِنَا هُوَ عَيْنُهُ وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْإِعْتِبَارِ دَائِمًا يَحْكُمُ عَلَى خِلَافِ الْغَرِيزَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ فَالْعَمَلُ عَلَى طَبَقِ الْغَرِيزَةِ عَمَلٌ بِمَقْتَضَى الطَّبَعِ وَأَمَّا الْعَمَلُ بِمَقْتَضَى الْعَقْلِ فَهُوَ عَمَلٌ عَلَى خِلَافِ الطَّبَعِ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْأَفْعَالَ الطَّبِيعِيَّةَ تَتَقَدَّمُ عَلَى غَيْرِهَا الْمَسْمُومِ بِالْأَعْمَالِ الْقَسْرِيَّةِ، الْإِتْرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ إِلَى مَا يَقْتَضِيهِ طَبَعُهُ أَمِيلٌ مِمَّا يَقْتَضِيهِ عَقْلُهُ وَدِينُهُ وَأَجَلَ ذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُقَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ. إِذْ عَرَفْتَ هَذَا فَقَدْ دَرَيْتَ أَنَّ مَتَابَعَةَ الْهَوَىٰ مِنَ الْإِنْسَانِ بِمَقْتَضَى طَبَعِهِ وَغَرِيزَتِهِ وَمَتَابَعَةَ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ بِمَقْتَضَى رُوحِهِ الْمَلَكُوتِيَّةِ فَلَوْ لَمْ يَمْنَعَهُ مَانِعٌ عَنِ مَتَابَعَةِ الْهَوَىٰ فَهُوَ لِأَمْحَالَةٍ بِحَكْمِ طَبِيعَتِهِ الْبَشَرِيَّةِ الْحَيَوَانِيَّةِ كَانَ مُطِيعًا لَهَا وَالْمَانِعُ عَنِ اتِّبَاعِ الْهَوَىٰ هُوَ الدِّينُ لِأُغْيَرِهِ.

ثُمَّ أَنَّ الْفِتْنَ جَمْعُ فِتْنَةٍ وَهِيَ الْأَخْتِبَارُ وَالْأَمْتِحَانُ هَكَذَا قَالُوا فِي شَرْحِ الْعِبَارَةِ

ولعلّه لما رَأَوْا استعمال الفتنه غير مرّة في الأختبار قال الله تعالى: ﴿الْمَ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(١) و: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾^(٢)

و: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾^(٣)

و: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ، وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾^(٤) وامثال ذلك من الآيات

إلا أنّ استعمال الفتنه في امثال هذه الآيات في الأختبار والأمتحان لا يدلّ على انحصار معناها فيه كلّما استعملت في العبارات اذ جاءت بمعاني اخر ايضا بحسب موارد الاستعمالات.

فمنها - العذاب وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾^(٥) اي عذابكم.

ومنها - استعمالها في ما يحصل عنه العذاب كقوله تعالى: ﴿الْأَفِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾.

ومنها - الشدة وعليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾

و: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾^(٦)

و: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾^(٧) وغيرها من المعاني المراد منها

لدى الاستعمالات فلا بدّ من ملاحظة المناسبات عند استعمالها.

فقوله بَلَّغْنَا: في المقام أنّما بدءٌ وَقُوعِ الْفِتْنِ، ينبغي ان يحمل على غير ما

ذكروه اذ لا معنى في المقام للأختبار والأمتحان وحمل اللفظ عليه الأعلى وجه

بعيد عن الأذهان والمعنى المناسب لللفظ هو الثانی ممّا ذكرناه، اي ما يحصل

عنه العذاب ويكون سبباً له او الثالث اعنى الشدة والبليّة والثاني أولى بالنظر

الى الواقع.

اذا علمت هذه ففي كلامه بَلَّغْنَا اشارة بل دلالة على ان العلة والسبب في

٢- الانعام- ٥٣

٤- طه- ٤٠

٦- البقرة- ١١٩

١- العنكبوت- ١/٢٣/١

٣- الدخان- ١٧

٥- الذاريات- ١٤

٧- البقرة- ١٩٣

وقوع الفتنة هي متابعة الهوى فان الفتنة هي الانحراف عن الصراط السوي وهو لا يحصل الا بالأعراض عن حكم العقل والشرع ومتابعة الهوى والشيطان فان الانسان اذا كان مُطيعاً للهوى فهو لامحالة غير مطيع للعقل وبالعكس بالعكس فمتابعة الهوى توجب البدعة في الدين وهي تخالف كتاب الله دائماً فان البدعة ادخال ما ليس من الدين في الدين ومعلوم ان ما ليس من الدين لا يوافق الكتاب والسنة ومن هنا اي من قوله ﷺ: أَحْكَامُ تُبْتَدَعُ الخ يظهر ان المراد بالفتن المبحوثة عنها ليس مطلق الفتن بل المراد الفتن الواقعة في الدين وقد بسطنا الكلام في البدع الواقعة في صدر الإسلام بما لا مزيد عليه في المجلد الاوّل من هذا الكتاب وان كان ما لم نذكره اكثر ممّا ذكرناه كما لا يخفى على ما مارس خلال هذه الديار.

□ قوله ﷺ: وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِّجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ، ...

وفيه اشارة الى ان اجزاء المقاصد الكثيفة والبدع المضلة المفسدة لا يمكن الا بمعاونة رجال من اولياء الشيطان فان المبتدع لا يقدر على اجراء نيّاته ومقاصده ما لم يكن له معين وناصر عليه، فالمعنى ان الحاكم الجائر المبتدع او غيره يستمد في اجراء المنكرات من امثاله ونظائره من اتباع الشيطان وهذا من الاصول المسلمة التي يتنى عليها الفرع في كل عهد وزمان. فاذا امعنت النظر في التواريخ ترى الأمر كذلك كما في خلافة ابي بكر وعمر وعثمان ومعاوية الى آخر بني العباس بل الى زماننا هذا والى ظهور دولة الحقّة الالهية فهذه سيرة مستمرة من يوم غضب الخلافة الى يوم الوقت المعلوم والسرف فيه ظاهر. وقد اشار اليه ﷺ: في كلامه الى ان امثال مغيرة ابن شعبه ووليد ابن عتبة وابن ابي السرح وعبدالله ابن عامر وزياد ابن ابيه وعبيد الله ابن زياد وحجاج ابن يوسف وامثالهم في كل عصر وزمان ليست لهم موقعية ولياقة للولاية على الناس لانهم في كل عصر يعدّون من الأراذل والأرجاس الا ان الخلافة والحكومة اذا وقعت بايدي المبتدعين الظالمين وصارت ملعبة لهم فلا جرم

تصل الولاية لأمثال هؤلاء الأخيـﺎث فإن معاوية ابن ابى سفيان اذا اراد قتل الأخيار والصلحاء من الأمة وسب على ابن ابى طالب والحكم على خلاف ما انزل الله فمن يجرى حكمه ويُنفذ أمره إلا امثال عمرو ابن العاص وزياد ابن ابىه ومروان ابن الحكم مثلاً وهكذا ابنه اللعين يزيد ابن معاوية اذا اراد قتل الحسين عليه السلام واصحابه وانصاره فى يوم واحد واسارة اهل بيته وسيرهم فى البلاد فمن يفعل هذا غير عبيدالله ابن زياد دعى ابن الدعى وعبد الملك ابن مروان اذا اراد هدم الكعبة وقتل ابن الزبير وكثير من اصحاب الرسول وهكذا قتل ثمانين الف انسان من اهل الكوفة وتوابعها كل ذلك لتشييد اركان خلافته وسلطنته فمن يقدر على هذا التجرى وسفك الدماء غير الحجاج لعنة الله عليه وعلى من ولاءه وهكذا الامر بالنسبة الى الخلفاء قبلهم وبعدهم فان اوامر الشيطان المجسم لا يُنفذها الا من كان مثله فى الرذالة والخبائثة ومانراه فى زماننا هذا يغنيا عن المراجعة الى ما مضى لاثبات المدعى ولذلك ترى المعروف منكراً والمنكر معروفاً بل الامر بالمنكر لديهم يكون محبوباً مقرباً والامر بالمعروف مطروداً مسجوناً.

□ قوله عليه السلام: فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخَفْ عَلَى الْمُؤْتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبَسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ السُّنُّ الْمُعَانِدِينَ....

وحاصل المعنى هوان هؤلاء الظلمة المبتدعة خلطوا الحق بالباطل والباطل بالحق ليشتبهوا الامر على الناس لعلمهم بان المسلمين لا يتبعون الباطل المحض ولا يقدرّون على التمييز بينهما لقلّة ادراكاتهم اذ ليس لاكثر الناس ايمان موثق ولا عقل مسدّد فكل ما يرونه فى لباس الحق يأخذون به وان كان باطلاً فى الواقع ونفس الامر وتوضيحه ان الناس لا يخلوا حالهم اما ان يكونوا عارفين بالحق واصليين اليه واما ان لا يكونوا كذلك وعلى الثانى اما ان يكونوا طالبين له اولاً، فالناس بالنسبة الى الحق على ثلاثة اصناف:

العارفين به الواصليين اليه، الطالبين للحق غير عارفين ولا واصليين اليه ولا

عارفين ولا واصلين ولا طالبين.

أما القسم الأول: فهو في مندوحة من ذلك فإن الانسان اذا كان عارفاً بالأحكام مُنَوَّر القلب بالايمان فلا تُضَرُّهُ البِدْعُ المُحدَثة والاحكام المَجعولة المخترعة الشَّيطَانِيَّة لِأَنَّ الوَاقِعَ عنده منكشف لا التباس فيه وهذا كما نرى من عمّار ابن ياسر ومقداد وابدذر الغفارى وامثالهم من المؤمنين فى صدر الاسلام حيث انهم لم يضطربوا ولم يترزّلوا بما رأوه من الاحكام المُبتدعة والاهواء المُتَّبعة فإنّ المؤمن كالجبل الراسخ لا تُحرّكه العواصف.

الا ترى ان ابادر الغفارى بعد ما لم يتبع عثماناً نفاه الى الشام ثم الى الرَبْدَة حتى مات، وهكذا عمّار ابن ياسر ضرب حتى فُتق وعمرو ابن الحمق وحجر ابن عدى وميثم التمار وكميل ابن زياد النخعى ورشيد الهجرى، وامثالهم فى حكومات الشياطين قتلوا ونهبوا وقلوا لاجل عدم متابعتهم الخلفاء والحكام وليس هذا اعنى عدم المتابعة إلا لاجل بصيرتهم فى دينهم وعرفانهم بالمبدء والمعاد فهؤلاء العرفاء ومن يحدو حدوهم فى كل زمان لا تضرب دينهم الحوادث الواقعة لانها لا تنقلب الواقع عما هو عليه وهو عليهم غير خفي ولا ملتبس.

وأما القسم الثانى: اعنى من يكون طالباً للحق غير عارف به فهو مَحَطَّ النَّظَرِ فى هذا المضمار لكونه على خطرٍ عظيم حيث انه لا يعرف الحق لضعف ايمانه وقلة ادراكه فهو لا يتجاوز عن ظاهر الامر وهو مع ذلك يطلب الواقع فكل ما يراه فى ظاهر الامر مؤسوماً بالدين مُتلبساً بلباس الشريعة يأخذه من غير ان يقدر على تشخيص الموضوع والصحة والسقم فيه.

وأما القسم الثالث: اعنى من لا يعرف الحق ولا يطلبه لانه ليس من اهله فهو خارج عن مورد البحث فعلاً الا انه ايضاً على خطر عظيم وسيأتى الكلام فيه مفصلاً اذا عرفت هذا فنقول:

كما ان الافراد من جهة متابعة الحق وعدمها على ثلاثة اقسام فكذلك

يمكن لنا تقسيم الأحكام والقوانين المتداولة بين الناس في كل زمان على ثلاثة اقسام: حق محض - باطل محض - مختلط منهما.

أما الحق المحض - والخالص الذي لا يشوبه الباطل فكالأحكام. والأعمال الصادرة عن النبي والوصي ومن يتبعهما في حكوماتهم فإنها ليس إلا حقاً لبرائة المعصوم عن الخطاء في الأقوال والأفعال وهذا هو الذي يجب على كل انسان متابعته لأن الحق بهذا المعنى متكفل لسعادة الدارين وضامن لحفظ النشأتين ففي هذه الحكومة لو وجدت لافضل لعرب على عجم ولا لأبيض على أسود ولا لغني على فقير وهكذا ألا بالتقوى.

كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾^(١) وهذا هو الغاية القصوى من الحكومة على الناس بالنظر الى العقل والشرع لا الأكل والشرب والتعيش وأعمال الشهوة والغضب وبالجملة متابعة الهوى ولذلك حكمنا في ما مضى طبقاً لما قاله صاحب الشريعة والعقل ان الحكومة على الناس لا تصلح إلا للنبي او الوصي او من كان مأذوناً مجازاً من قبلهما واما غير هذه الحكومة فهو حكومة الشيطان كما لا يخفى على من له أنس بالشرع والعقل.

فكل ما يحكم به في هذه الحكومة حق بلا كلام وهذا هو الذي اشار عليه
□ اما بقوله عليه السلام: **وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ...**

وأما الباطل المحض - فهو ايضا مما لا كلام فيه فان الناس منه في راحة من حيث علمهم ببطلانه وبعبارة أخرى، لا يرتاب احد في بطلانه، فيعلم تكليفه فيه وهذا كالحكومات الباطلة المحضة من دول الكفر والشرك فكل ما يحكم به في حكوماتهم لا يشك احد في بطلانه وعدم جواز متابعتها لو امكن له والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله **فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخَفْ عَلَى الْمُرْتَادِينَ...**

فان قلت - كيف قال هذا والمفروض ان الباطل خَلَصَ من مزاج الحق ولم يَبَقَ من الحق الا اسمه فهو مُخْفَى على الطالب حق الخفاء.

قلت - نعم ولكن الباطل حيث خَلَصَ من مزاج الحق فالطالب للحق يأخذ بضدّه لان الأشياء تُعرَف بأضدادها. وبعبارة اخرى: الشئ اما حق او باطل فاذا لم يكن حقاً كما هو المفروض فلامحالة باطل وبالعكس بالعكس لعدم خلوا لواقع منهما وحيث ان المفروض ظهور الباطل فضدّه حق وهو المطلوب.

واما الثالث : اعنى المَعجُون المركّب منهما فهو الدّاهية العظمى والبليّة الكبرى التي تَصَفّر منها الأنامل وترتعش فيها القلوب فهو البحر العميق الذي غَرَق فيه خلق كثير الا من كان ماهراً في السّباحة وهو قليل واليه اشار عليه السلام بقوله: **وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِعْثٌ وَمِنْ هَذَا ضِعْثٌ فَيَمَزْجَانِ** الى آخر الخطبة وهذا لاختصاص له بالحكومات كما توهم بل يشمل كل من كان او يكون هادياً للقوم رئيساً لهم سواء كان من الحكّام او العلماء او غيرهما. فانّ التّقسيمات الجارية فيما مضى جارية في الكل وحيث ان البحث من اهمّ المباحث الدّينية والاجتماعية فلا بأس بصرف عنان الكلام اليه ليتّضح المقال ولما ثبت وتحقّق ان الحق بعد ظهور الاسلام انحصر فيه ولا يوجد في غيره من الأديان من جهة لزوم الاتّباع لقوله تعالى: **﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾** ⁽¹⁾ فلا محالة يدور البحث في الحق والباطل مدار الحكومات التي وُجدت في الاسلام، او العلماء الذين وُجد وفيه اذ لا كلام لنا في غير المسلمين فنقول وبه نستعين.

اعلم انه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله غلبت على اكثر الناس شِقْوَتُهُمْ فاتّبعوا اهوائهم وأميالهم ونَبَذوا القرآنَ والاحكامَ وراءَ ظهورهم فقالوا وفعلوا في الدين بما رأوا فيه مصلحةً لدنياهم وتشييداً لأركان خلافتهم وترويجاً وتكميلاً لمقاصدهم من غير خوفٍ ولا رُعبٍ من الله ورسوله لعدم كونهم على يقينٍ مما اتى به محمّد صلى الله عليه وآله ففسّروا القرآنَ بأرائهم وأفتوا في الأحكام على طبق مصالحهم

ومقاصدهم فصار الدين الحنيف مَلْعَبَةً بأيدي الجهّال والشّرْع المنيف
مَضْحَكَةً فِي السُّننِ الفَسَاقِ الفَجَّارِ فانتشروا في الإسلام آراء وعقائد سخيفة
باطلة، وأدخلوا في الأحكام آفاتاً رديئة مطرودة فالبسوا لباس العلماء على
الجهّال وفوّضوا مقاماتهم الي من لم يكن منهم علم بحقيقة الحال وصدق
المقال وبصيرة بالأحكام والآيات والآثار ونحن نشير إلى شمة من هذه السيرة
الردية.

فاؤل وهن وقع في الاسلام بل هو أصل الأشتباهات وامّ الخبائث
والجنايات الي ظهور دولة الحقّة الالهية هو اجتماع الأراذل في السقيفة
المعلّونة المطرودة التي لم يوجد في العالم مكان أخبث وأشأم منها، ولا أوسع
دائرة وأكثر سريانا في اعماق قلوب اولياء الشيطان من سعة دائرتها وكثرة
سريانها كيف لا وهي التي بها سدّت ابواب البركات والخيرات وفتحت ابواب
النكبات والسّيئات في كلّ الأجماعات والآفات ضرورة أنّها لو لم توجد
لصارت الخلافة الي محلّها الأصلي ودارت على رحاها الطبيعي.

فاؤل من خرج من محلّ اجتماع شياطين الأنس هو ابوبكر ابن ابي قحافة،
ثمّ بعده عمر، ثمّ بعده عثمان، ثمّ بعده معاوية وابنه يزيد ثمّ وصلت النوبة الي
اولاد العباس لعنهم الله وهكذا استمرّ الامر الي زماننا هذا ونحن تكلمنا في
المجلد الاوّل عند شرحنا الخطبة الشقشقية في حالات الخلفاء الثلاثة وبدعهم
وافعالهم واعمالهم وسيرتهم بما لامزيد عليه.

ثمّ زيد في الطنبور نعمة اخرى وهي خلافة معاوية ابن ابي سفيان طليق ابن
الطليق الملعون هو وابوه على لسان رسول الله ﷺ كما مرّ شطراً من حالاته،
فمن سلط هذا الفاسق اللعين على المسلمين غير السقيفة ألم يكن ابوبكر ولي
على الشام يزيد ابن ابي سفيان ثمّ بعد موته عمر ابن الخطاب ولأه معاوية، ثمّ
بعد موت عمر أمره عليها عثمان ابن عفان، ثمّ لما وصلت النوبة الي عليّ لم

يقدر على عزله وطرده عن الشَّام فَوَقَعَ بَيْنَهُمَا مِنَ المَحَارِبَاتِ مَا وَقَعَ وَقُتِلَ
مِنْ قُتْلٍ، ثُمَّ بَعْدَ شَهَادَةِ عَلِيٍّ اسْتَوْلَى عَلَى الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ فَأَمَرَ بِسَبِّ عَلِيٍّ عليه السلام
عَلَى رُؤْسِ الْأَشْهَادِ وَقَتْلَ مَنْ خِيَارِ الصَّحَابَةِ مَا لَا يَحْصِي عَدَدَهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَ...
ثُمَّ وَلِيَ ابْنَهُ يَزِيدَ الْخَمَّارَ السَّكِرَانَيسَ الْقَرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ الَّذِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ
عَلَى بَيَانِ أَوْصَافِهِ الرَّذِيلَةِ وَأَفْعَالِهِ الْخَبِيثَةِ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ جُنَايَةُ الْقَتْلِ الْحَسِينِ
عليه السلام وَأَصْحَابِهِ لَكَفَى.

ثُمَّ بَعْدَ بَنِي أُمَّيَّةٍ وَصَلَتْ النَّوْبَةُ إِلَى أَوْلَادِ الْحَكَمِ ابْنِ أَبِي الْعَاصِ، مِنْ مَرْوَانَ
وَعَبْدِ الْمَلِكِ وَأَبْنَائِهِ الْأَرْبَعَةَ إِلَى آخِرِهِمْ وَمَتَوْنِ التَّوَارِيخِ مَسْحُونَةَ بِذِكْرِ وَقَايعِهِمْ
وَأَعْمَالِهِمْ وَجُنَايَاتِهِمْ.

وَأَمَّا بَنِي الْعَبَّاسِ فَهَمَّ كَانُوا أَشَدَّ عَلَى أَوْلَادِ الرَّسُولِ مِنْ بَنِي أُمَّيَّةٍ وَبَنِي
الْمَرْوَانَ بِمَرَاتِبٍ كَثِيرَةٍ وَلَوْلَا مَخَافَةُ التَّطْوِيلِ لِأَشْبَعْنَاكَ مِنْ سُوءِ أَعْمَالِهِمْ وَقَبِيحِ
أَفْعَالِهِمْ وَلَكِنْ السَّكُوتُ أَوْلَى مِنْ تَضْيِيعِ الْعُمُرِ وَاتِّلَافِ الْوَقْتِ.

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ السَّيْرَةَ الْكَثِيفَةَ اسْتَمَّرَتْ مِنْ يَوْمِ السَّقِيفَةِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا فَوَاغُوثَاهُ
مِنْ هَذَا الزَّمَانِ، وَوَالْهَفَاةِ مِنْ هَذَا الْجَمَاعِ وَوَالْإِسْلَامِ مِنْ هَذِهِ الْحُكُومَاتِ
الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَكْثَفُ وَأَخْبَثُ وَأَنْجَسُ مِنْ حُكُومَاتِ الْكُفَّارِ، وَعَبْدَةُ الْأَوْثَانِ
بِمَرَاكِلِ كُلِّ هَذِهِ الْأُمُورِ مِنْ ثَمَرَاتِ السَّقِيفَةِ.

□ قَوْلُهُ عليه السلام: إِنَّمَا بَدَأُ وَقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامُ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ
اللَّهِ...

فِي عِلْمِ التَّأْوِيلِ إِشَارَةٌ إِلَى السَّقِيفَةِ حَيْثُ كَانَتْ بَدَأُ وَقُوعِ الْفِتَنِ وَأَصْلُهَا
وَأَسَاسُهَا لِكُونَ أَهْلِهَا تَابِعِينَ لِأَهْوَائِهِمُ الْفَاسِدَةِ إِذْ لَوْلَا تَابِعَتُهُمْ أَهْوَائِهِمْ لَمَا
سَلَّطُوا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ أَبَا بَكْرٍ مَعَ وَجُودِ الْأَفْضَلِ مِنَ الصَّحَابَةِ إِذْ لَوْ فَرَضْنَا
عَدَمَ وَجُودِ النَّصِّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَانَتْ الْخِلَافَةُ وَتَعْيِينُ الْخَلِيفَةِ تَابِعَةً لِأَفْكَارِ
النَّاسِ كَمَا أَعْتَرَفُوا بِهِ وَالتَّزَمُوهُ أَيْضاً لَمْ يَكُنْ مَا فَعَلُوهُ صَحِيحاً لِعَدَمِ لِيَاقَةِ
الْمُسْتَخْلَفِينَ وَالْمُسْتَخْلَفِ بِهَذَا الْمَقَامِ.

□ وقوله ﷺ: يَتَوَلَّى رَجَالٌ رَجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ اشارة الى انتخابهم الأدياء والعناصر الكثيفة لأجراء مقاصدهم وقوله ﷺ: فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مَزَاجِ الْحَقِّ الى آخر الخطبة اشارة الى مراتب نفاقهم وشقاقهم حيث خَلَطُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ كما هو شأن المعاند وقوله ﷺ في آخر الخطبة وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى، اشارة الى ما قال الصادق ﷺ إرْتَدَّ النَّاسُ بَعْدَ النَّبِيِّ الْاَثَلَاثَةَ او سَبْعَةَ، قال الله تعالى وقليلٌ من عِبَادِي الشُّكُورُ وانت لا تَتَعَجَّبُ من هذا الحديث وامثاله فإنَّ تحصيل الأيمان مشكل والبقاء عليه أشكل فإنَّ النَّاسَ عبيد الدُّنْيَا فاذا مُحِصُوا بالبلاء قَلَّ الدَّيَّانُونَ ونحن ننتقل في المقام رواية يثبت بها المدعى.

روى سليم ابن قيس قال سمعت عبدالله ابن جعفر ابن ابى طالب قال قال لى معاوية ما اشدَّ تعظيمك للحسن والحسين ما هما بخير منك ولا ابوهما خيرٌ من ابيك ولولا انَّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ لقلت ما امك اسماء بنت عميس بدونها قال فغضبتُ من مقالته وأخذنى ما لا أمك فقلت انك قليل المعرفة بهما وبأبيهما وبأمهما بلى والله هما خيرٌ منى وابوهما خيرٌ من ابى وأمهما خير من امى ولقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول فيهما وفى ابيهما وانا غلام فحفظته منه ووعيته فقال معاوية وليس فى المجلس غير الحسن والحسين وابن جعفر وابن عباس واخيه الفضل هات ما سمعت فوالله ما انت بكذاب فقال انه اعظم مما فى نفسك قال وان كان اعظم من أحد وحرأ فانه ما لم يكن أحدٌ من اهل الشَّام لا ابالى عما اذا قتل الله طاغيتكم وفرق جمعكم وصار الأمر فى اهله ومعدنه فلا يُبَالَى ما قَلْتُمْ ولا يَضُرُّنا ما ادَّعَيْتُمْ قال سمعتُ رسول الله يقول انا اولى بالمؤمنين من انفسهم ومن كُنت اولى به من نفسه فانت يا اخى اولى به من نفسه وعلى بين يديه وفى البيت فاطمة وامّ ايمن وابوذر والمقداد والزبير ابن العوام وضرب رسول الله على عضده واعاد ما قال فيه ثلاثا، ثم نصَّ بالأمامة على الأئمة الأنتى عشر ثم قال ﷺ:

ولا مّتى اثنتى عشر امام ضلالة كلهم ضالّ مضميل عشرة من بنى امية
ورجلان من قريش وزر جميع الاثنى عشر وما اضلوه فى اعناقهما ثم
سماها رسول الله، وسمى العشرة معهما قال فسّمهم لنا قال فلان وفلان
وفلان وفلان وصاحب السلسلة وابنه من آل ابى سفيان من ولد الحكم ابن
ابى العاص اولهم مروان...

قال معاوية لئن كان ما قلت حقاً هلكتُ وهلكت التّلاثة قبلى وجميع من
تولاهم من هذه الامّة ولقد هلك اصحاب رسول الله من المهاجرين والانصار
والتّابعين غيركم اهل البيت وشيعتكم قال ابن جعفر فانّ الذى قلت حق
سمعت من رسول الله :

قال معاوية للحسن والحسين وابن عبّاس ما يقول ابن جعفر قال ابن
عبّاس ومعاوية بالمدينة اول سنة اجتمع عليه الناس بعد قتل على عليه السلام ارسل
الى الذى سمى فارسل معاوية الى عمر ابن امّ سلمة واسامة فقال كلّم على
ما قال ابن جعفر فشهدوا جميعاً انّ الذى قال ابن جعفر حق قد سمعوا من
رسول الله كما سمعته ثم اقبل معاوية الى الحسن والحسين وابن عبّاس،
والفضل وابن امّ سلمة واسامة فقال كلّم على ما قال ابن جعفر قالوا نعم،
قال معاوية فانكم يا بنى عبدالمطلب تدعون امرأ عظيماً وتحتجون بحجة
قويّة ان كانت حقاً وانكم لتبصرون على امر وتسرونه والناس فى غفلة
وعمى ولئن كان ما تقولون حقاً لقد هلكت الامّة ورجعت عن دينها وكفرت
بربّها وحجّدت بنبيّها إلا انتم اهل البيت ومن قال بقولكم واولئك قليل فى
النّاس.

فاقبل ابن عبّاس على معاوية فقال له قال الله تعالى: وقليل من عبادى
الشّكور، وقال وقليل ما هم وما تعجب منى يا معاوية اعجب من بنى
اسرائيل انّ السّحرة قالوا لفرعون اقض ما انت قاض فآمنوا بموسى
وصدّقوه ثم سار بهم ومن اتبعهم من بنى اسرائيل فاقطعهم البحر وراهم

العجائب وهُم مُصَدِّقُونَ بِمُوسَى وَبِالتَّوْرَايَةِ يُقَرِّونَ لَهُ بِدِينِهِ ثُمَّ مَرَّوْا بِاصْنَامٍ تُعْبَدُ فَقَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا آلِهَةً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ انْكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ.

وَعَكَفُوا عَلَى الْعِجْلِ جَمِيعاً غَيْرَ هُرُونَ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى بَعْدَ ذَلِكَ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَكَانَ مِنْ جَوَابِهِمْ مَا قَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ فَقَالَ مُوسَى رَبِّ انِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

فَمَا اتَّبَعَ هَذِهِ الْأُمَّةَ رَجَالاً سُودَوهُمْ وَأَطَاعُوهُمْ لَهُمْ سِوَابِقٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَمَنَازِلَ قَرِيبَةً مِنْهُ وَأَصْهَارُ مَقَرِّينَ بَدِينِ مُحَمَّدٍ وَبِالْقُرْآنِ حَمَلَهُمُ الْكِبْرَ، وَالْحَسَدَ إِنْ خَالَفُوا أَمَامَهُمْ وَوَلِيَّهُمْ يَا عَجَبٌ مِنْ قَوْمٍ صَاغُوا مِنْ جَلِيهِمْ عَجَلًا ثُمَّ عَكَفُوا عَلَيْهِ بِعَبْدُونِهِ وَيَسْجُدُونَ لَهُ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَاجْتَمَعُوا عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِمْ غَيْرَ هُرُونَ وَحَدَّةً.

وَقَدْ بَقِيَ مَعَ صَاحِبِنَا الَّذِي هُوَ مِنْ نَبِيِّنَا بِمَنْزِلَةِ هُرُونَ مِنْ مُوسَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ نَاسٌ سَلْمَانٌ وَأَبُو ذَرٍّ وَالْمَقْدَادُ، وَالزَّبِيرُ ثُمَّ رَجَعَ الزَّبِيرُ وَثَبَتَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ مَعَ أَمَامِهِمْ حَتَّى لَقُوا اللَّهَ وَتَتَعَجَّبُ يَا مُعَاوِيَةَ إِنْ سَمَى اللَّهُ مِنَ الْأُمَّةِ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ وَقَدْ نَصَّ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ بِغَدِيرِ خَمٍّ وَفِي غَيْرِ مَوْطِنٍ وَاحْتَجَّ بِهِمْ عَلَيْهِمْ وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِمْ.

وَإِخْبَرْنَا أَنَّ أَوْلَهُمْ عَلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ وَلِيِّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ مِنْ بَعْدِهِ وَإِنَّهُ خَلِيفَتُهُ فِيهِمْ وَقَدْ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ جَيْشاً يَوْمَ مُوتِهِ فَقَالَ عَلَيْكُمْ بِجَعْفَرٍ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَزِيدٌ وَإِنْ هَؤُلَاءِ فَعَبِدُوا اللَّهَ ابْنَ رِوَاحَةَ فَقَتَلُوا جَمِيعاً فَتَرَاهُ يَتْرُكُ الْأُمَّةَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمُ الْخَلِيفَةَ لِيَخْتَارُوا وَهُمْ لَأَنْفُسِهِمُ الْخَلِيفَةَ كَانَ رَأْيُهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ أَهْدَى لَهُمْ وَأَرْشَدٌ مِنْ رَأْيِهِ وَاخْتِيَارِهِ وَمَا رَكِبَ الْقَوْمُ وَمَا رَكَبُوا إِلَّا بَعْدَ مَا بَيَّنَّهُ وَمَا تَرَكَّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ فِي عَمِيٍّ وَلَا شُبْهَةٍ فَمَا مَا قَالَ الرَّهْطُ الْأَرْبَعَةُ الَّذِينَ تَظَاهَرُوا عَلَى عَلِيٍّ وَكَذَبُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَزَعَمُوا أَنَّهُ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ

ليجمع لنا اهل البيت الخلافة والنّبوة فقد شَبَّهوا على النَّاس بشهادتهم وكذبهم ومكرهم... قال معاوية ما تقول يا حَسَن، قال يا معاوية قد سمعت ما قلت وما قال ابن عَبَّاس العَجَب منك يا معاوية ومن قَلَّة حياءك ومن جُرأتك على الله حِينَ قُلْتَ قد قَتَلَ اللهُ طَاجِيتَكُمْ وَرَدَّ الأَمْرَ الى مَعَدَنه، فانت يا معاوية معدن الخلافة دُوننا، وَيَلُّ لَكَ يا معاوية ولِلثَلَاثَةِ قَبْلَكَ الَّذِينَ أَجْلَسُوا هَذَا المَجْلِسَ وَسَنُوا لَكَ هَذِهِ السُّنَّةَ لِأَقْوَلُنْ كَلَاماً ما انت اهله ولكنى اقول ليسمعه بنو ابي هُوَلاء حَوْلِي، ثُمَّ قال ﷺ: انَّ النَّاسَ قد أَجْتَمَعُوا على امورٍ كَثِيرَةٍ ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ولا فُرْقَةٌ على شهادة ان لا اله الا الله وانَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله والصَّلَاةُ الخمس والزَّكَاةُ المفروضة وصَوْم شهر رمضان وحجَّ البيت ثم اشار كثيرة من طاعة الله التي لا تُحصى ولا يعدها الا الله واجتمعوا على تحريم الزَّنا والسَّرقة والكذب والقطيعة والخيانة واشياء كثيرة من معاصي الله التي لا تحصى ولا يعدها الا الله...

وَأَخْتَلَفُوا سُنَنَ أَقْتَلُوا فِيهَا وصاروا فرقا يَلْعَن بَعْضُهُم بَعْضاً وهى الولاية وتبرئء بعضهم من بعض ويقتل بعضهم بعضاً انهم اُحَقَّ واولى بها الا فرقة تتبع كلام الله وسنة نبيه فمن اخذ بما عليه اهل القبلة الذى ليس فيه اختلاف وَرَدَّ عِلْمَ ما اختلفوا فيه الى الله سَلِمَ وَنَجى به من النار ودخل الجنة ومن وُقِّعَ اللهُ وَمَنَّ اللهُ عليه واحتجَّ عليه بان نور قلبه بمعرفة ولاة الامر من ائمتهم ومعدن العلم اَيْنَ هُوَ فهو عند الله سَعِيدٌ وَلله ولى...

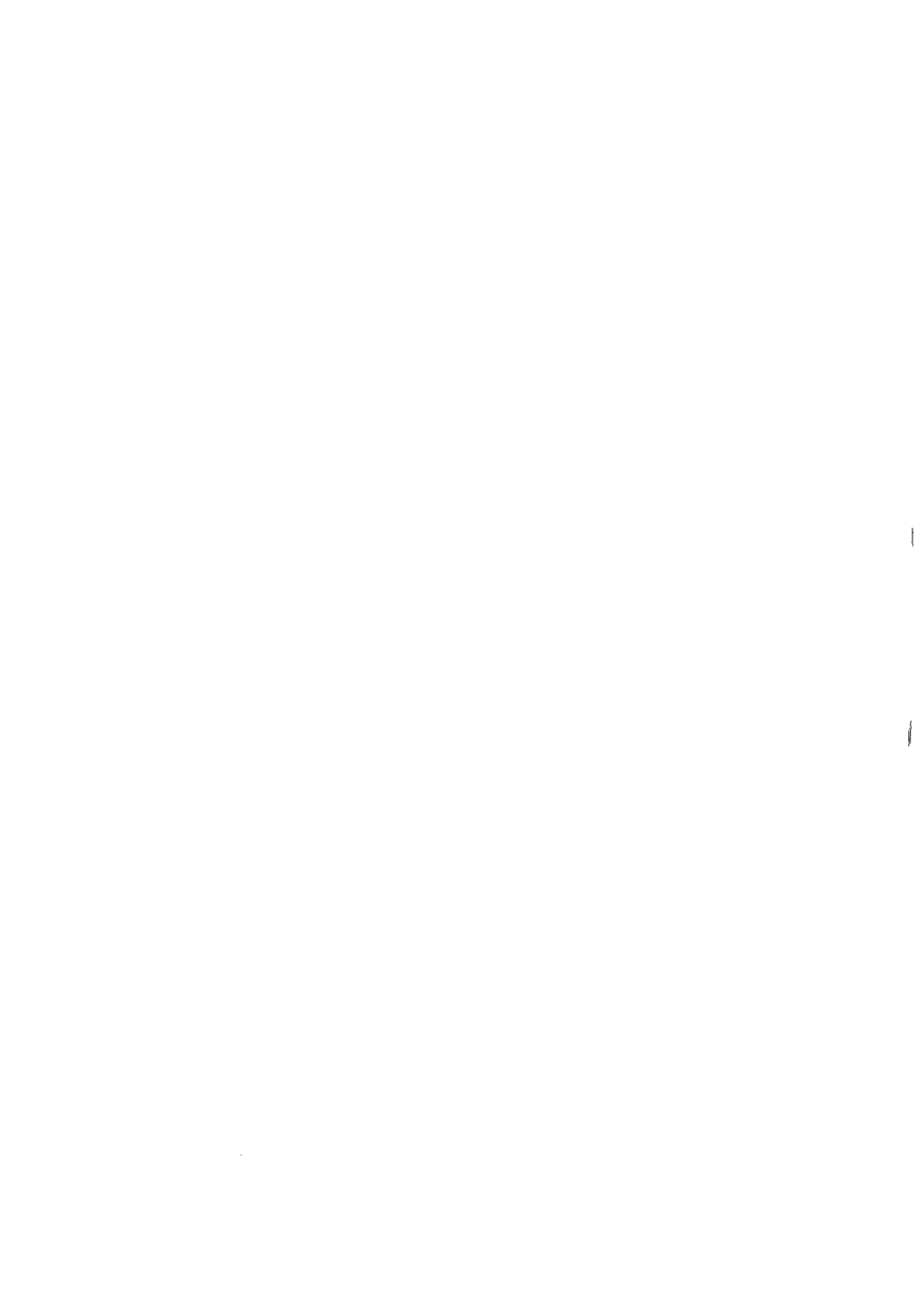
وقد قال رسول الله ﷺ رَحِمَ اللهُ امرؤ عَرِفَ حَقّاً فَعَنِمَ او سَكَتَ فَسَلِمَ نحن نقول اهل البيت ان الائمة منا وان الخلافة لاتصلح الا فينا وان الله جعلنا اهلها فى كتابه وسنة نبيه وان العلم فينا ونحن اهله وهو عندنا مجموع كله بحذايره وانه لا يحدث شىء الى يوم القيمة حتى ارش الخدش الا وهو عندنا مكتوب باملاء رسول الله وبخط على بيده وزعم قوم انهم اولى بذلك منا حتى انت يا بن هند تدعى ذلك وتزعم ان عمر ارسل الى ابي ابي اريد ان اكتب

القرآن في مُصحفٍ فابعتِ إليَّ بما كتبتِ من القرآن فاتاه فقال تضرب والله عنقِي قبل ان يصل اليك، قال ولم قال لان الله قال: والرّاسخون في العلم، قال: ايّاي عنى ولم يعنك ولا اصحابك فغضب عمر، ثمّ قال: ان ابن ابى طالب يحسب ان احداً ليس عنده علم غيره من كان يقرء من القرآن شيئاً فليأتني فاذا جاء رجلٌ فقرء شيئاً يوافقه معه فيه اخر كتابه والألم يكتبه، ثمّ قال: قد ضاع منه قرآن كثير، بل كذبوا والله بل هو مجموعٌ عند اهله، ثمّ أمر عمر قضاة وولاته اجتهدوا آرائكم واقضوا بما ترون انه الحق فلا يزال هو وبعض وولاته قد وقعوا في عزيمة فيخرج منها ابى ليحتج عليهم بهما فيجتمع القضاة عند خليفتهم وقد حكموا في شىء واحد بقضايا مختلفة فاجازها لهم لان الله تعالى لم يؤته الحكمة وفصل الخطاب وزعم كل صنّف من مخالفيها من أهل هذه القبلة انه معدن الخلافة والعلم دوننا فنستعين بالله على من ظلمنا وجحدنا حقنا وركب رقابنا وسنّ للناس علينا ما يحتج به مثلك وحسبنا الله ونعم الوكيل ثمّ قال ﷺ:

انما الناس ثلاثة: مؤمنٌ يعرف حقنا ويسلم لنا ويأتّم بنا فذلك ناجحٌ محبٌ لله (ولنا) وناصبٌ لنا العداوة يتبرء منا ويلعننا ويستحلّ دماننا ويحجد حقنا ويدين الله بالبرائة منا فهذا كافرٌ مشركٌ فاسقٌ وانما كفر وأشرك من حيث لا يعلم كما سبوا الله عدواً بغير علم، ورجلٌ أخذ بما لا يختلف فيه وردّ علم ما اشكل عليه الى الله مع ولايتنا ولا يأتّم بنا ولا يُعادينا ولا يعرف حقنا فنحن نرجوا ان يغفر الله له ويدخله الجنة فهذا مُسلمٌ ضعيفٌ فلما سمع ذلك معاوية امر لكل واحد منهم بمائة الف درهم غير الحسن والحسين وابن جعفر فانه امر لكل واحد منهم بألف ألف درهم انتهى «بحار الانوار ج ١٠ ص ١٢٣ ط كميّاني»...

اقول : انما اوردت هذا الخبر بطوله لما فيه من الحقائق المؤدعة الجارية على لسان اولياء الله ولا سيما امامنا المُجتبى وانت قد عرفت منه ان الناس بعد

النبي صاروا من اعوان الشياطين الا القليل منهم ولاغر وفيه فان الحق مر
والاخذ به قليل في كل عهد وزمان ممن نور الله قلبه بالايمن وهذا مما لا كلام
فيه لما نرى ونشهد في زماننا هذا والعيان لا يحتاج الى الدليل والبرهان الا ان
المدعى في هذه الخطبة الشريفة هو ان المنشاء والمصدر في كثير من
الضلالات في الاجتماع خلط الحق بالباطل اعنى لبس الحق عليه ظاهراً لعلم
المنافقين المضلين بان اكثر الناس لا يعلمون الحق ولا تتجاوز ادراكاتهم
اعينهم فترايهم ينادون باعلى صوتهم عليكم بالدين والاعراض عن هذه الدنيا
الدنية وترك المحرمات والاتيان بالواجبات مع انهم لادين لهم ولا ايمن في
الواقع ونفس الامر وانما غرضهم الاصلى من هذه الكلمات واحيانا الأفعال،
اغواء الجهلة واضلالهم عن الدين والانسانية والحكومة عليهم واخذ اموالهم
بالحيلة والتزوير وليس هذا اول قارورة كسرت في الاسلام.



ومن خطبة له (٥١)

□ قوله ﷺ: **أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ بَدَّوْكُمْ بِالظُّلْمِ، وَفَاتَّحَوْكُمْ بِالْعَيِّ (بِالْبَغْيِ) وَاسْتَقْبَلَوْكُمْ بِالْعُدْوَانِ، وَقَدْ اسْتَطَعْمَوْكُمْ الْقِتَالَ، حَيْثُ مَنَعُوكُمُ الْمَاءَ، فَاقْرَءُوا عَلَيَّ مَذَلَّةً، وَتَأْخِيرَ مَحَلَّةٍ، أَوْ رَوْءَا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرَوُّوهُ مِنَ الْمَاءِ، فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ، أَلَا إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُئْمَةً مِنْ الْغَوَاةِ، وَعَمَسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ حَتَّى جَعَلَ نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ.**

◀ اللغة

(اسْتَطَعْمَوْكُمْ) الأستطعام الطَّلَب بالأغراء. (فاقروا) اقر الشيء أى سكن وانقاد. (محللة) المنزلة. (اللئمة) بضم اللام وتشديد الميم الصاحب والمونس فى السفر. (عمس) بالعين المهلمة وتخفيف الميم وتشديدها، أى اخفاه، وعمس الخبر شبهة قتل عثمان (الأغراض) جمع غرض وهو الهدف. (المنية) الموت.

◀ المعنى

لما غلب اصحاب معاوية على شريعة الفرات بصفيين ومنعواهم الماء قال ﷺ مخاطبا لأصحابه: **(أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَوْمَ) أى اصحاب معاوية. (قَدْ بَدَّوْكُمْ بِالظُّلْمِ) أى أبتدوا بالظلم عليكم بأستيلائهم على الفرات ومنعكم الماء، وهو**

ظَلَمٌ عَظِيمٌ. (وَفَاتَحُواكُمْ بِالْغَىِّ (بِالْبَغَىِّ) اى سَبَقُواكُمْ بِالْعُدْوَانِ. (وَاسْتَقْبَلُواكُمْ بِالْعُدْوَانِ،) اى اَظْهَرُوا عِدَاوَتَهُمْ لَكُمْ بِهَذَا الْعَمَلِ. (وَقَدْ اسْتَطَعَمُواكُمْ الْقِتَالَ) اى طَلَبُوا مِنْكُمْ الْقِتَالَ. (حَيْثُ مَنَعُواكُمْ الْمَاءَ،) شَرَبَ الْمَاءَ مِنَ الْفِرَاتِ. (فَأَقْرَبُوا عَلَيَّ مَدْلَةً) اى اَسْكِنُوا وَاِنْقَادُوا وَاطِيعُوهُمْ عَلَى الْحَقَارَةِ وَالْمَدْلَةِ بِتَرْكِكُمْ الْقِتَالَ مَعَهُمْ. (تَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ) اى وَتَأْخِيرِ مَنْزِلَتِكُمْ عَنْهُمْ. (أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرَوُّوا مِنَ الْمَاءِ،) وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْقِتَالِ مَعَ الْأَعْدَاءِ وَتَصَرُّفِ الْمَاءِ (فَالْمَوْتِ) الَّذِي تَفْرُونَ مِنْهُ. (مَقْهُورِينَ، فِي حَيَاتِكُمْ) لَوْجُودِ الْمَوْتِ فِي الْغَايَةِ الَّتِي تَطْلُبُونَهَا مِنْ تَرْكِ الْقِتَالِ. (وَالْحَيَاةِ) الَّتِي تَطْلُبُونَهَا. (فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ،) لِأَنَّ الْقِتَالَ مُسْتَلْزِمٌ لِسَعَادَةِ الدَّارِينَ وَحَيَاةِ الْأَبْدِ. (أَلَا إِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُئِمَةً مِنَ الْغَوَاةِ) وَالْغَرَضُ جَيْشُهُ الْكَثِيفُ. (وَعَمَسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ) بِقِتْلِ عِثْمَانَ وَإِنَّ عَلِيًّا قَتَلَهُ. (حَتَّى جَعَلَ نُحُورَهُمْ) اى نُحُورَ أَصْحَابِهِ. (أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ) اى أَوْقَعَهُمْ فِي الْهَلَاكِ.

◀ الشرح

□ قوله ﷺ: اَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ بَدَّوْكُمْ بِالظُّلْمِ، وَفَاتَحُواكُمْ بِالْبَغَىِّ (بِالْبَغَىِّ) وَاسْتَقْبَلُواكُمْ بِالْعُدْوَانِ، ...

اَمَّا بَعْدُ - اى بَعْدَ الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ اَوْ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي سَالِفِ الْقَوْلِ اَنَّ الْأَصْلَ فِيهِ مَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا عَلَى التَّفْصِيلِ الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ، ثُمَّ أَفَادَ ﷺ فِي الْمَقَامِ أُمُورًا ثَلَاثَةً: الْبَدَاءُ بِالظُّلْمِ، وَالْفَتْحُ بِالْبَغَىِّ، وَالْأَسْتِقْبَالُ بِالْعُدْوَانِ فَإِشَارٌ إِلَى الْأَوَّلِ بِقَوْلِهِ: قَدْ بَدَّوْكُمْ بِالظُّلْمِ وَالِى الثَّانِي بِقَوْلِهِ ﷺ: وَفَاتَحُواكُمْ بِالْبَغَىِّ وَالِى الثَّلَاثِ بِقَوْلِهِ ﷺ: وَاسْتَقْبَلُواكُمْ بِالْعُدْوَانِ، وَنَحْنُ نَذَكُرُ أَوَّلَ الْفَرْقِ بَيْنَ هَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ ثُمَّ نَشْرَحُ الْكَلِمَاتِ فَنَقُولُ:

قَالَ الرَّاعِبُ فِي الْمَفْرَدَاتِ وَالظُّلْمُ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ وَكَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَضَعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ الْمُخْتَصِّ بِهِ أَمَّا بِنَقْصَانٍ أَوْ زِيَادَةٍ أَمَّا بَعْدُ وَلِ عَنِ وَقْتِهِ أَوْ مَكَانِهِ، انْتَهَى.

وقال ايضا البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى تجاوزه اولم يتجاوزه فتارة يُعتبر فى القدر الذى هو الكميّة وتارة يُعتبر فى الوصف الذى هو الكيفية يقال بغيتُ الشىء اذا طلبت أكثر ما يجب ثم قال البغى على ضربين:

احدهما: مَحْمُودٌ وهو تجاوز العدل الى الأحسان والفرض الى التطوع.

والثانى: مَذْمُومٌ وهو تجاوز الحق الى الباطل او تجاوزه الى الشبه قال الله

تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (١)

وقال فى العُدوان - العُدو التّجاوز ومنافاة الألتام فتارة يُعتبر بالقلب فيقال له العداوة والمعادة وتارة بالمشى فيقال له العُدو وتارة فى الأخلال بالعدالة

فيقال له العُدوان والعُدو قال الله تعالى: ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٢)

و: ﴿تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّوانِ﴾ (٣)

و: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٤) اذا عرفت هذا فاعلم انه ﷺ عبّر عن

عمل معاوية واصحابه بتصرفهم الفرات ومنعهم اصحابه ﷺ عن شرب الماء، تارة بالظلم وتارة بالبغى، وتارة بالعدوان ونُحِصَّ الاوّل منها بالبّدء والثانى بالفتح والثالث بالاستقبال لأمر:

احدها: ترك التكرار اللفظى المُستَهجن عند العقلاء وعلماء البلاغة وقد

أجمعوا على قبّحه.

وثانيها: الأشعار بأن معاوية واصحابه كانوا مُتَّصِفِينَ بِالثَلَاثَةِ اعنى الظلم

والبغى والعدوان وهو دليل على شرارته وخبائثته لكونه جامعاً لهذه المراتب التى قلّمًا يُوْجَدُ من اتّصف بها جميعاً.

وثالثها: انّ المرتبة الأولى الظلم والثانية البغى والثالثة العدوان. والظلم وضع

الشىء فى غير محلّه وأنما عبّر ﷺ عن تصرفهم الفرات ومنعهم اصحابه عن شرب الماء بالظلم الذى هو وضع الشىء فى غير محلّه المختصّ به لأنّ هذا

العمل منهم ايضاً وَضَع الشَّيْءِ فِي غيرِ محلِّه المختصَّ به وذلك لانَّ الماءَ سَبَبٌ لِحَيَوَة كُلِّ موجودٍ ولهذا صارَ مُباحاً لهم بحسبِ اهلِ الشَّرْعِ والعُرْفِ، ولا يجوزُ لأحدٍ يَمْنَعُ من شُرْبِهِ قال اللهُ تعالى وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ فهو بحسبِ اصلِ وَضَعِهِ وَجَعَلَهُ على الأَباحَةِ المُطلقةِ بالنَّسبةِ الى الشَّرْبِ والنَّاسِ فِيهِ على حَدِّ سِوَاءٍ ولا سِوَا الأَنْهارِ الكِبارِ الَّتِي لا يَمكُنُ لأحدٍ مالِكِيتها كالفراتِ والدَّجَلَةِ وامثالهما وعلى فرضِ ثبوتِ المِلْكِيَةِ فِيهما وفي غيرهما من الكِبارِ والصَّغارِ فَهِيَ من غيرِ الشَّرْبِ لَضَرُورَةٍ وَحَيْثُ انَّ الفِراتِ لم يَكُنْ مِلْكاً لأحدٍ فلا يَمكُنُ مَنعُ الغَيرِ عَنِ الأَسْتِفاةِ بِهِ ولَمَّا كانَ معاوِيَةَ واصحابه مَنَعُوا اصحابَ عَلِيِّ عليه السلام عَنِ الشَّرْبِ فِي الحَقِيقَةِ وَضَعُوا الشَّيْءَ فِي خَيرِ محلِّهِ اى وَضَعُوا الماءَ المِباحَ المِجازَ للشَّرْبِ فِي حَيْزِ المَنعِ عَنهُ وَهُوَ ظَلَمٌ بَيِّنٌ. واما تَعْبِيرُهُ عليه السلام فِي هذِهِ الجُمْلَةِ بِالبَدءِ دُونَ الفَتْحِ والأَسْتِقبالِ كما فِي الجُمْلَتَيْنِ الاخِيرَتَيْنِ فَفِيهِ لَطِيفَةٌ عَجِيبَةٌ.

وهي انَّ البَدءَ تَقْدِيمَ الشَّيْءِ على غَيرِهِ ضَرْباً مِنَ التَّقْدِيمِ كما قال اللهُ تعالى:

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾^(١)

و: ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾^(٢)

و: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾^(٣)

و: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٤) وامثالها، من الآيات.

وقد قالوا انَّ مَبْدَأَ الشَّيْءِ هُوَ الَّذِي مِنْهُ يَتَرَكَّبُ او مِنْهُ يَكُونُ فَالحِروفُ مَبْدَأُ الكِلامِ وَالخَشَبُ مَبْدَأُ البَابِ وَالسَّرِيرُ وَالتَّوَاةُ مَبْدَأُ النَّخْلِ وَاللَّهُ هُوَ المَبْدَأُ المُعِيدُ اى هُوَ السَّبَبُ فِي المَبْدَأِ وَالنَّهائَةِ، وَبِادِي الرِّأْيِ اى ما يَبْدَأُ مِنَ الرِّأْيِ الفَطِيرِ الَّذِي لم يُعْهَدْ مِنْ قَبْلِ كالبَدِيعِ فِي كونه غيرَ مَعْمُولٍ قَبْلَ.

وعليه فَالتَّعْبِيرُ بِالبَدءِ اِشارةً الى انَّ هَذَا الظُّلْمَ اعْنَى المَنعَ مِنَ الماءِ مِنَ الرِّأْيِ

٢- العنكبوت- ٢٠

٤- الاعراف- ٢٩

١- السجدة- ٧

٣- الروم- ١١

القطير الذي لم يُعهد قبل لافى الأسلام ولا فى الكفر وهو كذلك اذ لم تُر فى التواريخ منذ صدر الخِلقَة الى زمان معاوية احداً من افراد البشر من آية فرقة كان فى الغزوات والحروب وغيرها من مَنع غيره من شرب الماء فمعاوية لعنة الله عليه هو اول من أسس اساس هذا الظلم فى الاجتماع للغلبة والسلطة على رقيه وتبعه عليه ابنه الملعون حيث امر بمنع الحسين عليه السلام واصحابه من شرب الماء فى الكرب والبلاء فقتل عليه السلام مع اصحابه عطشاناً، نعم قد رأينا مثل هذا العمل فى زماننا هذا ايضاً وهو ثالث القوم ولا رابع لهم الا من يحدوا حدو هذه الأرجاس واولاد الزنا وعلى اى تقدير لاشك فى ان معاوية اول من بدء بهذا العمل الشنيع ولكون هذا الرأى غير مسبوق برأى آخر عبّر عليه السلام بالبدء والله اعلم.

□ واما قوله عليه السلام: وفاتحواكم بالبغى...

اما البغى فقد عرفت معناه وانه طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى فيه اشارة الى ان معاوية من البغاة لطلبه تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى، فان طلبه الخلافة التى لم يكن له فيها حظ ولا نصيب خروج وتجاوز عن الاقتصاد وهو معلوم او يقال بان كونه مدعياً لثار عثمان مع وجود الأبناء له خروج عن حد الاقتصاد او خروجه على الامام العادل تجاوز عن الاقتصاد وعلى اى التقادير لاشك فى كونه باغياً بهذه المعانى وغيرها.

واما تعبيره عليه السلام بقوله: فاتحواكم ففيه ايضا دققة وهى ان بغية عليه لم يكن من الرأى القطير بشىء بل كانت له حالة سابقة لبغية على النبى ايضاً ولبغى غيره على غيره فى الناس ولأجل هذا لم يُعبّر فى الجملة المبحوثة عنها بالبدء وانما عبّر بالفتح لان الفتح ازالة الأغلاق والاشكال وهو تارة يُدرك بالبصر كفتح الباب والقفل وتارة يدرك بالبصيرة كفتح الهم وهو ازالة النعم. والى المعنى الاول يشير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ﴾^(١)

و: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ﴾ (١)

والثاني تارةً يكون في الأمور الدنيوية كغمٍّ يُفرج وفقرٍ يُزال باعطاء المال كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (٢)

اي وَسَعْنَا، وتارةً يكون في المُستغلق من العلوم نحو قولك فلان فتح من العلم باباً مُغلغاً، وفاتحة كل شيء مبدئه الذي يفتح به ما بعده.

فقوله ﷺ: وفاتحوكم بالبغي، اشارة الى ان معاوية فتح بهذا العمل اعنى مخالفته له ﷺ وخربه معه ما يتمناه من الخلافة والحكومة فان هذه المخالفة ليست لأجل عثمان كما ظن من لاخبرة له بل هي مبدء الخلافة وفاتحتها.

□ واما قوله ﷺ: واستقبلوكم بالعدوان قد ذكرنا ان العدوان بمعنى التجاوز ومنافاة الألتام وهو تارةً يُعتبر بالقلب فيقال له المعادة والعداوة، وتارةً بالمشى فيقال له العدو وتارةً في الأخلال بالعدالة ويقال له العدوان.

فقوله ﷺ: واستقبلوكم بالعدوان، فيه اشارة الى امرين:

احدهما: ان هذه العداوة قد ظهرت منهم أولاً وبهذه الجهة عبّر عنها بالاستقبال والوجه فيه هوانهم منعوا اصحاب امير المؤمنين عن الماء وشربه وقد ذكرنا ان هذا العمل لم يكن له في الإسلام وغيره شبيهة ونظير ولعله لولا صدور هذا العمل منهم لامكن الصلح من اول الامر من غير قتال، واما بعد فلا.

وثانيهما: ان هذا الاستقبال منهم كان بالعدوان وفيه اشارة الى ان هذا العمل منهم كان مُخالاً بالعدالة، وذلك لانه كان اماماً مفترض الطاعة وايجاد الفساد في الحكومة الصحيحة موجب لأخلال النظم ولا شك ان هذا العمل بمعزل عن الأقتصاد وطريق العدل فان العدالة تقتضى الأطاعة والسكوت وقولنا انه ﷺ كان اماماً مفترض الطاعة فالوجه فيه ظاهر اما على مذهبهم من كون الامام منصوباً من قبل الناس فمعلوم فانه ﷺ كان كذلك كما في سائر الخلفاء واما على مذهبنا من كونه منصوباً مُعيّناً من قبل الله تعالى فهو أظهر وكيف كان

فهو ﷺ كان مفترض الطاعة ومعاوية لعنه الله بهذا العمل قد شق عصا المسلمين وأظهر العداوة والبغضاء لأمام المتقين ومن كان كذلك فهو خارج عن حد الاقتصاد مسالك سبيل الغي والضلال ولهذه الجهة عبّر ﷺ بالعدوان. ثم إن في قوله ﷺ هذا إشارة الى ان اصحاب معاوية ما ارادوا الصلح اصلاً ومن كان كذلك لا يترقب منه خيرٌ والسرف فيه هوانٌ من اراد الصلح والصفاء لا يقدم على هذا العمل اعنى المنع عن الماء الذي فيه حياة كل شيء وحيث انهم فعلوا هذا من أول الأمر فيعلم منه انهم في صورة الاختيار ليس لهم ترك القتال واما في صورة الخوف والرعب يطلبون الصلح.

□ قوله ﷺ: **إِسْتَطَعْمُوكُمُ الْقِتَالَ حَيْثُ مَنَعُوكُمُ الْمَاءَ،...**

وفيه دليل على ما ذكرناه فان من لم يرد القتال كيف بمنع الماء عن غيره واستعار ﷺ لفظ الاستطعام لطلبهم القتال بالأغراء بهم اي انهم بهذا العمل وهو منع الماء طلبوا منكم القتال وقد مر شرحه.

□ قوله ﷺ: **فَاقْرَؤُوا عَلَيَّ مَذَلَّةً وَتَأْخِيرَ مَحَلَّةً،...**

الفاء للتفريع اي بناء على ما فعل القوم بكم من منع الماء فلا بد لكم من الالتزام بأحد الأمرين اما القعود عن الحرب وترك القتال معهم وهو يوجب الأنقياد والأطاعة للذلة والحقارة والتأخير عن المنزلة الثابتة لكم، واما القيام بالحرب والأقدام عليها وهو يوجب قتل كثير من الطرفين، فإشار الى الأول بقوله ﷺ: **فَاقْرَؤُوا إِلَى آخِرِهِ.**

والوجه فيه هوانٌ ترك القتال مع الاعداء يوجب تجرّيبهم وتسلطهم على الخصم ولا سيما اذا كان العدو من المنافقين الكافرين الذي لا يرحم صغيراً ولا ضعيفاً فان هذا التسلط يوجب المذلة قطعاً وحيث ان معاوية، واصحابه كانوا كذلك، فقال ﷺ ما قال وقد ظهر صدق مقاله ﷺ بعد تسلط معاوية على المسلمين وايدائهم وفي كلامه هذا إشارة الى ان الذي وقع عليهم من الذلة والحقارة بعد استيلاء معاوية عليهم انما هو بسبب تقاعدهم عن القتال وعدم

اطاعتهم له ﷺ في حياته كما عرفت غير مرّة في كلماته ﷺ وشكاياته منهم ومن المعلوم المُسَلَّم عند الكلّ أنّ ترك المَعْرُوف والأَتِيان بالمُنْكَر يُوجِبَان الذَّلَّةَ والمَسْكَنَةَ بِتَسَلُّطِ شرار النَّاسِ عليه فيجب القيام لدفع مادّة الفساد وقَمَعِ أصل الطُّغْيَانِ والعناد فإنّ الفساد ان لم يُمنَع منه يوشك أن كَثُرَ وشاعَ في البلاد بحيث يكون قطعُه ورَفَعُه من المشكلات لو لم يكن من المحالات.

ثمّ انّ الواو في قوله ﷺ: وَتَأْخِيرَ مَحَلَّةٍ، للتوضيح والتفسير لاغير، وذلك لأنّ الذَّلَّةَ والحقارة لا تَنفَكُ عن تأخير المَنزلة اذ لا معنى للذَّلَّةَ إلا هذا فإنّ كَوْنِ الإنسان ذليلاً معناه تَنزُّلُهُ عمّا هو شأنه وهو اى كونه ذليلاً تارةً يكون السبب فيه هو نفسه وتارةً يكون السبب فيه غيره فالاول كما اذا كان الانسان مُعِيناً للظالم على ظلمه وهو ايضاً يُتصوّر على قسمين: احدهما - كونه مُعِيناً له بقلبه فحسبُ وثانيهما - كونه معينا له بقلبه وعمَله، وعلى كلا التقديرين تصدّق الاعانة عليه ويكون مصداقاً لقوله ﷺ من اعان ظالماً سلطه الله عليه، ومن اعان ظالماً حشره الله معه، ومن رضى بفعل قوم فهو منهم وامثال ذلك من الآثار ولا شك انّ تَسَلُّطَ الظالم يورث الذَّلَّةَ وايه ذلّة اشأم واصعب من حكومة الظالم عليه ان كان المظلوم مِمَّنْ يفهم معنى الذَّلَّةَ نعم لو لم يفهم معناها كثير من ابناء زماننا فلا ولا كلام لنا مع المجانين، واولياء الشياطين.

وامّا الثاني - وهو ما كان السبب في ذلته غيره كما في المؤمنين في كل عصرٍ وزمانٍ وذلك لانهم على قلة عددهم لا يقدرُونَ على دفع الظالم او رفعه عمّا هو عليه وهم مع ذلك ينكرونه بقلوبهم واعمالهم الا انّ هذا الانكار لا يفيد المقصود، نعم هو من اداء الوظيفة واسقاط التكليف وهو شيء آخر، وعليه فاذا سلط الظالم لامحالة تصير المؤمن ذليلاً حقيراً في ظاهر الامر لان حكومة الظالم ليست الا لإخفاء الحق واهله وهو مع ذلك لا ذنب له لان دفع شر الظالم خارج عن قدرته وقد قال الله تعالى لا يكلف الله نفساً الا وسعها ويمكن ان يقال بان هيهنا شقّ ثالث وهو كونه مُنْكَراً للظالم والظلم بقلبه غير عامل له

بعمله وهو مع ذلك لا يقدم على قتاله وخربه مع اجتماع الشرائط وهذا كاصحاب علي عليه السلام حيث انهم مع قدرتهم على القتال مع اعداء الله وقتلهم لم يقدموا عليه ولم يطيعوا امير المؤمنين عليه السلام كما مر في ما مضى من كلامه وسيأتي ايضاً بوجه أبسط والحق في المقام ان هذا ليس تنقلاً ثالثاً بل هو داخل في الاصل من القسمين وذلك لانهم اما كانوا محبين لمعاوية وامثاله بقلوبهم لكونه أشبه بهم منه عليه السلام واما لم يكونوا كذلك بل كان سبب تقاعدهم عن القتال حُبهم للحياة الدنيا والخوف من الموت.

وعلى كلا التقديرين كانوا بأنفسهم عللاً واسباباً لتسلط معاوية وامثاله على الاسلام والمسلمين ضرورة ان بغض الظالم وعداوته بالقلب فقط لا يكفي في صدق عدم الاعانة اذا كانت الشرائط للعمل موجودة كما في المعروض، وامثاله فان العمل جزء الايمان فمن تخيل ان الانكار بالقلب يكفي في كونه مخالفاً لظلم غير معين له من غير ان تكون هذه المخالفة القلبية متلبسة بلباس العمل فقد ظن ظن السوء وضل ضلالاً بعيداً بل نقول هذا هو الاصل في الضلالة والاضلال كيف لا وقد أسس الاسلام على العمل فاذا كان الانسان عالماً بكون شخص ظالماً معانداً للدين واهله مخالفاً لكتاب الله وسنة رسوله ظاهراً وباطناً وجب عليه منعه وردعه عما هو عليه من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاذا لم يفده الامر والنهي باللفظ وجب عليه ردعه عملاً ولو يقتله لو كان قادراً عليه واجتمعت الشرائط فيه واما السكوت في هذه الموارد وامثالها فهو مما لم يحكم به عقل ولا نقل وهذا اعنى السكوت في غير مورده هو الذي صار باعثاً وسبباً لتسلط الأعداء واحياء المنكرات وامانة الحق والمعروف وهذا ليس من الزهد بشيء كما ربما يتوهمه الجاهل بل هو عين الفسق والكفر والاضلال والاعانة وان شئت قلت هو موافقة العمل مع الظالم فان الموافقة العملية ليست منحصرة بكون الانسان عاملاً للظالم متكلماً على وفق مرامه بل السكوت في غير مورده من مصاديق الموافقة ولا سيما اذا كان

مَمَّنْ لَهُ وَقَعَ فِي الْأَسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَذَلِكَ لِأَنَّ سَكَوتَهُ يُوجِبُ سَكَوتَ غَيْرِهِ
وَلِأَنَّ ذَلِكَ صِيرُورَةُ الظَّالِمِ فِي أَعْمَالِهِ وَأَفْعَالِهِ مَبْسُوطِ الْيَدِ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ
وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ كَمَا نَرَى وَنَشَاهِدُ فِي زَمَانِنَا هَذَا.

أَلَيْسَ هَذَا السَّكَوتُ مِمَّا قَدْ أُوجِبَ الْمَدْلَةَ وَأُورِثَ تَأْخِيرَ الْمُحَلَّةِ إِنْ قِيلَ نَعَمْ
فَقَبِلَ الْمُدْعَى وَإِنْ قِيلَ لَا فَنَقُولُ إِبْنُ الْعِزَّةِ الَّتِي وَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ
لِلْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ قَالَ: ﴿لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) وَإِنَّ الْمَنْزِلَةَ لَهُمْ
أَلَيْسَ الْمُؤْمِنُ فِي هَذَا الزَّمَانِ ذَلِيلًا حَقِيرًا أَلَيْسَ مُؤَخَّرًا عَنْ مُحَلَّتِهِ وَمَنْزِلَتِهِ أَلَيْسَ
هُوَ جَلِيسَ بَيْتِهِ وَأَنْيَسَ وَحَدَّتَهُ وَغُرْبَتَهُ أَلَمْ تَكُنْ الْأَشْرَارَ وَالْأَرْجَاسَ مُسَلِّطِينَ
عَلَيْنَا، أَلَمْ تَكُنْ قَوَادِ الْقَوْمِ أَرَادْلَهُمْ وَأَخْبَائَهُمْ أَلَمْ يَكُنْ الْمُؤْمِنُ يَبْكِي عَلَى حَالِهِ
فِيمَا مَضَى مِنْ عَمْرِهِ بَلَى وَاللَّهِ فِي الصَّيْفِ ضَيَعْنَا اللَّبْنَ.

نَعَمْ. هَذِهِ السَّيْرَةُ النَّحْسَةُ كَانَتْ مُسْتَمِرَّةً مِنْ زَمَنِ السَّقِيفَةِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا
وَمَعْلُومٌ أَنَّ شَجَرَةَ الظَّلْمِ كُلَّمَا أَزْدَادَتْ عُمُرًا أَزْدَادَتْ قُوَّةً وَجِسْمًا. فَصَارَتْ
بِعَوْنِ الشَّيْطَانِ وَأَنْصَارِهِ شَجَرَةً قَوِيَّةً لَهَا إِثْمَارٌ خَبِيثَةٌ بِحَيْثُ قَدْ مُلِئَتْ الْأَرْضُ
ظُلْمًا وَجَوْرًا وَاطَّلَتْ عَلَى رُؤُوسِ الْمُسْلِمِينَ ظُلْمَةٌ مُؤَحِّشَةٌ كَادَتْ أَنْ تَكُونَ
كُفْرًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُوكَ الْيَوْمَ فَقَدْ نَبَّيْنَا وَغَيَّبْنَا وَكَثَّرْنَا عَدُوَّنَا وَتَوَارَدَ الْهُمُومُ بِنَا،
اللَّهُمَّ إِنَّا بِسُوءِ أَعْمَالِنَا وَأَقْوَالِنَا وَتَرَكْنَا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَاتَّبَعْنَا الْهَوَى قَدْ أَقْرَرْنَا عَلَى مَدْلَةٍ وَتَأْخِيرِ مُحَلَّةٍ لِأَنَّ تَقَاعَدَنَا عَنِ الْقِتَالِ
وَتَسَامَحْنَا عَنِ الْقِتَالِ وَتَسَامَحْنَا عَنِ الْبِرَازِ لِمَعَاوِيَةَ نَفْسِنَا وَشَيْطَانِ جِسْمِنَا،
فَنَحْنُ مُسْتَحِقُّونَ بِمَا وَقَعْنَا فِيهِ كَمَا أَنَّ أَصْحَابَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَارُوا مُسْتَحِقِّينَ بِمَا
وَقَعُوا فِيهِ بَعْدَ شَهَادَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَسَلَّطَ مَعَاوِيَةَ عَلَيْهِمْ.

□ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوْ رَوَوْهُ السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرَوُوا مِنَ الْمَاءِ، ...

إِشَارَةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذَا إِلَى شَقِّ الْآخِرِ وَهُوَ الْقِتَالُ مَعَ الْأَعْدَاءِ الَّذِي فِيهِ الْعِزُّ وَالشُّوكَةُ

فإن العزة تحت ظلال السيف وخلاصة المرام في هذا المقام هو ان الإنسان
إما ان يكون طالباً للعزة والشوكة او لا يكون كذلك فان لم يكن طالباً لهما
فلامحالة يكون طالباً للذلة والحقارة لأن عدم العزة ذلة ولا واسطة بينهما سواء
علم به ام لا. اما القسم الثاني - فقد تكلمنا فيه في شرح قوله ﷺ: فَأَقْرُوا عَلَيَّ
مَذَلَّةٍ الْخ.

واما القسم الاول - فهو الذي نتكلم فيه الآن وقد اشار ﷺ اليه بقوله: أَوْ رَوْوُ
السُّيُوفِ الى آخره وحاصل ما افاده ﷺ في المقام هو انكم ان اردتم تحصيل
العزة فقاتلوا ائمة الكفر انه لا ايمان لهم فان تروية السيف كناية عن قتلهم
والغرض منه حثهم على الجهاد الذي فيه العز والشرف في كلتا النشأتين.
ثم في تعبيره ﷺ في المقام بقوله: أَوْ رَوْوُ السُّيُوفِ مِنَ الدَّمَاءِ تَرَوْوَا مِنَ
الماء...

ما لا يخفى من محاسن الكلام على اهله فانه ﷺ قد استعار عن قتل الأعداء
بما ترى بانهم لو قتلوا الأعداء وهزموهم يروون من الماء الذي تصرفه العدو
وضبطه لنفسه والآن ليس لهم فيه حظ ولا نصيب فكانه ﷺ أثبت الملازمة بين
الأمرين وهو من محاسن الكلام وعجائبه هذا بحسب ظاهر اللفظ مما لا كلام
فيه.

□ قوله ﷺ: قَالِمُوتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ...

قد تكلمنا في معنى الموت والحيوة فيما مضى مفضلاً فلانحتاج الى
الاعادة والآن نتكلم في معنى الجملة فنقول: اعلم ان الموت والحيوة متقابلان
فالحكم على احدهما يوجب خلافه على الآخر كما هو شأن التقابل ومن
جملة الاحكام القاهرية والمقهورية اعني غالبية احد الشئيين على الآخر بالقهر
والغلبة وهذا هو الفرق بين الغالب والقاهر والمغلوب والمقهور وقال بعضهم
هما سيان والفرق بينهما بحسب اللفظ فقط.

قال الراغب في المفردات، القهر الغلبة والتذليل معاً ويستعمل في كل واحد

فمن الأول: قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾،

و: ﴿هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾

و: ﴿فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾

ومن الثاني قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾^(١) إى لا تدلّل، .

وقال فى المنجد قهره قهراً غلبه، انتهى فعلى قول المنجد لافرق بينهما واما على قول الراغب فالفرق واضح وهو الحقّ وعليه فقوله ﴿يَتِيمًا﴾: مَقْهُورِينَ تارةً وقاهرين اخرى اسارة الى ان هذه الغلّة تلزم منها الذلّة والحقارة. ثم ان قوله ﴿يَتِيمًا﴾: فَأَلْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، معناه ان الحياة مع الذلّة مَوْتُ فى الحقيقة والموت مع العزّة حياة.

والى الثانى - اعنى كون المَوْتُ مع العزّة حياة اشار بقوله والحياة فى موتكم قاهرين والى هذا المعنى اشار الشاعر حيث قال:

وَمَنْ فَاتَهُ نَيْلُ الْعُلَى بِعِلْمِهِ واقلامه فليبينها بحسامه

فَمَوْتُ الْمَتَى فِي الْعِزِّ مِثْلُ حَيَاتِهِ وعيشته فى الذلّ مثل حمامه

وذلك لانّ الحيوّة اذا كانت مَقْهُورَة تحت الموت لامحالة تكون مع الذلّة وسُقوط المنزلة وهذه ليست بحياة حقيقة اذ هى أشدّ من موت البدن عند العقلاء كيف وهو مَوْتُ الرّوح كما انّ الموت اذا كانت قاهراً غالباً على الحياة لامحالة يكون مع العزّة والشوكة وهو يوجب الذكر الجميل فى الدنيا والأجر الجزيل فى العقبى فهو فى الحقيقة حياة لاتفنى. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٢) وحاصل الكلام انّ الحياة فى حالة المَقْهُورِيّة بَسُلْط الأعداء عليه هى الموت واقعاً بل أشدّ منه والموت فى حالة القاهريّة بان يقتل فى سبيل الله حياة واقعاً وهذا هو الحقّ الذى لاغبار عليه والى هذا المعنى اشار سيّد الشهداء ﴿عليه السلام﴾ بقوله فانى لأرى

الموت إلا سعادة والخيوة مع الظالمين إلا نرما. صدق ولى الله واين هذا المثل
 ممن ترك الحياة الأبدية لأجل هذه الحيوه الفانيه الدائرة كما هو منطى الفساق
 والمخالين الذين لا يعتقدون شيئاً غير هذه المحسوسات فأنهم قد غفلوا عن
 ان الدار الآخرة هى الحيوان لو كانوا يعلمون قل كل يعمل على شاكلته.
 قوله ﷺ: **أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادِلَمَّةً مِنَ الْغَوَاةِ وَعَمَسَ عَلَيْهِمُ الْخَبْرَ حَتَّى جَعَلَ
 نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَيْتَةِ...**

أشار ﷺ فى خاتمة كلامه الى امور ثلاثة:

احدها: ان معاوية ابن ابي سفيان ساق طائفة من الغواة البغاة وفيه اشعار بان
 معاويه لعنه الله هو السائق لهؤلاء والقائد لهم فى هذا المضمار بحيث لولا
 شامته وذرالته لما كانت من هذه الوقعة عين ولا اثر وفى قوله ﷺ **لَمَّةٌ مِنَ الْغَوَاةِ**
 تصريح بكون اصحابه متصفين بفساد العقيدة، فان الغى عبارة عن اعتقاد شىء
 فاسد. قال الله تعالى: **﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾** (١)

و: **﴿ وَاخوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَى ﴾** (٢)

وتوزع الغوى. فسوف يلقون غيياً، فأتصاف اصحاب معاوية بالغى انما هو
 الاعتقاد بشىء فاسد اما ان كانت عقائدهم فاسدة فى التوحيد والتبوة
 والامامة واما بان كانوا معتدين بان علياً عليه السلام قتل عتماهم مع انه سجد لم يقته
 وله بالمر بقتل ايضاً واما بان كانوا معتدين بدلائل امرين واجمع مهمتين
 اولى من الطرح اما كون اهل الشام متصفين بفساد العقيدة بالمعنى الاول
 فذلتهم استسوا فى خلافة ابي بكر بعد وفاة النبي ﷺ وقد ولى عليهم يزيد بن
 ابي سفيان ثم بعد موته ولى عمر عليهم معاوية ابن ابي سفيان فهؤلاء لم
 يعرفوا الا الخلفاء وآل ابي سفيان فكان الهتهم ونبيهم وامامهم هو ابوبكر وعمر
 وعثمان ويزيد ابن ابي سفيان ومعاوية وكان كتابهم وكتبهم الأحاديث
 الموضوعه من آل ابي سفيان عليهم ومن كان كذلك فهو حرتى بان يسمى

بالغواية والى هذا المعنى اشار ﷺ بقوله الا وان معاوية قائلمة من الغواة.
واما قوله ﷺ: وَعَمَسَ عَلَيْهِمُ الْخَبْرَ، ففيه اشارة الى ان معاوية لم يخبرهم
بحقيقته الحال فانه قال لهم ان علياً قاتل عثمان مع انه ليس الامر كذلك بل هو
ايضاً كان يعلم بان علياً لم يقتله الا انه قال لهم ما قال لما رأى فى هذا العمس
من المصلحة المؤصلة اياه الى الامانى والامال فان الناس لو علموا حقيقة
الحال لا يمكن استعمارهم واستعمارهم وهذا اصل ثبني عليه الابنية الرشيقة
فى هذا العالم المادى بل لولاه لا يظهر الباطل ابداً فظهور الباطل وتسلطه على
الحق انما هو بحجب العمس واخفاء الحقيقة.
□ قوله ﷺ: حَتَّى جَعَلَ نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ، ...

والمقصود ان معاوية بسبب عمس الخبر عليهم جمعهم فى صعيد واحد
للقتال وجعل نُحُورَهُمْ أَغْرَاضاً واهدافاً للموت وهو كناية عن القتل، اى
أوقعهم فى معرض الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة فقتل من قتل بصفين
وغيره لوصول معاوية الى آماله وبلوغه الى اهدافه وهذا دليل على حماقة القوم
وسفاهتهم فان العاقل لا يبيع آخرته ودينه بدنيا غيره هذا هو شرح كلماته
بحسب ظاهر الفاظه:

تأويل فيه تنوير - اعلم ان معاوية فى التأويل هو الشيطان والنفس الامارة
بالسوء وعلى ﷺ هو العقل الدال على الخير والحقيقه واصحاب معاوية قوى
النفس الامارة من الشهوة والغضب والبخل والحسد وامثالها واصحاب على
قوى العقل من الأمانة والصدقة والرحم والعدالة والشجاعة والسخاوة
وامثالها، والماء الذى غلب معاوية واصحابه عليه هو ماء الحياة الدائمة الذى
لاموت فيه اصلاً كما قال ﷺ خَلَقْتُمْ لِلْبَقَاءِ لِلْبَقَاءِ فَالنَّفْسُ الْإِمَارَةُ الَّتِي هِيَ مِنْ
مظاهر الشيطان فى البدن بسبب انغمارها فى الشهوات، والرذائل قد غلبت
على ماء الحياة الذى فيه سعادة الأبد والعقل وجنوده يمنع عن هذه السلطة
والغلبة لعلمه بان فيها هلاك صاحبه فكما ان معاوية سبق علياً واصحابه فى

تَصَرَّفَهُ الْمَاءُ فَكَذَلِكَ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ وَقَوَاهَا سَبَقَتْ الْعَقْلَ وَجُنُودَهُ فِي تَصَرُّفِهَا
الْبَدْنَ وَالْأَسْتِيلاءَ عَلَيْهِ وَذَلِكَ لِمَا قَدَّمَ مِنْ أَنْ الطَّبْعَ مُقَدِّمٌ عَلَى غَيْرِهِ مطلقاً
فمقتضياته ايضاً كذلك.

فالعقل يقول لاصحابه اعنى قواه اما بعد فان القوم، اى النفس، والقوى
التابعة لها، قد بدؤكم بالظلم الى قوله حيث منعوكم الماء اعنى الحياه الأبدية
التي لأجل الوصول اليها خلقتكم ووجدتم.

ثم يقول لقواه (فاقروا على مذلة وتأخير محلة) اوروو السيف من الدماء
ترووا من الماء، اى لا بد لكم من اخذ احد الأمرين، اما الاقرار على المذلة فى
قبال قوى النفس واما القيام فى مقابلها على التفصيل الذى مر ذكره فان
الشيطان والنفس الامارة قاذممة من الغواية الى آخر ما قال ﷺ فى مظهره الكامل
اعنى معاوية لعنه الله.

واما كيفية غلبة اصحاب معاوية على الماء فقد مر ذكرها فى قصة صفين
مفضلاً وقد قلنا ان امير المؤمنين ﷺ ارسل صعصعة ابن صوحان الى معاوية الآ
انه لم يرجع عن غيئه وضلالته ولم يخل بينهم وبين الماء حتى أخذوا الماء منهم
بالقهر والغلبة، ثم اذن لمعاوية واصحابه ليشربوا الماء وفى غلبة معاوية على
الماء ومنعه علياً واصحابه منه.

قال المعري ابن الافيل وكان صديقاً لعمر وابن العاص وهو مع ذلك كان
كثير العبادة فلما رأى اصرار معاوية على المنع قال:

وَعَمْرٍو مَا لِدَائِبِهِمَا، دَوَاءُ	لِعَمْرِ وَابِي مَعَاوِيَةَ ابْنِ حَرْبٍ
وَضَرْبٍ حِينَ يَخْتَلِطُ الدَّمَاءُ	سِوَى طَعْنٍ يُحَارِ الْعَقْلَ فِيهِ
طَوَالَ الذَّهْرِ يَا ارْسَى حِرَاءُ	وَلَسْتُ بِتَابِعِ دِينَزِ ابْنِ هَنْدٍ
وَقَدْ ذَهَبَ الْوِلَاءُ فَلَا وِلَاءُ	لِقَدْ وَهَبَ الْعَتَابُ فَلَا عِتَابُ
عَلَى عَمْرٍو صَاحِبِهِ الْوَفَاءُ	وَقَوْلِي فِي حَوَادِثِ كُلِّ حَرْبٍ
لِقَدْ بَرِحَ الْخِفَاءُ فَلَا خِفَاءُ	أَلَا لَلَّهِ دَرَكُ يَابِنِ هَنْدٍ

انحمون الثرات على رجال وفي ايديهم الأسل الظماء
 وفي الأعناق اسياف حداد كان القوم عندهم نساء
 انرجوان يجاوركم على بلا ماء وللأحزاب ماء
 دعاهم دعوة فاجاب قوم كجرب الابل خالطها العناء
 فلما قال الرجل الهمداني هذه الايات سار في سواد الليل حتى لحق
 بعلي عليه السلام.

روى ان علياً عليه السلام واصحابه مكثوا يوماً وليلةً بغير ماءٍ واغتمت بهم فيه اهل
 العراف من العطش

وقد روى في البحار ان امير المؤمنين امر مالك الأستر ان يقول لمن على
 جانب الفرات يقول لكم عليٌّ اعدلوا عن الماء فلما قال ذلك لهم عدلوا عنه،
 فورد قوم عليٍّ عليه السلام فاحذوا منه فبلغ ذلك معاوية فاحضرهم وقال لهم
 في ذلك فقالوا ان عمرو بن العاص جاء وقال ان معاوية يأمركم ان تفرجوا
 فقال معاوية لعمر بن الخطاب انك لتأتى امرأته تقول ما فعلته.

فلما كان من عدي وكل معاوية حجل ابن عتاب النخعي في خمسة الاف
 فتعل عليٌّ عليه السلام مثل ما فعل في الأسس وفعل اصحاب معاوية ايضاً مثل ما فعلوا
 من فقلل لعمري في ذلك ما جاور به مثل ما اجابوه سابقاً

فلما كان اليوم الثالث قال معاوية لأصحابه لا تقتلوا قول احدٍ غيره الا من
 اعطاكم خاتمه هذا. فامر عليٌّ ما لكما مثل ما امره فيما مضى فرأى حجل معاوية
 راح منه حاشيه والصرف عن الماء وبلغ معاوية ذلك فدعاه وقال له في ذلك
 ما رآه خاتمه فضرب معاوية يده على يده فقال نعم، وان هذا من دواهي عليٍّ
 انتهي.

اقول: بين هو من معجزاته وكراماته كما هر ظاهر ومعاوية ايضاً كان عارفاً
 به، الا انه يصرح به لكونه على خلاف المصلحة، فان معاوية وامثاله كانوا
 عا، فمن بمقامه عليه السلام ولكن الدنيا منعتهم عن اتباع الحق والتقول به.

نسخة من نسخة في شرح نهج البلاغة

وَمَنْ خَطَبَهُ لَهُ (٥٢) كَلِمَةً

□ قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ، وَآذَنْتْ بِانْقِضَائِهَا، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وَأَدْبَرَتْ خَدَّاءَ، فَهِيَ تَحْفِرُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا، وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جَبْرَانَهَا، وَقَدْ أَمَرَ مِنْهَا مَا كَانَ حَلَوًّا، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْوًّا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمِقْلَةِ، لَوْ تَمَرَزَهَا الصَّدِيَانُ لَمْ يَنْقَعُ، فَأَزْمِعُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالِ، وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ وَلَا يَطْوِلَنَّ عَلَيْكُمْ فِيهَا الْأَمَدُ، فَوَاللَّهِ لَوْ حَسَنْتُمْ حَيْنَ الْوَلِّهِ الْعِجَالِ، وَدَعَوْتُمْ بِهَدْيِ الْحَسَامِ، وَحَارْتُمْ جُوزَ مَتَبَتْلِ الرَّهْبَانِ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، لَلْتَمَسَ الْقُرْبَةَ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ، أَوْ خَفِرَانَ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَرْجَوَلَكُمْ مِنْ تَوَابِهِ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ، وَاللَّهُ لَوْ أَنَّنَا نَتْ قُلُوبَكُمْ إِنْ مَيَّانًا، وَسَالَتْ عِيُونُكُمْ، مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَمًّا، ثُمَّ عَمَّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةً، مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئًا مِنْ جَهْدِكُمْ أَنْعَمَهُ عَلَيْكُمْ الْعِظَامُ، وَهَدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ، وَمِنْ تَمَامِ الْأَضْحِيَّةِ اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا، وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا، فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ، الْأَضْحِيَّةُ وَتَمَّتْ، وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءُ الْقَرْنِ تَجْرُ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنَسَكِ.

(تَصَرَّمَتْ) التَّصَرُّمُ الأَنْقِطَاعُ (أَذَنْتُ) الأَيْدَانُ الأَعْلَامُ. (تَنَكَّرَ) اى جَهْلُ (حَذَاءً) اى السَّرِيعَةُ ورؤى جَذَاءً بِالْجِيمِ وَهُوَ مُنْقَطِعُ النَّفْعِ. (تَحْفِزُ) الحَفْزُ السُّوقُ (سُكَّانُهَا) السُّكَّانُ كَعُمَّالٍ جَمْعُ مَسَاكِنَ. (أَمَّرَ) اى صَارَ مُرًّا (كَدِرَ) مِنْ بَابِ تَعَبٍ زَالَ صَفَائِهِ. (سَمَلَةٌ) بَفَتْحِ السَّيْنِ وَسُكُونِ المِيمِ مَا يَبْقَى فِي الأَنْاءِ مِنَ المَاءِ. (الأَدَاوَةُ) المَطْهَرَةُ (المَقْلَةُ) بَفَتْحِ المِيمِ وَسُكُونِ القَافِ حِصَاةٌ لِلْقِسْمِ يَقْسَمُ بِهَا المَاءُ عِنْدَ قَلْتِهِ. (تَمَزَّزَهَا) التَّمَزُّزُ تَعَصُّصُ الشَّرَابِ قَلِيلاً قَلِيلاً (الصَّدْيَانِ) العَطْشَانِ. (يَنْقَعُ) نَقَعَ اى سَكَنَ عَطَشُهُ. (فَأَزْمَعُوا) اى فَاجْمَعُوا رَاعَزُمُوا. (المَقْدُورِ) المَقْدَرُ المَحْتَوَمُ (الأَمْدُ) الغَايَةُ (حَنْتُمْ) الحَنِينُ الشُّوقُ (الْوَالِي) جَمْعُ وَالِهِ بِمَعْنَى التَّحْيِيرِ وَقَدَّ التَّمْيِيزِ وَالعِجَالِ جَمْعُ عَجُولٍ. (هَدِيلٍ) هَدِيلُ الحِمَامِ نَوْمُهَا (جَاءَ رُتْمٌ) جَارٌ يَجْتَرُّ نَحْوَ مَنْعٍ يَمْنَعُ جُوراً بِالضَّمِّ رَفَعَ الصَّوْتِ أَوْ الأَسْتِغَاثَةَ. (مُتَبَيِّلِ الرُّهْبَانِ) التَّبَيُّلُ الأَنْقِطَاعُ. (إِنْمَاثُ) انْمَاثُ القَلْبِ ذَابَ (الجُهْدِ) بِالضَّمِّ الطَّاقَةُ. (الْأَنْعَمُ) كَأَفْلَسٍ جَمْعُ نَعْمَةٍ. (الأُضْحِيَّةُ) بِضَمِّ الهَمْزَةِ وَكسرها وَيُقَالُ ضَحِيَّةٌ اَيْضاً وَعَلَى الأَوَّلِ فَالْجَمْعُ مِنْهَا اضْحَايٌ وَعَلَى الثَّانِي ضَحَايَا وَهِيَ الشَّاةُ الَّتِي تُضْحَى بِهَا اى تَذْبَحُ بِهَا ضِحَاهُ وَمِنْهُمَا سُمِّيَ يَوْمُ العَاشِرِ فِي ذِي الحِجَّةِ يَوْمُ الأَضْحَى. (الأُسْتَشْرَافُ) الأَرْتِفَاعُ (الْعُضْبَاءُ) المَكْسُورُ القَرْنِ. (المَنْسِكُ) مَحَلُّ النِّسْكِ وَالمَرَادُ بِهِ هُوَ المُذْبِحُ فِي المَقَامِ وَيَجُوزُ فِيهِ فَتْحُ السَّيْنِ وَكسرها.

◀ المعنى

(أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ،)، وَانْقَطَعَتْ (وَآذَنْتُ) اى أَعْلَمْتُ. (بِإِنْقِضَاءِ) اى بَانَهَا تَنْقِضَى وَتَفْنَى (وَتَنَكَّرَ) اى جَعَلَ. (مَعْرُوفُهَا) اى مَعْرُوفُ الدُّنْيَا (وَأَدْبَرَتْ حَذَاءً) اى سَرِيعَةً غَيْرَ بَطِيئَةٍ. (فَهِيَ) اى الدُّنْيَا (تَحْفِزُ) وَتَسُوقُ (بِالْفَنَاءِ) وَالأَضْمِخْلَالِ. (سُكَّانُهَا) مَنْ كَانَ سَاكِنًا فِيهَا. (وَتَحْدُو بِأَلْمُوتِ جِيرَانُهَا،) لِقَوْلِهِ

تعالى: كُلِّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. (وَقَدْ أَمَرَ) وصار مرّاً (مَا كَانَ حَلَوًّا، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْوًا) أى ما كان صفواً منها فقد زال صفائه وصار كدراً غير مصفى (فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا) أى من الدنيا. (إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِذَاوَةِ) أى شىء قليل لا يعباء به. (أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمِقْلَةِ) وهو ايضا كناية عن قلته وعدم الاعتناء به. (لَوْ تَمَرَزَهَا الصُّدَيَانُ) أى تَعَصَّصَهَا العطشان قليلاً قليلاً.

(لَمْ يَنْتَفِعْ) أى لم يَسْكُنْ عَطَشَهُ. (فَأَزْمَعُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ) أى أعزموا على المَوْتِ الَّذِي لَا بَدَّ مِنْهُ. (عَنْ هَذِهِ الدَّارِ) اعنى الدنيا. (الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزُّوَالِ)، أى هكذا قَدَّرَهُ اللهُ تعالى. (وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا) فى الدنيا (الْأَمَلِ) والتَّمَنَى البَعِيدِ. (وَلَا يَطْوُلَنَّ عَلَيْكُمْ فِيهَا الْأَمْدُ)، والغاية. (فَوَاللَّهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَيْنَ الْوُلْهِ الْعِجَالِ)، أى لو كان شوقكم الى الدنيا والبقاء فيها كَشَوْقِ العاشق الواله العَجُولِ. (وَدَعَوْتُمْ) فيها (بِهَدِيلِ الْحَمَامِ) ونومها. (وَجَارْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَلِّلِ الرُّهْبَانِ)، أى ان ترفعوا صواتكم وتقطعوا عن الخلق وتخذوا الرهبانية. (وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ)، أى وتركتم الأموال والأولاد فى طريق السُّلُوكِ الى الله. (الْتِمَاسَ الْقُرْبَى إِلَيْهِ) الى الله (فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ، أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ) أى لو فعلتم هذه الأمور كلها متقرباً الىه تعالى او لأجل المَغْفِرَةِ. (لَكَانَ) الَّذِي فَعَلْتُمْ بِهِ (قَلِيلًا فِيمَا أَرْجَوُكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ) أى ثواب الله تعالى (وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ)، أى عقاب الله تعالى. (وَتَا اللَّهَ) أى اقسم بالله (لَوْ انْمَأَثَتْ) وذابت قلوبكم (انميأثاً) أى ذوباً حقيقياً من خَشْيَتِهِ (وَسَأَلْتُ) أى جَرَّتْ (عُيُونُكُمْ، مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ) تعالى (أَوْ رَهْبَةٍ) وَخَشْيَةٍ مِنْهُ. (دَمًا) (ثُمَّ عَمَّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا) أى كُنتُمْ باقين فيها. (مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ) لَانْهَا مُمْكِنَةٌ وَكُلٌّ مُمْكِنٌ فى معرض الدُّثُورِ والفناء. (مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئًا مِنْ جُهْدِكُمْ) وَطَاقَتِكُمْ. (أَنْعَمَهُ عَلَيْكُمْ الْعِظَامُ، وَهَدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ)، والمعنى واضح.

(وَمِنْ تَمَامِ الْأُضْحِيَّةِ) وَكَمَالِهَا.

(اسْتِشْرَافُ أَدْنِهَا ، وَسَلَامَةٌ عَيْنِهَا) اى اُذُنُ الْأُضْحِيَّةِ وَعَيْنُهَا (فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ) فِيهَا (سَلِمَتِ، الْأُضْحِيَّةُ وَتَمَّتْ) لِعَدَمِ امْكَانِ الْعَمِّ بِبَاطِنِهَا. (وَلَوْ كَانَتْ)، الْأُضْحِيَّةُ عَضْبَاءَ (الْقَرْنِ تَجَرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَسْنَكِ) وَسَيَاتِي تَفْصِيلُ الْكَلَامِ فِيهَا فِي الشَّرْحِ.

◀ الشرح

□ قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّعَتْ، وَأَذْنَتْ بِانْقِضَاءِ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا وَأَدْبَرَتْ حَذَاءً، ...

قد مرَّ شرح هذه الفقرات بأدنى تفاوت فيها من جهة اللفظ فيما مضى عند قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّعَتْ وَأَذْنَتْ بِوَدَاعِ، وَعَدَّ قَوْلَهُ ﷺ فِي خُطْبَةٍ أُخْرَى الْأَوَانَ الدُّنْيَا قَدْ وَتَتْ حَذَاءً فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُيْبَةٌ كَصُيْبَةِ الْأَنْاءِ اصْطَبَّهَا مَسَابِقُهَا. فَلاَ حَاجَةَ إِلَى الْأَعَادَةِ فِي الْمَقَامِ نَعَمْ بَقِيَ الْكَلَامُ فِي مَقَامَيْنِ.

أحدهما: أَنَّهُ قَالَ فِيمَا مَضَى الْأَوَانَ الدُّنْيَا قَدْ وَتَتْ، وَفِي خُطْبَةٍ أُخْرَى قَدْ أَدْبَرَتْ. وَفِي الْمَقَامِ قَدْ تَصَرَّعَتْ فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا

وَتَانِيهِمَا: أَنَّهُ قَالَ فِي الْمَقَامِ وَتَحَرَّتْ مَعْرُوفُهَا وَهَلْكَ بِسَبَبِهَا وَمَاتَتْ سَابِقَةً فَمَا مَعْنَاهَا.

أما البحث في المقام الأول فنقول لكل واحد من هذه الالفاظ، معنى يناسب المقام بحسب ما اراده المتكلم وحيث ان امير المؤمنين ﷺ اراد فى بعض المقامات بيان ان الدنيا ليس لها اقبال كما يتوهم بل ما يتخيل انه انقلب يسير بعينه اذ بارا اذا الدنيا بنفسها اذ بارا محض فكذا ما فيها فقال ﷺ فان الدنيا قد ادبرت الخ.

ولما اراد ﷺ بيان ان الدنيا تسير سيرا سريعا الى الفناء والدثور فلا ينبغي للعاقل الاعتماد عليها قال ﷺ: قَدْ وَتَتْ حَذَاءً وَأَمَّا فِي الْمَقَامِ فَلَعَلَّهُ ﷺ اراد بيان اثبات الحدوث فيها فعبر بقوله ﷺ: تَصَرَّعَتْ. وتوضيحه ان التصرُّع بمعنى قبول القطع لان الصُّرْمَ فِي اللُّغَةِ الْقَطْعُ قَالَ الرَّاعِبُ فِي الْمَفْرَدَاتِ الصُّرْمُ

القطعية، وقال الصّريم قُطَعَةٌ مُنْصَرِفَةٌ عَنِ الرَّمْلِ، وقال في لسان العرب الصّرم القطع البائن وقيل القطع ائى نوع كان انتهى، فقولُه: الا وانّ الدّنيا قد تُصَرِّمَتْ، فيه اشعار بحدوث العالم، وانبات الحركة الجوهريّة فيها كما ذهب اليه الفلاسفة.

اما اثبات الحدوث فلا انّ التّصرّم اذا كان بمعنى القطع فهو يلازم الحدوث لكونه مسبوقاً بالعدم وكلّ ما كان مسبوقاً بالعدم فهو حادث فالدنيا حادثه
اما انّ القطع مسبوق بالعدم فهو ظاهر والا لا يكون قطعاً فانّ القطع الفصل وكلّ فصل مسبوق بالوصل والوصل غير الفصل بل هو عدم الفصل فثبت انّ القطع مسبوق بعدم القطع وهو المطلوب.

واما انّ المسبوق بالعدم حادث فلانه لا معنى للحدوث الا كونه مسبوقاً بغيره وهذا الغير تارة يكون العلة فتعبر عنه بالحدوث الذاتى وتارة يكون غيرها من الزمانيات كالتعدم مثلاً لا مطلق التعدم فانه ليس بشىء زمانى. بل عدم الملكة فهو الحدوث الزمانى فالفرق بين الحادث الزمانى والذاتى انما هو بكون الاول مسبوقاً بالزمان والزمانيات كمطلق المخلوقات فى عالم الحدود غير العقل الاول، بخلاف الثانى اعنى الحادث الذاتى فانه ليس مسبوقاً بالزمان والزمانى كالعقل الاول حيث انه مسبوق بالعلة فقط فيسمى بالذاتى وتعلبه فالحادث الذاتى منحصر به وما سواه من الموجودات يُسمى بالحادث الزمانى ولما كان العقل الاول على مسلك الفلاسفة هي الواسطة في افاضة الفيض عن مبدء الفياض على ما سواه فهو اول ما خلق الله وهو الصّادر الاول وما سواه منشعب منه فالعالم على مسلك كثير منهم حادث ذاتى لارمانى للزومه انقطاع الفيض الذى لا يقولون به والعهدّة عليهم.
واما غير الفلاسفة من المتكلمين فقد ذهبوا باجمعهم الى انّ العالم حادث بالخلوات الزمانى ولعلّ النقل ايضاً يؤيدهم وللبحث فى هذا الموضوع مقام آخر وعلى كلا التقديرين لاخلاف بينهم فى اصل حدوث العالم سواء كان

ذاتياً او زمانياً وايضاً لاخلاف فى ان الشئ اذا كان مسبوqاً بالعدم فهو حادث
وحيث ان القطع مسبوq بعدم القطع فهو حادث.

وقد قلنا: ان الصرم القطع فالحكم فيهما واحد وحيث انه ﷺ وصف الدنيا
بالصرم اعنى القطع فكائه وصفها بالحدوث وهو المطلوب. واما اثبات
الحركة الجوهرية فيها.

فملخص الكلام فيه هو ان التصرم اذا كان بمعنى القطع سواء كان القطع بائناً
بمعنى بينونة الأجزاء القطعية او غير بائن فهو يستلزم الحركة من مبدء الى
منتهى فان كانت الحركة غير منطبقة على الأجزاء سميت بالتوسطية وان كانت
منطبقة سميت قطعية فالحركة التوسطية عبارة عن نفس الحركة بين المبدء
والمنتهى والقطعية عبارة عن الحركة المنطبقة اعنى انطباق اجزاء الزمان على
المسافة فالفرق بينهما هو الفرق بين المطلق والمقيّد او الا بشرط شئ مع
بشرطه.

وحيث انجزّ الكلام الى هنا فلا بأس بالأشارة الى بعض ما يمكن ان يستفاد
من قوله ﷺ: **ألا و انّ الدنيا قدّ تصرّمت** مضافا الى ما مضى، فمنها حدوث
العالم على ما مرّ شرحه.

منها - اثبات الحركة للعالم بجواهرها واعراضها وهو المعبر عنه بالحركة
الجوهرية.

ومنها - اثبات الهيولى للعالم فهذه الأمور الثلاثة كلّها مستفادة من قوله ﷺ
كما سنقرّها لك اما الاول منها فقد مضى شرحه فانّ التصرم، والقطع لا ينفك
عن الحدوث كما عرفت.

واما الثانى - منها فبيانها يحتاج الى امور لا بدّ لنا من ذكرها بعنوان المقدمة.
منها - ان الحركة على مسلك الفلاسفة عبارة عن خروج الشئ من القوة الى
الفعل تدريجاً واما على مذهب المتكلمين هى كون الاول فى المكان الثانى
والحق هو تعريف الفلاسفة كما ثبت فى موضعه واذا اثبت ان الدنيا متصرمة

مُتَقَطَّةٌ فَقَدْ ثَبَّتَ الحَرَكَةَ فِيهَا فَالِدُنْيَا مُتَحَرِّكَةٌ وَهُوَ المَطْلُوبُ.

ومنها - انّ الدّنيا عبارة عن عالم المادّة ولو احقها والمادّة متحرّكة بالأصالة ولو احقها متحرّكة بتبعها وان شئت قلت بدل المادّة ولو احقها الجواهر والأعراض فكلّ موجود في هذا العالم لا يخلو منهما والمراد بالعالم هو عالم العناصر دون المجرّدات واذ اثبت الحركة فيها ثبتت في الدّنيا فصح ان يقال بانها متصرّمة.

اذ اثبت هذا فنقول كون الدّنيا متصرّمة الغرض منه هو عدم سكونها، وقرارها وثباتها فانّ التصرّم يقال على الموجد الغير القارّ بالذات الذي بقائه في فنائه وفنائه في بقائه كالآنات الوجودية الزمانية التي ليست لها وجود إلا في الاعتبار فانها ليست إلا نفس الحركة وقد ثبت انّ الحركة بما هي حركة ليست بشيء لكونها تجدد الشيء وتجدد الشيء بما هو تجدد الشيء امر اعتباري لا واقع له وهذا كما يقال انّ وجود الماهية كونها وتحققها، وكون الشيء بما هو كون الشيء ليس بشيء متأصلٍ وإلا لكان كون نفسه لاكون ذلك الشيء ولا شك انّ التصرّم فيها معناه عدم بقائها وثباتها اذ لو كانت باقية ثابتة لما كانت متصرّمة وهو المطلوب فالدّنيا من الموجودات الوهميّة التي ليست لها موطن إلا الخيال والذهن كما قيل.

كلّ ما في الكون وهمّ او خيال او عكوس في المرايا او ظلال

واما اثبات الهیولی للعالم العناصر، فمُلَخَّصُهُ أَنَّهُ ﷺ قَدْ أَثَبَّتْ لِلدُّنْيَا التَّصَرُّمَ وَقَدْ قَلْنَا أَنَّ التَّصَرُّمَ عِبَارَةٌ عَنِ القَطْعِ وَالقَطْعُ هُوَ الفَصْلُ وَكُلُّ فَصْلٍ مُسَبَّوقٌ لِامْحَالَةِ بَوصلِ وَالوَصْلُ بِمَا هُوَ وَصَلٌ لَا يَقْبَلُ الفَصْلُ وَإِلَّا يَلْزَمُ اتِّصَافُ الشَّيْءِ بِنَقِيضِهِ فَلِامْحَالَةِ يَكُونُ هُنَاكَ شَيْءٌ آخَرَ قَابِلٌ لِلوَصْلِ وَالفَصْلُ وَهُوَ المُسَمَّى بِالهِیُولَى فَالهِیُولَى فِي عَالَمِ العنصر ثابتة وهو المطلوب اما تفصيل الكام في هذه الابحاث العقلية الدقيقة فله موضع آخر غير هذا الكتاب.

□ واما قوله ﷺ: وَتَنَكَّرَتْ مَعْرُوفُهَا...

ففيه إشارة الى ان ما يُعدُّ منها معروفًا فهو في الواقع غير معروف عند اهلها فان السرجونات في هذه الدنيا لروالها وثنائها ليست بمعروفة ويمكن ان يكون قوله هذا إشارة الى ان الموحودات في هذه الدنيا دائماً في التغيير والتشكيل به عنى انها لمكان حد وثنها متغيرات فالمرجود فيها لا يقيم على حاله ولا شك ان احواله الثانيه غير الحاله الاولى فان كانت الاولى معروفة فالثانية لامحالة غير معروفة متنكرة وهو المطلوب، وقد مرُّ منا البحث في الدنيا وحقيقتها واعتباريتها مفضلاً عقلاً ونقلاً فلا نحتاج الى اطالة الكلام في المقام.

☐ قوله عليه السلام: **فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا، وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جَيْرَانَهَا،...**

ثم شرح عليه السلام في بيان مضارها وسوء خاتمتها وقد عدَّ عليه السلام منها ستة امور:

احدها قوله عليه السلام: **فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا،....**

اي ان الدنيا تسوق سكانها بالفناء سَوْقًا مُعْجَلًا قال الله تعالى: **﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾** ^(١) وفي التعبير بالفناء دون العدم إشارة الى ان الموجودات لا تعدم بل تفتنى كما عليه الفلاسفة فان الشيء بعد وجوده لا يعدم ابداً وانما يبدل وجوده بوجود آخر واما المادة فهي باقية على اى حال وقد تكلمنا فيه سابقا وسيأتى البحث فيه مفضلاً في بحث المعاد انشاء الله تعالى.

ثم ان الكلام استعارة حيث انه عليه السلام شبه الدنيا بالسائق وساكنيها بالنوق وامثالها مما يساق فكما ان السائق يسوق الأبل الى حيث شاء وهو لا يعلم اين يذهب فكذلك الدنيا تسوق ساكنيها الى حيث تشاء وهو لا يعلم اين يذهب ولا جل كون هذا السوق مُعْجَلًا عَبْرَ عليه السلام بقوله **تَحْفِزُ**، اعنى السوق مع التعجيل والأنصاف انه كذلك.

وثانيها قوله عليه السلام: **وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جَيْرَانَهَا...**

اي تبعث الدنيا جيرانها الى الموت الذي لا بد منه والتعبير بالجيران بدل

السُّكَّانَ بَعْدَ الْأَحْتِرَازِ عَنِ التَّكْرَارِ الْمُسْتَهْجَنِ فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ لِإِلْشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ الْوَاقِعَةَ فِيهَا قَرِيبَةٌ مِنْهَا فَاتَّهَ يُقَالُ لِمَنْ يَقْرُبُ مِنْ غَيْرِهِ جَارَهُ وَجَاوَرَهُ وَتَجَاوَرَ كَذَا قَالَ فِي الْمَفْرَدَاتِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٍ وَبِاعْتِبَارِ الْقُرْبِ الَّذِي اخْتِذَ فِي مَفْهُومِ الْجَارِ قِيلَ جَارٌ عَنِ الطَّرِيقِ ثُمَّ جَعَلَ ذَلِكَ أَصْلًا فِي الْعَدُولِ عَنِ كُلِّ حَقٍّ فَبَنَى مِنْهُ الْجَوْرَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ أَي عَادِلٌ عَنِ الْمَحْجَةِ.

وعليه فالكلام إشارة إلى أن الموجودات قريبة منها لأنها فيها كدخول شيء في شيء آخر بحيث تكون الدنيا ظرفاً والموجودات بمنزلة المظروف إذ هذا المعنى لا يتصور في المقام ضرورة أن الدنيا ليست بشيء حقيقة حتى يحكم عليها بحكم بل هي من الأمور الاعتبارية التي يعتبر العقل لها وجوداً باعتبار التخيل وما هو كذلك فكيف يمكن أن يكون ظرفاً للموجودات فالموجودات قريبة منها فالتعبير بالجيران حق لا مريية فيه.

وأما أن الدنيا تبعثهم إلى الموت والفناء فهو أمر محسوس مشاهد فضلاً عن كونه معقولاً فلا يحتاج إلى إقامة الدليل والبرهان إذ العيان يغنينا عن البيان ولنعم ما قيل منه:

باتوا على قُلل الأَجبال تَحرسُهُم	قُلل الرِّجال فلم تَنفَعَهُم القُلل
واستَنزَلوا بَعْدَ عِزٍّ مِنْ مَعاقِلِهِم	إلى مَقابِرِهِم يابِسٌ ما نَزَلوا
ناداهُم صارِخٌ مِنْ بَعْدِ ما دُفِنوا	أَيِّنَ الأَسِرَةِ والتَّيْجانِ والحُلل
أين الوُجوه التي كانت مُحجَّبة	من دونها تُضرب الأَسِطارِ والكُلل
فأفصح القبر عنهم حين سألهم	تلك الوُجوه عليها الدُّود تُنقل
قد طال ما أكلوا فيها وَهُم شَرِبوا	فأصبحوا بَعْدَ طُولِ الأكلِ قَدِ أَكلوا
وطال ما كثر والأموالِ وادَّخَروا	فَخَلَّفوها على الأعداءِ وار تَحَلَّوا
وطال ما شَيَّدوا دُوراً لِتَحصنَهُم	ففارَقوا الدُّورَ والأهلينِ وانتَقَلوا
أضحَت مساكنهم وَحشاً مُعطلَّة	وساكنوها إلى الأحداثِ قَدِ رَحَلوا

سَلِ الْخَلِيفَةَ إِذْ وَافَتْ مَنِيَّةَ
 أَيْنَ الْكُنُوزِ الَّتِي كَانَتْ مِفَاتِحَهَا
 أَيْنَ الْعَبِيدِ الَّتِي ارْضَدْتَهُمْ عَدَدًا
 أَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالْغِلْمَانِ مَا صَنَعُوا
 أَيْنَ الْكُفَاةِ أَلَمْ يَكْفُوا خَلِيفَتَهُمْ
 أَيْنَ الْكِمَاةِ الَّتِي مَاجُوا لَهَا غَضَبُوا
 أَيْنَ الرُّمَاهِ أَلَمْ تَمْنَعِ بِأَسْهَمِهِمْ
 هِيَهَاتَ مَا مَنَعُوا ضَيْمًا وَلَا دَفَعُوا
 وَذَا الرِّشَاءِ دَفَعَتْهَا عَنْكَ لَوْ بَدَلُوا
 مَا سَاعَدُوكَ وَلَا وَاسَاكَ إِقْرَبْتَهُمْ
 أَيْنَ الْجُنُودِ وَأَيْنَ الْخَيْلِ وَالْخُؤَلِ
 تَنَوُّوا بِالْعُصْبَةِ الْمُقْوِينَ لَوْ حَمَلُوا
 أَيْنَ الْحَدِيدِ وَأَيْنَ الْبَيْضِ وَالْأَسْلِ
 أَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالْخَطِيئَةِ الدُّلَّلِ
 لَمَّا رَأَوْهُ صَرِيحًا وَهُوَ يَبْتَهَلِ
 أَيْنَ الْحُمَاةِ الَّتِي تُحْمِي بِهِ الدُّوَلِ
 لَمَّا أَتَكَ سَهَامَ الْمَوْتِ تَنْتَضِلِ
 عَنْكَ الْمَنِيَّةُ إِذْ وَافَى بِكَ الْأَجَلَ
 وَلَا الَّتِي قَتَى نَفَعَتْ فِيهَا وَلَا الْأَجَلَ
 بَلْ سَلَّمُوكَ لَهَا يَا قُبْحَ مَا فَعَلُوا

و ثالثها قوله ﷺ: وَقَدْ أَمَرَ مِنْهَا مَا كَانَ حُلُوءًا...

وهذا هو الأمر الثالث من الأمور الستة اللازمة لها وحاصله أن الدنيا لشئامتها ودنائتها تُصير الحلو مُرًّا وذلك أمرٌ لاخفاء فيه في بادى الأمر كما اعترف به بعض الشراح ولكنه مع ذلك لا يخلو عن دقة لكون العبارة متضمنة لوجوه من المعانى الرشيقة لا بأس بالأشارة إليها على سبيل الأجمال توضيحاً لها.

منها - ان يكون المراد بصيرورة حلوها مُرًّا صيرورته كذلك بحسب الجس وبعبارة اخرى ان يكون المراد بالحلو والمُرَّ المحسوسين منهما، وذلك امر ثابت محقق فان الخلويات حالها كذلك كما هو ظاهر.

ومنها - ان يكون المراد بالحلو المحسوس منه وبالمُرَّ غير المحسوس وعليه فالمعنى ان الخلويات في الدنيا لها تبعات تُصيرها مُرًّا من الأمراض والأوجاع وامثالها.

ومنها - ان يكون المراد بها المعقول منها فالمراد بالحلو ما يعده الإنسان حلواً كالعلم والقدرة والحكومة والثروة والصحة والحياة وامثال ذلك والمراد بالمُرَّ هو الابتلاآت والمراجعات وتوقعات الناس منه فان الغنى مثلا يتوقع منه

ما لا يتوقع من غيره والسُّلطان والأمير له محدوديّة ليست لغيره، وهكذا مضافاً الى ان كلّ ذي نعمةٍ محسودٍ فاذا توجّه صاحب النعمة الى هذه التبعات واللوازم فهو يعلم بانّ النعمة التي تخيل انها حلّو فهي في الحقيقة مرٌّ لكونها مستلزّمة لها وكلّ ما تلزم منه المرارة فهو في واقع الأمر متّصف بها فالحلّو منها مرٌّ واقعاً وهو المطلوب.

ومنها - ان يكون المراد بمرارة الحلو المسؤليّة عند الله في الآخرة فانّ النعم الدنيويّة في حلالها حسابٌ وفي حرامها عقابٌ وكلاهما اعنى الحساب والعقاب مرّان، اما العقاب فمعلوم، واما الحساب فلانه يوجب توقيف العبد بين يدي الله تعالى في عالم الآخرة في مدّة لا يعلمها الا هو ومن المعلوم انّ التوقيف في تلك المرحلة الخطيرة وان كان مآله الى الجنة امرٌ صعبٌ كما روى عن رسول الله ﷺ انه قال يدخل الفقير الجنة قبل الغني بخمسمائة عام قيل له يا رسول ولم يكون كذلك قال لأجل الحساب ولولا ان تكون مرارة في النعم الدنيويّة التي تعدّ حلّواً غير هذا الوقوف، لكفى في مرارتها.

وعلى ايّ التقادير لاشك في انّ الدنيا دار بالبلاء مُحفوفةٌ وبالغدر معروفةٌ فكلّ ما كان اقبالها اكثر كانت همومها وغمومها أشدّ واعظم وكلّ ما كان أقلّ فهي ايضا كذلك وانت اذا تأملت في الدنيا وزخارفها ومأكولاتها، ومشروباتها وملبوساتها وسائر ما يتعلّق بها لعلمت انّ حاصلها ولبها وعصارتها ليس الا الحزن والهَمّ والمرارة فكلّ من كانت علاقته بها اكثر كانت همومه أكثر وبالعكس بالعكس الا ترى انّ الفقير أخفّ مَوؤنةً في الدنيا، والآخرة من الغنى فكلّ حلّوٍ من حلويات الدنيا سواء كانت من المحسوسات ام من المعقولات له تبعات وعواقب كثيرة خطيرة في الدنيا والآخرة وهي التي تُسمّى بالمرارة فينبغي للعاقل ان لا يعتنى بالدنيا وزخارفها وحلوها، وحامضها فانّ من ترك شيئاً لقد استراح من لوازمه وتبعاته كما انّ الأنبياء، والأولياء والصّالحاء كان هذا دأبهم وديّنتهم لعلمهم باعتبارية الدنيا وشمومها المخفيّة في جوفها.

ورابعها قوله ﷺ: وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْوًا... ..

وهذه الجملة نظير سابقتها من حيث المعنى ويمكن الفرق بينهما بأن الجملة السابقة اشار بها الى المأكولات والعناوين الاجتماعية بناء على تعميم الحلو بالمحسوسات وغيرها وبالتالي الى المشروبات فان الصفاة والكديرة من صفات الماء اولاً وبالذات ومن صفات غيره ثانياً وبالعرض وعليه فالمعنى كل ما توهمته صفاً فهو في الحقيقة كديرٌ وذلك كما ان الماء ربما يتخيل انه غير كدير مع انه في الواقع ليس كذلك.

ويمكن حمل العبارة على فعلى آخر أدق وأتقن مما ذكرناه وهوان كل ما كان من نعم الدنيا بحسب أصل الخلقة أوفى القرون الماضية متصفاً بالصفاة فهو صار الآن كديراً لأصفاة فيه واقعاً فلم يبق في العالم شيء ينبغي ان يعتنى به الا وهو صار ملعبة الجهال والأرجاس ويؤيد هذا المعنى تعبيره ﷺ عنها بصيغة الماضي الدال على المدعى فقوله ﷺ: وَكَدِرَ مِنْهَا اى من الدنيا بلفظ الماضي معناه كدير في سالف الزمان ما كان صفاً فيه ولا يبعد ان يكون هذا اشارة الى الخلافة حيث انها كانت من اعلى المناصب بعد النبي ﷺ وبهذا الاعتبار كانت صفاً ثم انها غضب وصارت ملعبة بأيدي الجهال فغيروها عن حقيقتها فصارت كديرة كما قال الشاعر:

اذا وَقَعَ الذُّبَابُ عَلَى طَعَامٍ رَفَعْتُ يَدَيَّ وَنَفْسِي تَشْتَهِيهِ
وانما قلنا الخلافة كانت كذا لكونها من أظهر المصاديق والأكل المناصب والمأكيل والمراكب والمسكن وامثالها كذلك كما نرى في زماننا هذا الا ترى ان الرجال والعلماء الذين لهم تجربة وعلم اعتزلوا عن الاجتماع والمناصب وأعرضوا عما يعدونه العوام سبباً ووسيلة للتفاخر لان العقلاء توجَّهوا وتفظَّنوا ان هذه الأمور صارت موهونة كديرة وليس لها صفاً وجلاءً على ما كانت عليه فالتصدي لها والتلبس بها يجعلهم اى العقلاء فى رديف الأشرار والأراذل المتلبسين بها وهذا يوجب تحقير الرجال وتنزلهم على شئونهم العقلية.

وحاصل الكلام ان الدنيا صارت كدرة يكونها في ايدى الجهلة كما هو شأنها وهو دليل على حقارتها ودنائتها وانه لا ينبغي الاعتناء بها فيقال ذرهم يَتَمَتَّعُوا وَيَلْعَبُوا بِهَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُنْقَلَبُونَ﴾ (١)

وخامسها قوله ﷺ: فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمِقْلَةِ...

اي فلم يبق من الدنيا الا بقية من الماء الذي في المظهرة او كجرعة المقلة، اي حصة للقسم يُقسَم بها الماء عند قلته ففي كلامه ﷺ استعارتان: احديهما: انه ﷺ شبه الدنيا وما فيها بالظرف الذي كان فيه الماء ثم أريق الماء ولم يبق في الظرف الا بقية قليلة من الماء التي لو شربها العطشان لم ينفع ووجه الشبه معلوم وهو عدم النفع في الماء القليل.

وحاصله ان مثل الدنيا عند العارف مثل الرطوبة اليسيرة الباقية في الظرف فكما ان العطشان لا يمكن له الاكتفاء من نفسه بها فكذلك لا ينبغي للعاقل اكتفاء نفسه بمتاع الدنيا لقلته بخلاف متاع الآخرة فانه كثير، والعاقل لا ينفع بالقليل عن الكثير مضافا الى كون متاع الدنيا في معرض الدثور والزوال بخلاف متاع الآخرة فانه باقية دائمة والباقي خير من الفاني.

وثانيها: انه ﷺ شبه الدنيا وما فيها بجرعة المقلة والمقلة بالفتح وسكون القاف على ما قالوا حصة للقسم يُقسَم بها الماء عند قلته في المفاوز وفي السفر تلقى في الماء ليعرف قدر ما يسقى كل واحد منهم، وعليه فوجه الشبه هو انه كما ان هذه الجرعة لا يسمين ولا يغني العطشان عن عطشه لقلّة الماء وحقارة الجرعة فكذلك حال الدنيا فانها لحقارتها وقلتها لا يشبع الجائع ولا العطشان فمن كان عاطشاً فعليه بماء غيره.

وفي كلتا الاستعارتين اشارة بدناية الدنيا وانها مما لا يعباء بها وهو ظاهر مما

تقدم.

وسادسها قوله ﷺ: لَوْ تَمَرَّزَهَا الصُّدَيَانُ لَمْ يَنْفَعُ...،

قد ظهر معنى الجملة مما قدمناه والتعبير بالتمرّز إشارة الى انه كما ان الصديان لو تمرّز بالجرعة قليلاً قليلاً لا يَنْفَعُ بها كذلك ابناء الدنيا حيث ان بلوغهم الى آمالهم وأمانيتهم فيها ليس دفعةً واحدة بل قليلاً قليلاً وهو مما لانفع فيه الا ترى ان الرجل الفقير يصل الى الغنى، والثروة بالمشقة يسيراً يسيراً ثم بعد وصوله اليها يتوجّه الى ان قلبه لم يطمئن بها بعد وهكذا الكلام في سائر الامور فانّ الأنسان لا يشبع من الدنيا وان بلغ من الثروة والمكنة ما بلغ الا بعد بلوغه الى معرفة الرب قال الله تعالى في كناية الا بذكر الله تَطْمَئِنُّ القلوب، صدق الله العلي العظيم.

□ قوله ﷺ: فَأَزْمَعُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالِ،...

ثم انه ﷺ بعد ما بيّن الدنيا ومضارها على ما مرّ شرع في بيان التكليف فيها وان الوظيفة ماهية.

وبعبارة اخرى: بعد ذكر الامور المذكورة التي بمنزلة المقدمات شرع في بيان النتيجة وقال فازمعوا الخ. وصدر الكلام بالفاء المفيدة للتفريع للأشعار بان ما ذكره ﷺ في المقام متفرّع على ما مرّ فالمعنى هكذا.

اذا عرفتم الدنيا وتبعاتها وسمومها وآفاتها فازمعوا عباد الله الرحيل الى آخر ما ذكره ﷺ.

ثم ان الشراح ذهبوا الى ان قوله ﷺ: فَاَزْمَعُوا معناه فاجمعوا امركم من ازمعت الامر اي اجمعت وعزمت على فعله وعليه فالمعنى اعزموا على الرحيل او اجمعوا امركم عليه وهذا المعنى يتحقّق فيما اذا كان الأنسان عازماً على الرحيل ومن المعلوم ان العزم من الامور القلبية فكل من كان عارفاً على الموت بقلبه يكون مصداقاً لهذا الكلام مع انه ليس كذلك اذ ليس غرضه ﷺ

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

منه ارادة الموت والعزم عليه اذ كل انسان سواء كان مؤمناً او فاسقاً بل كافراً فهو عازم على الموت مُريد له لامحالة لعلمه بانه من الأمور التي لا بد منه لكل موجودٍ وهو ليس ممّا يقبل الإنكار وعليه فلا فائدة في كلامه ﷺ لانه من تحصيل الحاصل.

والحق في المعنى انّ الأزماع ليس بمعنى اجماع الأمر والعزم عليه فقط كما توهموا بل بمعنى الثبوت على الشئ واطهار العزم فيه قال في المنجد - أزمع وزمع الأمر وعلية وبه ثبت عليه وأظهر فيه عزمًا وبه قال غيره من ارباب اللغة وعليه فالمعنى يصير هكذا أثبتوا عباد الله الرّحيل وأظهروا العزم عليه والمراد باظهار العزم هو العمل بمقتضاه لا العزم فقط فانّ العزم على الشئ غير اظهاره والعمل على طبقه والمطلوب هو الثاني دون الاول ومعنى العمل على طبقه هو العمل للأخرة لا للدنيا فانّ من عزم على الرّحيل لا بدّ من ان يكون عمله تابعاً لعزمه كما انّ من لم يعزم عليه فلامحالة يكون عمله غير عمل اهل الآخرة ومحصل الكلام هو انّ المقصود من العبارة اظهار العزم على الرّحيل بسبب العمل لا مجرد العزم.

ثمّ انّ في قوله ﷺ: الرّحيل إشارة الى انّ الانسان لا يعدّم بالموت بل الموت عبارة عن الانتقال من دار الى دار أخرى ولأجل هذه الدقيقة عبّر ﷺ بالرّحيل فانه يقال في الانتقال من مكان الى مكان آخر والى هذا المعنى اشار بعض العرفاء حيث قال في معنى الموت وحقيقته انّ الموت خلع ولبس، اى خلع لباس الدنيا ولبس لباس الآخرة او خلع الوجود الدنيوى ولبس الوجود الأخرى وهذا امرٌ ثابتٌ عقلاً ونقلاً خلافاً لبعض الظاهريين من العلماء حيث ذهبوا الى انّ الموت عدم واذا قيل لهم كيف يجوز اعادة المعدوم يقولون انّ اعادة المعدوم لا اشكال فيها وذلك لانهم لم يفهموا المعدوم ولا اعادته وقد ثبت استحالتها عقلاً على ما مرّ.

وفى قوله ﷺ: عَنْ هَذِهِ الدَّارِ المَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالِ،، إشارة الى انّ

الموت اعنى الانتقال من هذه الدنيا الى الدار الآخرة من المقدرات الالهية فكما ان الوجود فى هذه الدنيا بأمره تعالى وتقديره كذلك الموت من مقدراته وهذا معنى قوله خالق الموت والحيوة كما قال خَلَقَ الموت والحيوة واذا كان كذلك فالمبدء منه تعالى والمنتهى ايضا اليه قال الله تعالى اَنَا لِلَّهِ وَاَنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وعليه فينبغى للعاقل ولا سيما المؤمن بالله واليوم الآخر ان يكون مُتَوَجِّهًا الى مبدئه ومعاده وهو الأصل فى جميع اعتقاداته فان من لا يَتَوَجَّه الى هذا الأصل الأصيل فليس له فى الآخرة من نصيب

□ قوله ﷺ: وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ....

وقد اشار ﷺ بقوله هذا الى ما مرَّ سابقا فى قوله انْ أَخَوْفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمْ اثنان: اتباع الهوى وطول الأمل وقد سبق منا الكلام فيه وقلنا: انْ فى طول الأمل مفسده كثيرة الا انه ﷺ عبَّر عن هذا المقصود فيما مضى بطول الأمل ولكنه ﷺ فى المقام عبَّر منه بغلبة الأمل وطول الأمد والمآل فيهما واحد.

عبارتنا شتى وحُسنك واحد وكل الى ذاك الجمال يشير

ويمكن الفرق بين الجُمَلتين بانَّ السابقة قد دلَّت على النَّهى عن طول الأمل وفى المبحوثة عنها النَّهى عن غلبته الأمل وطول الأمد وطول الأمد معناه غير طول الأمل فانَّ الأمد مُدَّة لها حَدٌّ مَجْهُوْلٌ اذا اطلق وقد ينحصر نحو ان يقال أمد كذا يقال زمان كذا والفرق بين الزمان والأمد انَّ الأمد باعتبار الغاية والزمان عام فى المبدء والغاية ولذلك قال بعضهم المدى والأمد يتقاربان.

وعليه ففى المقام نَهَى ﷺ عن طول الأمد اعنى طول الزمان باعتبار الغاية اى لا تطلبوا الغايات البعيدة من حيث الزمان وذلك لانَّ من عَزَم على الرَّحيل وأظْهَرَ العَمَل على طبق عزمه فكيف يطلب ما هو مناف له أليست الغايات البعيدة منافية لهذا العزم أليس من يعزم على السَّفر والانتقال من مكان الى مكانٍ ومن بَلَدٍ الى بَلَدٍ لا يَتَوَجَّه الى شىء غير سفره وما يحتاج اليه فيه فحيث انه ﷺ قال فى صدر كلامه عباد الله فازمَعُوا الى الرَّحيل قال ﷺ بعده ولا

يَطْوُلْنَ لَكُمْ الْأَمْدَ أَي أَنْ كُنْتُمْ عَارِفِينَ عَلَى الرَّحِيلِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا فَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى الْأَمَالِ وَالْغَايَاتِ الْبَعِيدَةِ الْمُنَافِيَةِ لِمَقَامِ الْعِزْمِ وَلَا يَخْفَى لَطْفَهُ، ثُمَّ أَنَّهُ ﷺ قَدْ أَشَارَ إِلَى أُمُورٍ أَرْبَعَةٍ كُلِّهَا بِمَنْزِلَةِ الشَّرَائِطِ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: فَوَاللَّهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَيْنَ الْوَالِدِ الْعِجَالِ،...

الْحَيْنُ الصَّوْتُ لِاسِيْمَا عَنْ طَرْبٍ أَوْ حُزْنٍ وَالْوَالِدُ جَمْعُ وَالِهِ وَهُوَ الْحَيْرَانُ وَالْعِجَالُ جَمْعُ عَجُولٍ وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي تَفْقَدُ أَوْلَادَهَا وَالْمَعْنَى أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَوْ حَنَنْتُمْ إِلَى اللَّهِ شَوْقًا وَرَغْبَةً أَوْ حُزْنًا وَتَأْتِرًا مِثْلَ حَيْنِ النَّاقَةِ الَّتِي فَقَدَتْ أَوْلَادَهَا.

□ قَوْلُهُ ﷺ: وَدَعَاؤُكُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَامِ،...

وَالْتَقْدِيرُ وَأَقْسَمُ بِاللَّهِ لَوْ دَعَاؤُكُمْ بِهَدِيلٍ مِثْلَ هَدِيلِ الْحَمَامِ إِسْتِيْحَاشًا وَوَحْشَةً.

□ قَوْلُهُ ﷺ: وَجَارَتُمْ جُؤَارَ مُتَبَتِّلِ الرَّهْبَانِ،...

وَهُوَ أَيْضًا مَعْطُوفٌ فَالْتَقْدِيرُ وَأَقْسَمُ بِاللَّهِ لَوْ رَفَعْتُمْ الصَّوْتُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ مِثْلَ صَوْتِ الْمُتَبَتِّلِ الْمُنْقَطِعِ إِلَى اللَّهِ بِإِحْلَاصِ النِّيَّةِ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ،...

أَيِ إِنْ تَرَكْتُمْ الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ فِي طَرِيقِ السَّلُوكِ إِلَى اللَّهِ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: الْتِمَاسَ الْقُرْبَى إِلَيْهِ فِي أَرْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ، أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ...

أَيِ أَنْ فَعَلْتُمْ الْأُمُورَ الْأَرْبَعَةَ الْمَذْكُورَةَ فِي طَرِيقِ الْعُبُودِيَّةِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ تَعَالَى لِنَيْلِ الدَّرَجَةِ وَاكْتِسَابِ الْمَنْزِلَةِ أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ مِنَ السَّيِّئَاتِ الَّتِي فَعَلْتُمُوهَا وَأَحْصَتْهَا الْمَلَائِكَةُ.

□ قَوْلُهُ ﷺ: لَكُنْ قَلِيلًا فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ،

وَحَاصِلُ الْكَلَامِ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الْمَذْكُورَةَ الْأَرْبَعَةَ لِتَحْصِيلِ الثَّوَابِ أَوْ لِخَوْفِ الْعِقَابِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ اللَّذَيْنِ ادْخَرَهُمَا اللَّهُ لَكُمْ فِي النُّشْأَةِ الْآخِرَةِ شَيْءٌ قَلِيلٌ وَامْرٌ يَسِيرٌ وَفِيهِ أَشْعَارُ بَأَنَّ ثَوَابَ اللَّهِ وَكَذَا عِقَابَهُ أَعْلَى وَأَعْظَمُ مِمَّا

تَوْهَمَتْمُوهُ أَوْ تَصَوَّرْتُمُوهُ.

والسَّر فيه انَّ الثَّوَاب منه تعالى لا يكون إلا عن فَضْله ورحمته والعقاب منه لا يكون إلا عن سَخَطه وِغَضْبِه وقد قلنا وقالوا غير مرَّة انَّ الصِّفَات هناك عين الذات الأحديَّة الواجبيَّة وقد ثبت بالدليل العقلي والتقلي عدم تناهي ذاته وأنه غير متناهٍ في ذاته فبحكم العينيَّة غير متناهٍ في الصِّفَات ايضاً فلا مُحَالَة لا يكون لرحمته وفضله حَدٌّ ولا لغضبه وسخَطه محدوديةً فرحمته وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وِغَضْبِه كذلك إلا انَّ رَحْمَتِه سَبَقَتْ غَضْبِه وبهذا المقال يندفع ما ربَّما يقال في الجَنَّة والنار من جهة السَّعَة وعدم التناهي وانهما كيف يسعان المخلوقات من الاولين والآخرين وابن مكانهما وامثال ذلك من الاعتراضات الواهية فانَّ الجَنَّة مظهر لطفه ورحمته والنار مظهر سَخَطه وِغَضْبِه فكما لا يمكن التَّحْدِيد والتَّقْيِيد في صفاته فكذلك لا يمكن التَّحْدِيد والتَّقْيِيد في مظاهرها، ثم انه عليه السلام

اشار الى امورٍ اخر التي هي بمنزلة البرهان على ما ذكره سابقاً.

□ قوله عليه السلام: وَتَاللَّهِ لَوْ اِنَّمَا تُمْتُ قُلُوبُكُمْ اِنْمِيَاثًا، وَسَالَتْ عِيُونُكُمْ، مِنْ رَغْبَةٍ اِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَمًا، ثُمَّ عَمَّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةً، مَا جَزَتْ اَعْمَالُكُمْ،...

أقسم بالله ثانياً وقال لو انما تُمْتُ اي ذابت قلوبكم وسالت عيونكم اي جرت دموعكم على خدودكم من حُبِّ الله تعالى والعشق به او من خَشْيَتِه والخوف عنه، دَمًا، وهو كناية عن شِدَّة الوُقُوع ثم عَمَّرْتُمْ في الدنيا ما الدنيا باقية ما جَزَتْ اعمالكم التي اَتَيْتُمْ بها وبذلتُم فيها جُهدكم وسعيتكم.

□ قوله عليه السلام: وَلَوْ لَمْ تُتَّبِعُوا شَيْئًا مِنْ جُهِدِكُمْ اَنْعَمَهُ عَلَيْكُمْ الْعِظَامَ، وَهَذَا اِيَّاكُمْ لِلْاِيْمَانِ، ...

وحاصل المعنى انَّ كُلَّ ما اَتَيْتُمْ به من الأعمال الصَّالِحَة التي بذلتُم أنفسكم فيها قُرْبَةً الى الله وما عَسَى ان تَتَمَكَّنُوا به فهو قاصر عن مجازاة نعمة الله ولا سيَّما نعمة الهداية التي هي اَشْرَف النعم.

وحاصل هذه الكلمات هو انَّ العبد لا يقدر على الأتيان بوظائفه المقررة له

شرعاً وعقلاً لأنَّ العبادة فرع المعرفة وحيث أنَّ المعرفة به كما هو حقُّه لا تتيسر للعبد ما عَرَفْنَاكَ حَقَّ معرفتك، فكذلك العبودية الكاملة خارجة عن قدرته وطاقته وقد فَصَلْنَا الكلام فيه سابقاً.

ثمَّ قال ﷺ: في ذكر يوم النَّحر وَمِنْ تَمَامِ الْأُضْحِيَّةِ اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا، وَسَلَامَةٌ عَيْنِهَا، فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ، الْأُضْحِيَّةُ وَتَمَّتْ، وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ الْقَرْنِ تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنَسْكِ....

اقول: هذه الكلمات صدرت منه ﷺ في صفة يوم النَّحر وشرائط النَّحر ونحن نتكلَّم أولاً في حقيقة النَّحر وكيفيته ثمَّ نتكلَّم في شرائط النَّحر فنقول: النَّحر بفتح النون وسكون الحاء والراء على وزن فِلس في اصل اللُّغة هو موضع القلادة من الصُّدر وهو المَنَحْر والجمع على نُحور مثل فِلس وفلوس ومنه نحر البعير ونحرة الشَّهر ونحيره أوله وقيل آخر يوم من الشَّهر كأنه ينحر الذي قبله وجاء في الخبر اتانا رسول الله ﷺ في نحر الظُّهيرة وهو عين الشَّمس تَبْلُغُ مَتْنَهَا مِنْ الْأَرْتِفَاعِ كَانَتْهَا وَصَلَتْ إِلَى النَّحْرِ وَهُوَ أَعْلَى الصُّدْرِ وَيَوْمُ النَّحْرِ هُوَ يَوْمُ الْعَاشِرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ وَسُمِّيَ الْعَالَمُ الْبَصِيرَ نَحْرِيراً لِأَنَّهُ يَنْحَرُ الْعِلْمَ نَحْراً

وَأَمَّا الْأُضْحِيَّةُ فَقَالُوا فِيهَا إِنَّهَا بَضْمٌ الْهَمْزَةُ وَكِسْرُهَا اتِّبَاعاً لِلْحَاءِ وَالْيَاءِ الْمُخَفَّفَةِ وَالْجَمْعُ اضْحَى وَهِيَ الشَّاةُ الَّتِي تُضْحَى بِهَا أَي تُذْبَحُ بِهَا ضِحَاةً وَمِنْهَا سُمِّيَ يَوْمُ الْعَاشِرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ الْأُضْحَى كَمَا سُمِّيَ يَوْمُ النَّحْرِ.

والأضحية من المُستحَبَّاتِ المُؤَكَّدَةِ إجماعاً وقال الاسكافي على ما نقل عنه بوجوبها وهو شاذُّ وقد دلت الاخبار على استحبابها بعد اجماع الأمة عليه وقد روى الشارح الخوئي (قدّه) عدّة روايات في شرحه على استحبابها وحيث أنَّ استحبابها من المُسلِّماتِ عند الفريقين ولا خلاف فيه فلا حاجة الى ذكر الاخبار الواردة فيه فمن اراد الاطلاع على ما ورد فيها فعليه بكتب الموضوعات لها ولأمثالها.

□ وَاَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: وَمِنْ تَمَامِ الْأُضْحِيَّةِ اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا وَسَلَامَةٌ عَيْنِهَا إِلَى قَوْلِهِ وَتَمَّتْ...

ففيه إشارة إلى شرائطها وَخَصَّ ﷺ الْأُذُنَ وَالْعَيْنَ مِنْهَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُمَا الْأَصْلُ فِي الْأَعْضَاءِ وَالْأَهَمُّ فِيهَا وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَا رَوَاهُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتِشْرَفُوا الْعَيْنَ وَالْأُذُنَ أَنْتَهَى. وَإيضاً رَوَى فِيهِ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ أَنَّهُ نَهَى الْجِدْعَاءَ وَالْهَرَمَةَ الْمَجْدُوعَةَ وَالذِّعَاءَ الْأُذُنَ أَي مَقْطُوعَتَهَا «ج ٢ ص ١٧٥»...

وَإيضاً رَوَى فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَا يَضْحَى بِالْجِدْعَاءِ وَلَا بِالْجَرَبَاءِ وَالْجِدْعَاءُ الْمَقْطُوعَةُ الْأَطْبَاءِ وَهِيَ حُلُمَاتُ الضَّرْعِ وَالْجَرَبَاءُ الَّتِي بِهَا الْجَرَبُ أَنْتَهَى «ص ١٧٥»...

وَإيضاً عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ كَرِهَ الْمَقَابِلَةَ وَالْمَدَابِرَةَ وَالشَّرْقَاءَ وَالْخَرْقَاءَ، فَالْمَقَابِلَةُ الْمَقْطُوعَةُ مِنْ أُذُنِهَا شَيْءٌ مِنْ مُقَدِّمِهَا يُتْرَكُ فِيهَا مُعَلَّقاً وَالْمَدَابِرَةُ تَكُونُ كَذَلِكَ مِنْ مَوْحَرِّ أُذُنِهَا وَالشَّرْقَاءُ الْمَشْقُوقَةُ الْأُذُنَ، بِأَثْنَيْنِ وَالْخَرْقَاءُ الَّتِي فِي أُذُنِهَا نَقَبٌ مُسْتَدِينٌ، أَنْتَهَى «ص ١٧٦»...

□ وَاَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: وَلَوْ كَانَتْ عَضَاءُ الْقَرْنِ تَجْرُرُ رِجْلِنَا إِلَى الْمَسْتَدِينِ...

ففيه إشارة إلى شرط آخر وهو عدم وجود عضة في القرن، وقد وردت فيه أيضاً روايات.

مِنْهَا - مَارُوَادٌ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ دَعَائِمِ الْأَسْلَامِ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ ﷺ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَضْحَى بِالْأَعْضَبِ وَالْأَعْضَبُ الْمَكْسُورُ الْقَرْنَ كُلَّهُ دَاخِلُهُ وَخَارِجُهُ وَإِنْ انْكَسَرَ الْخَارِجُ وَحِدَةً فَهُوَ أَقْصَمٌ، أَنْتَهَى «ص ١٧٥»...

وَمِنْهَا - مَارُوَادٌ فِيهِ إِيضاً عَنْ عَلِيٍّ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْأُضْحِيَّةِ بِمَكْسُورِ الْقَرْنِ وَالْعَرَجَاءِ الْبَيِّنِ عَرَجِهَا وَالْمَهْزُولَةِ الْبَيِّنِ هَزَائِلِهَا وَالْمَقْطُوعَةَ الْأُذَانَ الْمُصْطَلَمَةَ أَنْتَهَى «ص ١٧٦»...

ثُمَّ إِنَّ كَلِمَةَ (لَوْ) فِي قَوْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ ظَاهِرٌ عِبَارَةَ الشَّرَاحِ أَنَّهَا لِلْوَصْلِ أَي وَإِنْ

مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة

كانت عَضْبَاء الْقَرْنِ وعليه فمعنى العبارة يصير هكذا ومن شرط تمام الأضحية او كمالها سلامة عينها واذنها لأنهما الأصلان في الأعضاء وان كانت الأضحية عَضْبَاء اى مكسور الْقَرْنِ بحيث تُجَرَّ رجلها الى المَنَسْكَ لعيب فى رجلها. والحاصل اذا كانت الأضحية من جهة العين والأذن سالمة فلا بأس بالعيوب وان كان تَرَكَها ايضاً أولى فى صورته التمكن، والحمد لله رب العالمين.

تنبية عرفانى: اعلم ان ذبح الهدى فى الظاهر اشارة الى ذبح حيوانيتك فى الباطن حتى ترى كمال انسانيتك فيه والمراد بكمال الأنسانية هو العقل الكلى الفعال.

فالنفس الأمارة بالسوء تشبه البقر وغيره من اقسام الهدى فكما ان البقر والأبل يُنَحَر فى المَنَى وغير المَنَى تقرباً اليه تعال فينبغى للعاقل العارف السالك فى سبيل الله ان يقتل نفسه الامارة فى واقع المَنَى وحقيقته وقتل النفس اغراء علم وعمل بتحريضهما عليه.

وكما ان الهدى ينبغى ان يكون كاملاً غير ناقص من جهة الأعضاء فكذلك هدى النفس ينبغى ان يكون صحيحاً بمعنى كونه خالصاً لوجه الله بريئاً عن الآفات من الرِّيا والشرك وسائر المُشْتَهِيَات النفسانية وان شئت قلت النفس تشبه البقر وقواها من الغضب والشهوة وامثالهما تشبه الأغنام فكما ان الأفضل فى صورة القدرة نحر البقر فكذلك الأفضل فى الواقع نحر النفس وكما ان المكلف لو لم يقدر على نحر البقر يجزيه نحر الغنم، فان الميسور لا يترك بالمعسور كذلك فى عالم الباطن لو لم يقدر على قتل النفس بالكليّة فينبغى له قتل اية قوّة من قواها من الشهوة وامثالها فان الميسور لا يترك بالمعسور وما لا يدرك كله لا يترك كله.

وكما ان النحر فى ظاهر الأمر ينبغى ان يكون خالصاً لوجه الله كذلك النحر الواقعى قال الله تعالى فى كتابه: ﴿لَنْ يَنَالَ اللهُ لَحْوْمُهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ

التَّقْوَى مِنْكُمْ»^(١) وقال في موضع آخر: «فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِلَى بَارئِكُمْ»^(٢) (في قصة بني اسرائيل) ومن المعلوم ان الأمر بقتل أنفسهم ليس على ظاهره من القتل العرفي بل المراد بهذا القتل هو قتل النفس الامارة في وادي السير الى الله تعالى لان القتل بهذا المعنى فيه حياة الواقعي والعيش الأبدى كما قيل.

أقتلوني اقتلوني يا ثقات ان في قتلى حياتاً في حيات

وسلامة الجسم في الأضحية بان لا تكون مريضاً كما علمت من الاخبار في التأويل عبارة عن سلامة السالك من العيوب النفسانية من البخل، والحسد والكبر وامثالها فان الانسان مادام كونه مُنغمراً في هذه الرذائل ومُنهمكا في هذه الأرجاس والخبائث لا يلقى بمقام الفناء والتقرب اليه تعالى فلا بد له أولاً من التخلية ثم الدخول في التخلية لتقدم الاول على الثاني في مقام السير والسلوك وليست التخلية في السالك الا تجنبه، وتنزّهه عن العيوب النفسانية. وتخصيصها ﷺ الأذن والعين بالذكر من سائر الأعضاء في الأضحية اشارة

الى أهميته هذين العضوين في الحيوان واما سائر الأعضاء فلا يعابها

وهكذا الأمر في الانسان السالك فان أهم الشرائط في تمامية سلوكه وكمال عبوديته سلامة عينه وأذنه الواقعيين فالمقصود بسلامة عينه في الواقع كونه على بصيرة من ربه من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة اعمى.

والمراد بسلامة أذنه في الواقع استماعه الآيات وكلمات الاولياء، وتأثيرها في قلبه لا مجرد الاستماع كما هو شأن جميع افراد الأنسان، بل الحيوان. وبعبارة اخرى لا يكون مصداقاً لقوله تعالى: «وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أِذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا»^(٣) ولذلك ترى ذكر العين والأذن في كتاب الله أكثر من سائر الأعضاء حتى ان الفلاسفة اختلفوا في ان ايهما أفضل مع اتفاقهم على افضليتهما على الأعضاء.

وحاصل الكلام هوان السالك الى الله اذا كان له أُذُنٌ واعية وعينٌ ذو بصيرة
فلا يضره سائر العيوب من كونه مُبتلى بالجذام والبرص وقطع اليد والرجل
وامثالها كما ان الأضحية ايضاً كذلك.

فاعرف ايها الانسان قدرك وحصل زادك قبل حلول أجلك وأترك الدنيا
وزخارفها وأقطع العلاقة منها وما فيها فان القلب لا يسع حُبَّين مُتضادين حُبَّ
الله تعالى وحُبَّ الدنيا واعلم بان حُبَّ الدنيا رأس كل خطيئة وهو سيئة لا ينفع
معه شيء واقتل النفس الامارة في مناك قربةً الى الله وخالصاً لوجهه الكريم ولا
تُشرك بعبادة ربك احداً وخذ التقوى في جميع المراحل شعارك واحذر عن
الشيطان فانه لك ولنا عدوٌ مُبين وأجعل نصب عينيك في جميع المراحل قوله
تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١) وصلى الله على رسوله.

﴿ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ (٥٣) ﴾

□ قوله ﷺ: فَتَدَاكُؤًا عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبِلِ، إِلَيْهِمْ يَوْمَ وَرَدِهَا قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا، وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ، وَقَدْ قَلْبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ، حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ، فَمَا وَجَدْتُنِي يَسْعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ، أَوْ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، وَمَوَاتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوَاتَاتِ الْآخِرَةِ، متن

◁ اللغة

(فَتَدَاكُؤًا عَلَيَّ) أي اجتمعوا وازدحموا من ذلك بعضهم دكا أي دقه. (وإليهم) الأبل العطاش. (مثنائها) والمثاني جمع مثناء بفتح الميم وكسرها هي الحبل يثنى ويعقل به البعير (والورد) الشرب. (قاتلي) بصيغة الجمع مضافة إلى ياء المتكلم وعليه فالياء مشددة. (فما وجدتني) على صيغة المتكلم (أهون) أسهل (مواتات) الشدائد....

◁ المعنى

(فَتَدَاكُؤًا) أي اجتمعوا وازدحموا (عليّ) يوم قتل عثمان (تدأك الأبل، إليهم) يوم وردها) أي اجتمعوا عليّ للبيعة كاجتماع الأبل العطاش يوم شربها (قد أرسلها) أي الأبل (راعيها) وسائقها. (وخلعت مثنائها) أي مثنى الأبل اعنى

حَبَلَهَا الَّذِي تُشَدُّ بِهِ. (حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ) اى النَّاسِ، (قَاتِلِي) من كثرة اجتماعهم، وازدحامهم (أَوْ بَعْضِهِمْ)، اى بعض النَّاسِ (قَاتِلُ بَعْضٍ) آخر. (لَدِي) وَقَدْ قَلْبْتُ هَذَا الْأَمْرَ)، وهو امر الخلافة. (بَطْنُهُ وَظَهْرُهُ) اى باطنه وظاهره (حَتَّى مَنَعْنِي النَّوْمَ)، كناية عن شدة التفكير فيه. (فَمَا وَجَدْتُنِي يَسْعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ) اى قتال هؤلاء القوم الذين نكثوا ببيعتي (أَوْ الْجُحُودُ) والآنكار (بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ)، فإن ترك قتالهم مساوق للخروج عن الدين. (فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ) مَعَهُمْ (أَهْوَنَ) وَأَسْهَلَ (عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ)، فى الآخرة (وَمَوْتَاتِ الدُّنْيَا) وشدائدها (أَهْوَنَ) وَأَسْهَلَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ وَشَدَائِدِهَا.

◀ الشرح

قال الشارح البحرانى ان هذه الخطبة انما صدرت منه ﷺ فى اصحابه بصفتين لما طال منعه لثم عن قتال اهل الشام قال (قدّه) وكان يمنعهم من قتالهم لأمرين: أحدهما: انه كانت عاداته فى الحرب ذلك ليكون خصمه البادى فتركبه الحجة. والثانى: انه كان يستخلص وجه المصلحة فى كيفية قتالهم لاعلى سبيل شكه فى وجوب قتال من خالفه فانه ﷺ كان مأموراً بذلك بل على وجه استخلاص وجه الرأى الأصلى او انتظاراً لأنجذا بهم الى الحق ورجوعهم الى طاعته لحقن دماء المسلمين كما سيصرح به فى الفصل الذى يأتى انتهى ما اردنا ذكره.

اقول: لست أدرى من اى مأخذ أخذ (قدّه) هذا الوجه مع انه لادلالة فى كلامه عليه والقرائن الخالية والمقالية كلها منتفية فى المقام بل القرائن تدل على ان صدور هذا الكلام منه ﷺ كان لبيان حال البيعة وعليه فالظاهر انه تشنيع منه ﷺ على الناكثين وهم اصحاب الجمل.

واما ما ذهب اليه الشارح البحرانى فى كون هذا الكلام منه ﷺ فى اصحابه بصفتين وانه كان يمنعهم عن قتال لأمرين فهو مجرد استنباط منه بلا دليل يدل عليه والاستخراجات الظنية لاتعويل عليها.

وأما قوله كما سيصرح به في الفصل الذي يأتي، ففي الفصل الآتي لادليل عليه أصلاً. نعم لاشك أن الفصل الآتي إنما صدر منه ﷺ في أصحابه حين أذن لهم القتال بصفتين وهو لا يدل على مدعاه إذ لا كلام لنا في الفصل الآتي وإنما الكلام في هذا الفصل فكون الفصل الآتي في أصحابه بصفتين لا يدل على أن الفصل المبحوث عنه أيضاً كذلك كما ستعرف الكلام في الفصل الآتي مفضلاً بل الحق في المقام هو أن صدورها منه لبيان حال البيعة وأن المقصود بالقتال فيها هو القتال مع الناكثين أو الأعم من الناكثين وغيرهم والذي يدل على ما ذهبنا إليه وجوه.

أحدها: أنه ﷺ قال في المقام فتداكؤ عليّ تذاك الأبل إليهم إلى آخره وقد أفاد ﷺ معنى هذه الجملة في الخطبة الشقشقية عند قوله ﷺ فمار اعني إلا والناس رسل إلى كعرف الصبح يتتالون عليّ من كل وجه وجانب حتى لقد وطئ الحسان وشق عطفائ مجتمعين حولي كربيضة الغنم إلى آخر ما قال فهناك شبه اجتماعهم حوله بريضة الغنم وفي المقام بتذاك الأبل إليهم يوم وردها والمآل فيهما واحد كما لا يخفى على من له أنس بسياق العبارة.

وثانيها: أن في وقعة صفين لم يجتمعوا عليه بل هو ﷺ بنفسه الشريفة قدحهم على الجهاد فلا معنى لقوله ﷺ: فتداكؤ عليّ تذاك الأبل إليهم، وابن كان لهم تذاك هناك مع أن الخطبة قد صرحت به ومعلوم أن تداكهم إنما كان يوم البيعة لا غير فالخطبة صدرت منه فيه وهو المطلوب.

وثالث الوجوه، أن الخطبة الآتية التي استشهد بها الشارح على مدعاه هي في الحقيقة رد عليه وذلك لأنها صدرت منه ﷺ مع عدم اطاعتهم له بل كانت آرائهم متشعبة وعقائدهم مختلفة، فتلك الخطبة على عدم تداكهم أدل وعلى تفرق آرائهم وتشعب عقائدهم أوضح ولا شك في أنه ﷺ إنما قال ما قال متأثراً ومُتأسفاً من اجتماعهم في أول الأمر ونفاقهم بعده وهذا المعنى في وقعة صفين كان على العكس، نعم لا يبعد أن يقال بأن الشارح البحراني (قدّه) حمل

كلامه ﷺ على ما حمل لقريظة حاليّة او مقالية خفيت علينا ونحن لا نذكرها لو كانت والعلم عند الله ولنرجع الى شرح الكلمات.

□ قوله ﷺ: فَتَذَاكُورٌ عَلَيَّ تَذَاكُورُ الْاِبِلِ، الْهَيْمِ يَوْمَ وِرْدِهَا قَدْ اَرْسَلَهَا رَاعِيَهَا وَخَلَعَتْ مَثَانِيَهَا....

والمعنى على ما ذهبنا اليه انّ الناس اجتمعوا وازدحموا على بعد قتل عثمان لأجل البيعة كاجتماع الأبل العطشان يوم ورودها على الماء وشربها منه اذا كانت مُرسلة مخلوعة المثنى ففي هذه الاستعارات اسرارٌ عجيبية.

احدها: تشبيهه ﷺ اياهم بالأبل العطاش اذا كانت مرسله مخلوعة المثنى دون غيرها من الحيوانات لأن الأبل اذا كانت كذلك لا يمكن لأحد منعهما عن شرب الماء وهذه الأفراد كانوا كذلك ويَدُلُّ عليه قوله ﷺ بعد هذا حتى اتى ظننت انهم قاتلي.

وثانيها: انّ الأبل لا بدُّ لها من حبل يثنى ويعقل بها فلو لم يكن الحبل او كان ولم يقدر راعيها على ضبطه فلامحالة تذهب الى حيث تشاء والناس ايضاً لا بدُّ لهم من حبل الأيمان فاذا لم يكن او كان ولم يقدر اميرهم على تقييدهم به فلامحالة يذهبون حيث شاؤوا وفيه اشارة الى انّ الخلفاء قبله لم يقدروا على اصلاحهم ومنعهم عن الفساد فلا جرم صاروا مطلقين، اي غير مقيدين بقيود الأيمان مع انهم لو كانوا مقيدين بقيود الأيمان لم يكونوا كذلك.

وثالثها: انّ الأبل تُصبر عن الماء عشرة ايام وانما جعل الله تعالى أعناقها طوالاً لتستعين بها على التهوؤض بالحمل الثقيل فشبههم ﷺ بها اما من جهة اثقال المعاصي واوزارها بتركهم اهل بيت النبوة واجتماعهم في السقيفة وبيعتهم لفلان وفلان وموافقتهم الخلفاء على ايجاد البدع والمنكرات وامثال ذلك فانّ حمل هذه الأوزار ثقيلٌ فكما انّ الأبل مُعدّة لحمل الأثقال بخلاف سائر الحيوانات لعدم قدرتها عليه بالنسبة الى الأبل فكذلك الأنسان بين الموجودات اختص بحمل الأثقال والأوزار المعنوية التي لا يقدر على تحمّلها

غيره قال الله تعالى: **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** (١)

هذا في تحمّل الأثقال المَعنوي وأما من جهة تحمّل المشاق والصبر عليها فهو أيضاً كالأبل لأنه في هذه المرحلة أيضاً من عجائب الموجودات فتبارك الله أحسن الخالقين.

ورابعها: أن قوله ﷺ هذا مقتبس من قول رسول الله ﷺ حيث أنه ﷺ أيضاً شَبَّه النَّاسَ بِالْأَبْلِ فَقَالَ ﷺ النَّاسُ كَأَبْلِ مَائَةٍ لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً.

وخامسها: أن الأبل لها جِدْعٌ عَظِيمٌ وأكثر المسلمين في صدر الإسلام كانوا كذلك وَمَنْشَأَ جِدْعِهِمُ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ ﷺ هو أنه قتل كثيراً من أقربائهم في الغزوات وهذا أحد الوجوه التي كانت باعثة على تركهم علينا ﷺ.

وسادسها: أن الأبل من طَبَعِهَا أَنَّهَا تَسْتَطِيبُ الشَّجَرَ الَّذِي لَهُ شَوْكٌ وَتَهْضُمُهُ أَمْعَاؤُهَا وَلَا تَسْتَطِيعُ فِي غَالِبِ الْأَوْقَاتِ أَنْ تَهْضُمَ الشَّعِيرَ وَأَكْثَرَ النَّاسِ كَذَلِكَ وَلَا سِيَّمَا فِي صَدْرِ الْأَسْلَامِ حَيْثُ أَنَّهُمْ كَانُوا تَسْتَطِيبُونَ الظُّلْمَ وَالْعِنَادَ وَكَانَتْ أَمْعَانُهُمْ تَهْضُمُهُ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ هَضْمَ الْعَدَالَةِ وَالْمَلَكَاتِ الْفَاضِلَةِ وَبِهَذِهِ الْجَهَةِ مَالُوا عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَأَقْبَلُوا إِلَى الْأَشْجَارِ الَّتِي كَانَتْ لَهَا شَوْكٌ أَعْنَى الظَّالِمِينَ الْمَعَانِدِينَ.

فبهذه الوجوه وأمثالها شَبَّهَ ﷺ النَّاسَ بِالْأَبْلِ وَأَشَارَ ﷺ فِي كَلَامِهِ هَذَا بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُطْلَقَ الْعِنَانِ لِأَدِينِ لَهُمْ وَلَا إِيمَانَ.

□ قوله ﷺ: **حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضِي لَدَيَّ...**

وفيه إشارة إلى كثرة جمعيتهم وشده ازدحامهم وهجومهم عليه لأجل البيعة وقد مرّ الكلام فيه في الخطبة الشَّقْشَقِيَّة.

□ قوله ﷺ: **وَقَدْ قَلْبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمُ...**

قَلْبُ الشَّيْءِ تَصْرِيْفُهُ وَصَرْفُهُ عَنْ وَجْهِهِ إِلَى وَجْهِهِ كَقَلْبِ الثَّوْبِ وَالْمُرَادُ بِالْأَمْرِ

هو الخلافة على مَسَلِكنا والقتال بصِفيين على مذهب البحراني (قدّه) والمعنى على المختار اني قلبت وتصرفت امر الخلافة اوامر الناكثين ظاهره وباطنه اى تدبرت وتاملت فيه حق التدبر والتأمل حتى سلب مني النوم والراحة وهو كناية عن شدة تأمله ﷺ فيه فان العاقل قبل الأقدام على شىء يتدبر فيه ويتأمل فى اطرافه وجوانبه ثم يرى المصلحة فى الدخول فيه وعدمه حتى لا يفعل شيئاً يورثه الندم والأسف.

□ قوله ﷺ: وَجَدْتُنِي يَسْعِيَنِ إِلَّا قِتَالَهُمْ أَوْ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ...

قد مرّ نظير هذا الكلام منه ﷺ فيما مضى عند ارساله جريراً الى معاوية حيث قال فى جواب اصحابه حين اشارو اليه بالاستعداد للحرب ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه وقلبت ظهره وبطنه فلم أرفيه لى إلا القتال او الكفر - وذكرنا هناك حقيقة الأمر بما لامزيد عليه وحاصل ان الله ورسوله قد أمراه بقتال القاسطين والناكثين والمارقين فترك القتال معهم مساق لتترك الأمر هذا بحسب الظاهر وأما بحسب الواقع فلأنه يجب رفع الظلم على كل مكلف فى حدود القدرة والأستطاعة لأنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وامثال ذلك من الوجوه المذكورة هناك.

□ قوله ﷺ: فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ وَمَوْتَاتِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ، ...

الفاء فى قوله ﷺ: فَكَانَتْ، للتفريع اى اذا كان فى ترك القتال الكفر بما جاء به محمد ﷺ فالقتال أولى ووجه الأولوية وكونه أهون وأسهل مع ما فيه من المشقات والخطرات من الجرح والقتل احياناً هو كونه موافقاً لما أمر الرسول به من عند الله وذلك لأن القتال وعدم القتال متناقضان وهما لا يجتمعان ولا يرتفعان فاذا كان الكفر بما جاء به محمد ﷺ فى ترك القتال فلا محالة يكون عدم الكفر فى قتالهم ولا شك ان عدم الكفر أولى وأهون وأسهل على المؤمن بالله ورسوله من الكفر وان كان فى عدم الكفر تحمّل المشاق فى الدنيا لأن

مخالفة الله ورسوله توجب العقاب في الآخرة، وموافقتهم توجب المشقة في الدنيا ومن المعلوم أنّ المشاقّ الدنيوية أسهل من العقاب الأخرى بمراتب كثيرة.

أما أولاً: فلكون المشاقّ في الدنيا زائلة دائرة والعقاب الأخرى باقية دائمة والعاقِل لا يترك الفانى ويأخذ الباقي.

وثانياً: إنّ المشاقّ الدنيوية والرياضات النفسانية والمجاهدات البدنية تتبّعها الراحة الأبدية واللذة الدائمة في الآخرة، بخلاف العقاب الأخرى فإنه ليس كذلك.

وثالثها: إنّ في المجاهدات النفسانية تهذيبٌ للبطن وتذكيةٌ للنفس وتقرّب إلى الله تبارك وتعالى وهذا بخلاف العذاب في الآخرة إذ ليس فيه إلا البعد عن جوار الحقّ فإنه لا يكون إلا عن غضبه ومن المعلوم أنّ ما يوجب الأذى بالله والتّقرّب إليه أسهل موزنةً وأهون تحملاً ممّا يوجب سخطه وغضبه.

□ **وأما قوله ﷺ: وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الآخِرَةِ، ...**

فهو بمنزلة التفسير والتوضيح للجملّة الأولى فعبر ﷺ عن الشدائد في صورة القتال بموتات الدنيا وعن الشدائد في الآخرة بموتات الآخرة فإنّ الموتات جمع موته والموت هو الأنقطاع والموته ايضاً كذلك قال في المنجد الموت والموته زوال الحياة عمّن كانت فيه.

وعليه فمعنى العبارة أنّ زوال الحياة الفانية في الدنيا أهون على من زوال الحياة الباقية في الآخرة فعبر ﷺ عن زوال الحياة بالموته ولا شك أنّ المقصود من زوال الحياة في الدنيا الذي نُعبر عنه بالموت هو الأنقطاع لا غير إذ بسببه ينقطع الآمال والعلائق الدنيوية.



ومن خطبة له عليه السلام (٥٤)

قوله عليه السلام: أَمَا قَوْلُكُمْ: أَكُلُّ ذَالِكِ كِرَاهِيَةَ الْمَوْتِ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي أَدَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ، وَأَمَا قَوْلُكُمْ: شَكَا فِي أَهْلِ الشَّامِ، فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وَتَعُشُوا إِلَى ضَوْئِي وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَبُو بِأَثَامِهَا، مَتْن.

◀ اللُّغَةُ

(تَعُشُوا) من عَشَى يَعُشُوا عَشَى إلى النَّارِ أَي رَأَاهَا لَيْلًا مِنْ بَعِيدٍ فَقَصَدَهَا مُسْتَضِيئًا. (تَبُو) بَاءُ أَي رَجَعَ (أَثَامِهَا) الْأَثَامُ جَمْعُ إِثْمٍ وَهُوَ الذَّنْبُ.

◀ الْمَعْنَى

أَمَا قَوْلُكُمْ: وَهُوَ خِطَابٌ مِنْهُ إِلَى أَصْحَابِهِ. (أَكُلُّ ذَالِكِ) أَي عَدَمُ إِذْنِي لَكُمْ فِي الْقِتَالِ مَعَ أَهْلِ الشَّامِ. (كِرَاهِيَةَ الْمَوْتِ) أَي لِأَجْلِ كِرَاهَتِي الْمَوْتِ (فَوَاللَّهِ) أَي أَقْسِمُ بِاللَّهِ. (مَا أَبَالِي) كَلِمَةٌ مَاءٌ لِلنَّفْيِ (أَدَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ) أَي أَدخَلَ عَلَيْهِ. (أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ)، أَي كَانَ الدَّاخِلُ هُوَ عَلَيَّ. (وَأَمَا قَوْلُكُمْ شَكَا فِي أَهْلِ الشَّامِ) أَي قَوْلُكُمْ أَنِّي أَكُونُ شَاكَا فِيهِمْ وَفِي حَرْبِهِمْ. (فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ) وَأَخْرَجْتُهَا (يَوْمًا إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ) الطَّائِفَةُ، (بِي، وَتَعُشُوا إِلَى ضَوْئِي) وَتَسْتَضِيءُ بِنُورِ وَلَايَتِي (وَذَالِكِ) أَي الْأَهْتَاءِ (أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا)

اي اقتل الطائفة على ضلالها وغيتها. (وَإِنْ كَانَتْ) الطائفة (تَبُو بِأَثَامِهَا) وترجع الى غيتها وضلالها.

◀ الشرح

قالوا في وجه صدور هذا الكلام منه ﷺ انه ﷺ لما ملك الماء بصفين على ما مرّ شرحه وسمح بأهل الشام في المشاركة والمساهمة رجاء ان يعطفوا اليه واطهاراً للمعدلة وحسن السيرة فيهم مكث ﷺ ايّاماً لايقدم على الحرب فقال له اهل العراق بان الناس يظنون انك تكره الحرب كراهية للموت ومنهم من يظن انك في شك من قتال اهل الشام فأجابهم ﷺ بهذا الكلام.

□ قوله ﷺ: «أَمَا قَوْلُكُمْ أَكُلُّ ذَلِكَ كَرَاهِيَّةَ الْمَوْتِ فَوَاللَّهِ مَا ابَالِي أَدَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ،...»

وهذا هو الجواب عن شبهتهم الأولى وهي قولهم انك تكره الحرب كراهية للموت، فصدر ﷺ جوابه بالقسم وقال فوالله، ليزيل الشك عن قلوبهم وان ما قاله ﷺ حق وصدق لامرية فيه.

والفرق بين الجملتين اعنى قوله ﷺ: «أَدَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ وَقَوْلُهُ ﷺ: «أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ»، هو الفرق بين الورد على الشيء وورود الشيء عليه فان الاول يجامع العلم بخلاف الثاني وتوضيح ذلك ان الانسان تارة يقدم على امر خطير فيه مظنة الموت او العلم به وتارة لايقدم عليه بل يفر عنه ومع ذلك ياتيه الموت بغتته.

ففي الاول يقال دخل هو على الموت وفي الثاني يقال دخل الموت عليه ولا شك ان الاول اصعب واشكل من الثاني لانه في الصورة الاولى اختار الموت باختياره وفي الثاني اخذه الموت بغير اختياره والاول لايجوز لقوله تعالى: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ»^(١) وذلك لان حفظ النفس من الواجبات

المسلّمة عند الكلّ، ولكنّه ممدوحٌ مرعّبٌ فيه بعنوانه الثانوي فيما اذا كانت المصلحة في القتل او الموت أهمّ من المصلحة في حفظ النفس بعدم الأقدام عليه كما اذا علم أنّ فيه إحياء الدّين وفي عدم الموت وحفظ البقاء زواله او ضعفه ومن هذا القبيل الجهاد في سبيل الله حتّى مع العلم بأنّ المجاهد يقتل في هذا الجهاد كما اذا أخبره النّبي او الأمام بموته فهو مع ذلك يجب عليه الأقدام على الجهاد ولا يحوز له الفرار منه او عدم الدّخول فيه ومن هذا الباب قيام الحسين عليه السلام مع اصحابه وانصاره مع علمه عليه السلام أنّه مقتول لامحالة وذلك لانه عليه السلام وان كان عالماً بشهادته الا انه عليه السلام ايضاً كان عالماً بأنّ حياة الدّين وبقائه في شهادته فاذا دار الأمر بين المهمّ والأهمّ فالأخذ بالأهمّ وترك المهمّ مسلّم عقلاً وشرعاً فانّ الدّين أهمّ الأشياء فيجب على كل مكلفٍ حفظه ولا سيّما الأمام الذي هو العلة المبقية للدّين كما أنّ الله تعالى هو العلة المحدثه له ولكلّ شىءٍ من الأشياء.

فاذا رأى الأمام بقاء الدّين في شهادته يجب عليه القيام بها وليس هذا من قبيل القاء النفس الى التهلكة كما ظنّ هذا المعنى من لاخبرة له بالأمر الدّقيقة والحقائق الشرعية بل هو من قبيل القاء النفس الى الحياة الأبدية قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ إِحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١)

والسرّ العلمي في هذا البحث هو أنّ التهلكة المنهيّة عنها في الآية الكريمة لها اعتباران - تهلكة الجسم، وتهلكة الرّوح.

أما الأولى منها: اعنى هلاك الجسم وتهلكته لامحدور فيها في حدّ نفسها عقلاً وشرعاً اذا كانت موجهة لحياة الرّوح فانّ البدن والعنصر الجسمي انما خلق للرّوح ليكون مركباً لها والرّوح انما تكمل بسببه فانّ القوى البدنية آلات للرّوح فكمال الرّوح وطى مدارجها العالية لا يتصور الا باستعانيتها منها وهذا

كما ان النجار مثلاً يكمل صنعه بسبب الآلات الموجودة كالقدوم والمنثار بحيث لولاها لما يقدر على ايجاد صنعه فالآلات لا يُعبأ بها في حدّ نفسها وإنما يُنظر اليها من حيث انها أسباب وأدوات للوصول الى كمال المطلوب وهذا النظر آلي لا استقلالى وقد ثبت ان الشئ بالنظر الآلى مُندك في الغاية المطلوبة فان ما به يُنظر غير ما فيه يُنظر اذا عرفت هذا فالجسم بالنسبة الى الروح ليس ممّا فيه يُنظر بل هو ممّا يُنظر به الى حقيقة الانسانية فهو مع قطع النظر عن الروح لاقيمة له ولا يُبحث عنه من هذه الجهة فهو بهذه الجهة فان في الروح مُندك فيها فالأحكام الصادرة عن الشارع راجعة الى ارواحهم بالحقيقة اذ هي التي قالت بلى حين قال تعالى: «الَسْتُ بِرَبِّكُمْ» فهي مدار التكليف ومحوره وقطبه والأهتمام في الجسم والديات المُقررة في مُتون الفقهية بالنسبة الى الجسم وبالجملة الأحكام المَجعولة له انما هو من جهة كونه مركباً للروح وآلة لِكماله لامن حيث جسميته وتركيبه العنصرى وبعبارة أخرى حرمة الجسم حرمة آية لآحرمة إستقلالية وعليه ففي دوران الأمرين هلاك الجسد، وهلاك الروح هلاك الجسد أولى وهذا في الروح والجسم ممّا لا كلام فيه.

ثم ان الروح تارة تكون خبيثة كثيفة وتارة تكون طاهرة من الأرجاس والمهلكات النفسانية، اما القسم الاوّل لا عبرة به ولا كلام لنا فيه فعلاً ضرورة ان الروح الخالية عن الأيمان والملكات الفاضلة منطردة مردودة فان قيمة الموجود انما هي بآثاره المترتبة عليه فكلما كانت الآثار اعلى وأنفع يكون الموجود الحامل لها اعلى وأشرف ولهذا نقول بقاعدة امكان الأشرف وان الله تعالى هو أشرف الموجودات ثم بعده الصادر الاوّل الى ان تصل النوبة الى هيولى عالم العناصر هذا فى القوس النزولى واما فى القوس الصعودى فبالعكس. والروح اذا كانت خالية عن الكمالات والآثار الوجودية فآية فضيلة فيها غير الخبائث والكثافة الا ترى ان ارواح الكفار واجسادهم لاقيمة لها ما دامو

على الكفر وأما إذا أسلموا فهم كسائر المسلمين في جميع الشئون الاجتماعية
فثبت وتحقق أن الروح أيضاً في حد نفسها لا قيمة لها وإنما حرمتها وقيمتها
بالاعتقادات الصحيحة والصفات العالية الإنسانية وبذلك التحقيق قد ظهر لك
أن حرمة الروح بالدين والأيمان فهي تدور مداره قلة وكثرة وشدة وضعفاً
ووجوداً وعدمها فالروح بهذه الجهة يُنظر إليها بالنظر الآلي دون الاستقلالى فهنا
ثلاثة اشياء - الجسد - والروح والدين فالروح أشرف من الجسد والدين أشرف
من الروح وذلك لأنه قد ثبت في العلوم العقلية أن كل ما به شرف الموجود
فهو أشرف منه والآ يلزم منه الخلف المحال، فإذا قلنا أن شرف الجسد
والجسم العنصرى فى الإنسان بحقيقته اعنى الروح أو النفس الناطقة الإنسانية
أو ما شئت فسمه يلزم أن تكون النفس أو الروح أشرف من الجسد فى حد
نفسها والآ يلزم أن يكون معطى الشيء فاقداً له ولازمه عدم كونه أشرف وقد
فرضناه أشرف منه وهذا هو الخلف المحال.

وإذ أثبت فيها ترتيب الأفضلية والأشرفية نُضم إليه قاعدة أخرى وهى كون
الأخس دائماً فى مقام الفناء بالنسبة الى الأشرف الا ترى، أن الجماد يترقى الى
النبات والنبات الى الحيوان والحيوان الى الإنسان والأنسان الى الإنسان الكامل
فلو لم يكن الجماد أخس من النبات فلا معنى للترقى اليه وهكذا بالنسبة الى
غيره من المراحل ففي الإنسان مثلاً النطفة منه تتحرك من الجمادية الى النباتية
فى الرحم ثم منها الى الحيوانية فيه أيضاً فيصير حية ثم منها الى الإنسانية فتصير
إنساناً بالمعنى الأعم ثم منه الى الإنسان الكامل اعنى الإنسان بالمعنى الأخص
وقد اشير الى المراتب الثلاثة فى القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ
مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ
أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١)

و فى موضع آخر منه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَّتَوَقَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلًا نَّعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّبُ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)

و : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ (٢) فهذه الآيات بأسرها من أقوى الأدلة على المدعى وكفاك شاهداً على المقصود فى عالم الشهود ما ترى من اكل النبات الجِمام والحيوان النبات واكل الإنسان الحيوان فهذه القاعدة بالنسبة الى هذه المراحل الثلاثة ممّا لا كلام فيها عقلاً ونقلاً.

واما بالنسبة الى المرحلة الرابعة اعنى الإنسان الكامل فهى ايضا ثابتة لانه لاشك فى كونه أشرف وأفضل من غيره فثبوت القاعدة فيه ايضا ممّا لا كلام فيه لان حكم الأمثال واحد فاذا اقتضى العقل والنقل كون الأخص فداءً للأشرف فلا يمكن تخصيص القاعدة بشىء دون شىء لعدم التخصيص فى العقليات فيكون الإنسان فداءً للإنسان الكامل ولهذا لا يجوز حفظ النفس لأحد من الأفراد بالقياس الى النبى او الأمام كما ثبت فى الفقه فقالوا يجب على كل مكلف ان يحفظ النبى والأمام ولو كان حفظه مستلزماً لموته وقتله اى موت المكلف وقتله.

ثم ان شرف النبى او الأمام على غيره انما هو لأجل الدين لاغيره فالدين هو الذى شرفهما على غيرهما وقد قلنا ان كل ما به شرف الموجود فهو أشرف منه فالدين أشرف وأفضل من النبى والأمام واذ اثبت كونه أفضل وأشرف فعلى القاعدة التى مرّت ذكرها يلزم ان يكون النبى او الأمام فداءً للدين فيما اذا ار

الأمر بين قتل الأنسان الكامل واضمحلال الدين فالأنسان الكامل يُقتل والدين يَبقى ولا يجوز له حِفْظ النَّفس فى هذا المَورد لأنَّ الدين اعلى وأشرف مِن يَكُون شرفه وفَضله به كائناً من كان اذا عرفت هذا وتأمَّلت فيه حقَّ التأمُّل فنقول: اقدم الأنسان الكامل على المَوت وهو عالمٌ به قطعاً، لا يتَحَقَّق ولا يَصحَّ الآ فى صُورة الدُّوران بين موته وموت الدين كما او مانا اليه وعليه فليس هذا العَمَل منه من قبيل الأقدام على الهلاك المَمْنوع شرعاً.

أما أولاً: فلأنه ليس فى ذلك المَوت هلاكٌ بل هو عين الحياة واصل البقاء لأنَّ الرُوح لا يمُوت بموت الجَسَد.

وثانياً: على فرض التَّسليم وأنَّه هلاكٌ نقول أنَّه ليس مِمْنوعاً شرعاً اذا التَّهْلُكَةُ المَنْهِيَّةُ هى التى وَقَعَتْ منه فى غير مَسير الحقِّ والحقيقة واحياء الحقِّ واماتة الباطل وما نحن فيه ليس من هذا القبيل كما هو المفروض.

وثالثاً: هذا الموت منه على القاعدة كما ذكرنا لدوران الأمر بين الأخذ بالمُهْمِّ والأخذ بالأهمِّ والثانى مُسَلِّمٌ عقلاً وشرعاً.

وبعبارة اخرى: وقوع هذا الأمر على وفق مقتضى الخلقة وجريان الطَّبِيعَةِ فهو ممدوحٌ وخلافه مذمومٌ ونقضٌ للقاعدة العَقَلِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ فقوله عليه السلام: ما ابالى ادخلت الى المَوتِ ، مع فرض كونه عليه السلام عالماً به كما هو كذلك لاشكال فيه لأنَّ دُخُولَهُ عليه السلام على الموت لم يكن الا لحفظ الدين الذى أفضل وأشرف منه وبذلك ظهر لك ان قيام الحسين عليه السلام مع اصحابه وانصاره وأقربائه وشهادتهم مع كونه عليه السلام عالماً بها لاشكال فيه بل كان لازماً واجباً وتركه كان منهيّاً محرماً بناء على كون اصل العَمَلِ واجباً وترك الواجب حرامٌ واما اذا قلنا بان قيامه عليه السلام لم يكن واجباً عليه بل كان مُباحاً او مُستحباً كما ذهب اليه بعضهم فلا والتَّحْقِيقُ فى اصل التَّكْلِيفِ خارج عن وظيفتنا لأنَّ الأمام أعلم به منا والذى نقول هو رُجْحانُ القيام على عدمه اذ لولاه لما أقدم عليه السلام عليه وهذا القدر من العلم يكفى لنا فى هذا لباب فتأمل فيه فإنه دَقِيقٌ.

□ قوله ﷺ: وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكَأَ فِي أَهْلِ الشَّامِ فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمَ الْإِثْمَانِ وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ، ...

بعد ما اجاب وبيّن لهم انه لا يبالي دَخَلَ هو على الموت او الموت دَخَلَ عليه، يعنى انه ﷺ بالنسبة الى القتل والموت الطبيعي على حد سواء فاجاب ثانياً عن اشكالهم الآخر وهو كونه شاكاً في اهل الشام، وحاصل ما اجابه في المقام هو ان تأخيري عن الأذن في الجهاد والقتال مع اهل الشام ليس كما توهمه المتوهم من كوني شاكاً فيهم متزلزلاً في قتالهم وجهادهم بل المماطلة والمسامحة فيه انما هو لأمر أهم وأفضل من القتال وهو الطمع في رجوعهم عن الغي والضلال وأحقوقهم بصف المؤمنين واتباعهم الحق وذلك لأن الغرض الأصلي والغاية والهدف الأسنى من وقعة صفين وغيرها لم يكن إلا ارشاد العوام كالأنعام وارجاعهم عما كانوا فيه الى الصلاح والسداد فهذه الحروب كلها كانت مقدمة وسبباً لهذا الأمر فاذا فرضنا امكان الوصول الى ذى المقدمة بدون المقدمة فصرف الوقت فيها من تضييع العمر وفي بعض الموارد مساوئ للظلم ومجرد الاحتمال ايضاً يكفي في جواز المماطلة والمسامحة.

ان قلت - أنتم تقولون ان الامام عالم بما كان وما يكون وما هو كائن الى يوم القيمة وعليه فلا معنى للمسامحة بالنسبة اليه لان امير المؤمنين ﷺ اما كان عالماً برجوعهم اليه واما لم يكن عالماً به وبعدمه، لاسبيل الى الثانى لانكم لا تقولون به فالاول حق وعليه فان كان عالماً برجوعهم اليه فلم لم يرجعوا واما ان كان عالماً بعدم رجوعهم كما انهم ايضاً لم يرجعوا فلم ما طالهم وسامحهم في القتال.

قلت - انه ﷺ كان عالماً بعدم رجوع معاوية واصحابه عن ضلالتهم وعيهم وهو مع ذلك كان مماطلاً مسامحاً في القتال اتماماً للحجة والزماً على الخصم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة كما في دعوات الانبياء ومسامحتهم مع الناس مع انهم كانوا عالمين بانهم لا يؤمنون.

□ قوله ﷺ: فَتَهْتَدِي بِي وَتَعْشُوا إِلَيَّ صَوْنِي

اي فَتَهْتَدِي الطَّائِفَةُ بِي وَتَسْتَضِيئُونَ بِضَوْنِي وَفِي هَذَا الْكَلَامِ إِشَارَةٌ إِلَى أَصْلَيْنِ ثَابِتَيْنِ فِي حَقِّهِ:

أحدهما قوله ﷺ: فَتَهْتَدِي بِي فففيه إشارة إلى أن غرضه ﷺ من لِحْوَقِهِمْ بِهِ هُوَ اهْتِدَائِهِمْ بِهِ لِأَغْيَرِ كَمَا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالْحُكَّامِ فِي كُلِّ عَهْدٍ وَزَمَانٍ فَإِنَّ غَرَضَ هَؤُلَاءِ لَمْ يَكُنْ مِنْ لِحْوَقِ النَّاسِ بِهِمْ، وَاتِّبَاعِهِمْ لَهُمْ إِلَّا زِيَادَةَ الشُّوْكَةِ وَالْعِزَّةِ وَكَثْرَةَ الْخِدْمِ وَالْحَشْمِ لِيَسْتَعِينُوا بِهِمْ عَلَى إِجْرَاءِ مَقَاصِدِهِمْ وَاهْتِدَافِهِمْ الدُّنْيَوِيَّةَ.

وَأَمَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فَلِكُونُهُ مُنْزَهاً عَنِ هَذِهِ الْمَقَاصِدِ كَانَ غَرَضُهُ مِنْ لِحْوَقِهِمْ بِهِ اهْتِدَائِهِمْ بِهِ فَقَالَ ﷺ فَتَهْتَدُوا بِي. وَثَانِيهِمَا قَوْلُهُ ﷺ: وَتَعْشُوا إِلَيَّ صَوْنِي ...

وفيه إشارة إلى دقيقة لم يَتَرَجَّحْ إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ شَارِحِي كَلَامِهِ وَهُوَ أَنَّ الْعَشْوَ فِي اللَّغَةِ بِمَعْنَى الرُّؤْيَا عَنِ بَعِيدٍ بِبَصَرٍ ضَعِيفٍ وَحَيْثُ أَنَّهُ ﷺ عَبَّرَ عَنِ الْمَوْضُوعِ بِالْعَشْوِ أَرَادَ الْأَشْعَارَ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَلَى فَرَضِ لِحْوَقِهِمْ بِهِ ﷺ يَرُونَهُ مِنْ بَعِيدٍ بِبَصَرٍ ضَعِيفٍ وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ آيَاهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ فَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ مَنْ رَأَى نَاراً مُوقَدَةً مِنْ بَعِيدٍ وَأَمَّا أَنْ هَذِهِ النَّارُ مَا هِيَ مِنْ حَيْثُ الْحَقِيقَةُ وَالْكَفِيفَةُ فَلَا عِلْمَ لَهَا بِهَا وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى هُوَ يَعْلَمُ أَجْمَالاً بِوُجُودِهَا وَلَا عِلْمَ لَهَا بِحَقِيقَتِهَا تَفْصِيلاً لُضْعَفِ بَصَرِهِ وَعَدَمِ إِدْرَاكِ حَاسَّتِهِ حَقَّ الْإِدْرَاكِ

فَهَؤُلَاءِ وَأَمثالُهُمْ كَانُوا كَذَلِكَ حَيْثُ أَنَّهُمْ كَانُوا سَمِعُوا بَعْضَ كَمَالَاتِهِ وَعَرَفُوا بِوُجُودِهِ أَجْمَالاً وَأَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَصَهْرُ النَّبِيِّ ﷺ وَزَوْجُ الْبَتُولِ وَأَبُو السَّبْطَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَأَمَّا حَقِيقَةُ ذَاتِهِ ﷺ وَأَتَّصَفَهُ بِالْكَمَالَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ وَأَنَّهُ الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ فِي عَصْرِهِ فَهُوَ مِمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عِلْمٌ بِهَا وَعَلَيْهِ تَكُونُ مَعْرِفَةُ هَؤُلَاءِ وَاشْتِبَاهُهُمْ بِهِ ﷺ مِنْ قَبِيلِ عِلْمِ الْيَقِينِ فَإِنَّ الْيَقِينِ بِالشَّيْءِ وَمَعْرِفَتِهِ عَلَى وَجْهِهِ يُتَصَوَّرُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ.

أحدها: علم اليقين وهو مشاهدة المرئيات بواسطة نورها كَمَنْ رأى من بعيد الدُّخان أو النُّور الدَّالة على وجود النار.

وثانيها: عين اليقين وهو معاينة جرمها من قريب.

وثالثها: حق اليقين وهو الأحتراق فيها وانمحاء الهويّة بها وضرورة الرّأى ناراً صرفاً وليس واره هذا غاية ولا هو قابل للزّيارة لو كشف الغطاء ما زددت ليقيناً.

إذا عرفت هذه المراتب فى المعرفة فقولهُ ﷺ: **وَتَعَشُّوْا إِلَى صَوْنِي** إشارة الى مرّتبة علم اليقين لآعين اليقين وحقّ اليقين فإنّ الوصول الى هذين المرّبتين ولا سيّما المرّتبة الأخيرة اعنى حقّ اليقين من اشكل الأمور اذ هو موقوف على المجاهدات النفسانية والرياضات البدنيّة الّتى لا يقدر على الأتيان بها إلاّ أوحدى من الناس.

فمعرفة الأمام او معرفة الله تعالى او معرفة كلّ شىء من الأشياء لا تخلو عن هذه المراتب الثلاثة فأسهلّ المراتب هو علم اليقين ثمّ الأسهل عين اليقين، ثمّ تصل النوبة الى حقّ اليقين وحيث أنّ هؤلاء الناس اعنى اهل الشّام فى صورة لحوقهم به ﷺ كانوا فى مرتبة النّازلة من المعرفة فعبر ﷺ عنهم بما عبر فكأنه ﷺ قال لو لحقوا بى بعد معرفتهم اى لم تكن هذه المعرفة منهم إلا من بعيد لضعف بصيرتهم وقلة ايمانهم وهو مع ذلك أولى من عدمه لأنّ المعرفة الناقصة بالأمام خيرٌ من عدمها رأساً والى هذه المراتب اشير فى الكتاب العزيز: **«كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ، لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ، ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ»** (١) انّ هذا هو حقّ اليقين.

□ قوله ﷺ: **وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا...**

اي وذلك اللّحوق منهم أحبّ إلى من أن أقتلهم على ضلالتهم وغوايتهم

وذلك لأن في اللّٰحقوق مَظَنَّةٌ لِلصّٰلِحِ والرّشاد والدّخول في الجنة واما لو قُتِلوا على الحالة التي هم عليها من حُبِّهم لأولياء الشيطان وبُغْضهم لأولياء الله فلا نِجاةَ لَهُم قطعاً وحيث أنّه ﷺ كان اماماً على كافّة الخلائق والهِدَفِ الأصلي له ﷺ من امامته بل الغرض الأصلي من جعل الامام اماماً انما هو ارشاد الناس وهدايتهم لا ابقائهم على ضلالتهم أو قتلهم كذلك فلامحالة كان لِحوقهم به أَحَبَّ اليه من قتلهم على الضلالة ويمكن ان يكون (ذلك) اشارة الى وجه تأخيرهِ في الأذن للقتال وعليه فالمعنى ان التأخير في الإِن أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ اِن اقتلهم على ضلالهم، والوجه فيه ظاهر وقد بيّنه ﷺ بقوله: فَوَاللّٰهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ اِلَى آخِرِهِ فَحَاصِلُ الْجَوَابِ اَنْ فِي التَّأخِيرِ كَمَا ذَكَرَهُ ﷺ مَظَنَّةُ اللّٰحِقِ وَلَا اَقْلَ مِنْ اِتِّمَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَذَلِكَ اِى الطَّمَعِ فِي اللّٰحِقِ اَوْ اِتِّمَامِ الْحُجَّةِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ قَتْلِهِمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ، واما قوله ﷺ: وَإِنْ كَانَتْ تَبَوُّءٌ بِأَثَامِهَا... فقد ضَبَطُوهُ بفتح الهمزة لابكسرهما في كلمة (أَنْ) وعليه فالمعنى ان هذا اللّٰحقوق أو التأخير في الأذن أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ اِن اقتلها وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ اِن كَانَتْ تَبَوُّءٌ بِأَثَامِهَا اِى مِنْ اِن كَانَتْ الطَّائِفَةُ الضَّالَّةُ (تَبَوُّءٌ) اِى تَرْجِعُ بِأَثَامِهَا وَسَيِّئَاتِ اَعْمَالِهَا اِلَى رَبِّهَا.

ولا يبعد ان تكون كلمة (ان) بكسر الهمزة وعليه فتكون وصليّة وعليه فالمعنى ان ذلك أَحَبُّ إِلَيَّ وَان كَانَتْ بَعْدَ اللّٰحِقِ تَرْجِعُ اِلَى اَثَامِهَا وَلَمْ تَبْقَ عَلَى الْوِلَايَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللّٰحِقِ فِعْلاً يَوْجِبُ اِطْفَاءَ نَائِرَةِ الْحَرْبِ، وَعَدَمَ قَتْلِ كَثِيرٍ مِنَ الطَّرْفَيْنِ وَهُوَ كَافٍ فِي كَوْنِ اللّٰحِقِ أَصْلِحَ مِنْ عَدَمِهِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى لَوْ فَرَضْنَا كَوْنَ اللّٰحِقِ ظَاهِرِيّاً غَيْرَ حَقِيقِيّاً وَأَنَّ اللّٰحِقَ يَرْجِعُ بَعْدَ اِلَى حَالَتِهِ الْأُولَى فَهُوَ مَعَ ذَلِكَ أَحَبُّ اِلَى مَنْ عَدَمَهُ فِي الْحَالِ لِأَنَّهُ يَوْجِبُ تَرْكَ الْقِتَالِ وَهَذَا الْقَدْرُ مِنَ الْمَصْلِحَةِ يَكْفِي فِي رَجْحَانِهِ وَكَوْنِهِ مَحْبُوباً وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى فَكَلِمَةُ (اِن) شَرْطِيَّةٌ بِمَعْنَى (لَوْ) اِى وَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ.

وَمُلَخَّصُ الْمَقَالِ هُوَ اَنَّ الْغَرَضَ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوبِ لَيْسَ اِلَّا اِرْشَادَ النَّاسِ

وهدايتهم الى ما هو الصواب لا مجرد السُلطة والحكومة عليهم كما هو الغرض
منها بالنسبة الى غيره من الأشرار.

ومن كلام له عليه السلام (٥٥)

□ قوله عليه السلام: وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا، وَمَضِيًّا عَلَى اللَّيْمِ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخِرُ مِنِ عَدُوِّنَا يَتَصَاوِلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ أَيُّهُمَا أَنْفَسَهُمَا يَسْقَى صَاحِبَهُ كَاسَ الْمَنُونِ فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا - وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ حَتَّى اسْتَقَرَّ الْأِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ، وَمُتَبَوِّأًا أَوْطَانَهُ، وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، وَلَا اخْضَرَ لِلْإِيمَانِ عَوْدٌ وَأَيْمُ اللَّهِ لَتَحْتَلِبُنَهَا دَمًا وَلَتَسْبِعُنَهَا نَدَمًا...

◁ اللغة

(اللَّيْمَ) بفتحين مُعْظَمَ الطَّرِيقِ أو وَسَطَهُ. (مَضَضِ) بفتحين وَجَعَ المُصِيبَةِ. (يَتَصَاوِلَانِ) يَتَحَامِلَانِ (يَتَخَالَسَانِ) وَالتُّخَالَسُ، التُّسَالِبُ. (الْمَنُونِ) بفتح الميم وَضَمَّ النونِ كَصَبُورِ المَنِيَّةِ وَالمَوْتِ. (الْكَبْتَ) بفتح الكاف وَسكون الباءِ وَالتَّاءِ الأذلالِ. (جِرَانِ) جِرَانِ البعيرِ مُقَدِّمِ عُنُقِهِ مِنْ مَذْبَحِهِ إِلَى مَنْحَرِهِ. (مُتَبَوِّأًا) يُقَالُ تَبَوَّأْتُ نَزْلَتَهُ.

لقد كنا مع رسول الله ﷺ فى الحروب والغزوات. (نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا،) حيث كانوا فى صف المشركين (ما يَزِيدُنَا) ذلك القتال مع كونه كذلك. (إِلَّا إِيْمَانًا) بالله و (تَسْلِيمًا) لأمره (وَمَضِيًّا عَلَى اللَّيْمِ،) اى على الطريق الواضح (وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ) اى على وَجَعِ الْمُصِيبَةِ وَالْمَهَا. (وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ) وان كان من أقربائنا. (وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا) اى من المسلمين. (وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا) اى من الكفار (يَتَصَاوَلَانِ)، ويتحاملان (تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ) وتحاملها (يَتَخَالَسَانِ) اى يتسالبان. (أَيُّهُمَا أَنْفَسَهُمَا يَسْقَى صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَوْتِ) والموت (فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا) اى فَمَرَّةً عَدُوِّنَا عَلَيْنَا (وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا،) بان صارت الغلبة لنا. (فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا) واخلاصنا وتقرَّبنا اليه. (أَنْزَلَ بَعْدُوْنَا الْكَبْتَ) والأذلال وصيره مقهوراً لنا. (وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ) بالظفر عليهم (حَتَّى اسْتَقَرَّ) وثبت الاسلام. (مُلْقِيًا جِرَانَهُ، وَمُتَبَوِّئًا أَوْطَانَهُ) اى حتى وقع الاسلام محله واستقر فى مكانه الذى كان لائقاً به. (وَلَعَمْرِي) اى ولأقسم بنفسى (لَوْ كُنَّا نَأْتِي) فى صدر الاسلام. (مَا أَتَيْتُمْ) الآن من النفاق والتساهل (مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ،) وقائمة. (وَلَا اخْضَرَ لِلإِيْمَانِ عُوْدٌ) اى لو كنا فى صدر الاسلام كما أنتم الآن عليه من التشتت والأفتراق ما قام للدِّينِ عَمُودٌ وَلَا لِلإِيْمَانِ عُوْدٌ. (وَأَيْمُ اللَّهِ) اى أقسم بالله (لَتَحْتَلِبُنَّهَا) اى الأفعال الصَّادِرَةُ مِنْكُمْ. (دَمًا) وهو كناية عن حصول خلاف المقصود. (وَلَتَسْبِعُنَّهَا) اى الأفعال (نَدَمًا) اى هذه الاعمال منكم لاتورث لكم آلا الحسرة والتدامة.

< الشرح

اختلفوا فى ان هذه الكلام صدر منه ﷺ فى توبيخ اصحابه بصيغتين ام فى قصة ابن الحضرمي فاختر البحراني الاول والخوئي الثاني وقد نقل الشارح الخوئي قصة ابن الحضرمي فى شرحه واطن ان البحث فى هذا الموضوع مما

لا حاجة اليه وذلك لأن الغرض الأصلي من الشرح هو شرح الكلمات وتعيين المراد منها وأما أن هذه الكلمات لاى شىء صدر منه او فى اى مورد صدر فهو خارج عن اصل البحث وعلى كل حال فالكلام كلامه سواء صدر منه فى صيفين ام صدر منه فى قصة ابن الحضرمي ومع ذلك كله أظن ان الحق مع الشارح البحرانى لوجود القرائن الحالية والمقالية على ان هذه الكلمات صدرت منه فى زجر اصحابه بصيفين وتوبيخهم على افعالهم كما ستعلم.

□ قوله ﷺ: وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَقْتُلُ آبَائَنَا وَأَبْنَاؤَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا...

اشار ﷺ بهذه الكلمات الى سيرة اصحاب النبي ﷺ فى الحروب الواقعة فى صدر الاسلام معه ﷺ فان اكثر تلك الحروب كانت بين قبائل العرب فكان الأب مثلاً فى صف المشركين والأبن فى صف المسلمين وهكذا فى الأخوان والأعمام وغير ذلك من الاقرباء سبباً او نسباً وذلك لانهم لم يسلموا معاً دفعة واحدة وتفصيله مذكور فى التواريخ الا ترى ان العباس عم النبي والوصي كان فى صف المشركين حتى أسريوم بدر فأسلم وهكذا.

□ قوله ﷺ: مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا، وَمَضِيًّا عَلَى اللَّيْمِ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ، وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ...

اي ما يزيدنا القتال مع هؤلاء الاقرباء الا ايماناً وتسليماً، مع ان الغريزة والفطرة لا تقتضيان ذلك وتوضيحه ان الانسان مجبولة على حب الآباء والأولاد والاقرباء مفضولة على الأناى بهم والعلاقة والأشتياق الى رؤيتهم ولا سيما الآباء والأبناء والأخوان وهذه غريزة فطرية وسجية ذاتية عامة لا تقبل التخصيص أبداً ولما كانت هذه السجية من ذاتيات الحيوانية سواء كان الحيوان ناطقاً ام غير ناطق ترى هذه المحبة والعلاقة بين الأب والام والأولاد موجودة كما فى الانسان الا انها تختلف فيها شدة وضعفاً وكمالاً ونقصاً بحسب اختلافات الأمزجة والطباع او غيرها واما اصل المحبة فثابتة بلا كلام ويكفى

فى اثبات المدعى كونها محسوساً فى كل فردٍ من الأفراد وهو يُغنينا عن البيان والبرهان.

ثم ان فى قوله هذا اشارة بل دلالة على ان اصحاب رسول الله ﷺ فى الحروب والغزوات لم يكونوا متهورين مغلوبين تحت الغريزة والفطرة والآن لم يقدموا على القتال مع اقربائهم بل مضافا الى كونهم كذلك، نفعتهم الحروب وازدادت لهم امورا خمسة ينبغى التوجه اليها:

احدها: الأيمان بالله وبرسوله واليوم الآخر والمراد بزيادة الايمان هو زيادته على ما كانوا عليه قبل الحرب فان الايمان مقولٌ بالتشكيك قابل للشدة والضعف والكمال والنقص فالأيمان منهم فى اول الأمر كان بحسب الأقرار باللسان والأعتقاد بالقلب فقط ثم بعد الوقوع فى الحرب صار كاملاً بسبب العمل بالأركان وكلامه ﷺ هذا يدل على صحته ما قالت الأمامية من ان الايمان عبارة عن الأمور الثلاثة اعنى الاقرار اللسانى والأعتقاد القلبى والعمل الأركانى سواء قلنا بكون هذه الامور شروطاً له او اجزاء له فعلى الاول هو بسيط وعلى الثانى مركب هذا فى الايمان الكامل واما الايمان الناقص فهو يتحقق بوجود كل واحد منها وعلى اى تقدير فثبوت الزيادة فيه دليل على كونه ذات مراتب وهو كذلك واما حقيقة الايمان وآثاره فقد مرّ منا البحث فيه مفصلاً فلا نعيده. **وثانيها** قوله ﷺ: وتسليماً - وهو من اعلى مراتب الايمان ومن المعلوم ان القتال مع الآباء والأبناء وامثالهم يوجب الزيادة فى التسليم فان المراد به هو تسليم الأمور كلها اليه تعالى وقد تكلمنا فى معنى التسليم ايضاً فى الأبحاث السالفة وسيأتى الكلام فيه بوجه أبسط.

وثالثها قوله ﷺ: ومضياً على اللقم، اى ما يزيدنا القتال معهم الا المضى على الطريق المستقيم وهو الجادة الوسطى التى ليس فيها انحراف ولا اعوجاج وكون القتال المذكور من الطريق المستقيم لانه لم يكن الا لأجراء العدالة وانمحاء الظلم والجنابة للغرض آخر من الأميال النفسانية والآمال

الدنيوية واذا كانت الحرب لأجل هداية الناس وارشادهم الى الطريق السوى فلا مُحالة يصدق عليها ان يقال فيها ومُضياً على اللقم.

ورابعها قوله ﷺ وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ، وهو ايضاً ظاهر، فإن الجراحات الواردة عليهم فيها وكذا الجراحات الواردة على قلوبهم من حيث المعنى فى قتلهم آبائهم وابنائهم واحبائهم كل ذلك من مَضَضِ الْأَلَمِ فقد روى ان علياً عليه السلام أصيب فى وقعة أحد تسعون جراحة او أكثر مع ان حمزة سيد الشهداء، عمه وعمّ النبي ايضاً صار مقتولاً فيها وان عبيدة ابن الحرث ابن عبدالمطلب ابن عمه وابن عمّ النبي قد قطع رجلاه فى وقعة بدر وهو عليه السلام قد حمله على عاتقه حتى اتى النبي ﷺ أليس هذا وامثاله بالنسبة اليهم من مَضَضِ الْأَلَمِ ولكنهم مع ذلك كانوا صابرين على هذه التألمات والمصائب بل كل حادثة مؤلمة لهم ازدادت لهم صبراً.

وخامسها قوله ﷺ: وَجِدًّا فى جِهَادِ الْعَدُوِّ، والمقصود ان هذه المُشكلات والنوائب لم تزد علينا الا الجِدَّ فى جِهَادِ الْعَدُوِّ فكل ما كانت المصائب الواردة علينا اكثر وأشدّ كنا فى جِهَادِ عَدُوِّنَا أثبت وأصبر وهذا من العجائب.

□ قوله ﷺ: وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخِرُ مِن عَدُوِّنَا يَتَّصَاوِلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ أَيُّهُمَا أَنْفَسَهُمَا يَسْقَى صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا - وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا...

روى المورّخون ان عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد ابن عتبة خرجوا فى غزوة بدر الى المبارزة وهم من اكابر قريش واعيانهم فخرج اليهم من المسلمين عوف ومعوذ ابنا عفراء وعبدالله ابن رواحة كلهم من الانصار فقالوا من انتم من الانصار فقالوا اكفاء كرام ومالنا بكم من حاجة ليخرج الينا اكفاؤنا من قوما.

فقال النبي ﷺ قم يا حمزة قم يا عبيدة ابن الحرث قم يا علي فقاموا ودنا بعضهم من بعض فبارز عبيدة ابن الحرث عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد فقالوا من انتم فقال حمزة انا حمزة ابن عبد المطلب اسد الله واسد

رسوله فقال عتبة كفؤ كريم وانا أسد الخفاء، وقال عليّ عليه السلام انا عليّ ابن ابي طالب وهكذا قال عبدة انا عبدة ابن الحرث فلا انتما كفوان كريمان.
 اما امير المؤمنين عليّ بن ابيطالب فبارز وليداً واما حمزة فبارز شيبه وعبدة بارز عتبة.

فقال عليّ عليه السلام:

انا ابن ذى الحوضين عبد المطلب وهاشم المطعم فى العام السَّغَب
 أوفى بميثاقى وأحمى عن حَسَب

ثم انه عليه السلام لم يمهل وليداً وأرسله الى جهنم والوليد هذا كان من أشجع الناس فى خيل المشركين ولاجل هذا وقع الرعب فى قلوبهم بعد قتله وكبر المسلمون لما قتل الوليد بسيف عليّ عليه السلام وقال عليه السلام بعد قتله مخاطباً للكفار من قريش وغيرها.

قد عرف الجرب العوان أنى معى سَلاحى ومعى مَجَتى
 بازل عامين حديث، سن وصارمُ يُذهب كلَّ ضغنِ
 سَنَحْنَحُ اللَّيْلِ كَانِي جَنِّ اقصى به كلَّ عدِّ وعنّى
 استقبل الحرب بكلِّ فنِّ لمثل هذا ولدتنى أمى
 واما حمزة وشيبه فاقتلا حتى كسر سيفها ورّمحهما ولم يبق فى أيديها
 شيء فتصاولا وتصارعا تصاول الفحلين يتخالسان انفسهما ايتهما يسقى
 صاحبه كأس المنون.

فنادى المسلمون بأعلى صوتهم علياً وقالوا يا عليّ اما ترى كيف غلب
 شيبه على عمك فأدر كِه فجاء عليّ وقتل شيبه ايضاً.
 واما عبدة ابن الحرث وعتبة ابن ربيعة فاقتلا فقطع عتبة رجلا عبدة من
 الساق فوق عبدة على الأرض وقال:

فان قطعوا رجلى فأنى مُسلمُ وأرجوا به عيشاً من الله عالياً

فَأَلْبَسَنِي الرَّحْمَنُ مِنْ فَضْلِ مَنَّهُ لِبَاساً مِنَ الْأَسْلَامِ غَطَّى الْمَسَاوِيَا
فَوَضَعَهُ عَلَيَّ عَلَى عَاتِقِهِ وَحَمَلَ بِهِ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ فَلَمَّا رَأَاهُ ﷺ بَكَى حَتَّى
بَلَّتْ دُمُوعُهُ فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ فِي حِجْرِ الرَّسُولِ وَقَالَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ أَبُو طَالِبٍ
حَيًّا لَعَلِمَ أَنِّي أَحَقُّ بِمَا قَالَ حِينَ يَقُولُ:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ نَجَلَى مُحَمَّدًا وَلَسْنَا نَطَاعِنَ دُونَهُ وَنَنَاضِلُ
وَنَنْصُرُهُ حَتَّى تَضْرَعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلُ عَنْ أَبْنَاءِنَا وَالْحَلَالِ
وَلَمَّا كَانَ فِي هَذَا الْقَوْلِ تَعْرِضُ مِنْهُ عَلَى أَبِي طَالِبٍ فَنَهَاهُ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ
التَّقْوِيلِ بِهِ وَأَسْتَغْفِرُ ﷺ لِهَمَا وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمَا وَالِى هَذَا الْمَعْنَى اعْنَى مَقَاتِلَةَ
الْأَقْرَبَاءِ وَالْأَكْفَاءِ أَشَارَ الشَّاعِرُ حَيْثُ يَقُولُ:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ لَمْ تَقْتُلُونَا وَلَكِنْ بِسَيْفِ الْهَاشِمِيِّينَ فَأَفْخَرُوا
بِسَيْفِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ فِي الْوَعَا بِكُفِّ عَلَيَّ نِلْتُمْ ذَاكَ فَاقْصُرُوا
وَلَمْ تَقْتُلُوا عَمْرُوَ ابْنَ وَدٍّ وَلَا أَبْنَهُ وَلَكِنَّهُ الْكُفُو الْكَرِيمَ الْعَضَنْفَرَ
عَلَى الَّذِي فِي الْفَخْرِ طَالَ ثَنَائُهُ فَلَا تَكْثُرُوا الدَّعْوَى عَلَيْهِ فَتَفْخَرُوا
بَبَدْرِ خَرَجْتُمْ لِلْبَرَّازِ فَرَدَّكُمْ شُبُوحِ قَرِيشٍ جَهْرَةً فَتَأْخَرُوا
فَلَمَّا أَتَاهُمْ حَمَزَةٌ وَعُجْبِيَّةٌ وَجَاءَ عَلِيٌّ بِالْمُهَنْدِ مَخْطِرُ
فَقَالُوا نِعْمَ أَكْفَاءَ صَدَقِ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِمْ سُرَاعًا إِذْ بَغَوْا وَتَجَبَّرُوا
فَجَالَ عَلِيٌّ جَوْلَةً هَاشِمِيَّةً فَدَمَّرَهُمْ لَمَّا عَتَوْا وَتَكَبَّرُوا
فَلَيْسَ لَكُمْ فَخْرٌ عَلَيْنَا بَغِيرِنَا وَوَيْسَ لَكُمْ فِخْرٌ يُعَدُّ وَيُذَكَّرُ

وبالجملة في هذه الوقعة كان علي في جند المسلمين وطالب ابن ابيطالب
في المشركين وهو اخوه وابوبكر في المسلمين وابنه عبد الرحمن ابي بكر في
المشركين وهو الذي قال له ابوبكر اين لي يا خبيث وعبد الرحمن اجابه وقال:
لَمْ يَبْقَ غَيْرَ سَكَّةِ نَصُوبٍ وَصَارُمُ يَفْلَى ضَلَالِ الشَّيْبِ
وعتبة في المشركين وابنه ابو حذيفة في المسلمين ورسول الله وامير
المؤمنين وحمزة وعبيدة في المسلمين وعباس ابن عبدالمطلب في الكفار

وهو عم الرسول وامير المؤمنين وعبيدة واخو حمزة ابن عبدالمطلب وهكذا وانت اذا تأملت واحطت خيراً بالحروب الواقعة في صدر الاسلام لعلمت أنهم كانوا كما ذكره عليه السلام في هذه الخطبة وغيرها فان القرابة كانت موجودة بين الكفار والمسلمين إما سبياً او نسباً وكفاك في اثبات المدعى ما قاله عتبة وهو من كبار القوم وقد ذكرنا انه وشيبة والوليد قد قتلوا جميعاً، قال عتبة مخاطباً لاصحابه قبل الحرب وهو ينصحهم.

يا معشر قريش اطيعوني اليوم واعصوني الدهر إن محمداً له آل وذمة وهو ابن عمكم فخلوه والعرب فان يك صادقاً فأنتم أعلى عيناً به وان يك كاذباً كفتكم ذوبان العرب امره انتهى.

وقد نقلوا ان العباس عم النبي خرج عن مكة في المشركين ومعه طالب وعقيل ابن ابيطالب ونوفل ابن الحرث ابن عبدالمطلب ولأجل هذه القرابات الواقعة بين الطرفين قال عتبة في كلامه الذي نقلناه (هو ابن عمكم)
 □ قوله عليه السلام: فَلَمَّا رَأَى اللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَيْتَ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ.

ثم انه عليه السلام بعد ما بين ان المسلمين قاتلوا ابنائهم واخوانهم وآبائهم واعمامهم من الكفار قربة الى الله أردف كلامه بقوله عليه السلام: فَلَمَّا رَأَى اللهُ الْخِ وَالْأَتِيَانَ بِالْفَاءِ الْمُفِيدَةِ لِلتَّرْفِيعِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنْ نُصْرَةَ الْمُسْلِمِينَ وَخِذْلَانَ الْكُفَّارِ مِنْ اللهِ تَعَالَى إِنَّمَا كَانَتْ مُتَفَرِّعَةً عَلَى صِدْقِنَا وَصَفَاتِنَا إِخْلَاصِنَا فِي الْجِهَادِ مَعَ الْأَعْدَاءِ. ثُمَّ أَنَّ غَزْوَةَ الْبَدْرِ الَّتِي أَشْبَرْنَا إِلَيْهَا أَجْمَالاً مِنْ أَتَمِّ مَصَادِيقِ النَّصْرِ مِنَ اللهِ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْكَبَيْتَ لِلْمَشْرِكِينَ وَقَدْ دَلَّتْ عَلَى الْمُدْعَى الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ أَيْضاً. قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَدْلَةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ يَكْفِيكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ، بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا يَأْتُوكُمْ مِنْ قَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ، وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ

الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١﴾
و: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ
لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ، لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ
الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ، إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ
الْمَلَائِكَةِ مُرْفَعِينَ إِلَى أَنْ قَالَ تَعَالَى إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ
آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ
بَنَانٍ ﴿٢﴾

هذا كله من الآيات الواردة في نصرة الله المؤمنين يوم بدر. وقال تعالى في
نصرتهم أيهم يوم حنين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ
أَعْتَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ
مُذْرِبِينَ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا
وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٣﴾ والغرض من ذكر الآيات أن ما ذكره
ﷺ بقوله أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر، إشارة إلى هذه الآيات
الصريحة في الكبت والنصر للكافرين والمؤمنين في مواطن كثيرة.

روى أن رسول الله ﷺ لما رأى قلة أعوانه وأصحابه يوم بدر رفع يده إلى
السماء وقال:

اللهم أنجز ما وعدتني، اللهم أنجز ما وعدتني إن تهلك هذه العصابة من
الأسلام لا تبعده في الأرض أبداً.

ثم قال ﷺ في تحريضه أصحابه على القتال من قتل كافراً فله سلبه والذي
نفس محمد بيده من قاتل هؤلاء ولا يدير فيه ثم قتل دخل الجنة فلما سمع هذا
الكلام منه ﷺ عمير ابن الحمام وكان مشغولاً بأكل الرطب فالتفت من يده وقال
لن يحول بيني وبين الجنة شيء فقاتل المشركين وقال:

رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
فَقَاتَلَ مَعَهُ يَوْمَ بَدْرٍ
وَوَجَّهَ إِلَيْهِ الرُّطْبَ
فَلَمَّا سَمِعَ هَذَا
الْقَوْلَ قَالَ
لَنْ يَحُولَ بَيْنِي
وَالْجَنَّةَ شَيْءٌ



الخطبة ٥٥

١- آل عمران - ١٢٣/١٢٤/١٢٥/١٢٦/١٢٧ - ٢- الانفال - ١٧ إلى ١٢

٣- التوبة - ٢٥/٢٦

رَكَضاً إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادٍ أَلَا التُّقَى وَالْعَمَلُ الْمَعَادُ
وَالصَّبْرُ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ وَكُلُّ غُرْضَةِ النَّفَادِ زَادُ
غَيْرِ التُّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ

فَلَمَّا قُتِلَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ، سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (١) فَحَمَلَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَشْرِكِينَ فَقَتَلَ مِنْهُمْ جَمْعًا كَثِيرًا ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَاهُ فِي السَّجْدَةِ وَهُوَ يَقُولُ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ ثَانِيًا ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ ﷺ فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي السَّجْدَةِ وَهُوَ يَقُولُ أَيضًا يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ ثَالثًا وَقَتَلَ مِنْهُمْ كَثِيرًا مِنَ الْأَبْطَالِ بَيْنَ الثَّلَاثِينَ وَالْأَرْبَعِينَ وَلَمَّا هَدَّدُوهُ بِالْوَلِيدِ فَقَالَ ﷺ فِي جَوَابِهِمْ.

يَهْدِدُنِي بِالْعَظِيمِ الْوَلِيدِ فَقُلْتُ أَنَا ابْنُ أَبِيطَالِبٍ
أَنَا ابْنُ الْمُبْجَلِ بِالْأَبْطَحِينَ وَبِالْبَيْتِ مِنْ سَلْفِي غَالِبٍ
فَلَا تَحَسْبُنِي آخَافُ الْوَلِيدِ وَلَا أَنَّنِي مِنْهُ بِالْهَائِبِ
فِي ابْنِ الْمُغِيرَةِ إِنِّي أَمْرُوءٌ سَمُوْحُ الْأَنْأَامِلِ بِالْقَاضِبِ
طَوِيلُ اللِّسَانِ عَلَى الشَّامِتِينَ قَصِيرُ اللِّسَانِ عَلَى الصَّاحِبِ
خَسِرْتُمْ بِتَكْذِيبِكُمْ لِلرَّسُولِ تَعْيِيُونَ مَا لَيْسَ بِالْعَائِبِ
وَكَذَبْتُمُوهُ لِوَحْيِ السَّمَاءِ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِ

وَقَالَ حَسَّانُ ابْنُ ثَابِتٍ فِي هَجْوِ الْوَلِيدِ:

مَتَى تَنْسَبُ قُرَيْشٌ أَوْ تُحْصَلُ فَمَا لَكَ مِنْ أُرُومَتِهَا نَصَابُ
فَفَتَكَ بِنُوهَصِيصٍ عَنِ أَبِيهَا بِشَّمْعٍ حَيْثُ تَسْتَرِقُ الْعِيَابُ
وَأَنْتَ ابْنُ الْمُغِيرَةِ عَبْدُ شَوْكٍ قَدْ أَنْدَبَ جَمَلُ عَاتِقِكَ الرِّطَابُ
إِذَا عُدَّ الْأَطَائِبُ مِنْ قُرَيْشٍ

وعِمرانُ ابنَ مَحزُومٍ فدَعها
هناك السُّرَّ والحَسَبُ اللُّبابُ
وايضا في هجو عمرو ابن العاص السَّهَى قال:

زَعَمَ ابنُ نَابِغَةَ اللَّثِيمِ بَأَنَّا
لأَنجَعِلَ الأَحسابِ دُونَ مُحَمَّدٍ
أموالنا ونُفُوسُنا من دُونِهِ
مَنْ يَصْطَنعُ خَيْراً يُتابُ وَيُحَمَّدُ
فتيانِ صَدقِ كَاللَّيْثُوثِ مَساعِرُ
مَنْ يَلْقَهُمُ يَوْمَ الهِياجِ يُصْرَدُ
قومِ ابنِ نَابِغَةَ اللِّثامِ اذْلَةُ
لا يَقْبَلُونَ على صَغيرِ المَرَعِدِ
وَيَسألُهُمُ بيئاً اَبوكَ مُقَصِّراً
كُفْراً ولوْماً بئسَ بيئَتِ المُحْتَدِ

فجاء جبرئيل مع ألف من الملائكة وميكائيل كذلك وإسرافيل ايضاً كذلك
كما اشارت الى هذا المعنى الآية الشريفة التي مر ذكرها وهي قوله تعالى: ﴿إِذْ

يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ إِنِّي مَعَكُمْ ففَتَتْهُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

□ قوله ﷺ: حَتَّى اسْتَقَرَّ الأِسْلامُ مُلْقِياً جِرانَهُ، وَمُتَّبِعاً أَوْطانَهُ،...

اي كنا كذلك في حماية الدين ونصرة الرسول والجهاد في سبيل الله متقرباً
اليه تعالى حتى استقرَّ الإسلام جرانه الخ.

والجملتان استعارتان عن قوَّة الاسلام وقراره في محلّه وفيه اشارة الى عدم
تقاعدهم عن القتال مع الأشرار وصبرهم على مضض الألم حتى وصلوا الى
غاياتهم المطلوبة من ظهور كلمة لاله الأالله محمد رسول الله كما نسب اليه ﷺ
انه قال:

ضربنا غُواةَ الناسِ عنه تَكْرُماً

ولمَّا رَأَوْ قَصَدَ السَّبيلِ ولا الهُدَى

ولمَّا آتينا بالهُدى كان كُلاًنا

على طاعة الرَّحْمَنِ والحَقِّ والتَّقَى

نصَرنا رَسولَ اللهِ لَمَّا تَدابروا

وتاب اليه المُسْلِمونَ ذُو والحِجَى

وقال حسّان:

لقد لعن الرّحمن جمعاً يقودهم دعى بنى شجع لحرب محمد
فدلاًهم فى العىّ حتى تهانوا يبين فيه اللوم من كان يهتدى
شؤم لعين كان قدماً مبغضاً وكان مضلاً أمره غير مرشد
فأنزل ربى لى لى جنوده وأيده بالنصر فى كل مشهد
وايضا قال:

الا لىت شعرى هل اتى مكة الذى

قبلنا من الكفار فى ساعة العمر
قتلنا سراة القوم عند رحالهم
فلم يرجعوا الا بقاصمة الظهر
قتلنا ابا جهل وعتبة قبله
وشيبه ايضاً عندنا حية الجفر
وكم قد قتلنا من كريم مرزء
له حسب فى قومه نابه الذكر
تركناهم للخافات تنوشهم
ويصلون ناراً ثم نائية القعر
بكفرهم بالله والدين قائم
وما طلبو فينا بظائلة الوتر
لعمرى لقد ملت كتائب غالب

وما ظفرت يوم التقينا على بدر
وبالجمله فى يوم بدر قتل من الأعداء سبعون نفر قتل على عليه السلام وحده ست
وثلاثون نفر وقتل الباقي اعنى اربع وثلاثين نفر الملائكة والانصار فعلى عليه السلام
وحده قتل اكثر من الجميع.

وأسر منهم ايضاً سبعون ومن جملته الأسارى فى بدر عباس ابن عبد

المُطَلَب وَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُنَاكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

رَوَى أَنَّ الْأَسَارِي لَمَّا قُبِدُوا بِالْحَدِيدِ فِي اللَّيْلِ وَهُمْ يَقْرَبُ الرَّسُولَ ﷺ فَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَتَأَذَّى مِنْ ضَجَّتِهِمْ وَلَا سِيَّمَا ضَجَّةَ الْعَبَّاسِ عَمَّهُ قَالَ ﷺ لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ كَعْبٍ وَهُوَ كَانَ حَارِسًا عَلَيْهِمْ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّا مَانَمْتُ الْبَارِحَةَ مِنْ ضَجِيجِ عَمِّي فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّأَذُّ لِي إِنْ أَخْفَفَ الْقَيْدَ عَنِ الْعَبَّاسِ فَأَذَّنَ لَهُ فَخَفَّفَ عَنْهُ فَلَمَّا سَكَتَ الْعَبَّاسُ قَالَ ﷺ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا لِي أَرَى عَمِّي قَدْ سَكَتَ قَالَ خَفَّفْتُ عَنْهُ الْقَيْدَ قَالَ ﷺ خَفَّفَ الْقَيْدَ عَنِ الْأَسَارِي كُلِّهِمْ ففَعَلَ.

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِالْقَتْلِ إِنْ تَلَقَى إِلَى الْبَيْتِ فَلَمَّا رَأَى أَبُو حَذِيفَةَ ابْنَ عْتَبَةَ جَسَدَ أَبِيهِ عْتَبَةَ وَهُمْ يَجْرُونَهِ إِلَى الْبَيْتِ أَعْتَمَ لِذَلِكَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَتَكْرَهُ هَذَا يَا أَبَا حَذِيفَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْسِمُ بِاللَّهِ إِنْ هَذَا لَا يُوجِبُ الْوَهْنَ وَالتَّرْلُزْلَ فِي إِيْمَانِي بَلْ يَزِيدُهُ وَيُقَوِّمُهُ إِلَّا أَنِّي صرْتُ مَحْزُونًا مِنْ حَيْثُ أَنَّ أَبِي كَانَ رَجُلًا لَهُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَاصَابَةِ الرَّأْيِ وَمَحَاسِنِ الصِّفَاتِ مَا لَا يَخْفَى عَلَيَّ أَحَدٍ وَكُنْتُ أَرْجُو إِسْلَامَهُ فَلَمْ يَرْجِعْ عَنْ غَيْبِهِ وَضَلَّالَتِهِ حَتَّى قُتِلَ فِدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي حَذِيفَةَ بِخَيْرِ دَعَاءٍ - وَأَمَّا الْعَامَّةُ فَقَدْ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ جَمِيعَ الْقَتْلَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ سَبْعٌ وَسِتِّينَ رَجُلًا قَتَلَ عَلِيٌّ مِنْهُمْ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ وَالبَاقِي لِلْبَاقِي وَالأمر سهل.

وَلَمَّا رَجَعَ الرَّسُولُ وَأَصْحَابُهُ مِنْ بَدْرٍ نَظَرَ ﷺ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ أَجْسَادُ قُرَيْشٍ فَخَاطَبَهُمْ وَقَالَ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا فَأَنَّى وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا ثُمَّ عَدَّهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَقَالَ كُنْتُمْ بِشْرِ الْأَقْرَبَاءِ، إِذْ كَذَّبْتُمْ الرَّسُولَ وَصَدَّقْتُمْ غَيْرَكُمْ فَمَنْ غَيْرِ ذَوِي الْأَرْحَامِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَتَكَلَّمُ الْمَوْتَى، قَالَ ﷺ إِنَّهُمْ أَسْمَعُ مِنْكُمْ لِقَوْلِي وَفِي رِوَايَةٍ لَسْتُمْ بِأَسْمَعُ مِنْهُمْ وَإِلَى هَذَا اعْنَى مَخَاطَبَةَ النَّبِيِّ ﷺ إِشَارَ حَسَّانٍ حَيْثُ يَقُولُ:

عَرَفْتُ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالكَتِيبِ كَخَطِّ الْوَحْيِ فِي الْوَرَقِ الْقَشِيبِ
تَعَاوَرَهَا الرِّيَّاحُ وَكُلَّ جَوْنٍ مِنْ الْوَسْمَى مِنْهُمْ اسْكُوبُ

وقال حسان:

لقد لعن الرّحمن جمعا يقودهم دعىّ بنى شجع لحرب محمد
فدلاًهم في الغي حتى تهانتوا يبين فيه اللوم من كان يهتدى
شئوم لعين كان قدماً مبنغضاً وكان مضلاً أمره غير مرشد
فأنزل ربّي ليلتي جنوده وأيده بالنصر في كلّ مشهد
وايضا قال:

الا ليت شعري هل اتى مكة الذي

قبلنا من الكفار في ساعة العمر
قتلنا سُرّة القوم عند رحالهم
فلم يرجعوا الا بقاصمة الظّهر
قتلنا ابا جهل وعُتبة قبله
وشَيْبَةَ ايضاً عندنا حَيّة الجفّر
وكم قد قتلنا من كريم مُرّزء
له حَسَبٌ في قومه نابه الذّكر
تركناهم للخافعات تُنوشهم
ويصلون ناراً ثمّ نائية القعر
بكفرهم بالله والدين قائم
وما طلبو فينا بظائلة الوتر
لعمري لقد ملّت كتائبُ غالب

وما ظفرت يوم الثّقينا على بدر
وبالجملة في يوم بدر قتل من الأعداء سبعون نفر قتل عليّ عليه السلام وحادّة ست
وثلاثون نفر وقتل الباقي اعنى اربع وثلاثين نفر الملائكة والانصار فعلى عليه السلام
وحده قتل اكثر من الجميع.

وأسر منهم ايضاً سبعون ومن جملة الأسارى في بدر عبّاس ابن عبد

المُطَلَّب وَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُنَاكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ.

رَوَى أَنَّ الْأَسَارِي لَمَّا قُيِّدُوا بِالْحَدِيدِ فِي اللَّيْلِ وَهُمْ بِقُرْبِ الرَّسُولِ ﷺ فَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَتَأَذَى مِنْ ضَجَّتِهِمْ وَلَا سِيَّمَا ضَجَّةَ الْعَبَّاسِ عَمَّهُ قَالَ ﷺ لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ كَعْبٍ وَهُوَ كَانَ حَارِسًا عَلَيْهِمْ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّا مَانَمْتُ الْبَارِحَةَ مِنْ ضَجِيحِ عَمِّي فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لِي أَنْ أُخَفِّفَ الْقَيْدَ عَنِ الْعَبَّاسِ فَأَذْنَ لَهُ فَخَفَّفَ عَنْهُ فَلَمَّا سَكَتَ الْعَبَّاسُ قَالَ ﷺ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا لِي أَرَى عَمِّي قَدْ سَكَتَ قَالَ خَفَّفْتُ عَنْهُ الْقَيْدَ قَالَ ﷺ خَفَّفَ الْقَيْدَ عَنِ الْأَسَارِي كُلِّهِمْ ففَعَلَ.

ثُمَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِالْقَتْلِ أَنْ تُلْقَى إِلَى الْبِئْرِ فَلَمَّا رَأَى أَبُو حَذِيفَةَ ابْنَ عَتَبَةَ جَسَدَ أَبِيهِ عَتَبَةَ وَهُمْ يَجْرُونَهِ إِلَى الْبِئْرِ أَعْتَمَ لِذَلِكَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَتَكْرَهُ هَذَا يَا أبا حَذِيفَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْسِمُ بِاللَّهِ أَنَّ هَذَا لَا يُوجِبُ الْوَهْنَ وَالتَّزَلُّلَ فِي إِيْمَانِي بَلْ يَزِيدُهُ وَيُقَوِّمُهُ إِلَّا أَنِّي صرْتُ مَحْزُونًا مِنْ حَيْثُ أَنَّ أَبِي كَانَ رَجُلًا لَهُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَاصَابَةِ الرَّأْيِ وَمَحَاسِنِ الصِّفَاتِ مَا لَا يَخْفَى عَلَيَّ أَحَدٍ وَكُنْتُ أَرْجُو إِسْلَامَهُ فَلَمْ يَرْجِعْ عَنْ غَيْهِ وَضَلَّالَتِهِ حَتَّى قُتِلَ فِدْعَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي حَذِيفَةَ بِخَيْرِ دَعَاءٍ - وَأَمَّا الْعَامَّةُ فَقَدْ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ جَمِيعَ الْقَتْلَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ سَبْعٌ وَسِتِّينَ رَجُلًا قَتَلَ عَلِيُّ مِنْهُمْ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ وَالباقى للباقي والأمر سهل.

وَلَمَّا رَجَعَ الرَّسُولُ وَأَصْحَابُهُ مِنْ بَدْرٍ نَظَرَ ﷺ إِلَى الْبِئْرِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ أَجْسَادُ قَرِيشٍ فَخَاطَبَهُمْ وَقَالَ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا فَأَنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا ثُمَّ عَدَّهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَقَالَ كُنْتُمْ بِئْسَ الْأَقْرَبَاءُ، إِذْ كَذَّبْتُمْ الرَّسُولَ وَصَدَّقْتُمْ غَيْرَكُمْ فَمَنْ غَيْرِ ذَوِي الْأَرْحَامِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَتَكَلَّمُ الْمَوْتَى، قَالَ ﷺ إِنَّهُمْ أَسْمَعُ مِنْكُمْ لِقَوْلِي وَفِي رِوَايَةٍ لَسْتُمْ بِأَسْمَعُ مِنْهُمْ وَالِي هَذَا عَنِي مَخَاطَبَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِشَارًا حَسَنًا حَيْثُ يَقُولُ:

عَرَفْتُ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالْكَتِيبِ كَخَطِّ الْوَحْيِ فِي الْوَرَقِ الْقَشِيبِ
تَعَاوَرَهَا الرِّيَّاحُ وَكُلَّ جَوْنٍ مِنْ الْوَسْمَى مِنْهُمْ اسْكُوبُ

فَأَمْسَى رَسْمَهَا خَلْقًا وَأَمَسَتْ
فَدَعَتْ عَنْكَ التَّذَكُّرَ كُلَّ يَوْمٍ
وَخَبَّرَ بِالَّذِي لَأَعِيبُ فِيهِ
بِمَا صَنَعَ الْمَلِكُ غَدَاةَ بَدْرِ
غَدَاةَ كَأَنَّ جَمْعَهُمْ حِرَاءُ
فَلَا قَيْنَاهُمْ مِنَّا بِجَمْعٍ
أَقَامَ مُحَمَّدٌ قَدِ آزَرُوهُ
بِأَيْدِيهِمْ صَوَارِمَ مُرْهَفَاتٍ
بَنُو الْأَوْسِ الْغَطَارِفِ آزَرْتَهَا
فَغَادَرْنَا أَبَا جَهْلَ ضَرِيحًا
وَشَيْبَةَ قَدْ تَرَكَنَا فِي رَجَالٍ
يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا
أَلَمْ تَجِدُوا حَدِيثِي كَانَ حَقًّا
فَمَا نَطَقُوا وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا

بِبَابٍ بَعْدَ سَاكِنِهَا الْحَبِيبِ
وَرُدَّ حَرَارَةُ الصُّدْرِ الْكَتِيبِ
بِصِدْقٍ غَيْرِ أَخْبَارِ الْكَذُوبِ
لَنَا فِي الْمُشْرِكِينَ مِنَ النَّصِيبِ
بَدَتْ أَرْكَانُهُ جُنْحَ الْغُرُوبِ
كَاسِدِ الْغَابِ مِنْ مُرْدٍ وَشَيْبِ
عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي رَهْجِ الْحُرُوبِ
وَكُلِّ مُجْرَبٍ خَاطِي الْكُعُوبِ
بَنُو النَّجَارِ فِي الدِّينِ الصَّلِيبِ
وَعُتْبَةُ قَدْ تَرَكَنَا بِالْجُيُوبِ
ذَوِي حَسَبٍ إِذَا انْتَسَبُوا حَسِيبِ
قَدَفْنَاهُمْ كَبَاكِبُ فِي الْقَلِيبِ
وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ
صَدَقْتَ وَكُنْتَ ذِي رَأْيٍ مُصِيبِ

□ قوله ﷺ: وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، وَلَا اخْضَرَّ
لِلْإِيمَانِ عَوْدٌ...

ثُمَّ أَقْسَمَ ﷺ بِنَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ لَوْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي
الْعَزَوَاتِ كَمَا أَنْتُمْ تَكُونُونَ وَلَوْ أَتَيْنَا مَعَهُ ﷺ فِي الدَّفَاعِ عَنِ الدِّينِ وَأَقَامَةَ شَجَرَةِ
الْإِيمَانِ كَمَا تَأْتُونَ بِهِ الْآنَ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ وَأَحْيَاءِ السُّنَّةِ مِنَ التَّسَامُحِ وَالتَّسَاهُلِ
وَالْعِنَادِ وَالتَّفَاقُحِ مَا قَامَ لِلدِّينِ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ عَمُودٌ وَلَا قَائِمَةٌ يُعْتَمَدُ عَلَيْهَا وَلَا
مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ عَيْنٌ وَلَا آثَرٌ وَالِي هَذَا الْمَعْنَى اعْنَى نُصْرَةَ الْمُسْلِمِينَ
لِلدِّينِ وَحِمَايَتِهِمْ عَنِ الرَّسُولِ وَالذَّبُّ عَنْهُ ﷺ بِأَنْفُسِهِمْ إِشَارَةٌ حَسَنَةٌ حَيْثُ قَالَ:

مُسْتَشْعَرٌ خَلَقَ الْمَادِي يُقَدِّمُهُمْ
أَعْنَى الرَّسُولِ فَإِنَّ اللَّهَ فَضَّلَهُ
جَلَدَ النَّخِيرَةَ مَاضٍ غَيْرَ رَعْدٍ يَدِ
عَلَى الْبَرِيَّةِ بِالتَّقْوَى وَبِالْجُودَى

وقد زَعَمْتُمْ بَانَ تَحْمُودَ مَارِكُمْ
 وقد وَرَدْنَا وَلَمْ نُهْدَدْ لِقَوْلِكُمْ
 فِينَا الرَّسُولَ وَفِينَا الْحَقَّ نَتَّبِعُهُ
 مَا ضِىَّ عَلَى الْهَوْلِ رِكَابٌ لِمَا قَطَعُوا
 وَاقٍ وَمَا ضِىَّ شَهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
 مَبَارِكُ كَضِيَاءِ الْبَدْرِ صُورَتِهِ
 مُسْتَعْصِمِينَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْجَذَمٍ
 وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ عَلَامَةُ ابْنِ جَابِرٍ أَيْضًا:

بَدَى يَوْمَ بَدْرِ وَهُوَ كَالْبَدْرِ حَوْلَهُ
 كَوَاكِبٌ فِي أَفْقِ الْكَوَاكِبِ تَنْجَلِي
 وَجَبْرِيلُ فِي جَنْدِ الْمَلَائِكِ دُونَهُ

فَلَمْ تُغْنِ أَعْدَادَ الْعَدُوِّ الْمُخَذَّلُ
 رَمَى بِالْحِصَى فِي أَوْجِهِ الْقَوْمَ رَمِيَّةً

فَشَرَّدَهُمْ مِثْلَ النَّعَامِ الْمُجْفَلِ
 وَجَادَلَهُمْ بِالْمَشْرِفَى، فَسَلَّمُوا

مُجَادِلَةٌ بِالنَّفْسِ كُلِّ مُجَدِّلِ
 عَبِيدَةٌ سَلَّ عَنْهُمْ وَحَمَزَةٌ فَاسْتَمَعَ

حَدِيثَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ عَلِيٍّ
 هُمْ عَتَبُوا بِالسَّيْفِ عُتْبَةَ إِذْ غَدَا

فَنَاقَ الْوَلِيدَ الْمَوْتَ لَيْسَ لَهُ وَلِيٌّ
 وَشَبِيهَةٌ لِمَا شَابَ خَوْفًا تَبَادَرَتْ

إِلَيْهِ الْعَوَالِي بِالْخَضَابِ الْمُعَجَّلِ
 وَجَالِ ابِوَجْهِلٍ فَحَقَّقَ جَهْلَهُ

غَدَاةٌ تُرَدَّى بِالرَّدَا عَنْ تَدَلُّ

فأضحى قليلاً فى القلب وقومه
 يُوَلُّونَهُ فَبِهَا إِلَى شَرٍّ مِنْهُمْ
 وَجَاءَتْهُمْ خَيْرَ الْأَنْبَاءِ مُبْتَدِئاً
 تُفْتَحُ مِنْ أَسْمَاعِهِمْ كُلِّ مَقْفَلٍ
 وَأَخْبَرَ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعٍ مِنْهُمْ
 وَلَكِنَّهُمْ لَا يَهْتَدُونَ لِـمَقُولِ
 سَلَاغَتِهِمْ يَوْمَ الْبَلَاءِ إِذْ تَضَاحَكُوا
 فَمَادَ بِكَاءٍ عَاجِلاً لَمْ يُؤْءَ جَلِ
 أَلَمْ يَعْلَمُوا عِلْمَ الْيَقِينِ بِصَدَقِهِ
 وَلَكِنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ بِمَعْقَلِ
 فَيَاخِرَ خَلْقِ اللَّهِ جَاهَكَ مَلْجَأَتِي
 وَحُبُّكَ ذُخْرِي فِي الْحِسَابِ وَمَوْثَلِي
 عَلَيْكَ صَلَوَةٌ يَشْمَلُ الْآلَ عُرْفَهَا
 وَأَصْحَابِكَ الْأَخْيَارَ أَهْلَ التَّفَضُّلِ

□ قوله ﷺ: وَأَيُّمُ اللَّهُ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَمًا وَلَتَتَّبِعُنَّهَا نَدَمًا،...

شَبَّهُ ﷺ: أفعالهم الرديئة السيئة وتقاعدهم عن الجهاد ومخالفتهم آياه
 وبالجملة نفاقهم وعنادهم وإعراضهم عن الدين بالناقة التي لها ضرع ولبن ثم
 صار الضرع واللبن دماً بتفريط صاحبها أو صار اللبن الموجود فى الضرع دماً
 فلما أتى صاحبها ليحلبها رأى بدل اللبن دماً.

ويمكن ان يكون المُشَبَّه فى المقام الحكومة والخلافة ويمكن ان يكون
 المُشَبَّه الأسلام والمال واحد ولكل وجه وجيه لا يخفى على المتأمل وعلى ائى
 التقادير خاطبهم ﷺ وأقسم بالله ان هذه السيرة والعمل منهم تورث لهم
 شيئين:

احدهما: كون الثمرة فى هذه الأفعال رجساً وظلماً فان الدم كناية عن خباثته

الثمرة والمقصود انكم مع هذا التفاق والعناد والمخالفة لله ولرسوله ستحلبون من هذه الخلافة دماً اي ثمرة رديّة وهي المظلوميّة والمقهوريّة بأيدي الظلمة والبعد عن جوار قرب رب العالمين بسبب المعصية والأعراض عن المعروف والأقبال الى المنكر فان كل شجرة مثمرة له ثمره لامحالة وكل ناقة اوشاة لها ضرع ولبن يحتلب عند الحاجة ويُنْتَفَع به فمن اراد الانتفاع بالثمرة من الشجرة وباللبن الخالص من الناقة فلا بد له من المواظبة على حفظهما فالشجرة الخبيثة لا تثمر الا خشباً والناقة المعيوبة التي صارت احشائها، وامعائها مكسورة بضرب صاحبها اياها وغيره لا يحلب منها الا دماً.

فكذلك حال شجرة الدين او ناقة الدين او الخلافة او الأعمال او ما شئت فسّمه فان لها ثمرة لامحالة وهي اعنى الثمرة فيها او اللبن في الناقة ترتبط بالمواظبة فان الله تعالى لا يظلم على احدٍ وان الناس يظلمون على أنفسهم وهم لا يعلمون.

واما قوله ﷺ: ولتتبعنّها ندماً، فهو اشارة الى ان هذه الأعمال والأعتقادات الفاسدة الكاسدة لا تؤثرت الا الندم والحسرة على ما مضى وهو لا يفيد فان العاقل لا يفعل شيئاً يوجب الندامة.

وحاصل كلامه ﷺ في هاتين الفقرتين اشارة الى سوء اعمالهم وخلافهم ونفاقهم وتقاعدهم عن القتال والجهاد مع الأعداء ولا سيما معاوية ابن ابي سفيان واتباعه من اولياء الشيطان فان هذه الروية المنكرة توجب تسلط الأشرار على الأخيار وامانة المعروف واحياء المنكر ولا شك ان هؤلاء الظلمة لا يرحمون صغيراً ولا كبيراً ولا شيخاً ولا شاباً فيسفكون دمايتهم ويقتلون ابنائهم وينهبون اموالهم كما فعل معاوية وغيره من الخلفاء بهم ما فعل وهذا هو الدم الذي قال ولتحتلبنّها دماً، وهو الندم الذي قال لتتبعنّها ندماً.

ثم ان هذا الذي ذكره، لاختصاص له باصحابه ومعاوية وامثاله من خلفاء الجور في صدر الإسلام بل ما ذكره ﷺ اصل اصيل وركن وثيق يعتمد عليه في

فضاح السعادة في شرح نهج البلاغة

جميع الأزمنة والأوقات بالنسبة الى مطلق الحُكَّام والأشخاص فإنَّ الإنسان في كلِّ عهدٍ وزمان اذا لم يَعْمَلْ بوظيفته وتساهل وتقاعد في القيام على دفع الباطل او رفعه فَيَسْلُطَ عليه من لا يَرَحْمُه فإنَّ من اعان ظالماً سلَّطه الله عليه وآيَّةُ إِعَانَةٍ أَشَدُّ وَأَعْظَمُ من السكوت في قبال الظلم من غير عذرٍ.

أليس الأمر في زماننا هذا كما ذكره عليه السلام أو لَسْنَا مُتَنَدِّمِينَ عَلَى مَا مَضَى مِنَّا وَمَعَ ذَلِكَ لَا نَعْتَبِرُ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَأَعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ.

فلَمَّا تَرَكْنَا الْحَقَّ وَأَخَذْنَا الْبَاطِلَ وَاتَّبَعْنَا أَهْوَانَنَا وَأَنْفُسَنَا وَقَلَّدْنَا الْكُفَّارَ فِي جَمِيعِ شُئُونِنَا وَأَدَابِنَا وَصَارَ الْقُرْآنُ فِيْنَا مَهْجُورًا وَالْأَحْكَامُ مَتْرُوكًا مَطْرُودًا، فَالَّذِينَ صَارَ بَيْنَنَا غَرِيبًا وَحِيدًا فَيَسْتَعِيثُ وَلَا يُغَاثُ وَيَسْتَعِينُ وَلَا يُعَانُ وَهُوَ ينادي بأعلى صوته هل من ناصرٍ يَنْصُرُنِي وَهَلْ مِنْ مُعِينٍ يُعِينُنِي فَانْصُرْهُ بِاللَّفْظِ دُونَ الْعَمَلِ وَبِالْقَوْلِ دُونَ الْفِعْلِ وَهَكَذَا فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ لَا يَرَحْمُنَا وَلَيْسَ هَذَا إِلَّا مِنْ سُوءِ أَعْمَالِنَا وَقَبِيحِ أِفْعَالِنَا وَتَرَكْنَا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَدِيثَ طَوِيلًا.

ومن كلام له عليه السلام (٥٦)

□ قوله عليه السلام: أَمَا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ وَ لَنْ تَقْتُلُوهُ، أَلَا وَ إِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِيِّ وَالْبِرَاثَةِ مِنِّي، فَأَمَّا السَّبُّ فَسَبُّونِي، فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَ لَكُمْ نَجَاةٌ، وَ أَمَّا الْبِرَاثَةُ فَلَا تَتَّبِرُوا مِنِّي، فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَ سَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ، ...

◀ اللغة

(سَيَظْهَرُ) اي سيغلب. (رَحْبُ الْبُلْعُومِ) الرَّحْبُ الوَسِيعُ وَالْبُلْعُومُ بضم الباء مجرى الطَّعَامِ. (مُنْدَحِقٌ) البارز يقال اندحقت رحم الناقة اذا خَرَجَتْ مِنْ مَكَانِهِ. (الْفِطْرَةَ) بكسر الفاء الخِلْقَةُ، والمراد بها الإسلام كذا قيل.

◀ المعنى

(أَمَا إِنَّهُ) والهاء للشأن (سَيَظْهَرُ) اي سيغلب، (عَلَيْكُمْ بَعْدِي) اي بعد موتي وشهادتي. (رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ) اي واسع الحلق وهو كناية عن عدم مبالاته في المأكولات والمشروبات من حيث الجِلِّ والحُرْمَةِ. (مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ) وهو كناية عن كثرة اكله. (يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ) اي لا يَشْبَعُ ولا يَقْنَعُ وهو كناية عن حرصه على الدنيا. (فَاقْتُلُوهُ) اي فاقتلوا ذلك الرجل في صورة القدرة والأمكان. (وَلَنْ تَقْتُلُوهُ) كلمة (لن) لنفي الأبد اي أبداً لن تقتلوه. (أَلَا وَ إِنَّهُ) اي

الرَّجُلِ الْمَذْكُورِ (سَيِّئاً مُرْكُماً) أَيَّهَا الْمُسْلِمُونَ. (بِسَبِّي وَالْبِرَائَةِ مِنِّي) بَانَ تَسْبُونِي وَتَتَبَّرُوا مِنِّي. (فَأَمَّا السَّبُّ فَسَبُّونِي) فَإِنَّهُ أَيُّ السَّبِّ (لِي زَكَاةً) فَلَا يَنْقُصُ عَنْ مَقَامِي شَيْئاً. (وَلَكُمْ نَجَاةً) مِنَ الْقَتْلِ وَالزُّجْرِ (وَأَمَّا الْبِرَائَةُ فَلَا تَتَبَّرُوا مِنِّي) بَانَ تَقُولُوا نَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ (فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ) أَعْنَى الْإِسْلَامِ. (وَ سَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ) فَاتَى أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الرِّجَالِ وَلَمْ يَسْبِقْنِي فِيهِ أَحَدٌ وَأَوَّلَ مَنْ هَاجَرَ مَعَهُ.

◀ الشرح

هذا الكلام منه ﷺ اخبار عن ظهور معاوية وغلبته على الناس فذكر ﷺ فيه اوصافه المخصوصة به ثم تعرّض ﷺ لبيان ما هو التكليف لمحبّيه وشيعته في قبال اوامر معاوية ونحن نشرح كلامه هذا في مقامين: المقام الاول - في شرح اوصاف معاوية. المقام الثاني - في بيان التكليف لأهل الحق، اما المقام الاول - فعَدَّ ﷺ من اوصافه هنا أربعة.

احدها قوله ﷺ: **أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ...**

قال الشارح المعتزلي في شرح العبارة بعد معناها اللغوي وكثير من الناس يذهب الى انه ﷺ عنى زياداً او كثيراً منهم يقول انه عنى الحجاج وقال بعضهم انه عنى المغيرة ابن شعبة والأشبه عندي انه عنى معاوية لانه كان موصوفاً بالبهم وكثرة الأكل وكان بطيناً يقعد بطنه اذا حبس على فخذه انتهى ما ذكره. اقول: لاشك انه ﷺ عنى به معاوية لعدم انطباق هذه الأوصاف على غيره أولاً وعدم صدق قوله ﷺ: **سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ**، على غير معاوية ثانياً وذلك لأن المغيرة وزياد ابن ابيه والحجاج كانوا له ولغيره من العمّال والأولياء فان زياداً ومغيرة كانا عاملين لمعاوية على الكوفة والحجاج كان عاملاً لعبد الملك ابن مروان عليها ولم تكن لهم اصالة في هذه الحكومة حتى يشملهم قوله ﷺ: **سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ**، وهو واضح لاخفاء فيه وثالثاً ان قوله ﷺ: **أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبِرَائَةِ مِنِّي**، أدل دليل على ان المراد به هو معاوية اذ هو الذي أمر

النَّاسِ بِالسَّبِّ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُ وَأَمَّا الْمُغْيِرَةُ وَزِيَادُ فَكَانَا مَأْمُورِينَ بِهِمَا لِأَنَّهُمَا أَمْرًا بِهِمَا وَأَمَّا الْحِجَّاجُ فَهُوَ أَيْضًا كَانَ مَأْمُورًا بِهِمَا مِنْ قِبَلِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ أَيْضًا مِنْ مَعَاوِيَةَ فَإِنَّهُ لَعَنَهُ اللَّهُ أَوَّلَ مَنْ أَبَدَعَ فِي الدِّينِ هَذِهِ الْبِدْعَةَ وَالْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ إِقْتَدَوْا بِهِ وَأَقْتَفَوْا أَثَرَهُ أَنَا وَوَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى ذَلِكَ وَأَنَا عَلَى آثَارِهِمْ وَعَلَيْهِ لِأَدْرَى مَنْ قَالَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ فَإِنَّ الْأَمْرَ أَوْضَحَ مِنْ أَنْ يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ.

ثُمَّ إِنَّ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَيُظْهَرُ عَلَيْكُمْ الْخِشْيَاءُ إِلَى دَقِيقَةٍ لَمْ يَتَّبِعْهَا الْمُعْتَزَلِيُّ وَلَا غَيْرُهُ مِمَّنْ شَرَحَ كَلَامَهُ وَهِيَ أَنَّهُ قَالَ سَيُظْهَرُ أَي سَيُغْلِبُ، فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ حُكُومَةَ مَعَاوِيَةَ عَلَى النَّاسِ كَانَتْ بِالظُّهُورِ وَالْغَلْبَةِ لِابِلَيْبِيعَةَ النَّاشِئَةِ مِنْ رَضَى النَّاسِ.

وبعبارة أخرى: أَخْبَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّ الْخِلَافَةَ بَعْدِي تَكُونُ بِالْغَلْبَةِ وَالْقَهْرِ دُونَ الْأَخْتِيَارِ كَمَا كَانَتْ فِي مَنْ سَبَقَهُ أَعْنَى إِبْرَاهِيمَ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ فَانْتَهَمُوا وَإِنْ كَانُوا غَاصِبِينَ لَهَا إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى النَّاسِ بِالْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ بَلْ بِسَبَبِ اخْتِيَارِ النَّاسِ أَيَّاهُمْ وَيَبِيعَتَهُمْ لَهُمْ وَأَمَّا كَوْنُهُمْ غَاصِبِينَ عَلَى مَسْلَكِنَا فَهُوَ لِأَجْلِ أَنَا نَقُولُ أَنَّ الْخِلَافَةَ وَالْوَصَايَةَ كَالنُّبُوَّةِ فِي أَنَّهَا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا حَقَّ لِلنَّاسِ فِيهَا وَلَا فِي تَعْيِينِهَا كَمَا لِحَقِّ لَهُمْ فِي النُّبُوَّةِ وَتَعْيِينِ النَّبِيِّ وَهَذَا أَمْرٌ آخَرَ غَيْرَ مَا نَحْنُ بِصُدَدِهِ وَمُحْضَلُ الْكَلَامِ هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ خِلَافَةِ مَعَاوِيَةَ وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ لِأَنَّ جِهَةَ غَضَبِ الْخِلَافَةِ وَعَدَمِ لِيَاقَتِهِمْ لَهَا فَانْتَهَمُوا وَمَنْ بَعْدَهُمْ فِيهِ عَلَى حَدِّ سِوَاءِ بَلْ مِنْ جِهَةِ تَعْيِينِ النَّاسِ أَيَّاهُمْ بِهَا وَعَدَمِهِ وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى مِنْ جِهَةِ تَلْبَسِهِمْ بِهَا بِالْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ وَالسَّيْفِ وَعَدَمِهِ.

فَمَعَاوِيَةَ أَوَّلَ مَنْ تَلَبَّسَ فِي الْأَسْلَامِ بِالْخِلَافَةِ بِالسَّيْفِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ اخْتِيَارٌ ثُمَّ الْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ أَيْضًا كَانُوا كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَنْسَسَ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ وَالبِدْعَةِ فِي الدِّينِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَهُوَ أَيْضًا أَوَّلَ مَنْ أَخْرَجَ الْخِلَافَةَ الْأَسْلَامِيَّةَ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهُ مَسْبُوقَةً بِالشُّورَى عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ وَبَدَّلَهَا بِالسُّلْطَنَةِ وَالْحُكُومَةِ الْقَيْصَرِيَّةِ وَالْكَسْرُويَّةِ وَمِنْ هُنَا قَدْ ظَهَرَ لَكَ أَنَّ

حكومة معاوية ومن بعده الى زماننا هذا لم تكن حكومة شرعية ولا عرفية اما
عدم كونها شرعية فمعلوم واما عدم كونها عرفية فلعدم مسبوقتها بالشورى
ومن المعلوم ان الحكومة اذا لم تكن على موازين الشريعة ولا على موازين
العرفية فهي منحطة من اصلها وهذا هو المراد بقوله عليه السلام: **سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ الْخ**
وسياتى تفصيل الكلام فيه انشاء الله تعالى.

واما قوله عليه السلام: **(رَجُلٌ)** بالتنكير وعدم تصريحه عليه السلام بأسمه لأمكان ان يقول
سيظهر عليكم بعدى معاوية مثلاً، ففيه ايماء واشعار بتحقيقه وانه ممن لا يليق
بان يعبر عنه بالأسم لكونه غير قابل له لحقارته ودنائه وهو من محسنات علم
البلاغة.

قال الخطيب القزويني فى تلخيص المفتاح وهو متن المطول للتفتازانى ما
هذا لفظه:

واما تنكيره (اي تنكير المسند اليه) فللأفراد او التعظيم او التحقير او
التقليل، وقال الشارح قوله للأفراد: اي تنكير المسند اليه للقصد الى فرد غير
معين مما يصدق عليه اسم الجنس نحو جاء رجل من اوضى المدينة يسعى
وقال فى شرح قوله او التعظيم او التحقير، يعنى انه بلغ فى ارتفاع شأنه او
انحطاطه مبلغاً لا يمكن ان يُعرف كقوله اي قول ابن ابي السمط:

لَه حَاجِبٌ فِى كُلِّ امْرٍ يُشِينَهُ

وَلَيْسَ لَهُ عَن طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ

اي حاجب حقيق فكيف بالتعظيم منه انتهى. وعليه فتتكير المسند اليه اعنى
(رجل) فى المقام لا يخلو من هذه الامور الأربعة ولا خامس لها.

اما التعظيم فلا يمكن الذهاب اليه لوجود القرائن الدالة على عدمه من كونه
رَحْبُ الْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ وامثال ذلك فالأمر يدور مدار الثلاثة الأفراد،
والتقليل والتحقير، اما الافراد ايضاً لا يمكن اذ ليس فيه القصد الى فرد غير
معين لان الأوصاف المذكورة فى العبارة قد عينته فيدور الأمر بين الاثنين

التحقير، او التقليل.

ثم ان التقليل ايضاً لا يمكن لكونه فى الكميات المقدارية فان القلة تقابل الكثرة وما نحن فيه ليس من هذا القبيل كما اذا سئلت السائل هل اعطاك شيئاً فقال اعطانى شيئاً اى قليلاً اى دراهم قليلة مثلاً واذا لم يمكن حمل اللفظ على هذه الثلاثة فلا محالة يحتمل على الرابع منها وهو التحقير فالمطلوب ثابت واما وصفه بالأوصاف المذكورة فلكونها مبيّنة له كاشفة عن معناه كقولك الجسم الطويل العريض العميق يحتاج الى فراغ يشغله فظهر ان تنكيره للتحقير ووصفه للتبيين واما توصيفه بكونه رخب البلعوم فالبلعوم هو مجرى الطعام فى الحلق وقال ابن الاثير فى النهاية هو المرى ثم قال وفى حديث على لا يذهب امر هذه الأمة إلا على رجلٍ واسع الشرم ضخم البلعوم، قال البلعوم بالضم والبلع مجرى الطعام فى الحلق وهو المرى يريد على رجل شديد عسوف او مسرف فى الأموال والدماء فوصفه بسعة المدخل والمخرج انتهى.

وثانيها قوله عليه السلام: مُنْدِحِقُ الْبَطْنِ ...

وهذا هو الوصف الثانى له وهو كونه مُنْدِحِقُ الْبَطْنِ، اى عظيم البطن وقد روى ان معاوية كان بطيناً يقعد بطنه اذا جلس على فخذه وفيه قال الشاعر:

وصاحبٌ لى بطنه كالهافية كآن فى أحشائه معاوية

وثالثها قوله عليه السلام: يَأْكُلُ مَا يَجِدُ ...

وفيه اشارة الى كثرة اكله وانه لا يشبع فان قوله عليه السلام: يَأْكُلُ مَا يَجِدُ دليل على انه لا يشبع والا كيف يأكل ما يجد وهو كذلك كما اعترف به الشارح المعتزلى ايضاً حيث قال كان معاوية يأكل فيكثر فيقول ارفعوا فوالله ما شبعت ولكن مللت وتعبت ثم قال وتظاهرت الأخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على معاوية لما بعث اليه يستدعيه فوجده يأكل ثم بعث فوجده يأكل فقال عليه السلام، اللهم لا تشبع بطنه انتهى.

ورابعها قوله عليه السلام: وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ ...

وهو دليل على حرصه وعدم كونه قانعاً بما رَزَقَهُ اللهُ وهذه العبارة تَحْتَمِلُ
معنيين:

احدهما ان يكون مراده عليه السلام انه يطلب من المأكولات ما لا يجده وعليه تكون
الجملة عطفاً تفسيرياً لقوله عليه السلام: يَا أَكْلُ مَا يَجِدُ فَإِنَّ لَازِمَ الْأَكْلِ بِمَا يَجِدُهُ هُوَ
الطَّلْبُ بِمَا لَا يَجِدُهُ لِأَنَّ الْمَفْرُوضَ أَنَّهُ لَا يَشْبَعُ بِمَا هُوَ حَاضِرٌ عِنْدَهُ لِامْحَالَةِ
يَطْلُبُ غَيْرَهُ وَهُوَ غَيْرُ مَوْجُودٍ عِنْدَهُ وَهَذَا ظَاهِرٌ.

وثانيهما ان يكون المراد به هو الطَّلْبُ فِي غَيْرِ الْمَأْكُولَاتِ وَعَلَيْهِ فَالْمَعْنَى أَنَّهُ
يَطْلُبُ مِنَ الْأُمُورِ وَالْعُنَاوِينِ مَا لَا يَجِدُهُ لِأَنَّهُ غَيْرُ لَاقٍ بِهَا، وَلَا يَذْهَبُ عَلَيْكَ أَنَّ
المراد بالأمر المطلوبه له هي الحكومة والرئاسة وقد حَصَلَتْ لَهُ، لِأَنَّ هَذِهِ
الأمور ممَّا لَا يُعْبَأُ بِهَا كَيْفَ وَقَدْ حَصَلَتْ لِأَكْثَرِ الْأَشْقِيَاءِ مِنْ إِخْوَانِ مَعَاوِيَةَ نَحْوِ
فِرْعَوْنَ وَثَمْرُودَ وَشَدَّادَ وَضَحَّاحَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَشْرَارِ فَإِنَّ قَلْتَ فَمَا هَذِهِ الْأُمُورُ
الَّتِي كَانَ لَا يَجِدُهَا وَهُوَ يَطْلُبُهَا قَلْتَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ أُمُورًا:

احدها ان يكون المراد بالذي كَانَ يَطْلُبُهُ وَلَمْ يَجِدْهُ هُوَ انمحاء نور الإسلام
وزوال الأحكام بالكُفْيَةِ وَرَجُوعِ النَّاسِ إِلَى زَمَانِ الْجَاهِلِيَّةِ بِخُرُوجِهِمْ عَنِ الدِّينِ
كَمَا كَانَ أَكْبَرَ هَمِّهِ فِي حُكُومَتِهِ هَذَا الْمَعْنَى لِأُغْيَرِهِ كَمَا سَتَعَلَّمُ.

وثانيها ان يكون المراد بطلبه ما لا يجده هو مَحْوُ آثَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْلَادِهِ
الْمَعْصُومِينَ بَانَ لَا تُذَكَّرُ فِي الدُّنْيَا فَضَائِلُهُمْ وَمُنَاقِبُهُمْ وَأَجَلَ هَذَا أَمْرُ النَّاسِ
بِسَبِّهِ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُ وَوَضَعَ إِخْبَارًا مَجْعُولَةً فِي ذِمَّتِهِ عليه السلام وَمَدَحِ آلِ أَبِي سَفِيَانَ وَآلِ
أُمِّيَّةٍ كَمَا سَيَأْتِي تَفْصِيلُ الْكَلَامِ فِيهِ أَيْضًا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْهُ.

وثالثها ان يكون المراد به الخلافة الإسلامية اعني موافقة الناس له في
الخلافة وبيعتهم له بالأختيار كما في الخلفاء قبله وهذا أيضاً ممَّا لَا يَجِدُهُ فَإِنَّ
مَا وَجَدَهُ هُوَ السُّلْطَنَةُ بِالْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ دُونَ الْخِلَافَةِ بِهَذَا الْمَعْنَى، وَمَطْلُوبُهُ أَيْضًا هُوَ
الخلافة على ما يُسْتَفَادُ مِنَ التَّوَارِيخِ لِأَنَّ الْحُكُومَةَ الْمُطْلَقَةَ بَائٍ وَجْهٍ انْفَقَتْ،
وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مَا ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

المقام الثاني في بيان تكليف اهل الحق بعد موته عليه السلام وغلبة معاوية على الناس وهو امور:

احدها قوله عليه السلام: فَأَقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ ...

هذا هو الأمر الاول الذي كلفهم به وأوجب عليهم وهو قوله عليه السلام أقتلوه اي أقتلوا معاوية وأمره بقتله يدل على كونه مهذور الدم واجب القتل، والعلة فيه هي انه صار مُرتدّاً بخروجه على الامام الحق وعدم بيعته اياه ومن كان كذلك يجب قتله وليس كذلك الأمر بالنسبة الى كل من خرج او يخرج على السلطان في كل عهد وزمان اذ لا دليل لنا على ان مطلق الخروج في الحكومة الإسلامية يوجب الارتداد الموجب للقتل فان الحاكم على الأمة اذا كان فاسقاً كائناً من كان يجب على كل مكلف دفعه والقيام عليه وقتله حتى الامكان اداء لحق المعروف والنهي عن المنكر بشرط اجتماع شرائطه وعدم لزومه التقية او وجوبها.

وانما نحكم بقتل من خالف الامام المفترض الطاعة المنصوب من الله ورسوله لأرشاد الناس لان المخالفة له مخالفة لله وللرسول ومن خالف الله ورسوله بالقيام فهو مُرتدٌ محكومٌ بالقتل وامير المؤمنين عليه السلام كان كذلك لكونه وصياً للرسول واماماً بالحق ومخالفته وحربه والقيام عليه مخالفة الله ومخالفة الرسول لقوله عليه السلام يا علي حربك حربي وسلمك سلمى ولا شك ان محارب الرسول كافر فهكذا محارب علي ومعاوية كان محارباً له فيجب قتله وهو المطلوب.

واما قوله عليه السلام: وَلَنْ تَقْتُلُوهُ، فهو اخبار منه عليه السلام بأهمال الناس ومسامحتهم في قتله وانما اتى النفي بكلمة (لن) التي لنفي الأبد للدلالة على انه لا يقتل أبداً بل يموت حتف أنفه لعلمه عليه السلام بان المسلمين لا غيرة ولا حمية لهم ليقتلوه اذ لو كانوا من ذري الغيرة لحاربوه في حياة علي مع اصراره عليه السلام عليه فالمقصود من امره عليه السلام بالقتل والاخبار بانه لا يقع أبداً هو الأشعار والأعلام بان تكليفهم من

الله ورسوله هو قتل معاوية والأخبار بعدم وقوعه مشعر بأن الناس لا يعملون بهذا التكليف كما أنهم لا يعملون بغيره من التكليف فلانفاة بين الأمر بالشىء والأخبار بعد وقوعه.

وثانيها قوله ﷺ: **أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالتَّبْرَائَةِ مِنِّي فَأَمَّا السَّبُّ فَسَبُّونِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَلَكُمْ نَجَاةٌ...**

(ألا) للتنبية والضمير في قوله (أنه) يعود الى معاوية لعلمه بأن معاوية بعد الغلبة عليهم يأمرهم بشيئين: احدهما - سبّه ﷺ والآخر البرائة منه ثم بين ﷺ تكليفهم فقال اما السب فسبوني فان السب لا يضرني شيئاً لكونه لي زكاة وترفع للمقام ولكم نجاته من القتل والضرب والهلاك.

ثم ان السب بفتح السين الشتم فقوله ﷺ: **إِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالتَّبْرَائَةِ مِنِّي**، اخبار بأنه سيقع وهو من الأخبار عن المغيبات وقد وقع ما أخبر ﷺ به بعد شهادته ﷺ وتسلط معاوية وأوليائه على الإسلام والمسلمين فإنه لعنه الله أمر الناس بالسب واللعن ولم يسبقه في هذا الأمر أحد لافي الإسلام ولا في غيره فهو أول من أبدع هذه البدعة ثم تابعه على هذا الأمر بنو أمية وبنو مروان فأستمرؤا عليه الى آخر خلافتهم نعم منع عنه عمر ابن العزيز مدة في أيام خلافته كما سيأتى ثم بعد موته رجع الأمر الى ما كان.

فقد روى الشارح المعتزلى في شرحه لهذه الجملات ان معاوية امر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسب علي ﷺ والبرائة منه وخطب بذلك على منابر الإسلام وصار ذلك سنة في أيام بنى أمية الى ان قام عمر ابن عبد العزيز (ره) فزاله ثم قال ذكر شيخنا ابو عثمان الجاحظ ان معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة اللهم ان اباتراب الحد في دينك وصد عن سبيلك فألعه لنا وبئلاً وعذبه عذاباً اليماً وكتب بذلك الى الآفاق فكانت هذه الكلمات يشار بها على المنابر الى خلافة عمر ابن عبد العزيز.

وذكر ابو عثمان ايضاً ان هشام ابن عبد الملك لما حج خطب بالموسم فقام

اليه انسان فقال يا امير المؤمنين ان هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لعن ابي تراب فقال اكفف فما لهذا جثنا.

وذكر المبرد في الكامل ان خالد ابن عبد الله القسري لما كان امير العراق في خلافة هشام كان يلعن علياً على المنبر فيقول اللهم العن علي ابن ابي طالب ابن عبد المطلب ابن هاشم صهر رسول الله علي ابنته و ابا الحسن والحسين ثم يقبل على الناس فيقول هل كئيت.

وروى ابو عثمان ايضاً ان قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية يا امير المؤمنين انك قد بلغت ما املت فلو كففت عن لعن هذا الرجل فقال لا والله حتى يربوا عليها الصغير ويهرم عليها الكبير ولا يذكر له ذاكر فضلاً.

وقال ايضاً وما كان عبد الملك مع فضله و انائه وسداده ورجحانه ممن يخفى عليه فضل علي وان لعنه علي رؤوس الأشهاد وفي اعطاف الخطب وعلى صهوت المنابر مما يعود عليه نقصه ويرجع اليه وهنه لانها جميعاً من بني عبد مناف والأصل واحد والجرتومة منبت لهما وشرف علي وفضله عايد عليه ومحسوب له ولكنه اراد تشييد الملك وتأكيده ما فعله الأسلاف وان يقرر في أنفس الناس ان بني هاشم لاحظ لهم في هذا الأمر وان سيدهم الذي به يصولون ويفخره يفخرون هذا مقداره وحاله فيكون من يتمي اليه ويدلى به عن الأمر بعد وعن الوصول اليه أشمط وأنزح.

وروى اهل السيرة ان الوليد ابن عبد الملك في خلافته ذكر علياً فقال لعنه الله بالجرح كان لصل ابن لصل فعجب الناس من لعنه ولحنه فيما لا يلحن فيه أحد ومن نسبته علياً الى اللصوئية وقالوا ما ندرى ايهما أعجب وكان الوليد لحناً.

و ايضاً ان المغيرة ابن شعبة وهو يومئذ امير الكوفة من قتل معاوية امر حجر ابن عدى ان يقوم في الناس فيلعن علياً فابى ذلك فتوعده فقام وقال ايها الناس ان اميركم امرني ان العن علياً فالعنوه فقال اهل الكوفة لعنه الله وعاد

الضَّمير الى المغيرة بالنِّية والقصد و اراد زياد ابن سُميَّة ان يعرض اهل الكوفة
 أجمعين على البرائة من عليٍّ ولعنه وان يقتل كلَّ من إمتنع من ذلك ويُخرَّب
 منزله فَضربه الله ذلك اليوم بالطَّاعون فمات بعد ثلاثة ايام في خلافة معاوية
 وكان الحجاج لعنه الله يلعن علياً ويأمر بلعنه وقال له مُتعرِّضُ به يوماً وهو
 راكب ايها الامير ان اهلى عَقْوَنِي فَسَمَوْنِي عَلِيّاً فَغَيَّرَ اسْمِي وَصِلْنِي بِمَا اتْبَلَعُ بِهِ
 فَاتَى فَقِيرٌ فَقَالَ لِلطُّفِّ مَا تَوَصَّلْتَ بِهِ قَدْ سَمَيْتُكَ كَذَا وَوَلَّيْتُكَ الْعَمَلَ الْفُلَانِي
 فَأشخص اليه.

روى الكلبي عن ابيه عن عبد الرحمن ابن سايب قال قال الحجاج يوماً
 لعبدالله ابن هانى وهو رجلٌ من بنى أود حَيٌّ من قحطان وكان شريفاً فى قومه
 قد شهد من الحجاج مشاهده كلها وكان من انصاره والله ما كافأتك بعد، ثم
 ارسل الى اسماء ابن خارجة سيّد بنى فرارة ان زوج عبدالله ابن هانى بأبتك
 فقال لا والله ولا كرامة فدعا له بالسيّاط فلما رأى الشر قال نعم أزوجه، ثم بعث
 الى سعيد ابن قيس الهمداني رئيس اليمانية وقال له زوج أبتك من عبدالله ابن
 اود فقال ومن اود لا والله لأزوجه ولا كرامة فقال عليّ بالسيف فقال دعنى
 حتى اشاور اهلى فشاوَرَهُمْ فقالوا زوجه ولا تعرض نفسك لهذا الفاسق
 فزوجه فقال الحجاج لعبدالله قد زوجتُك بنت سيّد فرازه وبنت سيّد همدان
 وعظيم كهلان وما اود هناك فقال عبدالله لا نَقْلُ أصْلَحَ الله الامير ذاك فان لنا
 مناقب ليست لأحدٍ من العرب قال الحجاج وما هي؟

قال: ما سبَّ امير المؤمنين عبد الملك فى نادٍ لنا قَطُّ قال منقبة والله قال
 وشهد منا صفتين مع امير المؤمنين معاوية سبعةون رجلاً وما شهد منا مع ابي
 تراب إلا رجلٌ واحد وكان والله ما علمته إلا امرأ سوءاً قال منقبة والله، قال ومنا
 نسوة نذرنا ان قُتِلَ الحسين ابن عليّ ان تنحركل واحدة عشر قلائص ففعلن
 قال منقبة والله، قال: وما منا رجل عرّض عليه شتم ابي تراب، ولعنه إلا فعَل
 وزاد بنيه حسناً وحسيناً وامهما فاطمة، قال منقبة والله، قال وما أحدٌ من العرب

له من الصّباحة والملاحة ما لنا فَضَحَك الحَجَّاج وقال اَمَا هذه يا ابا هانى فدَعَهَا.

و كان عبدالله ابن الزُّبير يَبْغُضُ عَلِيًّا يَنْتَقِصُهُ وَيُنَالُ مِنْ عِرْضِهِ وَرَوَى اهل السَّيْرِ اَنَّهُ مَكَثَ اَيَّامَ اَدْعَائِهِ الخِلاَفَةَ اَرْبَعِينَ صَبَاحًا (جُمُعَةً) لَا يُصَلِّي فِيهَا عَلَي النَّبِيِّ وَقَالَ لَا يَمْنَعُنِي مِنْ ذِكْرِهِ اِلَّا اَنْ تَشْمَخَ رِجَالُ بَانَافِهَا.

روى سعيد ابن جبير انَّ عبدالله ابن زبير قال لعبدالله ابن عباس ما حديث اَسْمَعُهُ عَنْكَ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ تَأْنِيْبِي وَذَمِّي، فَقَالَ اِنِّي سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ بِئْسَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ يَشْبَعُ وَيَجُوْعُ جَارُهُ فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ اِنِّي لَأَكْتُمُ بَغْضَكُمْ اَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ مِنْذُ اَرْبَعِيْنَ سَنَةً وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ.

وروى ايضاً عن سعيد ابن جبير قال خطب عبدالله ابن الزبير فقال من عليّ فَبَلَغَ ذَلِكَ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ فَجَاءَ اِلَيْهِ وَهُوَ يَخْطُبُ فَوَضَعَ لَهُ كُرْسِيًّا فَقَطَعَ عَلَيْهِ حُطْبَتَهُ وَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ شَاهَتِ الْوُجُوهُ اَيْتَقِصْ عَلِيًّا وَانْتُمْ حُضُورُ اَنْ عَلِيًّا كَانَ يَدُلُّهُ عَلَى اَعْدَاءِ اللهِ وَصَاعِقَةٌ مِنْ اَمْرِهِ اَرْسَلَهُ عَلَى الْكَافِرِيْنَ، وَالْجَاهِدِيْنَ لِحَقِّهِ فَقَتَلَهُمْ بِكُفْرِهِمْ فَشَنُّوهُ وَاَبْغَضُوهُ وَاَضْمَرُوْا لَهُ السَّيْفَ وَالْحَسَدَ وَاِبْنُ عَمِّهِ حَتَّى بَعْدَ لَمْ يَمُتْ فَلَمَّا نَقَلَهُ اللهُ اِلَى جِوَارِهِ وَاَحَبُّ لَهٗ مَا عِنْدَهُ اَظْهَرَتْ لَهٗ رِجَالُ اَحْقَادِهَا وَشَفَّتْ اَضْغَانَهَا فَمِنْهُمْ مَنْ اَبْتَزَّ حَقَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ اَثْمَرَ بِهٖ لِيَقْتُلَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ شَتَّمَهُ وَقَذَفَهُ بِالْاَبْطَالِ فَاِنْ يَكُنْ لِذُرِّيَّتِهِ وَنَاصِرِيْ دَعْوَتِهِ دَوْلَةٌ تَنْشُرُ عِظَامَهُمْ وَتَحْفَرُ اَجْسَادَهُمْ وَالْاَبْدَانُ مِنْهُمْ يَوْمئِذٍ بِالِيَةِ بَعْدَانُ تَقْتُلُ الْاَحْيَاءَ مِنْهُمْ وَتَذَلُّ رِقَابَهُمْ فَيَكُوْنُ اللهُ عَزَّ اَسْمَهُ قَدْ عَذَّبَهُمْ بِاَيْدِيْنَا، وَاَخْرَاهُمْ وَنَصَرْنَا عَلَيْهِمْ وَشَفَا صُدُورَنَا مِنْهُمْ وَاللهُ مَا يَشْتُمُ عَلِيًّا اِلَّا كَافِرٌ سَيَّرَ بِشْتَمِ رَسُوْلِ اللهِ وَيَخَافُ اَنْ يَبُوْحَ بِهٖ فَيَكُنِّي بِشْتَمِ عَلِيٍّ ﷺ عَنْهُ اَمَا اَنَّهُ قَدْ تَخَطَّتِ الْمَنِيَّةُ مِنْكُمْ مِنْ اَمْتَدِّ عُمُرِهِ وَسَمِعَ قَوْلَ رَسُوْلِ اللهِ فِيهِ ﷺ لَا يَحْبُكَ اِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغُضُكَ اِلَّا مُنَافِقٌ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا اِيَّ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُوْنَ﴾ فعاد ابن

الزبير الى خطبته وقال عذرتُ بنى الفواطم يتكلمون فما بال ابن ام الحنفية فقال محمد يابن ام رؤمان و مالي لا اتكلم وهل فاتني من الفواطم الا واحدة ولم يفتني فخرها لانها ام اخوي، انا ابن فاطمة بنت عمران ابن عائذ ابن مخزوم جدّة رسول الله، وانا ابن فاطمة بنت اسد ابن هاشم كاملة رسول الله والقائمة مقام امه اما والله لولا خديجة بنت خويلد ما تركت في بنت اسد ابن عبد العزى عظماً الا هشمته ثم قام فانصرف.

و نقل الشارح المعتزلى عن شيخه ابى جعفر الاسكافى ان معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية اخبار قبيحة فى على تقتضى الطعن فيه والبرائة منه وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب فى مثله فأختلَعُوا ما أَرْضاه، منهم ابوهريرة وعمرو ابن العاص والمغيرة ابن شعبة ومن التابعين عروة ابن الزبير ثم قال الأسكافى على ما نقل عنه.

روى الزهرى عن عروة ابن الزبير حدّثه قال حدّثتنى عايشة قال كنت عند رسول الله ﷺ اذ أقبل العباس وعليّ فقال ﷺ يا عايشة ان هذين يموتان على غير ملتي او قال ديني.

و روى عبد الرزاق عن معمر قال كان عند الزهرى حديثان عن عروة عن عايشة فى على فسئلته عنها يوماً فقال ما تصنع بهما وبحدِيثهما الله أعلم بهما اتى لانهما فى بنى هاشم قال فاما الحديث الاول فقد ذكرناه.

واما الحديث الثانى فهو ان عروة زعم ان عايشة حدّثته قالت كنت عند النبى اذ أقبل العباس وعليّ فقال يا عايشة ان سرك ان تنظرى الى رجلين من اهل النار فانظرى الى هذين قد طلعا فنظرت فاذا العباس وعليّ ﷺ.

واما عمرو ابن العاص فروى فيه الحديث الذى أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحهما مسنداً متصلاً بعمرو ابن العاص قال سمعت رسول الله يقول ان آل ابيطالب ليسوا لى بأولياء انما وليى الله وصالح المؤمنين.

واما ابوهريرة فروى عنه الحديث الذى معناه ان علياً خطب ابنة ابى جهل

في حياة رسول الله فأسخطه فخطب على المنبر قال لاها الله لاتجتمع ابنته ولي الله وابنته عدو الله ابي جهل ان فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها فان كان علي يريد ابنته ابي جهل فليفارق ابنتي وليفعل ما يريد او كلاماً هذا معناه والحديث مشهور من رواية الكراييسي قال الشارح المعتزلي بعد نقله ما نقلناه ما هذا اللفظ:

قلت: هذا الحديث ايضاً مُخرج من صحيح مسلم والبخاري عن المُسَوَّر ابن مُخزّمة الزهري وقد ذكره المرتضى (ره) في كتابه المسمّى تنزيه الأنبياء والائمة وقال ان رواية حسين الكراييسي وانه مشهور بالانحراف عن اهل البيت وعداوتهم والمناصبه فلا تقبل روايته ولشيعاء هذا الخبر وانتشاره ذكره مروان ابن ابي حفصة في قصيدة يمدح بها الرشيد ويذكر فيها ولد فاطمة ويُنحى عنهم ويذمهم وقد بالغ حتى ذمّ علياً ونال منه واولها.

سلام على جملٍ وهيهات من جملٍ
ويا حبّذا جملٌ وان صرمت جمل
الى ان قال:

عليّ ابؤكم كان افضل منكم
اباه ذؤوا الشورى وكانو ذوالفضل
وكان رسول الله اذ ساء بنته
بخطبته بنت اللعين ابي جهل
قدّم رسول الله صهر ابيكم
على منبر بالنطق والصادع الفصل
وحكم فيها حاكمين ابؤكم
هما خلعاها خلع ذي النعل لئلا
وقد باعها من بعده الحسن ابنه

فقد ابطلا دعواكم الرثة الخبل

وخلّيتُموها وهي في غير اهلها

وطالبتُموها حين صارت الى اهل

ثم قال الشّارح المعتزلي وقد روى هذا الخبر على وجوه مُختلفة وفيه زيادات متفاوتة.

ثم ان الشّارح بعد نقله الرّواية واعترافه بانّها من المَجعُولات الموضوعات اجاب عنها مفضّلاً بانّها على فرض صحّتها لا توجب قدحاً ولا ذمّاً لأن ابنة ابي جهل كانت مُسلمة فانّ هذه القصة كانت بعد فتح مكة واسلام اهلها وقد اطال الكلام بما لا حاجة لنا في نقله ولا يليق بكتابتنا هذا تسويد اوراقه بذكر هذه الموهومات الموضوعات التي اتّفق العَقل والنقل على كذبها وانّها من استخراجات الشّيطان واوليائه قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ ومع ذلك نقول لنا قلى هذا الحديث وامثاله في كتبهم التي سمّوها بالضحاح ان ملاك الذّم في الحديث نفس خطبة بنت ابي جهل على ما ترونها فاي قدح فيه مع اتّفاقكم على جواز تزويج النساء الأربع لكل رجل مُسلم كما اعترف به الشّارح المعتزلي وقال لان الامه مُجمّعة على انه لو نكح ابنته ابي جهل مضافاً الى نكاح فاطمة عليها السلام لجاز لانه داخل تحت عموم الآية المُبيحة للنساء الأربع فابنته ابي جهل المشار اليها كانت مُسلمة لانّ هذا القصة كانت بعد فتح مكة.

وان كان ملاك الذّم فيه هو ايداء فاطمة وقوله عليها السلام ان فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها، على ما نقله الناقل في متن الحديث فنقول لكم ولهم هذا ايضاً لا يوجب الطعن والقدح بالنسبة اليه عليها السلام على ما ذهبتم اليه وأخترتموه، وذلك لانكم تروون في كتبكم ولا سيّما في صحاحكم احراق عُمر بيت فاطمة وايدائها وضربها وهي ماتت وما كانت راضية عن ابي بكر وعُمر وقد ذكرنا الأحاديث الواردة فيه عند بحثنا في الخطبة الشّقشقيّه حين تكلمنا على

مطاعن ابي بكر وعمر.

فيقال لكم أليس حرق بيت فاطمة وضربها وغصب حقها مما يؤجب ايداء النبي ﷺ فان قلتم نعم فنقول لِمَ لا يؤجب ايداء النبي في هذا المقام جواز الطعن على ابي بكر وعمر وأوجب جوازه في حقه ﷺ مع ان ايداء النبي ﷺ بخطبة بنت ابي جهل لو صحت فهو أسهل من ايداء عمر و ابي بكر آياه ﷺ بضرب أبيته و حرق بيتها بمراتب كثيرة فجواز الطعن على علي ﷺ في المقام دون جوازه عليها هناك تحكّم وزور وان كان الملاك لا هذا ولا ذاك بل هو اتباع الهوى ويغض آل النبي ﷺ فلا كلام لنا معكم كما هو كذلك.

أليس من العجائب ان البخارى والمسلم وغيرهما قد ذكروا في كتبهم الصحاح على زعمهم، هذه الأباطيل والموهومات التي قد أجمعت الأمة من العامة والخاصة على كذبها كما نقلنا عن الشارح المعتزلى وشيخه الأسكافي، ولم يذكروا في كتبهم ولا سيما هذين الكتابين اعنى كتاب المسلم والبخارى، من اهل البيت رواية يُعتدبها.

والحق في المقام انهم بذلوا الجهد فلم يقدروا على كشف ما أوجب فيه الذم والنقص فلا محالة تمسكوا بهذه الموضوعات وصيروها سبباً لقدحه وسببه مع علمهم بكذبها وكونها مَجعولة حُباً منهم للدنيا وبغضاً لأهل البيت الذين طهرهم الله عن الرجس وطهرهم تطهيراً نعم حُب الشيء يعمى ويصم فأصمهم الله وأعمى ابصارهم ومن يضلل الله فماله من هادو سيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ولنرجع الى البحث.

ومما نقله اهل السير ان الأعمش قال لما قدم ابو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء الى مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلعته مراراً وقال يا اهل العراق اتزعمون انى أكذب على رسول الله ما بين عيرالى ثورو فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين واشهد بالله ان علياً أحدث فيها، انتهى فلما بلغ

معاوية قوله اجازه وأكرمه وولاه امارة المدينة.

اقول: كفى في كذب الحديث انه لم يكن بالمدينة موضعاً يسمى بالثور لان ثورا بمكة وهو جبل يقال له ثور أطحل، وفيه الغار الذي دخله النبي ﷺ.

قال الشارح المعتزلي بعد نقله ما نقلناه ما هذا الفظه فاما قول ابي هريرة ان علياً أحدث في المدينة فحاش لله كان علياً أتقى لله من ذلك والله لقد نصر عثمان نصراً لو كان المحصور جعفر ابن ابيطالب لم يبذل له إلا مثله ثم قال: قال ابو جعفر - ابو هريرة مدخول عند شيوخنا (اقول مدخول بمعناه الواقعي كما هو مقتضى الظاهر منه) ثم قال ضرب به عمر بالدرة وقال قد اكثرت من الرواية وأضربك ان تكون كاذباً على رسول الله وقال وقد روى عن علي أنه قال الا ان اكذب الناس (او اكذب الأحياء) على رسول الله ابو هريرة الدوسي. نقل عن ابي حنيفة انه قال لما قدم ابو هريرة الكوفة مع معاوية كان يجلس بالعشيات بباب كندة ويجلس الناس اليه فجاء شاب من اهل الكوفة فجلس اليه وقال يا ابا هريرة أنشدك الله اسمعت من رسول الله ﷺ يقول لعلي ابن ابيطالب، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فقال اللهم نعم قال فأشهد بالله لقد واليت عدوه وعاديت وليه ثم قام عنه انتهى.

اقول: ومما يدل على جنونه انه كان يواكل الصبيان في الطريق ويلعب معهم وكان يخطب وهو امير المدينة من قبل معاوية فيقول الحمد لله الذي جعل الدين قياماً و ابا هريرة اماماً يضحك الناس بذلك.

وايضاً كان يمشى وهو امير المدينة في السوق فاذا انتهى الى رجل يمشى امامه ضرب برجليه الأرض ويقول الطريق الطريق قد جاء الأمير يعنى نفسه وقد ذكر ابن قتيبة هذا كله في كتاب المعارف.

وقال المغيرة ابن شعبة يوماً في مجلس معاوية ان علياً لم ينكحه رسول الله ابنته حباً ولكنه اراد ان يكافىء بذلك احسان ابيطالب اليه وقد إتفقوا على ان المغيرة من اعدائه وهو الذي لعنه ﷺ على منبر العراق مرات لا تحصى وروى

أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ وَدَفِنُوهُ أَقْبَلَ رَجُلٌ رَاكِبٌ ظَلِيمٌ فَوَقَّفَ قَرِيبًا مِنْهُ ثُمَّ قَالَ

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ مِنْ مُغِيرَةَ تَعْرِفُ

عَلَيْهَا زَوَالُ الْأَنْسِ وَالْجِنِّ تَعْرِفُ

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ لَاقَيْتَ فِرْعَوْنَ بَعْدَنَا

وَهَامَانَ فَاعْلَمْ أَنَّ ذَا الْعَرْشِ مَنْصُفٌ

وَمَمَّنْ كَانَ أَصْرًا عَلَى سَبِّهِ ﷺ وَلَعْنَهُ هُوَ مَرْوَانَ ابْنَ الْحَكَمِ نَدِيمَ مَعَاوِيَةَ وَهُوَ

أَيْضًا مَعْلُومُ الْحَالِ لِأَنَّهُ الطَّرِيدُ ابْنَ الطَّرِيدِ هُوَ وَابُوهُ كَانَا طَرِيدَيْنِ لِرَسُولِ اللَّهِ

ﷺ وَمَلْعُونَيْنِ عَلَى لِسَانِهِ مَجَاهِرًا بِالْأَلْحَادِ وَالْكَفْرِ وَالزُّنْدَقَةِ وَمَرْوَانَ هَذَا هُوَ

الَّذِي كَانَ أَمِيرًا عَلَى الْمَدِينَةِ مِنْ قِبَلِ يَزِيدِ ابْنِ مَعَاوِيَةَ فَخَطَبَ يَوْمَ وَصَلَ إِلَيْهِ

رَأْسَ الْحُسَيْنِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَدْ حَمَلَ الرَّأْسَ عَلَى يَدَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ:

يَا حَبَّذَ ابْرَدَكَ فِي الْيَدَيْنِ وَحُمْرَةَ تَجْرِي عَلَى الْخَدَيْنِ

كَأَنَّمَا بَتَّ بِمَسْجِدَيْنِ كَيْفَ رَأَيْتَ الضَّرْبَ يَا حُسَيْنَ

ثُمَّ رَمَى بِالرَّأْسِ نَحْوَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ يَوْمٌ بَدْرٍ وَقِيلَ إِنَّ

الْأَمِيرَ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْمَدِينَةِ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَلَمْ يَحْمَلِ الرَّأْسَ إِلَيْهِ

وَلَا إِلَى مَرْوَانَ وَأَنَّمَا كَتَبَ عُبَيْدُ اللَّهِ إِلَيْهِ يُبَشِّرُهُ بِقَتْلِهِ ﷺ فَأَوْمَأَ إِلَى الْقَبْرِ وَقَالَ مَا

قَالَ.

رَوَى الْوَأَقْدِيُّ أَنَّ مَعَاوِيَةَ لَمَّا عَادَ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ بَيْعَةِ الْحَسَنِ ﷺ

وَاجْتِمَاعِ النَّاسِ إِلَيْهِ خَطَبَ فِي الشَّامِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِي

إِنَّكَ سَتَلِي الْخِلَافَةَ مِنْ بَعْدِي فَاخْتَرِ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَإِنَّ فِيهَا الْأَبْدَالَ

فَاخْتَرْتُكُمْ فَالْعَنُوا أَبَا تَرَابٍ فَلَعَنُوهُ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ كَتَبَ كِتَابًا ثُمَّ جَمَعَهُمْ فَقَرَأَهُ

عَلَيْهِمْ وَفِيهِ هَذَا كِتَابُ كَتَبَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَعَاوِيَةَ صَاحِبِ وَحْيِ اللَّهِ الَّذِي بَعَثَ

مُحَمَّدًا نَبِيًّا وَكَانَ أَمِيًّا لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ فَاصْطَفَى لَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَزِيرًا كَاتِبًا أَمِينًا

فَكَانَ الرَّحَى يَنْزِلُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَنَا أَكْتُبُهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مَا أَكْتُبُ فَلَمْ يَكُنْ بَيْنِي

وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ فَقَالَ الْحَاضِرُونَ صَدَقْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

و روي أنه بذل لسمرة ابن جندب مائة الف درهم حتى يروي أن هذا الآية
 انزلت في عليٍّ ومن الناس من يُعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على
 ما في قلبه وهو ألد الخصام واذ تولي سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك
 الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإن الآية الثانية في ابن ملجم وهي قوله:
 ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ فلم يقبل فبذل له مائة الف
 درهم فلم يقبل فبذل له اربع مائة الف درهم فقبل.

ومُلخَّص المقال هو أنه لاشك لأحد من المؤرخين وارباب السير أن بنى
 أمية منعوا من اظهار فضائل عليٍّ عليه السلام وعاقبوا ذاك ذلك الراوى له حتى أن
 الرجل اذا روى عنه حديثاً لا يتعلّق بفضله بل بشرايع الدين لا يتجاسر على ذكر
 اسمه فيقول عن ابى زينب والأحاديث في الباب كثيرة قد مضى شرطاً منها في
 ما مضى وقد ذكرنا هناك أن سب معاوية له عليه السلام وأمره الناس بسبه عليه السلام لم يكن
 لأجل العداوة الموجودة بينه وبين عليٍّ المُنبعثة عن قتله عليه السلام يوم بدر اخاه
 وعمّه وغيرهما من الممتسبين اليه فقط كما ربّما يتوهم بل المقصد الأصلي
 في سبه عليه السلام كان وجود العداوة الموجودة بينه وبين الدين وحيث أنه لم يقدر
 على التظاهر بسب الرسول وانكار الأحكام الشرعية أقدم على سبه عليه السلام وأمر
 الناس به ايضاً فعلى عليه السلام كان يسب ويلعن لقربته مع الرسول وزوج البتول وابو
 السبطين الحسن والحسين وكفاك شاهداً عليه ما قاله ابن الحنفية في جواب
 ابن الزبير وقد نقلناه وحيث أنا قد تكلمنا في هذا الموضوع فيما مضى ففيما
 ذكرناه كفاية.

□ واما قوله عليه السلام: فَأَمَّا السَّبُّ فَسَبُّنِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَلَكُمْ نَجَاةٌ...

ففيه اشارة الى أن السب لا ينقص عن مقامى بل يوجب علو مقامى وترفع
 درجتى او اشارة الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان سب المؤمن زكوة له وزيادة في
 حسناته والمال واحد والوجه فيه هو أن الزكوة هي النماء والزيادة ومنه سميت

الصَّدَقَةُ المَخْصُوصَةُ زَكَاةٌ لِأَنَّهَا تُنْمَى المَالُ المُرْكَبِيُّ وَلَا شَكَّ أَنَّ سَبَّ الغَيْرِ
يوجب انتشار صيته وزيادة مقامه في الدُّنْيَا وانتشار الصِّيتِ زيادةً فيه
و عليه فقوله ﷺ: فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ، إشارة إلى أَنَّ سَبَّكُمْ لِي لَا يوجب انحطاط
منزلتى وتنقيص مقامى بل يوجب انتشار صيتى في العالم بحيث لا يبقى فى
الشَّرْقِ وَلَا فى العَرَبِ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَعْرِفُ مَقَامِى.

اقول: وهو كذلك لأننا نرى امير المؤمنين ﷺ مع أنه كان فى حياته مظلوماً
كما عرفت من لسانه ﷺ فى الخُطْبَةِ الشَّقْشَقِيَّةِ وغيرها ولا سيما فى خلافة
الخلفاء الثلاثة بل فى حكومته وبعد شهادته أيضاً كان كذلك لأن بنى أمية وبنى
المروان فى حكوماتهم أمرؤ الناس بسبِّه ولعنه على رؤوس الأشهاد والمنابر
ثم أنهم لم يقنعوا به بل شددوا الأمر على شيعته ومُحِبِّيه فقتلوههم وصلبوههم
حتى أنهم كانوا يسبُّونه فى الصَّلَوَاتِ اليَوْمِيَّةِ فى القُنُوتِ وأستمر هذا الأمر الى
آخر خلافة بنى المروان ولكنه لم ينقص من مقامه شيئاً بل زاد منه ولنعم ما قال
الخليل (قدَّه) حيث سئل عنه ﷺ، ما اقول فيمن أخفى فضائله من كان مُحِبًّا له
خوفاً من أعدائه واخفاها أعدائه خوفاً من انتشارها ومع ذلك قد ظهر منها ما
ملاء العالم وعرفه كلِّ برِّ وفاجرٍ وهذا عَجِيبٌ واما قوله وَلَكُمْ نَجَاةٌ، فالوجه فيه
معلوم لأنَّ سَبَّهُ ﷺ كان مَوْجِباً لنجاتهم من العذاب وهذا ممَّا لا اشكال فيه
بحسب الظاهر فإنَّ الملاك فى العداوة والمحبة هو الاعتقاد القلبي الذى كان
موجوداً فيهم على الفرض واللفظ لا يُعبأ به من حيث هو مع قطع النظر
عن كونه حاكياً لمعناه كاشفاً له قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اجْتِزَاءٌ عَظِيمٌ﴾
بِالإيمانِ وهذا هو السِّرُّ فى جعل التَّقِيَّةِ ومَشْرُوعِيَّتِهَا وقوله ﷺ التَّقِيَّةُ دِينِى
ودين آبائى وقوله ﷺ من لا تقية له لا دين له، فإن معناها هو الأنكار اللفظى دون
الأنكار القلبي وهو ممَّا لا اشكال فيه عقلاً وشرعاً.

روى أَنَّ المَغِيرَةَ ابن شُعْبَةَ لعنه الله كان والياً على الكوفة من قِبَل معاوية

ومأموراً باجراء سبِّه ﷺ فيها فدعا يوماً من الأيام حُجر ابن عدى وهو من خيار شيعة وامره بلعنه ﷺ على المنبر ثم وَعَدَّه وَهَدَّدَهُ عَلَيْهِ فَصَعَدَ الْمُنْبَرُ وَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَمِيرَكُمْ هَذَا قَدْ أَمَرَنِي بِسَبِّ عَلِيٍّ وَلَعْنَهُ فَالْعَنُوهُ لَعْنَةَ اللَّهِ فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ، وَاَرَادَ بِمَرْجِعِ الضَّمِيرِ الْمَغْيِرَةَ فَبِذَلِكَ نَجَى عَنِ الْقَتْلِ وَنظائره كثيرة.

قوله ﷺ: **وَأَمَّا الْبِرَاءَةُ فَلَا تَتَّبَرُّوْا مِنِّي فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ، ...**

يقال تَبَرَّأَ مِنَ الذَّنْبِ أَيْ تَخَلَّصَ مِنْهُ وَعَلَيْهِ فَالْمَعْنَى أَنْكُمْ لَا تَتَّبَرُّوْا مِنِّي أَيْ لَا تَرْفَعُوا الْيَدَ عَنْ مُحَبَّتِي وَوَلَاتِي أَوْ لَا تَتَخَلَّصُوا مِنْ وَوَلَاتِي وَاسْتَدَلَّ ﷺ عَلَى عَدَمِ جَوَازِهِ بِأَمْرَيْنِ:

أحدهما قوله ﷺ: **فَأِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ...**

وثانيهما قوله: **وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ،** فالبحث يقع من جهات...

أحدها: في معنى التَّبرى والمراد به وثانيها - وثالثها: في قوله فَأِنِّي الْخِ وَرَابِعها: في الفرق بين التَّبرى والسَّبِّ والفرق بين سبق الأيمان وسبق الهجرة وما يتعلَّق بهما.

أما البحث في الجَهَّةِ الْأُولَى - فقد علمت أنَّ التَّبرى في اللُّغَةِ هُوَ التَّخَلُّصُ وَأَمَّا فِي الْأَصْطِلَاحِ فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ التَّخَلُّصِ عَنِ الْوَلَايَةِ لِأَغْيَرِ كَمَا أَنَّ التَّوَلَّى فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى مَطْلُوقِ التَّمَسُّكِ وَالْمَحَبَّةِ وَالتَّشَبُّثِ وَأَمْثَالِهَا وَفِي الْأَصْطِلَاحِ عِبَارَةٌ عَنِ التَّمَسُّكِ بِصَاحِبِ الْوَلَايَةِ الْمُطْلَقَةِ أَعْنَى عَلِيًّا وَأَوْلَادِهِ الْمَعْصُومِينَ وَلِذَلِكَ عُدَّ مِنْ أَسْوَاقِ مَذْهَبِنَا وَلَا شَكَّ عِنْدَنَا فِي وَجُوبِهَا أَعْنَى التَّبرى وَالتَّوَلَّى فَالتَّبرى بِالنَّسْبَةِ إِلَى أَعْدَائِهِ وَمُخَالَفِيهِ وَالتَّوَلَّى بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْأَيْمَّةِ الْمَعْصُومِينَ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَعَلَيْهِ فَمَنْ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﷺ فَهُوَ كَافِرٌ مُلْجِدٌ خَارِجٌ عَنِ زُمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ بَلِ الْمُسْلِمِينَ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ النُّقْلُ وَالْعَقْلُ:

فمن النُّقْلِ: ما رواه في البحار بإسناده عن ابن عباس أنه مرَّ بمجلسٍ من

مجالس قريش وهم يسبون علي بن ابيطالب فقال لقائده ما يقول هؤلاء قال
يسبون علياً، قال قريبي اليهم فلما ان وقف عليهم قال ايكم الساب لله قالوا
سبحان الله ومن يسب الله فقد اشرك بالله قال فايكم الساب لرسول الله قالوا
ومن يسب رسول الله فقد كفر قال فايكم الساب علي بن ابيطالب قالوا قد كان
ذلك قال فاشهد بالله واشهد الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول من سب
علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله تعالى ثم فقال لقائده فهل قالوا شيئاً
حين قلت لهم ما قلت قال ما قالوا شيئاً قال كيف رأيت وجوههم قال

نظروا اليك بأعين مخمرة نظر اليووس الى شفار الجازر
قال زدني فداك ابوك قال

حُرز الحواجب ناكسوا اذ فاتهم نظر

الذليل الى العزيز القاهر

قال زدني فداك ابوك، قال ما عندي غير هذا، قال لكن عندي.

احيائهم خزي على امواتهم والميتون فصيحة للغابر
انتهى «ص ٤١٦ ج ٩ ط كمپاني»...

وقد رواه الطبري في الولاية والعكبري في الأبانة عن ابن عباس وعن
كتاب كفاية الطالب مثله...

ومنها - مارواه باسناده عن ابي عبدالله الجدلي قال دخلت على ام سلمة
زوج النبي فقالت ايسب رسول الله فيكم فقلت معاذ الله فقالت سمعت رسول
الله ﷺ يقول من سب علياً فقد سبني انتهى «ص ٤١٦»...

ومنها - مارواه باسناده عن زر ابن جيش قال كان عصابة من قريش في
مسجد النبي ﷺ فذكروا علي بن ابيطالب وانتهكوا منه ورسول الله قائل في
بيت بعض نسائه فاتي بقولهم فتار من ثومه في ازار ليس عليه غيره فقصد
نحوهم وزاؤو الغضب في وجهه فقالوا نعود بالله من غضب الله وغضب
رسوله فقال رسول الله مالكم ولعلي ألا تدعون علياً إلا إن علياً مني وأنا منه

مَنْ أَدَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي مِنْ أَدَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي أَنْتَهَى «ص ٤١٦»...

ومنها - مارواه باسناده عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال قال النبي من سبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي وَمَنْ سَبَّنِي فَقَدْ سَبَّ اللَّهَ أَنْتَهَى «ص ٤١٧»...

ومنها - ما نقل عن تفسير القشيري أنه قال نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنْتَلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ قال اى تَهْجُرُونَ مِنَ الْهَيْدِيَانِ فِي مَلَأَ مِنْ قَرِيْشٍ سَبُّوا عَلِيَّ ابْنَ أَبِيطَالِبٍ وَسَبُّوا النَّبِيَّ وَقَالَ فِي الْمُسْلِمِينَ هَجْرًا أَنْتَهَى «ص ٤١٧»...

ومنها - مارواه عن الحلبة عن كعب ابن عجرة عن ابيه قال النبي صلى الله عليه وآله لَا تُسَبُّوْا عَلِيًّا فَانَّهُ مَمْسُوسٌ فِي ذَاتِ اللَّهِ أَنْتَهَى «ص ٤١٧»...

ومنها - ما عن مسند الموصلي قالت ام سلمة ائسب رسول الله وانتم احياء قلت وانى ذلك قالت اليس يسب علي ومن يحب خالط حبه تعالى لحمه ودمه انتهى «ص ٤١٧». ومن يحب علياً وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبه.

ومنها - مارواه باسناده عن ابي صادق قال سمعت امير المؤمنين عليه السلام يقول ديني دين رسول الله وحسبي حسب رسول الله فمن تناول ديني وحسبي فقد تناول دين رسول الله وحسبه انتهى «ص ٤١٧»...

ومنها - مارواه باسناده عن صالح ابن كيسان قال سمع عامر ابن عبد الله ابن الزبير وكان من عقلاء قريش ابناً له ينتقص علي ابن ابيطالب فقال له يا بُنَيَّ لَا تَنْتَقِصْ عَلِيًّا فَإِنَّ الدِّينَ لَمْ يَبْنَ شَيْئاً فَاسْتَطَاعَتِ الدُّنْيَا أَنْ تَهْدِمَهُ وَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَبْنَ شَيْئاً إِلَّا هَدَمَهُ الدِّينَ يَا بُنَيَّ إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَهَجُّوا بِسَبِّ عَلِيِّ ابْنِ أَبِيطَالِبٍ فِي مَجَالِسِهِمْ وَلَعَنُوهُ عَلَى مَنَابِرِهِمْ فَكَانُوا يَأْخُذُونَ وَاللَّهِ بِضُبْعِهِ إِلَى السَّمَاءِ مَدًّا وَإِنَّهُمْ لَهَجُّوا بِتَقْرِيبِ ذَوَاهُمْ وَأَوَائِلِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ فَكَانُوا يَكْشِفُونَ مِنْهُمْ عَنِ انْتِنَ مِنْ بَطُونِ الْحَيْفِ فَانْهَكَ عَنْ سَبِّهِ أَنْتَهَى «ص ٤١٧»...

ومنها - مارواه باسناده عن شمر ابن عطية قال كان ابي ينال من علي ابن

ابيطالب فأبى في المنام ف قيل له انت الساب علياً فحَنَقَ حَتَّى أَحَدَثَ (اجدث) في فراشه ثلاثاً يعنى صنع به ذلك في المنام ثلاث ليال انتهى «ص ٤١٧»...
واما مارواه في عدم جواز التبري منه ﷺ فنذكر منه ايضاً روايات:

منها - مارواه باسناده عن كثير ابن الصلت قال جمع زياد ابن مرجانة الناس برُحبة الكوفة ليعرضهم على البرائة من علي امير المؤمنين ﷺ علي ابن ابيطالب والناس في ذلك في كربٍ عظيمٍ فأغضيتُ فاذاً انا بشخصٍ قد سدَّ ما بين السماء والارض فقلتُ له من أنت فقال انا النقاد ذو الرقبة أرسلتُ الى صاحب القصر فأنتبهتُ مذعوراً واذ اغلام لزياد قد خرج الى الناس فقال انصرفوا فان الأمير عنكم مشغولٌ وسَمِعنا الصياح من داخل القصر فقلت في ذلك

ما كان مُنتهياً عما اراد بنا

حتى تناوله النقاد ذو الرقبة

فاسقط الشق منه ضربه ثبتت

كما تناول ظلماً صاحب الرجيد.

ومنها - مارواه باسناده عن جعفر ابن محمد ﷺ عن ابيه عن جدّه قال قال امير المؤمنين (عليّ) ﷺ سَتُدْعَوْنَ الى سَبِّي فُسُبُونِي وتُدْعَوْنَ الى البرائة مِنِّي فمَدُّوا الرقابِ فأتى على الفِطْرَةَ، انتهى «ص ٤١٧»...

ومنها - مارواه باسناده عن الرضا عن آباءه ﷺ عن علي بن ابيطالب انه قال ألا انكم ستعرضون على سبِّي فان خفتُم على أنفسكم فسُبُونِي ألا وانكم ستعرضون على البرائة مِنِّي فلا تفعلوا فأتى على الفِطْرَةَ انتهى «ص ٤١٧»...
ومنها - مارواه باسناد التميمي عن الرضا عن آباءه عن علي قال انكم ستعرضون على البرائة مِنِّي فلا تبرؤء مِنِّي فأتى علي دين محمد، انتهى «ص ٤١٧»...

ومنها - مارواه ايضاً باسناده عن امير المؤمنين قال ﷺ انكم ستعرضون

من بَعْدِي عَلَى سَبِيِّ قَسُبُونِي فإِنْ عُرِضَ عَلَيْكُمْ بَرَاءَةٌ مِنِّي فَلَا تَبْرَأُوا مِنِّي
فإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الأَسْلَامِ فَمَنْ عَرَضَ عَلَيْهِ البراءةَ فَلْيَمْدُدْ عُنُقَهُ فَمَنْ تَبْرَأَ مِنِّي
فلا دنيا له ولا آخرة وكان الأمر في ذلك كما قال، انتهى «ص ٤١٧»...

ومنها - مارواه عن سفيان ابن عيينه عن طاوس اليماني أنه قال لحجر
البدري يا حُجْر كيف بك إذا وَقَفْتَ على منبر صَنَعَا وَأَمَرْتَ بِسَبِيِّ والبراءة
مِنِّي قال فقلت أعوذ بالله من ذلك قال والله أنه كائن فإذا كان كذلك فَسُبْنِي ولا
تَتَبَرَّءَ مِنِّي فإنه من تَبَرَّءَ مِنِّي في الدنْيَا تَبَرَّءْتُ منه في الآخرة قال طاوس
فأخذه الحجاج على ان يَسُبَّ علياً فَصَعَدَ المِنْبَرَ وقال ايها الناس ان أميركم
هذا أمرني ان ألعن علياً فالعنوه لعنه الله، انتهى «ص ٤١٨»...

والروايات كثيرة مذكورة في البحار وغيرها ولنعم ما قال الشاعر بعد موت
زياد حين حمل الناس وجمعهم في مسجد الرُّحْبَةِ لسبِّ عليٍّ والبراءة منه
فجاء النقاد ذو الرقبة اعنى طاعون فقتله وقد ذكرنا حديثه آنفاً، قال:

قد جِئْتُمُ النَّاسَ أَمْرًا ضاقَ ذَرْعُهُمُ

بِحَمْلِهِمْ حِينَ آذَاهُمْ إِلَى الرُّحْبَةِ

يَدْعُو عَلَى ناصِرِ الأَسْلَامِ دامَ لَهُ

لَهُ عَلَى المُشْرِكِينَ الطُّولَ وَالْعَلْبَةَ

مَا كَانَ مُنْتَهِيًا عَمَّا ارادَ بِهِ

حَتَّى تَغاولَهُ النُّقَادُ ذُو الرِّقْبَةِ

فاسقط الشق منه ضربة عجباً

كما تناول ظلماً صاحب الرُّحْبَةِ

فقد ظهر من هذه الاخبار وغيرها ممّا لم نذكره مخافة الأطناب ان التبري
منه عليه السلام لا يجوز بنحو من الأنحاء وقد قلنا ان التبري معناه قطع الولاية والأمامة
بعد النبي وانه لم يكن اماماً مفترض الطاعة.

واما البحث في الجهة الثانية وهي قوله عليه السلام: فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الفِطْرَةِ:

هذا هو الاستدلال الاول على عدم جواز التّرى عنه فكأنه ﷺ قال لا يجوز ذلك لائى مولود على الفطرة.

اقول: اختلفوا فى هذا الاستدلال فقال الشّارح المعتزلى فى شرحه له ما هذا لفظه:

المسئلة الخامسة - ان يقال كيف علل نهيهِ ﷺ لهم على البرائة منه بقوله ﷺ: فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَإِنَّ هَذَا التَّعْلِيلَ لَا يَخْتَصُّ بِهِ لَأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَأَمَّا ابْوَاهُ يَهُودَانِهِ وَيَنْصَرَانِهِ، وَالْجَوَابُ أَنَّهُ عَلَّلَ نَهْيَهُ لَهُمْ عَنِ الْبِرَائَةِ بِمَجْمُوعِ أُمُورٍ عَلَّلَ وَهِيَ كَوْنُهُ وُلِدَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَكَوْنُهُ سَبَقَ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهَجْرَةِ وَلَمْ يَعْلَلْ بِأَحَادٍ هَذَا الْمَجْمُوعِ وَمُرَادُهُ هِيَهْنَا بِالْوِلَادَةِ عَلَى الْفِطْرَةِ أَنَّهُ لَمْ يُوَلَّدَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لِأَنَّهُ وَلِدَ لِثَلَاثِينَ عَامًا مَضَتْ مِنْ عَامِ الْفِيلِ وَالنَّبِيُّ أُرْسِلَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً مَضَتْ مِنْ عَامِ الْفِيلِ وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ أَنَّهُ مَكَثَ قَبْلَ الرِّسَالَةِ سِتِينَ عَشْرًا يَسْمَعُ الصَّوْتِ وَيَرَى الضُّوءَ وَلَا يَخَاطِبُهُ أَحَدٌ وَكَانَ كَذَلِكَ أَرِهَاصًا لِرِسَالَتِهِ فَحَكَمَ تِلْكَ السَّنِينَ الْعَشْرَ حَكَمَ أَيَّامَ رِسَالَتِهِ فَالْمَوْلُودُ فِيهَا إِذَا كَانَ فِي حَجْرِهِ وَهُوَ الْمَتَوَلَّى لِتَرْبِيَّتِهِ مَوْلُودٌ فِي أَيَّامِ كَأَيَّامِ النَّبُوَّةِ وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ مَحْضَةٍ فَفَارَقَتْ حَالَهُ مِنْ يَدَعَى لَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ مِمَّا تَلَّتْهُ فِي الْفَضْلِ وَقَدْ رَوَى أَنَّ السَّنَةَ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا عَلِيُّ ﷺ هِيَ السَّنَةُ الَّتِي بَدَأَ فِيهَا بِرَسُولِ اللَّهِ فَاسْمَعِ الْهَتَافَ مِنَ الْأَحْجَارِ وَالْأَشْجَارِ وَمِنَ السَّمَاءِ وَكَشَفَ عَنْ بَصَرِهِ فَشَاهَدَ أَشْخَاصًا وَأَنْوَارًا لَمْ يَخَاطَبِ فِيهَا بِشَيْءٍ وَهَذِهِ السَّنَةُ هِيَ السَّنَةُ الَّتِي ابْتَدَأَ فِيهَا بِالتَّبْتُلِ وَالْأَنْقِطَاعِ وَالْعِزْلَةِ فِي جَبَلِ حَرَاءَ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى كَوُشِفَ بِالرِّسَالَةِ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَتِيمًا بِتِلْكَ السَّنَةِ وَلِوِلَادَةِ عَلِيٍّ فِيهَا وَيَسْمِيهَا سَنَةَ الْخَيْرِ وَسَنَةَ الْبَرَكَاتِ وَقَالَ لِأَهْلِهِ لَيْلَةَ وِلَادَتِهِ وَفِيهَا شَاهَدَ مَا شَاهَدَ مِنَ الْكِرَامَاتِ وَالْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهَا شَاهِدًا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، لَقَدْ وُلِدَ لَنَا اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْنَا بِهِ أَبْوَابًا كَثِيرَةً مِنَ النِّعْمَةِ وَالرَّحْمَةِ وَكَانَ كَمَا قَالَ ﷺ فَإِنَّهُ كَانَ نَاصِرَهُ

والمُحامي عنه وكاشف الغماء عن وَجْهه وبسيفه ثبت دين الإسلام وأرست دعائمه وتمهدت قواعده عليه السلام ثم قال:

وفى المسئلة تفسير آخر وهو ان يُعنى بقوله عليه السلام: فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ اى على الفطرة التى لم يَتَغَيَّرْ ولم تحلّ وذلك ان معنى قول النبى كل مولود يولد على الفطرة ان كل مولود فان الله تعالى قد هيأه بالعقل الذى خلقه فيه وبصحة الحواس والمشاعر لأن يعلم التوحيد والعدل ولم يجعل فيه مانعاً يمنعه عن ذلك ولكن التربية والعقيدة فى الوالدين والالف لاعتقادهما وحسن الظن فيهما يصدّه عما فطر عليه وامير المؤمنين عليه السلام دون غيره فانه ولد على الفطرة التى لم تحل ولم يصدّ عن مقتضاها مانع لامن جانب الأبوين ولا من جهة غيرهما، وغيره ولد على الفطرة ولكنه خال عن مقتضاها وزال من موجبها ثم قال:

ويمكن ان يفسر بانه اراد بالفطرة العيصمة وانه منذ ولد لم يواقع قبيحاً ولا كان كافراً طرفه عين قط ولا مُحِطّاً ولا غالطاً فى شىء من الأشياء المتعلقة بالدين وهذا تفسير الامامية انتهى كلامه.

واما الشارح البحرانى (قدّه) فقال فى شرح الجملة اراد بالفطرة فطرة الله التى فطر الناس عليها وهى بعثهم الى عام الأجسام مأخوذا عليهم ميثاق العبودية والاستقامة على سنن العدل فى سلوك صراط المستقيم انتهى موضع الحاجة منه.

واما الشارح الخوئى فلم يأت فيه بشىء اصلاً الا انه قال فى شرح كلامه عليه السلام اى على فطرة الإسلام التى فطر الناس عليها انتهى. وانت خبير بانه مأخوذ عن البحرانى وعلى اى التقادير فهذه الأقوال المنقولة هى التى ذكرها فى شرح كلامه عليه السلام وقد نقلناها عن شروحهم بالفاظها وانت تعلم ان ما ذكره لا يحسم مادة الأشكال بل لا يسمن ولا يُغنى وذلك لكون الأشكال او الأشكالات على حاله او حالها باقية فان اصل الاشكال هو ان لازم قوله عليه السلام: فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى

الفِطْرَةَ، عدم جواز التَّبْرِي عن كُلِّ ما وُلِدَ على الفِطْرَةَ الأَسْلامِيَّة وهو كما ترى
 وائِما قلنا ذلك لِأَنَّ كَلامَهُ ﷺ يَرجع الى أَنَّ عَدم جَواز التَّبْرِي مِنْهُ مُعَلَّل بِكَوْنِهِ
 ﷺ مَولوداً على الفِطْرَةَ وهذا التَّعليل يَقتضى عَدم جَوازه بِالنَّسْبَةِ الى كُلِّ مَنْ
 كان كَذلك فَشَكل القِياس فِيهِ هَكذا اِنِّي مَولودٌ على الفِطْرَةَ وكُلُّ مَولودٍ على
 الفِطْرَةَ لا يَجوز التَّبْرِي مِنْهُ فلا يَجوز التَّبْرِي مِنْهُ وَالاشْكال فِي الكُبرى اذ لم
 تُثبت كَليَّة الكُبرى.

فان قلت - لاشكال عندنا في كلية الكبرى بمعنى ان نقول لا يجوز التَّبْرِي
 عن كُلِّ مَولودٍ على الفِطْرَةَ الأَسْلامِيَّة.

قلت - اثباته مشكل بل محالٌ للزومه عدم جواز التَّبْرِي عن كُلِّ مَنْ وُلِدَ على
 الأَسْلام كائناً مَنْ كان مع انه تُبْت وَتَحَقَّق لَزوم التَّبْرِي عن الظالم وعن كُلِّ مَنْ
 أَعْرَضَ عن اهل البيت وَتَمَسَّكَ بِغَيرِهِمْ ضَرورة اِنَّ كَثيراً مِنْ اعداء آل مُحَمَّد
 الَّذِينَ يَجِبُ التَّبْرِي مِنْهُمْ كانوا مَولودين على فِطْرَةَ الأَسْلام وهو ظاهراً
 فالاشكال على حاله واما ذهب اليه الشارح المَعْتزلي مِنَ المَعانِي الثَلَاثَةِ فلا
 يَمْكن الذَّهاب اليه إِلاَّ على القَول بِجَواز التَّصَرُّف فِي اللفظ وَصَرف مَعناه عَمَّا
 هو اليه ولم يثبت كَون الفِطْرَةَ بِمَعْنَى العِصْمَةِ ولا بِمَعْنَى الثُّبوتِ وَالبَقَاءِ على
 حالَةٍ واحِدَةٍ لِاحْقيقَةٍ وهو ظاهراً ولا مَجازاً لَعَدَم وجود القَريِنَةِ المَصْحُوحَةِ له
 وَعَدَم المُناسِبَةِ وَالعِلاقَةِ بَين المَعْنِيَيْنِ وَأَيَّةِ مُناسِبَةٍ بَين مَعْنَى الفِطْرَةَ وَالعِصْمَةَ
 عن الخِطَاءِ وهو ظاهراً او بَينَهُ وَبَينَ الثُّبوتِ على الحَالَةِ الأَوَّلِيَّة.

وَيَمْكن التَّفْصِي عن هَذَا الاشْكال بِما حَاصِلُهُ اَنَّ غَرضَهُ ﷺ مِنْ هَذَا الكَلامِ
 اعْنَى قَولِهِ ﷺ: **فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الفِطْرَةَ**، هُوَ اثبات كَونه ﷺ مَفْطوراً على
 الفِطْرَةَ اى مَخْلوقاً عَلَيْهِ سِواءَ كان المَرادُ بِها الدِّينِ كما قال اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا
خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

او الأَعْتقاد الصَّحيح مِنَ التَّوْحِيدِ وَالعَدْلِ كما قال اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَسْئَلْكُمْ

قَالُوا بَلَىٰ ﴿ فعلى الأول يكون المعنى ائى ولدت على الدين، وعلى الثانى -
 وُلدت على الاعتقاد بتوحيده وعدله ولاشك ان الفطرة بهذين المعنيين
 لا يختص بشخص معين بل كثير من الناس لولا كلهم يكونون مخلوقين
 مفطورين عليها لقوله ﷺ كل مولود يولد على الفطرة.

وقال بعض المحققين ان الظاهر من الآيات والاحبار ان الله تعالى قرّر
 عقول الخلق على التوحيد والأقرار بالصانع فى بدء الخلق عند الميثاق فقلوب
 جميع الخلق مُدعنة به وان جحدوه معاندة بناءً على ما تحقّق ان معرفته تعالى
 فِطْرِيَّة فُطِرَ قُلُوبُ الْخَلْقِ عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَ (قَدَهُ):

وروى الصدوق فى التوحيد باسناده عن زرارة عن ابى جعفر عليه السلام قال سألته
 عن قول الله عزّ وجلّ حُنْفَاءُ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ، وَعَنِ الْحَنْفِيَّةِ قَالَ هِيَ الْفِطْرَةُ
 الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لِاتَّبَاعِ اللَّهِ قَالَ ﷺ فَطَرَهُمْ عَلَى الْمَعْرِفَةِ، قَالَ
 زُرَّارَةُ وَسَأَلْتَهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ
 ذُرِّيَّتَهُمْ وَأُشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ قَالَ ﷺ أَخْرَجَ مِنْ ظَهْرِ
 آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَخَرَجُوا كَالذَّرِّ فَعَرَفَهُمْ، وَارَاهُمْ صُنْعَهُ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ
 يَعْرِفْ أَحَدٌ رَبَّهُ وَقَالَ ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، يَعْنِي
 عَلَى الْمَعْرِفَةِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَالِقُهُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَيْئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ثُمَّ ذَكَرَ (قَدَهُ) عَدَّهُ رَوَايَاتِ الدَّالَّةِ صَرِيحَةً
 عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْفِطْرَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ هُوَ
 التَّوْحِيدَ وَالْمَعْرِفَةَ انْتَهَى.

فظهر ممّا ذكرناه ونقلناه ان المراد بالفطرة فى الآية وهكذا فى قوله ﷺ انما
 هو التوحيد والمعرفة به تعالى وهذا ممّا لا كلام فيه، انما الاشكال فى هذه
 المعرفة الفطرية التى كانت مكنونة مؤدعة فى جيلة الناس وبعبارة اخرى:

يكون الناس مَجْبُوعِينَ مخلوقين عليها، هل هي تُوجب عدم جواز التبري من صاحبه ام لا تُوجب وحيث أنك قد علمت عدم وجوبها له فلا محالة هي مع قطع النظر عن غيرها لا تصلح للاستدلال بها على جواز التبري وعدم جوازه بل لا بد من ضمّ شيءٍ او اشياءٍ آخر اليه حتى يثبت به الموضوع وان شئت قلت هو عامٌ لجميع الناس فيحتاج الى قيود تخصّصه وتعيّنه بفردٍ مُعيّنٍ فحيث انّا عَلِمْنَا انّ مجرد كون الانسان مَوْلُوداً على الفطرة لا يوجب عدم جواز التبري منه فنعلم بالبداهة انّ الاستدلال منه ﷺ بهذا الكلام على عدم جواز التبري منه لا يكون على اطلاقه بل يتوقّف عليه اذا كانت له ضميمة اخرى او ضمانم حتى لا يشمل جميع احاد الناس ولاجل هذه الدقّيقة فيده ﷺ بقيدتين آخرين: احدهما - سبق الايمان وثانيهما - سبق الهجرة فقال وسبقت الى الايمان والهجرة، فانّ هذين القيدتين لم يلحقا كلّ مولود في عالم الاسلام وانما هما مختصّان به ﷺ وعليه فيصير المعنى لا يجوز التبري عنى لائى ولدت على الفطرة اى على فطرة التوحيد التى سبقت الى الايمان، والهجرة ومعلوم انّ الفطرة المقيّدة بهذين القيدتين فى الخارج لم توجد لأحدٍ من افراد الأمة الاياه ولم تثبت لشخصٍ من افراد الأمة الا له ﷺ وهذا هو الذى يمتاز ﷺ به عن غيره من المسلمين فصورة القياس تصير هكذا - انى ولدت على الفطرة المقيّدة بهذين القيدتين فى الخارج، وكلّ من كان كذلك لا يجوز التبري عنه، فلا يجوز التبري منى، فالقياس صار بلاشكال من جهة الصغرى والكبرى والنتيجة.

ان قلت - ما الفرق بين كون الشخص مولوداً على الفطرة المطلقة وكونه مَوْلُوداً على الفطرة المقيّدة بالقيدتين المذكورين حتى يصح الاستدلال بعدم جواز التبري على المقيّدة دون المطلقة.

قلت - الفرق بين - لانّ كون الشخص مولوداً على الفطرة لا يختص بانسانٍ دون انسانٍ بل هو يشمل الجميع فكونه دليلاً على عدم جواز التبري وعدم

كونه دليلاً بالنسبة الى آخر تحكّم.

وبعبارة اخرى: انا نعلم انّ التّبرى من اعداء الله واعداء رسوله جائز بل واجب على مذهب الشيعة ولا يجوز التّبرى بالنسبة الى غيرهم من المؤمنين والصلحاء ويحرم بالنسبة الى الأوصياء حتى في موارد القتل مع انّ المفروض كونهم جميعاً مولودين على الفطرة الإسلاميّة وليس هذا الا من جهة الأطلاق والتقييد.

اذا عرفت هذا فاعلم انّ امير المؤمنين عليه السلام استدلّ على عدم جواز التّبرى منه بكونه عليه السلام مَفْطُوراً على الفِطْرَةِ المَقْيَدَةِ بسبق الأيمان والهجرة لا على الفطرة بما هي حتى يشمل الحكم غيره وحيث انّ في الاسلام لم يثبت هذا الحكم اعنى التقييد لغيره عليه السلام بعد النّبي كائناً من كان فالحكم مختصّ به وهو المطلوب ولكنّا نحتاج الى اثبات ذلك فنقول:

امّا كونه سابقاً الى الأيمان فلأنه أوّل من آمن بالرسول صلى الله عليه وآله من الرّجال كما انّ خديجة كانت أوّل من آمن به من النساء وهذا ممّا لاخلاف فيه بين العقلاء من المسلمين الا شردمة قليلة من المتعصّبين الذين لا ينبغي التكلّم معهم في هذا المضمار ومع ذلك نشير الى بعض الاقوال فيه ليّتضح المقال والحال ونحن نذكر أوّلاً ما قاله الشّارح المعتزلى في شرح العبارة فانّ ما ذكره لكونه من اعيان العامّة حُجّة على الخصم ثمّ نردّفه بذكر بعض ماورد فيه من العامّة والخاصّة.

قال الشّارح: المسئلة السادسة ان يقال كيف قال عليه السلام وسبقت الى الأيمان وقد قال كثير من الناس انّ أوّل من آمن به صلى الله عليه وآله هو ابوبكر (انّ ابابكر سبق) وقال قوم انّ زيد ابن حارثة سبقه قال:

والجواب انّ اكثر اهل الحديث واكثر المحقّقين من اهل السيرة رووا انه عليه السلام أوّل من أسلم ونحن نذكر كلام ابى عمر ويوسف ابن عبد البرّ المحدث في كتاب الأستيعاب قال ابو عمرو في ترجمة عليّ المروى عن سلمان وابى ذر

والمقداد وحباب وابي سعيد الخدرى وزيداً بن أسلم ان علياً اول من أسلم
 وفضله هؤلاء على غيره قال ابو عمرو قال ابن اسحاق اول من آمن بالله
 وبمحمد ﷺ رسول الله على ابن ابيطالب وهو قول شهاب الا انه قال من
 الرجال بعد خديجة قال ابو عمرو حدثنا احمد ابن محمد: قال حدثنا احمد
 ابن الفضل قال حدثنا محمد ابن جرير قال حدثنا على ابن عبدالله الدهقان قال
 حدثنا محمد ابن صالح عن سماك ابن حرب عن عكرمة عن ابن عباس انه
 قال:

لعلى ﷺ اربع خصال ليست لأحدٍ غيره، هو اول عرَبِيٍّ وَعَجَمِيٍّ صَلَّى مع
 رسول الله ﷺ وهو الذى كان معه لوائه فى كلِّ زحفٍ، وهو الذى صبرَ معه يوم
 فرَّ عنه غيره، وهو الذى غسَّله وأدخَّله فى قبره.

قال ابو عمرو وروى سلمان الفارسى انه قال اول هذه الامة وروداً على
 الحوض اولها اسلاماً على ابن ابيطالب قال ابو عمرو فاما اسناده المرفوع فان
 احمد ابن قاسم حدثنا عن قاسم ابن اصبع قال حدثنا الحارث ابن ابى اسامة
 قال حدثنى يحيى ابن هاشم قال حدثنا سفيان الثورى عن سلمة ابن كهيل عن
 ابى صادق عن خنث بن المعتمر عن حكيم الكندى، عن سلمان الفارسى قال
 رسول الله اؤلكم واولاً على الحوض اؤلكم اسلاماً على ابن ابيطالب. قال ابو
 عمرو يروى ابو داود الطيالسى قال حدثنا ابو عوانة عن ابى بلج عن عمرو ابن
 ميمون عن ابن عباس انه قال اول من صلى مع النبى بعد خديجة على ابن
 ابيطالب.

قال ابو عمرو حدثنا عبد الوراق ابن سفيان قال حدثنا قاسم ابن اصبع قال
 حدثنا احمد ابن زهير ابن حرب قال حدثنا الحسن ابن جماد قال حدثنا ابو
 عوانة عن ابى بلج عن عمرو ابن ميمون عن ابن عباس قال كان على اول من
 آمن من الناس بعد خديجة.

قال ابو عمر هذا الاسناد لامطعن فيه لأحدٍ لصحته وثقة نقلته وقد عارض ما

ذكرنا في باب ابي بكر عن ابن عباس والصحيح في امر ابي بكر انه اول من
أظهر اسلامه كذلك قال مجاهد وغيره قالوا ومنعه قومه قال ابو عمرو اتفق ابن
شهاب وعبدالله ابن محمد ابن عقيل وقتادة وابن اسحاق على ان اول من أسلم
من الرجال علياً عليه السلام واتفقوا على ان خديجة اول من آمن بالله ورسوله وصدقته
فيما جاء به ثم علياً بعدها.

قال ابو عمرو حدثنا عبد الوارث قال حدثنا قاسم قال حدثنا احمد ابن زهير
قال حدثنا عبد السلام ابن صالح قال حدثنا عبد العزيز ابن محمد الداروردي
قال حدثنا عمر مولى عفره قال سئل محمد ابن كعب القرطبي (القرطبي عن
اول من أسلم علياً ام ابي بكر فقال سبحان الله علياً اولهما اسلاماً وانما شبهه
على الناس لان علياً اخفى اسلامه من ابي طالب وأسلم ابوبكر فأظهر اسلامه،
قال ابو عمرو لاشك عندنا ان علياً اولهما اسلاماً.

وذكر عبد الرزاق في جامعه عن معمر عن قتادة عن الحسن وغيره قالوا اول
من أسلم بعد خديجة علياً ابن ابيطالب.

وروى معمر عن عثمان ابن الجرزي عن مقسم عن ابن عباس قال اول من
أسلم علياً ابن ابي طالب.

قال ابو عمرو وروى ابن فضيل عن الأجلح عن حية ابن جوين العرفي قال
سمعت علياً يقول لقد عبدت الله قبل ان يعبده احد من هذه الأمة خمس
سنين.

قال ابو عمرو وروى شعبة عن سلمة ابن كهيل عن حية العرفي قال سمعت
علياً يقول انا اول من صلى مع رسول الله.

قال ابو عمرو وقد روى سالم ابن ابي الجعد قال قلت لابن الحنفية ابوبكر
كان اولهما اسلاماً قال لا.

قال ابو عمرو وروى مسلم الملائي عن انس ابن مالك قال استبنى النبي
يوم الاثنين وصلى علياً يوم الثلاثاء.

قال ابو عمرو قال زيد ابن ارقم اول من آمن بالله بعد رسول الله على ابن ابيطالب.

ثم ان ابن ابي الحديد ذكر بعد ذلك روايات اخر بهذه المضامين لم نذكرها مخافة الأطناب ومن شاء الاطلاع عليها فعليه بشرحه وقال فهذه الروايات كلها ذكرها ابو عمرو يوسف ابن عبد البر في الكتاب المذكور وهي كما تراها تكاد تكون اجماعاً الى ان قال الشارح ما هذا الفظه:

واعلم ان شيوخنا المتكلمين لا يكادون يختلفون في اول الناس اسلاماً على ابن ابيطالب الا من عساه خالف في ذلك من اوائل البصريين فاما الذي تقررت المقالة عليه الآن فهو القول بانه سبق الناس الى الأيمان لا تكاد تجد اليوم في تصانيفهم وعند متكلميهم والمحققين منهم خلافاً في ذلك، ثم قال: واعلم ان امير المؤمنين مازال يدعى ذلك لنفسه ويفتخر به ويجعله في أفضليته على غيره ويصرح بذلك وقد قال غير مرة انا الصديق الأكبر والفاروق الاول أسلمت قبل اسلام ابي بكر وصليت قبل صلوته وروى عنه هذا الكلام بعينه ابو محمد ابن قتيبة في كتاب المعارف وهو غير متهم في أمره ومن الشعر المروى عنه في هذا المعنى الايات التي اولها:

محمدُ النبي أخى وصنوى وحمزة سيد الشهداء عمى
سبقتكم الى الإسلام طراً غلاماً ما بلغت او ان حلمى

والأخبار الواردة في هذا الباب كثيرة جداً لا يتسع لهذا الكتاب ذكرها فليطلب من مظانها ومن تأمل كتب السير والتواريخ عرف من ذلك ما قلناه واما الذاهبون الى ان ابابكر أقدمهما اسلاماً فنفر قليلون ونحن نذكرها اورده ابن عبد البر ايضاً في كتاب الأستيعاب في ترجمة ابي بكر.

قال ابو عمرو حدثنى خالد ابن القاسم قال حدثنا احمد ابن محبوب قال حدثنا محمد ابن عبدوس قال حدثنا ابوبكر ابن ابي شيبه قال حدثنا شيخ لنا قال اخبرنا مجالد عن الشعبي قال سئلت ابن عباس او سئلت اى الناس كان اول

اسلاماً فقال اما سمعت قول حسان ابن ثابت حيث قال:

اذا تذكّرت شجواً من اخي ثقةً فاذا ذكر أخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها وأعدلها بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرّسلا

و يروى ان النبي قال لحسان هل قلت في ابي بكر شيئاً قال نعم وانشد هذه
الابيات وفيها بيت رابع وهو:

و ثاني اثنين في الغار المنيف وقد

طاف العدو به اذ صعّدوا الجبلا

و كان حُب رسول الله قد علموا

من البرية لم يعدل به رجلاً

و قال ابو عمرو وروى شعبة عن عمر و ابن مرّة عن ابراهيم النخعي قال
أول من أسلم ابو بكر...

و قال روى الجرير عن ابي نصر قال قال ابو بكر لعليّ انا أسلمت قبلك في
حديث ذكره فلم ينكره عليه ثم ذكر الشّارح بعد نقله رواية اخرى عنه ما هذا
لفظه فهذا مجموع ما ذكره ابو عمرو ابن عبد البر في هذا الباب في ترجمة ابي
بكر ومعلوم انه لانسبة لهذه الروايات التي ذكرها في ترجمة عليّ الدّالة على
سبقه ولا ريب انّ الصحيح ما ذكره ابو عمرو انّ عليّاً كان هو السّابق وانّ
ابابكر هو أوّل من أظهر اسلامه فظنّ انّ السّبق له ثمّ قال:

و اما زيد بن حارثة فانّ ابا عمرو ابن عبد البر ذكر في كتاب الاستيعاب
ايضاً في ترجمة زيد ابن حارثة قال ذكر مُعمر ابن شيبه في جامعه عن
الزّهري انه قال ما علمنا احداً أسلم مثل زيد ابن حارثة...

و قال عبد الرّزاق وما اعلم احد اذكره غير الزّهري ولم يذكر صاحب
الاستيعاب ما يدلّ على سبق زيد الا هذه الرواية واستغّر بها فدّل مجموع ما
ذكرناه انّ عليّاً هو أوّل الناس اسلاماً وانّ المخالف في ذلك شاذّ والشّاذّ

لا يُعتدّ به انتهى ما ذكره الشّارح المعتزلي بالفاظه وعباراته وانّما نقلنا ما نقلناه عنه بطوله أمّا أوّلاً فلأنّه حقّ الموضوع حقّ التّحقيق وقال صدقاً وعدلاً وثانياً إنّ ما ذكره او نقله عن الأستيعاب وغيره حجّة على الخصم لكونه من مأخذ العامّة، ثمّ إنّ ما ذكره الشّارح وان كان كافياً لاثبات الموضوع إلّا أنّا اردنا تعقيبه بذكر روايات اخر وردت في هذا الموضوع من طرق العامّة المذكورة في كتبهم المعتمدة عندهم فنقول:

فمنها - ما من مسند احمد ابن حنبل روى عبدالله ابن احمد ابن حنبل عن ابيه قال حدّثني ابي قال حدّثنا عبد الرّزاق قال حدّثني معمر و اخبرني عثمان الجدرى عن مقسم عن ابن عباس أنّ عليّاً أوّل من أسلم انتهى غاية المرام «ص ٤٩٩»...

ومنها - عبدالله ابن احمد ابن حنبل عن ابيه قال حدّثني ابي قال اخبرنا عبد الرّزاق قال حدّثنا معمر عن قتادة عن الحسن وغيره أنّ عليّاً أوّل من أسلم بعد خديجة انتهى «ص ٤٩٩»...

ومنها - عبدالله ابن احمد ابن حنبل عن ابيه باسناده عن حبة العرفى يقول سمعتُ عليّاً يقول انا أوّل من صلّى مع رسول الله انتهى...

ومنها - عبدالله ابن احمد ابن حنبل عن ابيه باسناده عن زيد ابن ارقم قال أوّل من صلّى مع النّبي علىّ ﷺ انتهى «ص ٤٩٩»...

ومنها - عنه ايضاً عن ابيه باسناده عن زيد ابن ارقم قال أوّل من صلّى مع رسول الله ﷺ علىّ انتهى «ص ٤٩٩»...

ومنها - عنه ايضاً عن ابيه باسناده عن زيد ابن ارقم يقول أوّل من صلّى مع رسول الله علىّ ابن ابيطالب انتهى «ص ٤٩٩»...

ومنها - عنه ايضاً عن ابيه باسناده عن جابر ابن يحيى عن علىّ ﷺ قال صليتُ مع النّبي ثلاث سنين قبل ان يُصلّى معه احد انتهى.

ومنها - مارواه باسناده عن ابن يحيى ايضاً قال سمعتُ عليّاً يقول لقد

صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ الْخَبِيرِ. انْتَهَى...

ومنها - مارواه بإسناده عن حبة العرنى قال رأيتُ عليّاً يضحك يوماً لم أره ضحك أكثر منه حتى بدت نواجذه قال بينا أنا مع رسول الله وذكر الحديث ثم قال اللهم انى لاعرف ان عبداً لك من هذه الأمة عبدك قبلى غير نبيك قال ﷺ ذلك ثلاث مرّات، ثم قال لقد صلّيتُ قبل ان يصلّى أحد، انتهى «ص ٤٩٩»...

ومنها - مارواه ابن المغازلى الشافعى الفقيه الواسطى من كتاب المناقب فى قوله: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» قال اخبرنا احمد ابن محمد ابن عبد الوهاب وساق الحديث بإسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ»^(١) قال سبّح يوشع ابن نون الى موسى وسبّح مؤمن آل فرعون وصاحب يس سبّح الى عيسى وسبّح على الى محمد انتهى...

ومنها - ابن المغازلى ايضاً بإسناده عن عبد الرحمن ابن سعد مولى ابن أيوب الانصارى قال قال رسول الله ﷺ صَلَّتُ الْمَلَائِكَةَ عَلَى عَلِيٍّ سَبْعَ سِنِينَ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يُصَلِّ مَعِيَ أَحَدٌ غَيْرَهُ، انتهى «ص ٤٩٩»...

ومنها - ابن المغازلى ايضاً بإسناده عن امين ابن مالك، يقول سمعتُ (قال رسول الله صَلَّتُ الْمَلَائِكَةَ عَلَى وَعَلَى عَلِيٍّ سَبْعاً وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَرْفَعِ إِلَى السَّمَاءِ شَهَادَةً ان لاله الا الله وان محمداً عبده ورسوله الا منى ومنه. انتهى «ص ٤٩٩»...

ومنها - ابن المغازلى ايضاً بإسناده عن سلمان الفارسى قال قال رسول الله ﷺ أَوَّلُ النَّاسِ وَرُوداً عَلَى الْحَوْضِ أَوْلَهُمْ إِسْلَاماً عَلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انتهى «ص ٥٠٠»...

وامثال ذلك من الروايات من طرق العامة وقد نقل البحرانى قدّه فى كتابه غاية المرام فى هذا الباب قريباً من خمسين من طريق العامة وما نقلناه نقلناه

منها ومن اراد الاطلاع عليها فعليه بمراجع الكتاب المذكور وامثاله من الكتب
الموضوعة لعلم الحديث.

واما علماء الشيعة فلا شك عندهم في كونه ﷺ اَوَّل النَّاسِ اسلاماً، وأسبقهم
ايماناً قولاً واحداً ولم يخالف فيه أحد ومع ذلك نشير الى بعض الروايات
الواردة فيه من طرقنا تيمناً وتبركاً وتتميماً وتكميلاً للبحث.

فمنها - مارواه في غاية المرام ايضاً عن ابن بابويه باسناده عن جابر ابن
عبدالله الانصارى قال قال رسول الله ﷺ عليّ ابن ابيطالب أقدم أمّتي سلماً
وأكثرهم علماً وأصحهم ديناً وأفضلهم يقيناً وأحلمهم جِلماً « ٥٠٠ »...

ومنها - ما عنه ايضاً باسناده عن جابر ابن عبدالله الأنصارى قال قال
رسول الله انّ الله تبارك وتعالى اصطفاني واختارني وجعلني رسولاً وأنزل
عليّ سيّد الكُتُب فقلتُ الهى وسَيِّدى انتك ارسلت موسى الى فرعون فسألك ان
تجعل معه اخاه هرون وزيراً يشدّبه عضده ويصدّق به قوله، وانى استلك يا
سَيِّدى والهى ان تجعل لى من اهلى وزيراً تشدّبه عضدى فاجعل لى عليّاً
وزيرى واحاً واجعل الشّجاعة فى قلبه وألبسه الهيبة على عدوّه وهو أوّل من
آمن بى وصدّقنى وأوّل من وحدّ الله معى الحديث « ٥٠٠ »...

ومنها - ما عنه ايضاً باسناده عن مقاتل ابن سليمان عن الصادق ﷺ عن
ابيه عن آبائه قال قال رسول الله ﷺ لعليّ أنت منى بمنزلة هبة الله من آدم
وبمنزلة سام من نوح وبمنزلة اسحاق من ابراهيم وبمنزلة هرون من
موسى وبمنزلة شمعون من عيسى الآتة لانبى بعدى يا عليّ انت وصيى
وخليفتى فمن جحد وصييتك وخلافتك فليس منى ولست منه وانا خصمه
يوم القيمة يا عليّ أنت أفضل أمّتى فضلاً وأقدمهم سلماً وأكثرهم علماً
الحديث « ص ٥٠٠ »...

ومنها - ما عن الشيخ فى اماليه باسناده عن ابى سخيلة قال حججت انا
وسلمان الفارسى (ره) فمّررنا بالرّبذة وجلسنا الى ابى ذرّ الغفارى فقال انه

سَيَكُونُ بَعْدِي فِتْنَةٌ وَلَا بَدَّ مِنْهَا فَعَلَيْكُمْ بَكِتَابِ اللَّهِ وَالشَّيْخِ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ
وَالزَّمُوهُمَا فَأَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ عَلِيُّ أَوَّلُ مَنْ
آمَنَ بِي وَأَوَّلُ مَنْ صَدَّقَنِي وَأَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُنِي يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَهُوَ الصَّديقُ
الأكْبَرُ وَالْفَارُوقُ (وَفَارُوقُ هَذِهِ الْأُمَّةِ) يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَهُوَ يَعْسُوبُ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَالِ يَعْسُوبُ الْمُنَافِقِينَ انْتَهَى...

ومنها - ما عنه أيضاً في إماله باسناده عن أبي ذر وسلمان رضي الله
عنهما قال أخذ رسول الله ﷺ عليّ ابن أبي طالب فقال هذا أول من آمن بي وأول
من يُصَافِحُنِي يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَهُوَ الصَّديقُ الأكْبَرُ وَفَارُوقُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَيَعْسُوبُ
الْمُؤْمِنِينَ، انْتَهَى...

ومنها - ما عن ابن بابويه باسناده عن أسيد ابن صفوان صاحب رسول
الله قال لما كان اليوم الذي قبض فيه أمير المؤمنين ارتجّ الموضع بالبكاء
ودهشوا الناس كيوم قبض فيه النبي وجاء رجل وهو مُتَسَرِّعٌ مُسْتَرْجِعٌ
وهو يقول: انْقَطَعَتْ خِلافةُ النَّبِيِّ حَتَّى وَقَفَ عَلَيَّ بَابُ الْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَ رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أبا الْحَسَنِ كُنْتَ أَوَّلَ الْقَوْمِ إِسْلَاماً وَآخِلَصَهُمْ
إِيمَاناً وَأَشَدَّهُمْ يَقِيناً وَأَخَوْفَهُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَعْظَمَهُمْ وَأَحْوَطَهُمْ عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ الْحَدِيثُ وَهُوَ طَوِيلٌ انْتَهَى...

وحيث أنّ الموضوع عندنا من المُسَلِّمات ففيمّا ذكرناه كفاية فإن استقصاء
الأحاديث من طرق العامّة والخاصّة مع كونه موجّباً لأطالة الكلام لا يمكن
قطعاً لكثرتها وتفرّقها في مُتُونِ الْكُتُبِ.
الجّهة الثالثة في سبقه ﷺ: الهِجْرَةُ...

قال الشّارح المعتزلي في هذا المقام المسئلة السّابعة ان يقال كيف قال ﷺ
أنّه سَبَقَ إِلَى الْهِجْرَةِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ جَماعَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَاجَرُوا قَبْلَهُ مِنْهُمْ عَثْمَانُ
ابْنُ مَطْعُونٍ وَغَيْرُهُ وَقَدْ هَاجَرَ أَبُو بَكْرٍ قَبْلَهُ لِأَنَّهُ هَاجَرَ فِي صُحْبَةِ النَّبِيِّ وَتَخَلَّفَ
عَلِيٌّ عَنْهَا فَبَاتَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ وَمَكَثَ أَيَّاماً يَرُدُّ الْوُدَايِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ

ثم هاجر بعد ذلك قال الشارح:

والجواب انه لم يقل وسبقت كل الناس الى الهجرة وإنما قال وسبقت فقط ولا يدل ذلك على سبقه للناس كافة ولا شبهة انه سبق معظم المهاجرين الى الهجرة ولم يهاجر قبله احد الا نفر يسير جداً الى ان قال:

وايضاً فان اللام في الهجرة يجوز ان لا يكون للمعهود السابق بل يكون للجنس وامير المؤمنين سبق ابابكر وغيره الى الهجرة التي قبل هجره هجرة المدينة فان النبي هاجر من مكة مراراً يطوف على احياء العرب ويتنقل من ارض قوم الى غيرها وكان علي معه دون غيره واما هجرته الى بني شيبان فما اختلف احد من اهل السيرة ان علياً عليه السلام كان معه الى آخر ما قال:

اقول: ليس المراد بالهجرة ما زعمه الشارح المعتزلي من هجرته عليه السلام الى المدينة فانها ليست باول هجرة وقعت له عليه السلام وإنما المراد بها في قوله عليه السلام: وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ الْهَجْرَةَ الْأُولَى اعني الهجرة الى شعب ابي طالب مع النبي عليه السلام وغيره من بني هاشم وفي هذه الهجرة لم يكن احد من المسلمين لابوبكر ولا غيره وهذه الهجرة هي التي سبقها الكل بلا كلام ولا خلاف.

واما مهاجرته عليه السلام الى المدينة فكانت مع كثير من المسلمين وعلي عليه السلام بات على فراشه ومن المعلوم ان بذل النفس اعظم من الاتقاء على النفس في الهرب الى الغار او الهجرة من مكة او الغار الى المدينة فلو كان عليه السلام في مقام الأفتخار واراد به هذه الهجرة لكان ينبغي ان يفتخر بالمبيت على فراشه دون الهجره الى المدينة وهو ظاهر فالمقصود من الهجرة من كلامه عليه السلام هو الهجرة الى الشعب في غربة الاسلام وكيفيةها على مارواه ارباب السير هوان فريش اجتمعت في دار الندوة وكتبوا صحيفة بينهم ان لا لا يؤاكلوا بني هاشم ولا يكلموهم ولا يبايعوهم ولا يزوجهم ولا يتزوجوا اليهم ولا يحضروا معهم حتى حتى يدفعوا اليهم محمداً فيقتلونه وانهم يد واحدة على محمد يقتلونه غيلة او صراحة (او صراحاً).

فلما بلغ ذلك اباطالب جمع بنى هاشم ودخلوا الشعب وكانوا اربعين رجلاً
فحلف لهم ابوطالب بالحرم والكعبة والرُّكن والمقام ان شاكت محمداً شوكة
لايشنى عليكم يا بنى هاشم وحصن الشعب وكان يحرسه بالليل والنهار فاذا جاء
الليل يقوم بالسيف عليه ورسول الله مضطجع ثم يقيمه ويضعه في موضع
آخر فلا يزال الليل كله هكذا ويوكل ولده وولد اخيه به يحرسونه بالنهار
فاصابهم الجهد وكان من دخل مكة من العرب لا يجسر ان يبيع من بنى هاشم
شيئاً ومن باع منهم شيئاً انتهبوا ماله وكان ابو جهل والعاص ابن وائل السهي
والنضر ابن الحرث ابن كلدة وعقبة ابن ابي معيط يخرجون الى الطرقات التي
يدخل مكة فمن راه معه ميرة نهوه ان يبيع من بنى هاشم شيئاً ويحذرون ان
باع شيئاً منهم ان ينهبوا ماله وكانت خديجة لها مال كثير فأنفقت على رسول الله
في الشعب ولم يدخل في حلف الصحيفة مطعم ابن عدى ابن نوفل ابن
عبدالمطلب ابن عبد مناف وقال هذا ظلم وختموا الصحيفة بأربعين خاتماً كل
رجلٍ من رؤساء قريش بخاتمه وعلقوها في الكعبة، وتابعهم على ذلك
ابولهب وكان رسول الله ﷺ يخرج في كل موسم فيدور على قبائل العرب
فيقول لهم تمنعون لى جانبي حتى أتلو عليكم كتاب ربكم وثوابكم الجنة على
الله وابولهب في اثره يقول لا تقبلوا منه فاه ابن اخى وهو كذابٌ ساحرٌ فلم يزل
هذا حالهم وبقوا في الشعب أربع سنين لا يأمنون الا الموسم من موسم الى
موسم ولا يشترون ولا يبيعون الا في الموسم وكان يقوم بمكة موسمان في كل
سنته موسم العمرة في رجب وموسم الحج في ذي الحجة فكان اذا اجتمعت
المواسم تخرج بنوهاشم من الشعب فيشترون ويبيعون ثم لا يجسر احد منهم
ان يخرج الى الموسم الثاني واصابهم الجهد وجاعوا وبعثت قريش الى ابي
طالب ادفع الينا محمداً حتى نقله وتملكك علينا وفي ذلك قال ابوطالب
قصيدته اللاتية التي هي من احسن القصائد في العرب في مدح رسول الله
والذب عنه ونحن نذكرها في المقام على تفصيلها لكونها عالية المضامين جداً

وهي هذا:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَأُودِّ فِيهِمْ
وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ
وَقَدْ صَارَ حُونًا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَذَى
وَقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمَزَائِلِ
وَقَدْ حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظِنَّةً
يَعْضُونَ غَيْظًا خَلَفْنَا بِالْأَنَامِلِ
صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمَرَاءَ سَمْحَةٍ
وَأَبْيَضَ غَضَبٍ مِنْ تَرَاثِ الْمُقَاوِلِ
وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي
وَأَمَسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ
قِيَامًا مَعًا مُسْتَقْبِلِينَ زِتَاجَهُ
لَدَى حَيْثُ يَقْضَى حَلْفُهُ كُلُّ نَاقِلِ
وَحَيْثُ يُنِيخُ الْأَشْعَرُونَ رُكَابِهِمْ
بِمُقْضَى السَّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلِ
مُؤَسِّمَةِ الْأَعْضَادِ أَوْ قِصْرَاتِهَا
مُخَيِّسَةِ بَيْنِ السُّدَيْسِ وَبِزَالِ
تَرَى الْوَدْعَ فِيهَا وَالرَّخَامَ وَزِينَةَ
بِأَعْنَاقِهَا مَعْقُودَةَ كَالْعَنَّاكِيلِ
أَعْوُدُ بَرِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنِ
عَلَيْنَا بِسَوْءٍ أَوْ مُلْحٍ بِبَاطِلِ
وَمَنْ كَاشِحٍ يَسْمَى لَنَا بِمَعْبِيَةِ
وَمِنْ مُلْحِقٍ فِي الدِّينِ مَا لَمْ نُحَاوِلِ

وَثُورٌ وَمِنْ أَرْسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ
 وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِي حَرَاءٍ وَنَازِلٍ
 وَبِالْبَيْتِ حَقَّ الْبَيْتِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ
 وَبِاللَّهِ أَنْ اللَّهُ لَيْسَ بِغَافِلٍ
 وَبِالْحَجَرِ الْمُسَوَّدِ إِذَا يَمْسَحُونَهُ
 إِذَا أَكْتَنَفُوهُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ
 وَمَوْطِئِ إِبْرَاهِيمَ فِي الصَّخْرِ رَطْبَةً
 عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِيًا غَيْرَ نَائِلٍ
 وَأَشْوَاطُ بَيْنَ الْمَرَوْتَيْنِ إِلَى الصَّفَاءِ
 وَمَا فِيهِمَا مِنْ صُورَةٍ وَتَمَاثِلِ
 وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ
 وَمِنْ كُلِّ ذِي نَذْرٍ وَمِنْ كُلِّ رَاجِلٍ
 وَبِالْمَشْعَرِ الْأَقْصَى إِذَا عَمَدُوا لَهُ
 إِلَالًا إِلَى مُفْضَى الشَّرَاحِ الْقَوَائِلِ
 وَتَوَقَّافِهِمْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَشِيَّةَ
 يَقِيمُونَ بِالْأَيْدِي صُدُورَ الرِّوَاكِ
 وَوَيْلَهُ جَمْعٍ وَالْمَنَازِلِ مِنْ مَنَى
 وَهَلْ فَوْقَهَا مِنْ حُرْمَةٍ وَمَنَازِلِ
 وَجَمْعُ إِذَا مَا الْمُقَرَّبَاتِ أَجْرَنَهُ
 سَرَاعًا كَمَا يَخْرُجْنَ مِنْ وَقْعِ وَابِلِ
 وَبِالْحَجْمَةِ الْكُبْرَى إِذَا صَمَدُولَهَا
 يَوْمُونَ قَذْفًا رَأْسَهَا بِالْجَنَادِلِ
 وَكَنْدَةَ إِذْ هُمْ بِالْحِصَابِ عَشِيَّةَ
 تُجِيزُ بِهِمْ حُجَّاجُ بَكْرِ ابْنِ وَائِلِ

خليفةان شدا عقد ماختلفا له
ورداً عليه عاطفات الوسائل
وحطمهم سمر الصفاق وسرحه
وشبرمة وفد النعام الجوافل
فهل بعد هذا من معاذ لعائذ
وهل من مُعيد يتقى الله عاذل
يُطاع بنا الغديّ وودوا لو أنا
تسدّ بنا ابواب تترك وكابل
كذبتهم وبيت الله نترك مكة
ونظعن إلا امركم في بلايل
كذبتهم وبيت الله نبرى محمداً
ولتما نطاعن دونه ونناضل
ونسليمه حتى نصرع حوله
ونذهل عن آبائنا والحلائل
وينهض قوم في الحديد اليكم
نهوض الروايا تحت ذات الصلايل
وحتى ترى ذى الضعن يركب رده
من الطعن فعل الأنكب المتحاميل
وإنا لعمرو الله ان جد ما أرى
لتلبسن أسيافنا لأمايل
بكفى فتى مثل الشهاب سمدع
أخى ثقة حامى الحقيقة بايل
شهوراً وإياماً وحولاً مجرماً
علينا وتأتى حجة بعد قابل

وما تَرَكُ قَوْمٍ لآبِائِكَ سَيِّدًا
يَحُوطُ الدَّمَارَ غَيْرَ دَرَبٍ مَوَاكِلَ
وَأَبْيَضَ يَسْتَقِي الغَمَامَ بِوَجْهِهِ
ثَمَالَ الْيَتَامَى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ
يَلُودُ بِهِ الْهَلَاكَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
فَهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَفَوَاضِلِ
لَعَمْرِي لَقَدْ أَجْرَى اسِيْدٌ وَبِكْرَةٌ
إِلَى بُغْضِنَا أَوْ جَزَافًا لِأَكْلِ
وَعُثْمَانَ لَمْ يَرِبْ عَلَيْنَا وَقُنْفُذُ
وَلَكِنْ اطَّاعَا أَمْرَ تِلْكَ الْقَبَائِلِ
اطَّاعَا أُبَيًّا وَابْنَ عَبْدِ يَغُوثِ
وَلَمْ يَرْقُبَا فِينَا مَقَالََةَ قَائِلِ
كَمَا قَدْ لَقِينَا مِنْ سَبِيحٍ وَنَوْفَلِ
وَكَأَنَّ تَوَلَّى مُعْرِضًا لَمْ يُجَامِلِ
فَإِنْ يُلْقِيَا أَوْ يُمَكِّنَ اللهُ مِنْهُمَا
نَكِلَ لَهُمَا صَاعًا بِصَاعِ الْمَكَائِلِ
وَذَاكَ أَبُو عَمْرٍو أَبِي غَيْرِ بُغْضِنَا
لِيُظْعَنَّا فِي أَهْلِ شَاءٍ وَجَامِلِ
يُنَاجِي بِنَافِي كُلِّ مُمَسِيٍّ وَمُصْبِحِ
فَنَاجِ أَبَا عَمْرٍو وَبِنَا ثُمَّ خَائِلِ
وَيُؤَلِّي لَنَا بِاللَّهِ مَا أَنْ يُغْشِنَا
بَلَى قَدْ نَرَاهُ جَهْرَةً غَيْرَ حَائِلِ
أَضَاقَ عَلَيْهِ بُغْضِنَا كُلَّ تَلْعَةٍ
مَنْ الْأَرْضِ بَيْنَ أَخْشَبٍ فَمُجَادِلِ

وسائل ابى لوليد ماذا حَبَوْتَنَا
 بِسَعِيكَ فِينَا مُعْرَضاً كَالْمُخَائِلِ
 وَكُنْتَ امْرَءاً مَمَّنْ يُعَاشُ بِرَأْيِهِ
 وَرَحِمَتَهُ فِينَا وَلَسْتَ بِجَاهِلِ
 فَعُتْبَةَ لَا تَسْمَعُ بِنَا قَوْلَ كَاشِحِ
 حَسَوْدٌ كَذُوبٌ مُبْغِضٌ ذِي دِغَاوِلِ
 وَمَرَّ ابُو سُفْيَانَ عَنِّي مُعْرَضاً
 كَمَا مَرَّ قَيْلٌ مِّنْ عِظَامِ الْمُقَاوِلِ
 يَفِرُّ إِلَى نَجْدٍ وَيَرِدُ مِيَاهَهُ
 وَيَزْعَمُ أَنِّي لَسْتُ عَنْكُمْ بِغَافِلِ
 وَيَخْبِرُنَا فِعْلَ الْمُنَاصِحِ أَنَّهُ
 شَفِيقٌ وَيَخْفَى عَارِمَاتِ الدَّوَاخِلِ
 أَمْطَعَمَ لَمْ أَخْذُ لَكَ فِي يَوْمِ نَجْدَةٍ
 وَلَا مَعْظِمَ عِنْدَ الْأُمُورِ الْمَسَاجِلِ
 جَزَى اللَّهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفِلاً
 عُقُوبَةَ شَرِّ عَاجِلٍ غَيْرِ آجِلِ
 بِيْمَزَانَ قَسِطٍ لَا يَخُسُّ شَعِيرَةً
 لَهُ شَاهِدٌ مِّنْ نَّفْسِهِ غَيْرِ عَائِلِ
 لَقَدْ سَفَهْتَ أَحْلَامَ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا
 بَنِي خَلْفٍ قَيْضاً بِنَا وَالْغِيَاظِلِ
 وَنَحْنُ الصَّمِيمُ مِنْ ذُو آبَةِ هَاشِمِ
 وَآلِ قُضَيٍّ فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ
 وَسَهْمٌ وَمَخْزُومٌ تَمَالَوْا وَالْبَاوِ
 عَلَيْنَا الْعِدَى مِنْ كُلِّ طَيْمِلٍ وَخَامِلِ

فَعَبْدُ مَنْافٍ أَنْتُمْ خَيْرُ قَوْمِكُمْ
 فَلَا تُشْرِكُوا فِي أَمْرِكُمْ كُلِّ وَاعِلٍ
 لَعَمْرِي لَقَدْ وَهَيْتُمْ وَعَجَزْتُمْ
 وَجِئْتُمْ بِأَمْرِ مَخْطِئٍ لِلْمَفَاصِلِ
 وَكُنْتُمْ حَدِيثًا حَطَبٌ قَدِرٌ وَأَنْتُمْ
 الْآنَ جِطَابٌ أَقْدِرٌ وَمَرَاجِلُ
 لِيَهْنِيءُ بَنِي عَبْدِ مَنْافٍ عَقُوقُنَا
 وَخِذْلَانُنَا وَتَرَكْنَا فِي الْمَعَاوِلِ
 فَإِنَّ نَكُ قَوْمًا نَتَثَرَمًا صَنَعْتُمْ
 وَتَحْتَلِبُوهَا لِقِحَّةَ غَيْرِ بَاهِلِ
 وَسَائِطُ كَانَتْ فِي لُؤْيِ ابْنِ غَالِبِ
 نَفَاهُمْ إِلَيْنَا كَلَّ صَقْرٌ حَلَاجِلِ
 وَرَهْطُ نَفِيلٍ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحِصَى
 وَالْأَمَّ جَافٍ مِنْ مُعَدَّةٍ وَنَاعِلِ
 فَأَبْلَغُ قُصِيًّا إِنْ سَيَنْشُرُ أَمْرُنَا
 وَبَشْرُ قُصِيًّا بَعَدْنَا بِالتَّخَاذِلِ
 وَلَوْ طَرَقَتْ لَيْلًا قُصِيًّا عَظِيمَةً
 إِذَا مَا لَجَانَا دُونَهُمْ فِي الْمَدَاخِلِ
 وَلَوْ صَدَقُوا ضَرْبًا خِلَالِ بُيُوتِهِمْ
 لَكُنَّا أَسَى عِنْدَ النَّسَاءِ الْمُطَاوِلِ
 فَكَلَّ صَدِيقٍ وَابْنَ اخْتِ لَعْدَهُ
 لَعَمْرِي وَجَدْنَا غَيْبَهُ غَيْرُ طَائِلِ
 سِوَى أَنْ رَهْطًا مِنْ كِلَابِ ابْنِ مُرَّةٍ
 بُرَاءُ إِلَيْنَا مِنْ مَعَقَّةِ خَاذِلِ

وَهَاتَا لَهُمْ حَتَّى تُبَدَّدَ جَمْعَهُمْ
 وَيَحْسِرَ عَنَّا كَلَّ بَاغٍ وَجَاهِلٍ
 وَكَانَ لَنَا حَوْضُ السَّقَايَةِ فِيهِمْ
 وَنَحْنُ الْكُذِبِيُّ مِنَ غَالِبٍ وَالْكَوَاهِلُ
 شَبَابٌ مِنَ الْمُطَيَّبِينَ وَهَاشِمٌ
 كَبِيضُ الشُّيُوفِ بَيْنَ أَيْدِي الصِّيَاقِلِ
 فَمَا أَدْرَكَوْ ذَحَلًا وَلَا سَفَكُوْ دَمًا
 وَلَا حَالَفُوْ إِلَّا شَرَارَ الْقَبَائِلِ
 بِضَرْبِ تَرَى الْفَتِيَانِ فِيهِ كَانَهُمْ
 ضَوَارِي أُسُودٍ فَوْقَ لَحْمِ خِرَادِلِ
 بَنِي أُمَّةٍ مَّحْبُوبَةٍ هِنْدِ كَيْئَةٍ
 بَنِي جُمَحٍ عُبَيْدِ قَيْسِ ابْنِ هَاقِلِ
 وَلَكِنَّا نَسْلُ كِرَامٌ لِسَادَةٍ
 يَهْمُ لِقَى الْأَقْوَامِ عِنْدَ الْبَوَاطِلِ
 وَنِعَمَ ابْنِ أُخْتِ الْقَوْمِ غَيْرِ مُكْذِبِ
 زَهَيْرِ حَسَامًا مَفْرَدًا مِنْ حَمَائِلِ
 أَشْمٍ مِنَ الشَّمِّ الْبِهَالِيلِ يُنْتَمَنِي
 إِلَى حَسَبِ فِي حَوْمَةِ الْمَجْدِ فَاضِلِ
 لَعَمْرِي لَقَدْ كُفِّتَ وَجَدًا بِأَحْمَدِ
 وَأَخْوَتُهُ دَابِ الْمُحَبِّ الْمَوَاصِلِ
 فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا جَمَالًا لِأَهْلِهَا
 وَزَيْنًا لِمَنْ وَالَاهِ رَبُّ الْمَشَاكِلِ
 فَمَنْ مِثْلَهُ فِي النَّاسِ أَيْ مُؤَمِّلِ
 إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضِلِ

حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ
 يُوَالِي الْإِهَاءَ لَيْسَ عَنْهُ بِنَغَائِلٍ
 فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ أَجِيءُ بِسُنَّةٍ
 تَجُرُّ عَلَيَّ أَشْيَاخُنَا فِي الْمَحَافِلِ
 لَكُنَّا أَتَّبَعْنَاهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
 مِنَ الذَّهْرِ جَدًّا غَيْرَ قَوْلِ التَّهَادِلِ
 لَقَدْ عَلَّمُوا أَنَّ أَبْنَاءَ الْأَمْكَذِبِ
 لَدِينَا وَلَا يَعْنِي بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ
 فَأَصْبَحَ فِيْنَا أَحْمَدُ فِي أُرُومَةٍ
 تُقْصِرُ عَنْهُ سُورَةُ الْمُتَطَوَّلِ
 حَدِيثُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمِيَّتُهُ
 وَدَافَعَتْ عَنْهُ بِالذَّرَا وَالْكَلاكِيلِ
 فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصْرِهِ
 وَأَظْهَرَ دِينَنَا حَقَّهُ غَيْرَ بَاطِلِ
 رَجَالٌ كَرَامٌ غَيْرُ مِيلِ نَمَاهِمِ
 إِلَى الْخَيْرِ أَبَاءَ الْكِرَامِ الْمُحَاصِلِ
 فَإِنَّ تَكَ كَعَبٌ مِنْ لُؤْيٍ صَقِيْبَةٍ
 فَلَابَدٌ يَوْمًا مُرَّةٌ مِنْ تَزَايِلِ

فَلَمَّا سَمِعُوا هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنْهُ آيَسُوا فَلَمَّا أَتَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي
 الشُّعْبِ أَرْبَعِ سِنِينَ بَعَثَ اللَّهُ عَلَى صَحِيفَتِهِمُ الْقَاطِعَةَ دَابَّةَ الْأَرْضِ فَلَسَّحَتْ
 جَمِيعَ مَا فِيهَا مِنْ قَطِيعَتِهِ وَظَلَمَ وَتَرَكَتْ بِأَسْمِكَ اللَّهُمَّ وَنَزَلَ جِبْرَائِيلُ عَلَى
 رَسُولِ اللَّهِ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ أَبَاطَالَبَ فَقَامَ أَبُو طَالِبٍ وَلَبَسَ ثِيَابَهُ ثُمَّ
 مَشَى حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ عَلَى قَرِيْشٍ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَمَّا أَبْصَرُوهُ قَالُوا قَدْ
 صَجَرَ أَبُو طَالِبٍ وَجَاءَ الْآنَ لِيُسَلِّمَ ابْنَ أَخِيهِ فَدَنَا مِنْهُمْ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَقَامُوا إِلَيْهِ

وعظّموه وقالوا قد علمنا يا ابا طالب انك أردت مواصلتنا والرّجوع الى جماعتنا وان تُسلّم ابن اخيك الينا قال والله ما جئت لهذا ولكن ابن اخي أخبرني ولم يُكذّبني ان الله تعالى أخبره انه بَعَثَ على صحيفتكم القاطعة دابة الأرض فلَسَحَتْ جميع ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجورٍ وتَرَكَ اسم الله فأبعثوا الى صحيفتكم فان كان حقاً فاتقوا الله وأرجعوا عمّا انتم عليه من الظلم والجور وقطيعة الرّحم وان كان باطلاً دفعته اليكم فان شئتم قتلتموه وان شئتم استحيتموه فبِعَثُوا لى الصّحيفة وأنزلوها من الكعبة وعليها اربعون خاتماً فلما أتوبها ونظر كل رجلٍ منهم الى خاتمها ثم فكّوها فاذا ليس فيها حرفٌ واحد الا باسمك اللهم فقال لهم ابوطالب يا قوم اتقوا الله وكفّوا عمّا أنتم عليه فتفرّق القوم ولم يتكلّم احدٌ ورَجَعَ ابوطالب الى الشعب.

اذ اعرفت هذا فقد علمت انه ﷺ ما اراد بالهجرة الا هذه اعنى الهجرة الى الشعب مع النبي ﷺ وغيره ولم يكن فيه مؤمنٌ به ظاهراً غيره لالهجرة الى المدينة التي وقّعت بعد هذه بمُدّة طويلة وكان الشّارح المعتزلى غفلي عنها او تغافل ومعلومٌ، ان اميرالمؤمنين ﷺ سبق الناس فيها طراً اجمعين فأين فيها ابوبكر حتى يقال ما يقال هذا.

تنبيه عرفاني: اعلم ان ما ذكرناه في معنى الهجرة والمراد بها انما هو على طريقة القوم اعنى الهجرة بالمعنى المتعارف كما هو المترائي في بادى النظر ولنا في المقام هجرة اخرى غير معناها العرفى اللغوى اعنى كون الانسان مهاجراً من بلدٍ الى بلدٍ او مكانٍ الى مكانٍ آخر فنقول لها معنيان: احدهما ما مرّ وتعبّر عنه بالهجرة الظاهرة، وثانيهما الهجرة الباطنة وهى الهجرة الى الله فى عالم المعنى المُعبّر عنها بالموت الأرادى فى بعض الكلمات او الايمان بالله وبرسوله واقعاً وفى نفس الأمر وعلى اى تقدير لاشك فى اصالة الهجرة بهذا المعنى بل هى الأصل فيها والاخرى فرع عليها فان الهجرة من الهجر والهجران وهو مفارقة الانسان غيره إما بالبدن او باللسان او بالقلب ولأجل هذا

قال العرفاء الهجرة على ثلاثة اقسام: هجرة البدنية، وهجرة اللسانية، وهجرة القلبية والى هذه المراتب اشار الله تعالى فى كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِى الْمَضَاجِعِ﴾^(١) فى الاول فانه كناية عن عدم قربهنّ وقال تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(٢) فى الهجرة القلبية او هى مع اللسانية، وقوله تعالى: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾^(٣) فى المراتب الثلاثة وهكذا وقوله تعالى: ﴿وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾^(٤)

و: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾^(٥) مُحتمل للوجوه الثلاثة.

اما المرتبة الاولى: فقد عرفت الكلام فيها وانها عبارة عن الخروج من دار الكفر الى دار الايمان كمن هاجر من مكة الى المدينة ولا شك فى فضيلتها لانها توجب حفظ الايمان قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾^(٦) و: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾^(٧) و: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ﴾^(٨) وامثال ذلك من الآيات الواردة فيها.

واما المرتبة الثانية: وهى الهجرة باللسان فمعناها مفارقة الآفات اللسانية من الغيبة والتهمة والفحش واللعن فى غير مورده وامثال ذلك مما نهى الشارع عن التكلم به فالْمُهَاجِرُ بهذا المعنى يهاجر من هذه الأقاويل الباطلة المردودة عقلاً وشرعاً الى الأقوال الصحيحة الشرعية من الصدق والذكر والى هذا المعنى أشير فى الكتاب حيث قال: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(٩)

و: ﴿أَيُّجِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾^(١٠)

و: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾^(١١)

- | | |
|-----------------|-----------------|
| ١- النساء- ٢٤ | ٢- الفرقان- ٣٠ |
| ٣- المزمّل- ١٠ | ٤- المريم- ٤٦ |
| ٥- المدثر- ٥ | ٦- الانفال- ٧٤ |
| ٧- الحشر- ٨ | ٨- النساء- ١٠٠ |
| ٩- الحج- ٣٠ | ١٠- الحجرات- ١٢ |
| ١١- الحجرات- ١٢ | |

وأما المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: وهى العُمدَةُ فى الباب هى الهِجْرَةُ بالقلب بمعنى اعراضه قلباً عن كل ما سوى الله تعالى بمعنى عدم علاقته قلباً بشىء غير الحق ومجاليه والى هذه المَرْتَبَةُ اشير فى الكتاب حكايةً عن ابراهيم عليه السلام حيث قال: ائى مهاجرٌ الى ربى الآيه وترتيب الفضل فيها لا يخفى على العاقل فان القلب أشرف.

وعليه فمن هاجر ببدنه دون لسانه وقلبه فهو فى مَرْتَبَةِ الأدنى ومن هاجر ببدنه ولسانه فهو مَرْتَبَةُ الوُسطى ومن هاجر بهما وقلبه فهو اعلى وأشرف فمن الناس من هاجر معه عليه السلام بالبدن فقط ككثير من المهاجرين الذين هاجروا معه من مَكَّة الى المدينة من غير توجهٍ منهم بحقيقة الهجرة.

ومنهم - من هاجر معه بلسانه وبدنه دون قلبه وهؤلاء ايضاً كثير.

ومنهم - من هاجر معه بقلبه وبدنه ولسانه وهؤلاء شردمة قليلة قال الله

تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^(١)

فقوله عليه السلام: وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ لا يبعد ان يكون اشارة بكلتا

الهجرتين هجرة على عليه السلام مع النبى الى الشعب وهجرته معه عليه السلام بقلبه وهذه الهجرة هى التى لم يسبقه اليها احد والحمد لله رب العالمين.

﴿ وَمِنْ كَلَامِ لَهُ ﷺ (٥٧) ﴾

قوله ﷺ: أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آيْرٌ، أَبَعَدَ إِيْمَانِي بِاللَّهِ، وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ؟ لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ! فَأَبُو شَرٍّ مَآبٍ، وَارْجَعُوا عَلَى آثِرِ الْأَعْقَابِ، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا، وَسَيْفًا قَاطِعًا، وَآثِرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ مِنْكُمْ سُنَّةً،...

◀ اللُّغَةُ

(حَاصِبٌ) الحَاصِبُ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ. (آيْرٌ) مِنْ قَوْلِهِمْ أَبْرٌ لِلَّذِي يَأْبُرُ النَّخْلَ يَصْلُحُهُ. (أَبُو) أَبٌ يُوُوبٌ، إِذَا رَجَعَ (آثِرٌ) وَآثِرُ الْقَدَمِ بِفَتْحَتَيْنِ عَلَامَتُهَا. (الْأَعْقَابِ) جَمْعُ عَقَبٍ (الْآثِرَةُ) بِالْفَتْحَاتِ اسْمٌ مِنَ الْأَسْتِيشَارِ وَهُوَ التَّفَرُّدُ.

◀ الْمَعْنَى

دَعَا عَلَى الْخَوَارِجِ وَقَالَ ﷺ (أَصَابَكُمْ)، مِنَ اللَّهِ (حَاصِبٌ) وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْعَذَابِ (وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آيْرٌ) أَي نَسَلٌ وَذُرِّيَّةٌ. (أَبَعَدَ إِيْمَانِي بِاللَّهِ، وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ؟) عَلَى مَا تَقُولُونَ وَتَشَاوِرُونَ. (لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا) أَي لَوْ شَهِدْتُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ لَقَدْ ضَلَلْتُ. (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ!) فِي صُورَةِ الشَّهَادَةِ. (فَأَبُو شَرٍّ مَآبٍ، وَارْجَعُوا عَلَى آثِرِ الْأَعْقَابِ)، هُوَ دَعَاءٌ عَلَيْهِمُ بِالذُّذِّ وَانْعِكَاسِ الْحَالِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ وَسَيَأْتِي شَرْحُهُ.

(أَمَا إِنَّكُمْ) يا اهل الخوارج (سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي) اي بعد وفاتي. (ذُلًّا شَامِلًا) اي نكسة شاملة (وَسَيْفًا قَاطِعًا،) من الظالمين. (وَأَثَرَةٌ يَتَّخِذُهَا) اي علامة يتخذها (الظَّالِمُونَ مِنْكُمْ سُنَّةً) كما ستعرف.

◀ الشرح

قد اتفقوا على ان السبب في صدور هذه الكلمات منه للخوارج هو انه لما كتب عهد التراخي بالحكمين بين علي ومعاوية اعتزلت الخوارج وتنادوا من كل ناحية لاحكم الا لله يا علي لالك ان الله قد امضى حكمه في معاوية واصحابه ان يدخلوا تحت حكمنا وقد كُنَّا زَلَلْنَا وَأَخْطَأْنَا حين رَضِينَا بِالتَّحْكِيمِ وقد بان لنا خَطَاؤُنَا وَرَجَعْنَا إِلَى اللَّهِ فَأَرْجِعْ أَنْتَ كَمَا رَجَعْنَا وَتُبْ إِلَى اللَّهِ كَمَا تُبْنَا، وقال بعضهم انك اخطأت فاشهد على نفسك بالكفر ثم تب منه حتى تطيعك فأجابهم ﷺ بهذا الكلام وقال:

□ قوله ﷺ: أَضَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ،...

قال الرضى (قدّه) قوله ﷺ: وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ يُرَوَى بِالرَّاءِ من قولهم للذى يأبُر النخل اي يصلحه و يُرَوَى أثر وهو الذى يأبُر الحديث اي يحكيه ويرويه وهو أصح الوجوه عندي كانه ﷺ قال لا بقى منكم مخبر، ويروى أبز بالزاء المعجمة وهو الواثب والهالك ايضاً يقال له أبز انتهى.

اقول: وعلى ما ذكره (قدّه) فالاحتمالات في اللفظ ثلاثة، أبر بالباء والراء المهملة، أثر، بالثاء والراء المهملة (أبز) بالباء والراء المعجمة، ولكل وجه وعلى كل حال دعا على الخوارج بأمرين على سبيل منع الخلوة.

احدهما قوله ﷺ: أَضَابَكُمْ حَاصِبٌ،.

وثانيهما قوله ﷺ: وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ.

قال ﷺ هذا الكلام في جواب الخوارج حيث دَعَوَهُ إِلَى التَّوْبَةِ فَقَالَ ﷺ أَضَابَكُمْ حَاصِبٌ اي عذاب من الله تعالى واصله على ما في النهاية من رميتم بالحصباء من السماء ثم لم يقنع ﷺ به وقال وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ او آبر اي لا بقى

منكم من يصلح النخل او لابقى منكم اثر فى عالم الوجود ثم ذكر ﷺ علة دعائه عليهم وقال:

□ قوله ﷺ: أَبْعَدَ إِيمَانِي بِاللَّهِ، وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ...

والهمزة فى قوله (أبعد) للأستفهام الأنكارى، اى لا يكون كذلك كقول الشاعره أبعده الهجرة المائة الرتاعا.

والوجه فى انكاره ﷺ لمقاتلتهم هو انهم صاروا باعثن على تعطيل الحرب وتفويض الأمر الى الحكومة كما مرّ مفضلاً فى ما مضى فان كان هذا الامر اعنى الرضا بالحكومة كُفراً فهم كفروا بالامير المؤمنين ﷺ لانه ﷺ كان مخالفاً لتعيين الحكّامين من اول الأمر وان لم يكن كُفراً فلا معنى لقولهم هذا

ثم ان الرضا بالحكومة ليس من الكفر بشىء لان الكفر عبارة عن انكار الضرورى من الدين وليس هذا منه كما هو واضح وعلى فرض كونه كُفراً يكون الكفر فيه بمعنى الأرتداد عن فطرة والمرتد عن فطرة لا تقبل توبتها على الأقوى فى هذه الدنيا بل لا بد من ان يقتل فكيف يصح قولهم ثبت أو اشهد على نفسك بالكفر ثم ثبت منه فهذا اى قول الخوارج كلام خال عن التحصيل وهو بكلام المجانين أشبهه.

هذا كله مضافا الى ان الامام كيف يعقل ان يصير كافراً بالله وبرسوله وهو الهادى الى سواء السبيل والداعى الى متابعة الحق الجليل ولأجل هذا قال ﷺ: □ قوله ﷺ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ..

اى لو شهدت على نفسى بالكفر واقرار العقلاء على انفسهم جازى لقد ضللت اذا اى حين شهادتى على نفسى بالكفر وما انا من المهتدين بالله وبرسوله وقد ثبت كونى اهتدائى برسول الله، هف.

□ قوله ﷺ: فَأَوْبُو شَرَّ مَا بٍ وَارْجِعُوا عَلَىٰ أَثَرِ الْعِقَابِ،....

قال الشارح الخوئى (قدّه) فى شرح هذا الكلام قيل هو امر لهم بالرجوع

والأباب الى الحق من حيث خَرَجُوا منه قهراً كان القاهر يضرب في وجوههم برُدِّهم على الأعقاب والرَّجوع هكذا شرَّ الأنواع، وقيل هو دعاء عليهم بالذل وانعكاس الحال ثم نقل عن المجلسي (قدّه) انه قال ويَحْتَمِل ان يكون الأمر على التَّهْدِيد كقوله تعالى: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ﴾^(١) انتهى ما قاله الشَّارِح اقول لا بأس بما ذكروه ولا سيَّما الثَّانِي من المعاني الثلاثة اعنى الدَّعاء عليهم بالذل وانعكاس الحال كما انهم كانوا كذلك بعد ذلك اليوم وبعد شهادته ويؤيد هذا المعنى ما قاله عليه السلام بعد هذا الكلام وهو قوله عليه السلام: **أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ الْخ...**

□ قوله عليه السلام: **أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا وَسَيْفًا قَاطِعًا وَآثِرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ مِنْكُمْ سُنَّةً...**

اخبر عليه السلام: بهذه الكلمات عن سوء حالهم بعد شهادته عليه السلام في حكومة معاوية وابنه يزيد وخلافة بني المروان وهكذا.

أما أولاً: فبالذل الشَّامِل لجميعهم بحيث لم يخرج منه احد منهم بكونهم مُتَشَتِّين في البلاد والأمصار والبرارى والأصْحار خوفاً من الحُكَّام. وثانياً: بالسَّيف القاطع، وذلك لأنهم كلَّما وُجِدوا واقتلوا ونُهَبوا وأسروا. وثالثاً: بالآثِرَة التى يتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فيهم سُنَّةً وذلك لأنَّ الظَّالِمِينَ قَتَلُوهُمْ وَشَرَّدُوهُمْ في البلاد والجبال ولم يعطوهم من الغنائم شيئاً فكانهم أخرجوهم من المُسْلِمِينَ رأساً ولم يَنْظُرُوا اليهم بعين الأنسان والبشْر فضلاً عن الاسلام وانت اذا تأملت التواريخ وأمعت النظر فيها لعلمت ان ما اخبر عليه السلام به فى حقهم كانت واقعة بلازِيادة ونقيصة ولا سيَّما فى حكومة الحجاج ومقاتلتهم مع المهلب وابتلائهم بالقتل، والأستِيصال بحيث لم يبق منهم عين ولا اثر وتفصيل هذه الوقايح مَسْطُورَة فى التواريخ. وقد اشار الشَّارِح المَعْتزَلِي فى شرحه الى شَطْرٍ مِنْهُ من اراد الاطلاع فليراجع اليه او اليها.

﴿ومن خطبة له﴾ (٥٨)

□ قوله ﷺ: مَصَارِعُهُمْ دُونَ النَّطْفَةِ، وَاللَّهِ لَا يُقِلُّ مِنْهُمْ عَشْرَةً، وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشْرَةً،...

◁ اللُّغَةُ

(مَصَارِعُهُمْ) مصارع جمع مَصْرَعٍ كمساجد جمع مَسْجِدٍ والمَصْرَعُ موضع الصَّرْع وهو الطَّرْحُ على الأرض والمراد بالمصارع هنا مواضع قتلهم وهلاكهم. (النُّطْفَةُ) الماء الصَّافِي قَلَّ أو كَثُرَ والمقصود بها في المقام هو ماء النَّهْرِ وان على ما ذكره الرُّضِيُّ (قَدَّه). (يُقِلُّ) من أَفَلَّتْ يُفَلَّتْ افلاتا وهو التَّخْلِيصُ من الشَّيْءِ فجاءةً.

◁ المعنى

(مَصَارِعُهُمْ) أي مصارع الخوارج ومواضع قتلهم (دُونَ النَّطْفَةِ) أي دون النَّهْرِ (والله) أقسم بالله (لَا يُقِلُّ) أي لا ينجي منهم أي من الخوارج. (عَشْرَةً) بل يُنْجِي مِنْهُمْ دُونَهَا. (وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ) أي لا يقتل منكم في القتال معهم (عَشْرَةً) أي يقتل منكم أقل منها.

روى أنه ﷺ لما أخرج إلى النهروان لقتال الخوارج جاءه رجل من أصحابه فقال البشري يا امير المؤمنين ان القوم قد عبروا النهر لما بلغهم ووصولك فقال ﷺ أنت رأيتهم قد عبروا فقال نعم فقال ﷺ والله ما عبروه ولن يعبروه وان مصارعهم دون النطفة الخ ثم جاء ﷺ من أصحابه واحد بعد واحد كلهم يخبره بما أخبره الاول فركب ﷺ وسار الى النهر ليتبين لهم صدق ما أخبر به فوجد القوم لم يعبروا والنهر وقد كسروا جفون شيوخهم وعرقبوا خيولهم وختوا على الزكب وحكموا تحكيمه واحدة بصوت عظيم له زجل.

وروى ان شاباً من أصحابه قال في نفسه حين حكم ﷺ بما حكم من أمرهم وسار الى النهر لسان صدق حكمه والله لا كونن قريباً منه فإن كانوا عبروا والنهر لأجعلن سنان رُمحي في عينه أيدعي علم الغيب فلما وجدهم لم يعبروا نزل عن فرسه وأخبره بما روى في نفسه وطلب منه ان يغفر له فقال ان الله هو الذي يغفر الذنوب جميعاً فاستغفره كذا قال المحقق البحراني في شرحه.

□ قوله ﷺ: مَصْرِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ الى آخر كلامه...

اشار ﷺ بكلامه هذا الى امور ثلاثة وقد وقع كلها كما اخبر بها احدها - كون مصارع اهل النهروان دون النهر وهو كان كذلك وثانيها اخبر ﷺ بأنه لا يفتل منهم اي من الخوارج عشرة وهو ايضاً كان كذلك كما روى انه لما قتلهم وجد والمثقت منهم تسعة. وثالثها - أخبر أصحابه بأنه لا يهلك منهم عشرة وهو ايضاً كان كما أخبر به فانهم وجد والمقتولين من أصحابه ثمانية صدق ولي الله ﷺ.

ثم انا قد ذكرنا قصة الخوارج مفصلاً وان منشائهم كان من وقعه صفين وقصة الحكمين وفي المقام نشير الى امور لم نذكره هناك.

الاول: انه كان مأموراً من الله ورسوله بقتل الخوارج كما كان مأموراً بقتل التاكثين والقاسطين ويدل عليه ما رواه غير واحد من العامة والخاصة في اخبار الرسول ﷺ آياه بقتالهم.

فمنها - مارواه المفيد باسناده عن امير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي ان الله تعالى امرني ان اتخذك اخاً ووصياً فانْتَ اُخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيْفَتِي عَلٰى اَهْلِى فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَوْتِي مَنْ اَتَّبَعَكَ فَقَدْ تَبِعَنِي وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْكَ فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنِّي وَمَنْ كَفَرَ بِكَ فَقَدْ كَفَرَ بِي وَمَنْ ظَلَمَكَ فَقَدْ ظَلَمَنِي يَا عَلِيَّ اَنْتَ مِنِّي وَاَنَا مِنْكَ لَوْلَا اَنْتَ لَمَا قُوْتَلُ اَهْلُ النَّهْرِ فَقُلْتُ يَا رَسُوْلَ اللهِ وَمِنْ اَهْلِ النَّهْرِ قَالَ قَوْمٌ يَمْرُقُوْنَ مِنَ الْاِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ، اَنْتَهَى «بحار الانوار ج ٨ ص ٥٩٦ ط كمياني»...

ومنها - مارواه ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قَسَمَ يَوْمًا قِسْمًا فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ تَمِيْمٍ اِعْدِلْ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم وَيْحَكَ وَمَنْ يَّعْدِلُ اِذَا لَمْ اَعْدِلْ، قِيلَ نَضْرِبُ عُنُقَهُ قَالَ صلى الله عليه وسلم لَا اِنَّ لَهُ اَصْحَابًا يَحْقِرُ اَحَدَكُمْ صَلَوَتَهُ وَصِيَامَهُ مَعَ صَلَوَاتِهِمْ وَصِيَامِهِمْ يَمْرُقُوْنَ مِنَ الدِّيْنِ مُرُوْقُ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَةِ رُئِيْسُهُمْ رَجُلٌ اِدْعَجَ اَحَدٌ تَدْيِيَهُ مِثْلَ ثَدْيِ الْمِرْثَةِ قَالَ أَبُو سَعِيْدٍ اِنِّي كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ عليه السلام حِيْنَ قَتَلْتَهُمْ وَالتَّمَسَ فِي الْقَتْلِ بِالنَّهْرِ وَان فَاتِي بِهِ عَلِيٌّ النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَهُ رَسُوْلُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، اَنْتَهَى «ص ٥٩٦»...

ومنها - ما عن مسند ابي داود وهو من اعيان العامة وكتابه من اصح كتبهم عن ابي سعيد الخدري وانس ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيكون في اُمتي اختلاف وُفُرْقَةٌ قَوْمٌ يَحْسِنُوْنَ الْقِيْلَ وَيُسَيِّئُوْنَ الْفِعْلَ يَقْرَؤُنَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ يَمْرُقُوْنَ مِنَ الدِّيْنِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ طُوْبِي لِمَنْ قَتَلْتَهُمْ وَقَتْلُوهُ يَدْعُوْنَ اِلَى كِتَابِ اللهِ وَلَيْسَ مِنْهُ فِي شَيْءٍ مِّنْ قَاتَلْتَهُمْ كَانَ اَوْلٰى بِاللّٰهِ مِنْهُمْ اَنْتَهَى «ص ٥٩٧»...

ومنها - ما عن صحيح مسلم ووافقه ابو داود بسندهما عن زيد ابن وهب انه كان في الجيش الذي كانوا مع علي قال علي ايها الناس اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ اُمَّتِي يَقْرَؤُنَ الْقُرْآنَ لَيْسَ قِرَائَتُكُمْ اِلَى قِرَائَتِهِمْ بِشَيْءٍ وَلَا صَلَوَاتُكُمْ اِلَى صَلَوَاتِهِمْ بِشَيْءٍ وَلَا صِيَامُكُمْ اِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ

يَقْرُونَ الْقُرْآنَ وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ لَإِيْجَازٍ قِرَائَتِهِمْ تَرَاقِيْهِمْ
يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ
يُصِيبُونَهُمْ مَا قَضَى لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ لِنَكْلِهِ عَنِ الْعَمَلِ وَآيَةٌ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ
رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ لَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ عَلَى عَضُدِهِ مِثْلُ حَلْمَةِ النَّدَى عَلَيْهِ شَعْرَاتٌ بَيْضٌ
فَتَذْهَبُونَ إِلَى مَعَاوِيَةَ وَاهْلِ الشَّامِ وَتَتْرَكُونَ هَؤُلَاءِ يُخَلْفُونَكُمْ فِي ذُرَارِيكُمْ
وَأَمْوَالِكُمْ وَاللَّهِ أَنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ
وَإِغَارُوا عَلَى سُرْحِ النَّاسِ فَسَيِّرُوا قَالَ سَلْمَةُ فَتَزَلْنِي زَيْدُ ابْنِ وَهَبٍ مَنْزِلًا قَالَ
مَرَرْنَا عَلَى قَنْطَرَةٍ فَلَمَّا التَّقِينَا وَعَلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ وَهَبِ الرَّاسِبِيُّ
فَقَالَ لَهُمُ الْقَوَا الرَّمَاحَ وَسَلُّوا السُّيُوفَ مِنْ جُفُونِهَا فَاتَى أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوَكُمْ
كَمَا نَاشَدَوْكُمْ أَيَّامَ حَرُورَاءَ فَرَجُّعُوا فَوَحِّشُوا بِرِمَاحِهِمْ وَسَلُّوا السُّيُوفَ
وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ بِالرَّمَاحِ قَالَ وَقَتَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ مَا أُصِيبُ يَوْمَئِذٍ مِنْ
النَّاسِ إِلَّا رَجُلَانِ فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام أَلْتَمَسُوا فِيهِمُ الْمُخَدَجَ وَهُوَ النَّاقِصُ فَلَمْ
يَجِدُوهُ فَقَامَ عَلِيٌّ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَتَى نَاسًا وَقَدْ قَتَلَ بَعْضُهُمْ قَالَ أَخْرَجُوهُمْ
فَوَجَدُوهُ مَمَّالِي الْأَرْضِ فَكَبَّرَ ثُمَّ قَالَ صَدَقَ اللَّهُ وَبَلَغَ رَسُولُهُ قَالَ فَقَامَ إِلَيْهِ
عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَسْمَعَتْ هَذَا
الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ أَيْ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا
وَهُوَ يَحْلِفُ لَهُ. انْتَهَى «ص ٥٩٧»...

الثَّانِي: أَنَّ مَا أَخْبَرَ بِهِ عليه السلام فِي الْمَقَامِ فَإِنَّمَا أَخْبَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَهُوَ عَنْ
اللَّهِ تَعَالَى وَذَلِكَ لِإِمَارَتِهِ أَنْ عَلِيًّا عليه السلام لَمَّا سَارَ إِلَى النَّهْرَوَانِ شَكََّ رَجُلٌ لَهُ
جَنْدَبٌ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ أَلْزَمْنِي وَلَا تُفَارِقْنِي فَلَزِمَهُ فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ قَنْطَرَةِ النَّهْرَوَانِ
نَظَرَ عَلِيٌّ عليه السلام قَبْلَ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى قَبْرِ يُوذُنَةَ بِالصَّلَاةِ فَنَزَلَ فَقَالَ آيَتُنِي
بِمَاءٍ فَقَعَدَ يَتَوَضَّأُ فَأَقْبَلَ فَارِسَ وَقَالَ قَدْ عَبَّرَ الْقَوْمَ فَقَالَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام
مَا عَبَّرُوا وَلَا يَعْبُرُونَهَا وَلَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ إِلَّا دُونَ الْعَشْرَةِ وَلَا يَقْتُلُ مِنْكُمْ إِلَّا دُونَ
الْعَشْرَةِ وَاللَّهِ مَا كَذَّبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ فَتَعَجَّبَ النَّاسُ فَقَالَ جَنْدَبُ إِنَّ صَحَّ مَا قَالَ

عَلَى فَلَاحْتِاجُ إِلَى دَلِيلٍ غَيْرِهِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذَا قَبِلَ فَارِسٌ فَقَالَ يَا
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقَوْمُ عَلَيَّ مَا ذَكَرْتَ لَمْ يَعْتَبِرُوا الْقَنْطَرَةَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ
 الظَّهْرَ وَأَمَرَهُمْ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ قَالَ جُنْدٌ قَلْتُ لَا يَصِلُ إِلَى الْقَنْطَرَةِ قَبْلِي أَحَدٌ
 فَرَكضْتُ فَرَسِي فَأَذَاهُمْ دُونَ الْقَنْطَرَةِ وَقَوَّفْتُ فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ زَمَى فَقَتَلُوا كُلَّهُمْ
 إِلَّا تِسْعَةً وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِنَا تِسْعَةٌ، ثُمَّ قَالَ عَلِيُّ أَطْلُبُوا ذَا التَّدْيَةِ فَطَلَبُوهُ فَلَمْ
 يَجِدُوهُ فَقَالَ أَطْلُبُوهُ فَوَاللَّهِ مَا كَذِبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ ثُمَّ قَامَ فَرَكَبَ الْبَغْلَةَ نَحْوَ قَتْلِي
 كَثِيرٌ فَقَالَ أَطْلُبُوهَا فَاسْتَخْرَجُوا ذَا التَّدْيَةِ فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَجَّلَكَ إِلَى النَّارِ وَقَدْ كَانَ
 الْخَوَارِجُ خَرَجُوا عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ بِجَانِبِ الْكُوفَةِ فِي حَرُورَاءَ وَكَانُوا إِذْ ذَاكَ اثْنَيْ
 عَشَرَ أَلْفًا قَالَ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِزَارِهِ وَرِدَائِهِ رَاكِبًا الْبَغْلَةَ فَقِيلَ
 الْقَوْمُ شَاكُونَ فِي السَّلَاحِ أَتَخْرُجُ إِلَيْهِمْ كَذَلِكَ قَالَ إِنَّهُ لَيْسَ بِيَوْمٍ قِتَالِهِمْ وَصَارَ
 إِلَيْهِمْ بِحَرُورَاءَ وَقَالَ لَهُمْ لَيْسَ الْيَوْمَ أَوْانَ قِتَالِكُمْ وَسَتَفْتَرِقُونَ حَتَّى تَصِيرُوا
 أَرْبَعَةَ الْأَلْفِ فَتَخْرَجُونَ عَلَيَّ مِثْلَ هَذَا الْيَوْمِ فِي مِثْلِ هَذَا الشَّهْرِ فَأَخْرَجَ إِلَيْكُمْ
 بِأَصْحَابِي فَأَقَاتَلَكُمْ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا دُونَ الْعَشْرَةِ وَيُقْتَلُ فَأَخْرَجَ إِلَيْكُمْ
 بِأَصْحَابِي فَأَقَاتَلَكُمْ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا دُونَ الْعَشْرَةِ وَيُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِي
 يَوْمَئِذٍ دُونَ عَشْرَةٍ هَكَذَا أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَبْرَحْ مِنْ مَكَانِهِ حَتَّى تَبَرَّأَ
 بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَتَفَرَّقُوا إِلَى أَنْ صَارُوا أَرْبَعَةَ الْأَلْفِ بِالنَّهْرِ وَأَنْ...

وَرَوَى أَيْضًا عَنْ جُنْدِبِ بْنِ زَهْرٍ الْأَزْدِيِّ قَالَ لَمَّا فَارَقَتِ الْخَوَارِجُ عَلِيًّا
 خَرَجَ إِلَيْهِمْ وَخَرَجْنَا مَعَهُ فَانْتَهَيْنَا إِلَى عَسْكَرِهِمْ فَأَذَا لَهُمْ دَوِيٌّ كَدَوِيٍّ النَّحْلِ
 فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَفِيهِمْ أَصْحَابُ الْبِرَانِسِ وَذُو التَّقْنَاتِ فَلَمَّا رَأَيْتَ ذَلِكَ دَخَلَنِي
 شَكٌّ فَتَنَحَّيْتُ وَنَزَلْتُ عَنْ فَرَسِي وَرَكَزْتُ رُمْحِي وَوَضَعْتُ تَرْسِي وَنَثَرْتُ
 عَلَيْهِ بِرَعِي وَقَسَمْتُ أَصْلِي

وَأَنَا أَقُولُ: فِي دَعَائِي اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ قِتَالُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ رِضًا لَكَ فَأَرِنِي مِنْ
 ذَلِكَ مَا أَعْرِفُ بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ وَإِنْ كَانَ لَكَ سَخَطًا فَاصْرِفْ عَنِّي إِذَا قَبِلَ عَلَيَّ قَنْزَلٌ
 عَنْ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَقَامَ يُصَلِّي إِذَا جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ قَطَعُوا النَّهْرَ ثُمَّ جَاءَ آخِرُ

يَشْتَدُّ بِهِ دَابَّتَهُ فَقَالَ قَطَعُوهُ وَذَهَبُوا فَقَالَ امِير الْمُؤْمِنِينَ مَا قَطَعُوهُ وَلَا يَقْطَعُونَ بِهِ وَلَيُقْتَلَنَّ دُونَ النُّطْفَةِ عَهْدٌ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَقَالَ لِي يَا جَنْدَبُ تَرَى التَّلَّ قُلْتَ نَعَمْ قَالَ ﷺ رَسُولُ اللَّهِ حَدَّثَنِي أَنَّهُمْ لَيُقْتَلُونَ عِنْدَهُ ثُمَّ قَالَ أَنَا نَبِيعْتُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا يَدْعُوهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ فَيُرْشِقُونَ وَجْهَهُ بِالنَّبْلِ وَهُوَ مَقْتُولٌ قَالَ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَوْمِ فَإِذَا هُمْ فِي مَعَسَكِرِهِمْ لَمْ يَبْرَحُوا وَلَمْ يَتْرَحُوا فَنَادَى النَّاسُ وَضَمَّحَهُمْ ثُمَّ أَتَى الصَّفَّ وَهُوَ يَقُولُ مَنْ يَأْخُذُ هَذَا الْمُصْحَفَ فَيَمْشِي بِهِ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَهُوَ مَقْتُولٌ وَلَهُ الْجَنَّةُ فَمَا أَجَابَهُ أَحَدٌ إِلَّا شَابٌّ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ فَلَمَّا رَأَى حَدَاثَةَ سِنِّهِ قَالَ لَهُ ارْجِعْ إِلَى مَوْقِفِكَ ثُمَّ أَعَادَ ﷺ فَمَا أَجَابَهُ أَحَدٌ إِلَّا ذَلِكَ الشَّابُّ قَالَ ﷺ خُذْهُ أَمَا إِنَّكَ مَقْتُولٌ فَمَشَى بِهِ حَتَّى إِذَا أَدْنَا مِنَ الْقَوْمِ حَيْثُ يُسْمَعُهُمْ نَادَاهُمْ فَرَمُوا وَجْهَهُ بِالنَّبْلِ فَاقْبَلْ عَلَيْنَا وَوَجْهَهُ كَالْقَنْفُذِ فَقَالَ عَلِيُّ ﷺ دُونَكُمْ الْقَوْمُ فَخَمَلْنَا عَلَيْهِمْ قَالَ جَنْدَبُ زَهَبَ الشُّكُّ عَنِّي وَقَتَلْتُ بِكَفِّي ثَمَانِيَةَ وَلَمَّا قُتِلَ الْخَرُورِيَّةُ قَالَ عَلِيُّ التَّمَسُّوا فِي قِتَالِهِمْ رَجُلًا مَخْذُوجًا إِحْدَى يَدَيْهِ مِثْلَ تَدَى الْمِرْثَةِ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَقَامَ ﷺ فَأَمْرَبَهُمْ وَقَلَّبَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَإِذَا حَبَشِيٌّ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ تَدَى الْمِرْثَةِ عَلَيْهِ شَعْرَاتُ كَسْبَالِ السَّنُورِ فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ مَعَهُ وَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ لَوْلَا أَن تَتَكَلَّمُوا لِحَدِّثِكُمْ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ لَمَنْ قَاتَلَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ انْتَهَى، وَالحَدِيثَانِ كِلَاهُمَا مَرْوِيَّانِ عَنِ «الْبَحَارِجِ» ص ٨٠ (٦١٠)...

والى هذين الحديثين اشار ﷺ بقوله مَضْرَعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ إِلَى آخِرِ الْخُطْبَةِ فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَخْبَرَهُ بِهِ.

﴿وقال عليه السلام (٥٩)﴾

□ قوله ﷺ: كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ نَطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ، كَلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَائِيْنًا، انتهى...

◀ اللّغة

(نُطَفٌ) بَضَمَ التُّونَ وَفَتَحَ الطَّاءَ جَمَعَ نُطْفَةً كغُرْفٍ وَغُرْفَةٌ. (أَصْلَابِ) جَمَعَ صُلْبٍ. (قَرَارَاتِ) جَمَعَ قَرَارٍ وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا الْأَرْحَامُ. (نَجَمَ) مِنْ بَابِ نَصَرَ أَيْ ظَهَرَ وَطَلَعَ. (قَرْنٌ) بِسُكُونِ الرَّاءِ وَفَتَحَ الْقَافَ الرَّدَقُ مِنَ الْحَيَوَانَ وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ وَرئِيسُهُمْ. (اللُّصُوصُ) جَمَعَ لُصٍّ مَثَلثَةً. (سَلَائِيْنًا) السَّلْبِ الْأَخْتِلَاسِ.

◀ المعنى

لَمَّا قَالُوا لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْكَ الْقَوْمَ أَعْنَى الْخَوَارِجِ بِأَجْمَعِهِمْ قَالَ فِي جَوَابِهِمْ (كَلَّا) أَيْ لَيْسَ كَذَلِكَ (وَاللَّهِ) أَقْسَمُ بِاللَّهِ. (إِنَّهُمْ) أَيْ الْخَوَارِجُ (نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ) وَارْحَامَهُنَّ (كَلَّمَا نَجَمَ) أَيْ طَلَعَ وَظَهَرَ (مِنْهُمْ) أَيْ مِنَ الْخَوَارِجِ. (قَرْنٌ) أَيْ شَاخِصٌ وَرئِيسٌ (قُطِعَ) وَقَتْلٌ (حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلَائِيْنًا)، أَيْ قُطَاعاً لِلطَّرِيقِ.

□ قوله ﷺ: كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ نَطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ...
 كَلَّا، رَدَعٌ وَزَجْرٌ وَابْطَالٌ لقول القائل وذلك نقيض (إي) فى الأثبات قال الله تعالى أفرأيت الذى كَفَرَ الى قوله تعالى: كَلَّا و قال تعالى: ﴿لَعَلَىٰ أَعْمَلٍ ضَالِحاً﴾
 فيما تزكت كَلَّا^(١) و: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ وامثالها من الآيات.

و لما قالوا له يا امير المؤمنين قُتِلَ القوم بأجمعهم رَدَعَهُم وَزَجَرَهُم بقوله ﷺ: كَلَّا، اى لَيْسَ الأمر على ما زَعَمْتُمْ فانهم لم يُقْتَلُوا ولم يُهْلَكُوا بأجمعهم ثم قال ﷺ: والله انهم الخ، صَدَّرَ الجواب بواو القسم مع الجلالة للأشعار بان ما أخبره ﷺ اياهم حق لا مريية فيه وهو انهم اى الخوارج نَطَفٌ فى اصلاب الرجال وقرارات النساء.

قالوا فى شرح هذا الكلام المقصود بالرجال فى كلامه هو الذين لم يُقْتَلُوا فى المعركة وهم تسعة نَفَرٍ على ما مرَّ فَتَفَرَّقُوا فى البلاد وشاعت بدعهم فيها وصاروا نحواً من عشرين فرقة وكبارها سِتٌّ وقيل سبع.

احديها المَحَكِّمة: وهم الذين خَرَجُوا على امير المؤمنين عند التحكيم وكَفَرُوا وهم اثنى عشر الف رجل كانوا اهل صلوة وصيام وفيهم قال النبى يحقر صلوة أحدكم فى جنب صلوتهم وصوم أحدكم فى جنب صومهم، ولكن لا يجاوز ايمانهم تراقبهم قالوا من نُصِبَ من قُرَيْشٍ وغيرهم وَعَدَلٌ فيما بين الناس فهو امام وان غَيْرَ السَّيِّرة وَجَارَ وَجَبَ ان يُعزَلِ او يُقْتَلِ وَلَمْ يُؤْجَبُوا نَصَبَ الأمام وَجَوَزُوا ان لا يكون فى العالم امام وكَفَرُوا عُثْمَانُ واكثر الصحابة ومُرتكب الكبيرة.

وثانيتها البهيسية: اصحاب ابى بيهس هصيم ابن جابر وكان بالحجاز وقتل فى زمن الوليد قالوا الأيمان هو الأقرار والعلم بالله وبما جاء به الرسول فمن وَقَعَ فيما لا يعرف، حلال هو ام حرام فهو كافر لوجوب الفحص عليه حتى

يعلم الحق وقيل لا يكفر حتى يرجع امره الى الامام فيحده وكلما ليس فيه حد فمغفور وقيل لاحرام الآ ما فى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيهَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾^(١) وقالوا اذا كفر الامام كفرت الرعية حاضراً او غائباً وقال بعضهم السكر من شراب حلال لا يؤخذ صاحبه انتهى.

وثالثها الأزارقة: اصحاب نافع ابن الأزرق وكانوا كبر الفرق غلبوا على الأهواز وبعض بلاد فارس وكرمان فى ايام عبدالله ابن زبير وهم فى ثلاثين ألف فارس فانفذ اليهم الملهب ولم يزل فى حربهم هو واولاده تسع عشرة الى ان فرغ من امرهم فى ايام الحجاج مذهبهم انهم قالوا كفر على بالتحكيم وهو الذى أنزل فى شأنه. قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾^(٢) وابن ملجم مجوق فى قتله وهو الذى انزل فى شأنه ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾^(٣) كما قال شاعرهم:

يا ضربةً من تقى ما اراد بها إلا ليلغ من ذى العرش رضواناً
انى لأذكره يوماً فاحسبه او فى البرية عند الله ميزانا

وقالوا ايضا بكفر عثمان وطلحة والزبير وعائشة وابن عباس وسائر المسلمين معهم وحكموا بتخليد هم فى النار، وكفروا الذين قعدوا عن القتال وان كانوا موافقين لهم فى الدين وقالوا بتحريم التقية فى القول والعمل، ويجواز قتل اولاد المخالفين ونسائهم وانه لارجم على الزانى المحصن اذ هو غير مذكور فى الكتاب، والمرثه اذا قذفت أحداً لا تحدد لان المذكور فى القرآن صيغة (الدين) وهى للمذكر وجوزوان يكون النبى كافراً وان كان بعد النبوة ومرتكب الكبيرة كافر.

ورابعها النجدات: نسبتهم الى نجدة ابن عامر النخعى وكان معه اميران يقال

لأحد هما عَطِيَّة وللآخر ابو فديك وصار لكل منهما جمع عظيم وقتلا في زمن
عبدالملك وهم افترقوا من حيث المذهب الى فرق عديدة.

منها العاذرية: وهم الذين عذروا الناس في الجهالات بالفروع وذلك ان
نجدة وجد لعنه الله بجيش الى اهل القطيف وأسرو نسايتهم ونكحوهن قبل
القسمة واكلوا من الغنيمة قبلها ايضاً فلما رجعوا الى نجدة، وأخبروه بما فعلوا
قال لم يسعكم ما فعلتم فقالوا لم نعلم انه لايسعنا فعذروهم بجهالتهم وقال
النجدات كلهم لاحاجة للناس الى الامام بل الواجب عليهم رعاية النصفه فيما
بينهم ويجوز لهم نصبه اذا توقفت عليه الامور وخالفوا الازارقه غير التكفير.

ومنها الأصغرية: اصحاب زياد ابن الأصغر يخالفون الازارقه في تكفير من
قعد عن القتال اذا كانوا موافقين لهم في الدين وفي اسقاط الرجم فانهم لم
يسقطوه وجوزوا التقيية في القول دون العمل وقالوا المعصية الموجهة للحد
لايسمى صاحبها الا بها فيقال سارق مثلاً ولا يقال كافر وما لاحد فيه لعظمته
كثر الصلوة والصوم يقال لصاحبه كافر.

وخامستها الاباضية: نسبتهم الى عبدالله ابن اباض كان في ايام مروان ابن
محمد فوجه اليه عبدالله ابن محمد ابن عطية فقاتله وقتله وهؤلاء ذهبوا الى ان
مخالفينا من اهل القبلة كفار غير مشركين يجوز مناكحتهم، وغنيمة اموالهم
حلال عند الحرب دون غيره ودارهم دار الاسلام الا معسكر سلطانهم
ومرتكب الكبيرة مؤحداً غير مؤمن ببناء على ان الاعمال داخله في الايمان
وفعل العبد مخلوق لله تعالى ومرتكب الكبيرة كافر نعمه لا كافر ملة وتوقفوا
في النفاق اهو شرك ام لا وكفروا علياً واكثر الصحابة وتحت هذه الفرقة ايضاً
فرق عديدة.

منها الحفصية: نسبتهم الى ابي حفص ابن ابي المقدم وزادوا على الاباضية
ان بين الايمان والشرك معرفة الله تعالى فانها خصلة متوسطة بينهما فمن عرف
الله تعالى وكفر بما سواه من رسول او جنه او نار او بارتكاب كبيرة فكافر

لامشرك.

ومنها البيزيدية: أصحاب يزيد ابن أنيسة زادوا على الأباضية بقولهم انه سَيَّبَعَتْ نَبِيٌّ مِنْ الْعَجْمِ بَكْتَابَ يَكْتُبُ فِي السَّمَاءِ وَيُنزِلُ جَمَلَةً وَاحِدَةً وَيَتْرِكُ شَرِيعَةَ مُحَمَّدٍ إِلَى مَلَّةِ الصَّابِيَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْقُرْآنِ وَقَالُوا اصْحَابُ الْحُدُودِ مُشْرِكُونَ وَكُلُّ ذَنْبٍ شَرِكٌ صَغِيرَةٌ كَانَتْ أَوْ كَبِيرَةٌ.

ومنها الحارثية: اصحاب ابى الحارث الأباضى خالفوا الأباضية فى القدر اى كون افعال العباد مخلوقة منه تعالى وفى كون الاستطاعة قبل الفعل.

وسادستها العجاردة: اصحاب عبد الكريم ابن عجرّد زعموا ان العبد اذا اتى بما أمر به ولم يقصد الله كان ذلك طاعة وقالوا ايضا بوجوب التبرى عن الطفل حتى يدعى الإسلام بعد البلوغ ويجب دعائه الى الإسلام اذا بلغ وهذه الفرقة ايضا أفترقوا.

منها الميمونية: اصحاب ميمون ابن عمران قالوا باسناد الفعل الى قدر العباد وبكون الاستطاعة قبل الفعل وان الله يريد الخير دون الشر ولا يريد المعاصى كما هو مذهب المعتزلة قالوا واطفال الكفار فى الجنة، ويروى منهم تجويز نكاح البنات للبنين والبنات للبنات وجوزوا ايضا نكاح بنات البنين وبنات البنات وبنات اولاد الأخوة والأخوات ونقل عنهم انكار سورة يوسف لزعمهم انها قصة من القصص ولا يجوز ان تكون قصة العشق قرآنا

ومنها الحمزية: نسبتهم الى حمزة ابن ادرك وافقوا الميمونية فى البدع الا انهم قالوا اطفال الكفار فى النار.

ومنها الشعيبية: نسبتهم الى شعيب ابن محمد وهم كالميمونية فى البدع الا فى القدرة.

ومنها الحازمية: نسبتهم الى حازم ابن عاصم وافقوا الشعيبية ويحكى انهم يتوقفون فى امر علي ولا يصرحون بالبرائة منه كما يصرحون بالبرائة من غيره.

ومنها الخلفية: اصحاب خلف الخارجى وهم خوارج كرمان اضافوا القدر

خَيْرُهُ وَشَرَّهُ إِلَى اللَّهِ وَحَكَمُوا بَأْنَ اَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ فِي النَّارِ بِلَا عَمَلٍ وَشُرَكَ.
ومنها الأَطْرَافِيَّةُ: وهم على مذهب حَمَزَةَ وورثيسهم رجل من سَجِسْتَانِ
يَقَالُ لَهُ غَالِبٌ لِأَنَّهُمْ قَالُوا بِمَعْدُورِيَّةِ أَهْلِ الْأَطْرَافِ فِيمَا لَمْ يَعْرِفُوهُ مِنَ الشَّرِيعَةِ
إِذَا اتُّو بِمَا يُعْرَفُ لَزُومِهِ مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ وَوَأَفْقُوا أَهْلَ السَّنَةِ فِي أَصُولِهِمْ.
ومنها المَعْلُومِيَّةُ: وهم كَالْحَازِمِيَّةِ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ عِنْدَهُمْ مِنْ عَرَفَ اللَّهُ بِجَمِيعِ
أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ كَذَلِكَ فَهُوَ جَاهِلٌ لِأَمُومِينَ وَفَعَلَ الْعَبْدَ مَخْلُوقٌ
لِلَّهِ تَعَالَى.

ومنها المَجْهُوْلِيَّةُ: ومذهبهم كَمَذْهَبِ الْحَازِمِيَّةِ أَيْضاً لِأَنَّهُمْ قَالُوا يَكْفَى
الْمَعْرِفَةَ بِبَعْضِ أَسْمَائِهِ فَمَنْ عَلِمَهُ كَذَلِكَ فَهُوَ عَارِفٌ بِهِ وَفَعَلَ الْعَبْدَ مَخْلُوقٌ لَهُ.
ومنها الصَّلْتِيَّةُ: نسبتهم إلى عثمان ابن أبي الصَّلْتِ وهم كَالْعَجَارِدَةِ لَكِنْ قَالُوا
مَنْ أَسْلَمَ وَأَسْتَجَارَ بِنَا تَوْلِينَا وَتَبَرَّأْنَا مِنْ اَطْفَالِهِ حَتَّى يَبْلُغُوا فَيَدْعُوا إِلَى الْأَسْلَامِ
فَيَقْبَلُوا.

وسابعتها الثَّعَالِبِيَّةُ: وربما عدَّت هذه من فرق العَجَارِدَةِ فَيَكُونُ الْفَرْقُ الْكِبَارُ
سِتًّا، وَبَعْضُهُمْ جَعَلَهَا سِتًّا بِاسْقَاطِ الْمُحْكَمَةِ وَكَيْفَ كَانَ فَهْمُ أَصْحَابِ ثَعْلَبَةَ ابْنِ
عَامِرٍ قَالُوا بِوَلَايَةِ الْأَطْفَالِ صَغَاراً كَانُوا أَوْ كِبَاراً حَتَّى يَظْهَرَ مِنْهُمْ انْكَارُ الْحَقِّ بَعْدَ
الْبُلُوغِ وَنَقَلَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَرُونَ اخْتِذَ الزَّكَاةِ مِنَ الْعَبِيدِ إِذَا اسْتَعْنَوْا وَاعْطَايَهَا لَهُمْ إِذَا
أَفْتَقَرُوا وَهَؤُلَاءِ أَيْضاً تَفَرَّقُوا إِلَى أَرْبَعِ فِرْقٍ.

الأولى الأَخْنَسِيَّةُ: أصحاب الأَخْنَسِ ابْنِ قَيْسٍ وَامْتَازُولِ عَنِ الثَّعَالِبَةِ بَانَ
تَوَقَّفُوا فِيمَنْ هُوَ فِي دَارِ التَّقِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ فَلَمْ يَحْكُمُوا عَلَيْهِ بِإِيمَانٍ وَلَا كُفْرٍ
وَنُقِلَ عَنْهُمْ تَجْوِيزُ نِكَاحِ الْمُسْلِمَاتِ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِهِنَّ.

الثانية المَعْبِدِيَّةُ: نسبتهم إلى مَعْبِدِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ خَالَفُوا الْأَخْنَسِيَّةَ فِي
تَزْوِيجِ الْمُسْلِمَاتِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَخَالَفُوا الثَّعَالِبَةَ فِي زَكَاةِ الْعَبْدِ إِذَا اخْتَذَهَا مِنْهُ
وَدَفَعَهَا إِلَيْهِ.

الثالثة الشَّيْبَانِيَّةُ: نسبتهم إلى شَيْبَانَ ابْنِ سَلْمَةَ قَالُوا بِالْجَبْرِ وَنَفَى الْقُدْرَةَ

الرابعة المَكْرَمِيَّة: نسبتهم الى مَكْرَم العجلى قالوا تارك الصلوة كافر لاترك الصلوة بل بجهله بالله فان من علم انه مُطَّلَع على سره وعَلَنه ومُجَازِيه على طاعته ومَعْصِيته لا يَتَصَوَّر منه الأقدام على ترك الصلوة وكذا كل كبيرة فان مُرتكبها كافرٌ بجهله بالله تعالى.

هذا ما ذكره الخوئي (قدّه) في شرحه وقبله المحقق البُحْرَانِي الآ ان ما ذكره الخوئي أبسط وعلى كل حالٍ فالشراح لم يَزِيدُوا على ما ذكره الخوئي ونحن نقلناه عن شرحه ونحن نقول وحيث انجزَّ الكلام الى البحث عن الخوارج فلا بد لنا ايضاً من التَّحْقِيق فيهم بحسب القُدرة والأستطاعة وانهم آينٌ وُجدوا وكَيْفَ نَشَاؤا وَمَن كان أولهم وسائر ما يَتَعَلَّق بهم فنقول قال الشهرستاني في الملل والنحل:

اعلم: ان أول من خَرَج على امير المؤمنين عليه السلام علي بن ابيطالب جماعة ممن كان معه في حَرْب صَفِيْن وأشدهم خُرُوجاً عليه ومُروِقاً من الدين الأشعث ابن قيس الكِنْدِي ومُسْعَر ابن فدكي التَّمِيمِي وزيد ابن حصن العَطَائِي حين قالوا القوم يدعوننا الى كتاب الله وانت تدعوننا الى السيف حتى قال انا أعلم بما في كتاب الله انفروا الى بَقِيَّة الأحزاب انفروا الى من يقول كَذَب الله ورسوله وانتم تقولون صدق الله ورسوله قالوا لَتَرْجِعَنَّ الأُشْتَر عن قتال المسلمين والآ لَنَفْعَلَنَّ بك فَعَلْنَا بعثمان فاضطرَّ الى رَدِّ الأُشْتَر بعد ان هزم الجَمْع وولوا مُدْبِرِينَ وما بقى منهم الا شِرْذِمَةٌ قليلة فيهم حشاشة قُوَّة فامتثل الأُشْتَر أمره وكان من امر الحَكَمِيْن ان الخوارج حَمَلُوهُ على التَّحْكِيم اُولاً وكان يُريد ان يبعث عبدالله ابن عباس فما رضى الخوارج بذلك وقالوا هو منك فحملوه على بعث ابي موسى الاشعري على ان يَحْكُمَا بكتاب الله فجرى الأمر على خلاف ما رضى به فلما لم يَرْضَ بذلك خَرَجَت الخوارج عليه وقالوا لِمَ حَكَمْتَ الرِّجَال لا حَكَمَ الآ لله وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان وكبار فرق

الأزارقة، والنَّجْدَات، والصَّفْرِيَّة، والعَجَارِدَة، والأَبَاضِيَّة، والشَّعَالِبَة، والباقون فُرُوعُهُمْ وَيَجْمَعُهُم الْقَوْلُ بِالتَّبْرِيِّ مِنْ عَثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَيُقَدِّمُونَ ذَلِكَ عَلَى كُلِّ طَاعَةٍ وَلَا يُصَحِّحُونَ الْمَنَاحِكَاتِ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ وَيَكْفُرُونَ أَصْحَابَ الْكِبَائِرِ وَيُرُونَ الْخُرُوجَ عَلَى الْإِمَامِ إِذَا خَالَفَ السَّنَةَ حَقًّا وَاجِبًا، ثُمَّ عَدَّ الشَّهْرِسْتَانِي الْفَرْقَ عَلَى مَا نَقَلْنَاهَا عَنْ شَرْحِ الْخَوْثِيِّ إِلَّا أَنْ مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ أَبْسَطَ وَاكْمَلَ مِمَّا ذَكَرَهُ (قَدَّهُ) وَلَا غَرَّ فِيهِ إِذْ هُوَ أَعْنَى الشَّهْرِسْتَانِي مِنْ مَهْرَةَ هَذَا الْفَرْقِ وَكُتَابَهُ مَوْضُوعٌ لَهُ فَهُوَ الْأَصْلُ الْمُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي امْتِثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ وَلِمَزِيدِ الْفَائِدَةِ نَقَلْنَا مَا ذَكَرَهُ حَتَّى تَعْلَمَ الْفَرْقَ تَفْصِيلًا وَتُحِيطَ بِعَقَائِدِهِمْ وَأَوْهَامِهِمْ الْبَاطِلَةَ السَّخِيفَةَ عَلَى التَّفْصِيلِ وَلَا تَحْتَاجُ فِي الْمَوْضُوعِ إِلَى كِتَابٍ آخَرَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْبَلُوغَ إِلَى الْغَايَةِ فِي كُلِّ مَبْحَثٍ مِنَ الْمَبَاحِثِ مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ فَنَقُولُ قَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ:

المُحَكَّمَةُ الْأُولَى: هُمُ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى إِمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ جَرَى أَمْرُ الْحَكَمِيِّينَ وَاجْتَمَعُوا بِحَزْرَوَاءَ مِنْ نَاحِيَةِ الْكُوفَةِ وَرَأْسِهِمْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْكُؤَاءِ وَعَتَابُ ابْنُ الْأَعُورِ، وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنُ وَهَبِ الرَّاسِبِيِّ، وَعَرُوةُ ابْنِ سُدَيْرٍ وَيَزِيدُ ابْنُ عَاصِمِ الْمُحَارِبِيِّ، وَحَرْقُوصُ ابْنِ زَهْرٍ الْمَعْرُوفِ بِذِي الثَّدْيَةِ وَكَانُوا يَوْمَئِذٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ أَهْلُ صِيَامٍ وَصَلَاةٍ اعْنَى يَوْمَ التَّهْرَوَانِ وَفِيهِمْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْقِرُ صَلَاةُ أَحَدِكُمْ فِي جَنْبِ صَلَاتِهِمْ وَصَوْمُ أَحَدِكُمْ فِي جَنْبِ صِيَامِهِمْ وَلَكِنْ لَا يَجَاوِزُ إِيْمَانَهُمْ تَرَاقِيهِمْ وَهُمْ الْمَارِقَةُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ سَيُخْرَجُ مِنْ ضَنْضِي هَذَا الرَّجُلُ قَوْمٌ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ وَهُمْ الَّذِينَ أَوْلَهُمْ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَأَخْرَهُمْ ذُو الثَّدْيَةِ وَإِنَّمَا خُرُوجُهُمْ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ عَلَى أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا - بِدَعْوَتِهِمْ فِي الْأَمَامَةِ إِذْ جَوَزُوا أَنْ تَكُونَ الْأَمَامَةُ فِي غَيْرِ قَرِيشٍ وَكُلِّ مَنْ يَنْصِبُونَهُ بِرَأْيِهِمْ وَعَاشَرَ النَّاسِ عَلَى مَا مَثَّلُوا لَهُ مِنَ الْعَدْلِ وَاجْتِنَابِ الْجَوْرِ كَانَ إِمَامًا وَمَنْ خَرَجَ عَلَيْهِ يَجِبُ نَصْبُ الْقِتَالِ مَعَهُ وَإِنْ غَيَّرَ السَّيْرَةَ وَعَدَّلَ عَنِ الْحَقِّ

وَجِبَ عَزْلُهُ أَوْ قَتْلُهُ وَهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ قَوْلًا بِالْقِيَاسِ وَجَوَّزُوا أَنْ لَا يَكُونَ فِي الْعَالَمِ
 إِمَامًا أَصْلًا وَأَنْ أَحْتِجَّ إِلَيْهِ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا أَوْ حُرًّا أَوْ نَبِطِيًّا أَوْ قَرَشِيًّا.
وَالْبَدْعَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّهُمْ قَالُوا أَخْطَاءَ عَلِيٍّ فِي التَّحْكِيمِ إِذْ حَكَّمَ الرِّجَالَ وَلَا
 حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى وَقَدْ كَذَبُوا عَلَى عَلِيٍّ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أحدهما: فِي التَّحْكِيمِ أَنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ وَلَيْسَ ذَلِكَ صِدْقًا لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ
 حَمَلُوهُ عَلَى التَّحْكِيمِ.

والثاني: أَنَّ تَحْكِيمَ الرِّجَالَ جَائِزٌ فَإِنَّ الْقَوْمَ هُمُ الْحَاكِمُونَ فِي هَذِهِ الْمَسْئَلَةِ
 وَهُمْ رِجَالٌ وَلِذَا قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام كَلِمَةً حَقِي أُرِيدُ بِهَا الْبَاطِلَ، وَتَخَطَّوْا عَنِ التَّخَطُّطِ
 إِلَى التَّكْفِيرِ وَلَعَنُوا عَلِيًّا عليه السلام فِيمَا قَاتَلَ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ، وَالْمَارِقِينَ وَمَا اغْتَنَمَ
 أَمْوَالَهُمْ وَمَا سَبَى ذُرَارِيَهُمْ وَنَسَائِهِمْ وَقَاتَلَ مَقَاتِلَةَ الْمَارِقِينَ وَاغْتَنَمَ أَمْوَالَهُمْ
 وَسَبَى ذُرَارِيَهُمْ وَطَعَنُوا فِي عَثْمَانَ لِلْأَحْدَاثِ الَّتِي عَدَّوْهَا عَلَيْهِ وَطَعَنُوا فِي
 أَصْحَابِ الْجَمَلِ وَأَصْحَابِ صِفِّينَ فَقَاتَلَهُمْ عليه السلام بِالنَّهْرَوَانَ مَقَاتِلَةً شَدِيدَةً فَمَا
 أَنْفَلَتْ مِنْهُمْ إِلَّا أَقْلٌ مِنْ عَشْرَةٍ وَمَا قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا أَقْلٌ مِنْ عَشْرَةٍ فَأَنْهَزَ
 اثْنَانِ مِنْهُمْ إِلَى عَمَّانٍ وَاثْنَانِ إِلَى كَرْمَانَ وَاثْنَانِ إِلَى سَجِسْتَانَ وَاثْنَانِ إِلَى الْجَزِيرَةِ
 وَاحِدٌ إِلَى تَلِّ مَوْزُونَ وَاثْنَانِ إِلَى الْيَمَنِ وَظَهَرَتْ يَدْعُ الْخَوَارِجِ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ
 مِنْهُمْ وَبَقِيَتْ إِلَى الْيَوْمِ.

وَأَوَّلُ مَنْ بُوِيَعَ بِالْإِمَامَةِ مِنَ الْخَوَارِجِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ وَهَبِ الرَّاسِبِيِّ فِي مَنْزِلِ زَيْدِ
 ابْنِ حِصْنِ بَايَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْكَوَاوِ عُرْوَةَ ابْنَ حَدِيرٍ وَيَزِيدَ ابْنَ عَاصِمِ الْمُحَارِبِيِّ
 وَجَمَاعَةٌ مَعَهُمْ وَكَانَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمْ تَحْرُجًا وَيَسْتَقِيلُهُمْ وَيَوْمِي إِلَى غَيْرِهِمْ
 تَحْرُزًا فَلَمْ تَصْغُرُوا إِلَّا بِهِ وَكَانَ يُوصَفُ بِرَأْيٍ وَنَجْدَةٍ فَبَرَاءً مِنَ الْحَكَمِيِّينَ وَمَنْ
 رَضِيَ بِقَوْلِهِمَا وَصَوَّبَ أَمْرَهُمَا وَكَفَّرُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالُوا أَنَّهُ تَرَكَ حُكْمَ اللَّهِ
 وَحَكَّمَ الرِّجَالَ.

وَقِيلَ أَوَّلُ مَنْ تَلَفَّظَ بِهَذَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ ابْنِ زَيْدِ ابْنِ مَنَاةِ ابْنِ تَمِيمٍ يُقَالُ
 لَهُ الْحُجَّاجُ ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُلَقَّبُ بِالْبَرْكَ وَهُوَ الَّذِي ضَرَبَ مَعَاوِيَةَ عَلَى الْيَتِيهِ لَمَّا

سَمِعَ بِذِكْرِ الْحَكَمِينَ وَقَالَ أَتَحْكُمُ فِي دِينِ اللَّهِ لِأَحْكَمِ إِلَّا لِلَّهِ تَحْكُمُ بِمَا حَكَمَ
الْقُرْآنَ بِهِ فَسَمِعَهَا رَجُلٌ فَقَالَ طَعَنَ وَاللَّهِ فَأَنْفَذَ فَسَمَوْا الْمُحْكَمَةَ بِذَلِكَ وَلَمَّا
سَمِعَ امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام هَذِهِ الْكَلِمَةَ قَالَ كَلِمَةٌ عَدْلٍ يَرَادُ بِهَا جَوْرٌ إِنَّمَا يَقُولُونَ
لِإِمَارَةٍ وَلَا بَدَّ مِنْ إِمَارَةٍ بَرَّةٍ أَوْ فَاجِرَةٍ.

وَيُقَالُ إِنَّ أَوَّلَ سَيْفٍ سَلَّ مِنْ شِيُوفِ الْخَوَارِجِ سَيْفُ عُرْوَةَ ابْنِ أَدِيَةَ وَذَلِكَ
أَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى الْأَشْعَثِ وَقَالَ مَا هَذِهِ الدَّيْنِيَّةُ يَا أَشْعَثُ وَمَا هَذَا التَّحْكِيمُ أَشْرَطُ
أَوْثَقُ مِنْ شَرَطِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ شَهَرَ السَّيْفَ وَالْأَشْعَثُ تَوَلَّى فَضْرَبَ بِهِ عَجْزَ الْبَغْلَةِ
فَثَبَّتِ الْبَغْلَةُ فَفَنَفَرَتِ الْيَمَانِيَّةُ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْأَحْنَفُ مَشَى هُوَ وَاصْحَابُهُ إِلَى
الْأَشْعَثِ فَسَأَلُوهُ الصَّفْحَ فَفَعَلَ وَعُرْوَةُ ابْنِ أَدِيَةَ نَجَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ حَرْبِ
النَّهْرَوَانَ وَبَقِيَ إِلَى أَيَّامِ مَعَاوِيَةَ ثُمَّ أَتَى إِلَى زِيَادِ ابْنِ أَبِيهِ وَمَعَهُ مَوْلَى لَهُ فَسَأَلَهُ زِيَادُ
عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ فِيهِمَا خَيْرٌ فَسَأَلَهُ عَنْ عُثْمَانَ فَقَالَ كُنْتُ أَتَوَلَّى عُثْمَانَ
عَلَى أَحْوَالِهِ فِي خِلَافَتِهِ سِتِّ سِنِينَ ثُمَّ تَبَرَّأْتُ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِأَلْحَادِثِ الَّتِي
أَحْدَثَهَا فَشَهِدَ عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ فَسَأَلَهُ عَنْ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ اتَّوَلَّاهُ إِلَى أَنْ حَكَّمْتُ ثُمَّ
أَتَبَرَّءُ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَشَهِدَ عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ فَسَأَلَهُ عَنْ مَعَاوِيَةَ فَسَبَّ سَبًّا قَبِيحًا، ثُمَّ
سَأَلَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ أَوْلَئِكَ الزَّيْتَةُ وَأَخْرَجَ الْمَدْعُونَ وَأَنْتَ فِيمَا بَيْنَهُمَا بَعْدُ عَاصٍ
رَبِّكَ فَأَمَرَ زِيَادُ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ثُمَّ دَعَا مَوْلَاهُ فَقَالَ لِي صِفْ أَمْرَهُ وَاصْدِقْ فَقَالَ
أَطْنَبُ أَمْ اخْتَصِرُ فَقَالَ بَلْ اخْتَصِرُ فَقَالَ مَا أَتَيْتَهُ بِطَعَامٍ فِي نَهَارٍ قَطُّ وَلَا فَرَشْتُ لَهُ
فِرَاشًا بَلِيلٍ قَطُّ هَذِهِ مَعَامَلَتُهُ وَاجْتِهَادُهُ وَذَلِكَ خَبْرُهُ وَاعْتِقَادُهُ.

الْأَزَارِقَةُ - اصْحَابُ أَبِي رَاشِدٍ نَافِعُ ابْنُ الْأَزْرُقِ خَرَجُوا مَعَ نَافِعٍ مِنَ الْبَصْرَةِ
إِلَى الْإِهْوَازِ فَغَلَبُوا عَلَيْهَا وَعَلَى كَوْرَهَا وَمَاورَائِهَا مِنْ بَلَدٍ أَنْ فَارَسَ وَكَرْمَانَ فِي
أَيَّامِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ زُبَيْرٍ وَقَتَلُوا عَمَّا لَهُ بِهَذِهِ النَّوَاحِي وَكَانَ مَعَ نَافِعٍ مِنْ أَمْرَاءِ
الْخَوَارِجِ عَطِيَّةُ ابْنِ الْأَسْوَدِ الْحَنْفِيِّ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الْمَاحُوزِ وَأَخْوَاهُ عُثْمَانُ وَزُبَيْرُ
وَعُمَرُ ابْنُ عُمَيْرِ الْعَنْبِيرِيِّ وَقَطْرِيُّ ابْنِ الْفَجَاءَةِ الْمَازِنِيِّ وَعَبِيدَةُ ابْنُ هَلَالِ
الْيَشْكُرِيِّ وَصَخْرُ ابْنِ حَبْنَةَ التَّمِيمِيِّ وَصَالِحُ ابْنِ فَخْرَاقِ الْعَبْدِيِّ وَعَبْدُ رَبِّهِ الْكَبِيرِ

وعبد ربه الصَّغِير في زهاء ثلاثين الف فارس مِمَّن يَرى رأيهم في سلكهم فانقذ اليه عبدالله ابن الحرث ابن نوفل التوفلي بصاحب جيشه مسلم ابن عبيس ابن كريض ابن ربيعة ابن حبيب فقتله الخوارج وهزموا اصحابه فاخرج اليهم ايضاً عثمان ابن عبيدالله ابن معمر التميمي فهزموه فاخرج اليهم حارثة ابن بدر العداني في جيش كثير فهزموه وخشى اهل البصرة على انفسهم وبتلدهم من الخوارج فاخرج اليهم المهلب ابن ابي صفرة فبقى في حرب الأزارقة تسع عشرة سنة الى ان فرغ من امرهم في ايام الحجاج ومات نافع قبل وقايح المهلب مع الأزارقة وبايعوا بعده قطري ابن الفجاء وسموه امير المؤمنين.

اقول: ثم ذكر صاحب الملل والنحل بدع ازارقة وهي ثمانية وقد ذكرناها، ثم أردفه بذكر بقية الفرق على ما نقلناها عن الخوئي ومن المعلوم ان الخوئي (قده) ايضاً نقل ما نقل عن الملل والنحل الا انه لخصه حذراً عن التطويل الممل وهو جيد في بعض الموارد وانما ذكرنا ما ذكرناه عن الملل والنحل الى هذا المقام لما فيه من الفوائد واما الباقي فرأيناه موافقاً لما ذكره الخوئي بأدنى تفاوت من جهة التفصيل وعدمه فلذلك أعرضنا عن نقله واكتفينا بما نقلناه حذراً عن الأطناب ومن اراد الاطلاع على فرق الخوارج مفضلاً فعليه بكتب الموضوعة لهذا الفن فهذا هو الذي اشار اليه بقوله عليه السلام: **كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ نَطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ** الى ما قال عليه السلام ففيما قاله اشارة الى ان نسلهم لم ينقطع بعد من صفحة العالم وهو كذلك والحمد لله رب العالمين.

ولنعم ما قيل فيهم:

أرى أمةً شهت سيفها	وقد زيد في سوطها الأصبى
بنجدية وحرورية	وأزرق يدعو الى أزرقى
فمِلتْنا أننا المسلمون	على دين سيدنا والنبي

﴿ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٦٠) ﴾

□ قوله ﷺ: لَا تُقْتَلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ، كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ....

◀ اللّغة

(الْخَوَارِجِ) جَمْعُ خَارِجٍ كَعَوَامِلٍ جَمْعُ عَامِلٍ وَأِنَّمَا سُمِّيَ مَنْ سُمِّيَ بِهِ لِخُرُوجِهِ عَنِ الدِّينِ وَقَدْ يُعْتَبَرُ عَنْهُمْ بِالْمَارِقِينَ أَيْضاً.

◀ المعنى

قال ﷺ: (لَا تُقْتَلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي) اى لا يجوز لمن يكون بعدى من الخلفاء ولا من غيرهم القتال معهم. (فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ) كَالْخَوَارِجِ فَإِنَّهُمْ طَلَبُوا الْحَقَّ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ أَخْطَأُوا فِي طَرِيقِهِ. (كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ) كَمَعَاوِيَةَ وَأَمثَالِهِ مِنْ خَلْفَاءِ الْجَوْرِ حَيْثُ أَنَّهُمْ طَلَبُوا الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ وَالْمَقْصُودُ أَنَّ ذَنْبَهُمْ أَعْظَمُ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالْقِتَالِ مَعَهُمْ أَوْجِبُ مِنَ الْقِتَالِ مَعَهُمْ.

◀ الشرح

قال الشارح البحرانى (قده) فى شرح هذا الكلام اقول: نهى عن قتل الخوارج بعده وأومئ الى علة استحقاق القتل بانها طلب الباطل لانه باطل

لَيْسَ بَيْنَ أَهْلِهَا مَنْفِيَّةٌ فِي حَقِّهِمْ فَيَنْتَفِي لَازِمُهَا وَهُوَ اسْتِحْقَاقُ الْقَتْلِ وَإِشَارٌ إِلَى أَنَّ
 الْخَوَارِجَ لَمْ يَطْلُبُوا الْبَاطِلَ لِأَنَّهُ بَاطِلٌ أَوْ مَعَ الْعِلْمِ بِكَوْنِهِ بَاطِلًا بَلْ طَلَبُوا الْحَقَّ
 بِالذَّاتِ فَوَقَعُوا فِي الْبَاطِلِ بِالْعَرَضِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ غَرَضُهُ إِلَّا الْحَقُّ لَمْ يَجْزِ قَتْلُهُ
 وَحُسْنُ الْكَلَامِ يَظْهَرُ فِي تَقْدِيرِ مُتَّصِلَةٍ هَكَذَا، لَوْ اسْتَحَقُّوا الْقَتْلَ بِسَبَبِ طَلْبِهِمْ
 لِاسْتِحْقَاقِهِ بِسَبَبِ طَلْبِهِمْ لِلْبَاطِلِ مِنْ حَيْثُ هُوَ بَاطِلٌ لَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَحَقُّونَ مِنْ تِلْكَ
 الْجَهَةِ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِطَالِبِينَ لِلْبَاطِلِ مِنْ حَيْثُ هُوَ بَاطِلٌ فَلَا يَسْتَحَقُّونَ الْقَتْلَ
 وَفَرَقَ بَيْنَ مَنْ يَطْلُبُ الْحَقَّ لِذَاتِهِ فَيَظْهَرُ عَنْهُ فِي صُورَةِ بَاطِلٍ وَبَيْنَ مَنْ يَطْلُبُ
 الْبَاطِلَ لِذَاتِهِ فَيَظْهَرُ فِي صُورَةِ الْحَقِّ حَتَّى يُدْرِكَهُ فَإِنَّ الثَّانِي هُوَ الْمُسْتَحَقُّ
 لِلْقَتْلِ دُونَ الْأَوَّلِ وَأَوْمَى بِمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ إِلَى مَعَاوِيَةَ، ثُمَّ قَالَ (قَدَسَ
 سِرُّهُ):

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا نَصٌّ مِنْ بَأْتِهِمْ كَانُوا طَالِبِينَ لِلْحَقِّ وَبَيَانُهُ أَنَّ مَعْظَمَ رُؤَسَائِهِمْ
 كَانُوا عَلَى غَايَةِ مِنَ الْمَحَافِظَةِ عَلَى الْعِبَادَاتِ كَمَا نَقَلَ عَنِ الرَّسُولِ حَيْثُ
 وَصَفَهُمْ فَقَالَ حَتَّى أَنْ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ لَتَحْتَقِرُ فِي جَنْبِ صَلَوَاتِهِمْ وَكَانُوا
 مَشْهُورِينَ بِالصَّلَاحِ وَالْمَوَازِنَةِ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ وَدَرَسِهِ إِلَّا أَنَّهُمْ بِالْغَوَا فِي
 التَّحَرِّيِ وَشِدَّةِ الطَّلَبِ لِلْحَقِّ حَتَّى عَبَّرُوا لِلْفُضِيلَةِ (عَنْ فَضِيلَةِ الْعَدْلِ فِيهِ إِلَى
 رَذِيلَةِ الْأَفْرَاطِ فَوَقَعُوا فِي الْفَسْقِ وَمَرَقُوا مِنَ الدِّينِ).

فَان قَلت - كيف نهى عن قتلهم؟ قلت: جوابه من وجهين:

أحدهما: أَنَّهُ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِهِمْ بَعْدَهُ عَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَلْزِمَ كُلُّ مَنْهُمُ نَفْسَهُ
 وَيَسْتَغْلِبُ بِهَا وَلَا يَعِثُ فِي الْأَرْضِ فِسَادًا وَهُوَ إِذَا قَتَلْتَهُمْ مِنْ حَيْثُ أَفْسَدُوا فِي
 زَمَانِهِ وَقَتَلُوا جَمَاعَةً مِنَ الصَّالِحِينَ كَعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ خُبَابٍ وَشَقَّوْا بَطْنَ امْرَأَتِهِ
 وَكَانَتْ حَامِلًا وَدَعَوِ النَّاسَ إِلَى بِدْعَتِهِمْ وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ حِينَ
 سَارَ إِلَيْهِمْ لَا تُبَدُّوهُمْ بِالْقِتَالِ حَتَّى يَبْدُوَكُمْ بِهِ وَلَمْ يَشْرَعْ فِي قَتْلِهِمْ حَتَّى بَدَّوْا
 وَبَقَتِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ.

الثاني: أَنَّهُ يَحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ أَنَّهُ إِذَا قَتَلْتَهُمْ لِأَنَّهُ إِمَامٌ عَادِلٌ رَأَى الْحَقَّ فِي ذَلِكَ

وانما نهى عن قتلهم بعده لانه علم انه لا يلى هذا الأمر بعده من له بحكم الشريعة ان يقتل ويتولى امر الحدود من لا يعرف مواضعها وبالله التوفيق. انتهى.

ما افاده (قده) فى المقام بعباراته وتبعه على ذلك شارح الخوئى (قده) فذكر فى شرحه ملخص ما حققه البحرانى كما هو دأبه فى اكثر المشكلات وهو مما لا اشكال فيه فان الشارح البحرانى يلىق - بان يتبع كما هو واضح على اهل الفضل والتحقيق.

واما الشارح المعتزلى فهو ايضا ذكر نظير ما ذكره البحرانى ولا فرق بين ما ذكره الا فى اللفظ فقط والمآل فيهما واحد.

وانا اقول: ما ذكره فى المقام حق لا غبار عليه الا انه يمكن ان يستنبط من كلامه عليه السلام أمور:

احدها: انه عليه السلام: قال لا تقتلوا الخوارج بعدي، نهى الناس عن قتل الخوارج بعده فان الخطاب فى النهى وان كان فى ظاهر الأمر متوجهاً الى اصحابه الا انه فى الواقع ونفس الأمر يشمل الناس الى ظهور دولة الحق اعنى الحجة ابن الحسن عليه السلام فكانه عليه السلام قال لهم ولنا ايها الناس لا تقتلوا الخوارج بعدي بأمر أحد من الخلفاء والحكام الى ان تصل الحكومة بيد اهلها ومن هنا يظهر ان قوله عليه السلام: كمن طلب الباطل الخ ليس المراد به معاوية فقط، بل المراد به ما يشمله اللفظ اعنى كلمة (من) وهى موضوعة للعموم فكانه قال كل أمر وحاكم وسلطان الى آخر الزمان حاله كذلك.

وبعبارة اخرى: نهى عليه السلام عن قتل الخوارج وعلمه بأنه ليس من طلب الحق فأخطائه كمن طلب الباطل فأدركه سواء كان طالب الباطل هو معاوية او عبد الملك او غيرهما الى آخر الحكومة الغاصبة الطالبة للباطل، فان الملاك وهو طلب الباطل فيها موجود وعليه فكلمته (من) فى قوله عليه السلام: من طلب الحق ايضاً كذلك، اي تحمل على العموم وتخصيصها الى الخوارج المعهود يحتاج

الى دليل بعدى ولما كان هناك مَطْنَةٌ سؤال وهو انه لِمَ لا تقتلهم؟ قال عليه السلام: فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ الْخ.

وهذا التعليل عام يشمل الخوارج وغيرهم كما ان الثانى ايضا كذلك، فقال عليه السلام: لا تَقْتُلُوهم لكونهم من مصاديق من طلب الحق فإخطأه فصوره القياس تصير هكذا كل من طلب الحق فإخطأه لا يجوز قتله والخوارج كانوا كذلك، ينتج انه لا يجوز قتلهم.

وثانيها: انه قال لا تَقْتُلُوا الخوارج ولم يَقُلْ لا تَقَاتِلُوا وفيه اشعار بان قتلهم لا يجوز لأحد من اجل انه من الخوارج سواء كان من عند نفسه او بأمر الحاكم الظالم وعليه فكما لا يجوز قتلهم لأحد المسلمين فكذلك لا يجوز لحكامهم وعمالهم وامرائهم وذلك لعدم انكارهم الحق الموجب لقتلهم بل يَقْرُونَ به الآ انهم أخطأوا فى طريق الوصول اليه.

وثالثها: ان لقوله عليه السلام هذا مفهوم ومنطوق اما المنطوق منه فقد مر الكلام فيه وهو عدم جواز قتلهم لكونهم من طالبي الحق والمخطئين فى طريقه.

واما مفهومه يُوجب قتل من طلب الباطل فأدركه وذلك لان الحق والباطل متقابلان، فعدم احدهما يستلزم وجود الآخر، فاذا فرضنا عدم جواز قتل طالب الحق فهو يدل بالمفهوم على جواز قتل طالب الباطل فى صورة ادراكه اياه، والا يلزم ارتفاع التقيضين وهو محال، فدلت العبارة على وجوب قتل من طلب الباطل فأدركه أينما وجد وحيث انه عبّر عن عدم جواز القتل بقوله عليه السلام: لا تَقْتُلُوا الَّذِي يَدُلُّ على عدم القتل من عند انفسهم لا بأمر الأمام فانه يجب، فلا محالة يجب قتل طالب الباطل ومدركه من عند انفسهم ولا يحتاج الى اذن الأمام فيه بالخصوص اداء لحكم المتناقضين فان حسم مادة الفساد واجب على كل مسلم مؤمن بالله ورسوله ويدل على ما ذكرناه قوله عليه السلام فى الخطبة السادسة والخمسون حيث اخبر عليه السلام بتسلط معاوية على الناس فقال عليه السلام فيما قال: اقتلوه ولن تقتلوه، فانك تراه قد امرهم بقتله وظاهر اللفظ يدل على

وجوب قتله على احاد المسلمين فقد ظهر مما ذكرناه ان قوله ﷺ هذا يدل
على وجوب قتل من أدرك الباطل فأدركه سواء كان معاوية ام غيره فان الملاك
طلب الباطل وإدراكه ومعاوية كان احد مصاديقه وهو ظاهر والعلم عندالله.

﴿ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٦١) ﴾

□ قوله ﷺ: وَإِنَّ عَلِيًّا مِنْ اللَّهِ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْلَمْتَنِي، فَحَيْثُ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ وَلَا يُبْرَأُ الْكَلْمُ، ...

◀ اللُّغَةُ

(جُنَّةٌ) بضم الجيم ما يُستتر به من دِرْعٍ وغيره. (يَطِيشُ) أي يَنحرف (الْكَلْمُ) بسكون اللام الجرح.

◀ المعنى

(وَإِنَّ عَلِيًّا مِنْ اللَّهِ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ) والمقصود أنه تبارك وتعالى يحفظني عن الآفات (فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي) أي إذا جاء أَجَلِي (انْفَرَجَتْ الْجُنَّةُ عَنِّي). (وَأَسْلَمْتَنِي) الجنة إلى الموت وح أي إذا جاء أَجَلِي. (الْأَيْطِيشُ السَّهْمُ) أي لا ينحرف ولا يَنخَطِي (ولا يبرأ الكلم والجرح).

◀ الشرح

روى أن هذا الكلام قاله ﷺ لَمَّا خُوِّفَ مِنَ الْغَيْلَةِ أَي مِنَ الْغَيْلَةِ ابْنِ مَلْجَمٍ لَعَنَهُ اللَّهُ فَقَدْ نَقَلُوا أَنَّ الْأَشْعَثَ لَقَاهُ مَثْقَلِدًا بِسَيْفِهِ فَقَالَ لَهُ مَا يُثْقَلُكَ السَّيْفُ وَلَيْسَ بِأَوَانَ حَرْبٍ فَقَالَ ارْدَتْ أَنْ أَنْحَرِبَهُ جُزُورَ الْقَرْبَةِ فَآتَى الْأَشْعَثَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ وَقَالَ

قد عرفت ابن ملجم وفتكه فقال ﷺ ما قتلني بعد.

وروى أيضاً أنه كان يخطب مرةً ويذكر أصحابه وابن ملجم تلقاء المنبر فسمعه يقول والله لأريحنهم منك فلما انصرف أتوه ثلبياً فأشرف عليهم وقال ما تريدون فخبروه بما سمعوا عنه فقال ﷺ فما قتلني بعد خلواً عنه.

اقول: اشار ﷺ بكلامه هذا الى الحالتين اللتين لا بد لكل من افراد الانسان بل سائر الموجودات منهما وهو ﷺ ايضاً كذلك الحالة الأولى هي الحالة التي تكون قبل الموت ووصول الأجل اليه، والحالة الثانية: بعد وصول الأجل اليه فاشار ﷺ في كلامه اليهما نافداً ان الحالة الأولى لا يضرها كيد الكائد والحالة الثانية لا تنفها حراسة الحارس.

□ فقوله ﷺ: وَإِنَّ عَلِيَّ مِّنَ اللَّهِ جُنَّةً حَصِينَةً....

اشارة الى الأولى وقوله ﷺ: فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي الخ الى الثانية فالبحث في مقامين:

المقام الأول: قوله ﷺ: وَإِنَّ عَلِيَّ مِّنَ اللَّهِ جُنَّةً حَصِينَةً... وهو مؤيد بالعقل والنقل.

أما العقل: فلما ثبت وتحقق في الأصول العقلية ان الله تبارك وتعالى خالق كل شيء وان أزمة الأمور طراً بيده بمعنى عدم تحقق امر من الأمور في العالم الا بارادته ومشيئته وقد ثبت ايضاً ان العلة تستلزم المعلول كما ان المعلول يستلزمها لكون العلية والمعلولية من المتضايقين فوجود احدهما يستلزم وجود الآخر وقد مر ان الواجب تعالى كما انه علة محدثة للاشياء فكذلك علة مبقية لان الممكن في بقاءه يحتاج الى المؤثر كما انه في وجوده يحتاج اليه ومعنى كونه علة مبقية هو كونه علة لبقاء الموجودات فكل موجود باقٍ بقاءه او ارادته البقاء له ولازم ذلك هو كون عدم الموجود مستنداً اما الى عدم ذات العلة او عدم مشيئته التي هي عين ذاته وعليه فنقول: اذا فرضنا عدم الموجود في وقتٍ ما فلا يخلواً اما ان يكون موته بارادته تعالى أو لم يكن لأسبيل الى

الثانى لأن المفروض ان العلة المبقية له هو الواجب لا غير فاذا فرضنا عدمه وموته لا بارادته تعالى كما هو المفروض يلزم الخلف وهو محال واذا انتفى الشق الثانى فيبقى الاول بلا معارض وهو كون موته بأرادته وهو المطلوب.

فقد ظهر ممّا ذكرناه ان المعلول كما ان فى وجوده يحتاج اليه كذلك فى عدمه الا ان عدم العلة يكفى فى عدمه فتحقق المشية منه تعالى على وجود الشىء يوجب وجوده وعدم تحققها يوجب عدم وجوده وبعبارة اخرى المعلول نسبة وجوده وعدمه الى العلة ستيان والا يلزم خروج المعلول عن كونه ممكناً واذا كان كذلك فالعلة التى أوجدته هى التى يُعدمه لا غيرها فالمعلول فى الوجود والعدم يُستند الى العلة وهو المطلوب.

ان قلت - العدم لا يحتاج الى العلة وحيث ان الموت أمرٌ عدَمي فالعلة فيه مُنتفية بل عدم العلة يكفى فى عدم المعلول وهو أمرٌ عدَمي فالقول بان الشىء فى عدمه ايضاً يحتاج الى العلة كما فى وجوده كلام بلا مُحصّل.

قلت - اما اولاً: فلانسلم كون الموت امرأً عدَمياً اذ ليس هو عدم الحياة كما ربّما يتوهم فان الشىء لا يتّصف بتقيضه ومعلوم ان الوجود وعدم الوجود متناقضان وذلك لان الوجود ان اتّصف بالعدم فى حال وجوده يلزم اجتماع التقيضين وان اتّصف به فى حال عدمه يلزم تحصيل الحاصل وان كان الاتّصاف لا بوصف كونه موجوداً ولا معدوماً يلزم ارتفاع التقيضين وهو ايضاً محال فثبت ان الوجود بما هو هو لا يقبل العدم فالموت ليس بعدَمي لانه اى الوجود يقبل الموت فقبوله الموت معناه قبوله الانتقال من دار الى دار او خلع لباس ولبس آخر وقد تكلمنا فيه مفصلاً.

وثانياً: على فرض التسليم وكون الموت من العدميات لانسلم عدم احتياجه الى العلة مطلقاً بل لا بد له ايضاً من علةٍ موجودة وهى عدم العلة على ما اعترفتم به ومعلوم ان عدم العلة ليس بعدَم محض بل عدم مضاف وعدم المضاف الى الشىء له حظ من الوجود لانه من باب العدم والمملكة فعدم العلة

غير العدم المطلق هذا.

فقوله ﷻ: **وَإِنَّ عَلِيًّا مِنْ اللَّهِ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ**، المقصود بهذه الجُنَّة الحَصِينَةُ هو ارادة الله وتعلقها بوجوده في هذه الدنيا ومن المعلوم ان ارادته اذا تعلقت بشيء فلا مردلها.

واما النقل: قوله تعالى: **﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾** (١)

و: **﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾** (٢)

و: **﴿ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾** (٣)

و: **﴿ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴾** (٤)

و: **﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لِحَافِظُونَ ﴾** (٥)

و: **﴿ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾** (٦)

و: **﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾** (٧)

و: **﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفِظَةً ﴾** (٨)

و: **﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾** (٩)

و: **﴿ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾** (١٠) وامثال ذلك من الآيات الدالة على كونه

تعالى حافظاً لكل شيء.

ثم ان في الكلام استعارة حسنة وهي قوله ﷻ: **جُنَّةٌ حَصِينَةٌ** وذلك لانه ﷻ شبه مشية الله على حفظه وبقائه بجنته حصينة فكما ان الجنة عبارة عما يستر به الشيء ويحفظ عن كل ما ينافيه كالدرع في الحروب واللباس في غيرها حيث ان الدرع جنة عن اصابة السهام والسيوف الى البدن فكائه يحفظه عنها وكذلك اللباس يحفظ الأنسان عن الالام والآفات من الحرارة والبرودة والنظر وغير

٢- يوسف- ٦٤

٤- الصافات- ٧

٦- الانبياء- ٨٢

٨- الانعام- ٦١

١٠- السباء- ٢١

١- الرعد- ١١

٣- الطارق- ٤

٥- الحجر- ٩

٧- الانفطار- ١٠

٩- اليهود- ٥٧

ذلك فكذلك المَشِيَّةُ الأَلَهِيَّةُ إذا تَعَلَّقت على وجود الشئ وادامة حياته فمادام كونها كذلك فهي حافظة له عن الآفات، والبليات المُوجِبَةُ للموت فلا يَضُرُّه كيد كائدٍ أبداً وَوَصَفَهَا بقوله ﷺ: **حَصِينَةٌ** لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْجَنَّةُ الأَلَهِيَّةُ لَهَا حِصْنٌ حَصِينٌ لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ مِنَ الأَفْرَادِ التَّفُوزُ بِهَا وَمِنْ عَجَائِبِ الدَّقَّةِ فِي هَذَا الكَلَامِ هُوَ تَعْبِيرُهُ بقوله ﷺ: **حَصِينَةٌ**، فَإِنَّ الحِصْنَ عِبَارَةٌ عَنِ الحِصَارِ المُحِيطِ بِالْبَلَدِ وَيُعْتَبَرُ عَنْهُ بِالسُّورِ فَكَانَهُ قَالَ ﷺ فِي مَمْلَكَةِ البَدَنِ سُورٌ مُحِيطٌ بِهَا لَا يُمْكِنُ لِلأَعْدَاءِ التَّفُوزُ بِدَاخِلِهَا لَكُنْ السُّورُ حَصِينًا جَدًّا فَاعْدَاءُ الأَنْسَانِ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ الأَنْسَانُ مَحْصُورًا بِحِصَارِهِ تَعَالَى وَمَحْفُوظًا بِحِفْظِهِ وَهُوَ كَذَلِكَ وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ (١)

وَأَمَّا البَحْثُ فِي المَقَامِ الثَّانِي: وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: **فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَاسْلَمْتَنِي فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ وَلَا يَبْرَأُ الكَلْمُ ...**

إِشَارَةُ ﷺ بقوله: هَذَا إِلَى أَنَّ حُلُولَ الأَجْلِ وَانْقِضَاءَ المَدَّةِ يُوجِبُ انْفِرَاجَ الجَنَّةِ وَانْحِرَافَهَا عَنِ الأَنْسَانِ وَتَسْلِيمِهِ إِلَى التَّقْدِيرِ فَلَا يَخْطِي السَّهْمُ حَ وَلَا يَبْرَأُ الكَلْمُ وَهُوَ إِيضًا مُؤَيَّدٌ بِالعَقْلِ وَالنَّقْلِ.

أَمَّا العَقْلُ : فَلَمَّا مَرَّ مِنْ أَنَّ المَخْلُوقَ لَا يُمْكِنُ لَهُ الخُرُوجُ عَنِ تَحْتِ قُدْرَةِ الخَالِقِ وَلَا يُمْكِنُ لَهُ الفِرَارُ مِنْ حُكُومَتِهِ فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَافِظٌ لَهُ وَلَا يُمْكِنُ لغيرِهِ التَّفُوزُ فِي حِفْظِهِ تَعَالَى أَيَّاهُ فَكَذَلِكَ هُوَ مُمَيَّنٌ وَلَا يُمْكِنُ لغيرِهِ رَدُّعُهُ وَمَنْعُهُ إِذْ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَكَمَا أَنَّ الحَيَاةَ وَالبَقَاءَ بِيَدِهِ فَكَذَلِكَ المَمَاتُ وَالفَنَاءُ بِإِرَادَتِهِ وَهَذَا ظَاهِرٌ وَإِنْ شِئْتَ قَلْتَ بَقَاءَ المَعْلُوقِ فِي مَا نَحْنُ فِيهِ مَرْبُوطٌ بِمَشِيَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ لِلبَقَاءِ فَإِذَا لَمْ يَشَأْ حَيَاتَهُ وَبِقَائِهِ فَلَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ مُبْقِيَةٌ تَبْقِيَةٌ فَلَا مَحَالَةَ يُفْنَى وَحَيْثُ أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ وَجُودَ المُمْكِنَاتِ وَجُودٌ تَعَلَّقِي رِبْطِيٌّ اِعْتِبَارِيٌّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى وَجُودِ الوَاجِبِي وَليستَ لَهُ إِصَالَةٌ

فالفناء عبارة عن قطع التعلُّق والرُّبُط ومع قُطْعِهِ لاشيء في المقام حتى يبحث عنه.

وَأَمَّا النُّقْلُ: قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(١)

و: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ سِرًّا وَعَظِيمًا﴾^(٢)

و: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾^(٣)

و: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾^(٤)

و: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾^(٥)

و: ﴿وَمَا نُوَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدُّودٍ﴾^(٦)

و: ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾^(٧)

و: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ ذَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾^(٨)

و: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٩)

و: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ﴾^(١٠)

و: ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّى بَيْنَهُمْ﴾^(١١)

و: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ﴾^(١٢)

و: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾^(١٣)

و: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾^(١٤)

و: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾^(١٥) والآيات فيه كثيرة جداً.

- | | |
|-----------------|------------------|
| ١- يونس- ٩٤ | ٢- الجمعة- ٨ |
| ٢- النساء- ٧٨ | ٤- المنافقون- ١١ |
| ٥- المؤمنون- ٤٣ | ٦- هود- ١٠٤ |
| ٧- الحج- ٥ | ٨- الفاطر- ٤٥ |
| ٩- نوح- ٤ | ١٠- الاعراف- ١٨٥ |
| ١١- الشورى- ١٤ | ١٢- الروم- ٨ |
| ١٢- الاعراف- ٢٥ | ١٤- الحجر- ٢٣ |
| ١٥- الاحزاب- ١٦ | |

للموت فينا سهامٌ غير خاطئةٍ ان فاته اليوم سهمٌ لم يفتد غداً
 ائى يومى من الموت أفرّ يوم ما قدر او يوم قدر
 يوم ما قدر لم أخش الردى واذا قدر لا يغنى الحذر
 ثم ان فى قوله ﷺ: فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَاسْلَمْتَنِي الخ..

اشارة الى ان الأجل لامحالة آتٍ واذا جاء الأجل يصير الانسان مَقهوراً
 مَغلوباً بين يديه ولا يمكن له الحيلة والفرار بائى نحو من الأنحاء، فان المقادير
 تجري على ما قدرت كما قيل:

والمرء ما عاش ممدودٌ له أملٌ لا ينتهى ذاك حتى ينتهى العمر
 وحيث انجرّ الكلام الى هنا فلا بد لنا من الاشارة الى كيفية شهادته ﷺ وانه
 كيف انفرجت الجنة عنه واسلمته الى الموت الى آخر ما قال ﷺ بعد حلول
 أجله وانقضاء ايامه ولنذكر فى ذلك ما رواه المجلسى (قدّه) فى المُجلد التاسع
 من البحار فنقول قال (قدّه) ما هذا الفظه:

تذييل: رأينا فى بعض الكتب القديمة روايةً فى كيفية شهادته اوردنا منها
 شيئاً مما يناسب كتابنا هذا على وجه الأختصار قال روى ابو الحسن على ابن
 عبدالله ابن مُحَمَّد البكرى عن لوط ابن يحيى عن اشياخه واسلافه.

قالوا لما توفى عثمان وبايع الناس امير المؤمنين ﷺ كان رجل يقال له
 حبيب ابن المتجب والياً على بعض اطراف اليمن من قبل عثمان فأقره على
 ﷺ على عمله وكتب اليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله
 امير المؤمنين على ابن ابيطالب الى حبيب ابن المتجب سلام عليك، اما بعد
 فانى أحمد الله الذى لاله الا هو وأصلى على محمد عبده ورسوله وبعد فانى
 وليتك ما كنت عليه لمن كان من قبل فأمسك على عملك وانى اوصيك بالعدل
 فى رعيتك والأحسان الى اهل مملكتك واعلم ان من وليّ رقاب عشرة من
 المسلمين ولم يعدل بينهم حشرة الله يوم القيمة ويدها مغلولتان الى عنقه
 لا يفكها الا عدله فى دار الدنيا فاذا ورد عليك كتابى هذا فأقره على من قبلك

من اهل اليمن وخذلى البيعة على من حَضرك من المسلمين فاذا بايع القوم
 مثل بيعة الرضوان فامكث في عمك وانفذ الي منهم عشرة يكونون من
 عقلائهم وفصحاءهم وثقاتهم ممن يكون أشدهم عوناً من اهل الفهم
 والشجاعة عارفين بالله عالمين بأديانهم ومآلهم وما عليهم وأجورهم راعياً
 وعليك وعليهم السلام وطوى الكتاب وختمه وأرسله مع اعرابي فلما وصل
 اليه قبله ووضع على عينيه ورأسه فلما قرأه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه
 وصلى على محمد وآله، ثم قال ايها الناس اعلموا ان عثمان قد قضى نحبه وقد
 بايع الناس من بعده العبد الضالح والامام الناصح اخا رسول الله وخليفته وهو
 أحق بالخلافة وهو اخو رسول الله وابن عمه وكاشف الكرب عن وجهه وزوج
 ابنته ووصيه وابو سبطيه امير المؤمنين علي ابن ابيطالب فما تقولون في بيعته
 والدخول في طاعته قال فضج الناس بالبكاء والتحيب وقالوا سمعاً وطاعةً
 وحباً وكرامةً لله ولرسوله ولأخى رسوله فأخذ له البيعة عليهم عامة فلما بايعوا
 قال لهم أريد منكم عشرة من روائكم وشجعانكم أنفذهم اليه كما أمرني به
 فقالوا سمعاً وطاعةً فاختر منهم مائة ثم من المائة سبعين، ثم من السبعين
 ثلاثين ثم من الثلاثين عشرة فيهم عبد الرحمن ابن ملجم المرادي لعنه الله
 وخرجوا من ساعتهم فلما أتوه سلموا عليه وهنئوه بالخلافة فرّد ﷺ السلام
 عليهم ورحب بهم فتقدم ابن ملجم وقام بين يديه وقال: السلام عليك ايها
 الامام العادل والبدر التمام، والليث الهمام والبطل الصرغام والفارس القمقام
 ومن فضله الله على سائر الأنام صلى عليك وعلى آلك الكرام أشهد انك
 امير المؤمنين صدقاً وحقاً وانك وصي رسول الله والخليفة من بعده ووراث
 علمه لعن الله من جحد حقا ومقامك اصبحت أميرها وعميدها لقد اشتهر
 بين البرية عدلك، وهطلت شايب فضلك، وسحائب رأفتك ورحمتك عليهم
 ولقد أنهضنا الأمير عليك (اليك) فسررنا بالقدوم عليك فبوركت بهذه الطلعة
 المرضية وهنئت بالخلافة في الرعية ففتح امير المؤمنين ﷺ عينه في وجهه

وَنَظَرَ إِلَى الْوَفْدِ فَقَرَّبَهُمْ وَأَدْنَاهُمْ فَلَمَّا جَلَسُوا دَفَعُوا إِلَيْهِ الْكِتَابَ فَفَضَّهَ وَقَرَأَهُ
وَسَرَّ بِمَا فِيهِ فَامَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِحِلَّةٍ يَمَانِيَّةٍ وَرِدَاءٍ عَدَنِيَّةٍ وَفَرَسٍ عَرَبِيَّةٍ
وَأَمْرَانَ يُفْتَقِدُوا وَيُكْرَمُوا فَلَمَّا نَهَضُوا قَامَ ابْنُ مَلْجَمٍ وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَانْشَدَ:

أَنْتَ الْمُهِيمَنُ وَالْمُهَذَّبُ ذُو النَّدَى وَابْنُ الضَّرَاغِمِ فِي الطَّرَازِ الْأَوَّلِ
اللَّهُ خَصَّكَ يَا وَصِيَّ مُحَمَّدٍ وَصَبَاكَ فَضلاً فِي الْكِتَابِ الْمُنْزَلِ
وَخَبَاكَ بِالزَّهْرَاءِ بِنْتِ مُحَمَّدٍ حُورِيَّةَ بِنْتِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ

ثُمَّ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِرْمِ بِنَا مَا شِئْتَ وَحَيْثُ شِئْتَ لِتَرَى مِنَّا مَا يَسْرُكَ فَوَاللَّهِ
مَا فِينَا إِلَّا كُلُّ بَطْلٍ أَهْيَسَ وَحَازِمٍ أَكَيْسَ وَشِجَاعٍ أَشْوَشَ وَرَثْنَا ذَلِكَ عَنِ الْأَبَاءِ
وَالْأَجْدَادِ وَكَذَلِكَ تُورِثُهُ صَالِحُ الْأَوْلَادِ فَاسْتَحْسَنَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام كَلَامَهُ مِنْ
بَيْنِ الْوَفْدِ وَقَالَ عليه السلام مَا اسْمُكَ يَا غَلَامَ قَالَ إِسْمِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَ ابْنُ مَنْ؟ قَالَ
ابْنُ مَلْجَمِ الْمُرَادِيِّ قَالَ عليه السلام لَهُ مُرَادِيٌّ أَنْتَ قَالَ نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عليه السلام
«إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. قَالَ وَجَعَلَ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَكْرُرُ النَّظَرَ إِلَيْهِ وَيَضْرِبُ أَحَدَ يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى وَيَسْتَرْجِعُ ثُمَّ
قَالَ وَيَحْكُ أَمْرٌ آدِيٌّ أَنْتَ قَالَ نَعَمْ فَعِنْدَهَا تَمَثَّلَ وَيَقُولُ:

أَنَا أَنْصَحُكَ مِنِّي بِالْوُدَادِ مَكَاشِفَةٌ وَأَنْتَ مِنَ الْأَعَادِي
أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِي

قَالَ أَصْبَغُ ابْنُ نَبَاتَةَ لَمَّا دَخَلَ الْوَفْدَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَايَعُوهُ وَبَايَعَهُ ابْنُ مَلْجَمِ
فَلَمَّا أَدْبَرَ عَنْهُ دَعَاهُ عليه السلام ثَانِيًا فَتَوَثَّقَ مِنْهُ بِالْعَهْدِ وَالْمَوَاتِيْقِ أَنْ لَا يَغْدُرَ وَلَا يَنْكُثَ
فَفَعَلَ ثُمَّ سَارَ عَنْهُ ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ ثَالِثًا فَتَوَثَّقَ مِنْهُ فَقَالَ ابْنُ مَلْجَمِ كَأَنَّكَ تَكْرَهُ وَفُؤْدِي
عَلَيْكَ لَمَّا سَمِعْتَهُ فِي إِسْمِي وَائِي وَاللَّهِ لِأَحَبِّ الْأَقَامَةِ مَعَكَ وَالْجِهَادِ بَيْنَ يَدَيْكَ
وَإِنْ قَلْبِي مُحِبٌّ لَكَ وَائِي وَاللَّهِ أَوْ إِلَى وَلِيِّكَ وَأَعَادِي عَدُوِّكَ فَتَبَسَّمَ عليه السلام وَقَالَ
بِاللَّهِ يَا إِخَا مُرَادَانَ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ تُصَدِّقُنِي مِنْهُ قَالَ إِي وَعَيْشُكَ يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عليه السلام هَلْ كَانَ لَكَ رَايَةٌ يَهُودِيَّةٌ فَكَانَتْ إِذَا بَكَيتَ وَتَضْرِبُكَ
وَتَلْطَمُ جَبِينِكَ وَتَقُولُ لَكَ أَسْكَتَ فَأَنَّكَ أَشْقَى مِنْ عَاقِرِ نَافَةِ صَالِحٍ وَأَنَّكَ

سُتْحِنِي فِي كِبْرِكَ جَنَائِيَّ عَظِيمَةً يَغْضَبُ اللهُ بِهَا عَلَيْكَ وَيَكُونُ مَصِيرَكَ إِلَى النَّارِ
فَقَالَ قَدْ كَانَ ذَلِكَ وَلَكِنَّكَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ فَقَالَ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ وَمَا كُذِّبْتُ وَلَقَدْ نَطَقْتُ حَقًّا وَقُلْتُ صِدْقًا وَأَنْتَ
وَاللَّهِ قَاتِلِي لِأَمْحَالَةٍ وَسَتَخْضِبُ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ وَأَشَارَ إِلَى لِحْيَتِهِ وَرَأْسِهِ وَلَقَدْ
قَرَّبَ وَقَتَكَ وَحَانَ زَمَانِكَ، فَقَالَ ابْنُ مَلْجَمٍ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ
مِنْ كُلِّ مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَلَكِنْ إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَسِيرْ بِي إِلَى مَكَانٍ تَكُونُ
دِيَارَكَ مِنْ دِيَارِي بَعِيدَةً فَقَالَ ﷺ كُنْ مَعَ أَصْحَابِكَ حَتَّى آذِنَ لَكُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى
بِلَادِكُمْ ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالنُّزُولِ فِي بَنِي تَمِيمٍ فَأَقَامُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى
الْيَمَنِ فَلَمَّا عَزَمُوا عَلَى الْخُرُوجِ مَرَضَ ابْنُ مَلْجَمٍ مَرَضًا شَدِيدًا فَذَهَبُوا وَتَرَكَوهُ
فَلَمَّا بَرَأَ أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ وَكَانَ لَا يَفَارِقُهُ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا أَوْ يُسَارِعُ فِي قِضَاءِ
حَوَائِجِهِ وَكَانَ ﷺ يُكْرِمُهُ وَيَدْعُوهُ إِلَى مَنْزِلَةٍ وَيُقَرِّبُهُ وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ أَنْتَ
قَاتِلِي وَيُكْرِرُ عَلَيْهِ الشُّعْرَ:

أُرِيدُ حَيَاتِهِ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مَرَادٍ
فَيَقُولُ: لَهُ إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ مَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَاقْتُلْنِي فَيَقُولُ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ
ذَلِكَ إِنْ أَقْتَلَ رَجُلًا قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ بِي شَيْئًا.

وَفِي خَبَرٍ آخَرَ، إِذَا قَتَلْتُكَ فَمَنْ يَقْتُلْنِي قَالَ فَسَمِعَتِ الشَّيْعَةُ ذَلِكَ فَوَثَّبَ
الْأَشْتَرُ وَالْحَرِثُ ابْنُ الْأَعْوَرِ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الشَّيْعَةِ فَجَرَّدُوا وَسَيَّوْفَهُمْ وَقَالُوا يَا
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذَا الْكَلْبِ الَّذِي تَخَاطَبُهُ بِمِثْلِ هَذَا الْخَطَابِ مَرَارًا وَأَنْتَ أَمَامُنَا
وَوَلِيِّنَا وَابْنِ عَمِّ نَبِيِّنَا فَمُرْنَا بِقَتْلِهِ فَقَالَ لَهُمْ اغْمِدُوا سَيُوفَكُمْ بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ وَلَا
تَشْتَقُوا عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ أَتَرُونَ أَنِّي أَقْتُلُ رَجُلًا لَمْ يَصْنَعْ بِي شَيْئًا فَلَمَّا انصَرَفَ إِلَى
مَنْزِلِهِ اجْتَمَعَتِ الشَّيْعَةُ وَأَخْبَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِمَا سَمِعُوا وَقَالُوا إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
يَغْلَسُ إِلَى الْجَامِعِ وَاشْفَاقَهُ عَلَيْنَا وَنَخَافُ أَنْ يَغْتَالَهُ هَذَا الْمَرَادِيُّ فَتَعَالَوْا نَقْتَرِعْ
عَلَى أَنْ تَحْوِطَهُ كُلِّ لَيْلَةٍ مَنَّا قَبِيلَةً فَوَقَعَتِ الْقَرَعَةُ فِي اللَّيْلَةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ
عَلَى أَهْلِ الْكِنَاسِ فَتَقَلَّدُوا سَيُوفَهُمْ وَأَقْبَلُوا فِي لَيْلَتِهِمْ إِلَى الْجَامِعِ فَلَمَّا خَرَجَ ﷺ

رأهم على تلك الحالة فقال ما شأنكم فاخبروه فدعا لهم وتبسم ضاحكاً وقال
 جئتم تحفظوني من اهل السماء ام اهل الأرض قال ﷺ ما يكون شيء في
 السماء الا هو في الأرض وما يكون شيء في الأرض الا هو في السماء قالوا
 من اهل الأرض قال ﷺ: ما يكون شيء في السماء الا هو في الأرض وما يكون
 شيء في الأرض الا هو في السماء، ثم تلى ﷺ: قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا اِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا،
 ثم أمرهم ان يأتوا منازلهم ولا يعودوا لِمِثْلِهَا ثُمَّ اِنَّهُ صَعِدَ الْمَأْذَنَةَ وَكَانَ اِذَا تَنَحَّجَ
 يَقُولُ السَّامِعُ مَا اَشْبَهَهُ بِصَوْتِ رَسُولِ اللهِ فَتَاهَبَ النَّاسُ لَصَلْوَةِ الْفَجْرِ وَكَانَ اِذَا
 اذَّنْ يَصِلُ صَوْتُهُ اِلَى نَوَاحِي الْكُوْفَةِ كُلِّهَا ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى وَكَانَتْ هَذِهِ عَادَتَهُ.

واقام ابن ملجم بالكوفة الى ان خرج امير المؤمنين الى غزاة النهروان فخرج
 ابن ملجم معه وقاتل بين يديه قتالاً شديداً فلما رجع الى الكوفة وقد فتح الله
 على يديه قال ابن ملجم يا امير المؤمنين اتأذن لي ان أتقدمك الى المصر لا يبشر
 أهله بما فتح الله عليك من النصر فقال له ما ترجوا بذلك قال الثواب من الله
 والشكر من الناس وأفرح الأولياء وأكمد الأعداء فقال ﷺ له شأنك ثم أمر له
 بخلعة سنّية وعمّاتين وقوسين، ورُمحين فسار ابن ملجم ودخل الكوفة
 وجعل يخترق أزمتها وشوارعها وهو يبشر الناس بما فتح الله على
 امير المؤمنين وقد دخله العجب في نفسه فانتهى به الطريق الى محلة بنى تميم
 فمرّ على دار تعرف بالقبيلة وهو اعلى دار بها وكانت لقُطام بنت سَخِيّة ابن
 عوف ابن تيم اللات وكانت موصوفة بالحسن والجمال والبهاء والكمال فلما
 سمعت كلامه بعثت اليه وسألته النزول عندها مساعفةً لتسأله من اهلها فلما
 قرب من منزلها واراد النزول عن فرسه خرجت اليه ثم كشفت له عن وجهها
 وأظهرت له محاسنها فلما رآها فرسه خرجت اليه ثم كشفت له عن وجهها
 وأظهرت له محاسنها فلما رآها أعجبتة وهويها من وقته نزل عن فرسه ودخل
 اليها وجلس في دهليز الدار وقد أخذت بمجامع قلبه فبسطت له بساطاً
 ووضعت له متكأً وأمرت خادمها ان تنزع اخفافه وأمرت له بماء فغسل وجهه

ويديه وقدمت اليه طعاماً فأكل وشرب وأقبلت عليه تروحه من الحرّ فجعل لا يملّ من النظر اليها وهي مع ذلك متبسّمة في وجهه سافرة له عن نقابها بارزة له عن جميع محاسنها ما ظهر منه وما بطن فقال لها أيتها الكريمة لقد فعلت اليوم بي ما وجب به بل ببعضه على مدحك وشكرك ذهري كلّه فهل من حاجة أتشرف بها واستعى في قضائها قال فسئلته عن الحرب ومن قتل فيه فجعل يخبرها ويقول فلان قتله الحسن وفلان قتله الحسين عليه السلام الى ان بلغ قومها وعشيرتها وكانت قطام لعنها الله على رأى الخوارج وقد قتل امير المؤمنين في هذا الحرب من قومها جماعة كثيرة منهم ابوها واخواها وعمّها فلما سمعت منه ذلك صرخت باكية ثم لطمت خدّها وماقت من عنده ودخلت البيت وهي تندبهم طويلاً.

فندم ابن ملجم فلما خرجت اليه قالت يعزُّ عليّ فراقهم من لى بعدهم أفلا ناصر ينصّرني ويأخذ لى بثارى ويكشف عن عارى فكنت أهب له نفسى وأمكنه منها ومن مالى وجمالى فرّق لها ابن ملجم وقال لها غضى صوتك وارفقى بنفسك فانك تعطين مرادك قال فسكت من بكائها وطمعت فى قوله ثم أقبلت عليه بكلامها وهي كاشفة عن صدرها ومُسيلة شعرها فلما تمكّن هواها من قلبه مال اليها بكلّيته ثم جذبها اليه وقال لها كان ابوك صديقاً لى وقد خطبتك منه فأنعم لى بذلك فسبق اليه الموت فزوّجنى نفسك لأخذ لك بئارك قال ففرحت بكلامه وقالت قد خطبنى الأشراف من قومى وسادات عشيرتى فما انعمت إلا لىمّن يأخذ لى بثارى ولما سمعتُ عنك انك تُقاوم الأقران وتقتل الشجعان فاحببت ان تكون لى بعلّاً واكون لك اهلاً فقال لها وانا والله كفؤ كريم فاقترحى على ما شئت من مالى وفعالٍ فقالت له ان قدمت على العطية والشّروط فما انا بين يديك فتحكم كيف شئت فقال لها وما العطية والشّروط فقالت له اما العطية فثلاثة آلاف دينار وعبدٍ وقنيةٍ فقال هذا انا ملى فما الشّروط المذكور قالت نم على فراشك حتى اعود اليك ثم انها دخلت حذرّها

فَلَبَسَتْ أَفْخَرَ ثِيَابِهَا وَلَبَسَتْ قَمِيصاً رَقِيقاً يَرَى صَدْرَهَا وَمَلِيَّهَا وَزَادَتْ فِي
 الْحُلِيِّ وَالطَّيِّبِ وَخَرَجَتْ فِي مُعْصَفَرِهَا فَجَعَلَتْ تُبَاشِرُهُ بِمَحَاسِنِهَا لِيَرَى
 حُسْنَهَا وَجَمَالَهَا وَأَرَحَتْ عَشْرَةَ ذَوَابِبٍ مِنْ شَعْرِهَا مَنْظُومَةً بِالذُّرِّ وَالْجَوْهَرِ فَلَمَّا
 وَصَلَتْ إِلَيْهِ أَرَحَتْ لثَامَهَا عَنْ وَجْهِهَا وَرَفَعَتْ مُعْصَفَرَهَا وَكَشَفَتْ عَنْ صَدْرَهَا
 وَاعْكَانَهَا وَقَالَ إِنَّ قَدَمْتَ عَلَى الشَّرْطِ الْمَشْرُوطِ ظَفَرْتَ بِهَا جَمِيعَهَا وَأَنْتَ
 مَسْرُورٌ مَغْبُوطٌ قَالَ فَمَدَّ ابْنُ مَلْجَمٍ عَيْنَهُ إِلَيْهَا فَحَارَ عَقْلُهُ وَهَوَى لِحِينِهِ مَغْشِياً
 عَلَيْهِ سَاعَةً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ يَا مُنِيَّةَ النَّفْسِ مَا شَرَطْتُكَ فَاذْكُرِيهِ لِي وَأَنْتِ سَافِعَةٌ وَلَوْ
 كَانَ دُونَهُ قَطَعَ الْقَفَّارُ وَخَوَّضَ الْبَحَارُ وَقَطَعَ الرَّؤُوسَ وَاخْتَلَفَ النَّفُوسَ.

قَالَتِ الْمَلْعُونَةُ شَرَطِي عَلَيْكَ أَنْ تَقْتَلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِيطَالِبٍ بِضَرْبَةٍ وَاحِدَةٍ بِهَذَا
 السَّيْفِ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ يَأْخُذُ مِنْهُ مَا يَأْخُذُ وَيَبْقَى مَا يَبْقَى فَلَمَّا سَمِعَ ابْنُ مَلْجَمٍ
 كَلَامَهَا اسْتَرْجَعَ وَرَجَعَ إِلَى عَقْلِهِ وَاعْظَمَهُ وَاقْلَقَهُ، ثُمَّ صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ وَيَحْكُ
 مَا هَذَا الَّذِي وَأَجْهَنْتَنِي بِهِ بِئْسَ مَا حَدَّثْتَنِي بِهِ نَفْسُكَ مِنَ الْمَحَالِ ثُمَّ طَاطَأَ رَأْسَهُ
 يُسِيلُ عَرْقاً وَهُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي أَمْرِهِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا وَقَالَ لَهَا وَيْلَكَ مَنْ يَقْدَرُ
 عَلَيَّ قَتَلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِيطَالِبٍ وَهُوَ مُؤَيَّدٌ مِنَ السَّمَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ تَحْوِطُهُ بُكْرَةٌ
 وَعَشِيَّةٌ وَلَقَدْ كَانَ فِي أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ إِذَا قَاتَلَ يَكُونُ جَبْرَيْلُ عَنْ يَمِينِهِ وَمِيكَائِيلُ
 عَنْ يَسَارِهِ وَمَلَكَ الْمَوْتِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَمَنْ هُوَ هَكَذَا الْإِطَاقَةُ لِأَحَدٍ بِقَتْلِهِ وَلَا سَبِيلَ
 لِمَخْلُوقٍ عَلَى اغْتِيَالِهِ وَمَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ أَعَزَّنِي وَأَكْرَمَنِي وَأَحْبَبَّنِي وَرَفَعَنِي،
 وَأَثَرَنِي عَلَى غَيْرِي فَلَا يَكُونُ جَزَائُهُ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ أَعَزَّنِي وَأَكْرَمَنِي وَأَحْبَبَّنِي
 وَرَفَعَنِي، وَأَثَرَنِي عَلَى غَيْرِي فَلَا يَكُونُ جَزَائُهُ ذَلِكَ مِنِّي أَبَدًا فَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ قَتَلْتَهُ
 لَكَ شَرٌّ قَتَلْتَهُ وَلَوْ كَانَ أَفْرَاسُ أَهْلِ زَمَانِهِ وَأَمَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا سَبِيلَ لِي عَلَيْهِ، قَالَ
 فَصَبْرَتْ عَنْهُ حَتَّى سَكَنَ عَنيفُهُ وَدَخَلَتْ مَعَهُ فِي الْمَلَاعِبَةِ وَالْمَلَاطِفَةِ وَعَلِمَتْ
 أَنَّهُ قَدْ نَسِيَ ذَلِكَ الْقَوْلَ ثُمَّ قَالَتْ لَهُ يَا هَذَا مَا يَمْنَعُكَ عَنْ قَتْلِ عَلِيَّ بْنَ أَبِيطَالِبٍ
 وَتَرْغَبُ فِي هَذَا الْمَالِ وَتَتَنَعَّمُ بِهَذَا الْجَمَالِ وَمَا أَنْتَ بِأَعْفُفٍ وَأَزْهَدٍ مِنَ الَّذِينَ
 قَاتَلُوهُ وَقَتَلْتَهُمْ وَكَانُوا مِنَ الصَّوَامِينَ وَالْقَوَامِينَ فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ وَقَدْ قَتَلَ

المسلمين ظلماً وُعدواناً اعتزلوه وحاربوه ومع ذلك فإنه قد قتل المسلمين
 وحكم بغير حكم الله وخلع نفسه من الخلافة وامرأة المؤمنين فلما رآه قومه
 على ذلك اعتزلوه فقتلهم بغير حجة له عليهم فقال لها ابن ملجم يا هذه كفى
 عني فقد أفسدت علي ديني وادخلت الشك في قلبي وما ادري ما اقول لك
 وقد عزم على رأى ثم أنشد يقول:

ثَلَاثَةُ الْآفِ وَعَبْدٍ وَقَنِيةِ	وَضْرِبِ عَلِيٍّ بِالْحِجَامِ الْمُصْمَمِ
فَلَا مَهْرَ أَعْلَى مِنْ عَلِيٍّ وَإِنْ غَلَا	وَلَا فَتَكَ إِلَّا دُونَ فَتِكِ ابْنِ مُلْجَمِ
فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ وَمَنْ أَتَى	إِلَيْهِ جَهَاراً مِنْ مُحَلٍّ وَمُحْرَمِ
لَقَدْ أَفْسَدَتْ عَقْلِي قُطَامٌ وَإِنِّي	لَمِنْهَا عَلِيٌّ شَكٌّ عَظِيمٌ مُذْمَمٌ
لَقَتَلْتُ عَلِيَّ خَيْرُ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى	أَخِي الْعَلَمُ الْهَادِي النَّبِيُّ الْمُكْرَمُ
فَلَمْ أَرْمِهْراً سَاقَهُ ذُو سُمَاحَةِ	كَمَهْرٍ قُطَامٍ مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ
ثَلَاثَةُ الْآفِ وَعَبْدٍ وَقَنِيةِ	وَضْرِبِ عَلِيٍّ بِالْحِجَامِ الْمُصْمَمِ
لَقَدْ خَابَ مَنْ يَسْعَى بِقَتْلِ إِمَامِهِ	وَوَيْلٌ لَهُ مِنْ حَرِّ نَارِ جَهَنَّمَ

ثم قال لها اجليني ليلتي انظر في امري وآتيك غداً بما يقوى عليه عزمي
 فلما هم بالخروج أقبلت اليه وضمتها الى صدرها وقبّلت ما بين عينيه وأمرته
 بالاستعجال في امرها وسأيرته الى باب الدار وهي تشجعه وانشدت له ابياتاً.
 فخرج الملعون من عندها وقد سلّبت فؤاده واذهبت رقاده ورشاده فبات
 ليله فلماً متفكراً فمرة يعاتب نفسه ومرة يفكر في دنياه وآخرته.

فلما كان وقت السحراتاه طارق فطرق الباب فلما فتحه اذا برجل من بني
 عمه على نجيب واذا هو رسول من اخوته اليه يغزونه في ابيه وعمه ويعرفون
 انه خلف مالاً جزيلاً وانهم دعوه سريعاً ليحوز ذلك المال فلما سمع ذلك
 بقي متحيراً في امره اذ جائه ما يشغله عما عظم عليه من امر قطام فلم يزل
 متفكراً في امره حتى عزم على الخروج وكان له اخوان لأبيه وأمه كانت من زبيد
 يقال لها عدنية وهي ابنته ابي علي ابن ماشوج وكان ابوه مرادياً وكانوا يسكنون

عَجْرَانِ صَنْعَاءَ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى النَّجْفِ ذَكَرَ الْقَطَامَ وَمَنْزِلَتَهَا فِي قَلْبِهِ وَرَجَعَ إِلَيْهَا فَلَمَّا طَرَقَ الْبَابَ أَطْلَعَتْ عَلَيْهِ وَقَالَتْ مَنْ الطَّارِقُ فَعَرَفْتَهُ عَلَى حَالَةِ السَّفَرِ فَزَلَّتْ إِلَيْهِ وَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ وَسَأَلَتْهُ عَنْ حَالِهِ فَأَخْبَرَهَا بِخَبْرِهِ وَوَعَدَهَا بِقَضَاءِ حَاجَتِهَا إِذَا رَجَعَ مِنْ سَفَرِهِ وَتَمَلُّكِهَا جَمِيعَ مَا يَجِيءُ بِهِ مِنَ الْمَالِ فَعَدَلَتْ عَنْهُ مَغْضَبَةً فَذَنِي مِنْهَا وَقَبَّلَهَا وَوَدَّعَهَا وَخَلَفَ لَهَا أَنَّهُ يُبَلِّغُهَا مَأْمُولَهَا فِي جَمِيعِ مَا سَأَلَتْهُ وَخَرَجَ وَجَاءَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَخْبَرَهُ بِمَا جَاءَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى ابْنِ الْمُتَنَجِّبِ كِتَابًا بِالْيَعْنِيَةِ عَلَى اسْتِخْلَاصِ حَقِّهِ فَامَرَ كَاتِبَهُ فَكْتُبَ لَهُ ثُمَّ أَعْطَاهُ فَرَسًا مِنْ جِنَادِ خَيْلِهِ فَخَرَجَ وَسَارَ سِيرًا حَثِيئًا حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَعْضِ أَوْدِيَةِ الْيَمَنِ فَأَظْلَمَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ فَبَاتَ فِي بَعْضِهَا فَلَمَّا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ نِصْفَهُ وَإِذَا هُوَ بِزَعَقَةٍ عَظِيمَةٍ مِنْ صَدْرِ الْوَادِي وَدُخَانٍ يَفُورُ وَنَارٍ مُضْرَمَةٌ فَانزَعَجَ لِذَلِكَ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَنَظَرَ إِلَى صَدْرِ الْوَادِي وَإِذَا بِالْدُّخَانِ قَدْ أَقْبَلَ كَالجَبَلِ الْعَظِيمِ وَهُوَ وَقَعَ عَلَيْهِ وَالنَّارُ تَخْرُجُ مِنْ جَوَانِبِهِ فَخَرَّ مَغْشِيًا عَلَيْهِ فَلَمَّا أَفَاقَ فَإِذَا بِهَا تَفٍ يَسْمَعُ صَوْتَهُ وَلَا يَرِي شَخْصَهُ وَيَقُولُ:

أَسْمَعُ وَعِ الْقَوْلِ يَا بَنَ مُلْجَمٍ أَنْكَ فِي أَمْرِ مَهُولٍ مُعْظَمٍ
تَضْمُرُ قَتْلَ الْفَارِسِ الْمُكْرَمِ أَكْرَمَ مِنْ طَافَ وَلَبَّى وَأَحْرَمِ
ذَاكَ عَلَى ذَوَاتِ التَّقَاءِ الْأَقْدَمِ فَأَرْجِعْ إِلَى اللَّهِ لِكَيْلَا تَنْدَمِ

فَلَمَّا سَمِعَ تَوَهَّمُ أَنَّهُ مِنْ طَوَارِقِ الْجَنِّ وَإِذَا بِالْهَاتِفِ يَقُولُ يَا شَقِيَّ ابْنَ الشَّقِيَّ
أَمَا مَا اضْمَرْتِ مِنْ قَتْلِ الرَّاهِدِ الْعَابِدِ الْعَادِلِ الرَّكَعِ السَّاجِدِ أَمَامِ الْهَدْيِ وَعَلِمِ
التُّقَى وَالْعُرْوَةَ الْوُثْقَى فَأَنَا عَلِمْنَا بِمَا تَرِيدَانِ تَفَعَّلْهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَحْنُ مِنَ
الْجَنِّ الَّذِينَ أَسْلَمْنَا عَلَى يَدَيْهِ وَنَحْنُ نَازِلُونَ بِهَذَا الْوَادِي فَأَنَا لَأَنْدَعَكَ تَبَيَّتْ فِيهِ
فَأَنْتَ مَيْشُومٌ عَلَى نَفْسِكَ ثُمَّ جَعَلُوا يَرْمُونَهُ بِقَطْعِ الْجِنَادِلِ فَصَعِدَ فَرَقٌ شَاهِقٍ
بَقِيَّةَ لَيْلِهِ فَلَمَّا أَصْبَحَ سَارَ لَيْلًا وَنَهَارًا حَتَّى وَصَلَ الْيَمَنَ وَأَقَامَ عِنْدَهُمْ شَهْرَيْنِ
وَقَلْبُهُ عَلَى حَرِّ الْجَمْرِ مِنْ أَجْلِ قَطَامِ.

ثُمَّ أَنَّهُ أَخَذَ الْمَالَ الَّذِي أَصَابَهُ وَالْمَتَاعَ وَالْأَثَاثَ وَالْجَوَاهِرَ فَخَرَجَ فَبَيْنَا هُوَ فِي

بعض الطريق اذ خرجت اليه حراميه فسايروهم وسايروه فلما قربوا من الكوفة حاربوه واخذو جميع ما كان معه ونجا بنفسه وفرسه وقليل من الذهب على وسطه وما كان تحته فهرب على وجهه حتى كاد ان يهلك عطشاً وأقبل سائراً في الفلاة مَهْمُوماً جائعاً عطشانياً فلاح له شَبَحٌ فقصدته فاذا بيوت من ابيات الحرب فقصد منها بيتاً ونزل عندهم واستسقاهاهم شربة ماء فسقوه وطلب لبناً فأتوه به فنام ساعة فلما استيقظ أتاه رجلان وقدا اليه طعاماً فأكل واكلامعه وجعلا يسألانه عن الطريق فأخبرهما ثم قالاً مِمَّنِ الرَّجُلُ قال من بنى مُراد قالاً اين تقصد قال الكوفة فقالا له كأنك من اصحاب ابى تراب قال نعم فأحمرت أعينهما غيظاً وعزما على قتله ليلاً واسراً ذلك ونهضا فتبين له ما عزما عليه وندم على كلامه فبينما هو متحير اذا قبل كلبهم ونام قريباً منهم فاقبل اللعين يمسح بيده على الكلب ويشفق عليه ويقول مرحباً بكلب قوم أكرموني فأستحسنا ذلك وسألاه ما اسمك قال: عبد الرحمن ابن ملجم فقالا ما اردت بصنعك هذا فى كلبنا فقال اكرمته لأجلكم حيث اكرمتموني فوجب على شكركم وكان هذا منه خديعةً ومكرٌ فقالا الله اكبر الآن والله وجب حَقُّك علينا ونحن نكشف لك عما فى ضمائرنا نحن نرى رأى الخوارج وقد قُتِلَ أعمامنا وأخواننا وأهالينا كما علمتُ فلما اخبرتنا أنك من اصحابه عزمنا على قتلك فى هذه الليلة فلما رأينا هذا الصنع منك بكلبنا صفحنا عنك ونحن الآن نطلعك على ما قد عزمنا عليه فسألهما عن اسمائهما فقال احدهما انا البرك ابن عبد الله التميمى وهذا عبد الله ابن عثمان العنبرى صهرى وقد نظرنا الى ما نحن عليه من مذهبنا فرأينا ان فساد الارض والامة كلها من ثلاثة نفر: ابو تراب، ومعاوية، وعمرو بن العاص فاما ابو تراب فإنه قتل رجالنا كما رأيت وافتكرنا ايضاً فى الرجلين معاوية وابن العاص وقد ولينا علينا هذا الظالم العشوم بسر ابن اوطاة يطرقتنا فى كل وقت ويأخذ اموالنا وقد عزمنا على قتل هؤلاء الثلاثة فاذا قتلناهم توطأت الأرض وأقعد الناس لهم اماماً يرضونه فلما سمع ابن ملجم

كلامهما صفق بأحدى يديه على الأخرى وقال والذي فلق الحبة وبرء النسمة وتردى بالعظمة اثنى لثالثكما وموافقكما على رأيكما وائى أكفيكما أمر على ابن ابيطالب فنظرا اليه متعجبين من كلامه قال والله ما اقول لكما إلا حقاً ثم ذكر لهما قصته فلما سمعا كلامه عرفا صحته وقالوا ان قطام من قومنا واهله كانوا من عشيرتنا فنحن نحمد الله على اتفاقنا فهذا لا يتم إلا بالأيمان المغلظة فنركب الآن مطايانا ونأتى الكعبة وننجا قد عندها على الوفاء فلما اصبحوا وركبوا حضر عندهم بعض قومهم فاشارو اليهم وقالوا لاتفعلوا ذلك فما منكم احد إلا ويندم ندامة عظيمة فلم يقبلوا وساروا جميعاً حتى اتوا البيت وتقاعدوا عنده.

فقال البرك انا لعمر و ابن العاص، وقال العنبرى انا لمعاوية، وقال ابن ملجم انا لعلى فتحالفوا فى ذلك بالأيمان المغلظة ودخلوا المدينة وطفوا عند قبر النبى على ذلك ثم افرقوا وقد عيّنوا يوماً معلوماً يقتلون فيه الجميع ثم تار كل منهم على طريقه.

فاما البرك فأتى مصر ودخل الجامع واقام فيه اياماً فخرج عمرو ابن العاص ذات يوم الى الجامع وجلس فيه بعد صلوته فجاء البرك اليه وسلم عليه ثم حادثه فى فنون الأخبار وطرف الكلام والأشعار فشعف به عمرو ابن العاص وقرّبه وأدناه وصار يأكل معه على مائدة واحدة فاقام الى الليلة التى تواعدوا فيها فلما كان عند طلوع الفجر اقبل المؤذن واعتذر عمرو ابن العاص عن الخروج الى المسجد بعذرٍ حدث له وقال قدموا خارجة ابن تميم القاضى يُصلّى بالناس فأتى القاضى ودخل المحراب، فجاء البرك فوقع خلفه وسيفه تحت ثيابه وهو لا يشك أنه عمرو ابن العاص فأمهله حتى سجّدا جالسوا من سجوده فسلى سيفه ونادى لاحكم الأ لله ولا طاعة لمن عصى الله ثم ضربه بالسيف فقضى نحبّه لوقته فأحاطوا به من كل جانب واخذوا سيفه من يده واوجعوه ضرباً شديداً ثم أتوه الى عمرو وقالوا انه قد قتل خارجة فدهش

عمر والذالك وقال يا هذا لما فعلت ما فعلت فقصّ عليه القصة فأمر به وحبسّه حتى أمره معاوية بقتله فقتله.

وامّا عبدالله العنبري فقصّد دمشق وكان يتردّد الى معاوية الى ليلة تسع عشرة فلمّا اذن المؤذّن للفجر وأتى معاوية المسجد ودخل محرابه فسأل سيفه وضربه فراغ عنه فاراد ضرب عنقه فانصاع عنه فوقع السيف في إيتّه الى آخر القصة والحاصل انه لم يمّت ايضاً.

وامّا ابن ملجم فانه سار حتى دخل الكوفة واجتاز على الجامع وكان امير المؤمنين جالساً على باب كندة فلم يدخله ولم يسلم عليه وكان الى جانبه الحسن والحسين ومعه جماعة من اصحابه فلمّا نظروا الى ابن ملجم وعُبره قالوا الا ترى الى ابن ملجم عبّر ولم يسلم عليك قال دعوه فان له شأناً من الشأن والله ليخضبّن هذه من هذه واثار الى لحيته وهامته وقال عليه السلام:

ما من الموت لأنسان فجا	كل امرء لا بدّ يأتيه الفناء
تبارك الله وسُبْحانه	لكلّ شيءٍ مدّة وانتهاء
يقدر الأنسان في نفسه	امرٌ ويأتيه عليه القضاء
لاتأمننّ الدهر في أهله	لكلّ عيشٍ آخر وانقضاء
بنيا ترى الأنسان في غبطةٍ	يُمسى وقد حلّ عليه القضاء

ثمّ جعل عليه السلام يطيل النظر اليه حتى غاب عن عينه وأطرق الى الأرض يقول انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوّة الا بالله العليّ العظيم، قال وسار ابن ملجم حتى وصل الى دار قُطام وساق الحديث بطوله الى ان قال:

فقال لها يا قُطام في هذه الليلة أقتل عليّ ابن ابيطالب واخذ سيفه ومضى به الى الصيقل فأجار صقاله وجاء به اليها فقالت انّي أريد ان أعمل فيه سمّاً قال وما يُصنع بالسمّ لو وقع على جبلٍ لهدّه فقالت دعني أعمل فيه السمّ فانك لو رأيت عليّاً لطاش عقلك وارتعشت يداك وربما ضربته ضربة لا تعمل فيه شيئاً فاذا كان مسموماً فان لم تعمل الضربة عمِل السمّ فقال لها يا ويلك أتخوفيني

من عليّ فوالله لأرهب عليّاً ولا غيره الى ان قال الراوى:

وكان ابن ملجم قد خرج فى ذلك اليوم يمشى فى أزقة الكوفة فلقى صديق له وهو عبدالله ابن جابر الحارثى فسلم عليه وهنأه بزواج قطام ثم تحدثا ساعة فحدثه بحديثه من أوّله الى آخره فسرّ بذلك سروراً عظيماً فقال له انا أعاونك فقال ابن ملجم دعنى من هذا الحديث فانّ عليّاً أروغ من الثعلب وأشدّ من الأسد ثم مضى ابن ملجم فى شوارع الكوفة فاجتاز على امير المؤمنين وهو جالس عند ميثم التمار فخطف عنه كيلا يراه ففطن به فبعث خلفه رسولا فلما اتاه وقف بين يديه وسلم عليه وتضرّع لديه فقال ﷺ له ما تعمل ههنا قال اطوف فى اسواق الكوفة وانظر اليها فقال ﷺ عليك بالمساجد فانها خير لك من البقاع كلها وشرّها الأسواق ما لم يذكر الله فيها ثم حدثه ساعة وانصرف فلما ولّى جعل امير المؤمنين ﷺ يطيل النظر اليه ويقول يالك من عدوّ لى من مراد ثم قال:

أريدُ حياته ويُريدُ قتلى غدريك من خليلك من مراد

ويأبى الله الا ان يشاء، ثم قال ﷺ يا ميثم هذا والله قاتلى لامحالة أخبرنى به حبيبي رسول الله فقال ميثم يا امير المؤمنين فلم لا تقتله انت قبل ذلك فقال يا ميثم لا يحلّ القصاص قبل الفعل فقال ميثم يا مولاي اذا لم تقتله فاطرده فقال يا ميثم لولا آية فى كتاب الله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب.

وايضاً انه بعد، ما جنى جناية فيؤخذ بها ولا يجوز ان يعاقب قبل الفعل فقال ميثم جعل يومنا قبل يومك ولا ارانا الله فيك سوءاً ابداً وحتى يكون ذلك يا امير المؤمنين.

فقال ﷺ ان الله تفرّد بخمسة اشياء لا يطلع عليها نبي مرسل ولا ملك مقرب

فقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾^(١)

يا ميثم هذه خمسة لا يطلع عليها الا الله وما اطلع عليها نبي ولا وصي ولا

مَلِكٌ مَقْرَبٌ يَا مَيْثَمٌ لَا حَذْرَ مِنْ قَدْرٍ يَا مَيْثَمٌ إِذَا جَاءَ الْقَضَاءُ فَلَا مَفْرَءَ ثُمَّ سَأَلَ
الْحَدِيثَ بِطَوْلِهِ إِلَى أَنْ قَالَ:

أَمَّا ابْنُ مَلْجَمٍ فَبَاتَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَهِيَ اللَّيْلَةُ التَّاسِعَةُ عَشَرَ يُفَكِّرُ فِي نَفْسِهِ
وَلَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ فَتَارَةً يِعَاتِبُ نَفْسَهُ وَيُوبِخُهَا وَيَخَافُ عَنْ عَقْبِي فِعْلُهُ وَتَارَةً
يَذْكُرُ قِطَامَ وَحُسْنَهَا وَجَمَالَهَا وَكَثْرَةَ مَالِهَا وَكَانَ عَلَى هَذَا الْمُنْوَالِ إِلَى أَنْ غَلَبَتْ
الشَّقَاوَةُ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهَا هَلْمِي إِلَيَّ بِالسَّيْفِ ثُمَّ أَنَّهُ إِتَزَرَ وَأَتَشَجَّ بِأَزَارٍ وَجَعَلَ
السَّيْفَ تَحْتَ الْأَزَارِ مَعَ بَطْنِهِ وَقَالَ افْتَحِي لِي الْبَابَ فَفِي هَذِهِ السَّاعَةِ اقْتُلِي لَكَ
عَلِيًّا إِلَى أَنْ قَالَ فَخَرَجَ مِنَ الْبَابِ وَهِيَ خَلْفُهُ تَحْرُضُهُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ:

اقْوُلْ إِذَا مَا حَيَّةٌ أَعَيْتِ الرَّقَا وَكَانَ ذَعَا فِ الْمَوْتِ مِنْهُ شَرَابَهَا
رَسَسْنَا إِلَيْهَا فِي الظَّلَامِ ابْنَ مُلْجَمِ هَمَامٌ إِذَا مَا الْحَرْبُ شَبَّ لَهَا بِهَا
فَخُذْهَا عَلَيَّ فَوْقَ رَأْسِكَ ضَرْبَةً بِكَفِّ سَعِيدٍ سَوْفَ يَلْقَى ثَوَابَهَا

قَالَ لَهَا أَفَسَدَتْ وَاللَّهِ الشُّعْرُ فِي هَذَا الْبَيْتِ الْآخِرِ قَالَتْ وَلَمْ ذَاكَ قَالَ لَهَا هَلَّا
قُلْتَ: بِكَفِّ شَقِيٍّ سَوْفَ يَلْقَى عِقَابَهَا.

ثُمَّ أَنَّ الرَّأْيَ ذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطَوْلِهِ وَأَعْرَضْنَا عَنْ ذِكْرِ بَقِيَّةِ الْحَدِيثِ وَمَا وَقَعَ
بَعْدَ قَتْلِهِ عليه السلام حَذْرًا مِنَ الْأَطْنَابِ إِلَى أَنْ قَالَ وَنَادَى جِبْرَائِيلُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ كُلُّ مُسْتَيْقِظٍ تَهَدَّمَتْ وَاللَّهِ أَرْكَانَ الْهُدَى وَانْطَمَسَتْ وَاللَّهِ نُجُومُ
السَّمَاءِ وَأَعْلَامُ التُّقَى وَانْفَضَّتْ وَاللَّهِ الْعُرْوَةَ الْوُثْقَى قَتَلَ ابْنَ عَمِّ الْمُصْطَفَى قَتَلَ
الْوَصِيَّ الْمُجْتَبَى قَتَلَ عَلِيَّ الْمُرْتَضَى قَتَلَ وَاللَّهِ سَيِّدَ الْأَوْصِيَاءِ قَتَلَ أَشَقِيَّ
الْأَشْقِيَاءِ.

وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الضَّرْبَةَ وَقَعَتْ مِنْهُ عَلَى رَأْسِهِ عليه السلام بَعْدَ رَفْعِ رَأْسِهِ عليه السلام عَنْ
السَّجْدَةِ الْأُولَى مِنَ الرَّكَعَةِ الْأُولَى وَوَقَعَتْ الضَّرْبَةُ عَلَى الضَّرْبَةِ الَّتِي ضَرَبَهُ
عَمْرُو بْنُ عَبْدِوَدِّ الْعَامِرِيُّ إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَهُ مِنَ التَّفْصِيلِ انْتَهَى.

مَا أَرَدْنَا ذِكْرَهُ فَقَوْلُهُ: فَحَ لَا يَطِيئُ السُّهْمَ وَلَا يَبْرَأُ الْكَلِمَ، هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى هَذَا
الْمَعْنَى فَإِنَّ ضَرْبَةَ عَمْرُو بْنِ عَبْدِوَدِّ لَمْ تَقْتُلْهُ وَضَرْبَةُ ابْنِ مَلْجَمٍ قَتَلَتْهُ وَلَيْسَ هَذَا

إلا من جهة قوله عليه السلام: قَدْ أَجَاءَ يَوْمِي هَذَا انْفَرَجَتْ عَنِّي الخ ونسب إليه هذه
الاشعار:

أشَدُّ حَيَازِ يَمَكٍ لِمَوْتٍ فإِنَّ الْمَوْتَ لَأَقْبِيكَ
وَلَا تَجْزَعُ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا حَلَّ بِوَادِيكَ
فإِنَّ الدَّرْعَ وَالْبَيْضَةَ يَوْمَ الرَّدْعِ يَكْفِيكَ
كَمَا أَضْحَكَكَ الدَّهْرُ كَذَلِكَ الدَّهْرُ يُبْكِيكَ
فَقَدْ أَعْرَفَ أَقْوَاماً وَإِنْ كَانُوا صَغَالِيكَ
مَصَارِيعَ إِلَى النَّجْدَةِ لَللَّغَى مِتَارِيكَ

وأما البحث في الأجل من حيث كونه محتوماً وموقوفاً فهو امر خارج عما
نحن بصدده ضرورة أن البحث في الأجل المحتوم فانه الذي اذا جاء لا يطيش
السهم ولا يبرء الكلم وانه هو الذي اذا جاء القدر عمى البصر وأما الأجل
الموقوف فليس كذلك ولا بحث لنا الآن فيه ولعله يأتي منا البحث فيه مفصلاً
فيما يأتي انشاء الله.

﴿ وَمَنْ خُطِبَ لَهُ ﴾ (٦٢)

□ قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسَلَّمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا، ابْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ وَحَوَسِبُوا عَلَيْهِ، وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ، فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَىءَ الظِّلِّ، بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغًا حَتَّى قَلَصَ، وَزَايِدًا حَتَّى نَقَصَ، متن.

◁ اللِّغَةُ

(كَفَىءَ الظِّلِّ) أَلْفَىءَ الرُّجُوعِ وَالْمَعْنَى كَرَجُوعِ الظِّلِّ. (سَابِغًا) سَبَغَ الشَّيْءُ مِنْ بَابِ قَعْدْتُمْ وَكَمَّلَ. (قَلَصَ) انْقَبَضَ

◁ المعنى

اعلم ان هذه الخطبة وارده في مقام التزهيد عن الدنيا والترغيب في الآخرة فقوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسَلَّمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا إشارة الى انه لا يمكن الخلاص عن شرور الدنيا وأفاتها إلا بالرياضات والمجاهدات النفسانية فيها لانها هي دار التكليف والعمل. (وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا) ومعناه علم مما سبق. (ابْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا) اي بالدنيا (فِتْنَةً) واختباراً. (فَمَا أَخَذُوهُ) النَّاسُ (مِنْهَا) من الدنيا (لَهَا) اي للدنيا. (أُخْرِجُوا مِنْهُ) لامحالة بعد الموت و(وَحَوَسِبُوا عَلَيْهِ) في الآخرة. (وَمَا أَخَذُوهُ) النَّاسُ (مِنْهَا) اي من الدنيا. (لِغَيْرِهَا) اي لغير الدنيا

وهو الآخرة (قَدِمُوا عَلَيْهِ) بعد موتهم. (وَأَقَامُوا فِيهِ) فى النَّشْأَةِ الآخرة (فَإِنَّهَا) اى الدُّنْيَا. (عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَىءَ الظِّلِّ) ورجوعه (بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتَّى قَلَصَ) وانقبض (وَزَايِداً حَتَّى نَقَصَ)، كما هو شأن الظل.

◀ الشرح

وَصَفَ ﷺ الدُّنْيَا بِأُمُورٍ سِتَّةٍ:

احدها قوله ﷺ: **أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسَلَّمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا ...**

كَلِمَةٌ (أَلَا) لِلتَّنْبِيهِ وَقَدْ مَرَّ مَرَاراً كَمَا أَنَّ الْبَحْثَ فِي حَقِيقَةِ الدُّنْيَا وَمَاهِيَّتِهَا وَوَجْهَ تَسْمِيَّتِهَا بِهَا إِضْطِحَ قَدْ مَرَّ مَفْضُلاً وَحَاصِلُ الْكَلَامِ فِي الْمَقَامِ هُوَ أَنَّ مِنْ أَوْصَافِ الدُّنْيَا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ الْخَلَاصَ مِنْ شُرُورِهَا وَأَفَاتِهَا إِلَّا بِالسَّبَبِ الْمَوْجُودَةِ فِيهَا مِنَ الطَّاعَةِ وَمِلَازِمَةِ التَّقْوَى وَاتِّبَاعِ أَوْامِرِ اللَّهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ فَيَقَعُ الْبَحْثُ فِي مَقَامَيْنِ:

المقام الاول: فى ان لها آفات وبلبات.

والثانى: فى كيفية الخروج منها والخلاص عنها فالى.

المقام الاول اشار بقوله ﷺ: **دَارٌ لَا يُسَلَّمُ مِنْهَا.**

والى الثانى بقوله ﷺ: **إِلَّا فِيهَا،** ونحن نتكلم فى كل واحدٍ منهما عليحدة فنقول.

أما البحث فى المقام الاول: فلا شك ان الدنيا محفوفة بالآفات، والبلبات من الأوجاع والمُصِيبَاتِ وَالذَّلَّةِ وَالْفَقْرِ وَالْمَظْلُومِيَّةِ وَالْمَرَضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَكَادُ يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ وَهَذِهِ الْأُمُورُ لَا بَدَّ مِنْهَا فِيهَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى جَمِيعِ الْأَفْرَادِ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ فِيهِمْ وَأَمَّا التَّفَاوُتُ فِي الشَّدَةِ وَالضَّعْفِ وَالْأَصْلِ وَجُودِهَا لِأَحَادِ النَّاسِ مِمَّا لاشك فيه والى هذا المعنى اشار ﷺ فى بعض كلماته حيث قال الدنيا دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة الخ.

ولا ريب عند اللبيب ان شرور الدنيا مشوب بالغموم وراحتها بالتعب وصحتها بالمرض واتصالها بالانفصال فلو تأملت فيها وامعنت النظر اليها حق

التأمل والأمعان لَعِلِمَتِ أَنَّهَا مُنْقَلِبَةٌ دَائِمًا مِنْ حَالَةٍ إِلَى حَالَةٍ بَلْ فِي الْحَقِيقَةِ لَا تَوْجِدُ فِيهَا سُرُورًا وَرَاحَةً أَصْلًا وَلِنَعْمَ مَا قِيلَ فِيهَا.

أَفْ لِلدُّنْيَا إِذَا كَانَتْ كَذَا أَنَا مِنْهَا فِي بِلَاءٍ وَأَذَى
إِنْ صَفَا عَيْشُ أَمْرٍ فِي صُبْحِهَا جَرَعْتَهُ مُمَسِيًّا كَأْسِ الرِّدَى
وَلَقَدْ كُنْتُ إِذَا مَا قِيلَ مِنْ أَنْعَمَ الْعَالَمُ عَيْشًا قَبْلَ ذَا
قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي الدُّنْيَا لَا يَأْتِي عَلَيْنَا زَمَانٌ إِلَّا بِكَيْنَانِهِ وَلَا يَتَوَلَّى عَنَّا
زَمَانٌ إِلَّا بِكَيْنَانِهِ كَمَا قِيلَ:

رَبِّ يَوْمٍ بِكَيْتٍ مِنْهُ فَلَمَّا صِرْتُ فِي غَيْرِهِ بِكَيْتٍ عَلَيْهِ
وَقَالَ أَيْضًا:

وَمَا مَرَّ يَوْمٌ أَرْتَجِي فِيهِ رَاحَةً فَأَخْبِرْهُ إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَى أَمْسَى
وَقَالَ آخَرَ:

عَنْ الْإِيَّامِ عَدَّ فَعَنَ قَلِيلٌ تَرَى الْإِيَّامَ فِي صُورِ اللَّيَالِي
وَنَقَلَ عَنْ بَعْضِ الْعُرَفَاءِ أَنَّهُ قَالَ عليه السلام مَا قَالَ النَّاسُ لَشَيْءٍ طَوَّبِي إِلَّا وَقَدْ خَبَّأَهُ
الدَّهْرُ يَوْمَ سُوءٍ وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قِيلَ:

فَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَهَدْتَهُمْ وَلَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتُ أَعْهَدُ
قِيلَ أَنَّ دَاوُدَ عليه السلام دَخَلَ دَارًا (غَارًا) فَوَجَدَ فِيهِ رَجُلًا مَيْتًا وَعِنْدَ رَأْسِهِ لَوْحٌ
مَكْتُوبٌ فِيهِ أَنَا فُلَانُ ابْنِ فُلَانِ الْمَلِكِ عَشْتُ أَلْفَ عَامٍ وَبَنَيْتُ أَلْفَ مَدِينَةٍ
وَافْتَضَّضْتُ أَلْفَ بَكْرٍ وَهَزَمْتُ أَلْفَ جَيْشٍ ثُمَّ صَارَ أَمْرِي إِلَى أَنْ بَعَثْتُ زَنْبِيلاً مِنْ
الدَّرَاهِمِ فِي رَغِيفٍ فَلَمْ يُوْجَدْ ثُمَّ بَعَثْتُ زَنْبِيلاً مِنَ الْجَوْهَرِ فَلَمْ يُوْجَدْ فَدَقَّقْتُ
الْجَوْاهِرَ وَاسْتَفَيْتُهَا فَمَتُّ مَكَانِي فَمَنْ أَصْبَحَ وَلَهُ رَغِيفٌ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّ عَلَى
وَجْهِ الْأَرْضِ أَغْنَى مِنْهُ أَمَاتَهُ اللَّهُ كَأَمَاتِي.

وَقَالَ هَيْثَمُ بْنُ خَالِدِ الطَّوِيلِ دَخَلْتُ عَلَى صَالِحِ مَوْلَى قَنَارَةَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ
وَهُوَ جَالِسٌ فِي قُبَّةٍ مَغْشَاهُ بِالسَّمُورِ وَجَمِيعُ فَرُوشِهَا سَمُورٌ وَبَيْنَ يَدَيْهِ كَانُونٌ
فِيضَةٌ يَنْجَرُ فِيهِ بِالْعُودِ ثُمَّ رَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَهُوَ يَسْأَلُ فِي الْجِسْرِ.

ومما نقلوه - أنه لما قُتل عامر ابن اسماعيل مروان بن مُحمَّد ونزل في داره
 وَقَعَدَ عَلَى فَرَشِهِ دَخَلَتْ عَلَيْهِ عُبْدَةُ بِنْتُ مَرْوَانَ وَقَالَتْ يَا عَامِرُ أَنْ دَهْرًا أَنْزَلَ
 مَرْوَانَ عَنِ فَرَشِهِ وَأَقْعَدَكَ عَلَيْهِ لَقَدْ أَبْلَغَ فِي عِظْتِكَ وَقَالَ مَالِكُ ابْنُ دِينَارٍ مَرَرْتُ
 بِقَصْرِ تَضْرِبُ فِيهِ الْجَوَارِي بِالذُّفُوفِ وَيَقْلُنُ:

الآيَادَارُ لَا يَدْخُلُكَ حُزْنٌ وَلَا يَغْدُرُ بِصَاحِبِكَ الزَّمَانُ
 فَنِعْمَ الدَّارُ تُوَوِّى كُلَّ ضَيْفٍ إِذَا مَا ضَاقَ بِالضَّيْفِ الْمَكَانُ
 ثمَّ مَرَرْتُ عَلَيْهِ بَعْدَ حِينٍ وَهُوَ خَرَابٌ وَبِهِ عَجُوزٌ فَسَأَلْتُهَا عَمَّا كَانَتْ رَأَتْ
 وَسَمِعَتْ فَقَالَتْ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُغَيِّرُ وَلَا يَتَّغَيَّرُ وَالْمَوْتُ غَالِبٌ كُلِّ مَخْلُوقٍ قَدَّرَ
 اللَّهُ دَخَلَ بِهَا الْحُزْنَ وَذَهَبَ بِأَهْلِهَا الزَّمَانَ كَمَا قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ.

لَنْ كُنْتَ فِي الدُّنْيَا بَصِيرًا فَاتِمًّا بَلَغَتْ مِنْهَا مِثْلُ ذَاكَ الْمُسَافِرِ
 إِذَا أَبَقَتِ الدُّنْيَا عَلَى الْمَرْءِ دِينَهُ فَمَا فَاتَهُ مِنْهَا فَلَيْسَ بِضَائِرٍ
 وأمثلة ذلك من القضايا في انقلاب الدهر كثيرة إلا أن البحث في أن
 الخلاص من همومها وغمومها بائٍ شيء هو فقال ﷺ فيه:

المقام الثاني: في الخلاص عنها وقد افاد ﷺ أنه لا يمكن لأحد السلامة من
 شُرورها إلا فيها، وذلك لأنَّ المقدرات لا يمكن تغييرها، وتبديلها فإنها
 لا محالة واقعة شاء المكلف أو لم يشاء فسلامة الدين والدنيا إنما تحصل
 بالتسليم والأنقياد في قبالتها والصبر على مكروهااتها والشكر على نعمائها وكل
 ذلك لا تكون إلا في هذه الدنيا إذ الدنيا دار التكليف والآخرة دار الجزاء فمن
 لم يصبر عليها فيها كيف يُسلم عن تبعاتها وعواقبها.

وبعبارة أخرى: سلامة الدنيا والخلاص من شُرورها وآفاتنا إنما هي في
 الزهد فيها والرغبة إلى الآخرة ومعنى الزهد فيها عدم الاعتناء بها فإذا كان
 الإنسان غير مُعْتَنٍ بها من حيث اقبالها وادبارها فلامحالة يكون سالماً من جهة
 الدين والدنيا كما أنه كلما كان اعتناؤه وعلاقته بها أكثر فهممه وغممه فيها أكثر
 فيخرج عن الدنيا محزوناً مغموماً وليس له في الآخرة أيضاً من نصيب وقد

ذكرنا الآيات والزوايات الواردة في مدح الزهد فيها.

وقد روى عن الصادق عليه السلام انه قال من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا داءها ودوائها واخرجه من الدنيا سالماً الى دار السلام انتهى «الكافي شرح الخوئي ج ٤»...

وايضاً روى عنه عليه السلام انه قال من كثر اشتياكه بالدنيا كان اشدّ إحسرتة عند فراقها انتهى «البحار ج ١٥»...

□ قوله عليه السلام: وَلَا يُنْجِي بِشَىءٍ كَانَ لَهَا ...

هذا هو الوصف الثاني لها وهو ان النجاة عن الدنيا بالدنيا غير ممكن بل لا بد لمن اراد النجاة فيها من التمسك بأمرٍ ليست لها بل تكون لآخره وذلك لكون الدنيا والآخرة متقابلين فترك احدهما يستلزم التثبت بالآخر فكما ان ترك الآخرة بالتمسك بالدنيا فترك الدنيا ايضاً بالتمسك بالآخره فمن اراد ترك الدنيا بالدنيا فهو وقع فيها من حيث لا يعلم وهو واضح.

□ قوله عليه السلام: ابْتَلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً، ...

إشارة الى قوله تعالى: ﴿نَبِّئُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾^(١)

و: ﴿وَلَنَبِّئُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾^(٢)

و: ﴿وَإِذَا ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾^(٣)

و: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾^(٤)

و: ﴿وَ أَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾^(٥)

واما كون الابتلاء فتنة.

قوله تعالى: وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾^(٦)

و: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَانَ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾^(٧) و امثال ذلك

من الآيات وقد مرّت سابقاً. والمقصود هو أنّ الله تعالى قد أبتلى الناس بالدنيا لأجل الاختبار والامتحان.

ان قلت - أليس الله تعالى عالماً بقلوب العباد وضمائرهم ما ظهر منها وما بطن فما معنى الامتحان في الدنيا وقد ثبت أنّ الاختبار إنّما هو للوقوف على حال المُختَبَر فاذا كان المُختَبَر عالماً بالمُختَبَر كما هو حقّه فالأختبار لا معنى له وما نحن فيه من هذا القبيل ضرورة أنّ الله تعالى عالم السّر والخفيات فلا يعزّب عن عمله مثقال ذرّة فهو بكلّ شيء عليم.

قلت: الأختبار تارة يطلق ويراد به المعنى المذكور اعنى علم المُختَبَر بحال المُختَبَر وتارة يطلق ويراد به انكشاف الواقع وظهوره على المُختَبَر نفسه اما المعنى الاول فلا يتحقّق في حقّه تعالى لعلمه بالموجودات تفصيلاً بل هو أعلم بهم من أنفسهم. واما المعنى الثانى فهو الذى يراد منه فى حقّه تعالى وعليه فنقول فى الجواب.

اختبار الله تعالى للعباد تارة بالمسارّ واخرى بالمضارّ فعلى الاول يجب عليهم الشكر وعلى الثانى الصبر فصارت المِحْنَةُ والمَنْحَةُ جميعاً بلاء واختبار فالمِحْنَةُ مقتضية للصبر والمَنْحَةُ مقتضية للشكر والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر فصارت المَنْحَةُ أعظم البلائين والى هذا المعنى يشير ما روى عن امير المؤمنين عليه السلام حيث قال مَنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ فَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ مُكِرَ بِهِ فَهُوَ مَخْدُوعٌ عَنْ عَقْلِهِ والى كلا الأمرين أشير فى الكتاب العزيز بقوله تعالى:

﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾^(١)

و: ﴿وَلِيَبْلِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾^(٢)

و: ﴿وَفِي ذَالِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾^(٣) إلى المَنْحَةِ حيث انجاهم الله تعالى عن العذاب.

كما ان قال الله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾^(١) الى المِحْنَةِ فَقَط. قال الرَّاعِب في المفردات اذا قيل ابتلى فلان كذا وابلاه فذاك يَتَّصِمَن امرين:

احدهما: تَعَرَّفَ حاله والوَقُوف على ما يُجْهَل من امره.

والثاني: ظهور جُودَتِه ووردائته وربما قصد به الأمران وربما يقصد به احدهما فاذا قيل في الله تعالى: بلا كذا او ابلاه فليس المراد منه الا ظهور جُودَتِه ووردائته دون التَّعَرَّف لحاله والوقوف على ما يُجْهَل من أمره اذا كان الله علام الغيوب وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾^(٢) انتهى.

فعلى ما ذكرناه ونقلناه عن الرَّاعِب اختبار الله تعالى للعباد انما لظهور جُودَتِهِم ووردائتهم لاغير واذ ثبت وتحقق ان المراد بالاختبار ظهور الجُودَةِ والرَّدائَةِ فاعلم ان الله تعالى اِخْتَبَرَ العباد وابلاهم بالدنيا وما فيها من المِحْنَةِ والمَتَّحَةِ الا ان هذا الاختبار فيها يتفاوت من حيث الكمية والكيفية بالنسبة الى الأشخاص ومنشاء التفاوت هو العقل والايمان فكل من كان العقل والمعرفة فيه أكثر وأتم فالاختبار فيه أشد وأعظم الا ترى ان الانبياء والأوصياء بلائهم في الدنيا أعظم وابتلائهم بها اكثر وادوم من غيرهم وهكذا الأمر ينتهي في القوس النزولى الى ان يصل الى ضعفاء العقول وكما ان الاختبار من هذه الجهة يختلف شدة وضعفاً فكذلك يختلف ايضاً بحسب ما به الاختبار، فالعالم مثلا يُخْتَبَر بعلمه والغنى بماله والفقير بفقره، والسلطان بقدرته وسلطنته والزاهد بزهده وهكذا ولكن هذه الامور كلها من الدنيا بل هي عين الدنيا فان الدنيا دار بلاءٍ ومجازٍ.

ويدل على ما ذهبنا اليه من تفاوت البلاء بالنسبة الى الأشخاص وان الملاك فيه هو العقل والايمان .

مارواه المجلسي (قدّه) في البحار باسناده عن عبدالرحمن ابن الحجاج قال ذكر عند ابي عبدالله البلاء وما يخص الله عز وجل به المؤمن فقال ﷺ سئل رسول الله من أشد الناس بلاء في الدنيا فقال ﷺ النبيون ثم الأمثل فالأمثل ويبتلى المؤمن بعد على قدر ايمانه وحسن اعماله فمن صح ايمانه وحسن عمله اشتد بلائه ومن سخط ايمانه وضعف عمله قل بلائه. انتهى» ج ١٥ ص ٥٥...

وايضاً فيه عن هشام ابن سالم عن ابي عبدالله ﷺ قال ان أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الأمثل فالأمثل انتهى ص ٥٣.

ثم ان المراد بقوله ﷺ ابتلى الناس بها فتنة، ليس هو ابتلاء المؤمن فقط بل ابتلاء جميع الناس على اصنافهم وطبقاتهم كما قال الله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(١) فقوله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ﴾ يشمل جميع الافراد وهكذا قوله ﷺ ابتلى الناس بها فتنة حيث عبر ﷺ بالناس ولم يعبر بالمؤمن والمسلم وامثال ذلك والوجه فيه ظاهر فان الله تبارك وتعالى جعل الدنيا دار الاختبار والامتحان لكل الافراد الموجودة فيها كائناً من كان غاية الامر هذا الابتلاء في المؤمن أشد لوقور عقله وايمانه وفي الأنبياء أشد من المؤمن لهذا الملاك بعينه وقد مر الكلام فيه مفصلاً.

□ قوله ﷺ: ﴿فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أَخْرَجُوهُ مِنْهُ وَحَوَسِبُوا عَلَيْهِ، ...﴾

وهذا وصف ثالث لها وهو ان من خواص الدنيا انه لا يؤخذ منها شيء الا وان الآخذ يخرج منه ويتركه لها.

وبعبارة اخرى: كل ما يأخذه الإنسان من الدنيا يؤخذ منه حين موته وهو يرحل منها عازياً منه وفيه ايماء الى ان نعم الدنيا لا تعتمد عليها لعدم بقائها وثباتها وفي تعبيره ﷺ بقوله اخرجوا، بصيغة المجهول اشعار بان خروجهم عن الدنيا وتركها قهري اضطراري ولهذا لم يقل خرجوا منه وقال اخرجوا، اي

حَسْرَةً، قَالَ ﷺ: مَنْ رَأَى مَالَهُ فِي مِيزَانٍ غَيْرِهِ وَأَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهِ النَّارَ وَأَدْخَلَ
وَارِثَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، انْتَهَى...

وقال ﷺ: يَا بَنِي آدَمَ مَا كَسَبْتَ فَوْقَ قُوَّتِكَ فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيْرِكَ وَقَالَ ﷺ:
لِكُلِّ امْرَأٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ الْوَارِثُ وَالْحَوَادِثُ وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنَّا سَابِقاً مَا
يُنَاسِبُ الْمَقَامَ وَلَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى اطَّالَةِ الْكَلَامِ فِيهِ بَعْدَ كَوْنِهِ مِنَ الْمَشَاهِدَاتِ
الْمَحْسُوسَاتِ فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَعْلَمُ بِأَنَّهُ لَا مَحَالَةَ يَمُوتُ وَيَتْرِكُ الدُّنْيَا لَهَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ فَهُوَ أَمْرٌ آخِرٌ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ.

أَمَّا الْآيَاتُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١)

و: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ

لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢)

و: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوهُمَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ (٣)

و: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِنَايَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٤)

و: ﴿وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أَمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي

الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٥) أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ.

و: ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٦)

و: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ (٧)

و: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّنُّ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ

يَجِدُهُ سَيِّئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقِيَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٨)

و: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا

وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا تَكَرَّرًا﴾ (٩)

و: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (١٠)

٢- البقرة- ٢٨١
٤- آل عمران- ١٩
٦- الرعد- ٢١
٨- النور- ٣٩
١٠- الغاشية- ٢٥/٢٦

١- البقرة- ٢٠٢
٣- البقرة- ٢٨٤
٥- الانعام- ٣٨
٧- الرعد- ١٨
٩- الطلاق- ٨

و : « فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً »^(١) و أمّا
الأخبار الواردة فى الباب.

فمنها - مارواه فى البحار عن ابى عبدالله عليه السلام و ابى جعفر ثلاثة لا يُسئل
عنها العبد خرقه يوارى بها عورته او كسرة يسد بها جوعته او بيت يُمكته
من الحرّ والبرد انتهى...

ومفهوم الرواية يدل على ان العبد يُسئل عن غير الثلاثة كائناً ما كان.
ومنها - مارواه عن موسى ابن جعفر عن ابىه عن آباءه عليهم السلام قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله لا تزول قدما عبد يوم القيمة حتى يسئل عن اربع، عن عمره فيما افناه
وشبابه فيما ابلاه وعن ماله من أين كسبه وفيما انفقه وعن حُبنا اهل البيت،
انتهى...

ومنها - مارواه عن جعفر ابن محمد عليه السلام قال اذا كان يوم القيمة وقف
عبدان مؤمنان للحساب كلاهما من اهل الجنة فقير فى الدنيا وغنى فى الدنيا
فيقول الفقير يا رب على ما اوقف فو عزتك انك لتعلم انك لم تولنى ولاية
فاعدل فيها او اجور ولم ترزقنى فأودى منه حقاً او امنع ولا كان رزقى
يا تينى إلا كفافاً على ما علمت وقدّرت بى فيقول الله جلّ جلاله صدق عبدى
خلوا عنه يدخل الجنة ويبقى الآخر حتى يسيل منه العرق مالمو شربه اربعون
بعيراً لكفاها ثم يدخل الجنة فيقول له الفقير ما حبسك فيقول طول الحساب
ما زال الشئ يَجِيئُنِي بعد الشئ يَغْفِر لِي، ثم أُسئل عن شئى آخر حتى
تغمّدى عزّ وجلّ منه برحمة فالحقنى بالتائبين فمن أنت فيقول انا الفقير
الذى كنت معك آنفاً فيقول لقد غيرك النعيم بعدى انتهى، والأحاديث مروية
عن «البحار ج ٣ ص ٢٦٥ و ص ٢٦٦ ط كميانى»...

ومنها - ماروى عنه عليه السلام ايضاً قال عليه السلام ما من عبد الا والله عليه حجة اّمّا فى
ذنبٍ اقترفه و اّمّا فى نعمةٍ قصّر عن شكرها انتهى «ص ٢٦٦»...

ومنها - مارواه عنه عليه السلام: ايضاً انه قال ثلاثة أشياء لا يحاسب العبد المؤمن عليها طعاماً يأكله وثوبٌ يلبسه وزوجةٌ صالحةٌ تعاونه ويحصن بها فرجه انتهى « ص ٢٦٧ »...

اقول: لعل المراد اذا كانت من الحلال كما هو ظاهرٌ والا - فيحاسب عليها. ومنها - مارواه عنه عليه السلام ايضاً في تفسير قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ ^(١) قال فينا، قلتُ انما أسئلك عن التفسير قال عليه السلام نعم يا قبيصة ان الله تعالى اذا كان يوم القيمة جعل حساب شيعتنا اليها فما كان بينهم وبين الله استوهبه محمد عليه السلام وما كان بينهم وبين الناس من المظالم اذاه محمد عليه السلام وما كان فيما بيننا وبينهم وهبناه لهم حتى يدخلوا الجنة بغير حساب، انتهى « ج ٢٧٠ »...

ومنها - قوله عليه السلام: في تفسير الآية إلينا اياب هذا الخلق وعلينا حسابهم انتهى ص ٢٧٠ والاخبار كثيرة..

اعلم: ان الحساب حق نطقت به الآيات والاخبار كما علمت، فيجب الاعتقاد به ويظهر من الأخبار ان اول ما يسئل عنه يوم القيمة هو حب اهل البيت وولايتهم وقد وردت به روايات كثيرة سنود رها في محلها انشاء الله تعالى.

ثم ان في قوله عليه السلام: ﴿ فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أَخْرَجُوا مِنْهُ وَحُسِبُوا عَلَيْهِ نَكْتَةً ﴾ دقيقة يجب التنبية عليها وهي ان المأخوذ من الدنيا له حالتان فتارة يؤخذ منها لها اي للدنيا وتارة يؤخذ منها لالها اي للآخرة، فما يؤخذ منها لها اي لأجل الدنيا أخرجوا منه وحُسِبُوا عليه وهو يدل بالمفهوم على ان ما يؤخذ منها لأجل الآخرة لا يخرج منه ولا يحاسب عليه، وهو كذلك لان ما يؤخذ من الدنيا لأجل الآخرة فلا يخرج صاحبه منه بل هو معه اينما كان وهو واضح، والى هذا المعنى اشار عليه السلام صريحاً بقوله:

□ قوله ﷺ: وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ...

وهو أيضاً مؤيد بالآيات والاحبار. أما الآيات - فمنها قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا

قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (١)

و: ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (٢)

و: ﴿فَاعْرَضْ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمْتَ يَدَاهُ﴾ (٣)

و: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَيْرِهِ﴾ (٤)

و: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ، عَلِمْتَ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ وَأَخْرَتْ﴾ (٥)

و: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مِمَّا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ (٦)

و: ﴿وَمَا تَقْدَمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (٧)

و: ﴿فَاتُوا خَزَائِكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ (٨)

و: ﴿يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (٩)

و: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ (١٠) وأما الاحبار.

فمنها - ماروى فى البحار عن الصادق ﷺ انه قال وكان فيما وعظ به

لقمان ابنه يا بني ان الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا له ولم

يبقى من جمعوا له وإنما أنت عبدٌ مستأجرٌ قد أمرت بعملٍ ووعدت عليه اجراً

فأوفِ عملك وأستوفِ أجرَكَ ولا تكن فى هذه الدنيا بمنزلة شاةٍ وقعت فى

ذرعٍ أخضرٍ فأكلت حتى سمنت فكان حنقها عند سبمنها ولكن اجعل الدنيا

بمنزلة قنطرةٍ على نهرٍ جرت عليها وتركتها ولم ترجع اليها آخر الدهر آخر

بها ولا تعمرها فانك لا تؤمر بعمارتها واعلم انك ستسأل غداً اذا وقعت بين

يدى الله عز وجل عن أربع شبابك فيما أبلتته الحديث «بحار الانوار ج ١٥

الجزء الثالث ص ٨٤»...

٢- المائدة- ٨٠

٤- الحشر- ١٨

٦- النبأ- ٤٠

٨- البقرة- ٢٢٣

١٠- البقرة- ٩٥

١- آل عمران- ١٨٢

٢- الكهف- ٥٧

٥- الانفطار- ٥

٧- البقرة- ١١٠

٩- القيامة- ١٣

ومنها - مارواد في البحار ايضاً باسناده عن عليّ ابن الحسين عليه السلام حيث قال اعلم يا ابن آدم انّ من وراء هذا أعظم وأقطع وأوجع للقلوب يوم القيمة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود يجمع الله فيه الأولين والآخرين ذلك يوم يُنْفَخُ في الصُّور وتُبْعَثُ فيه القُبُور وذلك يوم الأزفة ان القلوب لدى الحناجر كاظمين وذلك يوم لا تقال فيه عشرة ولا تؤخذ فدية ولا تُقْبَلُ من أحدٍ معذرة ولا لأحدٍ فيه مُستقبل توبة ليس الآجزاء بالحسنات والجزاء بالسّيئات فمن كان من المؤمنين عمِلَ في هذه الدنّيا مثقالَ ذرّةٍ من خَيْرٍ وَجَدَهُ وَمَنْ كان من المؤمنين عمِلَ في هذه الدنّيا مثقالَ شَرٍّ وَجَدَهُ الخبر» ص ٢٠٦ ج ٣»...

اقول: وكفى في اثبات المدعى الآيات الصريحة ولا سيما قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١) مضافاً الى الاخبار المتظافرة المتكاثرة واجماع الأمة ومُحَصَّلُ الكلام لاشك انّ الانسان مرهونٌ بعمّله كما قال عليه السلام الناس مجزيون بأعمالهم ان خيراً فخيراً وان شراً فشراً وسيأتى تفصيل الكلام فيه انتهى. تذييل وتحقيق. قال بعض المحققين في المقام:

اعلم: انّ جميع مالك اليه ميلٌ وفيه نصيبٌ وحظٌ فليس بمذموم بل هي تنقسم الى ثلاثة اقسام:

الاول: ما يصحبك في الدنيا ويبقى معك ثمّته بعد الموت وهو شيان العلم والعمل فقط واعنى بالعلم العلم بالله وصفاته وافعاله وملائكته، وكُتبه ورُسُله ومَلَكُوتُ أرضه وسَمائِهِ والعلم بشريعة نبيه.

واعنى بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله وقد يامن العالم بالعلم حتى يصير ذلك الذّ الأشياء عنده فيهبجر النوم والمنكح والمشرب، والمطعم في لذته لانه أشهى عنده من جميعها فقد صار حظاً عاجلاً في الدنيا ولكنه من الآخرة في

الواقع لامن الدّنيا المذمومة كما ان العابد ايضاً قد يكون كذلك اعنى يكون
مأنوساً بعبادته وهو ايضاً من الآخرة.

الثانى: وهو المقابل للقسم الاوّل على الطّرف الأقصى كلّ ما فيه حظّ عاجل
ولا ثمرة له فى الآخرة اصلاً كالتلذذ بالمعاصى والتّنعّم بالمباحات الزائدة على
قَدْر الضّرورة والحاجات الداخلة فى جملة الزّفاهيّة والرّعونات كالتنعّم
بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحَرث
والمواشى والقصور والدُّور المُشيّدة ورفيع الثياب ولذائذ الأُطعمة فَحَظُّ العَبْد
من هذه كلّها هى الدّنيا المذمومة وفيما يُعدّ فضولاً وفى محلّ الحاجة نظرٌ
طويل.

الثالث: وهو مُتوسّط بين الطّرفين كلّ حظّ فى الدّنيا مُعيّنٌ على اعماله
الآخرة كقَدْر القوّة من الطّعام والقَميص الواحد الخشن وكلّما لا بدّ منه ليتأتى
للانسان البقاء والصّحة التى بها يتوصّل الى العلم والعمل وهذا ليس من الدّنيا
كالقسم الاوّل. لانه مُعيّنٌ عليه ووسيلةٌ اليه فمهما تناوله العبد على قصد
الاستعانة على العلم والعمل لم يكن فيه متناولاً للدّنيا ولم يصر به من ابنائها.
وان كان باعته الحظّ العاجل دون الاستعانة على التقوى التّحقّق بالقسم الثّانى
وصار من جُملة الدّنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت، الا ثلاث - صفاء القلب
وأَنسَه بذكر الله، وحبّه لله وصفاته.

اما صفاء القلب - فلا يحصل الا بالكفّ عن الشّهوات والأنس: لا يحصل الا
بكثرة ذكر الله، والحبّ لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة الا بداوم
الفكر فهذه الثلاث هى المنجيات المسعّدة بعد الموت وهى الباقيات
الصّالحات اما طهارة القلب عن شهوات الدّنيا فهى من المنجيات اذ تكون جنة
بين العبد وبين عذاب الله.

واما الانس والحبّ فهما من المُسعداة وهما موصلان العبد الى لذة اللّقاء
والمُشاهدة وهذه السّعادة تتعجّل عقيب الموت الى ان يدخُل الجنة فيصير

القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون كذلك ولم يكن له إلا محبوب واحد وكانت العوائق تعوقه عن الأنس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوائق وأفلت من السجن وحلّى بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسروراً آمناً من العوائق آمناً من الفرق.

وكيف لا يكون مُحِبّ الدنيا عند الموت مُعَذِّباً ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه وليس الموت عدماً وإنما هو الفراق لمُحَاب الدنيا وقُدوم على الله تعالى فإذا سالك طريق الآخرة هو المواظب على اسباب الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الى آخر ما ذكره (قده) فقد ظهر وتحصل مما قدمناه لك ان الدنيا وسيلة وذريعة الى الوصول الى الآخرة فان أخذ منها لها فهو مذموم وان اخذ لها لغيرها فهي ممدوح فلا يمكن القول بكونها ممدوحة او مذمومة على الإطلاق هذا.

□ قوله عليه السلام: فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَىءَ الظِّلِّ بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتَّى قَلَصَ وَزَايِداً حَتَّى نَقَصَ....

شَبَّه عليه السلام الدنيا بفيء الظل وهو رجوعه من جانب المغرب الى المشرق قال في لسان العرب الفيء ما كان شمساً فنسخه الظل والجمع أفياء ويُنَوّه قال الشاعر:

لعمري لأنت البيت أكرم اهله واقعد في افيائه بالأصائل
وقال الفيء فيئاً تحوّل وتضيء فيه تظلل ونقل عن الصحاح ان الفيء ما بعد الزوال من الظل كما قال الشاعر:
فلا الظل من برد الضحى تستطيعه

ولا الفيء من برد العشى تذوق

وقال انما سُمي الفيء فيئاً لرجوعه من جانب الى جانب ثم نقل عن ابن السكيت انه قال الظل ما نسخته الشمس والفيء ما نسخ الشمس وقيل كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل وما لم تكن عليه الشمس فهو

ظِلٌّ، انتهى.

وقال الرّاعِبُ فى المفردات الفىء الفَيَّةُ الرُّجُوعُ الى حالةٍ محمودَةٍ قال ومنه فاء الظلِّ والفىء لا يقال الا للراجع انتهى .

اقول: تُشبيهُهُ ﷺ الدُّنيا بالفىء لِزوالها وفنائها ورجوعها عما كانت عليه وانما خصَّ ﷺ هذا التَّشبيهُ بذوى العقول لانَّ من لا عقل له فهو لا يفهم هذا المعنى ولذا ترى السُّفهاء والجهلاء اعتمدوا عليها فى كلِّ عصرٍ وزمان زعماءَ منهم انَّها ثابتة غير متغيِّرة واما العقلاء فلم يعتمدوا عليها لدُّثورها وانقلابها عما كانت عليه وعدم بقائها على حالةٍ واحدةٍ وعليه فليس المراد بذوى العقول فى مقابل غير ذوى العقول اعنى الجمادات والحيوانات والنباتات حتّى يشمل النّاس بأجمعهم بل المراد بها العقلاء من افراد الانسان الذين لهم درك الحقائق والتّوجه الى ما وراء المادّة والدليل على ما ذكرناه هو انَّ العقلاء بالمعنى الاعمّ اعنى الانسان كائناً من كان لا تكون الدُّنيا عندهم كذلك لاعتمادهم عليها وركونهم اليها وهذا واضح ثمَّ انَّ قوله ﷺ: **بيننا تراه سابقاً حتّى قلصّ وزايداً حتّى نقصّ**، بمنزلة الدليل على اثبات مُدعاه وذلك لانَّ هذا من اوصاف الفىء فانك تراه سابقاً حتّى قلصّ وانقبض وزائداً حتّى نقصّ اى يرجع من حالة الى حالة فتارةً ينقص وتارةً يزيد فلا الزيادة فيه تكون مُعتمداً عليها ولا نقصه وهكذا حال الدُّنيا بعينها فانها ليست على وتيرةٍ واحدةٍ كما هو المشهود المحسوس منها فهى دائماً فى حالتي الأقبال والأدبار والبقاء والزوال وحاصل الكلام هو انه كما انَّ العاقل لا يعتمد على الفىء فكذلك لا يعتمد على الدُّنيا. ثمَّ انَّ فى قوله ﷺ: **هذا اشارة الى نكتةٍ علميةٍ ودقيقةٍ فلسفيةٍ وهى انَّ الفلاسفة ولا سيّما العرفاء منهم اتفقوا على انَّ الدُّنيا بل مطلق ما سوى الله ليس لها وجودٌ اصيل وانما وجودها وجودٌ خيالىٌّ وهمىٌّ لانها ليست الا مُتعلقاتٍ صرفةٍ ومُتدلّياتٍ محضّةٍ كما هو شأن الوجود الامكانى فما هو الوجود حقيقةً واصالةً بالوجود الحقيقى النفس الأمري هو وجود واجب الذى حيثيته ذاته**

طرد العدم لاغير كما قال الله تعالى: ﴿الْم تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَائِمَاتٍ﴾^(١) فعلى ما ذهبوا اليه المراد بالظل الممدود في الآية انما هو وجود المنبسط الذي اشرق بأمره تعالى على هياكل الموجودات فصاروا احياء به وانما اطلق عليه الظل لكونه ظللاً للوجود الواجبي وتبعاً له وموجوداً به وقد كثر تشبيه الدنيا بالظل والقيء في اشعارهم ومحاوراتهم كما قال الشاعر:

رأيت خيال الظل أعظم عبرة لمّن كان في علم الحقائق راقى
شخصاً وأصواناً يُخالف بعضها لبعضٍ واشكالاً بغير وقاقٍ
تجىء وتمضى بايةً بعد باية وتفننى جميعاً والمُحرّك باقٍ
وقال الآخر:

إنما الدنيا كضلّ زائلٍ او كضيفٍ بات فيها وأرتحل
وقال ايضاً:

إنما الرزق الذي تطلبه يشبه الظل الذي يمشى معك
أنت لا تُدرّكه مُتّعاً وهو إن وليت عنه تبعك

فينبغي للعاقل ان لا ينظر اليها الا بعين الاعتبار وانها دار مجاز لا دار قرار فعليه بالتزود منها للآخرة والتوجه الى كونها مزرعة الآخرة وكل ما فيها من النعم فانية دائرة وما في الآخرة باقية دائمة ولا شك ان العاقل لا يختار الفانى على الباقي ولنعم ما قيل فيه:

ما أنعم الله على عبده بنعمة أوفى من العافية
وكل من عوفى في جمعه فانه في عيشة راضية
والمال حلو حسن جيد على الفتى لكنته عارية
ما أحسن الدنيا ولكنها مع حسنها غدارة فانية

وقيل توفي رجل من كنده فكتب على قبره هذه الابيات:

يا واقفين ألم تكونوا تعلموا ان الحمام بكم علينا قادم

لو تَنْزَلُونَ بِشَعْبِنَا لَعَرَفْتُمَا
لَا تَسْتَغْرُوا بِالْحَيَاةِ فَاِنَّكُمْ
سَاوَى الرِّدَى مَا بَيْنَنَا فِي حَفْرَةٍ
وقال

أَلَيْسَ إِلَى ذَا صَارَ آخِرُ أَمْرِنَا
فَلَا تَعْجَبِي يَا نَفْسُ مِمَّا تَرِينَهُ
وقال الآخر:

يَا مَنْ تَمَلَّكَ مُلْكًا لِابْقَاءِ لَهُ
هَلِ الْحَيَاةُ بَدَى الدُّنْيَا وَإِنْ عَذِبَتْ
وقال الآخر:

وْغَايَةُ هَذِي الدَّارِ لَذَّةُ سَاعَةٍ
وَهَاتِيكَ دَارُ الْأَمْنِ وَالْعِزِّ وَالتُّقَى
وقال

حَسَنْتُ ظَنُّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسَنْتُ
وَسَأَلْتِكَ اللَّيَالِي فَانْتَرَرْتُ بِهَا
وقال الآخر:

مُقِيمٌ بِالْحُجُونِ رَهِينٌ رَمِسٍ
كَاتِي لَمْ أَكُنْ لَهُمْ حَبِيبًا
فَعُوجُوا بِالسَّلَامِ فَإِنْ أَبِيْتُمْ
وقال الآخر:

وَلَقَدْ سَأَلْتُ الدَّارَ عَنْ أَخْبَارِهِمْ

إِنَّ الْمُفْرَطَ فِي التَّرْوُدِ نَادِمٌ
تَبْعُونَ وَالْمَوْتَ الْمُفْرَقَ هَادِمٌ
حَيْثُ الْمُخْدَمُ وَاحِدٌ وَالْخَادِمُ
الآخر:

فَلَا كَانَتْ الدُّنْيَا الْقَلِيلَ سُرُورِهَا
فَكُلَّ أُمُورِ النَّاسِ هَذَا مَصِيرُهَا

حَمَلَتْ نَفْسُكَ أَوْثَامًا وَأَوْزَارًا
أَلَّا كَطِيفِ خِيَالٍ فِي الْكُرَى زَارًا

وَيَعْقِبُهَا الْأَحْزَانُ وَالْهَمُّ وَالنَّدَمُ
وَرَحْمَةُ رَبِّ النَّاسِ وَالْجُودُ وَالْكَرَمُ

الآخر:

وَلَمْ تَخَفِ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي تَحْدُثُ الْكَدْرُ

وَأَهْلِي رَاحِلُونَ بِكُلِّ وَادٍ
وَلَا كَانُوا الْأَحِبَّةَ فِي السَّوَادِ
فَأَمْسَوْا بِالسَّلَامِ عَلَى الْعِبَادِ

فَتَبَسَّمْتَ عَجْبًا وَلَمْ تُبْدِي

حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى الْكَنِيفِ فَقَالَ لِي

أَمْوَالُهُمْ وَنَوَالُهُمْ عِنْدِي

وقال الآخر:

فان كنت لاتدرى ماالموت فأعلمز

بانك لاتبقى الى آخر الدهر

والاشعار والحكايات الدالة على كونها متغيرة كثيرة وفيما ذكرناه كفاية
وعبرة لاولى الألباب.

ومن خطبة له (٦٣)

قوله **﴿٦٣﴾**: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَاتَّبِعُوا مَا يَتَّبِعُنِي لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدِّبْكُمْ، وَاسْتَعِدُّوا لِمَوْتٍ فَقَدْ أَظْلَكُمْ، وَكُونُوا قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ فَأَنْتَبَهُوا، وَعَمِلُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ، فَاسْتَبَدَلُوا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ، وَإِنَّ غَايَةَ تَنْقِصِهَا اللَّحْظَةُ وَتَهْدِيمِهَا السَّاعَةُ لَجَدِيرَةٍ بِقِصْرِ الْمُدَّةِ، وَإِنَّ غَائِبًا يَحْدُوهُ الْجَدِيدُ إِنَّ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَحَرَيٌّ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ، وَإِنَّ قَادِمًا يَقْدَمُ بِالْفُوزِ أَوْ الشُّقُوعَةِ لِمُسْتَحَقٍّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا، فَاتَّقَى عَبْدُ رَبِّهِ نَصْحَ نَفْسِهِ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ، يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيُرْكَبَهَا، وَيَمْنِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا، حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَعْفَلَ مَا يَكُونُ عَلَيْهَا. فَيَأْخُذُ حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً، وَأَنْ يُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقُوعٍ نَسَلُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ، وَلَا تُقْصِرُ بِهِ عَنِ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً، وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَلَا كَابَةً.

◁ اللغة

(بَادِرُوا) فعل أمرٍ من بَادَرَ يُبَادِرُ مِثْلَ ضَارَبَ يُضَارِبُ وَالبَدَارُ التَّعْجِيلُ (جُدِّ) بصيغته المَجْهُولِ أَيْ عَجَّلَ. (اسْتَعِدُّوا) أَيْ تَهَيَّئُوا (أَظْلَكُمْ) أَيْ دَنَا مِنْكُمْ. (صِيحَ) (جُدِّ)

مجهول صاح وهو الصوت باقضى الطاقة. (فَأَسْتَبْدَلُوا) اى ابدلوا (سُدَى) المهمل والعَبَث. (غَائِباً) المراد به الموت (قَادِمًا) القادم الزاجع من السفر. (الْأُوبِيَّة) الرُّجُوع (العُدَّة) ما أعدده من مالٍ او سلاح. (تَحْرُزُونَ) الحِرْز الحِفظ (لِيَسُوِّفَهَا) التَّسْوِيفُ المُبَطِّل. (مَنْيْتُهُ) المَيِّتَةُ المَوْت (الْأُتْبِطْرَةُ) البَطْر الطَّغْيَان (كَأَبَةٌ) الحَزْنُ والعَمُّ والأنكسار.

◀ المعنى

(فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ) اى اعملوا قبل حلول الأجل (وَاتَّبِعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ،) اى رَجَحُوا الآخرة على الدنيا لَان الآخرة باقية والدنيا فانية. (وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدِّبْكُمْ،) اى إقطعوا المنازل فى السفر الى الله، فقد حُشِيتُمْ على هذا السَّيرِ وَعَجَلْتُمْ على طيِّ منازلِهِ. (وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ) وَتَهَيَّئُوا لَهُ. (فَقَدْ أَظْلَكُمْ) وَدَنَا مِنْكُمْ (وَكَوْنُوا قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا،) اى كونوا كقوم صيح بهم فانتبهوا عن نوم الغفلة. (وَعَمِلُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ) لَزْوَالِهَا وَفَنَائِهَا. (فَأَسْتَبْدَلُوا) اى ابدلوا الدنيا بالآخرة (فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا) وَلَعْوًا (وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدَى،) وَمُهْمَلًا بِلا تَكْلِيف (وما) نافية. (بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ) اذ به يَعْلَمُ مَسِيرَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَفْرَادِ (أَنْ يَنْزَلَ بِهِ،) اى بالموت او الموت ينزل به. (وَإِنَّ غَايَةَ تَنْقُصِهَا اللَّحْظَةُ) والمراد بها الدنيا والمراد باللحظة الموت او لحظات الزمان. (وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لَجَدِيرَةٍ بِقَصْرِ الْمُدَّةِ) كما ان الدنيا كذلك. (وَإِنَّ غَائِبًا) اعنى الآخرة او الموت (يَحْدُوهُ الْجَدِيدُ إِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِحَرَّى بِسُرْعَةِ الْاُوبِيَّةِ) وَالرَّجُوعِ. (وَإِنَّ قَادِمًا يَقْدَمُ بِالْفَوْزِ) ان كان صالحاً. (أَوْ الشَّقِيقَةِ) ان لم يكن كذلك. (لَمُسْتَحِقُّ لَأَفْضَلِ الْعُدَّةِ،) وَالزَّادُ بِهَذَا السَّفَرِ. (فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ) اى تَنْفَعُونَ. (بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا،) اى فى القيمة (فَاتَّقِ عَبْدُ رَبِّهِ نَصَحَ نَفْسَهُ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ،) فَإِنَّ الْمُتَّقِيَّ يَكُونُ هَكَذَا. (فَإِنَّ أَجَلَ مَسْتَوْرٍ عَنْهُ،) لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ. (وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ،) اى يَخْدَعُهُ الأمل. (وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ،

يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيُرْكَبَهَا،) اى الشيطان يزین له المعصية ليركب هذا الشخص المعصية. (وَيَمُنِّيهِ التَّوْبَةَ) اى الشيطان يُمنيه التوبة. (لِيُسَوِّفَهَا) وقال سوف أفعَل او يقول كذا لك. (حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ) مَوْتَهُ (عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَلَيْهَا. فَيَأْلَهَا حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ) من افراد الأنسان (أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً) من الله تعالى. (وَأَنْ يُؤَدِّيَهُ أَيَّامَهُ إِلَى شِقْوَةٍ) وضلالة (نَسْتَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ) اى لا تسوقه النعمة الى الطغيان والعصيان. (، وَلَا تُقْصِرْ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً،) اى لا تصير النعمة سبباً لهذا التقصير (وَلَا تَحُلْ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَلَا كَأَبَةً) اى ملالة وحزن.

◀ الشرح

□ قوله ﷻ: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادِرُوا أَجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ...

أمر ﷻ الناس بالتقوى اعنى اتيان الواجبات وترك المحرمات قربة الى الله وخالصاً لوجهه الكريم ولا شك ان التقوى من اعلى مراتب العبودية بل اصلها واساسها وذلك لان العمل اذا لم يكن فيها التقوى فهو مما لاخير فيه بل لايقبل اصلاً لان الله تبارك وتعالى قال انما يتقبل الله من المتقين وهو يدل بالمفهوم على ان العمل لايقبل من غير المتقين، وكذلك ورد الحث عليها فى الآيات القرآنية والاحبار المرورية بما لا مزيد عليه وقد تكلمنا فى التقوى وبيان ماهيتها وآثارها وكيفيتها فيما مضى غير مرّة وانت لو تأملت الآيات والآثار لعلمت بان الأمر بها والحث عليها فوق حدّ الاحصاء ومع ذلك فنقول مزيداً على ما سلف.

اما الآيات فقد مرّ ذكرها مفصلاً وكذلك الاخبار الا انا فى المقام نشير الى بعض ما لم نذكره هناك تيمناً وتبركاً قال بعض المحققين التقوى عبارة عن حفظ النفس عن مخالفة امر الله تعالى وارتكاب ما نهى عنه قال الله تعالى: ﴿مَا

اتَّبِعُوا الرَّسُولَ فخذوه ما نهىكم عنه فانتهوا واتقوا الله^(١) وهو جماع الخير كله ولا خير فيمن ليس بمُتَّقِي البتة ولما كان متعلقها ما امر الله تعالى به ونهى عنه فيكون لها مراتب.

احدها: وهو أعلى المراتب التقوى في توحيد الله جل جلاله في ذاته بان يعتقد انه تعالى احد لا يثنى ولا يجزى وقائم بنفسه ل نفسه غنى عما سواه قديم يتعالى الله عن درك جميع خلقه لكل وجه لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير بان يجتنب عن الشرك به والأعتقاد بان معه غيره فهذا هو التوحيد الذاتي.

وفي صفاته: بان يعتقد انه بوحده الواحديّة متجلّ في جميع صفاته لم يتجل بها غيره وليس بمتصف بها سواه فليس بسلطانٍ سواء ولا ربّ دونه ولا خالقٍ غيره ولا رازقٍ عداه وهكذا «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»^(٢) فهو سبحانه اولى بكل صفة حسنية كونية او شرعية من ذيها قال الله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا»^(٣) فهو تعالى اولى بكل كمال كونيّ عامّ او شرعيّ خاصّ من صاحبه ومتوحد في الاتّصاف به.

ويجتنب عن ان يعتقد انه يشبه شيء او شيء كشيء في صفته فضلاً من ان يكون اولى بصفة كمال «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»^(٤)

وفي افعاله: بان يعتقد انه بوحده الواحديّة ظاهر بجميع اركان عرش الأيجاد كما قال الله تعالى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ»^(٥)

و: «أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ»^(٦)

و: «أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ

٢- الشورى- ١١
٤- الشورى- ١١
٦- الفاطر- ٤٠

١- الحشر- ٧
٣- المائدة- ٥٥
٥- الروم- ٤٠

شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ^(١) اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ.

فكَلَّ مَا يُطَلَّقُ عَلَيْهِ لَفْظُ الشَّيْءِ هُوَ سُبْحَانَهُ خَالِقُهُ فَخَلَقَ الْمَشِيَّةَ بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِهَا وَإِنَّمَا سُمِّيَ الشَّيْءُ شَيْئًا لِأَنَّهُ مَشَاءٌ مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا وَقَدْ سَبَقَتْهُ الْمَشِيَّةُ وَالْأَرَادَةُ وَقَدَّرُ وَقَضَاءٌ وَأَجَلٌ وَكِتَابٌ فَمَنْ كَانَ يَزْعَمُ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى نَقْصِ وَاحِدَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ بِهِ.

وَيَجْتَنِبُ عَنِ أَنْ يَعْتَقِدَ فِي مَلِكِهِ سُبْحَانَهُ خَالِقًا غَيْرَهُ وَرَازِقًا سِوَاهُ وَمُحْيِيًا وَمُمِيتًا دُونَهُ فَلَا يَخَافُ مِنْ شَيْءٍ عِداَهُ وَلَا يَرْجُوا أَحَدًا غَيْرَهُ وَلَا يَتَوَكَّلُ عَلَى أَحَدٍ دُونَهُ وَلَا يَرَى لِحَاجَتِهِ قَاضِيًا سِوَاهُ وَلَا فِي مَلِكِهِ مُحْرَكًا وَمُغَيِّرًا غَيْرَهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ فَهُوَ الْمَعْبُودُ حَقًّا وَلَا مَعْبُودٌ حَقًّا سِوَاهُ فَهَذَا هُوَ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنْهَا.

وثنانيتها: التَّقْوَى فِي الرُّسُولِ وَالْأَئِمَّةِ بَانَ يَعْرِفُهُمْ فِي الْمَرَاتِبِ الْمَذْكُورَةِ اعْنَى مِنْ حَيْثُ ذَوَاتِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَيَعْلَمُ بَانَ مُجَرَّدَ الْقَوْلِ لَا يَكْفِي بَلْ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْإِعْتِقَادِ بَانَ ذَوَاتِهِمْ لَيْسَتْ كَسَائِرِ الذَّوَاتِ وَصِفَاتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ كَذَلِكَ كَمَا مَرَّ الْبَحْثُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ فِي بَحْثِ النَّبُوءَةِ وَالْأِمَامَةِ تَفْصِيلًا.

و ثالثها: التَّقْوَى فِي الْخَلْقِ بَانَ يَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْعَدْلِ وَالنِّصْفَةِ وَيَسِيرُ فِيهِمْ بِالْمُرُوءَةِ وَالرِّأْفَةِ وَيَتَّصِفُ بِصِفَاتِ الرِّبَوِيَّةِ فِي الْمَرْبُوبِينَ بِالرِّأْفَةِ عَلَى ضَعْفِهِمْ وَالشَّفِيقَةِ عَلَى صَغِيرِهِمْ وَالْعَدْلِ فِي الرِّعِيَةِ وَالْقِسْمِ بِالسُّوْبَةِ، وَلَا يَظْلِمُهُمْ قَوْلًا وَفِعْلًا وَيُؤَدِّي إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ وَيَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهِيهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْأَدَابِ الَّتِي آدَبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ ﷺ وَسَلَّكَ بِهَا فِي خَلْقِهِ وَأَمَرَ الْأُمَّةَ بِالْأَقْتِدَاءِ بِهِ ﷺ قَالَ وَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ، وَقَالَ مَا آتَيْكُمْ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا، وَقَالَ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَأَمْثَلْ ذَلِكَ مِنَ آيَاتٍ وَنُعَبِّرُ عَنْهُ بِالتَّقْوَى الْعَمَلِي.

فَقَوْلُهُ ﷺ: فَاتَّقُوا اللَّهَ، إِشَارَةٌ إِلَى هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْمَذْكُورَةِ فَالْمَتَّقِيُّ بِالْحَقِيقَةِ

هو الذي كان واجداً لهذه المراتب كلها وعليها المدار في نقص التقوى وكمالها وشدتها وضعفها ولعله الى هذه المراتب اشير في الكتاب العزيز حيث قال: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وهو تقوى الله في الله اعنى المرتبة الاولى من المراتب المذكورة، ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا، وَهُوَ تَقْوَى اللَّهِ فِي النَّفْسِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾^(١) وهو تقوى الله في عباده على ما شرحنا وبيننا فاذا تصف العبد بهذه الصفات الكريمة المذكورة وحفظ نفسه عن تركها وفعل اضدادها دخل في عرصة المتقين الذين أعد لهم جوار رب العالمين واستوجب من الله تعالى المحبة كما قال الله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢) وكفى به فخراً للمؤمنين وكيف لا يكون فخراً له وقد صار به مستحقاً للولاية قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣) وكفى بها لم عزاً وشرافاً وكفاية ومعية الله سبحانه بلانهاية كما قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٤) وذلك مقام شامخ لا يتصور مقام فوقه.

واما قوله عليه السلام: عباد الله، حيث لم يقل فاتقوا الله ايها الناس مثلاً وقال فاتقوا الله عباد الله للإشارة الى ان غير العبد لا يصلح بان يخاطب ويؤمر بالتقوى وذلك لان الانسان ما لم يصل الى مقام العبودية بان يصير خاضعاً خاشعاً لرؤوبيته فلا يليق بان يتصف بالتقوى فان التقوى كما مر في صدر المبحث هي حفظ النفس عن مخالفة امر الله وارتكاب ما نهى عنه وهذا المعنى لا يتصور في غير العبد الحقيقي فان من لا يعمل بأوامره ولا يترك نواهيه اصلاً فكيف يؤمر بالتقوى اللهم الا على القول بكون الكفار ايضاً مكلفين بالفروع فضلاً عن غيرهم من العصاة وعليه فيصح توجه الأمر اليهم وهو بحث آخر خارج عن طور الكلام.

٢- آل عمران- ٧٦

٤- البقرة- ١٩٤

١- المائدة- ٩٣

٣- الجاثية- ١٩

□ وَاَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ...

ففيه إشارة الى لزوم العمل والمواظبة عليه قبل حلول الأجل وذلك لأن الدنيا هي الدار المعدة للتكليف والعمل به كما ان الآخرة دار الحساب والجزاء ومن المعلوم ان الانسان بعد حلول الأجل لا يقدر على العمل فينبغي ان يعمل لنفسه قبل موته حتى لا يقول بعده رب ارجعون لعلي اعمل صالحاً فيما تركت ولا يقال في جوابه كلاً انها كلمة هو قائلها.

وانما قال (بادرُوا) ولم يقل سارعُوا مثلاً او قدّمُوا اعمالكم على آجالكم وامثال ذلك مما يفيد هذا المعنى لنكتة وهي ان الخطاء الذي يقع عن حدة يقال له بادره وكذلك غير الخطاء وبعبارة اخرى: العمل الذي يصدر من الانسان ان كان صدوره عنه ووقوعه منه على حدة يُعبر عنه بالمبادرة وان كان على غيرها يُعبر عنه بالمسارعة والأستباق وعليه فالوجه في التعبير بالمبادرة هو ان يكون العمل منه في الدنيا مادام كونه حياً على وجه الحدة والسُرعة لعدم الاعتماد على الحياة لاعلى وجه الإهمال والمسامحة كما هو داب كثير من الناس هذا.

وظنى ان المراد بالحدة المأخوذة في معنى المبادرة ليس هو معناها اللغوي بل هي كناية عن الاخلاص في العمل وذلك لان العمل كلما كان اخلص فهو اهدى فكما ان السيف كلما كان اهدى يكون اقطع وأسرع في قطعه الأشياء فكذلك العمل كلما كان اخلص وعن الزياء والشرك الخفى والجللى ابعد يكون اقطع للحجب في وصوله الى مقام القرب والقبول قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه.

فقوله ﷺ: وبادرُوا آخر ما قال مُشعراً بان الانسان العاقل السالك في سبيل الله ينبغي له ان يكون دائماً في حياته على يقظة وفطنة دون النوم والغفلة كما قال ﷺ: مؤثوا قبل ان تموتوا اي مؤثوا بالموت الأرادى بأتيانكم الأعمال الصالحة اللاتقة بعالم الآخرة، قبل ان تموتوا بالموت الطبيعي الذي هو عبارة

عن حُلُولِ الأَجْلِ المُوجِبِ للفراق عن الأَحِبَّةِ والأَعَزَّةِ ومن المَعْلُومُ أنَّ من كان كذلك فهو سَعِيدٌ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

تذنيب: واعلم أنَّ التَّقْوَى ليست صرف الأَتْيَانِ بما أمر الله به والأَجْتِنَابِ عَمَّا نهى الله عنه فَإِنَّ الطَّبِيعَةَ الجَمَادِيَّةَ والبِنَانِيَّةَ والحيوانِيَّةَ قد توافق مقتضى الأمر والنهي وليست من التَّقْوَى في شَيْءٍ الا تَرَى أنَّ الحَجَرَ لا يَكْذِبُ ولا يَغْتَابُ ولا يظلم وليس عدم صدور هذه وامثالها منه من باب التَّقْوَى وكذلك الشُّجْرُ وان الكلب يَظْطَانُ طَوَّلَ لَيْلِهِ وَيَكْفُفُ عن الأَكْلِ طَوَّلَ نَهَارِهِ، وليس ذلك وامثاله منها وامثالها بالتَّقْوَى وإنما ذلك مقتضى طبيعتها، وكذلك الإنسان إذا صدر عنه الأفعال الموافقة لأمر الله ولم يفعل بعض الأفعال المَنهِيَّةِ عن طبيعته جَمَادِيَّةٍ او نباتِيَّةٍ او حيوانِيَّةٍ أو لأجل مرادات شَيْطَانِيَّةٍ فليس ذلك منه بتقوى وإنما التَّقْوَى هي فعل روح الإيمان، فكم من أناسٍ يَصْدُرُ عنهم صفات واعمال حَسَنَةٌ وليسُوا من اهل التَّقْوَى ولا يثابون باعمالهم قال الله سبحانه للعقل بك اعاقب وبك أثيب وفي حديث اِيَّاكَ أَعاقِبُ واِيَّاكَ أَثيبُ، وهو ما يُعْبَدُ به الرَّحْمَنُ واكْتَسَبَ به الجنان دون غيره وان وافق فعله فعله نعم اذا كان طبيعة انسان ظاهره على وفق مرضات الله سهل الأمر على العقل ان ركبها في السُّلُوكِ به مَسَلَّكَ التَّقْوَى فهو اى العقل بمنزلة حمارٍ ذَلُولٍ يسلك به الانسان حيث يشاء واما اذا كان صَعْباً شَمُوساً صَعْبَ اذلاله وتعليمه عليه فتدبر في المقام فانه حقيقٌ به.

□ قوله ﷺ: **وَابْتاعُوا ما يَبْقَى لَكُمْ بما يَزُولُ عَنْكُمْ**،...

ثم أمر ﷺ اصحابه ظاهراً وجميع شيعته ومُحِبِّيه الى يوم القيمة بابتِباع ما يَبْقَى لهم وهو الجَنَّةُ ومقام القرب بما يَزُولُ عنهم وهو الدُّنْيَا وما فيها وإنما عبَّر ﷺ عن الآخرة بما يَبْقَى وعن الدُّنْيَا بما يَزُولُ تبعاً لقوله تعالى في كتابه حيث قال: **﴿وَمَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُوا ما عِنْدَ اللَّهِ باقٍ﴾** (1)

و: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(١)

و: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٢)

و: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(٣)

و: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(٤)

و: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٥) وامثال ذلك من الآيات الواردة فالمقام هذه كله بالنسبة الى كون الدنيا وما فيها فانية والآخرة وما فيها باقية.

واما ان الباقي يجب الأخذ به والفانى لا يؤخذ به فالمُسْتَد في دلالة العقل عليه وحكمه به حُكماً قطعياً بان الموجود كلما كان اَدْوَم وعن ظلمات العدم اَبْعَد فهو اَشْرَف وافضل وبالعكس بالعكس الا ترى ان الواجب تعالى لكونه مُنْزَهاً عن شوائب الأعدام والماهيات الظلمانية اَشْرَف الموجودات ويليه في الشرف والفضل الصّاد والاول وهكذا حتى ينتهي الامر الى هيولى العناصر فهى احسن الموجودات لكونها ضعيفة الوجود مَشْوُوبَة بالأعدام والظلمات بحيث قيل فيها انها بالعدم اشبه منها بالوجود وعليه فالملاك كل الملاك فى فضل الموجود هو حَيْثِيَّة طرده للأعدام فكُلِّما كان لها اَطْرَد وَاَبْعَد فهو اَكْمَل وافضل وحيث ان الآخرة اَبْقَى وَاَدْوَم من الدنيا بل هى باقية ببقاء الله تعالى بخلاف الدنيا لفنائها ودثورها فلا محالة يحكم العقل بلزوم الاخذ بها وترك الدنيا وهو المطلوب ومع ذلك كله هذا الحكم مؤيد بالتقل ايضاً فقال تعالى فى ذمّ الحَيوة الدنيا فى كتابه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾^(٦)

و: ﴿ذَٰلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبِإِ﴾^(٧)

و: ﴿وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(٨)

٢- الشورى- ٣٦

٤- طه- ١٣١

٦- البقرة- ٨٦

٨- آل عمران- ١٨٥

١- الاعلى- ١٧

٣- القصص- ٦٠

٥- الرحمن- ٢٦/٢٧

٧- آل عمران- ١٤

و: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ (١)

و: ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ (٢)

و: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ (٣) وامثال ذلك من الآيات الدالة على ذم الدنيا وحياتها والأخذ بها ومدح الآخرة والأخذ بها.

ثم ان في كلامه ﷺ استعارة حيث انه شبه الدنيا بالسوق المعد للتجارة والبيع والشراء وتوضيح ذلك هو ان قوام التجارة بأربعة اشياء التاجر، الثمن، والمُثْمَن، ومحل الكسب، فالإنسان في هذه الدنيا بمنزلة التاجر لانه يتاجر لنفسه والمُثْمَن اعنى رأس المال هو الأعمال الصالحة وغيرها، والثمن هو الجنة او النار ومحل الكسب هو هذه الدنيا.

فكما ان التاجر في تجارته يسعى ان يكون الثمن او المُثْمَن او كلاهما سالماً عن العيب فينبغي ان يكون في امر الدين ايضاً كذلك فله ان يسعى في اعماله في هذه الدنيا ان لا تكون ناقصة معيوبة والذي يشتريه ايضاً كذلك فالإنسان لا بد له من التجارة في سوق الدنيا فاما ان يكون الثمن الآخرة والمُثْمَن الدنيا واما ان يكون الأمر بعكس ذلك والاول هو الربح في هذه المعاملة والثاني خاسر فيها والى المقامين اشير في الكتاب العزيز

اما الى الاول: فقله (تعالى): ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوَارِيثِ وَالْأَنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٤) ففي هذه الآية البايع هو المؤمن والمُشْتَرى هو الله تعالى والمبيع هو الجهاد في سبيل الله والثمن هو الجنة، والى الثاني اشار بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (٥)

١- التوبة- ٢٨

٢- التوبة- ١١١

١- محمد- ٢٦

٢- الانعام- ٧٠

٥- البقرة- ١٦

فإن الضلالة هي الدنيا والحب لها الذي هو رأس كل خطيئة والهدى هو الآخرة ومقام القرب من باب ذكر السبب واردة المسبب.
□ قوله ﷺ: «وَاتَّبِعُوا مَا يَتَّبِعُنِي لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ...»

إشارة إلى أن المؤمن ينبغي له اتباع الآخرة بالدنيا أي جعل الدنيا ثمنًا للآخرة فإن هذه التجارة هي التي تفيد لصاحبها كما أشار الله تبارك وتعالى إلى هذا المعنى في موضع آخر قال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (١)
□ قوله ﷺ: «وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدِّبِكُمْ...»

ثم أنه ﷺ أمرهم بالترحل عن الدنيا وهو عبارة عن الانتقال عن مكان إلى مكان آخر وهذا الكلام أيضاً استعارة كسابقه وتوضيحه أن الترحل مشتق من الرحل وهو ما يؤضع على البعير للركوب ثم يعبر عنه تارة عن البعير وتارة عما يجلس عليه في المنزل وجمعه رحال قال الله تعالى في قصه يوسف ﷺ: «وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ» (٢) يقال ارحلت البعير وضعت عليه الرحل فقوله ﷺ ترحلوا، فيه تشبيه الدنيا بمنزل تنزل فيه قافلة لتستريحوا ساعة ثم ينادى فيهم بالرحيل كما قيل:
تزوّد من الدنيا فانك راحل

وبإدب فإن الموت لاشك نازل

ألا إنما الدنيا كمنزل راكب

أناخ عشيًا وهو في الصبح راحل

وأما قوله ﷺ: «فَقَدْ جُدِّبِكُمْ» فيه اشعار بأن هذا الانتقال مما لا بد منه لكل أحد

بلا استثناء فيه وهو كذلك فإن الموت حتم على المخلوقات لقوله تعالى: «كُلُّ

مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ^(١) وفى كلامه ﷺ هذا اشعار بان الموت ليس من الأمور العدمية كما توهم بل هو الانتقال من مكان الى مكان اى من الدنيا الى الآخرة كما هو المختار وانما قلنا كلامه ﷺ مشعر به لان التعبير بالترحل فى المقام بدلاً عنه وهو كما قلنا وقالوا عبارة عن الانتقال يدل على ما ذكرناه.

□ قوله ﷺ: **وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ...**

ثم قال ﷺ استعدوا للموت اى تهيبوا له حتى لا يأخذكم بغتة وانتم على غفلة منه وذلك لان الموت أوقع ظلاله عليكم لو كنتم تعلمون وهو كناية عن قرينة ينابل احاطته علينا وهذا الكلام ايضاً استعارة حيث انه شبه الموت بماله ظل ولا يمكن الفرار عنه كما قال الله تعالى: **﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**^(٢) والمراد بالاستعداد والتهيؤ له هو العمل الصالح وترك المحرمات وبالجملة الأتيان بما يفيد بعد الموت وترك ما يضره بعده ولا شك انه لا شىء أنفع بحال الانسان بعد موته من الأيمان بالله وبرسوله، وبأوصيائه وكلمما جاء به الرسول ثم العمل على مقتضى الأيمان فان الأيمان بدون العمل لا نفع فيه بل هو ليس بأيمان واقعاً كما مرّ تحقيقه فكما ان الانسان اذا اراد السفر فى الدنيا لا بد له من التهيؤ له بمعنى تهيئة كل ما لا بد منه فيه من الأسباب والألبسة والذاهم والذنانير والمركب والوصية الى اهله وعياله وتصفية قروضه ان كانت وبالجملة اصلاح اموره فكذلك اذا اراد سفر الموت فلا بد له من التوجه الكامل فى تهيئة ما لا بد منه فيه من اداء ديونه واصلاح اموره وامثال ذلك مما لا بد منه والا فلا يكون مستعداً له ونشير الى بعض الأخبار الواردة فى ذكر الموت والاستعداد له.

منها - قال رسول الله ﷺ **اكثُرْ وَاذْكُرْهَا يَمُّ اللَّذَاتِ قِيلَ فِي مَعْنَاهُ نَعِضُوا بِذِكْرِ اللَّذَاتِ حَتَّىٰ يَنْقَطِعَ رُكُونُكُمْ إِلَيْهَا...**

منها - قال ﷺ: لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سميئاً، انتهى...

ومنها - سئل به بعضهم فقال يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة انتهى...

اقول: وإنما سبب هذه الفضيلة أن ذكر الموت يوجب التَّجافى عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للأخرة ولا شك أن الغفلة عن الموت وعدم الاستعداد له يدعو الإنسان إلى الأنهماك في شهوات الدنيا.

ومنها - سئل ﷺ رجل من الأنصار فقال من أكيس الناس وأكرم الناس فقال ﷺ أكثرهم ذكراً للموت وأشدُّهم استعداداً له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة انتهى...

ومنها - قال ﷺ أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويؤهد في الدنيا، وقال ﷺ كفى بالموت واعظاً انتهى «مجموعة ورام ج ١ ص ٢٦٨»...

ومنها - قال ﷺ لأبي ذر الغفاري جد السفينة فإن البحر عميق، وخذ الزاد كاملاً فإن السفر بعيد، وخفف الحمل فإن العقبة شديدة، وأخلص العمل فإن الناقد بصير انتهى «المواعظ العددية ص ١٢٢»...

قال بعض العرفاء - اعلم أن الموت أمر هائل وخطر عظيم وغفلة الناس عنه قليلة ففكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره فارغاً بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجح ذكر الموت في قلبه فالطريق إليه أن يفرغ القلب عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة خطيرة أو ركوب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه فإذا باشر ذكر الموت قلبه يؤشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وأرفع طريق فيه أن يكثر ذكر موت أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم ويتأمل كيف محي التراب حسن صورهم وكيف تبددت اجزائهم في قبورهم وكيف أرسلوا

نسانهم وابتسموا اولادهم وضيّقوا اموالهم وخذت منهم مساجدهم، ومجالسهم وانقطعت آثارهم فمهما تذكّر رجلاً رجلاً وفضل في قلبه ماله وكيفية موته وتوهم صورته ونشاطه وتذكّر تردّده وأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواقاة الأسباب وركونه الى القوّة والشباب وميله الى الضحك واللّهو وغفلته عمّا بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وإنه كيف كان يتردّد والآن قد تهدّمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد أكل الدّور لسانه وكيف كان يضحك وقد أكل التراب اسنانه وكيف كان يدبّر لنفسه ما يحتاج اليه بعشر سنين في وقت واحد وما بينه وبين الموت الا شهر وهو غافل سمعه النداء اما بالجنّة او بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم انتهى...

وقال ابو الدرداء - اذا ذكرت الموتى فعدّ نفسك كأحدّهم.

وقيل - السّيعد من وعظ بغيره فملازمة هذه الأفكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يُجدّد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك ان يستعدّله، ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التّحذير والتّنبيه ومهما طاب القلب بشيء من الدّنيا ينبغي ان يتذكّر في الحال انه لا بدّ من مفارقتة.

قيل نظر بعضهم الى داره يوم فأعجبه حُسنها ثم بكى فقال والله لولا الموت لكنتُ مسروراً ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور لقرت اعيننا ثم بكى بكاءً شديداً حتى ارتفع صوته، انتهى.

وقال رسول الله ﷺ لعبد الله ابن عمر اذا اصبحت فلا تُحدّث نفسك بالمساء واذا امسيّت فلا تُحدّث نفسك بالصّباح وخُذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله ما تدري ما اسمك غداً، انتهى «مجموعة ورام

ج ١ ص ٢٧١»...

فلا استعداد للموت معناه عدم الأغرار بالدنيا وما فيها وعدُّ نفسه في الدنيا من الموتى ولازمه ان لا يظلم ولا يكذب ولا يَغتاب ولا يَزنَى، ولا يَشرب الخمر وهكذا بالنسبة الى غيرها من المُحرّمات.

ثمّ الاتيان بالواجبات من الصلوة والصوم والحجّ وامثالها وذلك لانه لا يدري اى وقت يموت فاذا كان مُستعداً له لا يغفل عنه طرفة عين ابدأ، ومعنى عدم العفلة عنه اصلاح جميع أموره وتأدية حقوقه هذا.

روى فى البحار باسناده عن ابى محمد العسكرى عن آبائه قال قيل لأمير المؤمنين ما الأستعداد للموت قال ﷺ اداء الفرائض واجتناب المحارم والأشتمال على المكارم ثمّ لا يبالى أوقع على الموت ام وقع الموت عليه والله ما يبالى ابن ابيطالب أوقع على الموت ام وقع الموت عليه انتهى ج ١٥ الجزء الثانى منه «ص ١٨٢ ط كميانى»...

وسئِلَ عنالرسول ﷺ اى المؤمنين أليس قال ﷺ أكثرهم ذكراً للموت وأشدّهم له استعداداً انتهى «ص ١٨٢»...

وروى باسناده عن ابى عبدالله عن ابيه قال ﷺ كان عيسى ابن مريم يقول هؤلّ لاتدرى متى يلقاك ما يمتنعك ان تستعدّ له قبل ان يفجأك «١٨٢»...

وروى عنه ﷺ ايضاً انه قال اذا أويت الى فراشك فانظر ما سلكت فى بطنك وما كسبت فى يومك واذكر انك ميتٌ وان لك معاداً انتهى «ص ١٨٣»...

وقال الصادق ﷺ ذكر الموت يُميت الشهوات فى النفس ويقلع منابت العفلة ويقوى القلب بمواعيد الله ويترق الطبع ويكسر اعلام الهوى ويطفىء نار

الجِرس ويحقّر الدنيا وهو معنى ما قال النبى ﷺ فكر ساعة خير من عبادة سنة وذلك عند ما يحلّ اطناب خيام الدنيا ويشدّها فى الآخرة ولا يشك

بنزول الرّحمة على ذاك الموت بهذه الصّفة ومن لا يعتبر بالموت وقلة حيلته وكثرة عجزه وطول مقامه فى القبر فلا خير فيه وقال النبى ﷺ أنكروها يم

اللذات فليل وما هو يا رسول الله فقال ﷺ الموت وما ذكره عبداً على الحقيقة

فى سعةِ الآ ضاقت عليه الدنيا ولا فى شدةِ الآ اتسعت عليه والموت آخر منزلٍ من منازل الدنيا فطوبى لمن اكرم عند النزول بأولها وطوبى لمن احسن مشايعته فى آخرها والموت اقرب الأشياء من بنى آدم وهو يعده ابعده فما أجرى الإنسان على نفسه وما أضعفه من خلق وفى الموت نجاته المخلصين وهلاك المجرمين ولذلك اشتاق من اشتاق الى الموت وكرهه من كرهه: وقال النبى من أحب لقاء الله أحب لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه «بحار ج ٣ ص ٨٢١ ط كميانى»...

□ قوله ﷺ: وَكُونُوا قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ فَأَنْتَبَهُوا وَعَمِلُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ، فَاسْتَبَدَلُوا، ...

ثم قال ﷺ: لهم بعد أمرهم بتقديم الأعمال على الأجال وابتياح الآخرة بالدنيا واستعدادهم للموت، كُونُوا قَوْمًا، اى كونوا كقوم، فحرف التشبيه مَحذُوفٌ كما يقال كن أسدًا ولا تكن ثعلبًا، اى كن كالأسد ولا تكن كالثعلب ضرورة امتناع كون الانسان أسدًا وثعلبًا بمعنى صيرورته أسدًا او ثعلبًا فان الانقلاب فى الماهية محال والانقلاب من صورة الانسانية بصورة الأسد او الثعلب لا يمكن له وإنما هو شأن الخالق ومن كان خليفة له تعالى فقول زيد مثلاً لعمر وكن أسدًا معناه اى كن كالأسد فى الشجاعة اذ اعرفت هذا فقوله ﷺ: وَكُونُوا قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ - معناه كُونُوا كقوم صِيحَ بِهِمْ ضرورة استحالة كونهم قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ لَانَّ الْمَفْرُوضَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا كذالك وعليه فالمقصود من هذا الكلام يدور مدار أمرين.

احدهما: ان يكون المراد كُونُوا كقوم صِيحَ بِهِمْ فانتبهوا الخ. على حسب الفرض والتقدير بمعنى انكم اذا كنتم صِيحَ بِكُمْ صِيحة سَمَاوِيَّة وهى كناية عن الموت وعلمتم بعد الموت ان الدنيا ليست لكم بدارٍ ثم رجعتم الى الدنيا فلامحالة استبدلتم الدنيا بالآخرة اى تركتموها واخذتم بها فكائنكم رجعتم عن الآخرة الى الدنيا فكونوا منها على حذر.

وثانيهما: ان يكون المراد بقوله ﷺ هذا هو الأتعاض والاعتبار بما وقع على الأقسام الماضية والأمم السالفة من قوم عاد وثمود وامثالهما حيث انهم كانوا ممن صيح بهم ماتوا ثم انتبهوا وعلموا بان الدنيا ليست لهم بدارٍ إلا انهم لم يقدروا على الرجوع اليها واستبدالها واما انتم فحيث انكم في الدنيا فكأنكم انتم هم مع هذا القدر من الفرق والتفاوت فاغتنموا الفرصة واعملوا فيها للأخرة ولا تركزوا عليها، والدليل على هذا المعنى هو ان حكم الأمثال واحد فينبغي للانسان ان يعتبر من الوقائع والحوادث التي وقعت في الايام الماضية والقرون الخالية قال الله تعالى في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١)

و: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ (٢)

و: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ (٣) وامثال ذلك من الآيات.

روى ان عيسى ابن مريم ﷺ مرَّ بقريّةٍ فاذا أهلها مَوْتى في الأفنية والطُّرق فقال لهم يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطه تعالى ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافتوا فقالوا يا روح الله وددنا لو علمنا خبرهم فسأل ربه فأوحى الله اليه اذا كان الليل فنادهم يُجيبوك فلما كان الليل اشرف على نَشْرٍ ثم نادى اهل القرية فاجابه مُجيب لبيك يا رُوح الله فقال ما حالكم وما قِصّتكم قال بيتنا في عافيةٍ وأصَبَحنا في الهاوية قال وكيف ذلك قال لِحَبْنَا الدُّنْيَا وطاعتنا اهل المعاصى قال وكيف كان حُبِّكم الدُّنْيَا قال: حَبِّ الصُّبى لِأُمَّه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حَزَّننا وبكينا قال فما بال اصحابك لم يُجيبونى قال لانهم مُلْجَمُونَ بلجامٍ من نارٍ بأيدي ملائكةٍ غلاظٍ شدادٍ قال كيف اُجبتنى من بينهم قال لاني كنتُ فيهم ولم اكن مِنْهُمْ فلما نزل العذاب اصابنى معهم فأنا مُعَلَّقٌ على سَفِيرِ جَهَنَّمَ لا أدري أنجُو منها ام اكبكبُ فيها فقال المَسِيحُ للحواريين

أَكَلُ حُبْزِ الشَّعِيرِ بِالْمِلْحِ الْجَرِيشِ وَلِبْسِ الْمَسْوُوحِ وَالتَّوْمِ عَلَى الْمَزَايِلِ خَيْرٌ
كَثِيرٌ مَعَ عَافِيَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ انْتَهَى «مجموعه ورام ج ١ ص ١٣٣»...
وقيل: أوحى الله تبارك وتعالى الى موسى يا موسى مالك ولدان الظالمين
انها ليست لك بدارٍ أُخرج منها همك.

وفارقها بعقلك وبثنت الدار هي إلا للعامل فيها فنعمت الدار هي يا
موسى انى مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم انتهى «ص ١٣٢»...
وقال عيسى يا معشر الحواريين ارضوا بدينى الدنيا مع سلامة الدين كما
رضى اهل الدنيا بدينى الدين مع سلامة الدنيا وفيه قال الشاعر:

أرى رجالاً بأدنى الدين قد قنعوا
ولا اراهم رَضُوا فى العيش بالذون
فأستغن بالدين عن دنيا الملوك كما

استغنى الملوك بدنياهم عن الدين
وقال لقمان لابنه يا بنى ان الدنيا بحرٌ عميقٌ قد غرق فيها ناس كثير فلتكن
سفينةك فيها تقوى الله وحشوها الايمان بالله عز وجل وشراعها التوكل على
الله لعلك ناج وما اريك ناجياً «ص ١٣٥»...

وقال بعض الحكماء - انك لن تصبح فى شىء من الدنيا الا وقد كان له اهلٌ
قبلك ويكون له اهلٌ بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم
فلاتهلك فى اكلةٍ وصم الدنيا وأفطر على الآخرة فان رأس مال الدنيا الهوى
وربحها النار.

وقيل لبعض الزهاد كيف ترى الدهر قال يُخلَق الأبدان ويُجدد الآمال
ويُقرب المنيّة ويُبعد الأمنيّة قيل وما حال اهلك قال من ظفّر به تعب ومن فاته
نصب وقد قيل فى هذا المعنى.

ومن يَحْمُدُ الدُّنْيَا لِعَيْشٍ يَسْرُهُ

فَسَوْفَ لَعَمْرِي عَنْ قَلِيلٍ يَلُومُهَا

إذا أدبرت كانت على المرء حسرة

وإن أقبلت كانت كثيراً هُمومها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها
فلا ينبغي السكون اليها فإن عيشها تكيد وصفحها كدير واهلها منها على وجل أما
بنعمة زائلة او بليّة نازلة او منية قاضية.

وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطى احداً ما يستحقّ لكنها اما ان تزيده
او تنقصه، وقال بعضهم اما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وُضعت في غير
اهلها.

وقال رجل لبعضهم أشكو اليك حبّ الدنيا وليست لي بدارٍ فقال انظر
مأتاكه الله عزّ وجلّ منها فخذ من حِلّه ولا تَصْعَهُ الأ في حَقّه ولا يَضْرِك حَبّ
الدنيا.

وقال بعضهم لو انّ الدنيا كانت من ذهب يفنى والآخرة من خزفٍ يبقى
لكان ينبغي لنا ان نختار ما يبقى على ما يفنى فكيف وقد اخترنا خزفاً يفنى
على ذهبٍ يبقى ولنعم ما قيل:

نُرْقِعُ دِينَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا فلا ديننا يبقى ولا ما نُرْقِعُ

فَطُوبَى لِعَبْدٍ آثَرَ اللهُ رَبَّهُ وجاد بدينه لما يتوقع

واقبل قوم على رجل زاهد فذكر والدنيا وأقبلوا على ذمها فقال أسكتوا من
ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحبّ شيئاً أكثر من
ذكره وقال بعض الشعراء فيها.

ارى طالب الدنيا وان طال عمره ونال من الدنيا سُروراً وأنعماً

كبانٍ بنى بُنيانه فأتته فلما استوى ما قد بناء تَهْدَمَا

وقال لقمان لأبنه يا بنيّ بع دنياك بأخرتك تريحهما جميعاً ولا تبع آخرتك
بدنياك تخسرهما جميعاً وقيل فيها.

هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقِ إِلَيْكَ عَفْواً أليس مصير ذاك الى انتقال

وما دُنْيَاكَ إِلَّا مِثْلَ فَيْءٍ اظْلُكْ ثُمَّ آذِنِ بِالزَّوَالِ
 وقال بعضهم الدُّنْيَا جِيْفَةٌ فَمَنْ ارَادَ مِنْهَا شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ عَلَى مَعَاشِرَةِ الْكِلَابِ.
 يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا إِلَى نَفْسِهَا تَنْحُ عَنْ خِطْبَتِهِمَا تَسْلِمُ
 اَنْ الَّتِي تَخْطُبُ غَدَارَةً قَرِيْبَةَ الْعَرَسِ مِنَ الْمَاتَمِ
 وقال رجل لامير المؤمنين عليه السلام صف لنا الدُّنْيَا فقال وما اصْفُ لَكَ مِنْ دَارٍ مِّنْ
 صَحَّ فِيهَا اَمِيْنٌ، وَمَنْ سَقِمَ فِيهَا نَدَمٌ وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزَنٌ وَمَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا فِتْنٌ
 فِي حِلَالِهَا حِسَابٌ وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ اعَاذَنَا اللهُ مِنْ حُبِّهَا بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.
 □ وقوله عليه السلام: فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً ...

وكلامه هذا اشارة الى ما قال الله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿اَفَحَسِبْتُمْ اَنَّمَا
 خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَاَنَّكُمْ اِلَيْنَا لَاتَرْجِعُونَ﴾^(١)

و: ﴿اَيَحْسَبُ الْاِنْسَانُ اَنْ يُتْرَكَ سُدىً﴾^(٢) هذا بالنظر الى النُّقْلِ
 واما بالنظر الى العقل فان الله تبارك وتعالى حكيمٌ والحكيم لا يفعل عبثاً فالله
 تعالى لم يفعل عبثاً.

اما الصَّغْرَى اعنى كونه تعالى حكيماً فمعناه انه ذو الحكمة والحكمة عبارة
 عن معرفة اَفْضَلِ الْاَشْيَاءِ بِاَفْضَلِ الْعُلُومِ وَاَجَلِ الْاَشْيَاءِ وهو الله تعالى وقد ثبت
 انه لا يعرف كنه معرفته غيره بالعلم الأزلي الدائم الذي لا يتصور زواله المطابق
 للمعلوم، مطابقة لا يتطرق اليه خفاء وشبهة فهو الحكيم الحق وقد يقال لمن
 يحسن دقائق الصناعات ويحكمها وتيقن صنعها حكيماً وكمال ذلك ايضاً
 ليس الا الله جل جلاله ومن عرف جميع الاشياء ولم يعرف الله لم يستحق ان
 يُسَمَّى حَكِيْماً لانه لم يعرف اجل الاشياء وفضلها ومن عرف الله فهو حكيم
 وان كان ضعيف المنيّة في سائر العلوم الرسمية كليل اللسان قاصر البيان فيها
 ومن عرف الله كان كلامه مخالفاً لكلام غيره فانه قل ما يتعرض للجزئيات بل
 يكون كلماته كلها كلية ولا يتعرض لمصالح العاجلة بل يتعرض لما ينفع في

العاقبة ولما كان ذلك اظهر عند الناس من احوال الحكيم ان معرفته بالله ربما اطلق الناس الحكمة على مثل تلك الكلمات الكلية ويقال للناطق بها حكيم وذلك مثل قول سيد الانبياء رأس الحكمة مخافة الله، والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى ما قل وكفى خير مما كثر والهوى، كن ورعاً تكن عبد الناس وكن قنعاً تكن أشكر الناس القناعة كنز لا ينفذ الصبر نصف الإيمان اليقين الإيمان كله فهذه الكلمات، وامثالها تسمى حكمة وصاحبها يسمى حكيماً وعليه فهو تعالى حكيم على الإطلاق وعلى سبيل الحقيقة وما سواه يسمى به مجازاً. هكذا حققه بعض العرفاء.

اقول: ما ذكره (قده) لا بأس به بل لا مزيد عليه ونقول توضيحاً له الحكيم هو الذى كان فى قوله وفعله صادقاً، والحكمة على ما فسروها هى العلم بحقائق الموجودات على ما هى عليه فى نفس الأمر ونظم الوجود نظاماً محكماً متقناً وان سئلت الحق فالحكمة هى الوجود لان اتم قسمى العلم من الحصول والحضورى هو الحضورى واعلى تحويه الاخرين من الفعلى والانفعالى هو الفعلى وقد تقرّر فى موضعه انه تعالى فاعل بالعناية وان النظام الكيانى مطابق للنظام الربوبى فثبت وتحقق انه تعالى حكيم بل لاحكيم واقعاً الا هو وذلك لكونه صادق القول والفعل فلو كان فاعلاً للعبث لم يكن حكيماً لان العبث كذب فى الفعل وقد فرضنا صدقه فيه هف.

واما الكبرى - فقد ثبت ايضاً لان المفروض ان كونه حكيماً لا يعقل الا بعد كونه صادقاً فى الفعل وهو ينافى كونه عبثاً كما تقدم واذا ثبت وتحقق هذان الاصلان فثبتت النتيجة وهو المطلوب فظهر ان الله تعالى لم يخلق ما خلق عبثاً ولا سيما الانسان الذى هو اشرف الموجودات الذى روى فيه عن الصادق عليه السلام او عن امير المؤمنين عليه السلام:

انه قال الصورة الانسانية هى اكبر حُجَج الله على خلقه، وهى الكتاب الذى

كُتِبَ بِيَدِهِ وَهِيَ الْهَيْكَلُ الَّذِي بَنَاهُ بِحِكْمَتِهِ وَهِيَ مَجْمُوعُ صُورِ الْعَالَمِينَ وَهِيَ الْمُخْتَصَرُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَهِيَ الشَّاهِدَةُ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ وَهِيَ الْحُجَّةُ عَلَى كُلِّ جَا حِدٍ وَهِيَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَهِيَ الصِّرَاطُ (الْجَسْرُ) الْمَمْدُودِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَنْتَهَى وَالِي هَذِهِ الْجَامِعِيَّةِ أَشَارَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَى مَا نَسَبَ إِلَيْهِ حَيْثُ قَالَ:

دَوَائِكَ فَيُكِّفُ وَلَا تُبْصِرُ وَدَائِكَ فَيُكِّفُ وَلَا تُشْعُرُ
وَأَنْتَ الْكِتَابُ الْمُسَبِّحُ الَّذِي بِأَخْرَفِهِ يَظْهَرُ الْمُضْمَرُ
أَتَزَعَمُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ انْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ
أَحَدُهُمَا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقِ الْإِنْسَانَ عَبَثًا لِكُونِهِ تَعَالَى حَكِيمًا وَالحَكِيمُ لَا يَفْعَلُ الْعَبْثَ وَقَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِيهِ.

وَأَمَّا الْآخَرُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَتْرِكْهُ سُدًى أَيْ مُهْمَلًا بِلَا تَكْلِيفٍ بَلْ كَلَّفَهُ بِالتَّكْلِيفِ الْمُقَرَّرَةِ بِوَسْطَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَقَدْ فَضَّلْنَا الْكَلَامَ فِيهِ فِي الْمَجْلَدِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ عِنْدَ بَحْثِنَا عَنِ النَّبُوَّةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَحْتَاجُ إِلَى النَّبِيِّ وَيَلْزَمُ عَلَيْهِ تَعَالَى أَيْضًا أَرْسَالَ الرُّسُلِ وَأَنْزَالَ الْكُتُبِ بِقَاعِدَةِ اللَّطْفِ.

□ قَوْلُهُ عليه السلام: وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ.

كَلِمَةٌ (مَا) لِلنَّفْيِ، أَيْ لَيْسَ بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِنْ كَانَ مُؤْمِنًا صَالِحًا، أَوْ النَّارِ، إِنْ كَانَ مُنَافِقًا فَاسِقًا إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ وَحَاصِلُ الْكَلَامِ هُوَ أَنَّ الْمَوْتَ فَاصِلٌ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَمَا يَنْتَهَى أَمْرُهُ إِلَيْهِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ فَلَمَّا أَرْتَفَعَ الْمَوْتُ فَلَا حَاجَازَ فِي الْبَيْنِ.

أَنْ قُلْتُ - مَا الْمُرَادُ بِهَذَا الْكَلَامِ وَهُوَ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِذَا لَا يَشْكُ عَاقِلٌ فِي أَنَّ الْحَاجَازَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَمَالِهِ فِي آخِرِهِ هُوَ الْمَوْتُ.

قُلْتُ - نَعَمْ إِلَّا أَنَّهُ عليه السلام أَشَارَ بِكَلَامِهِ هَذَا إِلَى نَكْتَةٍ أُخْرَى وَهِيَ أَنَّ الْحَاجَازَ لَوْ كَانَ هُوَ الْمَوْتُ كَمَا هُوَ الْمَفْرُوضُ فَيَنْبَغِي أَنْ يَذْكَرَهُ كَثِيرًا حَتَّى لَا يَغْفَلَ عَنْهُ مَعَ أَنَّهُ يُرَى مِنْهُمْ خِلَافَ ذَلِكَ وَعَلَيْهِ فَالْغَرَضُ مِنْهُ هُوَ التَّذَكُّرُ وَالتَّنْبِيهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ

تعالى فى كتابه: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (١)

و: ﴿وَذَكِّرْ إِنْ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

و: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (٣) وامثال ذلك من الآيات.

ويمكن ان يقال ان الغرض هو الاشعار بان الانسان بعد موته لا يقدر على شىء من العمل اذ به تختم الحياة ويُسدّ باب التكليف فمن اراد الجنة لا بد له من العمل قبل موته وهو ايضا واضح.

□ قوله ﷺ: **وَإِنَّ غَايَةَ تَنْقُصِهَا اللَّحْظَةُ وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لَجَدِيرَةٌ بِقَصْرِ الْمُدَّةِ، ...** قالوا ان المراد بالغاية فى كلامه التى تنقصها اللحظة هى أجل الانسان ومدة تعيشه فى دار الدنيا وانه هو الذى تنقصه اللحظة اى كل جزء من اجزاء الزمان تهدمه ساعات الأيام والليالى فلامحالة توصف بقصر المدة وقال الشارح البحرانى المراد بالساعة هو الموت اى يهدم الأجل الموت هذا.

والتحقيق فى المقام ان المراد بالغاية شىء آخر غير الاجل فان الاجل لا يعد غاية للحياة بل المراد بها الجنة او النار، والدليل عليه من وجوه. احدها: ان الغاية للشىء عبارة عما ينتهى اليه الفعل وحياة الانسان تنتهى إما الى الجنة وإما الى النار.

وثانيها: ان الغاية هى التى لاشىء ورائها مُرتبط بها والاجل ليس كذلك فان الاجل اعنى الموت هو اول المراحل والمنازل من مراحل الآخرة فكيف يكون غاية له.

وثالثها: انه قال فى الجملة المتقدمة وما بين أحدكم وبين الجنة او النار الا الموت، فجعل ﷺ المنتهى الجنة او النار والموت فاصل بين المبدء والمنتهى فكيف يكون الموت الذى يكون بمنزلة الفصل هو الغاية مع انه فى الحقيقة مُمدٌ ومُعِدٌ لِلْأُنْسَانِ فى وصوله الى الغاية وحيث انه ﷺ قال كذلك ثم قال فى

الجُملة المبحوثة عنها وان غاية الخ فالحق ان المراد بالغاية هو الغاية التي قدم ذكرها اعنى الجنة والنار.

ورابعها: انه مرّ فيما مضى من قوله ﷺ: والغاية النار، اطلق الغاية على النار واذا كانت النار غاية فالجنة ايضاً غاية فما نحن فيه ايضاً من هذا القبيل.

فبهذه الوجوه المذكورة وغيرهما مما لم نذكرها حذراً عن الاطناب ظهر لك ان المراد بالغاية فى كلامه ﷺ الجنة او النار بالنسبة الى الصلحاء والأشقياء وعليه فمعنى قوله ﷺ: تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة هو ان اللحظات والساعات تقربها ضرورة انه كلما مضت من العمر لحظة او ساعة تنقص عن المدة المضروبة من المبدء الى المنتهى وبالأخرة تهدمها الساعات وتفينها وما كان كذلك اى معرضاً للهدم والتقصان فهو أولى بان يُسمى بقصر المدة.

وحاصل كلامه ﷺ على ما شرحناه هو ان المدة والفاصلة بين المبدء والمنتهى اى من بدو الحياة الى دخول الجنة او النار ليست طويلة كما ربما يتوهم بل قصيرة جداً فينبغى للعاقل ان لا يعتمد على هذه الحياة الدائرة الفانية بل يتوجه الى ماله ومرجعه وان الى ربك المنتهى انا لله وانا اليه راجعون.

قال بعض العرفاء - يا ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله عز وجل على وجل ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها خداعة غدارة قد تزخرفت لكم بغرورها وفيتتكم بامانيها وتزينت لخطابها كالعروس المتحلية والعيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة، فكم من عاشق لها قتلته ومطمئن اليها خذلتها فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثر بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتهبوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل او مدنف ثقيل، فهل على الدواء من دليل ام هل الى طبيب من سبيل فيدعى لك الاطباء ولا يرجى لك شفاء، ثم يقال فلان اوصى وماله احدى ثم يقال قد ثقل لسانه فيما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه ثم حل

بك القضاء، وانتزعت من نفسك الأعضاء ثم عرجت النفس الى السماء انتهى.
 وقال بعض الحكماء الايام سهامٌ والناس اغراضٌ والدَّهر يرميك كل يوم
 بسهامه ويخترمك بلياليه وايامه حتى يستفرغ جميع اجزائك فكم بقاء
 سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالي في بدنك ولو كشفت لك عمّا
 احدثت لك الايام من النقص فيك لأستوحشت في كل يوم يأتي عليك
 واستثقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق الاعتبار ولنعم ما قيل في
 وصفها:

احلامٌ نومٍ او كظَلٍ زائلٍ ان اللبیب بمثلها لا یُخدع
 وقيل ايضاً:

يا اهل لذات دنيا لابقاء لها ان اغتراراً بظلٍ زائلٍ حمقٌ
 فالدنیا تشبه خیالات المنام واضغات الأحلام كما قال رسول الله ﷺ الدنیا
 حلم واهلها عليها مجازون مُعاقبون.

وقال بعض العرفاء: ما شَبَّهتُ نفسي والدنیا الا كرجلٍ نام فرأى في منامه ما
 يكره وما يحبّ فينما هو كذلك اذا أتته وكذلك سائر الناس ينام فاذا قالوا
 انتبهوا فاذا ليس بأيديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا به.

وقيل لحكيم اي شيء أشبه بالدنيا قال احلام النائم:

□ قوله ﷺ: **وإن غائباً يحدوه الجديد إن الليل والنهار لحرى بسرعة الأوبة، ...**

قالوا في شرح هذا الكلام المراد بالغائب هو الانسان فانه غائب عن وطنه
 الاصلى ومنزله الحقيقي الذي اليه معاده ومسيره وهو دار الآخرة، وشبه الليل
 والنهار بالحادي لكونها مقربين للإنسان بتعاقبها الى وطنه مؤصلين له اليه كما
 ان الحادي يحدُّ والأبل ويحثُّها على السير بحدائنه حتى يوصلها الى المنزل
 ومن المعلوم ان من كان حاديه الليل والنهار فهو في غاية سرعة السير
 والرجوع الى وطنه وقيل المراد بالغائب الموت انتهى.

هذا ما ذكره الخوئي في شرح العبارة، ثم قال: قال البحراني وهو

وان كان مُحْتَمَلاً اَلاَّ اَنَّهُ لا يُطابِقُه لفظ الأوبه لانه لم يكن حتى يَرجع ثم اجاب عنه وقال.

اقول: يمكن الجواب عنه بان الموت لما كان عبارة عن العدم الطارى للأنسان وكان الأنسان مَسْبُوقاً بالعدم ايضاً سُمى حلول الموت بالأوبه.

اقول: قد ذكرنا ان الموت ليس عدماً لانه لو كان عدماً طارياً على الأنسان كما ظنه فاما ان يكون طارياً على الأنسان حال وجوده او يطرء عليه حال عدمه فعلى الاوّل يلزم اجتماع التقيضين وعلى الثانى - ارتفاعهما وكلاهما محال فالحق ان الانسان بل كل موجود لا يعدم اذ الشئ بعد وجوده يستحيل عليه العدم بل هو دائماً موجود الا ان الوجود فيه يتبدد ويتغير فالأنسان مثلاً تارة موجود بالوجود المادى الدنيوى وتارة موجود بالوجود البرزخى وتارة بالوجود الأخرى وهكذا خلقتم للبقاء للبقاء، وقد فرغنا عن بحثه واثباته كيف ولو قلنا بهذه المقالة اعنى القول بطريان العدم على الانسان لم يمكن لنا اثبات المعاد الجسمانى ضرورة ان المعدوم لا يعاد هذا ولا يبعد له ولأمثاله القول بجواز الأعادة.

واما الشارح المعتزلى فانه بعد ما ذكر فى شرحه الاحتمالين المذكورين قوئى كون المراد بالغايب هو الموت.

اقول: اما كون المراد بالغايب هو الأنسان فغير معقول وذلك لان قوله **لا يحدوه الجديان** ينافية فان الضمير فى قوله، يحدوه، يرجع الى الغائب ولا معنى لقولنا ان الجديدين اعنى الليل والنهار يسوقان الأنسان الغائب اما اولاً فلائهما لا يسوقان الأنسان كما هو ظاهر وعلى فرض التسليم وانهما يسوقانه ولو مجازاً. فلا يسوقان الا الأنسان الحاضر دون الأنسان الغائب الا على ضرب من التأويل بعيد عن الطبع فان الغائب ما يكون غائباً عن الحواس والأنسان الموجود فى الدنيا موجود بالضرورة محسوس بالحواس فاطلاق الغائب عليه باعتبار كونه غائباً عن وطنه الاصلى كلام بلامحصل ولا يلتزم به اهل العلم

وإنما هو بالخرافات أشبهه وتفصيل الكلام فيه محل آخر وعلى المدعى أولاً
الاثبات ثم حمل الكلام عليه.

وأما كون المراد به الموت كما قواه الشارح المعتزلى فهو وإن كان أولى من
الأول إلا أنه أيضاً مما لا يساعده العقل والنقل.

أما النقل: فمعلوم.

وأما العقل: فلان الجديدين اعنى الليل والنهار لا يسوقان الموت وهو معلوم
كما اعترف به الشارح البحرانى أيضاً وما اجاب به الشارح الخوئى عنه فقد قلنا
أنه خلاف الحق وقد مرّ.

والذى يقوى فى النفس فى حل الاشكال هو ان يكون المراد بالغائب فى
كلامه عليه السلام هو العمر والمراد بالجديدين الذين يسوقانه كما صرح عليه السلام به الليل
والنهار والساعات والدقائق.

أما عدّ العمر من الغائب فلا اشكال فيه بل هو كذلك فإن الغائب ما لا تدركه
الحواس وانت ترى ان العمر لا يدركه الجسّ فهو بهذا المعنى غائب وإن كان
واقعاً موجود غير غائب وذلك لان العمر ليس الامدة الحياة فى هذه الدنيا من
حين تولد الانسان الى حين موته وهذه الامدة ليست الا الساعات والدقائق التى
بسبب الليل والنهار والشهر والسنة والقرن وهكذا فالعمر فى الحقيقة ليس الا
آنات الزمان ولحظاتها كما ان نفس الزمان أيضاً ليس الا الآنات ولهذا نقول انه
اى الزمان من الموجودات الغير القارة التى بقائها فى تصرّمها وتصرّمها فى
بقائها ومن الواضح ان الموجود اذا كان هذا شأنه فهو غائب عن الحواس وأما
كون الليل والنهار يسوقانه ويبعثانه فهو أوضح من ان يخفى على احد وذلك
لان المراد بسوقها اياه سوقه الى الفناء كما كان أولاً فإن الزمان يوجد من حركة
الأفلاك ولا شك فى حدوث الأفلاك حدوثاً زمانياً اى مسبقاً بالعدم لاحدوثاً
ذاتياً فإن هذا الحدوث يختص بالصادر الاول بناء على القول به وأما الافلاك
فوجودها فى المراتب المتأخرة على ما فصلوه فى بيان كيفية تحقق الكثرة من

فاذا كان نفس الفلك مسبوقاً بالعدم الزماني فالحركة المتوقفة على وجود الفلك بطريق اولى ولهذا قالوا بعدم وجود الزمان فى المصادر الاول وانه غير زمانى فان الموجودات الثابتة قبل وجود الفلك تكون منسلخة عنه كما ثبت فى محله اذ اعرفت هذا فنقول:

الجديدان اللذان يسوقان العمر الى ما كان عليه اعنى الزوال والفاء هما الليل والنهار المتالفان من الآنات والدقائق فانهما يُفنيان العمر بالآخرة فان كل أن او دقيقة او ساعة مَضت منه لا يرجع كما هو مقتضى طبيعة الزمان وماهيته ولا شك ان العمر اعنى المدة المضرّوبة لكل انسان بل كل موجود ممكن كان مسبوقاً بالعدم فالمراد بسوقه الى ما كان عليه افنائه، واضمحلاله وما كان كذلك اى ما كان فى معرض الفناء الدثور بهذه الآنات والدقائق فهو بنفسه اولى بسرعة الأوبة والرجوع وذلك لان ما يكون فى معرض الحوادث فهو اولى بالحدوث وان شئت قلت ما يكون محلاً وموضوعاً للحوادث فهو اولى بالحدوث ففى المقام لما كان العمر محلاً للآفات التى تفنيه فهو اولى بالفناء والدثور كل شىء يرجع الى اصله، كما بدءكم تعودون انا لله وانا اليه راجعون. وظنى ان من هذا الكلام أخذ بعض العرفاء حيث قال فى تشبيهه الدنيا بشخص مدلى فى بئر مشدود وسطه بحبل، وفى اسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه اليه منتظر سقوطه فاتح فاه لالتقامه وفى اعلى ذلك البئر جردان ابيض وأسود لا يزالان يقرضان ذلك الحبل شيئاً ولا يفتران عن قرضه انا من الآنات وذلك الشخص مع انه يرى ذلك الثعبان، ويشاهد انقراض الحبل انا فانا قد أقبل على قليل من العسل قد لطح به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمعت عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه منهمك فيه ملتد ما اصاب منه مخصم لتلك الزنابير عليه قد صرف باله بأجمعه الى ذلك غير ملتفت الى ما فوقه والى ما تحته، فالبئر هو الدنيا، والحبل هو العمر، والثعبان الفاتح فاه هو الموت،

والحرذان اللَّيْل والنَّهَار القَارِضَان لِلْعُمَر، وَالْعَسَلِ المِخْتَلِطَةُ بِالتَّرَابِ هُوَ الدَّاتُ
الدُّنْيَا المُمْتَزِجَةُ بِالكُدُورَاتِ وَالْآلَامِ وَالزُّنَا يَبْرَهُمُ ابْنَاءَ الدُّنْيَا المُتْرَاحِمُونَ عَلَيْهَا
انتهى.

وعليه فلا يبعدان يكون المراد بالغائب الذي يحدوهُ الجديدان اللَّيْل
والنَّهَار هُوَ العُمَر فتأمل.

بقي في المقام شيء آخر وهو أنه لِمَ عَبَّرَ ﷺ عن اللَّيْل والنَّهَار بالجديدين،
والوجه فيه هوان كلِّ لَيْلٍ من اللَّيَالِي أو كلِّ نَهَارٍ يَأْتِي على الإنسان أو على مطلق
الموجود إنما هو جديد بمعنى أنه لم يكن مسبوقةً بالغير فاللَّيْلُ السَّابِقُ غير
اللَّيْلِ اللاحق وكذا القول في النَّهَار وهو يدلُّ على حدوث الزَّمان كما هو
كذلك عند الفلاسفة وَرَدُّ على مَنْ قال بِقَدَمِ الزَّمانِ وَذَلِكَ لِأَنَّ التَّجَدُّدَ من لوازم
الحدوث بل هو عينه والقديم لا تجدد فيه فلا حدوث فيه وحيث أن الزَّمانيات
واقعة في الزَّمان وقد ثبت حدوثه فهي أولى بالحدوث وهو المطلوب.

□ قوله ﷺ: وَإِنَّ قَادِمًا يَقْدَمُ بِالفَوْزِ أَوْ الشَّقْوَةِ لِمُسْتَحِقِّ لِأَفْضَلِ العُدَّةِ

والمراد بالقادم في كلامه على زعم من حمل الغائب على الإنسان الإنسان
أيضاً وعلى مسلك غيره أيضاً لامناص من حملة على الإنسان، وذلك لأن
القادم عن سفر الدنيا في منزل الآخرة ليس إلا الإنسان وعلى أي التقادير شبه
القادم الإنسان القادم على الآخرة بمن يقدم عن سفره في هذه الدنيا فكما أن
القادم عن السفر في هذه يترقب ويتنظر منه بعض الأشياء المناسب له أن يأتي
به لأهله ووعيله فكذلك من يموت ويرد على عالم الآخرة يترقب منه أن يأتي
بما يناسب له ولذلك العالم من الأعمال وهو لا يخلوا أما أن يأتي بالأعمال
الصالحة أو يأتي بالأعمال السيئة فعلى الأول يستحق الفوز والفلاح وعلى
الثاني الشقوة والعذاب إلا أن الإنسان العاقل ينبغي له التوجه بهذا المعنى من أن
السوق سوقان: سوق الدنيا وسوق الآخرة، وفي كل واحد منهما أشياء وأمتعته
يرغب فيها ولا بد من الكاسب فيهما والقادم عليهما من عرض ما يناسب لكل

واحد منهما اذ التاجر لا بد من ان يكون عارفاً بهذا الموضوع فالانسان اذ اورد الآخرة ينبغي له من عرض الأمتعة والاشياء المناسبة لها وهي ليست الأعمال الصالحة الخالصة التي صدرت عنه في الدنيا دون الأعمال القبيحة فانها لا قيمة لها هناك فاللزام عليه ان يستعد أفضل العدة ويدخر لنفسه أحسن الزاد والذخيرة ولا شيء أفضل له من التقوى كما قال ﷺ في بعض كلماته وقد مر مفضلاً وسيجيء الكلام فيه في موارد كثيرة والى اهميته التقوى اشار ﷺ بقوله.

□ قوله ﷺ: فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَخْرُجُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا...

اي اذا كان لا بد لكم من التورود على الآخرة فأدخروا لأنفسكم ما ينفع لها منها هناك فان الأموال والبنين والأقرباء والعشيرة والمقام وامثالها من علائق الدنيا لا يمكن الانتفاع بها الا فيما اذا كانت في مسير الشرع وحيث ان الانسان في حد نفسه لا علم له بما ينفعه ولا يدري اي الأعمال افضل واحسن فقال:

□ قوله ﷺ: فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ نَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ،...

اشار ﷺ: بهذه الكلمات الى تفصيل ما لا بد له منه وهو ثلاثة :

احدها: التقوى بان يفعل ما يفعل ويقول ما يقول الله تعالى .

وثانيها: تقديم التوبة على الموت.

وثالثها: الغلبة على الشهوة، وهذه الأمور الثلاثة اعنى كونه ناصحاً لنفسه مقدماً توبته على الموت غالباً على شهوته وان كانت في الحقيقة من شئون التقوى فان المتقى لا بد له من مراعاة هذه الامور والا لا يكون من اهل التقوى إلا انا نبحت في كل واحد منها عليحدة فنقول:

اما المقام الأول: اعنى كون الانسان ناصحاً لنفسه فلعل المراد به النظر الى مصالحها ومفاسدها وما يضرها وما ينفعها في الدارين والأخذ بما ينفعها في الدارين والأخذ بما ينفعها وبعبارة اخرى: يأخذ بكل ما يوجب سبباً لكمالها ويترك ما هو عائق عن وصولها اليه وإنما عدّه من التقوى لان التقوى عبارة عن

اتقاء النفس ووقايتها عن الشرور والآفات ، وتتصافها بالحسنات والمملكات
الفاضلة ولنعم ما قال بعض العارفين وهو ان خيرات الدنيا والآخرة جمعت
تحت كلمة واحدة هي التقوى ولنذكر من خصالها وآثارها الواردة فيها اثني
عشر خصلة:

الأولى: المدحة والثناء قال الله تعالى: في كتابه وان تصبر وتقفوا فان ذلك
من عزم الأمور.

الثانية: الحفظ والحراسة قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا
يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾ (١)

الثالثة: التأييد والنصر قال الله تعالى: ﴿فِي كِتَابِهِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ (٢)

و قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ (٣)

الرابعة: النجاة من الشدائد والرزق الحلال قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ
يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (٤)

الخامسة: اصلاح العمل قال الله تعالى في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (٥)

السادسة: غفران الذنوب

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ﴾ (٦)

السابعة: محبة الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (٧)

الثامنة: قبول الأعمال قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٨)

التاسعة: الأكرام والأعزاز قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ﴾ (٩)

العاشرة: البشارة عند الموت قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، لَهُمْ

٢- النحل - ١٢٨

٤- الطلاق - ٣

٦- آل عمران - ٣١

٨- المائدة - ٢٧

١- آل عمران - ١٢٠

٣- محمد - ٧

٥- الاحزاب - ٧٠

٧- التوبة - ٤

٩- الحجرات - ١٣

الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ^(١)

الحادية عشرة: النجاة من النار قال الله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾^(٢)

الثانية عشرة: الخلود في الجنة قال الله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) فقد ظهر لك ان سعادة الدارين منطوية فيها ومندرجة تحتها وهي كنز عظيم وغنم جسيم وخير كثير وفوز كبير كما قيل:

اذا آل حالك ذا ضيقة ويقصر رزقك عما يجب

فراقب تقى الله سبحانه بتلك الأمانى كما ترتقب

ومن يتق الله يجعل له ويرزقه من حيث لا يحتسب

وحيث انا قد تكلمنا في حقيقة التقوى وآثارها ولوازمها فيما مضى مفصلاً فلانطول الكلام بذكرها في المقام.

واما البحث في المقام الثاني: اعنى قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ، ففيه اشارة بل تصريح منه عَلَيْهِ السَّلَامُ بكون التوبة يلزم ان تكون قبل الموت وهو كذلك، لان التوبة بعد الموت لا فائدة فيها كما قال الله تعالى حكاية عن التائبين بعد الموت رب ارجعون لعلى اعمل صالحاً فيما تركت كلاً انها كلمة هو قائلها وهو دليل على ان التوبة بعد الموت لا فائدة فيها.

ثم ان التوبة بمعنى الرجوع عن الذنب قد أمر الله تعالى بها في موارد كثيرة من كتابه والاعخبار ايضاً في الحث عليها متواترة متضافرة وقد سبق القول مناً فيها وذكرنا الأخبار والآيات الواردة فيها على حسب ما اقتضاه المقام الا ان الحوالة لما كانت توجب الملالة فنزيدك على ما ذكرناه هناك ونقول:

اعلم ان البحث في التوبة يقع في مقامين وذلك لانه تارة يقع البحث فيها من حيث ماهيتها وحقيقتها وكيفيتها وتارة يقع البحث في وقتها،

أما البحث في المقام الأول: فقد مرّ مفصلاً مع ذكر الآيات، والاختبار الواردة فيها.

وأما البحث في المقام الثاني: اعنى وقتها فهي وان كنا تكلمنا فيه ايضاً هناك إلا أنه لا بأس بالأشارة الى بعض ماورد فيها، وذلك لان قوله ﷺ: وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ اشارة الى المقام الثاني.

لاشك ان التوبة في اصل اللغة معناها مطلق الرجوع في اى شىء كانت واما في الاصطلاح فقد خصت بالرجوع عن الذنب خاصة قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَبُتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢) ثم ان التوبة تجب على الانسان من اول التكليف الى آخر عمره إلا انها كلما كانت أسرع وأقدم فهي أحسن وأولى ومن علامات المؤمن وخصائصها أنه يتوب عن ذنبه سريعاً ولا يؤخرها والى هذا المعنى اشار ﷺ بقوله وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وذلك لان التوبة للعبد بمنزلة الماء المٌطهر عن الأخبث والأرجاس فكما ان العبد بالوضوء او الغسل. يصير مُتطهراً لايقاً لمناجاة ربه فكذلك بالتوبة يصير قلبه مُتطهراً عن رجس الذنب وخبثه والى هذا المعنى اشار الله تعالى: فى كتابه حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٣) بل لايبعد القول بعدم جواز تأخيره اصلاً مع التوجه الى وجوبها بمعنى انها تجب على الفور كما عليه الاكثر واستدلوا فيه بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ (٤) وعلیه فلو أخرها عمداً عصي (وفعل) بتركه الواجب واما لو قلنا بعدم الفور او يدل على التراخى وتفصيل البحث فى الاصول وقد ثبت هناك ان الأمر بصيغته لايدل على اكثر من الطبيعة أما الفور والتراخى والمرّة والتكرار وامثالها فهو خارجة عنها وعلى كل حال لا شك فى

أَنَّ التَّوْبَةَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْفَتْحِ وَالسَّعَادَةِ وَلَطْفٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْ دَلَّتْ عَلَى لَزُومِ التَّوْبَةِ وَوُجُوبِ الْمَبَادِرَةِ إِلَيْهَا قَبْلَ الْمَوْتِ بَعْدَ الْآيَاتِ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ. مِنْهَا - مَا عَنْ دَعْوَاتِ الرَّائِدِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يُغْرِغْ تَوْبُوا إِلَى رَبِّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الزَّكَايَةِ قَبْلَ أَنْ يَشْغَلُوا وَصَلُّوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ بِكَثْرَةٍ ذَكَرَكُمْ آيَاهُ أَنْتَهَى... «بحار الأنوار ج ٣ ص ٩٧»...

ومنها - ما عن أبي عبد الله قال ﷺ مَرَّ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَى قَوْمٍ يَبْكُونَ فَقَالَ ﷺ عَلَى مَا يَبْكُونَ هَؤُلَاءِ فَقِيلَ يَبْكُونَ عَلَى ذُنُوبِهِمْ قَالَ فليدعوها يغفر لهم انتهى «ج ٣ ص ٩٧ ط كمياني»...

ومنها - ما رواه عن أبي الحسن ﷺ في قول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا»^(١) قَالَ ﷺ يَتُوبُ الْعَبْدُ ثُمَّ لَا يَرْجِعُ فِيهِ وَأَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَّقِي التَّائِبِ، انتهى «ص ٩٧»...

ومنها - ما رواه عن أبي عبد الله، قال: قال النبي ﷺ يَلْزِمُ الْحَقُّ لِأُمَّتِي فِي أَرْبَعٍ يُحِبُّونَ التَّائِبَ وَيَرْحَمُونَ الضَّعِيفَ وَيُعِينُونَ الْمُحْسِنَ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلذَّنْبِ أَنْتَهَى...

ومنها - ما رواه عن أبي جعفر ﷺ قَالَ ﷺ كَفَى بِالنَّدَمِ تَوْبَةً أَنْتَهَى «ص ٩٧»...

اقول: قد ذكرنا الروايات والآيات الواردة فيها مفصلاً فلا نطيل الكلام بذكرها فلنذكر في المقام اموراً مما لا بد:

أحدها: أنَّ التَّوْبَةَ وَقْتَهَا مِنْ أَوَّلِ التَّكْلِيفِ إِلَى حِينِ الْمَوْتِ إِلَّا أَنَّهَا كَلَّمَا كَانَتْ أَقْرَبَ وَأَسْرَعَ إِلَى الْعَمَلِ الَّذِي يَتُوبُ عَنْهُ فَهِيَ أَوْلَى فَيَجِبُ عَلَيْهِ التَّوْبَةُ أَنَا فَأَنَّا وَيدلُّ عليه.

ما رواه في البحار بإسناده عن أبي عبد الله ﷺ قَالَ ﷺ مَا زَالَتْ الْأَرْضُ إِلَّا

ولله تعالى ذكره حُجَّةٌ يعرف الحلال، والحرام ويدعو إلى سبيل الله عز وجل ولا تنقطع الحُجَّة من الأرض إلا أربعين يوماً قبل يوم القيمة فإذا رَفَعَت الحُجَّة اغلقت ابواب التَّوْبَةِ ولم يَنْفَع نفساً إيمانها لم تُكُنْ آمَنَتْ من قِبَلِ ان ترفع الحُجَّة أولئك شرار من خلق الله وهم الذين تَقُوم عليهم القيمة، انتهى «ص ٩٧»...

ومنها - ماروى فى البحار ايضاً عن ابى جعفر عليه السلام قال عليه السلام ان آدم عليه السلام قال يا رب سَلَطْتَ عَلَيَّ الشَّيْطَانَ وَأَجْرِيته مِنِّي مَجْرَى الدَّمِّ فَأَجْعَل لِي شَيْئاً فَقَالَ يا آدم جعلتُ لك ان مَنْ هَمَّ من ذريتك سيئة لم تُكْتَبْ عليه فأن عملها كُتبت عليه سيئةً ومَنْ هَمَّ منهم بحسنةٍ فان لم يَعْلَمْها كُتبت له حَسَنَةٌ وان هُوَ عَمِلَهَا كُتبت له عشرأ قال يا رب زدنى قال جعلتُ لك ان مَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ سيئةً ثم استَغْفَرَ غفرتُ له قال يا رب زدنى قال جعلتُ لهم التَّوْبَةَ حَتَّى تَبْلُغَ النَّفْسُ هذه قال حَسْبى انتهى «ص ٩٧»...

وثانيها: ان تكون التَّوْبَةُ توبةً نَصُوحاً كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً﴾^(١) وفى معناه احتمالات.

منها - ان المراد توبة تَنْصَحُ النَّاسَ اى تدعوهم الى ان يأتوا بمثلها لِيُظْهِرُوا آثاره الجميلة فى صاحبها.

منها - ان يكون المراد به ان يَنْصَحُ صاحبها فَيَقْطَعُ عن الذنوب ثم لا يَعُودُ اليها ابداً.

ومنها - ان النَّصُوحَ ما كانت خالصةً لوجه الله سبحانه من قولهم عَسَلْ نَصُوحٌ اذا كان خالصاً من الشَّمْعِ بان يندم على الذنوب لقبحها وكونها خلاف رضى الله لا لِخَوْفِ النَّارِ مثلاً.

ومنها - ان النَّصُوحَ من النَّصَاحَةِ وهى الخيانة لآنها تَنْصَحُ من الذين ما مَرَّقَتْهُ الذَّنُوبُ او يَجْمَعُ بين التَّائِبِ وبين اوليائه واحبائه كما تجتمع الخياطة بين قِطْعِ

ومنها - انَّ النَّصُوحَ وَصَفَ لِلتَّائِبِ وَاسْنَادَهُ إِلَى التَّوْبَةِ مِنْ قَبِيلِ الْأَسْنَادِ
المجازى اى توبةً تَنصَحُونَ بِهَا أَنْفُسَكُمْ بَانَ تَأْتُوا بِهَا عَلَى أَكْمَلِ مَا يَنْبَغِي أَنْ
تَكُونَ عَلَيْهِ حَتَّى تَكُونَ قَالَعَةً لِأَثَارِ الذُّنُوبِ مِنَ الْقُلُوبِ بِالْكَلِّيَّةِ.

وثالثها: صِحَّةُ التَّوْبَةِ عَنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَإِنْ عَظُمَ إِلَّا الشَّرْكَ بِاللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا
نَطَّقَ بِهِ الْقُرْآنُ حَيْثُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١) وَيَدُلُّ عَلَى الْأَوَّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى حَيْثُ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ
أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾^(٢) وَ مِنْ
الْأَخْبَارِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا كَائِنًا مَا كَانَ غَيْرِ الشَّرْكَ:
مَا رَوَاهُ فِي الْبَحَارِ عَنِ الْأَمَالِيِّ وَغَيْرِهِمَا مِنْ كِتَابِ الْأَخْبَارِ وَحَيْثُ أَنَّ الْقُرْآنَ
صَرَّحَ بِهِ فَلَا نَحْتَاجُ إِلَى ذِكْرِ الْأَخْبَارِ فِي الْبَابِ.

ورابعها: أَنْ لَا يَرْجِعَ الْعَبْدُ إِلَى الْعَمَلِ الَّذِي تَابَ عَنْهُ، ثَانِيًا لِأَنَّهُ يَكُونُ
كَالْمُسْتَهْزِئِ بِاللَّهِ.

فَقَدْ رَوَى فِي الْبَحَارِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ جَابِرٌ سَمِعْتُهُ
عليه السلام يَقُولُ التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ وَالْمُقِيمُ عَلَى الذَّنْبِ وَهُوَ مُسْتَغْفَرٌ
مِنْهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ، انْتَهَى «ص ١٠٣ ج ٣»...

وَلِنَحْتَمِ الْكَلَامَ بِذِكْرِ فَوَائِدَ كَثِيرَةٍ فَنَقُولُ قَدْ ذَكَرْنَا فِي صَدْرِ الْبَحْثِ أَنَّ التَّوْبَةَ
وَاجِبَةٌ وَلَا خِلَافَ فِي وَجُوبِهَا فِي الْجُمْلَةِ قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ وَالْأَظْهَرُ أَنَّهَا
تَجِبُ لِمَا لَمْ يُكْفَرْ فِي الذُّنُوبِ كَالْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ الَّتِي أَصْرَتَ عَلَيْهَا فَانْهَارَتْ
مُلْحَقَةً بِالْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ الَّتِي لَمْ يَجْتَنِبْ مَعَهَا الْكِبَائِرَ فَأَمَّا مَعَ اجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ
فَهِيَ مُكْفَرَةٌ إِذَا لَمْ يَصْرَ عَلَيْهَا وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّوْبَةِ عَنْهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ
تَجْتَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَرْنَا عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾^(٣)

وقال المحقق الطوسي (قدّه) في التجريد التوبة واجبة لدفعها الضرر
ولوجوب الندم على كلّ قبيح واخلالٍ بواجب.

وقال العلامة (قدّه) في شرحه، التوبة هي الندم على المعصية لكونها
معصية والعزم على ترك المعادة في المستقبل لأنّ ترك العزم يكشف عن نفي
الندم، وهي واجبة بالأجماع لكن اختلفوا.

فذهب جماعة من المعتزلة الى أنّها تجب من الكبائر المعلوم كونها كبائر
والمظنون فيها ذلك ولا تجب من الصغائر المعلوم أنّها صغائر.

وقال آخرون أنّها لا تجب من ذنوب تاب عنها من قبل، وقال آخرون أنّها
تجب من كلّ صغيرٍ وكبيرٍ من المعاصي او الأخلال بالواجب سواءً تاب منها
قبلاً او لم يتب وقد استدّل المصنّف على وجوبها بأمرين:

الاول: أنّها دافعة للضرر الذي هو العقاب او الخوف فيه ودفع الضرر
واجب.

الثاني: انا نعلم قطعاً وجوب الندم على فعل القبيح او الأخلال بالواجب اذا
عرفت هذا فنقول:

انّها تجب من كلّ ذنب لأنّها تجب على المعصية ومن الأخلال بواجب
لكونه كذلك وهذا عام في كلّ ذنبٍ واخلالٍ بواجبٍ، انتهى ما ذكره العلامة
ثمّ أنّه اختلف المتكلّمون في أنّه هل تتبّع التوبة ام لا والاول اقوى لعموم
النص وضعف المعارض.

قال المحقق الطوسي (قدّه) في التجريد ويندم على القبيح لقبحه والآ
انتفت وخوف النار ان كان الغاية فكذلك وكذا الأخلال فلا تصح من البعض
ولا يتم القياس على الواجب ولو اعتقد فيه الحُسن صحّت وكذا المستحق
والتحقيق انّ ترجيح الداعي الى الندم من البعض يبعث عليه وان اشترك
الداعي في الندم على القبيح في الكفر على التائب منه المُقيم على صغيرة.
وقال العلامة اختلفت شيوخ المعتزلة هنا، فذهب ابو هاشم الى انّ التوبة لا تصحّ

من قبيح دون قبيح.

وذهب ابو علي الى جواز ذلك الى ان قال (قدّه) الحقّ انه يجوز التوبة عن قبيح دون قبيح لأن الأفعال تقع بحسب الدواعي وتنتفي بحسب الصوارف فاذا ترجح الداعي وقع الفعل الى ان قال:

اعلم ان العزم على عدم العود الى الذنب فيما بقي من العمر لا بد منه في التوبة كما عرفت وهل امكان صدوره منه في بقية العمر شرط حتى لو زنى ثم جب وعزم على ان لا يعود الى الزنا على تقدير قدرته عليه لم تصح توبته ام ليس بشرط فتصح، الأكثر على الثاني بل نقل بعض المتكلمين اجماع السلف عليه وأولى من هذا الصحة التوبة من تاب في مرض مخوف على ظنه الموت فيه واما التوبة عند حضور الموت وتيقن الفوت وهو المعبر عنه بالمعاينة فقد انعقد الاجماع على عدم صحتها ثم قال عليه السلام في انواع التوبة.

التوبة، اما ان تكون من ذنب يتعلّق به تعالى خاصة او يتعلّق به حقّ الأدمى، والاول اما ان يكون فعلاً قبيحاً كسُرب الخمر والزنا، او اخلاً بواجب كترك الزكوة والصلوة.

والاول : يكفى في التوبة منها الندم عليه والعزم على ترك العود اليه واما الثاني : فتختلف احكامه بحسب القوانين الشرعية فمنه ما لا بد مع التوبة من فعله كاداء الزكوة ومنه ما يجب معه القضاء كالصلوة ومنه ما يسقطان منه كالعيدين وهذا الأخير يكفى فيه الندم والعزم على ترك المعاودة كما في فعل القبيح.

واما ما يتعلّق به حقّ الأدمى فيجب فيه الخروج اليهم منه فان كان أخذ مالا وجب رده على مالكه او ورثته ان مات ولو لم يتمكن من ذلك وجب العزم عليه وكذا ان كان حداً قذيفاً وان كان مقاصاً وجب الخروج اليهم منه بان يسلم نفسه الى اولياء المقتول فاما ان يقتلوه او يعفوا عنه بالدية، او بدونها وان كان في بعض الاجزاء وجب يسلم نفسه ليقتص منه في ذلك العضو الى المستحق

من المَجْتَنَى عليه أو الوَرِثَةُ وإن كان إِضْلالاً وُجِبَ ارشاد من أَضَلَّهُ ورجوعه ممَّا اعتَقَدَه بسببهِ الى الباطل ان امكن، انتهى.

ثمَّ انَّ سقوط العقاب بالتوبة مع شرائطها ممَّا لا كلام لأحدٍ عليه بل أجمع عليه اهل الأسلام وأنما الخلاف في أنه هل يجب على الله حتى لو عاقب بعد التوبة كان ظلماً، أو تَفَضَّلَ منه يفعلُه سبحانه كرمأ منه ورحمةً بعباده. فالمُعْتزلة على الاوّل والأشاعره على الثاني واليه مال الشيخ (قدّه) والعلامة الحلّي وتوقّف فيه المحقّق الطوسى ومختار الشيخين (قدّهما) هو الظاهر من الأخبار والأدعية وهو الذى اختاره الطبرسى (قدّه) ايضاً ونسبه الى اصحابنا ومن اراد الاطلاع على كلماتهم واقوالهم، واستدلالاتهم فعليه بكتب الموضوعة لهذا الفنّ هذا آخر الكلام فى التوبة.

□ قوله **عَلَى**: غَلَبَ شهوته ...

المراد بغلبة الشهوة ان لا يكون اسيراً لها منهمكاً فيها بحيث كلما تقتضيه الغريزة الحيوانية من الأكل والشرب والجماع وامثال ذلك يأتى به من غير توجهٍ منه الى حليته وحرمة والآ فالإنسان لا بد له من الشهوة واعمالها. وبعبارة اخرى: ليس المراد بغلبة الشهوة عدم اجرائها مطلقاً بل المراد التسلط عليها بمعنى ان شاء فعل وان لم يشاء لم يفعل فى حريم الشرع والعقل وهذا هو الفارق بين الانسان والحيوان، فانّ الحيوان مغلوبٌ لها دائماً والانسان ينبغى ان يكون غالباً عليها.

ثمَّ انَّ الشهوة فى الانسان على اقسام: فمنها شهوة البطن.

ومنها - شهوة الفرج، ومنها شهوة المقام، ومنها شهوة الدرهم والدينار، ومنها شهوة العلم ومنها شهوة العبادة، ومنها شهوة الحياة وامثال ذلك فانّ الطبايع مختلفة والآراء متفاوتة وليس كل ذلك ممنوعاً مردوداً فالشهوة التى لا بد له من الغلبة عليها انما هى التى فى اعمالها مفسدة فى الدين والدنيا واما التى لا مفسدة فيها بل تنفعه فلا وحيث أنجز الكلام الى هذا البحث فلا بأس

بالأشارة الى بعض اقسامها فنقول اعلم انه قد ثبت في العلوم العقلية ان النفس مجردة وقد اقاموا على تجردها براهين كثيرة مع كونها مؤيدة بالآيات والأخبار ايضاً وقد اشرنا سابقاً الى جملة منها واما تفصيله فموكول الى موضع آخر.

ثم انهم اتفقوا على ان تجردها انما هو في ذاتها دون فعلها بمعنى ان النفس مجردة ذاتاً لافعلاً ضرورة انها تحتاج في فعلها الى الجسم والآلة فخذها انها جوهر ملكوتى يستخدم البدن في حاجاته وهو حقيقة الانسان وذاته والأعضاء والقوى آتية التي يتوقف فعلها عليها وله اسماء مختلفة بحسب اختلاف الاعتبارات فيسمى روحاً لتوقف حياة البدن عليه، وعقلاً لأدراكه المعقولات، وقلباً لتقلبه في الخواطر وقد تستعمل هذه الالفاظ في معانٍ أخرى على ما فصلوه في مقامه ولا كلام لنا فعلاً فيها.

ثم انهم اثبتوا لها قوى اربع: قوة عقلية ملكية، وقوة غضبية سبعية، وقوة شهوية بهيمية، وقوة وهمية شيطانية.

والاولى: شأنها ادراك حقائق الأمور والتّمييز بين الخيرات، والشّرور والأمر بالافعال الجميلة والنهي عن الصفات الذميمة.

والثانية: موجبة لصدور افعال السُّباع من الغضب والبغضاء والتؤنّب على الناس بأنواع الأذى.

والثالثة: لا يصدر عنها إلا افعال البهائم من عبودية الفرج والبطن والجرح على الجماع والأكل.

والرابعة: شأنها استنباط وجود المكر والحيل والتوسط (والتوصل) الى الأغراض بالتلبيس والخداع هكذا قالوا ولا كلام لنا فعلاً في ثلاثة منها وانما الكلام في القوة الشهوية البهيمية.

والفائدة في وجود القوة الشهوية بقاء البدن الذي هو آلة تحصيل كمال النفس كما ان الفائدة في وجود الغضبية هي كسر الشهوة والشيطانية وقهرهما عند انغمارهما في الخداع والشهوات واصرارها عليهما لانهما ليمردهما

لا تطيعان العاقلة بسهولة بخلاف الغضبية فأنهما تطيعانها، وتتأديبان بتأديبها بسهولة ولذا قال افلاطون في صفة السبعية والبهمية اما هذه اى السبعية فهي بمنزلة الذهب فى اللين والأنعطاف، واما تلك اى البهمية بمنزلة الحديد فى الكثافة والأمتناع.

وقال أيضاً ما أصعب أن يصير الخائض فى الشهوات فاضلاً فمن لا تعطيه الواهمة والشهوية فى ايثار الوسط فليستعن بالقوة الغضبية المهيجة للغيرة والحمية حتى يقهرهما فلو لم يتمثلا مع الاستعانة فان لم تحصل له ندامة بعد ارتكاب مقتضا هما دَلَّ على غلبتهما على العاقلة، ومقهوريتهما عنها وح لا يرجى صلاحه والأفالأصلاح ممكن فليجتهد فيه ولا ييأس من روح الله فان شبل الخيرات مفتوحة وابواب الرحمة الالهية غير مسدودة قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(١) قال بعض علماء الاخلاق ان مثل اجتماع هذه القوى فى الانسان كمثل اجتماع ملك او حكيم و كلب وخنزير وشيطان فى مربوط واحد وكانت بينها منازعة وايها صار غالباً كان الحكم له ولم يظهر من الافعال والصفات الا ما تقضيه جبلته فكان اهأب الانسان وعاءاً اجتمع فيه هذه الاربعة.

فالمملك او الحكيم هو القوة العاقلة، والكلب هو القوة الغضبية فان الكلب ليس مذموماً لئونه وصورته بل لروح معنى الكلبية والسبعية، اعنى الضراوة والتكلب على الناس بالعقر والجرح والقوة الغضبية مؤجبة لذلك فمن غلب فيه هذه القوة هو الكلب حقيقة وان اطلق عليه اسم الانسان مجازاً. والخنزير - هو القوة الشهوية، والشيطان هو القوة الوهمية والتقريب فيها كما ذكر.

ثم ان النفس لاتزال محل تنازع هذه القوى وتدافعها الى ان يغلب احديها، فالغضبية تدعوه الى الكلم والأيداء والعداوة والبغضاء والبهمية تدعوه الى

المُنكر والفواحش والحرص على المأكَل والمناكح، والشَّيطانيَّة تَهيج غَضَب السَّبعيَّة وشَهوة البَهيمة وتزيد فعلهما وتغري احديهما بالأخرى والعقل شأنه ان يدفَع غيظَ السَّبعيَّة بتسليط الشَّهوية عليها ويكسر سورة الشَّهوية بتسليط السَّبعيَّة عليها ويُرَدِّد كيد الشيطان ومكره بالكشف عن تليسه ببصيرته النافذة ونورانيته الباهرة فان غلب على الكل جعلهما مَقهورَة تحت سياسته غير مقدّمة على فعلٍ إلا بإشارته جرى أكل على المنهج الوسط وظهر العدل في مملكة البدن وان لم يَغلب عليها وعجز عن قهرها قهره واستخدمه فلابزال الكلب في العقر والأيداء والخنزير في المنكر والفحشاء والشيطان في استنباط الحيل وتدقيق الفكر في وجوه المكر والخدع ليرضى الكلب ويشبع الخنزير فلابزال في عبادة كلب عقور او خنزير او شيطان فتدركه الهلاكه الأبدية والشقاوة السرمديّة ان لم تغطه العناية الألهية والرحمة الازليّة.

وقد يُمثّل اجتماع هذه القوى في الانسان براكب بهيمة للصيد يكون معه كلب وعين من قطاع الطريق فالراكب هو العقل، والبهيمة هي الشهوة والكلب هو الغضب والعين هو القوة الوهميّة التي هي من جواسيس الشيطان فان كان الكل تحت سياسة الراكب فعَل ما يصلح للكل ونال بصدده وان كانت الغلبة والحكم للبهيمية او الكلب لهلك الراكب بذهابه فيما لا يصلح له من التلال والوهاد واقتحامه في موارد الهلكات وان كان الكل تحت نهى العين وامره وافتتنوا بخدعه ومكره لأضلهم بتليسه عن سواء السبيل، حتى يؤصلهم الى أيدي السارقين وكذلك لو كانت القوى بأسرها تحت اشارة العقل وقهرها وغلب عليها وقعت لأنقيادها له المُسالمة والممازجة بين الكل وصار الجميع كالواحد لأن المؤثر والمدبرح ليس الأ قوة واحدة تستعمل كل واحدة منها في المواضع اللائقة والأوقات المناسبة فيصدر عن كل فيها ما خُلق لأجله على ما ينبغي من القدر والوقت والكيفيّة فتصلح النفس وقواهما قال الله تعالى: وقد أفلح من زكّوها.

ولو لم يَغلب العقل حَصَلَ التَّدافع والتَّجاذب بَيْنه وبَيْن سائر القوى وبتزايد ذلك الى أن يُوذَى الى انحلال الآلة والقوَّة ولو يَصير العقل مغلوباً فتهلك النَّفس وقواها قال الله تعالى: ﴿وقد خاب من دسِّيها﴾.

فَتَحَصَّل ممَّا ذكرنا كلُّه انَّ الانسان ذُو جُنبةٍ رُوْحانيةٍ يناسب بها الأرواح الطَّيِّبة والملائكة القادسة وذو جُنبةٍ جسمانيَّةٍ يشابه بها السَّباع والأنعام فبالجزء الجِسمانيِّ أُقيِم في هذا العالم الجِسميِّ مدَّةً قصيِّرةً وبالجزء الرُّوحانيِّ يَنْتقل الى العالم العِلويِّ ويُقيِم فيه ابداً في مصاحبة الأرواح القُدسيَّة بشرط ان يَتحرَّك بقواه نحو كمالاتها الخاصَّة حتَّى يَغلب الجزء الرُّوحانيِّ على الجِسمانيِّ وينفضُّ عن نفسه كدورات الطَّبيعة وتظهر فيه آثار الرُّوحانيات من العلم بحقائق الاشياء والانس بالله تعالى والحبِّ له والتَّجلى بفضائل الصِّفات وح يقوم بغلبةٍ رُوْحانيةٍ بين الملاء الأعلى يستمدُّ منهم لطائف الحكمة ويستنير بالنور الالهى ويزيد ذلك بحسب دفع العلائق الجِسمانيَّة حتَّى اذا ارتفعت عنه حُجَب الغواصق الطَّبيعة بأسرها وأزيلت عنه استارُ العوائق الهَيولانيَّة برُمْتها خَلَّى عن جميع الألام والحسرات وكان ابداً مَسروراً بذاته مغتبطاً بحاله مُبتهجاً بما يَرد عليه من فيوضات النور الأوَّل ولا يَسرُّ الا بتلك اللذات ولا يَغتبط الا بها ولا يَبالي بمفارقة الدُّنيا وما فيها ويَرى جسمه وماله وجميع خيرات الدُّنيا وبالأوَّ كلاً عليه الا ما هو ضروريُّ يَحْتَاج اليه بدنه الَّذي يفتقر اليه في تحصيل كماله ويَجُنُّ ابداً الى مصاحبة الذوات النوريَّة ولا يَفعل الا ما اراد الله منه ويتعرَّض الا لما يقربه اليه، ولا يخالفه في مُتابعة الشَّهوات الرديَّة ولا يتخذ بخدائع الطَّبيعة، ولا يَلتفت الى شيءٍ يعوقه عن سعادته ولا يَحزُن على فقد محبوبٍ ولا فوت مطلوبٍ وح تزيل عنه العوارض النَّفسانيَّة والخواطر الشَّيطانيَّة بأسرها واذا بلغ هذه الغاية فقد استعدَّ للوصول الى المرتبة القُصوى ومجاورة الملاء الاعلى فيصل الى ما لا عين رأت ولا أُذُن سمِعت ولا خَصُر على قلب بشرٍ ويفوز بما أُشير اليه في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُم

مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ» (١) اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

إذا عرفت هذا فنقول لهذه القوّة مصاديق كثيرة:

منها - شهوة البطن والفرج وشدة الحرص على الأكل والجماع ولا ريب في أن الإفراط فيها مذموم مطرود.

قال رسول الله ﷺ مَنْ وَقِيَ شَرُّ قَبْقِبَةٍ وَذَبَذَبَهُ وَلَقَلَقَهُ فَقَدِ وَقِيَ الشَّرَّ كُلَّهُ، وَالْقَبْقِبُ الْبَطْنُ، وَالدَّبْذَبُ الْفَرْجُ، وَاللَّقَلَقُ اللِّسَانُ، وَقَالَ ﷺ وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنَ الْقَبْقِيبِينَ فَقِيلَ يَا رَسُولَ مَا هُمَا قَالَ الْخَلْقُ وَالْفَرْجُ.

وقال ﷺ أَكْثَرُ مَا يَلْجُ بِهِ أُمَّتِي النَّارَ الْأَجْوَفَانِ الْبَطْنُ وَالْفَرْجُ انْتَهَى وَقَالَ ﷺ ثَلَاثٌ أَخَافُهُنَّ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي، الضَّلَالَةُ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ وَمُضَلَّاتِ الْفِتَنِ وَشَهْوَةُ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ، انْتَهَى...

وقال ﷺ مَا مَلَأَ ابْنَ آدَمَ وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ حَسَبَ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقَمِّنُ صُلْبَهُ وَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَتَلَّتْ لَطْعَامَهُ وَتَلَّتْ لَشْرَابِهِ وَتَلَّتْ لِنَفْسِهِ، انْتَهَى...

وقال ﷺ: لَا يَمِيتُوْا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ يَمُوتُ إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ انْتَهَى...

وقال ﷺ: أَفْضَلُكُمْ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ أَطْوَلُكُمْ جُوعًا وَتَفَكَّرًا وَابْغَضَكُمْ بَغَضَكُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كُلُّ نَوْؤُمْ أَكُولٍ شَرُوبٍ انْتَهَى...

وقال ﷺ: الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي وَعَاءٍ وَاحِدٍ وَالْمُنَافِقُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ، انْتَهَى...

وقال ﷺ: إِنْ أَبْغَضَ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ الْمُتَخَمُّونَ الْمَلَأَى وَمَا تَرَكَ عَبْدًا أَكَلَةً يَشْتَهِيهَا إِلَّا كَانَتْ لَهُ دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ انْتَهَى...

وقال ﷺ: أَطْوَلُ النَّاسِ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ شَبَعًا فِي الدُّنْيَا، انْتَهَى...

وقال ﷺ: لَا يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ مَنْ مَلَأَ بَطْنَهُ انْتَهَى...

وقال ﷺ: يئس العون على الدين قلب نخيب وبطن رغيب ونعظ شديد، انتهى...

وقال الباقر عليه السلام: اذا شبع البطن طغى...

وقال عليه السلام: ما من شئ ابعض الى الله من بطن مملو انتهى...

والاخبار بهذه المضامين كثيرة ولا ريب في ان كثرة الأمراض والاسقام تترتب على كثرة الأكل وقد قلنا في صدر المبحث ان الشهوة ايه شهوة كانت انما المذموم منها هو الإفراط فيها بحيث يخرج به عن حد الاعتدال الى ان يصل الى الحد الذي نهى الشارع عنه واما اذا لم يصل اليه فهو مذموم عقلاً من حيث اضراره بالبدن والأفلاوان شئت قلت الإفراط في شهوة البطن والفرج مذموم عقلاً ان كان في الحلال وشرعاً ان كان في الحرام فهو على التقديرين مذموم ينبغي التجنب منه والروايات في ذم الإفراط في شهوة الفرج ايضاً كثيرة نشير الى بعض منها.

قال رسول الله ﷺ: في بعض دعواته اللهم انى اعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبي وشر مني انتهى...

وقال ﷺ: اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله، انتهى...

وقال ﷺ: النساء حبائل الشيطان وامثال ذلك من الاخبار:

ومنها - شهوة الدنيا وحبها وقد مررنا الكلام فيها مفصلاً وذكرنا الآيات والاخبار الواردة في ذمها وقد جمعها الله تعالى في قوله: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١)

ومنها - حب المال وهو من شعب حب الدنيا اذ حب الدنيا يتناول حب كل حظ والمال بعض اجزاء الدنيا كما ان الجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفى الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو

بعضها وبالجملة لها ابعاض كثيرة ولكن اعظم آفاتھا المتعلقة بالقوة الشهوية هو المال إذ كلُّ ذی رُوح محتاج اليه ولا غناء له عنه فان فقد حصل الفقر الذي يكاد أن يكون كُفراً وان وُجد حصل منه الطُغيان الذي لا تكون عاقبة امره الا خُسراً فهو لا يخلوا من فوائد وآفات وفوائده من المنجيات وآفاته من المهلكات وتُمييز خيرها وشرها من المشكلات والمذموم منه هو الحُب به والعلاقة له بحيث يعوقه عن الوصول الى الغايات المطلوبة، فان حُبّه يُعدُّ من حُبِّ الدنیا ولا يخفى عليك ان المراد بالحُبِّ المذموم ليس هو الحُبِّ بما هو هو وانما المراد به حُبُّه لأجل الدنیا واما حُبُّه لأجل الآخرة فلا ذمَّ فيه كما سيُتضح لك وقد تظاهرت الآيات والاحبار على ذمِّه وكرهه حُبّه قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١)

وقال ﷺ: حُبُّ المال والشَّرَفُ يُنْبِتَانِ النَّفَاقَ كما يُنْبِتُ الماءُ البَقْلَ انتهى...
وقال ﷺ: ما ذَنْبَانِ ضَارِبَانِ فِي زُرِّيَّةٍ غَنَمَ بِأَكْثَرِ فِسَاداً مِنْ حُبِّ الْمَالِ
والجاء في دين الرجل المسلم، انتهى...

وقال ﷺ: انَّ الدِّينَارَ وَالدِّرْهَمَ أَهْلَكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَهُمَا مُهْلِكَاكُمْ انتهى...
وقال ﷺ: لِكُلِّ أُمَّةٍ عَجَلٌ وَعِجْلٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ، انتهى...
والروايات في ذمِّه كثيرة كما ان الاخبار الواردة في مدحه ايضاً كثيرة والجمع بينهما هو ان اخبار الذم تحمل على حُبِّه لأجل نفسه واخبار المدح تحمل على مدحه باعتبار حُبِّه لاجل الآخرة اذ كما ان المال يوجب هلاك صاحبه كذلك يوجب سعادته لو وجد من حلالٍ وصُرف ايضاً في حلالٍ فشهوة المال المذمومة هي الشهوة له باعتبار نفسه من غير توجهه الى الجهات الشرعية والا فلا ذمَّ فيه كما هو واضح.

ومنها - الغنى وهو وجود كلِّ ما يحتاج اليه من الاموال وهذا اقلُّ مراتبه

وفوق ذلك مراتب لا تُحصى حتى ينتهي اليه، جمع أكثر اموال الدنيا كما اتفق لبعض الملوك وهو أيضاً يرجع الى حُبِّ المال بعينه فالكلام فيه هو الكلام فيه...

ومنها - الجِرْص وقالوا فيه هو معنى راتب في النفس باعث على جميع ما لا يحتاج اليه ولا يُفيده من الأقوال من دون ان ينتهي الى حدٍ يكتفى به وهو اقوى شعبِ حُبِّ الدنيا واشهر انواعه ولا ريب في كونه مَلَكَةً مُهْلَكَةً وَصِفَةً مُضِلَّةً وقد وَرَدَ من الاخبار والآيات في ذمِّه ما لا يخفى على أَحَدٍ وقد تَكَلَّمْنَا فيه سابقاً على التّفصِيل كيف لا وقد قال رسول الله ﷺ لو كان لابن آدم واديان من ذهب لأبْتَغَى ورائها ثالثاً انتهى...

وقال ﷺ: لا يَمْلَأُ جَوْفَ ابن آدم إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ انتهى...

وقال ﷺ: مَنْهُومان لا يَشْبَعان مَنهُوم العلم وَمَنهُوم المال...

وقال ﷺ: يَشِيبُ ابن آدم وَيَشْبَبُ فِيهِ خَصْلَتَانِ، الجِرْصُ وَطَوُّلُ الأَمَلِ وامثال ذلك من الرّوايات...

ومنها - الطَّمَعُ وهو التَّوَقُّعُ مِنَ النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ وهو أيضاً من شعبِ حُبِّ الدنيا ومن انواعه ومن الرذائل المُهْلَكَةِ...

قال رسول الله ﷺ: أَيَّاكَ وَالطَّمَعُ فَاتَهُ الفَقْرُ الحَاضِرُ. انتهى...

وقال الباقر عليه السلام: بئس العبد عبدٌ له طَمَعٌ يَقُودُهُ وَبئس العبد عبدٌ له رَغْبَةٌ تُذَلِّهُ انتهى. وقيل للصّادق عليه السلام: ما الَّذِي يُثَبِّتُ الأيمانَ فِي العبدِ قال الرّوعُ وَالَّذِي يُخْرِجُهُ مِنْهُ الطَّمَعُ، انتهى...

ومنها - البَخْلُ وهو الأَمْسَاكُ حيث ينبغي البذل وهو أيضاً من الصّفات المذمومة ومن ثمرات حُبِّ الدنيا ونتائجه وهو من خبائث الصّفات ورذائل الاخلاق والآيات والاعخبار في ذمِّه أيضاً كثيرة. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ

وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَ يُكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿١﴾
 و: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ
 لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ (٢)

وقال رسول الله ﷺ: اتاكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان
 سفكوا دماهم واستحلوا محارمهم، انتهى...

وقال ﷺ: لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة...
 وقال ﷺ: البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من
 النار انتهى...

ومنها - طلب الحرام وعدم الاجتناب عنه وهو من اعظم المهلكات وبه
 هلك اكثر من هلك وقد وردت الآيات والاحبار في ذمه ايضاً ولانحتاج الى
 ذكرها لوضوحها.

ومنها - الغدر والخيانة في المال او العرض او الجاه وفسادهما ايضاً ممّا
 لا يخفى.

ومنها - انواع الفجور من الزنا واللواط وشرب الخمر وامثال ذلك وقد
 وردت في ذم كل واحد منها بخصوصه اخبار كثيرة لاحاجة الى ذكرها.

ومنها - الخوض في الباطل وهو التكلم في المعاصي والفجور.

قال رسول الله ﷺ: اكثر الناس خطايا (اعظم الناس) خطايا يوم القيامة
 اكثرهم خوضاً في الباطل واليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
 الْخَائِضِينَ﴾ (٣)

و: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (٤)
 ومنها - التكلم بما لا يعنى او بالفضول وهو ايضاً مذموم هذه هي الامور التي
 لا بد للانسان الاجتناب منها في حياته فقوله ﷺ: غلب شهوته يشمل جميع

٢- آل عمران - ١٨٠

٤- النساء - ١٣٩

١- النساء - ٢٧

٣- المدثر - ٤٤

هذا المراتب ومعنى غلبة الشهوة فيها هو الاقتصاف باضدادها وعدم الاتصاف بها فمن ظن ان مراده عليه السلام بغلبة الشهوة هو شهوة البطن والفرج فقد اخطأ اذ كسر الشهوة لا يصدق الا بكسر جميع شئونها فالمؤمن لا بد له من الاستيلاء على النفس الامارة وهذا هو الاصل فيه فتأمل.

□ قوله عليه السلام: **فَإِنَّ أَجَلَ مَسْتَوْرٍ عَنْهُ وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيُرْ كِبَّهَا وَيَمْنِيَهُ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا...**

هذا بمنزلة التعليل لما تقدم ولهذا صدر عليه السلام كلامه بكلمة (ان) المفيدة للتعليل والتحقق فاستدل عليه السلام على المدعى بامور:
الاول: قوله عليه السلام: فَإِنَّ أَجَلَ مَسْتَوْرٍ عَنْهُ...

اي لا يعلم وقت موته قال الله تبارك وتعالى: **﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾** (١)

وقوله تعالى: **﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾** (٢) فالآية الاولى تدل على ان موت الانسان باذن الله في وقت لا يعلمه الا هو وهو المراد بقوله كتاباً مؤجلاً فهي تدل على عدم علمه بالموت من جهة الزمان والثانية تدل عليه من جهة المكان فلا تعلم نفس اى وقت يموت وفي اى مكان يموت وهو المطلوب. واما بيان تعليله لما سبق هو انه لما تقدم منه عليه السلام من اول الخطبة الى هنا القول بعدم اعتبار الدنيا وان الموت لا بد منه الى آخر ما قال فكأنه قيل له عليه السلام ولم يلزم على الانسان ذلك وهو في هذه الدنيا فقال عليه السلام في الجواب فان اجله مستور عنه، وذلك لان الاجل لو كان معلوماً له يمكن القول بعدم الاستعداد للموت من اول امره ولزومه له قريباً من الموت بالتوبة والعمل الصالح وامثال ذلك وهذا بخلاف ما اذا كان مستوراً عنه فانه لا يعلم بموته فلعله كان قريباً منه فيلزم عليه عقلاً التهيؤ في جميع اوقاته ولحظات عمره وهذا امر عقلي الا ترى ان الانسان لو كان منتظراً لقدوم ضيف يقدم عليه ولا يعلم وقته وساعته

يكون مُستعداً من أوّل الصُّبح مثلاً مع أنّه لا يبعدان يكون القدوم بالعصر بل وبالليل فاذا قيل له لم استعددت له وأنت لاتعلم بمجيئه قبل الظّهر يقول في الجواب انى وان اكون جاهلاً بقدومه قبل الظّهر أكُون جاهلاً به بعده ايضاً ولعلّه يأتى قبله والعقل يحكم بالتهيؤوا احتياطاً وهذا بخلاف العكس فانه لو اخبره بقدومه فى يوم مُعيّن او ساعةٍ مقرّرة فصاحب البيت يَتَنظَر ويَسْتَعِدُّ قبل اليوم أو السّاعة وهذا ممّا لا يكاد يخلّف فيه العقلاء ففيما نحن فيه المفروض كون الموت قطعياً حتمياً كما سبق القول فيه واما وقت مجيئه مجهول علينا فلعلّه يأتينا فى ايام شبابنا ولعلّه يأتينا بعد مضيّ مائة سنةٍ مثلاً وحيث ان الوقت غير معلوم لنا فالعقل يحكم بالتهيؤء والاستعداد له من أوّل تكليفه الى ان يأتيه وفائدته ان لا يكون فى غفلةٍ منه حتى يموت بلا زادٍ ومن غير توبةٍ.

فالإنسان بمقتضى العقل السليم الخالى عن شوائب الاوهام يجب عليه التوجه والتيقظ وتحصيل الزاد والعمل الصالح حتى لا يكون مصداقاً لقوله ﷺ: الناس نيامٌ اذا ماتوا انتبهوا، فان الموت الذى يفرّ منه لامحالة يلاقه ثم يردّه الى عالم الغيب والشهادة لينبئه بما كان يعمل به فى الدنيا من خيرٍ وشرٍّ ولمثل هذا فليعمل العاملون.

والثانى: قوله ﷺ: وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ...

وهذا هو الدليل الثانى على لزوم الاستعداد للموت بتحصيل الخيرات وترك السيئات وتوضيحه انه لاشك ان كل انسان له آمال واميال فى هذه الدنيا الا انها لو كانت طويلة يجب عليه تركها وطردها واما نفي الأمل بما هو هو فلا يمكن الاجتناب منه ضرورة ان بقاء الانسان وادامة حياته فى هذه الدنيا بالآمال والمشتريات بحيث لولاها لما يقدر على المعيشة والكسب، فان الانسان فى جميع شئونه لا يخلوا عن الميل والأمل والا يكون موجوداً ساكناً غير متحركٍ فكل موجود ولا سيما الانسان له شوقٌ وأملٌ وهذه الآمال هى التى اوجبت له الحركة نحو المطلوب فاصل الأمل ممّا لا بدّ منه ثم ان هذا الأمل لو كان من

الآمال الطويلة المنافية لمقام العبودية والسلوك الى الله تعالى بحيث يصيره
مَشغولاً بنفسه غير ملتفت الى مرجعه ومآله وأنه لا بد له من الموت وعرض
الأعمال عليه بعده فهو مدمومٌ وصاحبه مصداق لقوله ﷺ: يُشيبُ ابن آدم
ويشيب فيه خصلتان الحرص وطول الأمل.

وان لم يكن بهذه المثابة بان كان غير مانع عن التفاته الى الآخرة فهو غير
مدموم فنفس الأمل من حيث هو لا اشكال فيه بل لا بد منه في السير والسلوك
فإن الوصول الى الجنة ومقام القرب ايضاً من الآمال مع أنه ممدوح وحاصل
الكلام ان الآمال المدمومة في لسان الآيات والاحبار هي الآمال الدنيوية التي
تكون مانعة عن ترقى الانسان وعروجه الى مقام الانسانية الواقعية والوصول
الى مقام القرب والكمال الذي خلق الانسان لأجله وأما غيره فلا اذا عرفت هذا
فنقول:

□ قوله ﷺ: وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ،...

اشارة الى مقام الاوّل منهما اعنى الأمل الطويل المانع عن الوصول الى
الكمال فإنه هو الذي يكون خادعاً وأما الأمل الغير الطويل فليست فيه خدعة
ولا حيلة.

وتوضيحه بحسب الأجمال هو ان الآمال البعيدة اذا احاطت بالانسان من
شأنها تقرب البعيد في وهمه وتبعيد القريب كذلك: «كَسْرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ
الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْهِ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ
الْحِسَابِ» (١)

والسر فهي هوان الحرص وطول الأمل باعث له على جمع ما لا يحتاج اليه
ولا يفيد من الأموال من دون ان ينتهي الى حدٍ يكتفى به وهو اقوى شعَب
حب الدنيا وأشهر انواعه ولا ريب في كونه ملكة مهلكة وصفة مضلة بل بادية
مظلمة الأرجاء والأطراف وهاوية غير متناهية الأعماق والاكفاف من وقع فيها

ضَلَّ وبادؤ من سَقَطَ فيها هَلَكَ وما عادَ والتَّجريد والأعتبار والابخار والآثار
متظاهرة على أن الحَرِيص لا ينتهى الى حَدٍّ يَقِفُ دونه بل لا يزال يخوض فى
غمرات الدنيا الى ان يَغْرُقَ وتطرحه ارض الى ارض حتى يهلك

قال رسول الله ﷺ: لو كان لأبن آدم واديان من ذهبٍ لأبتغى ورائها ثالثاً
ولا يملاء جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب انتهى. وقال ﷺ
منهومان لا يشبعان منهؤم العلم ومنهؤم المال...

وقال الباقر عليه السلام: مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت
على نفسها لفاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غماً انتهى...
فان قلت - انما قلت ما قلت فى الحرص والكلام فى الأمل لافيه.

قلت - منشاء الأمل هو الحرص او بالعكس على قول وعلى كلا التقديرين
أنهما متلازمان فما ثبت فى الحرص ثبت فيه ايضاً.

وقال الصادق عليه السلام: لا تحرص على شىء لو تركته لوصل اليك وكنت عند الله
مُسْتَرِيحاً مَحْمُوداً بتركه مذموماً باستعجالك فى طلبه وترك التوكل عليه
والرضى بالقسم فان الدنيا خلقها الله بمنزلة ظلك ان طلبته أتعبك ولا تلحقه
أبداً وان تركته تبعبك وانت مُسْتَرِيحٌ - انتهى.

وقال النبى ﷺ الحَرِيص مُذْمُومٌ وهو مع ذلك مَحْرُومٌ فى اى شىء كان
وكيف لا يكون مَحْرُوماً وقد فر من وثاق الله وخالف قول الله عز وجل حيث
يقول: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» (١) ثم قال ﷺ:
والحريص بين سبع آفات صعبة: فِكْرٌ يَضُرُّ بَدَنَهُ ولا يَنْفَعُهُ، وَهَمٌّ لا يَتِمُّ له
أَقْصَاهُ، وَتَعَبٌ لا يَسْتَرِيحُ منه إلا عند الموت ويكون عند الرّاحه أشدّ تعباً،
وَخَوْفٌ لا يُورِثُهُ إلا الوُقوع فيه، وَحُزْنٌ قد كَدِرَ عليه بلا فائدة، وَحَسَابٌ
لا يُخْلِصُهُ من عذاب الله ان يَعْفُو الله، وَعِقَابٌ لا مَفَرَّ منه ولا حيلة الحديث «بحار
الانوار ج ١٥ الجزء الثالث منه ص ١٠٦ ط كميانى»...

وقال عليٌّ عليه السلام: ما أطالَ عبدُ الأملِ إلا أساءَ العَمَلَ انتهى...
وقال عليه السلام: لو رأى العبدُ أجله وسُرعتَه إليه لأبغضَ الأملَ وطلَّبَ الدنِّيا
انتهى...

وقال عليه السلام: كَمَ مِنْ أَكَلَةٍ تَمْنَعُ أَكَلَاتٍ، وَقَالَ لَوْ رَأَى الْعَبْدُ الْأَجَلَ وَمَسِيرَهُ
لَأَبْغَضَ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ انتهى «ص ١٠٧» وامثال ذلك من الاخبار.
□ قوله عليه السلام: وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ...

وهذا هو الدليل الثالث على لزوم الاستعداد للموت والتَّهَيُّؤُا له وتقريره انه
لاشكَّ انَّ الشَّيْطَانَ مُوَكَّلٌ عَلَى الْإِنْسَانَ عَدُوًّا لَهُ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ تَجِبَ عَلَيْهِ
المواظبة على الأعمال في الدنيا والاستعاذة بالله فيها منه.

وبعبارة اخرى من كان له عدوًّا مثل الشَّيْطَانِ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ وَأَفْعَالِهِ
وَحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ فَحَرَيٌّ بَانَ يَجْتَنِبُ مِنْهُ وَيَتَّقِي رَبَّهُ إِذْ لَا مَفْرَجَ مِنْهُ إِلَّا بِالتَّقْوَى
وَالْوَرَعِ وَالْأَعْتَصَامِ بِحَبْلِ اللَّهِ وَدَخَلَ عِنَايَتِهِ وَقَدْ دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ.

أَمَّا الْآيَاتُ: فَمِنْهَا - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمُ
بِالْفَحْشَاءِ﴾^(١)

و: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾^(٢)

و: ﴿وَمَنْ يَكُنْ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾^(٣)

و: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٤)

و: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِإِنْسَانٍ عَدُوًّا مُبِينًا﴾^(٥)

و: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٦)

و: ﴿وَإِذْ زَيْنُ لَهْمُ الشَّيْطَانِ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٧)

و: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾^(٨)

٢- آل عمران - ١٥٥

٤- النساء - ٦٠

٦- الاسرى - ٦٤

٨- النور - ٢١

١- البقرة - ٢٦٨

٣- النساء - ٢٨

٥- الاسرى - ٥٣

٧- الانفال - ٤٨

و: ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا تَعْمَلُونَ﴾^(١) وكثير الآيات.

أما الأخبار:

فمنها - مارواه في العلل باسناده عن جابر الانصاري قال قال رسول الله
أغلقوا أبوابكم وخمروا أنفسكم وأوكنوا استفتيتكم فإن الشيطان لا يكشف
غطاء ولا يحل وكاء انتهى «بحار الانوار ج ١٤ ص ٦١٦ ط كمياني»...

ومنها - مارواه عن الكافي باسناده عن ابي عبدالله قال ما من قلب إلا وله
أذنان على احديهما ملك مرشد وعلى الأخرى شيطان مفتن هذا يأمره وهذا
يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصي والملك يزجره عنها وذلك قول الله عز
وجل عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد،
انتهى «ص ٦١٦»...

ومنها - مارواه عن المحاسن باسناده عن ابي عبدالله قال ﷺ قال رسول
الله ﷺ إن على ذرورة كل بعير شيطانا فأمتهنوها لأنفسكم، وذللوها واذكرو
اسم الله عليها كما أمركم الله انتهى «ص ٦١٦»...

ومنها - مارواه عن طب الأئمة باسناده قال قال رسول الله أكثر من
الدواجن في بيوتكم تتشاغل بها الشياطين عن صبيانكم، انتهى «ص ٦١٤»...
ومنها - مارواه عن الكافي باسناده عن امير المؤمنين ﷺ قال ﷺ قال
رسول الله إن الله حرم الجنة على كل فحاش بذى قليل الحياء لا يبالى ما قال
ولا ما قيل له فانك إن فتشته لم تجده إلا لغية او شريك شيطان قيل يا رسول
الله وفي الناس شريك شيطان فقال ﷺ أما تقرء قول الله عز وجل وشاركهم
في الأموال والأولاد الخبر «ص ٦١٦»...

ومنها - ما رواه فيه ايضا باسناده عن ابي عبدالله عن آباءه عن النبي ﷺ
قال لأصحابه ألا أخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما
تباعد المشرق من المغرب قالوا بلى قال ﷺ الصوم يسود وجهه والصدقة

تَكْسُرُ ظَهْرَهُ وَالْحُبَّ فِي اللَّهِ وَالْمَوَارِزَةَ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَقْطَعُ دَابِرَهُ
وَالْأَسْتَغْفَارَ يَقْطَعُ وَتَيْنَهُ، انتهى «ص ٦٢٩»...

ومنها - مارواه عن دلائل الطبري باسناده عن المفضل ابن عمر قال: قلت
لابي عبدالله جُعِلَتْ فِداكَ ما لأبليس من السُّلْطَانِ قال ما يُوسوس في صُدُورِ
النَّاسِ (في قلوب النَّاسِ) قلت: فما لِمَلِكِ المَوْتِ قال يَقْبِضُ أرواحَ النَّاسِ قلت
وهما مسلطان على من في المشرق والمغرب قال نعم قلت: فما لك أنت من
السُّلْطَانِ جُعِلَتْ فِداكَ قال أَعْلَمُ ما في المشرق والمغرب وما في السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وما في البرِّ والبحرِ وَعَدَدُ ما فِيهِنَّ وليس ذلك لأبليس ولا لملك
الموت «ص ٦٣٢»...

وامثال ذلك من الروايات كثيرة ولا ريب في تسلطه على اولاد آدم مجرى
الدَّم في عروقه واما انه من الجنّ او من الملائكة فقد مرّ البحث فيه في اوائل
المجلد الاول تفصيلاً فمن شاء فليراجع اليه.

□ قوله ﷺ: يُزَيِّنُ لَهُ المَعْصِيَةَ لِيزَكِّبَهَا وَيُمْنِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا...،

هذا من اوصاف الشيطان فان شأنه تزيين المعصية في نظر صاحبها ليركب
المعصية ويأتي بها ويؤمنى الشيطان له التوبة ويوسوس اليه بتأخيرها حتى
لا يتوب ويموت بلا توبة.

والى قوله ﷺ: يُزَيِّنُ لَهُ المَعْصِيَةَ، أشير في الكتاب حيث قال عز وجل:

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١)

و: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٢)

و: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾^(٣)

و: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٤)

و: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾^(٥) وامثال ذلك من

والى الثانى: اعنى قوله ﷺ وَيُؤْتِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسْوَفَ فِيهَا، أُشير فى الكتاب حيث قال: «يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيَهُمْ وَمَا يَعِدُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا»^(١) والمراد بتسويق الشيطان آياه هو وسوسته بان يقول سوف استغفر سوف استغفر كما هو كذلك بالنسبة الى العاصين الطاغين الا ترى قول عمر ابن سعد حيث يقول:

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى وَأَنْتَى لِحَاثِرُ أَفَكَّرُ فِي أَمْرِي عَلَى خَطَرَيْنِ
 ءَأَتْرَكَ مُلْكَ الرَّيِّ وَالرَّيِّ مُنْبِتِي أَمْ أَرْجِعُ مَأْثُومًا بِقَتْلِ حُسَيْنِ
 يَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَتَعْذِيبٍ وَغُلٍّ يَدِينِ
 فَإِنْ صَدَقُوا فِيمَا يَقُولُونَ إِنِّى اتُّوبُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ سَبْتَيْنِ
 وَإِنْ كَذَبُوا فَرْنَا بِدُنْيَا عَظِيمَةٍ وَمُلْكَ عَقِيمٍ دَائِمِ الْجِجَلَيْنِ
 ثُمَّ إِنَّ الْكَلَامَ فِي مَقَامَيْنِ:

احدهما قوله ﷺ: يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيُرْكَبَهَا...

وثانيهما: قوله ﷺ: وَيُؤْتِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسْوَفَ فِيهَا...

أما البحث فى المقام الاول: فهو مؤيد بالآيات والاخبار أما الآيات فقد مضت وأما الاخبار:

فمنها - مارواه فى البحار باسناده عن جعفر ابن محمد عن آبائه ﷺ ان ابليس كان يأتى الانبياء من لدن آدم الى ان بعث الله المسيح يتحدت عندهم ويسأيلهم ولم يكن بأحد منهم أشد أنساً منه بيحيى ابن زكريا فقال له يحيى يا ابا مرة ان لى اليك حاجة فقال له انت اعظم قدراً من ان أردك بمسئلة فاستلنى ما شئت فانى غير مخالفك فى امر تريده، فقال يحيى يا ابا مرة احب ان تعرض على مصائدك وفخوفك التى تصطاد بها بنى آدم فقال له ابليس حياً وكرامةً وواعدده لغد فلما أصبح يحيى ﷺ قعد فى بيته ينتظر الموعد وأغلق عليه الباب اغلاغاً فما شعر حتى ساواه من خوفاً كانت فى بيته فاذا

وَجْهَهُ صُورَةٌ وَجْهَ الْقِرْدِ وَجَسَدُهُ عَلَى صُورَةِ الْخِنْزِيرِ وَإِذَا عَيْنَاهُ مَشْقُوقَتَانِ طَوُّلاً وَإِذَا اسْنَانُهُ وَفَمُّهُ مَشْقُوقاً طَوُّلاً عَظْماً وَاحِداً بِلَاذِقِنٍ وَلَا لُحْيَةَ وَلَهُ أَرْبَعَةٌ يَدِيدَانِ فِي صَدْرِهِ وَيَدَانِ فِي مَنكِبَيْهِ وَإِذَا عِرَاقِيْبُهُ قُوَادَهُ وَأَصَابِعُهُ خَلْفَهُ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ وَقَدْ شُدَّ وَسَطُهُ بِمَنْطِقِهِ فِيهَا خِيُوطٌ مُعَلَّقَةٌ بَيْنَ أَحْمَرٍ وَأَصْفَرٍ وَأَخْضَرٍ وَجَمِيعِ الْأَلْوَانِ وَإِذَا بِيَدِهِ جَرَسٌ عَظِيمٌ وَعَلَى رَأْسِهِ بَيْضَةٌ وَإِذَا فِي الْبَيْضَةِ حَدِيدٌ مُتَعَلِّقُهُ شَبِيهَةٌ بِالْكَالِبِ فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ يَحْيَى قَالَ لَهُ مَا هَذِهِ الْمَنْطِقَةُ الَّتِي فِي وَسْطِكَ فَقَالَ هَذِهِ الْمَجْؤُوسِيَّةُ أَنَا الَّذِي سَنَنْتُهَا وَزَيْنَتْهَا.

فَقَالَ لَهُ مَا هَذِهِ الْخِيُوطُ الْأَلْوَانُ قَالَ لَهُ هَذِهِ جَمِيعُ اصْنَاعِ النِّسَاءِ لَا تَزَالُ الْمَرْئَةُ تَصْنَعُ الصَّنِيعَ حَتَّى يَقَعَ مَعَ لَوْنِهَا، فَافْتَنَّ النَّاسُ بِهَا، فَقَالَ لَهُ مَا هَذَا الْجَرَسُ الَّذِي بِيَدِكَ، قَالَ هَذَا مَجْمَعُ كَلِّ لَذَّةٍ مِنْ طَنْبُورٍ وَبَرْبِطٍ وَطَبْلٍ نَائِيٍّ وَإِنَّ الْقَوْمَ لَيَجْلِسُونَ عَلَى شُرَابِهِمْ فَلَا يَسْتَلْذُونَهُ فَأَجْرَكَ الْجَرَسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَإِذَا سَمِعُوهُ اسْتَخَفَّهِمُ الطَّرْبُ فَمِنْ بَيْنِ مَنْ يَرْقُصُ وَمِنْ بَيْنِ مَنْ يُفْرِقِعُ أَصَابِعَهُ وَمِنْ بَيْنِ مَنْ يَشْتَقُّ ثِيَابَهُ فَقَالَ وَائِي الْأَشْيَاءِ أَقَرَّ لِعَيْنِكَ قَالَ النِّسَاءُ هُنَّ فَخُوضِي وَمَصَايِدِي فَإِنِّي إِذَا اجْتَمَعْتُ عَلَى دَعْوَاتِ الصَّالِحِينَ وَلَعْنَاتِهِمْ صَرْتُ إِلَى النِّسَاءِ فَطَالِبَتِ نَفْسِي بِهِنَ.

فَقَالَ لَهُ يَحْيَى فَمَا هَذِهِ الْبَيْضَةُ الَّتِي عَلَى رَأْسِكَ قَالَ بِهَا أَتَوْقَى دَعْوَةَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ فَمَا هَذِهِ الْحَدِيدَةُ الَّتِي أَرَى فِيهَا قَالَ بِهِذِهِ أَقَلَّبُ قُلُوبَ الصَّالِحِينَ، قَالَ يَحْيَى فَهَلْ ظَفَرْتَ بِي سَاعَةً قَطُّ قَالَ لَا وَلَكِنْ فِيكَ خَصْلَةٌ تُعْجِبُنِي، قَالَ يَحْيَى فَمَا هِيَ؟ قَالَ أَنْتَ رَجُلٌ أَكُوْلُ فَإِذَا افْطَرْتَ أَكَلْتُ وَبَشَمْتُ فَيَمْنَعُكَ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ صَلَوَاتِكَ وَقِيَامِكَ بِاللَّيْلِ قَالَ يَحْيَى فَإِنِّي أُعْطِيَ اللَّهُ عَهْداً أَنِّي لَا أَشْبَعُ مِنَ الطَّعَامِ حَتَّى أَلْقَاهُ، قَالَ لَهُ ابْلِيسُ وَأَنَا أُعْطِيَ اللَّهُ عَهْداً أَنِّي لَا أَنْصَحُ مُسْلِماً حَتَّى أَلْقَاهُ ثُمَّ خَرَجَ مِمَّا عَادَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْتَهَى «بِحَارِ الْأَنْوَارِ ج ١٤ ص ٦٢٠ ط كَمِيَانِي»...

وَرَوَى فِي الْبِحَارِ أَيْضاً بِإِسْنَادِهِ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا مَضَى

لِعِيسَى ثَلَاثُونَ سَنَةً بَعَثَهُ اللهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَقِيَهِ ابْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ عَلَى عَقْبَةِ
بَيْتِ الْمَقْدَسِ وَهِيَ عَقْبَةُ أَفِيقٍ.

فَقَالَ لَهُ: يَا عِيسَى أَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عَظْمِ رَبُّوبَيْتِكَ أَنْ تَكُونَتْ مِنْ غَيْرِ أَبِي
قَالَ عِيسَى بَلِ الْعَظْمَةُ لِمَنْ كَوْنْتِي وَكَذَلِكَ كَوَّنَ آدَمَ وَحَوًّا.
قَالَ ابْلِيسُ: يَا عِيسَى فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عَظْمِ رَبُّوبَيْتِكَ أَنْ تَكَلَّمْتَ فِي
الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ يَا ابْلِيسُ بَلِ الْعَظْمَةُ لِلَّذِي أَنْطَقَنِي فِي صِبْغِي وَلَوْ شَاءَ
لَأَبْكَمَنِي.

قَالَ ابْلِيسُ: فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عَظْمِ رَبُّوبَيْتِكَ أَنْ تَشْفِيَ الْمَرْضَى قَالَ
عِيسَى بَلِ الْعَظْمَةُ لِلَّذِي يَأْذَنُ أَشْفِيئَهُمْ وَإِذَا شَاءَ أَمْرَضَنِي.
قَالَ ابْلِيسُ: فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عَظْمِ رَبُّوبَيْتِكَ أَنْ تَخْلُقَ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ
الطَّيْرِ فَتُنْفَخَ فِيهِ فَيَصِيرُ طَيْرًا قَالَ عِيسَى بَلِ الْعَظْمَةُ لِلَّذِي خَلَقَنِي وَخَلَقَ مَا
سَخَّرَ لِي.

قَالَ ابْلِيسُ: فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عَظْمِ رَبُّوبَيْتِكَ، أَنْ تَحْيِيَ الْمَوْتَى قَالَ
عِيسَى بَلِ الْعَظْمَةُ لِلَّذِي بِأَذْنِهِ أَحْيَيْهِمْ وَلَا بَدَأَ أَنْ يُمِيتَ مَا أَحْيَيْتُ وَيُمِيتَنِي.

قَالَ ابْلِيسُ: يَا عِيسَى فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عَظْمِ رَبُّوبَيْتِكَ أَنْ تَعْبُرَ الْبَحْرَ فَلَا
تَبْتَلُ قَدَمَاكَ وَلَا تَرْتَشِحَ فِيهِ قَالَ عِيسَى بَلِ الْعَظْمَةُ لِلَّذِي ذَلَّلَهُ وَلَوْ شَاءَ أَغْرَقَنِي.

قَالَ ابْلِيسُ: يَا عِيسَى فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عَظْمِ رَبُّوبَيْتِكَ، أَنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكَ
يَوْمَ تُكْوَّنُ (تَكْوَرُ) السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ دُونَكَ وَأَنْتَ فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ

تُدَبِّرُ الْأَمْرَ وَتَقْسِمُ الْأَرْزَاقَ فَاعْظِمِ عِيسَى ﷺ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْلِيسِ الْكَافِرِ
اللَّعِينِ فَقَالَ عِيسَى سُبْحَانَ اللَّهِ مَلَأَ سَمَوَاتِهِ وَأَرْضَهُ وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ وَزِنَةَ

عَرْشِهِ وَرَضَا نَفْسِهِ قَالَ فَلَمَّا سَمِعَ ابْلِيسُ ذَلِكَ ذَهَبَ عَلَى وَجْهِهِ لَا يَمْلِكُ مِنْ
نَفْسِهِ شَيْئًا حَتَّى وَقَعَ فِي اللَّجَّةِ الْخَضِرَاءِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَخَرَجَتْ امْرَأَةٌ مِنْ

الْجَنِّ تَمْشِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فَإِذَا هِيَ ابْلِيسُ سَاجِدًا عَلَى صَخْرَةٍ صَمَاءَ
تَسِيلُ دُمُوعُهُ عَلَى خَدَّيْهِ فَقَامَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ تَعْجَبًا ثُمَّ قَالَتْ لَهُ وَيْحَكَ يَا ابْلِيسُ مَا

تَرْجُوا بطول الشُّجُود فَقَالَ لَهَا ابْتِئَا المَرْتَةُ الصَّالِحَةُ ابْنَتُهُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ
أَرْجُوا اذْ أَبَّرَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَسَمَهُ وَاَدْخَلَنِي نَارَ جَهَنَّمَ اِنْ يُخْرِجَنِي مِنَ النَّارِ
بِرَحْمَتِهِ اَنْتَهَى «بِحَارِ الْاَنْوَارِ ج ١٤ ص ٦٢٤ ط كمْپانى»...

اقول: وانت اذا تأملت هذه الاخبار ونظائرهما مما هو فى متون التواريخ
وكتب السير لعلمت ان الشيطان له مداخل كثيرة فى تضليل العباد وأهمها
وأعظمها بل اكثرها تزيينه المعاصى فى أعين الناس فان الانسان أسير الشهوات
وأنيس الهوسات قلما يتفق له التسلط عليها ولا شك ان الانسان كثيراً ما يشبهه
عليه الأمر.

فقوله **عليه السلام:** يُزَيِّنُ لَهُ المَعْصِيَةَ ، معناه ان الشيطان يُزَيِّنُ المَعْصِيَةَ بصورة
الطاعة فيظن صاحبها انه اطاع الله مع انه عصاه.

ويمكن ان يكون المراد منه انه يزين المعصية فى نظر صاحبها بصورة
حسنة فكأنه لا يرى قبحها فيُديم عليها وكلاهما صحيحان.

اما الاول: فكما ان الشيطان زين المعاصى التى كانت تصدر أنا فأننا من
مخالفى اهل بيت العصمة بصورة الطاعة كما ان اصحاب الجمل واصحاب
معاوية ولا سيما اهل النهروان كانوا كذلك وذلك لانهم مع كونهم على خلافه
عليه السلام وهو من أعظم المعاصى لم يعلموا به وظنوا انهم يحسنون صنعا ويفعلون
ما فيه رضى الله ولسؤله سوى قليل منهم كشخص معاوية وعمرو ابن العاص
والزبير وطلحة وعائشة وامثالهم من الذين كانوا يعلمون انه **عليه السلام** على الحق
وانهم على الباطل واما العوام من اصحابهم فلم يكن لهم علم بهذا المعنى كما
هو واضح.

واما الثانى: فهو ايضا له مصاديق كثيرة ولا سيما فى زماننا هذا الا ترى ان
كثيراً من المسلمين يشتغلون بالمعاصى واقعاً ويفعلون الخيرات ايضا زعماً
منهم ان من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يُجزى الا مثلها
فيشرب الخمر ويزنى ويقتل النفس التى حرمها الله ويكذب ويظلم ويستغل

بالرَبُّوا وامثال ذلك من المعاصى الكبيرة وهو مع ذلك يَقيم العَزاء وَيَبنى المساجد او يَعمرها وَيَحجُّ وَيَزُور الحسين عليه السلام ويحضر الجماعة ولم يَعلم انْ الأموال الحاصلة له من السَّرقة والمرابحة والظلم على النَّاس او غير ذلك ولكن فيها حقوق الفقراء والمظلومين، لا يجوز له خَرَجها وَصَرَفها بل يجوز له التَّصرف فيها قبل اخراج حقوقهم كَلْ ذلك لانَّ الشَّيْطان زَيَّن له اعماله بصورة حَسَنَة، اعادنا الله من هَفَوات الشَّيْطان بحَقِّ مُحَمَّد وآله.

المقام الثَّانى: فى البحث عن قوله عليه السلام: وَيُؤْمِنُ بِالتَّوْبَةِ لِيُسَوِّفَهَا...

ولا يَبْعُد ان يكون قوله عليه السلام هذا تفسيراً لقوله عليه السلام: يُزَيِّنُ لَهُ المَعْصِيَةَ وعليه فالمعنى انَّ الشَّيْطان يُزَيِّن له المَعْصِيَةَ بان يلقى اليه انْ باب التَّوْبَةِ لك مَفْتُوح فافعل ما شئت، ثم تَبَّ الى الله فاذا اراد ان يتوب يُلْهِم اليه ان يَقُولَ سَوْفَ اَسْتَغْفِرُ فَاِنَّ الوَقْتَ لم يَنْقُضِ وهكذا يُسَوِّفُه حَتَّى يَمُوتَ من غير توبَةٍ فتأمل فيه.

ويمكن ان يكون قوله هذا كلاماً مستقلاً اي كما انَّ الشَّيْطان يُزَيِّن له المَعْصِيَةَ كذلك يُؤْمِنُ بِالتَّوْبَةِ فَاِنَّ تَزْيِينِ المَعْصِيَةِ فى نظر العاصى شىء وكونه يُؤْمِنُ بِالتَّوْبَةِ شىء آخَر فالأوَّلُ يوجب كثرة المعاصى والثَّانى يوجب موته بلا تَّوْبَةٍ ولا ريب انَّ الثَّانى اعظم خطراً من الأوَّل كما هو ظاهر.

□ قوله عليه السلام: حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ اَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَلَيْهَا...

اي هكذا يكون حاله حَتَّى يَهْجُمَ عَلَيْهِ المَوْتُ وهو غافل عنها والغرض انَّ الشَّيْطان يُؤْمِنُ بِالتَّوْبَةِ لِيُسَوِّفَهَا حَتَّى يَهْجُمَ عَلَيْهِ المَوْتُ اي تسويف الشَّيْطان اِيَّاه يَسْتَمِرُّ الى بعد المَوْتُ لا قَبْلَ المَوْتُ وهذا المعنى يستفاد من كلمة (حَتَّى) الَّتِي موضوعه للغاية الَّتِي ما بعدها داخل فى ما قبلها ولذلك لم يَقُلْ عليه السلام الى ان تَهْجُمَ عَلَيْهِ المَنِيَّةُ لَانَّ كلمة (الى) وان كانت تفيد الغاية ايضاً الا انْ ما بعدها لا يدخل فى ما قبلها ويهذا يفرق بين الى وحَتَّى فى موارد الاستعمال بظهور الفرق بين قولنا سرتُ من البصرة الى الكوفة وقولنا حَتَّى الكوفة فَاِنَّ الأوَّل

يفيد ان غاية السير هي ابتداء الكوفة من غير الدخول فيها والثاني يفيد الدخول في الكوفة فالسائر اذا دخل الكوفة يصح منه القول شرت من البصرة حتى الكوفة واما اذا لم يدخل فيها فلا يصح بل لا بد له من الاتيان بكلمة (الى) بدل حتى كما يقال اكلت السمكة حتى رأسها اي اكلت رأسها ايضاً وعليه فقوله **عَلَيْهِ: حَتَّى تَهْجَمَ مَنِيَّتُهُ** اشارة الى ان هذا التسويف الشيطاني يستمر له حتى يموت من غير توبة لانه يستمر الى حين موته حتى امكن له التوبة قبل موته ولو بلحظة.

ثم ان في كلامه **عَلَيْهِ** اشارة الى ان الموت عن غفلة من أعظم الدواهي والمصائب على الانسان كما ان عكسه من أحسن التوفيقات له وهو كذلك فان الغفلة منشاء المعاصي والانحرافات ومصدر الجرائم والجنايات ولذلك ورد في القرآن آيات كثيرة في ذم الغفلة والغافل. قوله تعالى: **﴿وَلَا تُطِغْ مَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾** (١)

و: **﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾** (٢)

و: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ﴾** (٣)

و: **﴿وَأَنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾** (٤)

و: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ**

الْغَافِلُونَ﴾ (٥)

و: **﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾** (٦)

و: **﴿لِيُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاءَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾** (٧)

و: **﴿فَأَعْرَقْنَا هُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾** (٨)

و: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾** (٩)

٢- الاعراف- ١٧٩

٤- يونس- ٩٢

٦- الروم- ٧

٨- الاعراف- ١٣٦

١- الكهف- ٢٨

٣- يونس- ٧

٥- النحل- ١٠٨

٧- يس- ٦

٩- الاعراف- ١٤٦

و : ﴿ شَهَدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (١)

و : ﴿ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ ﴾ (٢) فهذه

الآيات وامثالها مما هو موجود في الكتاب مُشعرة بأن منشاء المعاصي والعقوبات الأخروية هو الغفلة لا غير وبعد دلالة الآيات على المدعى لاحتاج الى نقل الاخبار والآثار الواردة.

والسر فيه - هو ان الانسان مادام كونه متوجهاً الى المعبود، لا يعصيه لامحالة لعلمه بان الله تعالى يأخذه بالمعصية يوم القيمة ويُعذبه عذاباً اليماً ودفع الضرر المحتمل واجب على العاقل عقلاً فضلاً عن دفع الضرر المقطوع فمن آمن بالله واليوم الآخر وقطع بان ما أخبر به الكتاب والسنة حق لامرية فيه وان من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وان الله تعالى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة وانه أشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة، فكيف يتجرى عليه تعالى ويعصيه ثم لا يتوب عن معصيته الا ان يكون غافلاً او غير مؤمن بما ذكرناه ولا ثالث لهما.

□ قوله ﷺ: ﴿ قِيَالَهَا حَسْرَةٌ عَلَى كُلِّ ذِي عَقْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً وَأَنْ يُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ... ﴾

قوله ﷺ: ﴿ قِيَالَهَا حَسْرَةٌ مَنَادَى مُسْتَعَاثٌ وَلِذَلِكَ نُصِبَتْ كَلِمَةُ حَسْرَةٍ بَعْدَ الْمَنَادَى عَلَى التَّمْيِيزِ وَالتَّقْدِيرِ بِالْحَسْرَةِ عَلَى الْغَافِلِينَ فَقَوْلُهُ ﷺ: ﴿ لَهَا ﴾ مُسْتَعَاثٌ وَالياء حرف النداء للأستغاثة وقد يقال من تعريف الأستغاثة هي كل اسم منادى استغيث به ليخلص من شدة او يُعين على دفع المشقة، واللام في المُسْتَعَاثِ مفتوحة ومدخولها مجرور قال ابن مالك في الالفية:

اذا استغيثُ اسم منادى خُفضاً باللام مفتوحاً كيا للمرتضى
وأفتح مع المعطوف ان كررت يا وفي سوى ذلك بالكسر إئتيا
وعلى كل حال اي سواء قلنا بانه مُسْتَعَاثٌ به او مُسْتَعَاثٌ لأجله فالمقصود

واضح وهو انه ﷺ قد تأسف وتَحَسَّرَ على كل ذى غفلةٍ من الناس من حيث انَّ
عمره عليه حُجَّةٌ من الله تعالى يوم القيمة وهو لم يستفد منه لآخرته بل يؤذيه
الى الشَّقوة والضلالة فانَّ العُمر من أحسن المواهب الالهية وأعظم الحجج
الربانية للوصول إلى المقامات العالية والمدارج المُرْتفعة الشاهقة وهو الذى
لاشئء أعزَّ وأشرف منه فى عالم الوجود كيف لا وهو الحياة والوجود منشاء
الخيرات ومنبع الكمالات فى حدِّ نفسه ولا شرَّ فيه بالذات لانَّ الوجود خيرٌ
محض والعُمر ليس الا حصَّة من الوجود فمثل العُمر مثل السكين الذى جعل
لذبح الحيوانات وغيره ممَّا يحتاج اليه الانسان لالذبح الانسان على طريق
الظلم فمن قتل به مؤمناً صالحاً بغير حقٍّ فقد أخطأ خطأ فاحشاً ولا ذنب
للسكين الذى كان آلة للقتل بل بل الذنب للذى استعمله فى غير مورده وهكذا
العُمر فانه تارة يكون سبباً ووسيلة الى البلوغ الى اقصى الغايات واعلى
الكمالات كما بالنسبة الى الانبياء والأوصياء والصلحاء الذين صرفوه فى طاعة
الله والتبيل الى مقامات الانسانية وتارة يكون سبباً للشقاوة والهلاك الأبد
والخلود فى نار جهنم كما بالنسبة الى الغافلين الذين صرفوه فى المعصية فلا
ذنب للعُمر فى حدِّ نفسه انما الذنب للمستعمل.

واما قوله ﷺ: **أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةٌ**، فهو اشارة الى قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ

نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ وَجَانِّكُمْ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ النَّذِيرُ﴾ (١)

و: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَائَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ (٢)

و: ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ (٣)

و: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤) وغيرها من الآيات.

وانما يعبر عن مُدَّة الحياة بالعُمر لانَّ العمر مُشتق من عمر، وهو نقيض
الخراب يقال عَمِرَ أرضه يعمرها عمارة كما يقال عَمِرْتَهُ فَعَمِرَ فهو مَعْمُورَةٌ

٢- الانبياء- ٤٤

٤- يونس- ١٦

١- الفاطر- ٢٧

٢- القصص- ٤٥

وأعمرته الأرض واستعمرته إذا فوّضت إليه العمارة، والعمر والعمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة فهو دون البقاء فاذا قيل طال عمره فمعناه عمارة بدنه بروحه واذا قيل طال بقاءه فلا يقتضى ذلك فإن البقاء ضدّ الفناء، ولفضل البقاء على العمر ووصف الله به اى بالبقاء ولا يوصف بالعمر، فيقال البقاء لله وحده ولا يقال العمر لله، ولعله لهذه الجهة اى ان العمر من العمارة يُعبّر عن مدة حياة الإنسان بالعمر لأن هذه الحياة توجب عمارة الدين والدنيا والبدن، فمن الناس من يُعمر بها دنياه وآخرته ومن الناس من يُعمر بها بدنه في دار الدنيا لاغير ومن الناس من يُعمر بها الآخرة ومن الناس من يُعمر بها الدنيا فالناس على هذا اربعة اقسام:

عامر الدنيا والآخرة معاً وهو أشرفهم، وعامر الآخرة فقط وهو يليه فى الفضل، وعامر الدنيا دون الآخرة وهو يلى الثانى فيه وعامر البدن فقط وهو الذى ليس له دنيا ولا آخرة وهو أدونهم وأرجسهم وان شئت قلت عامر البدن داخل فى عامر الدنيا وعليه فالقسم الرابع من ليس له تعمير البدن ايضا لفقره ولا تعمير دينه لعدم ايمان له فهو خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ثم أنه دعى الله تبارك وتعالى ان يُوفّقنا بثلاثة اشياء:

□ قوله ﷻ تَسْأَلُ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ...

سئل الله تبارك وتعالى ان لا يجعلنا ممن هو يطغى فى النعمة وهذا هو الذى أشير اليه فى الكتاب بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾ (١) ﴿أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجَنِي﴾ (١)

و: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (٢)

و: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَابِ، الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ (٣)

و: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ (٤)

و: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ (٥) وهذه الآيات

٢- النازعات - ٢٧/٣٨/٣٩

٤- طه - ٤٥

١- العلق - ٦٧

٣- الفجر - ١٠/١١

٥- النازعات - ١٧/١٨

باسرها تدلّ على أنّ النعمة بالنسبة الى بعض الأفراد الذين ليس لهم استعداد قويّ توجب الانحراف عن مسلك الحقّ والطغيان على الله تعالى بالقول والعمل كما هو المشهود المحسوس في اكثر الأفراد الا ترى ان كثيراً من الافراد في زمان فقرهم واستيصالهم يُعدّون في زمرة المؤمنين لكونهم مُقيدين بالأداب الشرعية من الصلوة والصوم وغيرهما من الواجبات بل يواظبون على المُستحبات ايضاً فترىهم يحضرون في المساجد للجماعة ويَزورُونَ الأئمة المعصومين في مشاهدهم ويقرؤون القرآن وامثال ذلك كاقامة العزاء وتعمير المساجد وغيرها.

وكثير من هؤلاء الأفراد بعد اقبال الدنيا اليهم من حيث المال او المقام فلا ترايهم في هذه الموارد لا في المسجد ولا في غيره من الأماكن المقدسة بل بعضهم يتركون اصل الصلوة والصوم وسائر الواجبات ايضاً ونحن نعرف كثيراً من هؤلاء في زماننا هذا وانت ايضاً تعرف ما نعرف ولا نحتاج الى بسط مقال فيه.

وثانيها: قوله ﷺ **وَلَا تُقَصِّرْ بِهِ عَن طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً...**

اي لا تكون النفس مُقَصَّراً في الطاعات لأجل الغايات والاعراض المانعة عن عبادته، ولا يبعد ان يكون المراد بها الأغراض الدنيوية من الحرص على الدنيا بجمع مالها والوصول الى زخارفها والنيل الى مقاماتها اذ لا ريب ان هذه الآمال والأغراض مانعة عن ذكر الرب والتوجه اليه بالأخلاق فانّ الإنسان مادام كونه مُشْتَغِلاً بالدنيا وما فيها يقصّر عن طاعة ربه لا محالة فلا بد له أولاً من تخلية نفسه عن حُبّ الدنيا والعلاقة بزخارفها حتى أمكن له الأقبال على الطاعة والأنس به تعالى فانّ التخلية قبل التُّحْلِيَةِ والفراغ قبل الطاعة والأنس به تعالى فانّ التُّحْلِيَةَ قبل التُّحْلِيَةِ والفراغ قبل الطاعة وهذا لا يمكن الا بتأييد وتوفيق منه تعالى ولذلك نَسَلَّ اللهُ تعالى ان يُوفِّقنا له وفيما ذكره ﷺ اشارة الى ان المؤمن ينبغي له ان لا يتوجّه الى غايةٍ من الغايات غير الحقّ جلّ وعلا بل

لا بد له من الألتفات الى ان الله تبارك وتعالى غاية الغايات وأقصى المطلوب
فانه المرجع والمُنتهى واذا بلغ الإنسان الى هذا المقام لا يعرف غاية الا هو فلا
يشغله شيء عن ربه فان الى ربك المنتهى.

وثالثها: قوله: وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةً وَلَا كَابَةً...

وهذا هو الثالث لها فان الندامة والحزن بعد الموت متفرعان على الغفلة قبل
الموت والأنغمار في الشهوات في دار الدنيا فاذا اراد الله بعبده خيراً يوفقه فيها
للأعمال الصالحة النافعة وترك القبائح الضارة وهذا مما لاشك فيه والذي
حصل لنا من مجموع هذه الخطبة هو انه ينبغي للإنسان التوجه الى مبدئه
ومعاده وتحصيل الزاد الذي هو التقوى لا غير ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا
من أتى الله بقلب سليم فان الموت يأتيه بغتة والقبر صندوق العمل والندمة
والحسرة، بعد الموت لا فائدة فيهما ولمثل هذا فليعمل العاملون ولنعم ما قيل
فيه:

من كان يعلم ان الموت يُدرکه	والقبر مسکنه والبعث يُخرجه
وانه بين جنات مُزخرفة	يوم القيمة او نارٍ ستنضحه
فلک شيء سوى التقوى به سمج	ومن اقام عليه منه اسمجه
ترى الذى اتخذ الدنيا له وطناً	لم يدر ان المنایا سوف تُزعجه

وقال الآخر:

نسير الى الآجال فى كل ساعة
فأيامنا تطوى وهنّ مراحل
ولم أر مثل الموت حتى كأنه
اذا ما تخطته الأماني باطل
وما أقبح التفريط فى زمن الصبا
فكيف به والشيب فى الرأس شاغل

تَرَحَّلَ مِنَ الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ التَّقَى

فَعُمِرَكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قِلَابِلُ

وقال الآخر:

تَبَكَى الأَحِبَّةَ حَسْرَةً وَتَشَوُّقاً
عَنْ حَالِهَا مُتَرَجِّماً أَوْ مُشْفِيقاً
فَارَقْتُ مِنْ تَهْوَى وَعِزِّ المَلْتَقَى

قِفْ بِالدِّيَارِ فَهَذِهِ آثَارُهُمْ
كَمْ قَدْ وَقَفْتَ بِهَا أُسَائِلَ أَهْلِهَا
فَأَجَابَنِي دَاعِيَ الهَوَى فِي رَسْمِهَا

وقال الآخر:

كَانَ عَيْنًا ثُمَّ أَضْحَى أَثْرًا
خَبَّرَنَ عَنْهُمْ سَقِيَتِ المَطْرَا
رَحَلُوا وَاسْتَوَدَعُونِي عِبْرَا

أَيُّهَا الرَّبِيعُ الَّذِي قَدْ دَثِرَا
أَيِّنَ سُكَّانِكَ مَاذَا فَعَلُوا
فَلَقَدْ نَادَى مَنَادِي دَارِهِمْ

وقال الآخر:

هَذِهِ مَنَازِلُ أَقْوَامٍ عَاهَدْتَهُمْ

فِي خَفْضِ عَيْشٍ نَفِيسٍ مَالَهُ خَطَرٌ

صَاحَتْ بِهِمْ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ فَانْقَلَبُوا

إِلَى القُبُورِ فَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ

وقال الآخر:

وَبَنُوا مَسَاكِنَهُمْ فَمَا سَكَنُوا

جَمَعُوا فَمَا أَكَلُوا الَّذِي جَمَعُوا

لَمَّا اسْتَرَا حَوْا سَاعَةً ظَعَنُوا

وَكَانَتْهُمْ كَانُوا بِهَا ظَعْنًا

وَالأَشْعَارُ وَالأَمْثَالُ فِي الدُّنْيَا وَعَاقِبَتُهَا وَفَنَائِهَا وَدُثُورُهَا وَتَقَلُّبُهَا وَتَغْيِيرُهَا كَثِيرَةٌ

جَدًّا وَمَا كَانَ عَاقِبَتُهُ هَذَا فَحَرِيٌّ بِالأَجْتِنَابِ عَنْهُ وَعَدَمِ الأَعْتِمَادِ عَلَيْهِ أَنْ فِي ذَلِكَ

ذِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

«الفهرست»

- و من خطبة له ﷺ (٤١)..... ٥
- قوله ﷺ: إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصُّدْقِ إِلَى مَنْ لَا حَرِيْجَةَ فِي الدِّينِ مَتْن..... ٥
- اللُّغَةُ ٥
- المعنى ٥
- الشَّرْح..... ٦
- قوله ﷺ: إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصُّدْقِ وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ ٦
- قوله ﷺ: وَلَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعِ..... ١٢
- قوله ﷺ: وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْعَدْرَ كَيْسًا..... ٢٠
- قوله ﷺ: وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيَلَةِ ٢١
- قوله ﷺ: مَا لَهُمْ فَاتَلَّهُمُ اللَّهُ قَدْ يَرَى الْحَوُولَ الْقَلْبُ وَجَهَ الْحِيَلَةَ ٢١
- قوله ﷺ: وَدَوْنَهُ مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ فَيَدْعُهَا رَأْيَ الْعَيْنِ بَعْدَ ٢١
- قوله ﷺ: وَيَنْتَهزُ فُرْصَتَهَا مِنْ لَا حَرِيْجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ ٢٢
- و من خطبة له ﷺ (٤٢)..... ٢٣
- قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ إِلَى حِسَابٍ وَلَا عَمَلٍ مَتْن... ٢٣
- اللُّغَةُ ٢٣
- المعنى ٢٣
- الشَّرْح..... ٢٤
- قوله ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ ٢٤
- قوله ﷺ: فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصْدُ عَنْ الْحَقِّ ٢٤
- قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَاءَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا ٢٩
- قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بَنَوْنُ فَكُونُوا ٣٧
- قوله ﷺ: وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ وَعَدَا حِسَابٍ وَلَا عَمَلٍ ٤٥

و من كلام له ﷺ (٤٣) ٤٩

قوله ﷺ: إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى ثُمَّ نَقَمُوا فَعَبَّرُوا مَتْنِ ٤٩

اللغة ٤٩

المعنى ٤٩

الشرح ٥٠

قوله ﷺ: إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ ٥١

قوله ﷺ: وَلَكِنْ قَدْ وَقَّتْ لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَقَتًا لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعًا أَوْ غَاصِيًا ٥٢

قوله ﷺ: وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأُنَاةِ فَأَرْوِدُوا وَلَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَاءَ ٥٣

قوله ﷺ: وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ وَقَلْبْتُ ظَهْرَهُ ٥٤

قوله ﷺ: إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى الْأُمَّةِ وَالِ أَحَدٌ أَحْدَانًا وَأَوْجَدَ لِلنَّاسِ مَقَالًا ٨٢

و من كلام له ﷺ (٤٤) ٨٣

قوله ﷺ: فَبَحَّ اللَّهُ مَضْفَلَةَ فَعَلَّ فِعْلًا إِلَى بِمَالِهِ وَفُورَةً مَتْنِ ٨٣

المعنى ٨٣

الشرح ٨٤

و من خطبة له ﷺ (٤٥) ٩٧

قوله ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، إِلَى مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ مَتْنِ ٩٧

اللغة ٩٧

المعنى ٩٧

الشرح ٩٩

قوله ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ ٩٩

قوله ﷺ: وَلَا مَخْلُوءٌ مِنْ نِعْمَتِهِ ١٠٥

قوله ﷺ: وَلَا مَا يُؤْسِ مِنْ مَغْفِرَتِهِ ١٠٨

قوله ﷺ: وَلَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ ١١٠

قوله ﷺ: الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَتُهُ وَلَا تَفْقَدُ لَهُ نِعْمَتَهُ ١١٢

- قوله ﷺ: وَالدُّنْيَا دَارٌ مِّنِي لَهَا الْفَنَاءُ، وَلَا أَهْلِيهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ، وَهِيَ حُلْوَةٌ. ١١٦
- قوله ﷺ: فَارْتَجِلُوا عَنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ..... ١٢٤
- قوله ﷺ: وَلَا تَسْئَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكِفَافِ..... ١٢٥
- قوله ﷺ: وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ..... ١٣٠
- ومن كلام له ﷺ (٤٦)..... ١٣٧**
- قوله ﷺ: اَللّٰهُمَّ اِنِّيْ اَعُوْذُبِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَاثِبَةِ الْمُتَقَلِّبِ..... ١٣٧
- اللُّغَةُ..... ١٣٧
- المعنى..... ١٣٧
- الشَّرْحُ..... ١٣٨
- قوله ﷺ: اَللّٰهُمَّ اِنِّيْ اَعُوْذُبِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَاثِبَةِ الْمُتَقَلِّبِ..... ١٣٨
- قوله ﷺ: اَللّٰهُمَّ اَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ..... ١٤٠
- قوله ﷺ: وَاَنْتَ الْخَلِيْفَةُ فِي الْاَهْلِ..... ١٤١
- قوله ﷺ: وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ لِاَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ..... ١٤٣
- ومن كلام له ﷺ (٤٧)..... ١٤٥**
- (في ذكر الكوفة)..... ١٤٥
- قوله ﷺ: كَاْتَى بِكَ يَا كُوْفَةَ تُمَدِّيْنَ اِلَى وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ مِّن..... ١٤٥
- اللُّغَةُ..... ١٤٥
- المعنى..... ١٤٥
- الشَّرْحُ..... ١٤٦
- قوله ﷺ: كَاْتَى بِكَ يَا كُوْفَةَ تُمَدِّيْنَ مَدَّ الْاَدِيْمِ الْعُكَاظِيَّ..... ١٤٦
- قوله ﷺ: وَتَعْرُكِيْنَ بِالنَّوَازِلِ وَتُرْكَبِيْنَ بِالزَّلَازِلِ..... ١٤٩
- قوله ﷺ: وَاِنِّيْ لَا اَعْلَمُ اَنَّهُ مَا اَرَادَ بِكَ جَبَارٌ سِوَا الْاَوَّلِ..... ١٨٠
- ومن خطبة له ﷺ (٤٨)..... ١٨٣**
- قوله ﷺ: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ كَلَّمَا وَقَبَ لَيْلٍ اِلَى مِنْ اَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ مِّن..... ١٨٣

- اللغة ١٨٣
- المعنى ١٨٣
- الشرح ١٨٤
- قوله ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَعَسَى ١٨٤
- قوله ﷺ: وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ وَ..... ١٨٩
- قوله ﷺ: أَمَا بَعْدَ فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدَّمَتِي، وَأَمْرَهُمْ بِلِزُومٍ وَ..... ١٩٢
- قوله ﷺ: وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّطْقَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ وَ..... ١٩٢
- قوله ﷺ: فَأَنْهَضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ، ١٩٤
- قوله ﷺ: وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ ١٩٥
- ومن كلام له ﷺ (٤٩) ١٩٧
- قوله ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ، إِلَى لَهُ عُلُوقًا كَبِيرًا مَن ١٩٧
- اللغة ١٩٧
- المعنى ١٩٧
- الشرح ١٩٨
- قوله ﷺ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَّنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ ١٩٨
- قوله ﷺ: وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ، ٢٠٢
- قوله ﷺ: وَامْتَنَعَ عَلَيَّ عَيْنِ البَصِيرِ، ٢٠٤
- قوله ﷺ: فَلَا عَيْنَ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، وَلَا قَلْبَ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ، ٢١٦
- قوله ﷺ: وَلَا قَلْبَ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ ٢١٨
- قوله ﷺ: سَبَقَ فِي العُلُوقِ فَلَا شَيْءَ أَعْلَامِنَهُ، وَ..... ٢١٨
- قوله ﷺ: فَلَا اسْتِعْلَانَهُ بِأَعْدَاهُ عَنْ شَيْءٍ مِّنْ خَلْقِهِ وَلَا قُرْبَهُ وَ..... ٢٢٥
- قوله ﷺ: لَمْ يُطْلِعِ العُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ وَلَمْ يَحْجُبْهَا وَ..... ٢٢٧
- قوله ﷺ: فَهَوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الوجودِ ٢٣٢
- قوله ﷺ: عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الجُحُودِ، ٢٣٤

- قوله ﷺ: تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ ٢٣٥
- ومن كلام له ﷺ (٥٠) ٢٤٧
- قوله ﷺ: إِنَّمَا بَدَأَ وَقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ، إِلَى لَهْمٍ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى مَتْنِ ٢٤٧
اللُّغَةُ ٢٤٧
- المعنى ٢٤٧
- الشرح ٢٤٨
- قوله ﷺ: إِنَّمَا بَدَأَ وَقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، ٢٤٨
- قوله ﷺ: وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ، ٢٥١
- قوله ﷺ: فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخَفْ ٢٥٢
- قوله ﷺ: وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ ٢٥٤
- قوله ﷺ: وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْتٌ وَمِنْ هَذَا ضِغْتٌ فَيَمْرُجَانِ ٢٥٥
- قوله ﷺ: إِنَّمَا بَدَأَ وَقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، ٢٥٧
- قوله ﷺ: يَتَوَلَّى رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ ٢٥٨
- ومن خطبة له ﷺ (٥١) ٢٦٥
- قوله ﷺ: أَمَا بَعْدَ فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ بَدَؤُكُمْ إِلَى نُحُورِهِمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ مَتْنِ ٢٦٥
اللُّغَةُ ٢٦٥
- المعنى ٢٦٥
- الشرح ٢٦٦
- قوله ﷺ: أَمَا بَعْدَ فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ بَدَؤُكُمْ بِالظُّلْمِ، وَفَاتَحَوْكُمْ بِالْغَى ٢٦٦
- قوله ﷺ: اسْتَطَعَمُوكُمُ الْقِتَالَ حَيْثُ مَنَعُوكُمُ الْمَاءَ، ٢٧١
- قوله ﷺ: فَأَقْرِؤْوا عَلَيَّ مَدْلَةً وَتَأْخِيرَ مَحَلَّةً، ٢٧١
- قوله ﷺ: أَوْ رَوُّ السُّيُوفِ مِنَ الدِّمَاءِ تَرَوُّوا مِنَ الْمَاءِ، ٢٧٤
- قوله ﷺ: فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ . ٢٧٥
- قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ مَعَاوِيَةَ قَادِمَةٌ مِنَ الْعَوَاةِ وَعَمَسَ عَلَيْهِمْ ٢٧٧

- ومن خطبة له ﷺ (٥٢) ٢٨١
- قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ، إِلَى تَجْرُرِ رِجْلِهَا إِلَى الْمَنَسْكِ مَتْن. ٢٨١
- اللُّغَةُ ٢٨٢
- المعنى ٢٨٢
- الشَّرْح ٢٨٤
- قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ، وَأَذْنَتْ بِإِثْقَاءِ، و..... ٢٨٤
- قوله ﷺ: فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا، وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جَيْرَانَهَا، ٢٨٨
- قوله ﷺ: فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا، ٢٨٨
- قوله ﷺ: وَتَحْدُوا بِالْمَوْتِ جَيْرَانَهَا ٢٨٨
- قوله ﷺ: وَقَدْ أَمَرٌ مِنْهَا مَا كَانَ حُلُوءًا ٢٩٠
- قوله ﷺ: وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفُوءًا، ٢٩٢
- قوله ﷺ: فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِذَاوَةِ، و..... ٢٩٣
- قوله ﷺ: لَوْ تَمَرَزَهَا الصُّدَيَانُ لَمْ يَنْقَعِ، ٢٩٤
- قوله ﷺ: وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ وَلَا يَطْوَلَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ. ٢٩٦
- قوله ﷺ: فَوَاللَّهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَيْنَ الْوَلَةِ الْعِجَالِ، ٢٩٧
- قوله ﷺ: وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَامِ، ٢٩٧
- قوله ﷺ: وَجَارَتِمْ جُؤَارَ مُتَبَلِّ الرُّهْبَانِ، ٢٩٧
- قوله ﷺ: وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، ٢٩٧
- قوله ﷺ: الْتِمَاسَ الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةِ عِنْدَهُ، أَوْ عُفْرَانٍ و..... ٢٩٧
- قوله ﷺ: لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَرْجَوْلَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ، و..... ٢٩٧
- قوله ﷺ: وَتَاللَّهِ لَوْ أَنْمَأْتُمْ قُلُوبَكُمْ أَنْمِيَانًا، وَسَالَتْ عُيُوتُكُمْ، و..... ٢٩٨
- قوله ﷺ: وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئًا مِنْ جُهْدِكُمْ أَنْعَمَهُ عَلَيْكُمْ الْعِظَامُ، و..... ٢٩٨
- قوله ﷺ: وَمِنْ تَمَامِ الْأَضْحِيَّةِ اسْتِشْرَافُ أَدْنِيهَا وَسَلَامَةٌ عَيْنِهَا إِلَى قَوْلِهِ ٣٠٠
- قوله ﷺ: وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ الْقَرْنِ تَجْرُرُ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنَسْكِ ٣٠٠

ومن خطبة له ﷺ (٥٣) ٣٠٥

قوله ﷺ: فَتَدَاكُؤًا عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبِلِ، إِلَى عَلَيٍّ مِنْ مَوَاتٍ الْآخِرَةِ مَتْنٌ .. ٣٠٥

اللُّغَةُ ٣٠٥

المعنى ٣٠٥

الشرح ٣٠٦

قوله ﷺ: فَتَدَاكُؤًا عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبِلِ، إِلَيْهِمْ يَوْمَ وِرْدِهَا قَدْ ٣٠٨

قوله ﷺ: حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ، ٣٠٩

قوله ﷺ: وَقَدْ قَلْبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمُ. ٣٠٩

قوله ﷺ: وَجَدْتَنِي يَسْعِينِي الْأَقْتَالَهُمْ أَوْ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ .. ٣١٠

قوله ﷺ: فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَى عَلَيٍّ مِنْ مُعَالَجَةِ ٣١٠

ومن خطبة له ﷺ (٥٤) ٣١٣

قوله ﷺ: أَمَا قَوْلُكُمْ: أَكَلَّ ذَلِكَ كِرَاهِيَّةً إِلَيَّ وَإِنْ كَانَتْ تَبَوُّؤًا بِأَثَامِهَا، مَتْنٌ ٣١٣

اللُّغَةُ ٣١٣

المعنى ٣١٣

الشرح ٣١٤

قوله ﷺ: أَمَا قَوْلُكُمْ أَكَلَّ ذَلِكَ كِرَاهِيَّةً الْمَوْتِ فَوَاللَّهِ ٣١٤

قوله ﷺ: وَأَمَا قَوْلُكُمْ شَكَا فِي أَهْلِ الشَّامِ فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمَ ٣٢٠

قوله ﷺ: فَتَهْتَدِي بِي وَتَعْشُوا إِلَيَّ ضَوْئِي ٣٢١

قوله ﷺ: وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا ٣٢٢

ومن خطبة له ﷺ (٥٥) ٣٢٥

قوله ﷺ: وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، إِلَى دِمَاءٍ وَلَتَسْبِعُنَّهَا نَدْمًا، ٣٢٥

اللُّغَةُ ٣٢٥

المعنى ٣٢٦

الشرح ٣٢٦

- قوله ﷺ: وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ٩ نَقْتُلُ آبَانَا وَأَبْنَاؤَنَا ٣٢٧
- قوله ﷺ: مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا، وَمَضِيًّا عَلَى اللَّقْمِ، ٣٢٧
- قوله ﷺ: وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخِرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَّصَاوِلَانِ ٣٢٩
- قوله ﷺ: فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ. ٣٣٢
- قوله ﷺ: حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامَ مُلْقِيًا جِرَانَهُ، وَمُتَبَوِّأً أَوْطَانَهُ، ٣٣٥
- قوله ﷺ: وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، ٣٣٨
- قوله ﷺ: وَأَيْمُ اللَّهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَمًا وَلَتَتَّبِعُنَّهَا نَدْمًا ٣٤٠
- ومن خطبة له ﷺ (٥٦) ٣٤٣
- قوله ﷺ: أَمَا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ مَن ٣٤٣
- اللَّغَةُ ٣٤٣
- المعنى ٣٤٣
- الشرح ٣٤٤
- قوله ﷺ: أَمَا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ ٣٤٤
- قوله ﷺ: مُنْذِحِقُ الْبَطْنِ ٣٤٧
- قوله ﷺ: يَا كُلُّ مَا يَجِدُ ٣٤٧
- قوله ﷺ: وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ ٣٤٧
- قوله ﷺ: فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ نَقْتُلُوهُ. ٣٤٩
- قوله ﷺ: أَلَا وَانَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِيٍّ وَالْبِرَاءَةِ مِنِّي فَأَمَّا ٣٥٠
- قوله ﷺ: وَأَمَّا الْبِرَاءَةُ فَلَا تَتَّبَرُوا مِنِّي فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ ٣٦٢
- قوله ﷺ: فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ ٣٦٢
- قوله ﷺ: وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ. ٣٦٢
- قوله ﷺ: فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ ٣٦٧
- قوله ﷺ: فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، هُوَ اثْبَاتُ كَوْنِهِ مَفْطُورًا عَلَى ٣٦٩
- قوله ﷺ: وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ لَا يَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ إِشَارَةً بِكَلِمَاتِنَا. ٣٩٣

- ومن خطبة له ﷺ (٥٧) ٣٩٥
- قوله ﷺ: أَضَابِكُمْ خَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ إِلَى الظَّالِمُونَ مِنْكُمْ
سُنَّةٌ، متن ٣٩٥
- اللُّغَةُ ٣٩٥
- المعنى ٣٩٥
- الشَّرْح ٣٩٦
- قوله ﷺ: أَضَابِكُمْ خَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ أَبْرٌ، ٣٩٦
- قال الرّضى (قدّه) قوله ﷺ: وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ أَبْرٌ يُرَوَى بِالرَّاءِ وَ..... ٣٩٦
- قوله ﷺ: أَبْعَدَ إِيمَانِي بِاللَّهِ، وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي ٣٩٧
- قوله ﷺ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ٣٩٧
- قوله ﷺ: فَأَوْبُو شَرًّا مَآبٍ وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْعِقَابِ، ٣٩٧
- قوله ﷺ: أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا وَ..... ٣٩٨
- ومن خطبة له ﷺ (٥٨) ٣٩٩
- قوله ﷺ: مَضَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ، إِلَى وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشْرَةٌ، متن ... ٣٩٩
- اللُّغَةُ ٣٩٩
- المعنى ٣٩٩
- الشَّرْح ٤٠٠
- قوله ﷺ: مَضَارِعُهُمْ دُونَ النُّطْفَةِ إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ ٤٠٠
- وقال ﷺ (٥٩) ٤٠٥
- قوله ﷺ: كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ نَطَفٌ فِي أَضْلَابِ إِلَى لُصُوصًا سَلَابِينَ متن .. ٤٠٥
- اللُّغَةُ ٤٠٥
- المعنى ٤٠٥
- الشَّرْح ٤٠٦
- قوله ﷺ: كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ نَطَفٌ فِي أَضْلَابِ الرِّجَالِ وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ، .. ٤٠٦

وقال ﷺ (٦٠)..... ٤١٧

قوله ﷺ: لَا تُقْتَلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي فَلَيْسَ إِلَى الْبَاطِلِ فَأَذْرَكُهُ مَتْنٌ ٤١٧

اللُّغَةُ ٤١٧

المَعْنَى ٤١٧

الشَّرْحُ ٤١٧

قوله ﷺ: قَالَ لَا تُقْتَلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي ، نَهَى النَّاسَ عَنِ قَتْلِ الْخَوَارِجِ ٤١٩

قَالَ ﷺ: فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ الْخ. ٤٢٠

وقال ﷺ (٦١)..... ٤٢٣

قوله ﷺ: وَإِنَّ عَلِيَّ مِّنَ اللَّهِ جُنَّةً حَصِينَةً، إِلَى وَلَا يَبْرَأُ الْكَلِمُ مَتْنٌ ٤٢٣

اللُّغَةُ ٤٢٣

المَعْنَى ٤٢٣

الشَّرْحُ ٤٢٣

قوله ﷺ: وَإِنَّ عَلِيَّ مِّنَ اللَّهِ جُنَّةً حَصِينَةً، ٤٢٤

قوله ﷺ: فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي ٤٢٧

قوله ﷺ: وَاسْلَمْتَنِي فحِينِيذ لَا يَطِيْشُ السَّهْمُ وَلَا يَبْرَأُ الْكَلِمُ ٤٢٧

ومن خطبة له ﷺ (٦٢)..... ٤٤٥

قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسْلَمُ إِلَى وَزَايِدًا حَتَّى نَقْصَ مَتْنٌ ٤٤٥

اللُّغَةُ ٤٤٥

المَعْنَى ٤٤٥

الشَّرْحُ ٤٤٦

قوله ﷺ: أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا ٤٤٦

قوله ﷺ: وَلَا يُنْجِي بَشْيَءٌ كَانَ لَهَا ٤٤٩

قوله ﷺ: ابْتَلَى النَّاسَ بِهَا فِتْنَةً ٤٤٩

قوله ﷺ: فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أَخْرَجُوا مِنْهُ وَحَسِبُوا عَلَيْهِ ٤٥٢

- قوله ﷺ: وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ ٤٥٧
- قوله ﷺ: فَإِنَّمَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَىءُ الظِّلِّ بَيْنَنَا تَرَاهُ ٤٦٠
- ومن خطبة له ﷺ (٦٣) ٤٦٥
- قوله ﷺ: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَبَادِرُوا إِلَى تَدَامَةٍ وَلَا كِتَابَةَ مَتْنٍ ٤٦٥
- اللُّغَةُ ٤٦٥
- المعنى ٤٦٦
- الشرح ٤٦٧
- قوله ﷺ: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادِرُوا أِجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ٤٦٧
- قوله ﷺ: وَابْتَاعُوا مَا يَبْتغَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ ٤٧٢
- قوله ﷺ: وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدِّبْكُمْ، ٤٧٥
- قوله ﷺ: وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَكْكُمْ، ٤٧٦
- قوله ﷺ: وَكُونُوا قَوْمًا صِيحَ بِهِمْ فَأَنْتَبَهُوا وَعَمِلُوا أَنَّ الدُّنْيَا ٤٨٠
- قوله ﷺ: فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً ٤٨٤
- قوله ﷺ: وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ .. ٤٨٦
- قوله ﷺ: وَإِنَّ غَايَةَ تَنْقِصِهَا اللَّحِظَةُ وَتَهْدِيمِهَا السَّاعَةُ ٤٨٧
- قوله ﷺ: وَإِنَّ غَايَةَ يَحْدُوهُ الْجَدِيدُ إِنْ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ٤٨٩
- قوله ﷺ: وَإِنَّ قَادِمًا يَقْدَمُ بِالْفُوزِ أَوْ الشُّقُورَةِ لِمُسْتَحِقِّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ ... ٤٩٣
- قوله ﷺ: فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا ... ٤٩٤
- قوله ﷺ: فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ نَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَعَلَبَ شَهْوَتَهُ، ٤٩٤
- قوله ﷺ: فَإِنَّ أَجَلَ مَسْتَوْرٍ عَنْهُ وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ ٥١٧
- قوله ﷺ: يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيُرْكَبَهَا وَيُؤَمِّنِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا، ٥١٩
- قوله ﷺ: حَتَّى تَهْجُمَ مَيِّنَتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَلَيْهَا ٥٢٤
- قوله ﷺ: فَيَالِهَا حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمْرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً . ٥٢٦
- قوله ﷺ: نَسْتَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ ٥٢٨



